جغافيةالعالم ألمعاضر

جغرافب الكبري

الدكتور عبالرحم جبية

دارالفكر



جغرافت إلدول الكبرى



جغرًافية العالم ٱلمعاصِر

جغرافب التجري

الكتورعبالرحم حجبة

جميع الحقوق عفوظة عنع طبع هذا الكتباب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير ، كا عنب الاقتبسياس منسه ، والترجسة إلى لفسة أخرى ، إلا بإذن خطي من دار الفكر بدمشق



م<u>ين يدي الكتاب</u>

يتصدى هذا الكتاب لدراسة جغرافية الدول الكبرى في العالم آخذاً بعين الاعتبار وزنها الاقتصادي أو عدد سكانها أو كليها معا، دون الاهتام كثيراً بأبعادها بحيث يضم بين دفتيه بحوثاً تشتمل أكثر دول العالم أهمية على الصعيد الدولي ومن هذه الزاوية فقط لم أعمد لتسميته « جغرافية الدول العظمى » التي تعنى الدول المتقدمة الكبيرة .

هذا وقد حاولت أن تكون دراسة الدول المذكورة من زوايا ختلفة ، أو بالأصح حسب مدارس جغرافية متعددة ، دون التقيد والالتزام بمنهج واحد اتقيد به عند دراسة كل دولة ، وذلك تجنباً للرتابة المملة والخططات الصلدة التي لم تعد مستساغة في مطالعة الكتب الجغرافية التقليدية .

وقد عمدت إلى إغناء كل مبحث بأكبر قدر ممكن من الخرائط والأشكال ، بعضها معرب وبعضها نصف معرب ، كي أترك فرصة للقارئ لمعرفة أساء المواقع والمعالم والمدن بأسائها الحقيقية ، كا تكتب وتلفظ باللغة الإنكليزية أو الفرنسية .

ويصدر هذا الكتاب كطليعة لسلسلة « جغرافية العالم المعاصر » والتي تشتل على المؤلفات التالية :

- ١ ـ جغرافية الدول الكبرى
- ٢ _ جغرافية أوروبا الغربية
- ٣ ـ جغرافية أوروبا الشرقية والاتحاد السوڤيتي

- ٤ _ قارة آسيا
- ٥ ـ الوطن العربي في آسيا
- ٦ _ الوطن العربي في أفريقيا
 - ٧ _ أفريقيا السوداء
- ٨ ـ العالم الجديد : امريكا وأستراليا .

والله أسأل التوفيق للنهوض بمثل هذه المهمة وتحقيق هدفي المنشود ، وهو تقديم بضعة مؤلفات توفر المعلومات الرصينة عن العالم الذي نعيش فيه ونتفاعل معه بأشكال متفاوتة .

المقستمة

كل ما في العالم في حركة دائبة . فبين عام وآخر ، لا تتغير المعطيات العددية فحسب ، بل هناك البنى الدولية التي تتبدّل ، فإذا اقتصرنا على شريحة ما عبر اللحظة الحالية ، فإن ذلك سيقودنا إلى أكثر التقاويم وقتيّة وسأماً

ومن الأفضل أن تقدم الوقائع ضمن منظورها التطوّري ، وأن نستخلص الخطوط الكبرى المتحكّمة في كل شعب والمستدّة من ماضيه ، وأن نُحلّل جهده لمواءمة تراثه مع العصر الحاضر ، وهكذا يكون الطالب الجامعي أفضل استعداداً وتهيئة لإدراك الأصالة العميقة لدى كل شعب ، وأن يفهم ، من خلال عالم الأمس واليوم ، عالم الغد .

ولن نخفي رغبتنا الشديدة في تفسير وتبسيط ، وتخفيف العرفيدة والإحصائيات . ولكن في هذا الربع الأخير من القرن العشرين ، ولد عصر جديد . فبعد البحبوحة التي كانت تسود فيه ، بعد الحرب العالمية الثانية ، لدى الدول الغنية المتقدمة ، ظهر الإحساس بالحقائق القاسية ، وظهر قلق مفاجئ على مصير العالم . وقد أصبح بؤس التخلف أكثر إيلاماً ، وعلى الجانب الآخر من الأفق ، ظهر أن الآلية المتزايدة الإحكام ، لدى الدول الغنية ، قد أصيبت فجأة بالسقم . ويتخض العالم الآن عن يقظة عسيرة ، كانت أزمة النفط في ١٩٧٧ نذيرها العنيف ، والذي كانت ترجمته على شكل ارتفاع في الأسعار ، وتضخم ،

وبطالة بلغت ١٠٪ لدى عدة دول متقدمة عظمى ، وإحساس بأن الوقت قد حان للكف عن هدر مجتم الاستهلاك ، ورفض التقنية التي لا يكون الإنسان هو المسيطر عليها ، وأشكال الرعب المنتظرة من عام ٢٠٠٠ ، أمام تهديدات المجاعة ، والتلوث الجوي والمائي المتعاظم ، وتخريب التوازنات البيولوجية ، والخوف من قيام قيامة نووية .

وتطرح في كل مكان أسئلة رهيبة ، كا أن الإجابة تكون باسترار عسيرة ، شاقة ، عويصة . ومنذ عهد قريب ، كان يبدو من العبث ، بالنسبة لبلد صناعي ، كانت الطبيعة شحيحة عليه ، أن يستغل دون مصاعب موارد أرضه ذاتها : غير أن اليابان أقامت قواعد ثروتها الباهرة فوق ركائز « التقسيم الدولي للعمل » . ويعزو مصدرو المواد الخام كل مشكلاتهم إلى هذا الكيان الهش . . . ومن الميسور تعداد أمثال هذه الملاحظات .

ومنذ بداية القرن العشرين ، أي خلال فترة لا غشل أكثر من مدة حياة إنسان ، تغير العالم كثيراً . فقد نكب بحروب عديدة ، كانت اثنتين منها حربين عالميتين ، لا تنفصلان عن بعضها بأكثر من عشرين عاماً ، وأدت إلى تغيرات عيقة ، فانحطت دول كبرى أو تلاشت ، وصعدت أخرى . ولكن ذلك يعود ، على الخصوص ، إلى التقنيّات الوثّابة ، وراح العالم يتطور بصورة مفرطة في عقها وفي سرعتها حتى لقد دعيت هذه الفترة « فترة تسارع التاريخ » . وهكذا ظهرت في عالمنا مشكلات على درجة من الخطورة ، طرحت مسألة وجود الإنسان ذاته على بساط البحث . ويتعلق المستقبل ، الذي يسوده السلام ، أو الحروب الخارجية ، أو الأهلية ، بحل هذه المشكلات ، التي لم يتفق عليها بنو الانسان بعد .

تلك هي التوضيحات الجديدة ، التي سنجهد في أن نجعلها محسوسة ، في دراسة المشكلات الكبرى في العالم المعاصر ، كمشكلات الطاقة ، وفي دراسة

أوروبا ، وفي حيرتها وترددها ، ودراسة العالم الثالث وحاجاته الذاتية اللحّة ، وفي دراسة اليابان المنخورة بالتلوث ، والمهددة في أساسات قوتها الصاعدة ، وفي البروز التظاهري الذي تجلّى فيه العملاق البرازيلي الناشئ ، وفي المشكلات المؤلمة التي تعاني منها بنغلادش التي تنوء بسكانها ، وفي اللولب المعقد للتنبية الصينية . . إلخ .

ذاك هو منحى سعينا الحثيث ، ونتنى أن يكون القرّاء الكرام على مستوى الإحساس بالمسؤولية الجماعية لبني الإنسان .

ويؤلف هذا الكتاب الذي نضعه في طليعة سلسلة « جغرافية العالم المعاصر » ، بداية متواضعة لعدة كتب جغرافية إقليية ، تلقي نظرة موضوعية وشاملة على العالم الذي نعيش فيه ، وستجد دراسة الوطن العربي مكانها اللائق ، قبل الفراغ من التعرف على العالم القديم الذي نؤلف واسطة عقده : ﴿ وَكذلك حَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وسَطاً ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وعلى الله التكلان وهو نعم المولى ونعم النصير.

عبد الرحمن حميده رئيس قسم الجفرافيا في كلية الآداب بجامعة دمشق سابقاً دكتوراه الدولة في الآداب من السوربون

دمشق في ١٩٨٤/٣/١٥

	\		
•			
		·	

الفضر لالتهدي

أولاً _ العالم في ١٩٨٠

يوجد في العالم ١٧٠ دولة .

ولكل دولة حيّز ذو ثلاثة أبعاد :

رقعة أرضية ، شديدة التباين ، فأكبر دولة هي الاتحاد السوفيتي الذي عتد على ٢٢,٤ مليون كم ، وأصغرها دولة الفاتيكان ومساحتها ٢٢,٤ كم .

وهناك بين الدول العظمى دول واسعة ، عدا الاتحاد السوڤيتي :

۸٫۵۱ مليون کم	البرازيل	٩,٣٦ مليون کم	الولايات المتحدة
٣,٢٧ مليون كم	الهند	۹,۷۸ مليون کم	كندا
۲٫۷۸ مليون کم	الأرجنتين	٩,٥٦ مليون کم	الصين
		مة بكثير مثل :	وهناك أصغر رقا
۰٫۲۶ مليون کم	الملكة التحدة	۰٫۲۷ مليون کم	اليابان
۰٫۰۳ مليون کم	بلجيكا	۰٫۲٥ مليون کم	جمهورية ألمانيا الاتحادية
۰٫۰۳ ملیون کم	هولندا	۰٫۳۰ مليون کړ	إبطاليا

رقعة بحرية لكل الدول التي تملك واجهة ساحلية. ففي السبعينات امتدت المياه الإقليمية إلى ٣ أميال ثم إلى ٦ ، ثم إلى ١٢ وأخيراً إلى ٢٠٠ ميل بحري ، أو ٣٧٠ كم ، مع حقوق صيد خاصة بها . هذا كا تمت السيطرة على الأرصفة القاريَّة Schelfs حتى عمق ٢٠٠ م ، أو حتى تخوم حدودية مع دول أخرى واقعة تجاه سواحلها ، مثلما حدث في بحر الشمال أو في الخليج العربي ، بالنسبة لحقول النفط البحرية .

مجال جوي لا يحق للطائرات الأجنبية أن تعبره إلا بعد اتفاق يتم بعد تعاقد متبادل .

ولم يبق في العالم سوى منطقتين غير مقسومتين بين الدول :

- القارة القطبية الجنوبية ، التي أصبحت بموجب معاهدة ١٩٥٩ ولمدة ٣٠ سنة قارّة مجردة من السلاح ومفتوحة أمام البحث العلمي الدولي .

ـ المساحات البحرية التي تقع فيما وراء ٢٠٠ ميل بحري . وترى بعض الدول جعلها مجالاً دولياً يعهد بتسييره للأمم المتحدة ، من أجل استغلال موارده من جديد ، معادن القاع ، والبحث عن النفط والغاز ، في حين تفضل دول أخرى أن تظل هناك (حرية الوصول) إلى ثرواته .

تطور عدد سكان الأرض

عدد السكان	العام	عدد السكان	العام
٣٢٠٠ مليون نسبة	3781	٤٧٥ مليون نسبة	170.
٤٠٠٠ مليون نسبة	1140	٦٩٠ مليون نسبة	140-
٤٢٠٠ مليون نسمة	1444	١٠٨٦ مليون نسمة	140.
٤٣٣٦ مليون نسبة	14.4	١٥٥٠ مليون نسمة	11
٤٥٠٨ مليون نسمة	11/1	١٩٠٧ مليون نسمة	1970
		۲٤٩٧ مليون نسمة	190.

أكثر دول العالم سكاناً بالملايين في ١٩٨١

3.4.5	۲ _ المند	90+	١ ـ الصين				
		١٠٢٥ في ١٠٨٧))				
77-	٤ ـ الولايات المتحدة	(۱۹۸۱)	٣ _ الاتحاد السوڤيتي				
		۱ (مطلع ۱۹۸۳)	(4)				
171	٦ _ البرازيل	10.	ه _أندونيسيا				
4.	۸ ـ بنغلاد <i>ش</i>	117	٧ _ اليابان				
٨-	۱۰ ـ نيجيريا	٨٤	٩ ـ باكستان				
17	١٢ _ ألمانيا الاتحادية	٧١	١١ ـ المكسيك				
70	١٤ ـ الملكة التحدة	٧٥	۱۳ ـ إيطاليا				
00	١٦ ـ فيتنام	30 (1481)	۱۵ ـ فرنسا				
£A	۱۸ ـ تايلاند	٤٩	۱۷ ـ فيليبين				
١٤ (٤٤ في ١٩٨٢)	۲۰ ـ مصر	73	۱۹ ـ ترکیا				
**	۲۲ _ إسبانيا	Υ٨	٢١ ـ كوريا الجنوبية				
77	۲۲ ـ بولونيا	71	٢٣ _ إيران				
77	۲٦ ـ أثيوبيا	77	۲۵ ـ بیرمانیا				
YA	۲۸ ـ زائیر	٣٠	٢٧ ـ أفريقيا الجنوبية				
XX	۳۰ _ كولومبيا	44	٢٩ ـ الأرجنتين				
الم	مجموع الأقطار المذكورة ٣٦٣٦ أو ٨٠٪ من سكان العالم						
	لعالم ٥٠٨ع	مجموع ا					

ثروة الدول حسب الناتج القومي الخام عليارات الدولارات (حسب تقديرات البنك الدولي) في ١٩٨٠ :

١	ـ الولايات المتحدة	3YA/	٤	_ ألمانيا الاتحادية	0.1
۲	ـ الاتحاد السوڤيتي	YAY	٥	_ فرنسا	۲۸۷
٣	ـ اليابان	٦٤٢	٦	ـ الصين	727

72	١٩ ـ بلجيكا	757	٧ _ الملكة التحدة
٧١	۲۰ ـ المكسيك	197	۸ _ کندا
75	۲۱ _ سويسرا	190	۱ _ إيطاليا
11	۲۲ ـ تشيكوسلوفاكيا	101	۱۰ ـ البرازيل
٤٧	۲۳ ـ ترکیا	117	۱۱ _ إسبانيا
٤٦	٢٤ _ النسا	11•	۱۲ ـ بولونيا
23	٢٥ ـ العربية السعودية	1-4	١٣ ـ أستراليا
في ۱۹۸۲)	(۵۸ في ۱۸۸۱ و ۱۰۰	11	۱٤ ـ هولندا
٤٥	٢٦ ـ الأرجنتين	14	١٥ ـ الهند
٤٣	۲۷ ـ يوغوسلافيا	۸۳	١٦ ـ ألمانيا الشرقية
٤١	۲۸ ـ الداغارك	77	١٧ ـ السويد
٤١	۲۹ _ أندونيسيا	٧٥	۱۸ ـ إيران
77	٣٠ ـ أفريقيا الجنوبية		

مجموع الأقطار المذكورة ٢٠٠٠ أو ٨٨٪ من ثروة العالم مجموع العالم

الإحصائيات العالمية في ١٩٨٠

إنتاج القمح	٤٢٦ مليون طن و ٤٥٨ في ١٩٨١
إنتاج الرز	٣٧٩ مليون طن و ٤٠٣ في ١٩٨١
إنتاج السكر	٩١ مليون طن و ٩٢ في ١٩٨١
إنتاج الصيد البحري	٧١ مليون طن و ٧٣ في ١٩٨١
قطعان الأبقار	۱۲۱۲ مليون رأس و ۱۲۲۵ في ۱۹۸۱
قطعان الخنازير	۲۲۶ ملیون رأس
قطعان الأغنام	۱۰۳۲ مليون رأس
إنتاج الفحم الحجري	٣٥٠٠ مليون طن
انتاج الكهرباء	۸۱۳٤۰۰۰ مليون ك وس
انتاج الكهرياء	۸۱۱۶۰۰۰ مليون ڪوس

٢٠٥٦ مليون طن و ٢٨٥١ في ١٩٨١ إنتاج البترول ۱٤٩٠ مليار متر مكعب و ١٥١٣ في ١٩٨١ إنتاج الغاز الطبيعي ٤٧٣ مليون طن و ٤٨٦ في ١٩٨١ إنتاج خامات الحديد ٦٧٣ مليون طن و ٧٥٥ في ١٩٨١ إنتاج الفولاذ ۸۵ ملیون طن و ۸۸ فی ۱۹۸۱ إنتاج الألمنيوم ١٤١١ طن و ١٢٧٠ في ١٩٨١ إنتاج الذهب ٤١ مايون و ٣٧ في ١٩٨١ إنتاج السيارات ٣٥٦ مليون و ٤١٢ في مطلع ١٩٨١ عدد السيارات في العالم ١٢٩٥ مليار دولار قيمة التجارة الدولية ٣٩٤ مليون طنة حمولة خام و ٤٢٠ في ١٩٨١/٧/١ حمولة البحرية التجارية ٣,٥ مليار طن الحمولة المنقولة بالسفن عدد الطيارات المدنية λλλγ

ثانياً - الكتل العالمية الكبرى

لقد انقسم العالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، بصورة تقريبية ، إلى ثلاثة مجموعات : « الكتلة الأمريكية » ، « الكتلة السوڤياتية » ، والعالم الثالث .

وقد عملت الثروة الديموغرافية على تسهيل صعود أمريكا. فقد تلقت الولايات المتحدة موجات من المهاجرين المتشوقين لتحسين أوضاعهم ، والذين يترك لهم النظام الاقتصادي الليبرالي أكبر قدر من المبادرات والتطلعات إلى النجاح . وقد كان التاريخ مفيداً للولايات المتحدة : فقد أمكن التغلب بسهولة على الصدامات الداخلية وعلى نزاعات الحدود مع المكسيك في القرن التاسع عشر ، مثاما عملت الحربان العالميتان على إثرائها وعلى تقويتها صناعياً أكثر مما

أضعفتها ديموغرافياً لأن ميادين المعارك كانت بعيدة عن أراضيها ، كا كان تدخلها متأخراً ، وفي خلال ربع القرن الدي أعقب نهاية الحرب الأخيرة ، أي بين ١٩٤٥ ـ ١٩٧٠ ، أصبح نفوذها العالمي أمراً واقعياً . ويستند هذا النفوذ على بعض الأسلحة الناجعة :

- المظاهر الإيجابية في الليبيرالية الاقتصادية ولا سيا تلك الإرادة الخارقة في الإقدام والتجديد .

- الدولار ، الذي عرف الأمريكيون كيف يعملوا منه أداة قدرة ، وذلك عندما كان عملة صعبة ، حتى نهاية الستينات ، أو بعد أن أصبح وافراً للغاية في الأسواق العالمية .

ـ سبق تكنولوجي لا مرية فيه لاينازعها عليه سوى اليابان .

- أسلحة اقتصادية حيث يكون للفوائض الزراعية قيمة أكبر ، ما دامت حالات العوز الغذائي متزايدة في الأقطار المتخلفة ، أو في الدول الاشتراكية .

ـ صورة إيديولوجية عن ديموقراطية متعددة الأحزاب وحرية .

- وسائل عسكرية ذات امتداد من مستوى عالمي استناداً إلى معاهدات متعددة الجوانب مع حماية نووية وقواعد استراتيجية .

وقد كان بلوغ الاتحاد السوڤيتي مستوى دولة عظمى أكثر تأخراً وأكثر صعوبة ؛ فقد حصل في دولة شديدة التأخر اقتصادياً وذات بنى اجتاعية غير مشجعة . وقد كان للتاريخ هنا دور مناهض بكل جلاء : فقد كانت السنوات الثلاثون ، بين ١٩١٤ و ١٩٤٥ حافلة بالجازر الديموغرافية : الحرب العالمية الأولى ، الحرب الأهلية التي أعقبت الثورة ، ضحايا السياسة الستالينية التي تلت جماعية الأراضي والتصفيات الجسدية ، وأخيراً الحرب العالمية الثانية ،

مما كلف هذه البلاد أكثر من ٣٠ مليون قتيل . كا لم تكن التخريبات المادية وانعدام النظام بأقل أضراراً . ولكن وجود انضباط ايديولوجي صارم ، يرمي لجعل الاتحاد السوڤيتي أول بلد في التجربة الاشتراكية ، والمدعوم بسلطة الحزب الشيوعي المهينة سواء في الداخل أم في الخارج ، وتكوين قوة عسكرية جبارة ، سمح لهذه البلاد بأن تخرج من اقتصادها المتأخر .

ولقد استطاع النظام السوڤياتي أن يفرض نفسه معتداً على مصادر معدنية وطاقية ضخمة ، وهادفاً لجعل التقدم عن طريق التصنيع ، ومانحاً الأفضلية لأنشطة التجهيز أكثر من سلع الاستهلاك الدارجة ، وكان ربع القرن التالي لموت ستالين ، في الوقت نفسه فترة تحسين مستوى المعيشة الداخلي ، وانتشار النفوذ العسكري والايديولوجي على مستوى عالمي ، ولكن وحدة العالم الشيوعي تعرضت للتصدع : فقد أصبحت الصين قطباً آخر للنفوذ وللتوجيه الشيوعي .

أما عبارة العالم الثالث فقد ظهرت لأول مرة على قلم العالم الفذ (آلفرد سوڤي كي يشير)، في نهاية الأربعينات، إلى الدول التي ترفض الانخراط في حلبة تنافس الدول العظمى، تلك هي دول الحياد في الجموعة الأفريسية، وبلدان أمريكا الجنوبية والهند. وهناك علامة أخرى تستخدم أحياناً لتعريفه: وهي أن العالم الثالث يتألف، في غالبيته، من دول ذات قاعدة اقتصادية هزيلة وناقصة النبو، أي متخلفة. وفي هذا المعنى فهي تتنافر نوعياً مع الأقطار المتصنّعة، أو الصناعية، وذات المستوى المعاشي المرتفع. ولكن تعرّض كل من هذين المعيارين لتشوه عيق خلال ثلث القرن الأخير.

فقد أصبح عدد الدول التي استطاعت أن تحتفظ بحيادها المبدئي زهيداً جداً: فقد أدت المواجهات الايديولوجية والنزاعات المسلحة بين هاتين الدولتين الامبرياليتين المسيطرتين إلى اضطرار الكثير من الدول الصغرى إلى الانضام، الامبرياليتين المسيطرتين إلى اضطرار الكثير من الدول الصغرى إلى الانضام،

بصورة أو بأخرى ، إلى هاتين الكتلتين . وقد كشف مؤتمر هافانا في عام ١٩٧٩ للعيان ، ذلك الانشطار بين الاتجاه الموروث عن الأصول ، أي عن (مقررات باندونغ) في عام ١٩٥٥ ، والذي كان يمثله مارشال يوغوسلافيا الراحل « تيتو » ، وبين مجموعة (عدم الانحياز) التي تسير خلف موسكو وراء « كاسترو » زعيم كوبا .

هذا كا أن زيادة الإنتاج النفطى وارتفاع أسعاره بشكل استعراضي ، عملا على تهشيم وحدة العالم الشالث ، المعروف بأنه عالم متخلف . فقد أصبحت بعض الدول القليلة السكان وذات الإنتاج الضخم كـــدول الخليـج العربي ، وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية ، أصبحت غنية خلال عدة سنوات (شكل ١) في حين كانت الـــدول الأخرى ، الحرومة من هذا الن تتخبط في فقر متزايد أيضاً ، حتى لقد ظهرت عبارة العالم الرابع ، التي تشمل الدول المتخلفة المتوسطة الفقر، مثل سورية وتونس وإيران وتركيا ، وبوليفيا ، ودول العالم الخامس مثل الصومال وأيثيوبيا وموريتانيا وبنغلادش.

هذا في حين حققت بعض الدول عملية الإقلاع وخرجت من مستنقع



التخلف مثل كوريا الجنوبية وتايوان وسنغافورة ، كا أن البعض من الدول تتراوح بين بين مثل يوغوسلافيا وإسبانيا والبرتغال والبرازيل .

☆ ☆ ☆

أعملاقان فوق ساقين من طين ؟!

١ ـ « لقد أصبحت حركات الترد في العالم المتأمرك ـ أي العالم الواقع مباشرة تحت وصاية الولايات المتحدة ـ هي التي تثير حفيظة هذه الدولة . فابتداءً من كندا إلى أمريكا اللاتينية ، ومن أوروبا حتى اليابان ، أخذت الشعوب الخاضعة بشكل واضح أو مُقنَّع للنفوذ الأمريكي ، أخذت تتجرًّا لترفع رأسها لتحاول استرداد شخصيتها . وهكذا أخذ الجال الأمريكي ـ أي العالم ـ الذي تسلل إليه نفوذ أمريكا بحذق ، وانتظم حسب إرادتها ، راح يتصدّع بنيانه ، ويطمح إلى الاستقلال الذاتي ، وأحياناً إلى الاستقلال الذاتي ، وأحياناً إلى

ترى هل يستغل العالم الاشتراكي هذا الوضع ، كا سبق أن توصّل إليه ، كي يمد هينته بزيادة أكبر ؟ لقد انتشرت بقعة الزيت التي انطلقت من روسيا لتغطي أوروبا الشرقية ، والشرق الأقصى بما في ذلك الصين وجنوب شرق آسيا ، إلى أن بلغت إفريقية الشرقية بما في ذلك كوبا ، التي أصبحت تشكل تهديداً للقارة الأمريكية ذاتها . وفي سبيل توقيف هذا الزحف ، تكرس الولايات المتحدة كل قدرتها العسكرية كا فعلت في كوريا وفي ثيتنام .

وفي هذه المعركة المكتومة الصوت ، تكون المهارة أحياناً أفضل من القوة ، كا قد يلعب الحظ دوره . ويبرهن على ذلك انقسام العالم بين هذين الجبارين . وقد أصبح ذلك ممكناً ، وسيصبح ضرورياً أكثر في أعقاب تصاعد قوة الصين . وإذا كانت الصين قد أصبحت ورقة رابحة ، ولوقت ما ، في اللعبة الأمريكية ، فإن هذا لا يجوز أن يحجب عنا المشكلة الأساسية : أي هل ستستطيع قوة أمريكا ، المرتكزة على الاقتصاد الحر ، أن تظل دوماً قادرة ، رغاً عن جهازها العسكري الهائل ، على احتواء اندفاعة اشتراكية ، تبرهن اختلافاتها الداخلية ذاتها على ضعفها ، مثلها تدل أيضاً على حيويتها . »

٢ ـ تعتبر أعناق الاختناق الجرح الدامي في الاقتصاد السوڤيتي . . . والواقع أن كل منظومة التخطيط هي التي تقف في قفص الاتهام . وهذا التخطيط نفسه يتخد صفة عنصر لا يقهر في الاشتراكية السوڤياتية ، وياله من معضلة تواجه المسؤولين ! ترى هل يستدعي الانفلات من التخلف إعادة نظر موجعة للطرائق المتبعة نظراً لتعذر التخلى عن النظام كله ؟

وها هي الصين تنادي بأن الاتحاد السوڤياتي قد خان الاشتراكية . والواقع لقد كبّل الاتحاد السوڤياتي نفسه في المقائدية ، والبيروقراطية وفي نهاية المطاف في « التبرجز » . وقد حصل « التعايش السلمي » على حسابه مما أنعش الغرب ، وساعد الامبريالية الأمريكية بطريقة مباشرة ، وهكذا قيل : الدب الروسي يكسر الجوزة ، والنسر الأمريكي ياكلها » . وقد قفزت التجارة بين البلاد الرأسالية الغنية من ١٥٪ في ١٩٥٥ إلى ٢١٪ في ١٩٧٤ . وهذا يعني وقوع الاتحاد السوڤياتي تحت تبعية هذه الدول في تموينه بالغذاء أو بالمواد الصناعية (١) . وعندما يشتري الاتحاد السوڤياتي مصانع « مفتاح باليد » فلا يعني ذلك الاعتراف بتأخره التكنولوجي ، بل يدل ذلك أيضاً على تبعيته في تجهيزه لرغبة الرأسماليين . وقد اضطر الاتحاد السوڤياتي دولار .

وفي الوقت الذي يخضع لضرورات التضخم الغربي ، حيث يتجه نحو الولايات المتحدة للحصول على حاجته من الغذاء ، أو نحو الولايات المتحدة واليابان ، للاستمانة بها من أجل استغلال موارده النفطية في سيبريا ، ونحو الدول المذكورة أو أوروبا ، كي يحصل على التجهيزات التي لا غنى له عنها ، ألا يحق لنا أن نطرح السؤال التالي : هل يمكن اعتبار الاتحاد السوقيتي سيد مصائره الاشتراكية ؟

(عن تروتينيون . عالم القرن العشرين . دار فايار ١٩٧٨)



 ⁽١) وأكبر دليل على ذلك حاجته الماسة لأنابيب نقل الفاز السيبري إلى أوروبـا الغربيـة في ١٩٨٢ ومناهضـة دول أوروبا الغربية لسياسة أمريكا التي تعارض ذلك .

تقلبات الظروف في أوروبا

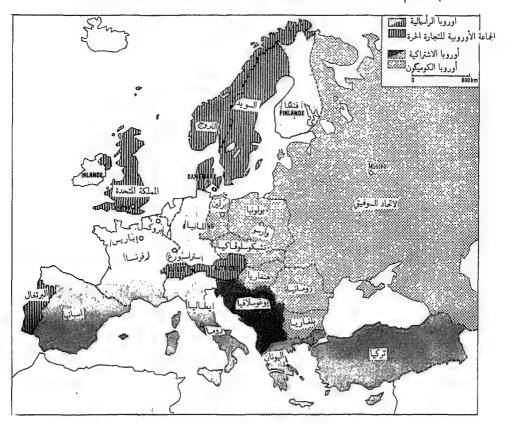
لقد وهب التفوق التجاري ، والثورة الصناعية ، من بعده ، قارة أوروبا ، وضعاً مهيناً وذلك منذ مطلع الأزمنة الحديثة حتى فجر القرن العشرين . فقد أصابت الحربان العالميتان ، اللتان دارت معاركها في الغالب ، فوق الأراضي الأوروبية ، بويلاتها معظم دول هذه القارة . فتعرضت قوى الدول المتحاربة إلى خسائر جسية في الأرواح ، فضلاً عن تخريب مادي رهيب أصاب وسائل الإنتاج .

وهكذا ظهر منافسان جديدان : ففي الربع الأول من هذا القرن ظهرت الولايات المتحدة كدولة صناعية جبارة ، كي تنافسها اليابان ، بعد قليل ، على الزعامة الصناعية .

كا تواترت المصاعب في الامبراطوريات الاستعارية الأوروبية انتهت بتلاشيها وتحرر المستعمرات ، حرباً أو سلماً . فلم تخسر الدول الاستعارية السابقة الإشراف السياسي على مستعمراتها السابقة ، التي نالت استقلالها بشتى الوسائل من ثورية ودبلوماسية ، بل حرمت أيضاً من امتيازاتها الاقتصادية ، كالأسواق الحمية ، كي تحل مكانها أشكال جديدة من التنافس ، كحاولات التنية ، هذا رغ بقاء الكثير من الارتباطات ، من مالية وثقافية ، والتي يسميها الكثيرون : الاستعار الجديد .

ولقد تمخّض انهيار روسيا القيصرية عن نشوء أول دولة اشتراكية ماركسية في عام ١٩٤٧ ، هي الاتحاد السوڤيتي ، وتشكلت بين عامي ١٩٤٤ و ١٩٤٥ في أقطار أوروبا ، التي اجتاحتها جحافل الجيوش الروسية ، جمهوريات جديدة ، هي الديموقراطيات الشعبية .

وهكذا أدت الحربان العالميتان إلى انشطار أوروبا إلى قسمين: فبعد الكتل التي كانت قائمة قبل حرب ١٩١٤ على أساس من منافسات قومية، قامت مكانها اليوم كتلتان مرتكزتان على خصومات ايديولوجية (شكل ٢).



الشكل ٢ أوروبا المنقسمة على نفسها

وخرجت أوروبا من الحرب في ١٩٤٥ مدمرة: فقد قضي على ثلث قدرتها الصناعية . كا أصيبت طرق المواصلات بالشلل ، ولم يعد الإنتاج الزراعي كافياً لتأمين تموين صحيح . أما التجارة الخارجية فقد منيت بعجز ضخم ، وتعرضت العملات الأوروبية إلى تخفيض في قيتها . وقد شعر سكرتير الدولة الأمريكية ، (مارشال) ، بخطورة الوضع ، فاقترح بتاريخ ٥ حزيران ١٩٤٧ تقديم معونة كثيفة لأوروبا ، لم تقبل بها سوى دول أوروبا الغربية ، في حين قابل الاتحاد السوڤيتي ودول أوروبا الشرقية هذا العرض برفض جاعي .

وهكذا نشأت المنظمة الأوروبية للتعاون الاقتصادي الإعداد برنامج لاستخدام المعونة الأمريكية على الصورة الأفضل . وبعد توزيع هذه المعونة أمكن إنقاذ أوروبا اقتصادياً في سنة ١٩٥٢ . وظلت هذه المنظمة تعمل لتشجيع تنية أعضائها : كحرية التجارة عن طريق تخفيض الرسوم الجركية ونظام الحصص ، وتحرير المدفوعات بفضل الاتحاد الأوروبي للمدفوعات ، وبفضل بنك التسديدات الدولية ، وابتداء من أعوام الستينات ، تخلّت المنظمة الأوروبية للتعاون الاقتصادية ، وكلم متقدمة وجدت دول أوروبا ضنها مكانة سامية . ОСDE

هذا كما ضاعف الأوروبيون الغربيون جهودهم في التنظيم ، سواء على الصعيد السياسي (المجلس الأوروبي) ، أو على المستوى الاقتصادي (الجماعات) ، وذلك لرد شيء من الإشعاع السابق لهذه القارة القديمة .

أما دول الديوقراطيات الشعبية ، فقد تبنّت أهدافاً وطرائق سوڤياتية ، وأصبح مجموع أوروبا الوسطى يؤلف كتلة سياسية وعسكرية (حلف وارسو) واقتصادية ، وذلك منذ أن أصبح كل أعضائها شركاء في مجلس التعاون الاقتصادي المتبادل ، الذي أنشئ في عام ١٩٤٩ ، والذي يحاول جاهدا التنسيق بين مختلف البرامج الوطنية وتحسين التعاون الاشتراكي .

منظمة التعاون والتنبية الاقتصادية

بتاريخ ٣٠ ايلول ١٩٦١ ، حلّت منظمة التعاون والتنية الاقتصادية مكان المنظمة الأوروبية للتعاون الاقتصادي ، والتي أصبحت تضم الولايات المتحدة وكندا ، والتي انضت إليها اليابان في ٢٨ نيسان ١٩٦٤ . وأخذت هذه المنظمة الجديدة على عاتقها كل التزامات المنظمة السابقة ، واتخذت لنفسها رسالة ترمي لتنية اقتصاديات أعضائها ، وذلك بإقامة علاقات تبعيّة متبادلة فيا بينها . ولكنها تختلف عن المنظمة السابقة بنقطتين : أولاً اهتامها بالتنية وليس بإعادة بناء ، وثانياً بإنشائها لجنة العون على التنية ، لتشجيع غو الاقطار الناقصة النو (الدول المتخلفة) والذي يندر أن يتجاوز ١٪ من دخلها الوطني وغالباً مايكون عوناً عسكرياً أو غذائياً لايسد الرمق والهدف منه الدعاية قبل كل شيء

وهكذا لا تلعب منظمة التعاون والتنبية الاقتصادية دوراً أساسياً في الميدان التجاري ، لأن تسعة أعشار المنتجات أصبحت حرة التبادل ، ليس بين الأعضاء الأوروبيين فحسب ، بل بين الأعضاء المذكورين وبين الولايات المتحدة . وتلعب المنظمة على الخصوص دور تنسيق وإعلام واستشعار . وتنشر بصورة منتظمة دراسات عن وضع أعضائها الاقتصادي ، وتخمّن تطور الأوضاع المستقبلية ، وتوصى بالعلاجات، وتلعب دور موزع للاستثارات ، أو تقديم العون للبلاد القليلة التصنيع .

مجلس العون الاقتصادي المتبادل

لم يعمل الرفض الذي قوبل به برنامج (مارشال) من جانب الاتحاد السوڤيقي ، ومن خلفه الجمهوريات الشعبية ، أكثر من التأكيد على انفصام قارة أوروبا إلى كتلتين : فقد رفضت كل هذه الدول الاشتراك في المنظبات الاقتصادية المتعلقة بمنظمة الأمم المتحدة ، مثل مؤسسة الغذاء والزراعة الدول الاشتراك في المنظبات الاقتصادية التعمير والتنبية . وقام الاتحاد السوڤيقي بتاسيس مجلس (العون الاقتصادي المتبادل) ، كجواب مباشر على عفطط مارشال الأمريكي ، وذلك بتاريخ ٢٥ كانون الثاني الاقتصادي المتبادل) ، كجواب مباشر على عفطط مارشال الأمريكي ، وذلك بتاريخ ٢٥ كانون الثاني وبلغاريا ، ورومانيا ثم ألبانيا ، وانضمت ألمانيا الديقراطية في عام ١٩٥٠ . ولا يبدو أن هذا المجلس قد قام ، حتى عام ١٩٥٩ على الأقبل ، فوق أنظمة واضحة ، كا لم يحاول أن يخلق مؤسسات متعددة المنسيات . ويتألف المجلس من ممثلي الأقطار الأعضاء ، ولم يلعب أكثر من دور استشاري وتنسيقي ، المنسيات . ويتألف المجلس من ممثلي الأقطار الأعضاء ، ولم يلعب أكثر من دور استشاري وتنسيقي ، دون أن يفكر مطلقاً بتخطيط شامل مفروض . وكل ما قام به في البداية هو تعاون حقيقي ، كا أن شدة تباين القوى بين الاتحاد السوڤياتي وبقية دول أوروبا الشرقية أدت بصورة لا محيد عنها ، إلى نوع من وصابة سوڤياتية .

من آمبروازي « التاريخ والجغرافيا الاقتصادية للدول العظمى » نشر دولاغراڤ ١٩٦٧

الأنظمة الاقتصادية والاجتاعية

من المألوف موازنة الأقطار الرأسالية مع البلدان الاشتراكية الماركسية . فبعد أن كانت المركنتيلية (١) هي السائدة ، ظهرت الرأسالية مع الثورة الصناعية في أقطار أوروبا الغربية ، ثم في أمريكا الشالية حيث استقرت فيها ووطدت أركانها ، ولكنها انتقلت لمناطق أخرى ، هذا إذا لم ينعها النظام الاشتراكي الماركسي : وهكذا تحولت روسيا إلى الاشتراكية في عام ١٩١٧ ، وأقطار أوروبا الاشتراكية في سنة ١٩٤٥ ، والصين في ١٩٤٩ ، وتقوم هذه الموازنة على نظريات اقتصادية متخاصة .

الرأممالية والاشتراكية الماركسية : مخططان نظريان لعلم الاقتصاد

لما كانت الحرية هي أساس الديمقراطية السياسية ، فإن الرأسالية تطالب بالحرية ذاتها في المجال الاقتصادي ، سواء بالنسبة للأفراد ، أو بالنسبة للجاعات . وتؤلف المنشأة أو المؤسسة entreprise قلب هذا النظام . فهي التي تعمل على تلاقي مختلف الأطراف الاقتصادية ، مثل المقاول المذي يقدم الخدمات والممتلكات ، والمقرض الذي يقدم الأموال ، والشغيلة الذين يقدمون قوة العمل . وتقوم المؤسسة بتوزيع عوائد العمل ، أي الأجور ، وعوائد رأس المال ، أي الأرباح ، وتقتطع أرباحها الخاصة . وتؤدي المنافسة الحرة إلى مجابهة المؤسسات فيا بينها ، وقد يؤدي صراع القوى الاقتصادية إلى تلاشي أضعف المؤسسات وإلى عمركزها . وليس من الضروري أن يحدث ضم جغرافي لوحدات الإنتاج ، بل

نظام اقتصادي نشأ في أوروبا خلال تفسخ الإقطاعية لتعزيز ثروة الدولة بتنظيم الاقتصاد واعتبار المعادن
 الثينة ثروة الدولة الأساسية ، أو المذهب التجاري .

يحدث تمركز اقتصادي لوسائل الإنتاج ، وضم أفقي إذا كان للمؤسسات النشاط ذاته ، وضم عودي (شاقولي) إذا كانت الأنشطة متكاملة ، وعندها يسمى الوضع الجديد دمجاً . ولكن قد تنبثق مؤسسات جديدة ، دون توقف ، وتحتفظ بطابع متعدد الأقطاب بين المبادهات الاقتصادية .

وعندما تكون الأرجحية لحرية المبادهة والتعاقد ، يدعى النظام ليبرالياً . أما إذا كانت الأرجحية لامتلاك رأس المال في إدارة المؤسسات ، فيدعى النظام رأسمالياً .

أما الاقتصاد الاشتراكي فيستند على نظريات ماركس ولينين . ويبدو كرد فعل ضد الرأسالية المتهمة باستغلال الشغيلة . ويرغب دعاة الاشتراكية في إقامة اقتصاد وخدمات مكان اقتصاد الكسب ، مثلما يحلّ مكان الملكية الحاصة لوسائل الإنتاج ملكية جماعية لتجعل منها رأسالية الدولة . ويصدر التنظيم الاقتصادي عن الحزب الوحيد المسيطر هو الحزب الشيوعي الذي يعتبر الممثل الديقراطي للطبقة الحاكمة ـ أي الپروليتاريا أو الطبقة الكادحة ـ . وتعثبر الاشتراكية كرحلة انتقالية نحو مجتع جديد هو الشيوعية . ولكن يجدر بنا أن نوضّ الاشتراكية الماركسية أو الجماعية ، لتحاشي أي التباس مع « الاشتراكية على النظ الغربي » ، التي تحلم بقيام دعوقراطية اقتصادية دون التضحية بالديموقراطية السياسية المتعددة الأحزاب .

ولكن الحقيقة الرأممالية تبدو متباينة جداً . ففي كل الدول العظمى أوجدت التنية الاقتصادية الثراء ورفع مستوى معيشة الناس . ولم يحدث الافتقار الجماهيري المتزايد ، بل حدث تشكل طبقة وسطى . وتستطيع غالبية الناس أن تقوم بالتوفير ، وبالتالي توظيف أموالها .

ولا تقوم الفوارق الكبرى بين الطبقات ، بل بين المؤسسات ، وبين المنتجين

والمستهلكين ، وبين الناس الذين يارسون علاً وبين العاطلين عن العمل ، وتقوم الدولة بالتدخل أكثر فأكثر لتقوم بدور الحكم الذي يحسم النزاعات . وفضلاً عن ذلك تقوم بدور رب العمل ، وبدؤر المؤسس الصناعي ، حتى لتحتل أحياناً دور أكبر رب عمل في البلاد . ويؤلف هذا التنظيم ما يدعى بالليبيرالية الجديدة . وتكون المشكلة الاجتاعية الرئيسة هي مشكلة تأمين العمل وليست مشكلة تأمين الموارد . وتلجأ بعض المؤسسات للتخلص من وصاية الدولة ، لإقامة مقرها في نوع من « جنة ضرائبية » حيث تدير منها فروعها المبعثرة في العالم : ذاك هو نظام تعدد الجنسيات transnationale أي ما وراء الوطنية .

هذا وتكون الحقيقة الاشتراكية متعددة الأشكال أيضاً. ففي عام ١٩٢٨ دخل الاتحاد السوڤيتي فعلاً في عصر التخطيط، بيد أن محتوى الخططات، وتشغيل المؤسسات خضعا للكثير من التطور. هذا ويكون التردد كبيراً بين الإدارة المتركزة والموحدة للاقتصاد وبين الحاجة للمرونة وروح المبادهة تجاه البيروقراطية.

وقد اقتفت الديموقراطيات الشعبية مثال الاتحاد السوڤيتي . غير أن الفلاحين البولونيين نجحوا في الاحتفاظ بأراضيهم . أما في يوغوسلاڤيا فقد قامت تجربة التسيير الذاتي وتطورت ، وذلك على خلاف التمركز المستبد في النظام الستاليني . واستطاعت الصين ، في خلال ثلاثين عاماً أن تنتقل عبر ثلاث مراحل مختلفة جداً . فقد ظلت تقلد النط السوڤيتي مدة عشرة أعوام ، وبعد عام ١٩٥٨ ظهرت الطريقة الماويّة التي تقوم على تحقيق التوازن بين الزراعة والصناعة في إطار الكومونات الشعبية ، وظهر اتجاه جديد جداً بعد عام ١٩٧٧ راحت تنفوق فيه آراء رجال الاقتصاد على أرباب ايديولوجية الثورة الثقافية .

وهكذا يبدو الواقع الاقتصادي شديد التنوع ، ويتخفّ كل نظام عن صِيّغ متباينة . ففي كل كتلة توجد أنظمة اقتصادية مهينة وأنظمة أخرى خاضعة ،

وهذه المفارقات على المستوى العالمي هي تعبير عن حقيقة جوهرية أخرى هي : اختلافات في مستويات التنبية .

* * *

الرأمهالية الجديدة

إن الانصهار والامتصاص هو أصل التروستات الأمريكية . فقد توسعت شركة فورد بالقضاء على المنافسين الصغار ، وتشكلت شركة جغرال موتورز G.M.C ، عن طريق تشارك بويك وباكّار واولدزموبيل وپونتياك . وقد أصبحت هذه التروستات الآن مستقرة ، ولكن رغبة منها في الحفاظ على منافسة حرة ، فقد عمدت لجنة التجارة الفيديرالية إلى منع توسعها عن طريق القوانين المعادية للتروستات . وهكذا يبدو التركز الأفقي والعمودي الآن من خصائص الشركات الصغيرة والمتوسطة . غير أن التركز المالي من غط هولدنغ أو شركة المستندات ، فإنه يقاوم بشكل أفضل لأن مكافحته تبدو أكثر صعوبة . ومن المؤكد أن بعض الجموعات المالية الضخمة مثل مورغان وروكفلر ودوپون نبور وميللون وكليڤلند ، التي تدعها أم المصارف ، هي التي تسيطر على أكبر المؤسسات الأمريكية ؛ وهكذا غير أم المؤسسات الأمريكية وعددها ٢٢٤ تخضع لإشراف ثانية مؤسسات مالية .

ولكن الظاهرة الأكثر جدة هي الكونغلوميرا والشركات المتعددة القوميات . فالكونغلوميرا هي شركة صناعية خاضعة لإدارة واحدة ، ولكنها ذات أنشطة متعددة وشديدة التنوع ، فأضخم كونغلوميرا هي ITT (التلغراف والتلفون الدولي) ، والتي كانت تستخدم في عام ١٩٧٧ / ٢٩٨٠٠ مخصاً . ويجب البحث عن أسباب نمو هذه الكونغلوميرات : أولاً في الرغبة في التحايل على القوانين المادية للتروستات . ولكن هناك أيضاً فكرة التخفيف من مخاطر المؤسسة وذلك بتنويع أنشطتها إلى الحد الأقصى . وأخيراً هناك ، على الخصوص ، حاسة القرن العشرين ، وهي أنه يجب إشباع رغبات الستهلك . . . أي أن الكونغلوميرا هي ظاهرة مدنية .

وقد كانت هناك شركات ضخمة ، أمريكية أو غير أمريكية ، توظف بالخارج على شكل شبه استماري . أما الشركات المتعددة الجنسيات فهي أكثر من ذلك ، حتى ولو كنا نطلق هذا الاسم في اللغة الدارجة ، على كل شركة ذات مصالح في الخارج . والميزة الأكثر وضوحاً في الشركة المتعددة القوميات هي الاستراتيجية العالمية ، فهي تبيع محلياً ، في قلب السوق ، وهي طريقة طيبة للتخلص من الرسوم الجركية ، وتناور بحذق من بلد لآخر ، في سبيل الاستثمارات المالية ، وفي استخدام الأيدي

العاملة الرخيصة كا في هونغ كونغ مثلاً ، وفي الصيرفة ، وكل ذلك حسب المصالح الحالية أو المنتقلة .

وهناك ظاهرة أكثر حداثة أيضاً وهي أن الرأسالية الجديدة تجعل من المؤسسة القطعة الرئيسية في « البنية التقنية التدولة الصناعية في « البنية التقنية الحديثة الكبرى لا تحوي أي شبه مع الشكل الذي يهين فيه رب العمل ، ولا عبال هنا للرواد العصاميين من أمثال روكفلر أو للمنظمين من أمثال فورد ، من الذين كانوا يفرضون آراءهم . ومن الآن فصاعداً لم يعد البحث عن الربح الأقصى في المؤسسة العصرية هو الحافز ، بل تكون التقنية هي المهينة ، ففي داخل المؤسسة هذه يعمل البحث العلمي والاستثمار المالي والتخطيط في خدمة هذه التقنية .

عن تروتينيون « القرن العشرين الأمريكي » دار نشر بورداس ١٩٧٤

الاقتصاد الاشتراكي والتخطيط: على قدر ما يكون إغفال موقف كارل ماركس في موضوع مبدأ التخطيط واضحاً ، بقدر ما يكون من العسير أن نجد في كتابه ، مستندات واضحة في هذا الموضوع . وكل ما تسمح به تفاسير مؤلّف ماركس هو مشروعية التخطيط في الجتم ، دون أن يكون من المستطاع توضيح النه الذي يجب أن يكون عليه التخطيط المذكور: متركزاً ، لا مركزياً ، أو يتم بالاستمانة بمخطط وحيد إلخ . . .

وقد اقتضى الأمر أن يشهد العالم توسع الاقتصاد السوقيتي السريع ، في الوقت الذي كانت الأقطار الأخرى تتعرض لشلل لا مثيل له في أعقاب الأزمة الاقتصادية الكبرى في عام ١٩٢٩ ، كي يكن أخيراً طرح مشكلة الإدارة العقلانية بصورة جدّية ورصينة .

ومنذ فترة شيوعية الحرب ، تبنّى الحزب الشيوعي مبدأ الخطيط الوحيد في عام ١٩١٩ ، وكان لينين ضد ذلك . . . ففي مقالة نشرتها جريدة البراڤدا في ٢٢ شباط ١٩٢١ عنوانها و مخطيط وحيد للاقتصاد » راح ينتقد فيه انعدام الواقعية لدى دعاته ، ومفاهيهم الأدبية والبيروقراطية والتقليدية التي تفتقر لأى عل حى .

ولكن في عام ١٩٢٤ أي بعد موته مباشرة ، شاعت فكرة الخطيط الاقتصادي الوحيد . . . وابتداء من هذه الفترة ، أي ابتداءً من الوقت الذي أصبحت فيه البرامج الاقتصادية من النبط السوڤيق عبارة عن برامج تصنيعية ، راح التخطيط السوڤياتيّ النبط يصطدم بشكلات ستكون متشابهة ، سواء

في الاتحاد السوڤيتي ذاته أو في تشيكوسلوڤاكيا ، أو في هنغاريا وبولونيا الخ . . . والاتجاه الطبيعي (للنبط) يكون ، في الواقع ، هو تبنّي طرائق مفرطة في تمركزها ، والاستسلام لبيروقراطية معتدة برأيها وسادرة فيه ، ومتشعّبة ، على أمل أن تحل أوائل المصاعب الكبرى التي ستجابهها .

ومها كان عليه الأمر فإن مبدأ التخطيط المتركز يظل هو الساري المفعول ، حتى أنه ليعتبر كأداة من صميم الاقتصاد الاشتراكي ، ولكنه ليس بالقانون الاقتصادي كا لَفَتَ ستالين الأنظار إلى ذلك .

عن بو بروسكي « نشوء النظام السوڤياتي في التخطيط » ١٩٦٨ عن بو بروسكي « الاقتصاد الخطط » ١٩٦٨ على المر

4 4 4

مستويات التنية

في جملة الأسباب التطويرية المتعددة في مجال التنبية ، هناك مُعْطَيتان يُنظر إليها على أنها أساسيتان : وهما الوضع الديموغرافي ومستوى التنبية العلمية والتقنية .

لقد تجاوز عدد سكان العالم قمة 6,0 مليارات نسبة في عام ١٩٨١ ، ويتزايد سكان الأرض حالياً بمقدار ٦٥ مليون نسبة كل عام . وقد أصبح سكان الكرة الأرضية اليوم ثمانية أضعاف ماكانوا عليه عام ١٦٥٠ ، وقد تضاعف عددهم ثلاث مرات منذ قرن واحد ، وتسارع هذا التقدم حسب وتيرة هندسية خلال القرن العشرين . فبين عام ١٩٠١ وعام ١٩٢٥ كان تزايد سكان العالم بمعدل ٨ بالألف سنوياً ، وارتفع إلى ١١ بالألف بين عامي ١٩٢٦ و ١٩٥٥ ، وإذا استر سكان العالم في تزايدهم حسب النسق الحالي ، فإن

سكان عالمنا سيتضاعفون خلال ٣٥ سنة فقط . أما سكان البلدان العربية فسيتضاعف عددهم في مدة لاتزيد عن ٢٥ سنة ، أي سيبلغ عدد سكان الأقطار العربية ٣٠٠ مليون نسمة في نهاية القرن العشرين ، منهم ٨٠ مليونا في مصر لوحدها دون أن يرافق ذلك غو مواز في التنية ولاسيا في الإنتاج الغذائي .

وينجم هذا الانفجار الديموغرافي عن هبوط شامل في نسبة الوفيات ، التي بلغت وسطياً ١٣ بالألف . ولكن في الوقت الذي تهبط فيه نسبة الولادات في البلدان الصناعية بنسبة لاتقل عن معدل هبوط الوفيات ، لأن عدد سكان هذه الأقطار الذي يبلغ ١١٠٠ مليون ، أو أكثر من ربع سكان العالم بقليل ، لم تسجل أكثر من ١٧ مليون ولادة في سنة ١٩٧٥ أو ١٥٪ من مواليد العالم في تلك السنة ، فإننا نجد أن الدول الأخرى لاتزال تحتفظ بنسبة توالد شديدة جداً ، إذ كان عدد المواليد فيها في تلك السنة ١٤ مليون أو ٨٥٪ من مواليد العالم كله .

وقد أدى هذا النو السكاني إلى تفاسير متشائمة ، كتلك التي صدرت عن أعضاء « نادي روما » ولاسيا عن منظمة الغذاء والزراعة الدولية في ١٩٨١ (تشرين الأول) ، إذ ظهر أن العالم العربي يستورد نصف المواد الغذائية التي يستهلكها ، لأن ٧٪ من أرض الوطن العربي هي المنتجة زراعياً : أي هناك تكاثر

ألمانيا الفربية	هولندا	إيطاليا	الولايات المتحدة	الاتحاد السو ^ش ييتي	الملكة التحدة	فرنسا	بلجيكا	الدولـة العــام
۱۷	۲۱,۲	۱۸,۱	70	Y0,£	17,7	۱۸,۰	۱۷	1904
11,7	۲,۸۱	17,71	۱۷,٤	١٧,٤	۱۷,۱	17,7	۱٤,٨	1974

تطور النسبة الخام للتوالد في الأقطار الصناعية : عدد الولادات لكل ألف من السكان بين ١٩٦٨ و١٩٦٨

مفرط في أعداد النياس بالموازنة مع المواد المتوفرة في كرتنا الأرضية ، مما يجعل المستقبل أمام الأقطار الفقيرة حالكاً . ومع ذلك يبدو الآن نوع من تباطؤ في النو الديموغرافي أخذت ملامحه تظهر للعيان ، فبعد أن كان نمو سكان العالم بمعدل ٣٤ بالألف عام ١٩٦٠ إذ به يهبط إلى ٢٨ بالألف في ١٩٧٥ . وتعتبر الصين المسؤولة الرئيسة عن ذلك الانخفاض ولكنها ليست الوحيدة ، لأن الأسرة الصينية الجديدة لم يعد مسموحاً لها بإنجاب أكثر من مولود واحد ، ويتعرض المخالفون للغرامات المالية كحسم نسبة محددة من مرتب الزوجين وهكذا هبطت نسبة تزايد سكان العالم في فترة ١٩٧٥ - ١٩٨٠ إلى ١٩٧٥ بالمئة سنوياً مقابل ٢٪ بين

وهكذا أصبح معدل النه والسكاني في الأقطار المتخلفة ، نتيجة تحسن الأوضاع الصحية انفجاريا . ففي السلفادور ، التي تخوض حرباً أهلية ، يبلغ هذا النه و السنوي ٣٧ بالألف ، و٣٥ بالألف في المملكة المغربية والجزائر وأكثرية الأقطار العربية والمكسيك وكوستاريكا ، كي يضرب الرقم القياسي العالمي في الكويت وهو ٦,١ بالمئة عام ١٩٧٥ و ٧,٩ بالمئة في ١٩٨١ أو ٧٩ بالألف .

جدول التزايد السكاني زمنيا حسب النمو السكاني الخام

في قرن واحد	عدد السنوات اللازمة	التزايد الطبيعي السنوي٪
١٠ ملايين نسمة يبلغون	لتضاعف عدد السكان	-
١٦مليون	171	• ,0
۲۷ ملیون	٧٠	\
22 مليون	٤٧	1,0
۷۲ ملیون	40	٢ (المعدل العالمي)
۱۱۸ ملیون	YA	۲,0
۱۹۲ مليون	77	٣
۳۱۲ ملیون	۲۰	٣.٥ (العالم العربي)
? 7 · ·	1.	۷,۹ (کویت)

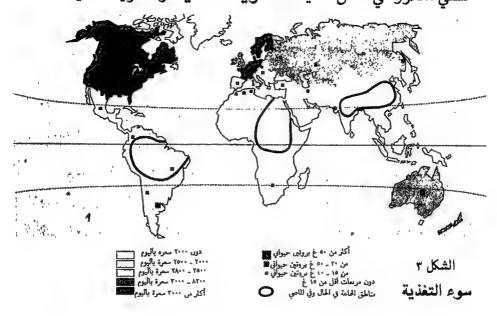
أما في الأقطار الصناعية في أوربا الغربية ، فيتراوح بين ٢ بالألف كا في الأقطار الاسكندينافية وألمانيا الاتحادية والنسا و٧ بالألف كا في إيطاليا .

وإذا كان من العسير معرفة أيّ من الاختراعات هو الذي كان له الأهمية العظمى في تاريخ البشرية ، فإن من المؤكد أن نسق المكتسبات التقنية ، قد تسارع خلال القرنين الفائتين . فقد كان النصف الثاني من القرن الثامن عشر متميزاً في بريطانيا بأول ثورة صناعية على أثر اكتشاف الماكنة البخارية واستخدام الفحم الحجري الخ .. وقياساً على ذلك راح العلماء يتكلمون عن ثورات ، مثل ثورة الكهرباء ، وثورة المحرك الانفجاري ، وثورة الطاقة النووية والالكترونيك . والحقيقة نحن نعيش عصر الاكتشافات وأشكال التقدم التقني المستمر . وإذا كان الاختراع في الماضي نتيجة مصادفة ، فإن اكتشافات اليوم تكون منسقة حتى أنها لتحدث في عدة أقطار راقية في وقت متقارب : فقد أصبح العالم أكثر من أي وقت مضى مرتبطاً بنو البحث التطبيقي .

هذا ولا يكن فصل هذا التقدم التكنولوجي عن التكوين الثقافي وعن الوسائل المالية الخصصة للبحث العلمي ، أو بعبارة أخرى ، ينحصر هذا التقدم بشكل خاص في الأقطار التي تتمتع بصورة مسبقة بوضع اقتصادي متميز ، مما يزيد في استفحال اختلال التوازن بين الأقطار الفقيرة والأقطار الغنية ، أي هناك بلدان تزداد ثراءً كاليابان التي يقل النو السكاني فيها سنوياً عن ١٪ مقابل تنية اقتصادية تزيد عن ٧ ٪ وبلدان يكون النو الاقتصادي فيها معدوماً كالسودان ، أو متقهقراً مثل الصومال مع غو سكاني يزيد عن ٣ ٪ .

ولقياس الثراء الاقتصادي في قطر معين وغنى سكانه، يكن استخدام قرائن لها قية الروائز tests مثل: قرينة المتوفّرات الغذائية وتحسب بالسعرات (حريرات) شكل (٣)، واستهلاك الطاقة، واستهلاك الفولاذ، ولكنها تكون قرائن جزئية. ومنذ أن أصبحت الحسابات القومية تسمح بتقدير مداخيل الدول فقد

أصبح الاعتاد أكثر فأكثر على قرينة إجمالية ، وهي دخل الدولة الموزع على سكانها . وهكذا نجد أن الناتج الخام للفرد يكون في اتحاد الإمارات العربية وهو ٢٠٠٠ دولاراً في عام ١٩٨٠ أكثر ارتفاعاً من مثيله في الحبشة (أيثيوبيا وهو ١٥٠ دولاراً) بقدار ٢٠٠ مرة . ولا يبدو أن التطور يسير في اتجاه توازن قريب منظور ، لأننا كثيراً مانجد أن الأقطار التي يكون النو الديوغرافي فيها وثباباً ، هي التي يكون التقدم الاقتصادي فيها بطيئاً جداً ، باستثناء دول الخليج الصغيرة التي لا تمثل أكثر من رقعة من الخمل البراق ، فوق ثوب من الأسال ، هو رداء الفقر الذي ترتديه معظم الأقطار العربية . وقد أشار إلى ذلك الأستاذ (بيار جورج) ، رئيس المؤتم العالمي للسكان الذي عقد في بخارست عام ١٩٧٤ ، والأستاذ في السوربون ، عندما ذكر في محاضرة له عام ١٩٥٦ : لاتسير الأقطار كا يقول المثل الأوربي : الأغنياء ينتجون المال والفقراء ينتجون الأطفال . وإذا كانت نظرية ماركس عن دكتاتورية الطبقة العاملة لم تتحقق في البلدان كاستي التفيئة ، فإن نظرية مالتوس قد تحققت في الدول المتخلفة . وتكون موازنة نستي التمني اللعيشة :



فالأقطار المتقدمة تتصف بتقدم اقتصادي أعلى من نسق توسعها الديوغرافي ، فهنا تكون السلع الاستهلاكية وفيرة فيها وجيدة التوزع نسبياً ، مما يدفع بعض العلماء إلى القول بأن نبحث عن « نوعية أو كيفية المعيشة » أكثر من البحث عن النو الكبي .

أما الأقطار السائرة في طريق النمو فقد تعرّفت على التقنيّات الحديثة متأخرة ، ولكن وضعها آخذ في التحسن بمجرد أن يكون التقدم الاقتصادي أكثر تسارعاً من النبو الديوغرافي ، وقد حقق كل من اليابان والاتحاد السوڤيتي ، ضمن إطار نظامين اقتصاديين مختلفين ، مثالين ناجحيْن عن عملية « الإقلاع » ولحقت بها كوريا الجنوبية وتايوان وسنغافورة ، وربما تكون تلك هي حالة الأقطار النفطية القليلة السكان مثل ليبيا ودول الخليج العربي .

أما البلدان الناقصة النو أو المتخلفة أو الأمم الكادحة أو أمم الجنوب، فتتميز بحيوية ديوغرافية عدّاءة تتقدم كثيراً على التنية الاقتصادية. وهنا نلاحظ أن الكفاح في سبيل التقدم يكون عسيراً، حتى ولو كانت هناك ثروات قابلة للتصدير، كحال الجزائر التي تنفق نصف قيمة نفطها وغازها على استيراد المواد الغذائية، وحال إيران وفنزويلا والمغرب، وإذا ظلت الأمور على هذا المنوال فيها فإن وضعها سيأخذ في التدهور بسرعة.

وهكذا نجد العالم اليوم في حالة سباق بين خلق الثروات وبين التطور الديوغرافي . ومنذ القرن الثامن عشر كان العلماء يرتعدون فَرَقاً من هذا المصير . وهذا ما دعا مالتوس (١٧٦٦ - ١٨٣٤) البريطاني إلى تخفيض عدد المواليد . وهكذا تكون الجابهة ليست بالجديدة بين « أنصار تكاثر السكان » وبين « المالتوسيين » الذين رجحت كفة آرائهم حتى في أكبر قطر ماركسي ؛ هو الصين الشعبية .

التقدم التقني ومجالات الاستخدام

بعد أن كان الجهد التقني يستهدف في البداية زيادة الإنتاجية ، عن طريق تدخل الآلة ، أصبح يقوم بالتالي على تحسين وسائل العمل : كالعمل المتسلسل ، أو البساط الدائر ، والتايلورية في الولايات المتحدة ، والستاخانوفية في الاتحاد السوڤيتي ، والأتمتة ، والتي كانت تمثل المراحل الكبرى في طريق هذا التطور ، في العمل الصناعي واليدوي . وقد أصبح هذا التحول فيا بعد يدخل حيّز التطبيق في القطاع الثلاثي ، أو قطاع الخدمات ، من خلال الحاسب الألكتروني والحرّك من بُعد télématique .

غيرأن هذه الإنجازات العلمية لا تخلو من محاذير. وبدين للعالم الفرنسي الكبير آلفرد سوڤي بالتمييز بين أشكال التقدم (التقدمي) التي تزيد في المواد المتوفرة أمام الإنسان ، كاستخدام المواد الأولية بصورة اقتصادية أكثر، واستغلال تعديني أكثر نجاحاً، واستصلاح الأراضي البور، والحساية ضد انجراف التربة والملوحة ، وبين أشكال التقدم (التراجعي) كإحلال الآلة مكان الإنسان دون أن توفّر له مجالات على أخرى ، والأثمة ، والتي تقلّص مجالات الاستخدام ، مجيث قد تؤدي لنتائج اجتاعية مأساوية . ومنذ أكثر من قرن أصبحت الزراعة في البلدان المتقدمة تنتج أكثر مع أيد عاملة أقل ، ففي الولايات المتحدة لا تزيد نسبة العاملين في الزراعة عن ٢٪ من الأيدي العاملة . وقد كان هذا قليل الخطورة ما دامت المجرة الريفية تجد في مجالات العمل الحضرية ضمن القطاعين الشانوي والشلافي وظائف عدد جديدة . ولكن هذه الحالة ليست صحيحة تماماً الآن إذا لم يبلغ النو الاقتصادي نسبة مرتفعة . وهكذا مند عام ١٩٧٤ أن هناك أزمة في مجالات العمل ، أو بطالة ، في الأقطار المتقدمة ، إذ ارتفع عدد العاطلين عن العمل في بريطانيا إلى أكثر من مليونين في عام ١٩٨٠ ، لأن النو الاقتصادي يتراوح في الأقطار الصناعية بين ٢ و ٤٪ سنوياً ، ولكنه يصل إلى ٧٪ في اليابان ، في حين يكون دون الصفر كا في الصومال والسودان ونيهال كا سبق ورأينا ولكن البطالة لاتعني في البلاد المتقدمة البؤس المطلق .

تسمية غير دقيقة: الأقطار السائرة في طريق النمو: لقد ظل خبراء الأمم المتحدة يرجحون دوماً في تقاريرهم الكلام عن « الأقطار السائرة في طريق النمو » ، بالمقابلة مع الأقطار المتقدمة أو المتطورة ، عوضاً عن القول : الأقطار الناقصة النمو أو المتخلفة ، ولكن يبدو أنه من التناقض أن نطلق عبارة بلد سائر في طريق النمو ، على قطر تتناقص فيه الموارد ، بالنسبة للواحد من السكان بمدل ٣ أو ٤٪ في كل عام ، مثل بنغلادش وموريتانيا والسودان والحبشة ولا سيا إذا كان هذا الاتجاه مستراً منذ فترة طويلة نوعاً ما .

عن لامبير في « القرن العشرين الثاني » دار نشر كولان ١٩٧٧

اكتظاظ السكان والمالتوسية الجديدة

قبل بضعة أعوام خلت ، كانت الأوضاع العالمية تدفع للاعتقاد بأن سكان العالم يتجهون نحو جموح انتحاري . وراجعت الأمم المتحدة إسقاطاتها السكانية الصاعدة لعام ٢٠٠٠ ، وقدمت رقم ٦٤٩٤ مليون نسمة . وسار على دربهم رجال الفكر والإعلام ، دون تردد ، والـذين دعمتهم الأطروحات الايكولوجية ، ذات الرواج المتصاعد ، حتى ولو كان ذلك على حساب تقريبات خارجية واهية ، فقدموا رقماً يثير الذعر ، وهو ٧ مليارات إنسان في نهاية القرن العشرين ، وعلى أساس تضاعف سكان العالم كل ٣٠ سنة تقريباً ، فإن البشر سيبلغون ١٠٠ مليار نسمة في مطلع القرن الثاني والعشرين ، وستصل الكثافة إلى نسمة واحدة في كل آر من الأرض العائمة (١٠٠ م م) في عام ٢٢٢٥ أو كثافة تصل إلى ١٠٠٠٠ نسمة في الكيلو متر مربع ، أو عشرة أضعاف ما هي عليسه الآن ، في أكثر دول العمالم اندحاماً . و يصل الأمر إلى درجة تقشعر لها الأبدان ، عند تصور عدد من السكان بمثل هذا التكدس ، بحيث لا يمكن لهم العيش إلا في محطات شاقولية . وقد تم تتويج هـذا التيــار بنشر تقرير نــادي رومــا في عام ١٩٧٢ ، والذي يقول أن استنزاف معظم المصادر المعدنية من سطح الأرض سيقع قبل ١٠٠ عام ، ويقترح غواً مقداره صفر على الصعيد الاقتصادي والديوغرافي ، على أساس أنه السبيل الوحيد لإنقاذ المدنيّة الغربية . وعلى أساس هذا الاندفاع فقد كان من المنطقى أن تدعو الأمم المتحدة كل أقطار الأرض للتوقيع سوية على نص تتعهد فيه أكثر الدول تكاثراً بتحديد غوها السكاني . وعلى هذا الأساس ظهرت ورقة العمل ، التي اقترحت في مؤتمر بخارست لعام ١٩٧٤ . غير أن معظم الأمم الفقيرة ثارت على هذه الرؤية المالتوسية : أي أن السيطرة على التوالد لا يجوز أن يكون شرطاً مسبقاً للتنبية ، بل على العكس « فالتنبية الاقتصادية والاجتماعية هي العامل الحاسم في حل المشكلات الديموغرافية » . وهكذا أجابت الأقطار المتخلفة على القومية وعلى الأنانية الاقتصادية بقومية أخرى ، وبترك الحبل على الغارب على الصعيد الديموغرافي ، وهو جواب لا يقل غوضاً عن اقتراح الدول المتقدمة .

ج . فيريير « السياسات السكانية »

14VA P.U.F

العلاقات الاقتصادية الدولية

على نقيض سياسة الحماية الجمركية المتشددة خلال الثلاثينات من هذا القرن ، فإن دول العالم دخلت تدريجياً ، وذلك بعد الحرب العالمية الثانية ، في عصر الانفتاح الاقتصادي وتسارع المبادلات التجارية .

وقد قامت بلدان الاقتصاد الليبرالي بتهيد الطريق . فقد انضب على شكل مجوعات كبرى ، كي تؤلف مناطق التجارة الحرة ، تمنح الدول الأعضاء بعضها بعضاً شروط الأفضلية التجارية على منتجاتها : سواء كان ذلك بين الدول المتقدمة (الرابطة الأوربية للتجارة الحرة التي أنشئت في أعقاب اتفاق استوكهولم في عام ١٩٦٠) أو بين دول العالم الثالث (الرابطة اللاتينية الأمريكية للتجارة الحرة ، التي تأسست في العام ذاته على أساس معاهدة مونتيڤيديو) . واندفع هذا الاتجاه لأبعد من ذلك أحياناً ، لأن صيغة السوق المشتركة ، هي عبارة عن الجاه جمري حقيقي ، مع أهداف اقتصادية منسجمة ، كالسوق المشتركة للسوق الأمريكية الوسطى ، والاتحاد الاقتصادية منسجمة ، كالسوق المشتركة للسوق الأمريكية الوسطى ، والاتحاد الاقتصادية النهائية لمثل هذا التطور .

أما على الصعيد العالمي ، فقد أنجز مؤتمر جنيف لعام ١٩٤٧ ، الذي كان مؤتمراً تحضيرياً لمنظمة التجارة الدولية ، وبمبادرة من منظمة الأمم المتحدة ، أقول أنجز نظاماً دعي « الاتفاق العام على التعرفات والتجارة » .

وتحت كنفه جرت المفاوضات التجارية الكبرى ، مثل اتفاق (كندي) لفترة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٧ ، وإتفاق (طوكيو) ابتداءً من عام ١٩٧٣ .

وبعد أن ظلت الأقطار الاشتراكية مترددة لفترة طويلة ، راحت تنفتح

تدريجياً فيا بينها ، بموجب اتفاقات مثل مجلس العون الاقتصادي المتبادل (كوميكون) ، أو مع دول العالم الثالث ، كاتفاق يوغوسلافيا ومصر والهند في عام ١٩٦٧ ، أو ثنائياً مع العديد من الدول الرأسالية المتقدمة .

وكانت حصيلة مثل هذا التطور ، بلوغ مستوى عالمي في المبادلات لم يسبق له مثيل إطلاقاً: فقد بلغت قية المبادلات العالمية ١٢٩٥ مليار دولار في ١٩٧٨ . ويعود النمو السنوي الـذي بلـغ ١٣٪ ، إلى زيـادة في الحجم بلغت ٤٪ وإلى غلاء أسعار المنتجات بعدل ٩٪ سنوياً ، والتي ازدادت على الخصوص منذ عام ١٩٧٣ . وتكون حصة كل كتلة شديدة التفاوت : فالأقطار المتقدمة ذات الاقتصاد الليبرالي ، تحقق أكثر من ثلثي التجارة العالمية أو ٦٧,٤٪ يعود ٤٢,٣٪ إلى أوروبة الغربية لوحدها . أما الأقطار الاشتراكية فلا تقوم بأكثر من عشر التجارة العالمية أو ٩,٧٪ ، في حين تقوم دول العالم الثالث بأقل من ربع التجارة المذكورة أو ٢٢,٩٪ ، مع أن شعوبها تؤلف ثلاثة أرباع سكان الأرض ، لأن « المتسولين لا يؤلفون سوقاً » كا يقول رجال الاقتصاد . وتندر الجموعات ذات الوضع التجاري المتوازن ، فلأوروبا الغربية معدل تغطية للمستوردات عن طريق الصادرات يبلغ ٩٢,٤٪ ، والولايات المتحدة ٧٦,٧٪ ، والأقطار غير النفطية في العالم الثالث ٨٨٪ ، والبلدان الاشتراكية بنسبة ٩٣,٩٪ ، ولكن اليابان وألمانيا الغربية ولا سيا الأقطار المصدرة للبترول ، والقليلة السكان ، هي التي تكون ذات فائض تجاري كبير . ولاختلالات التوازن هذه صداها على قية النقد ، الذي تتم بواسطته هذه المبادلات.

ويفترض نمو المبادلات التجارية وجود تنظيم للتسديدات الدولية ، يعمل ضمن إطار منظمة نقدية ، وقد ظلت هذه المنظومة المتفق عليها في (بريتو نوودس) في عام ١٩٤٤ معمولاً بها ، وظلت هي السائدة خلال ٣٠ سنة من قبل ٥٥ دولة ، لأن الاتحاد السوڤيتي لم يكن فيها أكثر من مراقب . وكانت هذه

المنظومة استراراً لمنظومة السعر الثابت للصرف الذهبي ، التي أنشئت في عام ١٩٢٢ والذي كان ينص على وجوب تسديد فائض وعجز ميزان المدفوعات بالذهب أو بعملة قابلة للتحويل إلى ذهب . وقد كانت كل العملات مرتبطة بتعادلات ثابتة ، وكان الدولار يلعب دور العملة « المرجع » على أساس أن الأونصة من الذهب تعادل ٥٥ دولاراً . ومن ثم أنشئ صندوق النقد الدولي ، الذي تغذيه مساهات الدول الأعضاء ، ومهمته التحكيم ومنح حقوق السحب .

ولما أصبح الدولار بدءاً من نهاية الستينات يفقد استقراره بسبب العجز المستمر في ميزان المدفوعات الأمريكي ، فإن هذه المنظومة لم تعد قادرة على الاستمرار . وقد زاد التضخم العالمي الناتج ، بعد عام ١٩٧٣ ، عن ارتفاع أسعار النفط ، وأدى ذلك إلى تعميق الهوّة بين العملات النادرة القوية ، كالفرنك السويسري والمارك الألماني والين الياباني وبين العملات الأخرى ، وهكذا جاءت اتفاقيات جامايكا في سنة ١٩٧٦ كي توجد منظومة جديدة تقتضي بأن :

- العملات لم تعد مرتبطة بالذهب وعلى صندوق النقد الدولي أن يتخلّص من مخزونه من هذه المادة .

- تصبح القاعدة « المرجع » هي حقوق السحب الخاصة ، وهي عملة حسابية تعهد لعام ١٩٦٩ ، ومحددة بالنسبة إلى « سلّة » من العملات لايشكل الدولار فيها أكثر من الثلث ، والتي تلعب دوراً مزدوجاً ، أي دور وحدة قيمة قياسية وأداة ادّخار .

تحل أسعار العملات القائمة مكان التعادلات الثابتة . إذن تتغير أسعار العملات من يوم لآخر . وقد سمح لبعض الدول بأن تقيم بين عملاتها تعادلات مستقرة وقابلة للتسوية . وذاك هو مبدأ المنظومة النقدية الأوربية .

وعلى كل حال فإن دور الذهب لازال هاماً ، والاعتادات بالدولار التي

يحتفظ بها الأوربيون الغربيون (أورو دولار) ، ولدى الدول المصدرة للنفط (بترو دولار) ، لا تزال عملياً بمعزل عن أي إشراف أو رقابة .

4 4 4

التجارة العالمية لعام ١٩٧٧ مليارات الدولارات الأمريكية

الواردات	الصادرات	
٧١٠	777	١ ـ المناطق المتقدمة
		يخص منها أوروبا الغربية :
787	440,4	الجماعة الاقتصادية الأوروبية
114,4	<i>4,</i> 7,	الأقطار الأخرى
٥٠٠,٨	٤٦٢,٦	المجموع
107,7	14.,4	الولايات المتحدة
٤٢	٤٣,٢	كندا
٧٠,٧	۸۰,۵	اليابان
Y.A	Y4,0	الأقطار الأخرى
72.	YAY	٢ ــ الأقطار السائرة في طريق النهو :
۸۹	١٤٨	يخص الأقطار الصدرة للنفط
١٥١	١٣٣	الأقطار الأخرى
311	1.4	٢ _ الدول الاشتراكية
1107	1178	المجبوع العام

التيارات الكبرى للبادلات التجارية الدولية

بلغت قية التجارة ١١٢٢ مليار دولار في ١٩٧٧ ، مقابل ١٢٩٥ مليار دولار في ١٩٧٨ ، وكانت المنتجات الأساسية تؤلف ٣٦٪ منها ، منها منتجات زراعية ١٧٪ ، ومنتجات معدنية ٢٢٪ ، وجموعها ٢٧٤ مليار دولار ، والمنتجات المصنوعة ٢١٪ أو ٢٧٦ مليار دولار .

الذهب

هناك ٢٤٩٠٠ طن من الذهب مملوكة بصورة خاصة شخصية . ويملك الفرنسيون ١٨٪ أو ٢٦٠٠ طن ، أي أكثر من كل الأوروبيين الآخرين ، الذين يتصرفون بقدار ٤٤٠٠ طن ، أو ما يعادل تقريباً كل ما يملكه سكان القارة الآسيوية ، الذين يختزنون مقدار ٥٣٠٠ طن ، ويكتنز الأفارقة ٣٢٠٠ طن ، والأمريكيون ٤٩٠٠ طن .

وتبلغ الاحتياطات العامة مقدار ٢١٩٠٠ طن في الأقطار غير الاشتراكية ، مودعة في خزائن الدول والبنوك المركزية وفي صندوق النقد الدولي . ويعتقد بأن وزارة الإشراف tutelle في الاتحاد السوڤيتي تشرف على إنتاج سنوي يقارب ٤٤٠ طن ، وتستهلك الصناعة من الكترونية وفضائية مقدار ٢٠ إلى ٥٠ طن ، ويباع في سوق لندن مقدار ٣٤٠ ، ويذهب مقدار ٢٠ طن لخزائن الدول لدعم نقدها ، وقد تبلغ هذه المدخرات مقدار ١٠٠٠ طن ، أي تعادل ما لدى الولايات المتحدة.

وإذا جمعنا الاحتياطات العامة وهي ٢١٩٠٠ طن ، والخاصة هي ٢٤٩٠٠ طن لدى البلاد الغربية ، والاحتياطات الحتملة لدى الاتحاد السوقيتي وهي ١٠٠٠٠ طن ، ولدى بعض دول شرق أوروبا فإننا نصل إلى مقدار إجمالي من الذهب يزن ٢٠٠٠٠ طن من أصل ١١٠٠٠٠ طن ، استخرجت من أحشاء الأرض منذ فجر الأزمنة التاريخية .

أما الباقي وهو ٤٠٠٠٠ طن فقد تحول لأغراض صناعية ، وفنية ، وطبية ، وأسنان واختفى الباقي في المدافن أو في قيعان الحيطات مع السفن التي كانت تحمله .

وعلى كل يظل ثلثًا الذهب محفوظاً وعتباً .

عن ر . سیدیو . بریس . ۱۹۷۸



عالم متعطش للطاقة

لقد ظلت الحياة الاقتصادية العالمية ، خلال آلاف السنين ، تجري حسب نسق بطيء ، بقدر ما كانت تسمح به مصادر الطاقة الضئيلة المتوفرة . فاستخدام الفحم الحجري الذي عرفته أوروبا ، والصين منذ العصر الوسيط ، لم يأخذ مكانته الحقيقية إلا بعد ظهور الآلة البخارية . وعندئذ بدأ عصر الطاقة الذي شهد عدة مراحل فيا بعد على أثر اكتشاف واستغلال النفط ، ثم إنتاج وازدهار الكهرباء ، ثم الهينة على الطاقة النووية الانشطارية ، وأخيراً بدء الخطوات الأولى نحو استغلال الطاقة الشمسية والحرارية الأرضية والريحية الخ . . .

وإلى جانب موارد الطاقة الضعيفة المردود كالخشب، وروث الحيوانات، والنباتات، التي تبدو مساهمتها ضئيلة، فقد أصبح الاعتاد من الآن فصاعداً، على ثلاثة مصادر حرارية هي: الفحم الحجري، والوقود السائل، والكهرباء الأولية، من كهرمائية ونووية. وقد كان التقدم في هذا الجال مدهشاً: ففي عام ١٩٠٠ كان الإنتاج يعادل ٢٦٠ مليون طن من معادل الفحم (ط.م.ف)، وفي عام ١٩٠٠ بلغ ١٩٥٠، وفي ١٩٥٠ بلغ ١٩٥٠ وتضاعف الإنتاج في خلال ١٥ سنة، فبلغ ٨,٥ مليار عام ١٩٦٥، ويقارب الإنتاج مقدار ٢,٢ مليار في ١٩٨٠. بيد أن إنتاج هذه المصادر الثلاثة لم يتطور بصورة متوازية: فبين ١٩٠٠ و ١٩٦٠ تضاعف مقدار إنتاج الفحم، ولكن تزايد إنتاجه يبدو الآن ضعيفاً نسبياً، هذا مثلما تباطأ أيضاً إنتاج الفحم الأبيض في حين إنتاج الكهرباء النووية بشكل مثير مثلما تباطأ أيضاً إنتاج النفط فقد تعرّف على اندفاع كالسهم. فبعد انتظار بلغ القرن وصل الإنتاج إلى ملياري طن سنوياً في عام ١٩٦٠، ولكن منذ ١٩٦٩ الغاز الطبيعي.

ويعتبر استهلاك الطاقة كعيار لدرجة التنية والرقي . وتكون الفروق في هذا الجال مدهشة ومنها ، إذ تتراوح بين ١ و ١٠٠ . فالأقطار الفقيرة لا تستهلك من الطاقة أكثر بما يستهلكه الفرنسي في أواسط القرن الماضي ، أو ما يعادل ١٥٠ كغم من (طم ف) ، في حين يستهلك الفرد الأمريكي قرابة ١٢ طن . وهكذا تستهلك الولايات المتحدة ٣٠٪ من الطاقة العالمية المستهلكة سنوياً ، مع أن سكان الولايات المتحدة لا يؤلفون سوى ٦٪ من سكان الأرض . وهكذا غيز ثلاث فئات من الأقطار في العالم من هذه الزاوية :

- الأقطار المفترسة للطاقة : وهي أمريكا الشالية وأوروبا الشالية الغربية ، والتي تستهلك ٥٠,٥٪ من الإنتاج العالمي ، مع أن عدد سكانها لا يزيد عن ١٢٪ من سكان العالم أي نسبة ٤ إلى ١ .

- الأقطار المتوسطة الاستهلاك : وتمثلها بقية دول أوروبا والاتحاد السوڤيتي واليابان وأوستراليا ونيوزيلندة وتستهلك ٣٤٪ من الطاقة ، مقابل ١٧٪ من سكان العالم أي نسبة ٢ إلى ١ .

- الأقطار الضعيفة الاستهلاك: التي تنال ١٥,٥٪ من الطاقمة مع أن سكانها يعادلون ٢٠,٥٪ من سكان العالم، أي نسبة ٢٢,٠ إلى ١ وتظل متأخرة جداً في هذا الجال.

هذا وتختلف نسبة أنواع الطاقة المستهلكة من قطر لآخر بدرجة عظيمة . فكل دولة تمنح أنواع القدرة الأربعة الأساسية درجة مختلفة جداً ، حسب ثرواتها الخاصة أو حسب شروط تموينها . وهذا هو أحد مظاهر الحصيلة الطاقية وتمنح الحصيلة العالمية حالياً مقدار ٣٣٪ للفحم ، و ٤٤،٥٪ للنفط ، و ٥،٥٪ للغاز الطبيعي و ٧٪ للكهرباء الأولية .

هذا وعلى الرغم من وجود أنواع فحم جديثة كفحم الليغنيت الثلاثي ،

وفحم الطورب (الخث) الرباعي فإن أهم المكامن الفحمية هي العائدة للعصر الفحمي (الكاربونيفير) ، أي في عصر الالتواءات الهرسينية .

ولهذا السبب نجدها موزعة في الكتل الجبلية العائدة للحقب الأول في نصف الكرة الشالي ، أي أمريكا الشالية ، وعلى الأخص ، في الولايات المتحدة ، وفي أوروبا الشالية الغربية ، وأوروبا الوسطى ، والاتحاد السوڤيتي والصين وتقدم جميعاً ٩٠٪ من الإنتاج العالمي .

هذا وهناك ٣٠ سنة من التأخر بين نهضة إنتاج النفط ، وبين تقدم إنتاج الغاز الطبيعي . فبعد أن كان إنتاج النفط محدوداً ، في مطلع القرن الحالي ، بدولتي الولايات المتحدة وروسيا ، أصبح إنتاج النفط عالمياً غداة الحرب العالمية الأولى . وهكذا أضافت الأقطار الجديدة في منطقة البحر الكاريبي والشرق الأوسط أساءها إلى لائحة منتجي النفط التي أصبحت طويلة جداً في الوقت الحاضر ، في حين أصبح التكرير والاستهلاك شاملين في الأقطار المحرومة من مصادر نفط وطنية . وهكذا أصبحت جغرافية النفط عالمية بعد أن استفادت من سهولة النقل البري بواسطة الأنابيب أو البحري بواسطة الناقلات العملاقة التي بلغت حولة البعض منها نصف مليون طن .

وعلى خلاف ذلك فقد ظل إنتاج الغاز الطبيعي حتى عام ١٩٤٠ إنتاجاً أمريكياً بحتاً ، حيث كان إنتاجها يعادل ٩٦٪ من الإنتاج العالمي . أما في المناطق الأخرى فكان يتم إحراق الغاز في مشاعل جهنية أو يعاد حقنه للحفاظ على ضغط النفط في المكامن الختلطة . أما الآن فقد انضت أوروبا الغربية والاتحاد السوڤيتي وكندا والجزائر وليبيا ودول الخليج إلى قائمة منتجي الغاز ، وبعد أن كانت تجارته محدودة جداً خلال فترة طويلة ضمن مسافات محدودة ، فقد أصبحت الآن ممكنة بفضل تمديد أنابيب هائلة feeders بعيدة المدى ، مثل الأنبوب الذي يمتد من الاتحاد السوڤيتي حتى فرنسا مروراً بدول أوروبا الشرقية

والخط الذي يمتد من إيران إلى الاتحاد السوڤيتي ، وأخيراً بفضل تمييع الغاز ونقله بالسفن الناقلة للغاز أو méthaniers .

وبينا لا تكون الكهرباء الحرارية أكثر من تحويل طاقة استخرجت من مكان آخر كالفحم أو المازوت (سولار. فويل) والغاز المحروق في مراكن حرارية ، فإن الكهرباء الكهرمائية والدرية (النووية) أصبحت تضيف مساهمتها إلى الحصيلة الطاقية العالمية . وعلى كل فإن الدول الصناعية تحتل هنا مكاناً مهيناً في كلتا الحالتين ، نظراً لضخامة الاستثارات ومتطلبات التكنولوجيا ، لأنها تملك شبكات نقل بعيدة المدى ومترابطة .

الفحم في العالم: الاحتياط العالمي ١٠٧٥٤ مليار (بليون طن)

	الإنتاج في ١٩٨٠	70%	الاحتياط: الاتحاد السوڤيتي
<i>λ, ΓΥ</i> '	الولايات التحدة	ZYY	الولايات المتحدة
XYE,4	الصين الصين	Z٩	الصين
XYY,1	الصين الاتحاد السوڤيتي	%0,0	أوروبا
XY•.Y	الاحاد السوديي أوروبا الفربية	۵,۲٪	بقية المالم

ملامح تطور مزدوج في الأحواض الفحمية

من ناحية ، هناك المناجم الفحمية « المريضة » في أوربا الغربية ، وهي مناجم مستغلة منذ فترة طويلة وذات بنية غير ملائمة ، واستغلت على عمق كبير ، وتسير هذه الأحواض نحو الانحطاط ، ولا يتجاوز مردود العمل اليومي ، وهو المساعات ، مقدار ٤ طونات إلا فيا ندر ، وغالباً ما يكون المردود نصف هذا الرقم . ورغم جهود التحديث المبذولة ، وإعادة تنظيها ، فإن الفحم الناتج غير أهل للمنافسة في السوق العالمية .

- ومن ناحية أخرى ، هناك مناجم فعم « في صحة طيبة » كا في الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة والصين ، والتي تعتد على ذخر ضغم يكون أحياناً في بداية استغلاله . وهنا لايجري سوى استغلال المكامن القليلة العمق ، وأحياناً على المكشوف بواسطة جرافات جبارة . وهكذا يبلغ مردود العامل في اليوم ١٤٠١ طن في المناجم الباطنية و٢٥ طن في المناجم المكشوفة ، أما في الاتحاد السوفيتي ، حيث يكثر الفحم الفرط ، فإن اقتلاع الفحم يتم بواسطة دفقات المياه المضغوطة .

الذهب الأسود يفرض قانونه

تغطّي كل دولة حاجاتها من الطاقة ، بصورة شديدة التفاوت ، وذلك حسب نوعية وطبيعة مواردها الخاصة ، وتؤلف النسبة التي يجب طلبها من الخارج درجة التبعية الطاقية . فقد تكون هذه التبعية كلية ، كحال الداغارك أو الملكة الأردنية ، أو معدومة مثل الكويت ، كا يكن أن تختلف كثيراً في الزمان ، كالولايات المتحدة التي كانت من مصدّري الطاقة في الماضي ، والتي أصبحت اليوم أكبر مستورد للبترول .

وقد أدّى الانفتاح المتزايد ، الذي شهدته التجارة الدولية ، إلى توسيع أبعاد المبادلات الطاقيّة . فالدول التي تصدر الفحم لاتستطيع تصدير سوى النوعيات الجيدة ، وبسعر مرتفع ، مما يسمح بتغطية نفقات النقل . ولا زالت هذه التجارة على مستوى عام ١٩١٣ ، إذ لا يدخل تيار التجارة العالمية سوى ١٠٪ من الإنتاج العالمي ، أو ٢٠٠ مليون طن ، تقدم ثلثها الولايات المتحدة باتجاه أوروبا واليابان ، ويتألف الباقي من مبادلات قصيرة المدى أو متوسطة ، صادرة من بولونيا ومن الاتحاد السوڤياتي وأستراليا وأفريقيا الجنوبية .

أما الغاز الطبيعي والنفط: فيم نقلها لمسافات بعيدة بالأنابيب فوق مسارات قارية ، وبواسطة الناقلات على الطرق البحرية ، ولكن نظراً لشدة الخفاض كلفة نقل النفط ، مع تعادل المردود الطاقي ، ونظراً إلى أن السيطرة على التقنيّات التي استدعاها الغاز لم تكتمل إلا في وقت متأخر ، لأن أول عملية نقل للغاز المميّع بواسطة ناقلات الغاز لم تتم إلا في عام ١٩٥٧ بين الولايات المتحدة وبريطانيا ، فإن التجارة العالمية للنفط ، تظل ، ولمدى بعيد ، هي الأكثر غوا بالموازنة مع المادتين المذكورتين أي الفحم والغاز ، وتشمل ٥٥٪ من الإنتاج العالمي للنفط .

وقد ظل النفط حتى مطلع السبعينات يباع بأسعار بخسة جداً . وبذلك استطاع استبعاد كل مصادر الطاقة السابقة ؛ التي يمكنها أن تحل مكانه ، ولاسيا الفحم . هذا كا سد اندفاع النقل بالسيارات والاعتاد عليها ، وازدهار صناعة البتروكيياء ، على نجاح النفط في المنافسة على نطاق واسع . وهذا ما برر نشوء أسطول نفطي قفزت حمولته من ٣٠ مليون طن في عام ١٩٥٧ إلى ٢٨٢ مليون طن . كا ساعد تزايد حجم السفن الناقلة الذي أعقب أول إغلاق لقناة السويس في عام ١٩٥٦ ، بعد العدوان الثلاثي ، على هبوط سعر نقل الطن الواحد . وهكذا أصبح عدد متزايد من الأقطار في حالة تبعية تجاه مصدري النفط .

ولقد ظل السوق العالمي للنفط ، ولمدة طويلة ، تحت هينة كارتل دولي مؤلف من الشركات الخاصة الكبرى ، مؤلف من شركات تجارية أمريكية : ثلاث من مجموعة ستاندارد أويل هي : نيوجرسي ، وكاليفورنيا وموبل ، وتكساس أويل غولف ، ومن شركتين : إنكليزية هولندية هما : رويال دوتش شل ، وبريتيش بتروليوم . ولكن في الوقت الذي كانت هينــة كبريــات الكارتل تتعرض في الولايات المتحدة ذاتها للنهش من قبل شركات أخرى ، هي الشركات المستقلة ، وفي الأقطار الأوربية من جانب شركات حكومية ، مثـل شركتي : شركة البترول الفرنسية ، والف ايراب ، وشركة ينّى الإيطالية ، كانت الأقطار السائرة في طريق النمو والغنية بالنفط تحاول استلام أمور استغلال مواردها الخاصة ، إلى أن استطاعت في عام ١٩٦٠ أن تؤلف كارتبل جديد مُدوَّلن étatique ، هو منظمة الأقطار المصدرة للنفط (الأويك) . وفي نهاية عام ١٩٧٣ وبداية ١٩٧٤ ، قررت هذه المنظمة فجأة مضاعفة سعر بترولها الخام أربع مرات ، مما أدّى إلى زعزعة الاقتصاد العالمي ، ولاسيا بالنسبة للدول الفقيرة المستوردة للنفط كالهند ، حتى أن بعض دول إفريقيـا السوداء عجـزت عن شراء البنزين اللازم لسيارات الإسعاف . وفضلاً عن ذلك لجأت الدول العربية المصدرة للنفط (أوپيپ) ودعماً لحرب رمضان (تشرين ١٩٧٣) ، إلى فرض حظر كلي

أوجزئي على تصدير نفطها ، أو حدّت من مجال الامتيازات النفطية المنوحة للشركات الأجنبية من أمريكية وإنكليزية وفرنسية ، أو أمّمتها ، وهكذا أصبح النفط سلاحاً اقتصادياً أكثر من أي وقت مض .

وقد كان لهذه القرارات نتائج عظيمة ، لأنها قذفت العالم قاطبة ، بما في ذلك الأقطار الاشتراكية ، في أزمة التضخم ، وعزلت الأقطار المتخلفة نهائياً ، وزادت من ضعف أقطار العالم الرابع ، في حين وفّرت لأعضاء منظمة البلدان المصدّرة للنفط ، الوسائل المادية اللازمة للإقلاع ، ولكن كان لذلك مخاطر اقتصادية وسياسية ، بسبب فجائية العملية وتكدس البترو دولار لدى البعض ، دون أي استعداد مسبق لتوظيف هذه الأموال الهائلة ، حتى لقد بلغت ودائع الأقطار العربية في بنوك أمريكا وأوربا الغربية أكثر من ٢٠٠ مليار دولار في ١٩٨٠ . أو أدّى ذلك إلى زعزعة كيان بعضها ، مثل إيران التي لجأت إلى « عصرنة » مفرطة في تسارعها ، أو إلى تبذير سفيه ، وهدر ، واهتزاز في القيم الأخلاقية نتيجة الثراء الفجائى . وفي عام ١٩٧٤ كانت كل الظروف مواتية لرفع الأسعار بزيادة ، وبما أن الدولار هو العملة التي يتم بها شراء النفط ، فإن أي انخفاض في سعر هذه العملة الأمريكية يؤدي فوراً إلى « تعويض » ذلك بارتفاع سعر النفط ، وبالتالي إلى ارتفاع أسعار المواد المصنوعة المستوردة من الدول المتقدمة ، وراحت الدول المنتجة تزيد من إنتاجها أحياناً لتمويل مشاريعها ، مثل إيران والملكة العربية السعودية في حين لجأ البعض لتخفيضه ، حفاظاً على هذه الثروة الحدودة والسريعة النفاد . وأخيراً أتخمت الأسواق العالمية بعد أن أخذت الدول المتقدمة تجند قواها العلمية والتكنولوجية لتخفيض استهلاكها وترشيده، واللجوء لمسادر طاقة أقل كلفة، إلى أن اتفقت دول الأويك أخيراً على تخفيض أسعارها في خريف ١٩٨١ ، وتوحيد سعر البرميل وجعله ٣٤ دولاراً . كا راحت تحاول تثبيت إنتاجها عند مستوى معيّن، أو تخفيضه تدريجياً، حفاظاً

على احتياطيها لأطول مدة ممكنة ، لأن معظم الدول المصدّرة للنفط ستتعرض لنضوب مخزونها في نهاية القرن العشرين ، إذا استر الإنتاج على هذا المنوال ، باستثناء الملكة العربية السعودية التي تملك ٤٧,٥٪ من الذخر النفطي العربي ، والتي سيستر إنتاجها ، حسب المستوى الحالي ، حتى منتصف القرن القادم ، وجاءت الحرب العراقية الإيرانية لتعمل على تخفيض إنتاج الدولتين بنسبة ٧٠٪ عا كانت عليه سابقاً .

هذا وقد ارتفعت أسعار كل مصادر الطاقة الأخرى ، دون أن يكون ذلك موازياً للنفط . وهكذا طويت صفحة جوهرية في التطور الاقتصادي ، فبعد حقبة من غو سريع قائم على طاقة رخيصة ، جاءت حقبة الطاقة الغالية ، التي تحث على الاقتصاد حتى أقصى حد ممكن في الاستهلاك والتنية ، مما لا يسمح بأكثر من تنية بطيئة وحذرة .

استهلاك النفط وإنتاجه في ١٩٧٩ علايين الأطنان

الإنتاج	الاستهلاك		الإنتاج	الاستهلاك	المنطقة أو الدولة
144	14-	آسيا الجنوبية الشرقية	300	147	أمريكا الشالية
7£	10	أوروبا الشرقية	72.	118	أمريكا اللاتينية
٥٧٢	٤٢٠	الاتحاد السوڤيتي	٨٢	YIY	أوروبا الغرىية
1.0	٨٠	الصين	777	7.4	إفريقيا السوداء
١	• 57	اليابان	15.1	٦.	الشرق الأوسط

الأقطار المنتجة للبترول في ١٩٧٩ ملايين الأطنان

الولايات المتحدة	£Ao	ليبيا	10	الاتحاد السوڤيتي	۲۷٥
كندا	71	مص	71	الصين	1.0
المكسيك	75	الملكة العربية السعودية	٤١٠	أندونيسيا	AY
فنزويلا	١٠٨	العراق	110	أستراليا	۲.

	٨	سورية	11.	الكويت	77	الأرجنتين
١٠٠)	٥٤	الملكة التحدة	177	الإمارات العربية	٥٧	الجزائر
(114	في ۲					
	١٨	النروج	700	إيران	10	نيجيريا
	10	رومانيا				

١٩٦٠ ـ ١٩٧٠ بروز منظمة الأويك

لقد تمخضت فكرة تنظيم مشترك للأقطار المصدرة للنفط عن أول مؤتمر عربي للبترول ، انعقد في القاهرة في شهر نيسان (إبريل) من عام ١٩٥٩ مع وجود مراقبين غير عرب ، ولا سيا من إيران وفنزويلا . وجاء حدث آخر كي يؤدي إلى تسارع ردود أفعال الدول المنتجة ، ففي عام ١٩٦٠ قررت الشركات الدولية تخفيض أسعار النفط للعلنة ، بسبب هبوط أسعار السوق ، والناتجة عن المنافسة الحادة التي كانت تقوم بها الشركات المستقلة الأمريكية ، تجاه شركات البترول العملاقة الأمريكية ، وتجاه الشركات الحكومية الأوربية . ففي خلال الستينات كان العرض من النفط أكثر من الطلب ، وكانت أسعار النفط لا تكف عن التدنيق .

وعندما وصل العقيد معمر القذافي إلى الحكم في الفاتح من أيلول ١٩٦٩ ، بدأ عصر جديد في العلاقات البترولية . فقد طالب النظام الجديد شركات البترول برفع الأسعار المعلنة بصورة محسوسة ... كا كانت قناة السويس مغلقة منذ حرب ١٩٦٧ بين العرب واليهود ، كا توقفت شركة التابلاين ، التي تفرغ شطراً من البترول الخام السعودي حتى سواحل البحر الأبيض المتوسط ، عن الضخ . وقد حصلت ليبيا على مطالبها . وعلى كل يمكن القول أن « الانتصار » الليبي على الشركات المستغلّة يؤلف توقيتاً نار يخناً .

عن ميخائيلو ڤيتش وبلوشار كتاب : الطاقة العالمية ، الاستراتيجيات الجديدة دار نشر آرمان كولان ١٩٧٨

المستقبل الطاقي

إذا كان ينظر إلى الخشب وماء السدود الكهرمائية على أنها من مصادر الطاقة القابلة للتجدد ، فإن الغالبية العظمى من أنواع الوقود الطاقي ، تنتسب إلى الطاقات المستحاثة (الاحفورية) وغير المتجددة . هذا وبينا تكون بعض الصناعات ، كالتعدين ، أو العدانة ، قادرة على استرداد جزء من المواد الأولية بعد الاستعال ، كالخردة ، فإن هذه الحالة لا تنطبق على فرع الطاقة . وهكذا تطرح مشكلة الاحتياطيات ، أو الذخر ، إذن ، على مستوى مزدوج : قومي وعالمي .

ولا يكن توضيح هذا المفهوم المعقد إذا لم يكن مصحوباً بنعت . فالذخر أو الاحتياطيات الجيولوجية تتعلق بدرجة معرفة فنون التنقيب : فنقول هناك احتياطات مؤكدة بالنسبة لما هو معروف ، ومحملة بالنسبة لما ينتظر العثور عليه ، والمكنة بالنسبة للتقريب الخارجي extrapolation ، ولكن لكي يكن أن يكون أحد مصادر الطاقة قابلاً للاستغلال ، فلا يكفي أن يكون موجوداً ، بل يجب أن يكون مربحاً ، وذلك حسب السعر المتوسط للطاقة الذي يكن أن يتبدل بسرعة كبيرة جداً . وهكذا يكن تعريف الاحتياطيات يكن أن يتبدل بسرعة كبيرة جداً . وهكذا يكن تعريف الاحتياطيات

ومن وجهة النظر هذه ، فإن للزيادة الكبيرة في سعر الطاقة نتائج إيجابية . فهي تسبح بتغطية نفقة تنقيبات وأبحاث باهظة التكاليف عن مصادرها ، فضلاً عن أنها تزيد حجم المدّخرات الاقتصادية ، مثلما تجعل مصادر الطاقة الجديدة ذات عائدية اقتصادية ، والتي كان لها دور ضئيل في التنية والتطوير بسبب كلفتها المرتفعة .

كيف يمكن أن يحصل التواؤم مع المرحلة الطاقية الجديدة:

- أولاً بكبح جماح الاستهلاك ، أو ترشيده ، أو إنقاصه . وإذا كان من العسير مواجهة نقص في الفعالية الاقتصادية إرادياً ، فإن من المؤكد أن إبطاء النو الاقتصادي يرتبط بغلاء الطاقة . فاتباع سياسة « الاقتصاد في الطاقة » هي سياسة بنّاءة أكثر من سواها ، رغم أنها لا تجلب أي نفع في البداية بسبب تكاليف العزلة ، والنفقات التكنولوجية .

- ومن ثم بتحسين استغلال مصادر الطاقة التقليدية : فكثيراً ما يجري استغلال ٣٠٪ فقط من ذخر مكامن البترول . ومن المأمول التوصل إلى نسبة تبلغ ٣٠٪ وسيصبح من الممكن قريباً تجنب خسارة مقادير هائلة من الغاز الحروق في مشاعل الغاز الهائلة عند تجهيز المكامن الختلطة . كا سيكون من الممكن استغلال مناجم الفحم العسيرة ، عن طريق السيطرة على إحراق الفحم تحت الأرض وتحويل الطاقة الناتجة إلى غاز .

- وعن طريق توسيع مجالات التنقيب والاستغلال: فبالنسبة للفحم فهناك أقطار كالولايات المتحدة والاتحاد السوڤيتي، لا تستغل مكامن الجبال الصخرية، أو مكامن سيبريا الوسطى التي تعتبر مع ذلك أغنى بكثير من المناجم المستثرة في جبال الأپالاش، أو في أوكرانيا. أما بالنسبة للوقود السائل، فإن استغلال العتبات القارية، الذي ابتدأ في خليج المكسيك وفي ڤنزويلا، وفي بحر الشمال، وفي بحر قروين، وفي أندونيسيا، يمكن أن يبلغ ٣٠٪ من إنتاج العالم من حقول النفط المستغلة في العالم، كا أن استغلالها حالياً يقدم خمس إنتاج العالم من النفط.

- وباستغلال الثروات المعروفة والتي ما زالت مهملة حتى الآن : إذ تستطيع الصخور البيتومية والزفتية في الولايات المتحدة أن تقدم ما يعادل ١٢٥ مليار (بليون) طن من النفط ، أو ٣٠ مرة احتياط هذا القطر من النفط أو

ثلاثة أمثال الاحتياط العالمي من البترول ، وإذا أضفنا إلى ذلك الموارد الماثلة التي تم اكتشافها في كندا وفي البرازيل ، وفي فنزويلا وفي السويد وفي سيبريا ومنشوريا ، فإن من المتوقع حدوث ثورة ثانية في ميدان أنواع الوقود السائل .

- كا حظيت الطاقة النووية باندفاعة عظية نتيجة غلاء الطاقة: فإلى جانب استعالاتها الثانوية، في مفاعلات السفن، إنتاج البخار، فإنها برزت في ميدان الإنتاج الكهربائي. وعلى الرغ من طابعها الحديث فإنها اجتازت عدة مراحل تقنية. ويستخدم اليورانيوم الطبيعي في عملية الانشطار كوقود، والذي لا يفتقر العالم لفلزّاته لوفرتها ولرخص سعرها على المستوى العالمي، أو يستخدم الپلوتونيوم المشتق منه، غير أن تشغيل المراكز الحرارية يطرح مشاكل بالنسبة للبيئة، وخاصة مشكلة التخلص من الفضلات المشعّة. أما تقنيّة الصهر، التي ستؤدي لتجنب هذه المحاذير فلم تزل عاجزة عن السيطرة على درجات الحرارة العالمية. وعلى كل فإن الطاقة النووية توفر الآن أكثر من ٢ بالمئة من الطاقة العالمية، كا أن البرامج الجارية، أو المتوقعة، سترفع هذه النسبة إلى ١٥٪ في عام العالمية، كا أن البرامج الجارية، أو المتوقعة، سترفع هذه النسبة إلى ١٥٪ في عام

- وهناك أيضاً الطاقات « الكامنة » : من العسير القول بأن الطاقة الريحية أو طاقة المد والجزر ، التي كانت الطواحين الريحية أو المائية تستغلها منذ قرون عديدة ، هي مصادر طاقة جديدة ، أو طاقات جديدة . ففي هذه المجالات لا تزال النتائج المكتسبة مخيّبة للآمال . هذا كا أن الطاقة الحرارية الأرضية لا تقدم أكثر من موارد محدودة جداً مكانياً كا في إيطاليا . غير أن الطاقة الشمسية لوحدها ، نظراً لاحتياطاتها المذهلة ولشموليتها على سطح الأرض ، تستطيع أن تؤلف قاعدة لثورة في الطاقة ، ولكن لا تزال مشكلة عائديتها اقتصادياً تنتظر الحال .

ولا يبدوأن مستقبل الطاقة يشتمل على خطر الشبح الكمّي على المدى

المتوسط وعلى مستوى الكرة الأرضية . غير أن ضان سلامة توفيرها لكل الناس ؛ فهو أمر أقل توكيداً بكثير . غير أنه يبدو من الواضح أن كل مصادر الطاقة الحالية تكلف غالياً : نعم لقد مضى وانقضى عصر الطاقة الرخيصة .

* * *

هل هناك ندرة في الطاقة: لقد كان نادي روما ، هو أول من كشف للعيان المشكلات والخاطر الطاقية التي لا بد أن يقود إليها النمو الاقتصادي الجوح . ولكن ظهر فيا بعد أن دراسات نادي روما قد ساهمت كثيراً في دعم الأقطار المنتجة للبترول في رغبتها بتخفيض إنتاجها ، للاحتفاظ باحتياطيها لأطول مدة ممكنة ، ولكي تستفيد مالياً من ثروتها أكثر بكثير بما استفادت فيا سبق .

وطبعاً لن تكون ندرة النفط ، التي يخشاها الناس على المدى البعيد،اصطناعية ، لأن مدخرات النفط تقدّر بجوالي ٣٠٠ مليار طن ، منها ١٣٥ تحت سطح البحار ، مقابل استهلاك سنوي يبلغ ٢ مليارات طن ، والذي قد يبلغ ٤ مليارات طن في نهاية القرن الحالي . إذن سيظل هناك نفط يغطي الحاجات خلال بضع عشرات من السنين ، ولكن كلما اقتصد الناس في استهلاكه ، كلما أمكن الاحتفاظ به لاستمالات ذات أرجحية فيا بعد كالنقل والپتروكيياء .

وإذا كان من الصحيح القول بأن البحث عن مصادر طاقة بديلة يجب أن يبدأ من التو ، فليس من الضروري ترويع الناس ، فهناك الكثيرون الذين عرفوا الكتّاب المتشاعين ، في الموقف الذي سارع في انحطاط مكانة الفحم ، بسبب انخفاض سعر النفط عام ١٩٦٠ ، هذا في حين أن مدخرات الفحم تبلغ خسة أو ستة أضعاف احتياطي النفط ، هذا فضلاً عن كونها ، على العموم ، موزعة بشكل أكثر عدالة على سطح الأرض ، وقابلة للاستغلال بصورة تنافسية ، أي تقبل المزاحة . ويجب علينا أن نقبل الآن بأن الصعوبة هي سياسية قبل أن تكون تقنية .

عن ل . لامّر « الطاقات » كانون أول ۱۹۷۸

يبدو استمال الطاقة الشمسية قدياً قِدَم العالم . وإذا كان أرخيدس قد استطاع إحراق الأسطول الروماني في سيراقوزة ، فأصبح أكثر الأبطال شهرة في هذا للضار ، فإن هناك استمالات سلمية شهدت بعض النجاح على كرّ القرون ، فقد أمكن صنع مكائن بخارية شمسية في أوروبا ، وفي الولايات المتحدة في نهاية القرن التاسع عشر ، كا أمكن تشغيل مضخات شمسية بهدف ريّ الأراضي في

ولاية آريزونا وفي مصر، في حدود العام ١٩٠٠ . ولكن العلماء لم ينكبّوا فعلاً على ترويض هذا المصـدر الاّ منذ عام ١٩٧٤ ، أي على هذا المورد المتجدد ، والذي لا ينضب له معين ، والمجاني . وغير الملوّث .

وجهة نظر عربية عن تزويد العالم بالنفط :

تعنى عبارة « استقرار التوين النفطي » بالنسبة للأقطار المستهلكة ، استرار منظمة الأقطار المستهلكة ، استرار منظمة الأقطار المصدرة للنفط (الأوپك) بالقيام بدورها التقليدي ، كورّدة للبترول لإشباع حاجات العالم . أما من وجهة نظر الأوپك ، فإن الدور الموكل إليها يكون على خلاف الاستقرار لأنه يستدعي استجابة هذه المنظمة إلى انخفاض الأسعار وإلى زيادات طلب العالم الصناعي ، دون أي اعتبار للنتائج التي قد تتخض عن مثل هذه التبدلات على المصلحة الوطنية للأقطار الأعضاء في هذه المنظمة .

الواقع ليست منظمة الأويك ملتزمة بالاسترار في تقديم الكية التي يطلبها العالم من هذه المادة . فالصلحة الخاصة للأقطار المنتجة تملي عليها وجوب عدم تقديم كمية من البترول لا تستدعيها حاجاتها المالية . وعلى كل حال إذا كانت لهذه المقاربة معنى من وجهة النظر الاقتصادية ، فإنها تثير من وجهة النظر العلمية مشكلات اجتاعية وسياسية ضخمة ، ذلك أن تخفيضاً فجائياً وعنيفاً في التوينات النفطية قد تكون لها آثار خطيرة على الاقتصاد العالمي _ وعلى منظمة الأويك بحسبانها عنصراً في الاقتصاد العالمي . وعلى منظمة الأويك بحسبانها عنصراً في الاقتصاد العالمي .

وقد حان الوقت الآن كي يعقد المستهلكون والمنتجون اتفاقاً جديداً . وإذا كان من المكن تحاشي أزمة عالمية في الطاقة ، فذلك يعود لفضل استرار منظمة الأويك في القيام بوظيفتها كمصدر عالمي للنفط ، ولكن إذا كانت منظمة الأقطار المصدرة للنفط ، تعطي ضاناً ـ مع كل النتائج التي ستنجم عن هذا التعهد على نسق نضوب احتياطياتها النفطية ـ فإن على المستهلكين قبول بعض المسؤوليات الجديدة . كضرورة زيادة الأسعار ، ونقل التكنولوجيا ، وإعادة الاستقرار النقدي العالمي .

عن : أيت لاوسين ، الجزائري . بريسّ . أذار ١٩٧٩



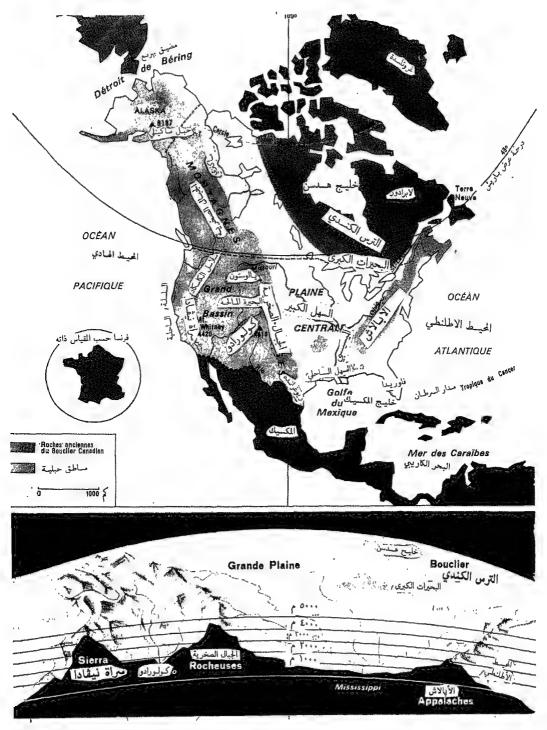
الفصل لألأول

أمريكا الآنكلوسكسونية أو أمريكا شال ريوغرانده

تؤلف الولايات المتحدة وكندا في شال نهر ريوغرانده مجموعة تختلف عن الأقطار الأمريكية الأخرى ، فها دولتان غنيّتان ، صناعيتان ، وعلى مستوى تكنولوجي عال ، تخضعان لثقافة آنكلوسكسونية طاغية .

وتغطّي أمريكا الشالية مساحة تبلغ ١٩,٥ مليون كيلو متر مربع ، أو ٢٠ مرة مساحة جمهورية مصر العربية ، وقد تكوّنت حسب مخطط بسيط وفضفاض ، ولكن تكون من الشال مغلقة بقساوة المناخ ، كا تبدو عسيرة المدخل من الشرق أو من الغرب ، حيث تتعثّر المصبّات النهرية الخليجية estuaires بعوائق تضريسية . أما الأراضي الواقعة إلى الشال من خط عتد من نيويورك وشيكاغو وسيتل فقد غشيتها خلال الدور الرابع جموديّات واسعة ، تركت بصاتها بعمق على شكل توضّعات مورينية وبحيرات وشلالات .

فالترس الكندي shield الذي يقع في الشال الشرقي ، يتألف من صخور قديمة متعدنة ، ويحمل شبه السهل pénéplaine المشوّه هذا تأثير الجوديات بشكل خاص : فتكون تضاريسه مشوّشة ، وصرف المياه غير منتظم . وتؤلف البحيرات الكبرى أكبر رقعة من المياه العذبة في العالم ، غير أنها تنفصل مستوياتها بشلالات مثل شلالات نياغارا وسولت سانت ماري (شكل ١) .



الشكل (١)

وتولف السهول الوسطى ميزاباً بين الحيط المتجمد الشالي وبين خليج المكسيك . وتتألف من توضعات لحقية ومن صخور رسوبية تنهض بلطف نحو الغرب حتى ارتفاع ٢٠٠٠ متراً . ويخترقها نهران من أكبر أنهار العالم ، ها المسيسيى ونهر ماكنزي اللذان تنتشر دلتاها على شكل لاغونات ومستنقعات .

وتتألف الأراضي العليا في الغرب من سلسلتين : جبال الروشوز « الروكي » في الشرق ، وسروات نيفادا والسلاسل الساحلية في الغرب . وتطيف هذه الجبال بهضاب وحوضات حيث يقع كل من البحيرة المالحة الكبرى وخانق الكولورادو . وتنتسب جبال الغرب إلى « حزام النار » الباسفيكي ، وتحمل براكين ناشطة باتجاه الشمال ، وتخترقها صدوع مثلما تعتريها الزلازل (شكل ٢) .

ል ል ል

صعوبة فتح الرقعة الأمريكية: عندما اقتحم الملاحون القارة الأمريكية من الشال الشرقي؛ لم يستطيعوا أبداً أن يجتازوا الممرات الكندية في الشال الشرقي باتجاه الباسفيكي . أما في الجنوب فقد كانت الأراضي أو الممتلكات الاسبانية في الشرق ، أي التكساس ، وفي الغرب ، أي كاليفورنيا ، مفصولة بصحاري يستحيل اجتيازها ، ولقد اصطدم المعترون الانكليز؛ الذين أقاموا في السهول الساحلية في الشرق ، أقول اصطدموا في أثناء اتجاههم غرباً بالحاجز الآپالاشي الذي تحاشوه مروراً بنهر الهدسن ، وبالبحيرات الكبرى . غير أن الفرنسيين ، الذين احتلوا وادي السان لوران ووادي المسيسيي ، عثروا على أفضل المرات نحو الأراضي الطيبة في السهول الكبرى وفي اتجاه الغرب حيث سبقوا الانكليز ، ومن هذا نشبت الحروب الانكليزية الفرنسية .

☆ ☆ ☆

أبعاد الرقعة الهائلة: يسبح لنا رسم مخطوط مزدوج لكرة أرضية منبسطة من مرتسم مركاتور، أقول يسبح لنا بمقارنة أبعاد وموضعي قارتي أوروبا وأمريكا. ففضلاً عن اتساع الرقعة الأمريكية نجد أن أكثر الملامح جذباً للانتباه هي زحزحة أكثر المناطق كثافة سكانية في أمريكا نحو

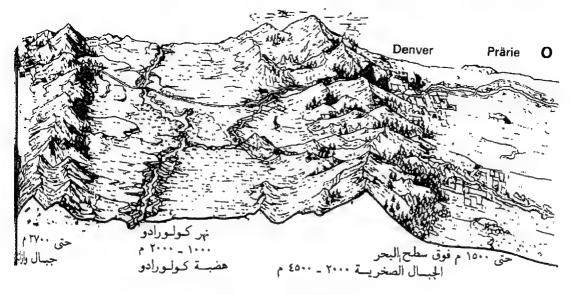
الجنوب: فتقع لندن على عرض الشمال الكندي ، في حين تقع ميامي على عرض بغداد . ولقد طرح اتساع الرقعة مشكلات عسيرة أمام الاستعار ولا تزال حتى اليوم أيضاً ، لأن اختراق أراضي الولايات المتحدة من الشرق إلى الغرب بالسيارة على مسافة ٦٠٠٠ كم يعتبر نوعاً من مغامرة باهرة .

* * *

المناخ: يتصف المناخ الأمريكي بالقارية. فعلى درجة عرض واحدة تكون فصول الشتاء أكثر برداً والصيف أكثر حراً بما هو عليه في أوروبا. وهكذا يمر خط العرض ٤٥ من بوردو ومن مونتريال، التي نتصور أنها واقعة إلى الشهال من ذلك، وحيث يتجمد نهر السان لوران شتاءً، مع أن معدل كانون الثاني في بوردو في الحرارة يماثل متوسط الشهر المذكور في حلب الواقعة على عرض ٥٦٦ تقريباً.

☆ ☆ ☆

ويفسّر انفتاح القارة شمالاً وجنوباً أيضاً سبب صعود المؤثرات الجنوبية بعيداً نحو الشمال صيفاً، في حين تهبط المؤثرات الشمالية في الشتاء حتى خليج المكسيك. وهكذا يزرع القطن حتى عرض مدينة ثينَيهيغ في كندا، ولكن يحدث الصقيع في مدينة أورليئان الجديدة الواقعة على درجة عرض القاهرة وآغادير، اللتين يقصدهما الكثير من الأوروبيين للتمتع بدفء الشتاء فيهما.



الشكل (٢) مقطع مجسم للولايات المتحدة الغربية

ك ٢ ش آ ن أح ت آ إ ت ١ ت ٢ ك ١ الجبوع أو المتوسط 11,1 T -P.O -P.T -Y.1 P.P F.F1 Y.77 OT F.77 A.A. F.71 7.7 -1.7 ديوان ٧٧١ سان دييغو 172 1771 ح = حرارة م = مطر = ٤,٠ کم مقاییس أمریکیة ۱ فدان = ۲٫۱ کم ۱ میل = ۵٫۸ کړ ميل مربع غالون أمريكي = ۳,۷ لیترات = ۲۷ کغم صاع قمح صاع قبح = ۲۷ كفم صاع ذرة صفراء = ۲۵ كفم طن قصير = ۲۰۰ كفم = ۹۰۷ کغم طن قصير = ٤٢ غالون أمريكي أو ١٥٨,٩ ليترات برميل نفط USA: DER WESTEN San r - 1... سراة نيفادا الحوض الكبير

البيئة والقسر المناخي الأمريكي

لا تزال نطاقات الغطاء النباقي الطبيعي الكبرى تستر رقعاً واسعة ، ظلّت ، ولمدة طويلة ، تترك انطباعاً عن الاتساع وعن الغنى . أما في المناطق التي تكون أكثر مواءمة للمؤسسات البشرية ، فقد تم القضاء على الغطاء النباقي بواسطة فأس ونيران معمّري الأراضي . ومع هذا علينا أيضاً أن ناخذ بعين الاعتبار ، تطرف المناخ الذي يفرض العديد من أشكال القسر على الإنسان . وتفسّر تأثيرات هذه العوامل المتناقضة ، المنظر الحالي للمشاهد الطبيعية .

ولكن لا تزال هناك نطاقات مناخية طبيعية ، أولم يظهر عليها تأثير الإنسان كثيراً:

التوندرا : وتكون الأرض متجمّدة هنا أبدياً بالعمق . وينكمش النبات على شكل حزازيات وطحالب وأشجار قزمية .

الغابات: لم تعد الأشجار الكبرى في الغابة الباسفيكية ماثلة إلا في كندا ، كا أن أواخر أشجار السيكويا تحاط بعناية فائقة وحماية وكأنها أوابد تاريخية . غير أن الغابة الشمالية لا تزال تشغل مساحات شاسعة في كندا . أما في الشرق فإن الأشجار النفضية مثل شجر القيقب الكندي تختلط مع الراتنجيات .

وتؤلف سهب الصبّاريات أو ذات دغيلات الشيح بهجة جنوب غرب الولايات المتحدة وتكون هنا متواعّة مع قحولة المناخ .

أسا المناطق التي أخضعت للزراعة ، فلم تكفّ عن التوسع منذ قدوم الأوروبيين ، وذلك في المناطق التي تكون التربة والمناخ فيها أكثر مواءمة .

فالغابة الأطلنطية ذات الأوراق الساقطة ، لم تعد موجودة إطلاقاً إلا في

جنوب كندا . أما في الولايات المتحدة فقد تلاشت أمام الأراضي الحروثة والتي استفادت من الترب الرمادية الجيدة النوع .

وكانت المروج تحتل مناطق أكثر جفافاً . وكانت تربها المتنوعة والتي كانت أحياناً من النوعية المتازة ، لا تطرح أمام إخضاعها للزراعة أية مشكلة . بيد أن هذه الترب كانت أحياناً سريعة العطب أمام ظاهرة الانجراف .

وتتراجع مستنقعات النطاق شبه المداري ، كا في فلوريدا ودلتا المسيسيي وساحل الخليج بسرعة أمام الاستغلال الحالي ، كزارع الفراسكين « الكريفون » Grapefruit والتصنيع والسياحة .

غير أن القسر المناخي عمل على تحديد التوسع البشري وأوجد حدوداً للمعمور:

فالبرد ينع أي نشاط زراعي في الجبال الصخرية « الروشوز » وعلى القسم الأعظم من الأراضي الكندية حيث تكون التربة جافة ومتجمدة شتاءً .

كا أن الجفاف ، وذلك في المناطق التي تنال أقل من ٤٠٠ مم من المطر في العام ، في ولايات الجنوب الغربي مثل آريزونا والمكسيك الجديدة ، يكون عائقاً أمام أي نشاط زراعى باستثناء المناطق الخاضعة للري .

وتجعل التقلبات المناخية ، كخاطر البرد الشديد ، والتهطالات المتفاوتة بين عام وآخر ، تجعل من الزراعة ممارسة غير مضونة وذلك على مساحات واسعة ، واقعة غرب خط الطول ١٠٠ أو « خط الكوارث » ، هذا كا تنجو ولايات الجنوب من موجات برد تدمّر حقول القطن .

وقد أعطت أشكال القسر المناخي هذه ، شعور التحدي الذي تقيه الطبيعة في وجوههم ، وتفسّر ما يمكن أن تكون عليه النفسية الرائدة . وعلى كل فإن المساحة المزروعة تظل واسعة جداً ، بحيث تستطيع أن تؤمن غذاء ٤٠٠ مليون نسمة دون صعوبة تذكر شكل (٣) .

مشكلات المياه

آ ـ موارد غير كافية

ب ـ مخاطر فيضانات كارثية أو خطيرة

ج ـ عدم انتظام الموارد

هذا ويؤلف العنف أكثر السات بروزاً في البيئة الطبيعية الأمريكية . وتظهر الوثائق الحرائطية أن منطقة ما قد تتعرض للجفاف ، وللفيضانات ، وللبرد ، ولعدم انتظام مقادير المطر . وقر السيطرة على المجال الزراعي من خلال استخدام تقنيات متخصصة كالري والصرف والحراثة حسب خطوط التسوية (كنتورية) والزراعة الجافة dry farming ، ولا سيا اصطفاء الأنواع النباتية المتواغة ، مثل قح مانيتوبا الربيعي ، وتطرح قساوة برد الشتاء أيضاً مشكلات خطيرة أمام المواصلات والتدفئة المنزلية .



الشكل (٣) أمريكا الشمالية : الموقع والشاهد الطبيعية

الإعمار السكاني: بلد استقبال المهاجرين

في خلال ٤٠٠ سنة أصبحت هذه القارة شبه الخالية ، أكثر بؤر العالم قوة . فقد وفد إليها الناس على شكل موجات متعاقبة ضمن حركة فضفاضة بسيطة .

الهنود الحر والأسكيو: وهم الأمريكيون الأصليون الذين قدموا من آسيا منذ ٤٠٠٠٠ عام . ولما كانوا عبارة عن قنّاصين وصيادي أسماك ، فقد كانوا مجاجة لمساحات شاسعة . بيد أن هذه المجموعات القليلة العدد سرعان ما تعرضت للغمر العددي ، ولقوة الوافدين الجدد وكذلك بسبب تلاشي نمط حياتهم . ولا يعيشون الآن إلا على شكل أقليات ، محصورة غالباً ضمن « محتجزات » خاصة .

عصر المعمرين: لقد بدأ قدوم الأوروبيين ابتداءً من القرن السادس عشر، فوصل الفرنسيون إلى لويزيانا وإلى ضفاف نهر السان لوران، والإسبان إلى فلوريدا ونحو الجنوب، في حين استوطن الهولنديون والإنكليز الساحل الشرقي. ولما كان هؤلاء الآخرون أفضل مساندة من قبل حكوماتهم فقد استطاعوا التخلص من منافسيهم ولا سيا من فرنسي كندا، الذين تخلت عنهم حكومتهم في سنة ١٧٦٣. أما المستعمرة الإنكليزية فقد استقبلت جماعات مختلفة جداً من حيث عقليتها وآرائها، وعلى غرار ما فعله آباء مايفلوور (١١٠ الحجاج، في ١٦٢٠، فقد حملت هذه الجماعات الصغيرة، المبعثرة، والمتسكة بإيانها، حملت معها مثالية الحرية. ولكن مما يثير الاستغراب، هو أن بعض هؤلاء هم الذين استقدموا

⁽۱) Mayflower (أو زهرة أيار أو الزعرور) هو اسم سفينة انطلقت من پلايموث في ٢ أيلول ١٦٢٠ ، وحملت إلى أمريكا المعمرين أو « الحجّاج » اللذين أسّسوا أول مدينة في ولاية إنكلترا الجديدة ، وهي نيوپلايموث (٢١ / ١٢ / ١٦٠) وكتبوا قبل نزولهم إلى البر ما يسمى Convenant أو أول دستور أمريكي .

الرقيق الأسود في القرن السابع عشر إلى مزارع التبغ والقطن التي كانت تـزدهر وتتوسع في الجنوب .

عصر المهاجرين: منذ ١٨٢٠ وحتى أيامنا هذه دخل الولايات المتحدة أكثر من ٤٥ مليون منهم ٥ ملايين من كندا . فبعد أن قذفتهم أوروبا العاجزة عن توفير فرص العمل ، والغذاء ، والكرامة لهؤلاء ، فقد راحوا يبحثون عن الأراضي ، وعن الأجور الأكثر ارتفاعاً ، عن كيان المواطن . وكان معظمهم من اللاجئين السياسيين ومن فلاحين بلا أرض ، أو من حرفيين ممن قضت الآلة على مصادر رزقهم .

وهكذا اندفعوا في رحلة عسيرة دون أمل في العودة على شكل ثلاث موجات متعاقبة من المهاجرين :

- ١٨٥٠ قدم الإيرلنديون الذين اجتاحتهم الجاعة الناجمة عن أزمة البطاطا ، والإيقوسيون ومن سكان بلاد الغال في جنوب غرب بريطانيا .

ـ ١٨٦٥ ـ ١٨٩٠ وفد الإنكليز والألمان والاسكندينافيون .

ـ ١٩٠٠ ـ ١٩٠٠ جاءت أقوام من أوروبا الجنوبية كالطليان ، ومن أوروبا الشرقية ، كالروس والبولونيين والجريين . وكان بين هؤلاء حوالي مليوني يهودي من الذين هربوا من المذابح في روسيا أو Pogroms .

عصر الحصص: وفي عصر مبكر ظهرت أشكال تمييز صحي أو عرقي ، كالآسيويين ، وهكذا عمد الجهوريون في الولايات المتحدة عام ١٩٢٠ ، إلى تحديد الهجرة متخذين أساساً لـذلك التوزع النسبي للوافدين الجدد ، وحسب الوضع القائم في ١٨٩٠ (قانون الكوتا) . وزاد تقليص عدد المهاجرين بسبب أزمة عام ١٩٢٩ الاقتصادية وبسبب الحرب .

وفي الوقت الحاضر يدخل إلى الولايات المتحدة سنوياً ما بين ٢٠٠٠٠٠ و د٠٠٠٠٠ مهاجر ، ولكن يجب أن ندخل بالحسبان الهجرة غير الشرعية القادمة من المكسيك . أما كندا فهي أكثر انفتاحاً ، ولكنها لا تكون أحيانا أكثر من نقطة عبور إلى الولايات المتحدة . ومنذ ١٩٦٥ جاء التشريع الجديد في الولايات المتحدة ، والذي يشجع على الخصوص دخول العال المختصين المؤهلين .

* * *

قدماء المهاجرين والجدد: أخذت المكائن البخارية في التحسن والإحكام، يوماً بعد يوم، ما جعل شروط العمل لدى أصحاب المصانع الصغيرة متردّية بسرعة في بلدة دنفرملاين الإيقوسية، وبدأت فترة عسيرة بالنسبة لنا. وأخيراً قررنا كتابة رسالة إلى خالق المقيتين في بيتسبورغ في الولايات المتحدة لإعلامها عن عزمنا على اللحاق بها. وكان الجواب مشجعاً، وقررنا بيع أثاثنا وأموالنا بالمزاد العلني وكان والدي ينشد:

To the west, to the west, to the land of free where the mighty Missouri rolls the sea

عن ديل كارنيجي . السيرة الذاتية . بوسطن ١٩٢٠ وقد غادر كارنيجي إيقوسيا عام ١٨٤٨ وعمره ١٣ سنة

* * *

لقد أصبح بلدي . محظوراً عليّ . أما إنكلترا فهي بالنسبة لي أرض أجنبية . إذن إلى أين الذهاب ؟ قلت لنفسي إلى أمريكا . فهناك سأجد المثل الأعلى الذي أحلم به والذي من أجله ناضلت ، إنه عالم حديد ، عالم مليء بالأفكار وبالأهداف الرائعة .

ك . شوتز . نيو يورك ١٩٠٧

وشوتز هو ثوري ألماني في ١٨٤٨ وهاجر إلى الولايات المتحدة

. في سنة ١٨٥٢ .

* * *

إن اتساع مدى تدفق المهاجرين المكسيكيين يسبب القلق للسلطات الأمريكية . وقد خصصت عجلة « أخبار الولايات المتحدة » مجالاً فسيحاً للكلام عن السكان « التهريب » الحاليين . واللذين يتراوح عددهم بين ٢ و ١٢ مليون نسمة ، ويؤلف المكسيكيون ٢٠٪ منهم . ويبدو أن رقم ٥ ملايين مقبول عموماً ، وتقدر المجلة أن المهاجرين غير السجلين يبلغون ٢٠٠٠٠٠ مهاجراً أكثرهم مكسيكيون ، دخلوا الولايات المتحدة عام ١٩٧٨ . وتبدو أوضاعهم المعاشية ، إلا فيا ندر ، مثيرة للرثاء ، فهم يعيشون في خوف دائم من الإبعاد ، ومن البطالة ومن الوشاية بهم إلى السلطات الحكومية .

عن دومينيك دومبر . جريدة لموند ١٦ / ٤ / ١٩٧١

***** * *

توزع المهاجرين في الوقت الحاضر ونسبتهم المئوية في كل ولاية بعض الأمثلة :

٦٪ من المكسيك	كاليفورنيا	۱۶٪ من کندا	ماين
٦,٧٪ من المكسيك	أريزونا	٧,٧٪ من إيطاليا	رود آيلند
٧٪ من كوبا	فلوريدا	٧٪ من كندا	
٦,٣٪ من النروج	داكوتا الشمالية	٣,٦٪ من الملكة المتحدة	
٥,٣٪ من الاتحاد السوفيتي		٧,٣٪ من إيطاليا	نيويورك
٣,٤٪ من ألمانيا		٣,١٪ من الاتحاد السوفيتي	
٤٪ من كندا	ميشيفان	٣,١٪ من بولونيا	
۳٪ من کندا	مونتانا	٤,٢٪ من ألمانيا	نبراسكا
٤٪ من كندا	واشنطن	١,٣٪ من تشيكوسلوفاكيا	
١٤٪ من اليابان	هاواي	١,٢٪ من السويد	
٣٪ من الصين		٦,٩٪ من المكسيك	تكساس

수 수 수

الحدود: تكوين رقعة أرضية

لاتعني كلمة حدود لدى الأمريكان تخا بين قطرين ، بل هامشاً طلائعيا . فن الممكن متابعة تنقلات الهامش الطلائعي الأمريكي على الخارطة . فقد كان التقدم بطيئاً حتى نهاية القرن الثامن عشر ، كا أن حدود « الغرب القديم » لم تكن تتجاوز السفح الغربي من جبال الآبالاش في عصر (داڤي كروكت) . وابتداءً من عام ١٨١٢ ، انقطعت كل العلاقات مع أوروبا ، أصبحت الحركة أكثر سرعة نظراً إلى أن وادي المسيسي والمروج « البراري » تقدم تسهيلات أكبر أمام المواصلات . ومنذ ١٨٨٠ حصل تقدم مزدوج قادم من سواحل الأطلنطي ومن ساحل الباسفيكي ، وعلى الأخص من كاليفورنيا ، تمخضت عن احتلال كل رقعة الولايات المتحدة الحالية : تلك هي نهاية الحدود وخاتمة مغامرة كبيرة . أما في كندا فقد كانت الحركة أكثر تأخراً ، ولاتزال حتى الآن مستمرة في زحفها نحو الشال .

وقد كانت أسباب هذا التوسع عديدة:

- أسباب اقتصادية: ففيا عدا الأزمات الاقتصادية والضغط الديموغرافي الأوروبي ، كان الافتقار إلى الأراضي الخصيبة في الشرق سبباً في نزوح المزارعين الشبان ، كا أدى اكتشاف مناجم الذهب والفضة ؛ إلى حصول هجات كا حدث في عام ١٨٤٨ في كاليفورنيا ، وأخيراً فإن استغلال أراضي جديدة وإعمارها كان عبارة عن صفقة ممتازة بالنسبة للمصارف ولشركات الخطوط الحديدية .

- أسباب سياسية : وقد كانت هامة جداً لدى الولايات المتحدة مع ظهور

فكرة « أمريكا للأمريكيين » والرغبة في تنظيم الاستمرارية الإدارية والسياسية من ساحل لآخر . وجاء قانون هومستيد Homestead Act في عام ١٨٦٢ ، كي يسارع في عملية الاستغلال الزراعي والذي كان ينص على منح ٧٥ هكتاراً بالجان لمن يقوم باستغلالها مدة خسة أعوام متواصلة .

م أسباب عقائدية : هناك الكثيرون الذين رأوا في الغرب أرضاً جديدة ، حيث كان من المكن للإنسان أن يعيش فيها على هواه . كا كان ذلك أيضاً أرض حرية للمغامرين . وأخيراً عملت طائفة المورمون Mormons من الغرب أرض ميعاد . وجعلوا من مدينة سولت ليك سيتي عاصمة لهم ولا زالت .

ويفسر هذا التنوع في الدوافع شدة تنوع الجبهات الطلائعية: من جبهة زراعية مثل انفتاح أوكلاهوما في ١٨٨٩ ، وتعدينية كالهجات نحو الذهب في كاليفورنيا أو الكولورادو ، وغابيّة في كندا ، وعسكرية في التكساس ، وقلعة آلامو في ١٨٣٦ . وقد تدخل أشخاص مختلفون في الملحمة الأمريكية كالحطّاب الكندي ، والمزارع ، والباحث عن الذهب ، وحتى قاطع الطريق ورجل القانون . وكانوا جميعاً في معركة مع « الهندي الخبيث » الذي لم يرد اعتباره إلا في وقت متأخر جداً .

وقد كان دور طرق المواصلات أساسياً: فقد استخدمت الأنهار مثل سان لوران والمسسبي في وقت مبكر جداً ، ثم تكاملت بالقنوات . أما في الغرب فقد كانت العربات والدروب هي الوسيلة الأولى مثل Pony Express ، ودرب

⁽۱) لقد ظهر مذهب المورمون في ۱۸۳۰ في الولايات المتحدة ، على يد جوزيف سميث ، الذي نشر كتاباً منسوباً إلى نبي يهودي يحمل اسم مورمون = كتاب مورمون » ، باعتباره كتاباً سماوياً ، وكان ينسب الهنود الحمر لأصل يهدي ، وتكون العقيدة المورمونية مزيجاً قريباً من عناصر بوذية ، غنوصية ، وإسلامية ونصرانية . وبعمد أن اغتيل في ۱۸۶٤ ، خلفه بريفهام يونغ ، الذي أسس مستعمرة على ضفة البحيرة الكبرى المالحة . وهدفه المستعمرة التي اتخذت اسم أوتا تحولت إلى ولاية في عام ۱۸۶۱ ، ومات يونغ في ۱۸۷۷ وتلاشت من بعده نهضة هذه الحركة ، وصدر مرسوم في ۱۸۵۰ يمنع تعدد الزوجات على أعضاء هذا المذهب .

سانتافيه ، ثم دعمتها وحلت الخطوط الحديدية مكانها ولاسيا خبط Union Pacific و Canadian Pacific إلخ .

كا لعبت فكرة الحدود دوراً جوهرياً في تكوين العاطفة القومية الأمريكية . ويعتبر الكثيرون تلك الفترة نوعاً من العصر الذهبي ، متناسين مدى قساوة تلك الحقبة ، ويردد العديد من رؤساء أمريكا في خطبهم . « روح الحدود » هذه .

4 4 4

حقيقة كوخ مهاجر نروجي في ١٨٢٨ : « يجب أن نضيف إلى كل تلك الحن مشكلة الكوخ المفتوح لكل الرياح ، إذ لا يكن أن يجد الإنسان فيه الدف، والعزاء ، إلا بالالتصاق بالنار . وليس هذا الكوخ أكثر من ملتقى لتيارات الرياح . ومع هذا يجد الإنسان نفسه سعيداً عندما يعثر على سقف في هذه المنطقة الخالية من البشر . فقد بنى كل منا كوخه بنفسه وقدر استطاعته ، مستعيناً بالبلطة وعلى العموم دون نوافذ .

ت . پليغن : أرض اختاروها مطابع جامعة مينسوتا : ١٩٥٥

العصر الذهبي : الغرب : كما يظهر في كتاب وزعته دوائر الإعلام الأمريكية في عام ١٩٥٣ :

كلما ازداد التقدم في هذه المناطق التي كانت في حالة وحشية ، يتحوّل المعرّ إلى مزارع وصياد في الوقت ذاته . وعوضاً عن الكوخ البسيط فقد راح يبني بيتاً بديعاً من جذوع الأشجار مع نوافذ وزجاج ، ومدخنة جيدة ، وغرف منفصلة عن بعضها بعضاً . وحفر بئراً بدلاً من أن يعتمد على النبع . وجاء الأطباء بعد المزارعين ، ثم التجار والحامون والمبشرون ، أي كل الذين كانت الحاجة ماسة إليهم لبناء هيكل اجتاعي صلب . ومن هذا الشعب ينحدر أبراهام لنكولن الذي ولد في كوخ من جذوع الشجر في ولاية كنتوكي .

مخطط تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية

الحدود الجديدة : أقول لكم إننا أمام حدود جديدة سواء أردنا ذلك أم لا . ففيا وراء الحدود تمتد عبالات بكر لم تكتشف بعد هي عبال العلم والفضاء ، ومشكلات لم يتم حلها بعد ... وأعتقد أن عصرنا يتطلب العزم ، والتجديد ، والتصوّر والقرار . أطلب منكم أن تكونوا الرواد الجدد ، أمام الحدود الجديدة .

الرئيس جون كنيدي تموز ١٩٦٠

		·	
	·		

الولايات المتحدة

تلعب أمريكا الشالية وخاصة الولايات المتحدة ؛ دوراً متزايد الأهمية منهذ مطلع القرن الحالي في الحياة الاقتصادية العالمية .

ففي خلال (٧٥) عاماً استطاعت الولايات المتحدة أن تؤكد سبقها وتفوقها في مضار الإنتاج والعلم والتقنية . وكان دورها خلال الحربين العالميتين وخاصة خلال الثانية أروع برهان على ذلك .

وتؤلف سعة أراضيها ، ووفرة وتنوع مواردها ، وشعبها « الديناميكي » العناصر الأساسية في ازدهارها وفي قوتها . وتشتل الولايات المتحدة على مناطق واسعة جداً سبق أن فتحها واستعمرها الإنكليز والهولنديون والفرنسيون والإسبان . فبعد أن كانت مقتصرة على (١٣) ولاية بريطانية ، أعلنت استقلالها في ١٧٧٦ ثم ضمت إليها تدريجياً مناطق شاسعة :

- ١ ـ المنطقة الواقعة بين جبال الأبالاش والبحيرات الكبرى والمسيسيبي وقد تخلت عنها بريطانيا في عام ١٧٨٣ .
- ٢ ـ لويزيانا التي باعتها فرنسا عام ١٨٠٣ مع كل المناطق الواقعة بين
 المسيسيي والروشور .
 - ٣ ـ فلوريدا التي تخلت عنها إسبانيا في سنة ١٨١٦ .
- ٤ ـ المناطق الشمالية الغربية الباسفيكية ، وحصلت عليها الولايات المتحدة عندما اعتبرت بريطانيا خط العرض (٤٩) كحد جنوبي لكندا .

ه ـ المناطق الممتدة من المكسيك حتى الحيط الباسفيكي (تكساس ، المكسيك الجديدة وكاليفورنيا) ، التي انتزعتها من المكسيك بعد حرب (١٨٤٦) و ١٨٤٨) ، فاضطرت المكسيك أن تقلص حدودها حتى نهر ريوغرانده .

٦ _ آلاسكا وقد اشترتها من روسيا عام ١٨٦٧ .

وبعد أن تشكلت (١٣) ولاية ألفت الاتحاد عام ١٧٨٨ ، أضيفت إليها تدريجياً الأراضي الواقعة إلى الغرب من جبال الأبالاش ، بعد أن أعرت بالسكان وقامت فيها ولايات جديدة . وهكذا نجد أن للولايات المتحدة الأميركية تنظيماً سياسيا اتحادياً (فيديرالياً) ، يضم خسين ولاية ، لكل منها تشريعها ، وحكومتها ، وعاصتها ، ومحافظة اتحادية (تدعى محافظة كولومبيا) حيث تقع العاصة واشنطن ، وحيث يقوم الكونغرس المؤلف من مجلسين تشريعيين والمقر الرئيسي لرئيس البلاد .

الولايات المتحدة كقارة

تحتل الولايات المتحدة حوالي خمس مساحة أمريكا الشالية أو (٩،٣) ملايين كم مع آلاسكا و يكن تقسيها إلى ثلاث مناطق كبرى .

آ ـ الآبالاش:

وهي جبال تمتد على مسافة (٢٥٠٠) كم من الشال الشرقي نحو الجنوب الغربي ، أي من جزيرة الأرض الجديدة حتى جوار خليج المكسيك . ويعود تاريخها لآخر الزمن الأول ، مثل السلاسل الهرسينية الأوروبية ، وقد تعرضت للتسوية تماماً ، ولكنها نهضت من جديد في الزمن الثالث ، واستأنف الحت عمله فيها ، وترتصف سلاسلها حسب اتجاه الطيات القديمة المتوازية ، وتنتج عن بروز شرطان من الصخور القاسية والمفصولة عن بعضها جمنخفضات محفورة في الصخور الطرية .

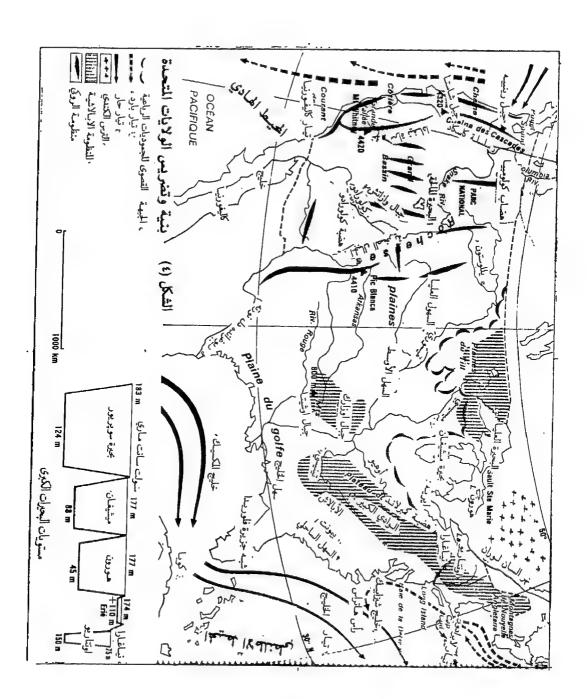
والتضريس الجبلي القديم الذي انبعث بفعل الحت ، أصبح شكلا تقليدياً غوذجياً تحت اسم التضريس الأبالاشي . ولا تؤلف جبال الأبالاش أكثر من عارض نسبي أمام المواصلات لأن ارتفاعها يندر أن يتجاوز (٢٠٠٠) م . كا أن الأنهار التي تصب في الأطلسي أو ترفد نهر المسيسيبي استطاعت أن تحفر ودياناً عيقة عرضانية تسمح باجتياز السلسلة الجبلية بسهولة ، كا أن هناك سلسلة من المنخفضات الطولانية التي استخدمها أوائل الأميركان أثناء توسعهم نحو خليج المكسيك . وإلى الشرق من جبال الأبالاش نجد سهلاً ساحلياً يبدأ من جنوب نيويورك و يتسع باتجاه الجنوب حتى خليج المكسيك (شكل ٤) .

ب _ السهل الأوسط:

ويتألف من صخور رسوبية تراكمت فيه ، ابتداء من الدور الثاني حتى الآن . ويحتوي هذا السهل على جانبي نهر المسيسيبي سهلاً ضيقاً نسبياً بالشرق ، وسهلاً أكثر سعة بكثير في الغرب ، يصعد على شكل درجات عريضة متعاقبة كي يصل إلى ارتفاع ١٨٠٠ م عند أقدام جبال الروشوز . واستطاعت الأنهار التي تأتي من هذا السهل أن تحفر أخاديد عيقة وعريضة متوازية وأن تؤلف بالتعاون مع نهر المسيسيبي ، عند خليج المكسيك ، سهلاً لحقياً واسعاً جداً استطاع أن يربط شبه جزيرة فلوريدا الكلسية بالقارة . وإلى الغرب من النهر تظهر جبال أوزارك ذات الصخور الأولية ، على شكل هضبة متفاوتة التضاريس المتراوحة بين (٥٠٠ و ٥٠٠) م ، وهي تشابه الكتلة المركزية في أواسط فرنسا .

جـ ـ الجبال الفربية:

وقد تشكلت بفعل سلسلة من الحركات التي تعاقبت منذ أواسط الدور الثاني حتى نهاية الدور الثالث . وكل المظاهر تشهد هنا على أهمية الحركات الشاقولية والبركنة ، لأن أعلى القمم هي عبارة عن مخاريط بركانية ، كا تغطي أغشية



اللابات الكثير من الهضاب . وتبدو النافورات الحارة إحدى عجائب البارك الوطني في يلستون (شكل ٥) وتشابه هذه الجبال المتكتلة في آسيا الوسطى أكثر من شبهها للقوس الألبي . وتتألف من ثلاث حزم من السلاسل تطيف بهضاب عالية أو بحوضات داخلية .



خانق نهر يللوستون (الولايات المتحدة ، المنتزه الوطني) عن ديمارتون

ففي آلاسكا تنتشر الجبال على شكل مروحة ، وتبلغ ارتفاعات شديدة جداً مثل جبل القديس إيليا (٥٤٨٦) م ، على حافة الباسفيكي وجبل ماك كينلي وارتفاعه (٦١٨٧) م ، حيث تثقب الاندفاعات البركانية المنطلقة من قته الإطار الحيط به والمؤلف من درع من الجليد والثلوج .

أما في الولايات المتحدة فإن المنظومة الجبلية تأخذ أكبر اتساع لها ، فعلى مسافة تبلغ (١٥٠٠) كم من الشرق إلى الغرب نجد أربع سلاسل :

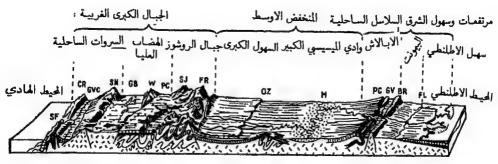
آ _ الروشوز الرئيسية وفيها جبل هارفارد (٤٣٨٣) م .

ب _ جبال وازاتش الممتدة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي .

جـ ـ سلسلة الكاسكاد وهي عبارة عن تعاقب براكين جسيمة خامدة مثل جبل ريينيه (٤٣٧٧) م ، شاستا (٤٣٨٣) م ، وتتمدد جنوباً بجبال سييرا نيفادا (شكل ٦) التي يسمو فيها جبل ويذني وارتفاعه (٤٤١٩) م .



ونجد بالداخل حجرات واسعة قد نهضت بالماضي إلى ارتفاع يزيد عن (٢٠٠٠) م، وتظهر على شكل هضاب أفقية تقريباً مثل هضبة الكولورادو، التي يحفر فيها نهر كولورادو خانقاً رائعاً عمقه (١٨٠٠) م على مسافة (٣٠٠) كم طولاً ، أو على شكل أحواض تتعاقب فيها سلاسل جانحة (مثل الحوض الكبير) . بينا انهارت حجرات أخرى على شكل منخفضات مثل وادي كاليفورنيا الكبير أو على شكل حفر دون مستوى سطح البحر كا في وادي الموت (شكل ٧) .

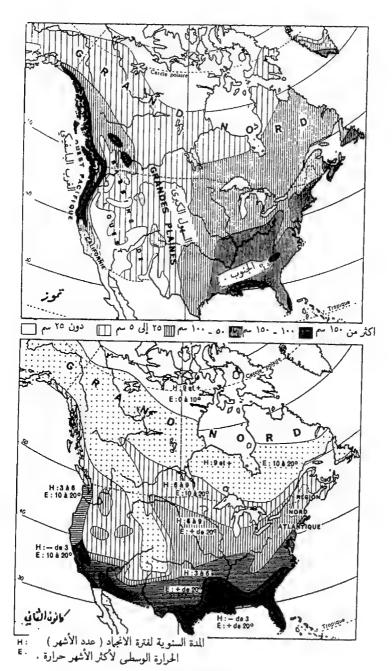


الشكل ٧ تضريس أمريكا الشمالية . مقطع من الشرق للغرب

الشرائط المناخية العامة

إن الشكل المتكتل للولايات المتحدة ؛ يفرض عليها قساوة المناخ القاري مع حدوده القصوى الحرورية وأمطاره العاصفية القليلة العدد ، ولكنها عنيفة . كا يجب أن نأخذ بعين الاعتبار مفعول مراكز العمل الجوي الكبرى ، الواقعة فوق الحيطات ، ففي الشتاء تتقدم الضغوط المنخفضة شبه القطبية نحو الجنوب في حين تتقهقر الضغوط المدارية الشديدة . أما فوق القارة المتبردة فيتشكل مركز ضغوط قوية تنطلق منه رياح شالية غربية جافة وباردة تهب على المنطقة الأطلنطية ، وتبعث أحياناً طليعة لها حتى خليج المكسيك تدعى موجات البرد الغطنية ورباح بحرية دفيئة ورطيبة . أما في الصيف فإن مراكز الضغط الشديد شبه المدارية تتمدد باتجاه الشال ، في حين تظهر ضغوط خفيفة واضحة في داخل القارة المتسخنة ، فتهب على الشرق من البلاد رياح مدارية قادمة من الجنوب الشرقي ، وتكون حارة ورطبة ، بينا يتتع غرب البلاد برياح قادمة من الشال الغربي ، منعشة . وهكذا نجد هنا التضاد المناخي ذاته الملحوظ في العالم القديم ، أي في آسيا ، إذ تجنح العوامل الملطفة للمناخ نحو التفوق على الواجهة الغربية أي في آسيا ، إذ تجنح العوامل الملطفة للمناخ نحو التفوق على الواجهة الغربية المواقة المؤرات المناخية القارية على الواجهة الشرقية (شكل ٨) .

وتزيد التيارات البحرية شدة هذا التضاد بين الواجهتين ، فنجد في الحيط الأطلنطي تيار الخليج (Gulf Stream) الحار بالجنوب ، كا نلاحظ تيار لابرادور بالشال . أما في الباسفيكي فهناك تيار يؤدي إلى تسخن سواحل كندا وآلاسكا وتيار بارد يحاذي ساحل كاليفورنيا .



الشكل ٨ التهطالات والحرارة في أمريكا الشمالية

بيد أن مؤثرات الباسفيكي الملطفة ، تتوقف فوراً بفعل التضاريس الناتجة عن السلاسل الغربية المرتفعة . فبعد السفوح الغربية المطرة والمستورة بغابات رائعة ؛ تأتي وبسرعة بعدها ، باتجاه الداخل ، هضاب شديدة الجفاف تتحول جنوباً إلى صحارى حقيقية مع نباتات متباعدة شوكية من نوع الصباريات الضخمة . ولا تستطيع السهول الشرقية المفتوحة الصدر للشمال أن تصد زحف المؤثرات القطبية باتجاه الجنوب بالشتاء ، أو اندفاع المؤثرات المدارية خلال الصيف . وبفعل هذين الاجتياحين المتناوبين يتضاءل النطاق المعتدل إلى حده الأدنى .

المناخات

نجد في الغرب مناخات تشابه أوروبا الغربية ، ولكن مجالها ينحصر في شريط ساحلي ضيق ، فنجد المناخ النروجي في آلاسكا ، والمناخ الرومي أو المتوسطي في كاليفورنيا .

وفي الشرق يمتد على رقعة (٢٠٠٠) كم من الشال للجنوب مناخ معتدل ولكنه قاري موائم لقيام الغابة والمراعي ، فدينة نيويورك الواقعة على درجة عرض نابولي ، تتعرض لفصول شتاء أشد قسوة من شتاء برلين ، وإلى عواصف ثلجية أكثر عنفاً من موسكو ، وإلى فصول صيف أشد حرارة من صيف مدينة الجزائر ؛ مع موجات حر أكثر ثقلاً من التي تحدث في دكار بالسنغال .

وتكون كل المنطقة الجنوبية الشرقية شبه مدارية . فنحو الغرب تنحط هذه المناخات تدريجياً فتصبح درجات الحرارة شاذة إذ تهبط الحرارة في فينيبيغ بالشتاء إلى مستويات سيبيرية (- ٢٠٠) ، وتندر الأمطار وتتخلى الغابة عن مكانها للمروج ، وبعدئذ إلى الصحارى الحقيقية بجوار جبال الروشوز (الروكي) .

البحيرات والأنهار

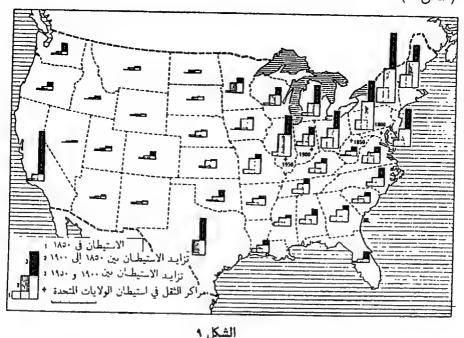
يضم السهل الأوسط أهم البحيرات والأنهار ، فتشكل البحيرات الخمس الكبرى في قلب أميركا الشالية بحراً داخلياً حقيقياً مساحته (٢٥٠٠٠٠) كم ، أو ما يعادل مساحة سورية والأردن . ويؤدي وجود شلالين هامين ناتجين عن بروز صخور قاسية بفعل الحت الجودي الرباعي ؛ إلى تجزئة مياه البحيرات إلى ثلاثة مستويات ، فنجد شلالات سولت سانت ماري بين البحيرة العليا وهورون ، وشلالات نياغارا بين بحيرتي ايريه وأونتاريو . وبعد أن أصبحت الأقنية تتحاشى الشلالات ، أضحت البحيرات الكبرى تؤلف على مسافة (١٥٠٠) كم من الغرب للشرق ؛ طريقاً ملاحياً داخلياً رائعاً ينفتح على المحيط الأطلسي بواسطة نهر السان لوران . وللأخذ الوحيد عليه هو تجمده خلال الفترة الواقعة بين منتصف كانون الأول حتى أواسط نيسان .

ويقوم نهر الميسيسيبي بتصريف مياه كل المنطقة الوسطى بين الأبالاش والروشوز. ويبلغ طوله لوحده (٤٠٠٠) كم ولكنه يتدد برافد نهر الميسوري ، فيؤلف طريقاً نهرياً لا مثيل له بالعالم من حيث الطول (٦٨٠٠) كم ، ويتغذى هذا النهر بالربيع من روافد تنحدر إليه من الروشوز ، مثل الميسوري ماركنساس والنهر الأحمر ، وفي الخريف يدعمه نهر الأوهيو وطوله (٢٠٨٠) كم والذي يعادل صبيبه صبيب الدانوب ، وبذلك يقذف نهر الميسيسيي الغزير (٢٠٠٠) متر مكعب بالثانية أو أكثر من ٢٥ مرة من غزارة الفرات. وهو نهر سهلي ذو جريان بطيء فلا يؤلف بذلك طريقاً ملاحياً عتازاً. ويتباطأ جريانه على شكل عقفات ضخمة وينتهي بدلتا غير مستقر. ويتعرض هذا النهر لفيضانات عندما عقفات نخمة وينتهي بدلتا غير مستقر. ويتعرض هذا النهر لفيضانات تضخم مياه نهر الأوهيو فجأة بتأثير الأمطار العاصفية الهاطلة فوق الأبالاش ، بالإضافة إلى موجة مياه عارمة تقدمها في الوقت نفسه أنهار الغرب .

الزحف نحو الغرب

في مطلع القرن التاسع عشر كان معظم سكان أمريكا الشالية متركزين في وادي السان لوران وفي النطاق الساحلي الأطلسي . وفي وسط القرن العشرين ظلت هذه المناطق أكثر مناطق الولايات المتحدة سكاناً ، ولكن كان السكان يتكاثرون في الوسط وفي الغرب بسرعة أكبر .

و يميز الزحف نحو الغرب الاستيطان الأمير كي منذ (١٧٠) عاماً ، ذاك أن ملايين المهاجرين تحولوا إلى رواد بفضل تمديد الخطوط الحديدية ، فاستغلوا وأحيوا مساحات شاسعة في الغرب الأوسط ، أي منطقة البحيرات الكبرى والميسيسيي ، والغرب البعيد Far West وحتى الجبال والنطاق الباسفيكي (شكل ٩) .



تزايد الاستيطان في الولايات المتحدة بين ١٨٥٠ إلى ١٩٥٠ - ٢٨٥ _

المدن الكبرى

يجنح عدد سكان المدن هنا نحو التفوق على عدد سكان الريف المذين لا يشكلون حالياً أكثر من ٨٪ من المجموع ، أو (٢٠) مليون ، ولكن كل مزارع أمريكي ينتج من الغذاء ما يكفي لأربعين شخصاً .

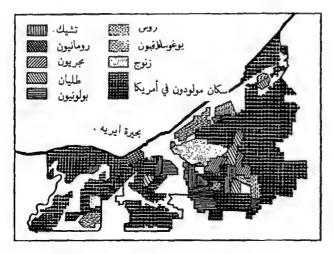
أما في المناطق الصناعية الكبرى أو مناطق التجارة الناشطة وخاصة حول البحيرات الكبرى ووادي السان لوران وفي النطاق الأطلسي وحتى على الساحل الباسفيكي فإن سكان المدن يتجاوزون ثلاثة أرباع مجموع السكان .

ويجتمع في المدن التي يزيد تعداد سكانها عن (١٠٠٠٠) نسمة ، أكثر من ربع سكان الولايات المتحدة . ويبلغ عدد هذه المدن في الولايات المتحدة حالياً (١٧٠) . وأصبحت بعض هذه المدن عبارة عن تجمعات هائلة من البشر مثل نيويورك التي تضم أكثر من (١٦,٧) مليون نسمة ، أي ما يعادل سكان العراق ولبنان معاً ، في حين يزيد عدد سكان محافظة نيويورك عن (١٩,٥) مليون أي ما يزيد عن عدد سكان كل شبه جزيرة العرب .

وهناك (٢٠) مدينة تتجاوز المليون وأهمها شيكاغو وفيها (٢٠) ملايين نسبة ، وفيلادلفيا ٢,٥ ملايين وديترويت ٤,٧ ولوس انجلوس ويسكنها (١٠,٤) ملايين ، كيفلند ٣ ملايين (شكل ١٠) وسانت لويس ٢,٤ وبيتسبورغ ٣,٣ إلخ ، وتضم جميعاً أكثر من (٦٠) مليون أميركي وحوالي (٣٠) مدينة يـزيـد عدد سكان كل منها عن نصف مليون .

وكثير من هذه المدن لم تكن قبل قرن مضى أكثر من مدن صغيرة أو لم تكن قائمة أبداً . ففي ١٨٣٠ لم تكن شيكاغو تضم أكثر من بضعة بيوت ولكنها تجاوزت (١٠٠٠٠) عام ١٨٦٠ ، ووصلت إلى المليون عام ١٨٩٠ وإلى المليونين في ١٩١٠ ،

وتضم الآن مع ضواحيها أكثر من (٧) ملايين . لذلك يطلق الأميركان على مثل هذه المدن اسم المدن الفطور Villes Champignons أي تنمو بسرعة كنبات الفطور أو « عش الغراب » .



الشكل ١٠

مدينة كليفلند واستيطانها

وتقدم المدن الأميركية غوذج المدن الحديثة بشوارعها المتقاطعة بزوايا قائمة وبأحياء البساتين « غاردن سيتي » الواسعة على أطرافها وخاصة في أواسطها ، وبناطحات السحاب Skyline فيها ، وهي عبارة عن خلايا هائلة من المكاتب ، وهي مدن حقيقية باتجاه الأعلى ، حيث يعيش بين الساعة ٩ والساعة ١٨ في كل منها عدد يتراوح بين (١٥ ـ ٢٠) ألف نسمة ، ولكنها لاتحوي سوى الحرس ليلاً . وأضخم هذه الناطحات هي عمارة امبايرستايت في نيويورك ، التي تضم ليلاً . وأضخم هذه الناطحات هي عمارة امبايرستايت في نيويورك ، التي تضم من برج إيفل ، ويستعمل سكانها (٦٢) مصعداً كهربائياً تساعد على المواصلات الداخلية فيها والصعود إلى السطوح وإلى الحدائق المعلقة والمطاع ومشارب الشاي في الطوابق العليا .

كا تكون ناطحة السحاب عبارة عن مدينة تحت الأرض لأنها تحوي عدة طوابق تحت الأرض ، تضم المكائن ومواقد التدفئة المركزية والقاعات الفسيحة ،

التي تحتلها الخازن الحاوية على كل السلع والبضائع . وقد بدأ ظهور ناطحات السحاب في نيويورك الحصورة في جزيرة مانهاتان ، وحيث كان المكان ضيقاً فبحث الناس عن المكان باتجاه الأعلى . ولكن تتتع كل المدن الأميركية الآن بأرض فسيحة ومع هذا تملك عدداً من ناطحات السحاب .

أسلوب الحياة الاميركية

تدهش الحياة الأميركية الغريب نظراً لعصريتها والاستعال المنهاجي للأدوات والآلات الميكانيكية والأتوماتيكية ، ولتطبيق أحدث الخترعات فيها على نطاق واسع . فالبساطة العملية في كل تفاصيل الحياة اليومية والعلاقة المباشرة في المعاملات العامة تثير عجب القادم من أقطار العالم القديم . وهكذا لا يضطر الإنسان للانتظار الطويل أمام كوات المراجعة التي يقبع خلفها موظفون مرهقون . ويكفي للركوب في القطار الأرضي أن يدس الإنسان قطعة معدنية سبق له أن اشتراها في فتحة صغيرة كي تفتح له الأبواب التي قد لا يجد خلفها أي موظف .

ويبلغ متوسط المعيشة في أميركا مستوى لاتزال تجهله معظم المجتمات الأوروبية ، بل سكان العالم الثالث مما يسمح بالحصول على أجور مرتفعة ، والاستفادة من القروض بشكل ميسور وعلى نطاق واسع فالأميري المتوسط ، والعامل أو المستخدم في المكاتب ، يسكن في بيت صغير خشبي مطلي بلون أبيض وتتقدمه حديقة ومرج أخضر رائع ، يبتعد نوعاً ما عن المدينة المزدحمة أو Downtown ، ويعيش في بيته الحاوي على الرفاهية كإنسان ميسور . فهو يعتني بقص مرجه الأخضر ، وينظم بيته ويتابع برامج التلفزيون ، كا تستخدم زوجته عدداً لا يكاد يحص من أجهزة المطبخ الكهربائية وغير الكهربائية .

ويملك الشعب الأميركي ، الذي يشعر جيداً بوضعه المادي المتاز بين شعوب

العالم ، ثقة مطلقة تلامس الغرور في التقدم الذي يخفف متاعب الإنسان ، كا يعمد إلى زيادة إنتاجيته مثلها يعمد إلى رفع مستوى رفاهيته فنجده يتصدى لأعقد مشاكل عصرنا بثقة لاتعرف التردد .

ويظهر استخدام الطاقة الذرية للرأي العام الأميركي بالنهاية كأداة للتقدم شأنه شأن استعمال المكائن الألكترونية تماماً .

ولكن هذا لا يجب أن يخفي عنا وجود طبقات فقيرة بائسة ، مثل البيض الفقراء وغالبية الزنوج وذلك لسوء توزيع الثروات . وشدة غرور أمريكا التي تنتج (٣٠٪) من الإنتاج الصناعي العالمي ، يجعلها تشعر بأنها المسؤولة عن شؤون الدول الأخرى ، فراحت تتخذ لنفسها وظيفة الشرطي العالمي وتتدخل في قضايا الدول الأخرى ، وتشن الحروب على بعض الشعوب المستضعفة ، مثل كوريا وفيتنام ، مما أثار سخط شعوب العالم والمواطن الأميركي العادي نفسه .

المواصلات

تبلغ المسافة بين نيويورك وسان فرنسيسكو (٥٠٠٠) كم ، فضلاً عن ضرورة اجتياز جبال الأبالاش ، لاسيا سلاسل جبال وهضاب الغرب ، كي يكن الوصول إلى الباسفيكي . وهكذا ندرك أهمية وجود وسائل هامة لتأمين المواصلات والصعوبات الضخمة التي تعرض لها الأميركان خلال فترة بناء هذه الخطوط . غير أن السفر في الولايات المتحدة يعتبر أسهل ما يكون بالعالم بفضل تأمين شروط الرفاهية ووجود أسرع القاطرات .

آ ـ شبكة الملاحة الداخلية : تضم شبكة الملاحة الداخلية طريقين رئيسيين :

أولاً : من الشرق للغرب : وهي شبكة السان لـوران والبحيرات الكبرى ،

التي تؤلف أهم طريق ملاحي بالعالم ؛ إذ تصعد السفن البحرية فيه حتى مدينة مونتريال الواقعة على مسافة (١٠٠٠) كم في داخل القارة . وبين المدينة المذكورة وصدر البحيرة العليا يتجوّل أسطول من البواخر ، تزيد حمولته عن مجموع الأسطول الفرنسي التجاري . ويبلغ وزن البضائع المنقولة على البحيرات الكبرى أكثر من (١٥٠) مليون طن بالسنة ، أي تقارب حركة الملاحة على كل من قناتي السويس وبناما ، بالرغ من أن الجمد الشتوي يحول دون المواصلات فوقها مدة خسة شهور كاملة . وإلى هذه الشبكة يجب أن نضيف نهر الهدسن وقناة إيريه ، اللذين يصلان بين نيويورك والبحيرات الكبرى ، وتتراوح حمولة السفن التي تعمل في الشبكة الداخلية بين (٥٠٠ و ٣٠٠٠) طن وتسير على شكل قوافل عدد كل منها (١٢) تدفع من الخلف بواسطة towboats تزيد قوته عن ٣٠٠٠٠

ثانياً: من الشال للجنوب: أي فوق نهر المسيسي الذي هو نهر سهلي ويصلح للملاحة حتى مدينة اورليئان الجديدة . ويرتبط بشبكة البحيرات الكبرى بفضل رافديه ايللينوا ونهر أوهيو وثلاث أقنية . وهنا تكون الملاحة محدودة بفعل منافسة الخطوط الحديدية ، فضلاً عن أن اتجاه النهر يعاكس اتجاه تيارات المواصلات الكبرى الداخلية المتجهة من الشرق للغرب ، فبينا يبلغ وزن النقليات على نهر الأوهيو (٢٥) مليون طن ، نلاحظ أن كل البضائع المنقولة فوق نهر المسيسيي لا تزيد عن (١٠) ملايين من الأطنان .

ب ـ الخطوط الحديدية العابرة للقارة :

يعود فضل فتح ولايات الغرب وأوائل المواصلات العابرة للقارة إلى الخط الحديدي . فقد سبق الخط الحديدي أحياناً الاستيطان البشري ، وسمح بفتح « الغرب البعيد » . ومنذ ١٨٦٩ أمكن ربط نيويورك بسان فرنسيسكو ، وبعد قليل تم مدّ أربعة خطوط عابرة للقارة في الولايات المتحدة . وهناك خطوط

حديدية هامة تؤمن الربط بين الشال والجنوب ، وبذلك تؤلف شبكة الخطوط الحديدية الأميركية شبكة واسعة متصالبة يبلغ طولها (٣٤٥٠٠٠) كم ، أي أكثر طولاً من مجموع الشبكة الحديدية الأوروبية أو ثلث الشبكة العالمية . وتستعمل معظم قطارات الديزل أو المكهربة ذات السرعة الوسيطة (١٥٠) كم / ساعة وتدعى Aerotrain .

جـ ـ السيارات:

تتعرض الخطوط الحديدية اليوم لمنافسة السيارات والطائرات . وكل عائلة في أميركا تقريباً تملك سيارتها ويبلغ مجموع السيارات في الولايات المتحدة أكثر من (١٠٧) مليوناً أو سيارة لكل ثلاثة أشخاص ، أو سبعين بالمئة من سيارات العالم ، تتجول فوق شبكة الطرق المعبدة التي يزيد طولها عن (٦,١) ملايين كم ، أو (١٣٠) مرة طول محيط الأرض عند خط الاستواء ، وأصبحت السيارة هناك من ضرورات الحياة العادية في المدينة أو في الريف .

وهناك شبكة من الطرق الجوية فضلاً عن وسائط المواصلات الآنفة الذكر . ففي خلال (٦) ساعات فقط يقطع المسافر المسافة الفاصلة بين نيويورك وسان فرنسيسكو . كا تملك الولايات المتحدة أكبر أسطول جوي تجاري يؤمن المواصلات على ثلاثة اتجاهات رئيسية هي :

١ ـ مع الشرق عن طريق أوروبا وآسيا .

٢ ـ مع الشرق الأقصى عن طريق آلاسكا ، أو بواسطة الباسفيكي (هاوائي) .

٣ ـ مع أمريكا الجنوبية نحو ريودوجانيرو وبونس آيرس أو نحو باناما أو نحو ليا وسنتياغو في الشيلي .

هذا ويتزايد استعمال الطائرة أكثر فأكثر . فالخطوط الجوية تنقل عدداً من

الركاب يعادل ضعف ركاب الخطوط الحديدية أو أكثر . كا أن المؤسسات الصناعية والتجارية والزراعية تملك أسطولاً جوياً أكبر من عدد الطائرات العاملة على الخطوط المنتظمة . والواقع نلاحظ في المطارات الأميركية حركة كثيفة لا تعرفها مطارات أوروبا .

إن مواصلات كهذه تنقل كتلة من البضائع هائلة وجماهير من الركاب كبيرة ، وتكون مصحوبة باستخدام عام لكل وسائل الاتصال الحديثة (كالهاتف والتلفراف والإذاعة والتلفزيون والسينما) . كا تساهم في توزيع « طريقة الحياة الأميركية » في كل مكان وتمنح الولايات المتحدة طابع انسجام وتجانس يدهش الأوروبي ، كا يدخل الذهول في نفس القادم من أقطار العالم الثالث .

المناطق الطبيعية:

آ ـ المنطقة الأطلسية الشمالية :

وهي منطقة جبلية قاسية . فهنا نجد جبال الأبالاش التي تعرض باتجاه الجنوب الغربي ، وحيث تحتوي على خطوط ذرى متوازية يتراوح ارتفاعها بين (١٥٠٠ و ٢٠٠٠) م ، ويطيف بها من ناحية الحيط الأطلسي هضبة بيبونت Piemont وسهل ساحلي يضيق باتجاه الشال الشرقي ، وهنا تهين جبال الأبالاش على وادي نهر السان لوران ، الواقع إلى الغرب منها وتشرف شرقاً على الحيط مباشرة . كا أن الطيات الأبالاشية ترسم هنا حركة انعطاف حول جبال آديروندايك ، التي هي عبارة عن كتلة متقدمة من الجن الكندي بجنوب نهر لوران . وفي هذه المنطقة تنفتح المرات الرئيسية عبر هذه السلسلة التي وسعها حت الأنهار والجوديات الرباعية ، مثل وادي كونكتيكوت ووادي هدسن الذي يتمدد شالاً بحفرة شامبلان ، وفي الغرب بواسطة وادي موهاوك المؤدي لبحيرة إيريه .

وسواء أكان الساحل يلامس الجبل أو السهل ، فإنه يبدو ساحلاً شديد التقطيع ، تنفتح فيه مصبات خليجية عميقة (مثل وادي هدسن) التي تصبح ، عبر السهل الساحلي ، عبارة عن خلجان طويلة متشعبة مثل خليج ديلاور ، وخليج شيزاييك الذي لا يقل طوله عن (٣٠٠) كم وتؤلف بذلك مواقع رائعة لقيام الموانئ المتازة .

وهي منطقة قاسية من ناحية مناخها الشديد البرودة بالشتاء ، والمصحوب بعواصف ثلجية مفاجئة وعنيفة ، وحار جداً صيفاً حيث تسود أحياناً ، وخاصة على الساحل ، حرارة رطبة شبه مدارية . وتكثر بالمنطقة الغابات المؤلفة من مخروطيات بالشمال الشرقي ، ومن أشجار بلوط وكستناء وحور بالجنوب الغربي ، وتقطعها البحيرات والأنهار وحيث لم تستطع الزراعة أن تحتل الأراضي المتوسطة الخصوبة إلا بصعوبة كبرى .

ولكن سواحل المنطقة هذه كانت أقرب المناطق في أمريكا إلى أوروبا ، وهنا نزل في عام ١٦٢٠ أوائل المعمّرين . وهنا استقرت وتشبثت أول « جمعية من المتطهرين » ، التي استطاعت بفضل روحها التقيّة والعملية ، وبفضل قوة إرادتها وتعشقها للحرية أن تمنح العبقرية الأميركية بعض صفاتها الثينة وأكثرها خصبا . إذ وجب الأمر وجود عرق من الرجال الأقوياء والشديدي التنظيم ، للتغلب على المصاعب واستغلال الموارد ولجعل تلك المنطقة من العالم بؤرة حضارية حقيقية في القرن العشرين . وهكذا تؤلف هذه المنطقة المجال الرئيسي الحضري والصناعي والتجارى في الولايات المتحدة .

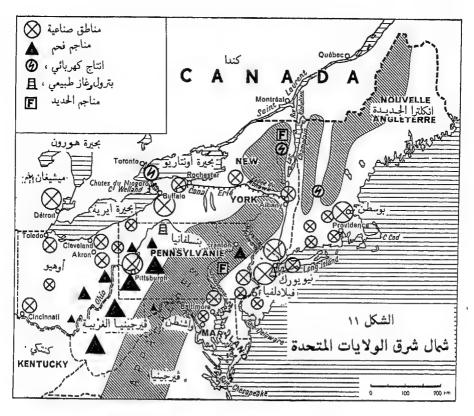
موارد المنطقة: تبدو موارد المنطقة المذكورة متعددة. فمنذ قرن مض أخذ الريف يفقد سكانه تدريجياً لفائدة المدن الساحلية. وترك الناس زراعة الحبوب التي هاجرت نحو الجنوب ونحو السهول الغربية فتخصصت المنطقة في تربية الماشية الكبيرة لإنتاج الألبان كا اهتمت بزراعة البستنة (الخضار).

وإذا كانت الأرض هنا قليلة الخصب فإن البحر الجاور الذي تختلط فيه مياه تيار الخليج وتيار لابرادور ، يحتوي على ثروات لا ينضب معينها : كالأسماك الطرية ، وسمك المورو والرنجه والحار . كا تقدم الخلجان ومصبات الأنهار ملاجئ ممتازة بالنسبة للملاحة . وقد نتجت ثروة نيويورك وفيلادلفيا وبوسطن من التجارة البحرية ، ولازالت هذه الموانئ اليوم أكبر موانئ الولايات المتحدة . وتؤلف الوديان عبر جبال الأبالاش مروحة من طرق مؤدية إلى بلاد الغرب . وهكذا أصبحت تلك الواجهة الأطلسية باب دخول للبلاد والمنفذ الجوهري لحاصلات المناطق الوسطى .

وأضيفت إلى موارد التجارة هنا موارد الصناعة بفضل الرساميل المتكدسة بواسطة التجارة البحرية ، وبفضل موارد الغابات والقوة الحركة لأنهار الجبل أو خط الشلالات Fall Line ، وبفضل حوض فحم الانتراسيت قرب سكرانتون في قلب الأبالاش ، وحوض الفحم البيتوميني الواقع على الطرف الآخر من الجبل ، وقامت هنا الصناعات التحويلية المتنوعة جداً ، والمشهورة بجودة صناعتها مثل صناعات نسيج القطن والصوف والحرير ، ومصانع الألبسة والأحذية ، ومعامل قاطرات الخطوط الحديدية وشاحناتها ، وترسانات بناء السفن ، ومختلف الصناعات الميكانيكية وماكينات النسيج وآلات الكتابة والحساب وأجهزة التصوير والراديو والتلفزيون والأسلحة والساعات الخ ..

وتتصف هذه المنطقة بكثافة سكانها نظراً لأنها كانت أول منطقة أميركية تطؤها أقدام غالبية المهاجرين الأوروبيين . فهي تحوي أشد الكثافات البشرية في أمريكا . ويبدو أنها لا تمثل سوى رأساً متقدماً باتجاه الشرق ، تزيد مساحته قليلاً عن (٤٠٠٠٠٠) كم مربع أو (٢٪) من مساحة البلاد ، ولكن يتركز فيه (٦٠) مليون من السكان أو حوالي ربع سكان الولايات المتحدة الذين بلغ عددهم ٢١٨٠٤ مليون في ١٩٧٧ ويقاربون حالياً ٢٣٢ مليوناً .

وتشتد الكثافات فوق مناجم فحم الأبالاش ، وفي المنخفض المؤلف من وادي الموهاوك حتى بحيرة إيريه ، فنجد مدناً هامة مثل ، اوتيكا ، روشستر المليون ، سيراكوزه ٢٥٠٠٠٠ نسمة ، وعلى طول الساحل الممتد بين واشنطن ملايين نسمة ومدينة بورتلاند (١ مليون) (ولاية ماين) . وكل هذه المدن المذكورة ، عدا واشنطن ، التي هي عاصمة سياسية واقعة على التخم الفاصل بين الشمال والجنوب ، يقارب سكانها المليون ، هي عبارة عن موانئ ومراكز صناعية وتجارية من الدرجة الأولى ، وخاصة بالتيور ٢,٢ ملايين وفيلادلفيا وعدد سكانها (٥,٦) ملايين ، بوسطن ٣,٦ ملايين ونيويورك ١٦,٧ مليون نسمة (شكل ١١) .



ولا نجد بالعالم مدينة كثل المدينة الأخيرة تطورت بسرعة واحتلت مكانة رفيعة في شتى الميادين . وتقع في صدر خليج فسيح وتبعد عن عرض البحر حوالي (٣٥) كم ، أي في موقع رائع عند مخرج وادي الهدسن حيث تهين وتشرف على أهم طريق يوصل إلى السان لوران والبحيرات الكبرى . وتلعب دور عاصمة في كل المجالات باستثناء الوظيفة السياسية .

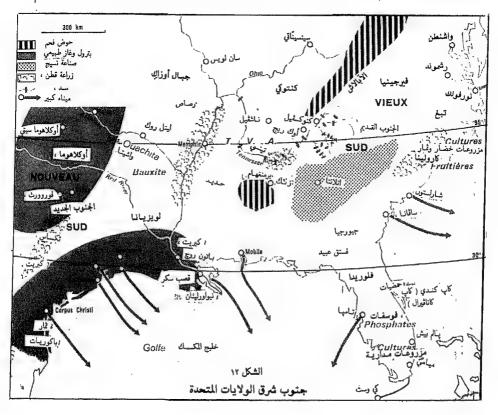
فهي عاصمة اقتصادية من حيث كثافة طرقها البرية والحديدية والنهرية والخطوط الجوية التي تتلاقى فيها ، وبمينائها الذي يعتبر بحق أهم ميناء بالعالم (حوالي ١٦٣ مليون طن بضائع بالسنة و ٣٣ مليون طن من مشتقات النفط وتدخلها سنوياً أكثر من ١٠٠٠ باخرة) . والذي انتزع من لندن وظيفتها السابقة ، بحسبانه أول عنبر للبضائع . وهي عاصمة صناعية بفضل معامل الصناعات الحديدية والكياوية والنسيجية والغذائية ، وبمصانعها المتنوعة النشاط جداً . وهي عاصمة ثقافية بجامعاتها إذ فيها أكبر جامعتين في أمريكا . وبمتاحفها ، ومكتباتها ومسارحها ودور السينها . وهي تطمح أن تكون عاصمة العالم ، لاسيا بعد أن آوت إليها منظمة هيئة الأمم المتحدة .

وفي ١٨٥٠ كان عدد سكانها نصف مليون نسبة ، وبعد قرن واحد بلغ (٧,٥) ملايين ، كا أنها أصبحت تضم مع ضواحيها في العام نفسه (١٢) مليوناً . وقد قامت بالبدء عام ١٦٢٩ فوق جزيرة مانهاتان ، التي أصبحت اليوم بؤرة ناطحات السحاب وحي الأعمال ، ثم أخذت أحياؤها الصناعية وأحياء السكن فيها تتدد حسب خطوط المترو الهوائي والأرضي وبفضل الجسور وعددها (٧) والأنفاق وعددها (١٧) ، ولاسيا التي تمر من تحت ومن فوق نهر الهدسن وإيست ريفر ، والتي يزيد طول بعضها أحياناً عن الكيلو مترين وبفضل السفن والسفن الناقلة للقطارات إلى أن أصبحت مع أحيائها تشغل رقعة تعادل ثلث لبنان .

ب ـ الجنوب:

وتكون تضاريسه متنوعة لأنه ليس عبارة عن سهل منسجم . ويؤلف وادي الميسيسيي اللحقي محوره ، والذي يبلغ عرضه (١٠٠) كم ، والذي تجري فيه الروافد الموازية للنهر المذكور مسافة طويلة قبل أن تصب فيه ، وذلك في تيه من العصائب الجانبية والمنخفضات والبحيرات والمستنقعات . وفي شماله تنتصب تلال الأوزارك وسلسلة الأبالاش (شكل ١٢) .

وفي الشرق تنخفض هذه السلسلة باتجاه السهل الساحلي ، على شكل هضبة تدعى هضبة البيدمونت ، والتي تجتازها الأنهار الغنية بالمساقط المائية (وتسمى المنطقة خط الشلالات) على شكل وديان عيقة . وأخيراً على الخاصرة الجنوبية الشرقية من السهل نجد شبه جزيرة مؤلفة من صخور كلسية ملتصقة بجسم



الجنوب، وهي ذات أرض متشققة حيث تظهر فيها الأغشية المائية الكارستيه على شكل بحيرات في المناطق المنخفضة. وعلى الساحل الشرقي المعرّض لموجات الأطلسي العاتية، نجد جبالاً ساحلية تضم خلفها لاغونات متطاولة (بحيرات ساحلية مالحة المياه) ورصيف من المرجانيات عدد شبه الجزيرة المذكورة بمقدار (١٥٠) كم باتجاه كوبا.

وتزيد حرارة المناخ تدريجياً باتجاه الجنوب ولكن موجات البرد الشتوية تؤدي لتخفيض ميزان الحرارة فجأة ، ولا ينجو من الصقيع سوى شبه جزيرة فلوريدا . وتسود الرطوبة الثقيلة في كل مكان هنا وتضفي أمطار الربيع والصيف على هذه المنطقة طابعاً شبه مداري .

وقد استطاعت طبقة ارستوقراطية بيضاء مؤلفة من كبار المزارعين ، والتي كانت تستخدم الزنوج الرقبق أن تهين مدة طويلة على الجنوب . ولكن بعد إلغاء الرق وحرب الانفصال ١٨٦٠ ـ ١٨٦٠ ، تجزأت المزارع وأصبح الزنوج عمالاً زراعيين أو ملاكين صغار . ويبلغ عددهم اليوم أكثر من ٢٣ مليون ويمثلون ٣٠ وحتى ١٠ بالمئة من مجموع السكان في بعض المناطق ، وتعتبر المشكلة الزنجية «صداع » الولايات المتحدة ، ولا يعرف الزنوج طريقة للتخلص من هذا التمييز ، اللهم إلا إذا حدث تطور في العقلية يقبل التهجين ، أما لجوؤهم إلى الملاكة أو إلى الموسيقى الجاز فلا يسمح لهم بالانعتاق من عقدتهم النفسية ومعاناتهم لمركب الحطة .

لقد كان عنده ابن يحبه حباً جماً . غير أن هذا الولد لم يلبث أن توفى ، فقرر أن يذهب به ليدفن هذا الجسم الصغير في الشال ، حيث تكون النزاعات العرقية أخف حدّة : « بينما كنما نحمله إلى المحطة كان الرجال والنساء يتزاحمون بالمناكب ، شاحبي الوجوه ، في قلب المدينة الصاخب ، وكانوا يلقون علينا نظرة عجلى قائلين : « إنهم زنوج ... وفي خلال كل الوقت الذي أعقب ذلك ، كان قلبي ممتلئاً بفرح شنيع . لاتلوموني ... فقد كانت نفسي لاتنفك تهمس قائلة لي : إنه لم يمت ، نعم ، إنه لم يمت ، نعم ، إنه لم يمت ، ولكنه نجا ... لم يعد مكبّلاً ، بل أصبح حراً طليقاً »

(أدوين امبري Against the odds) .

وقد ظل الجنوب مدة طويلة زراعياً بالدرجة الأولى ، فكان يقدم الحاصلات المدارية قبل كل شيء . وغيز ابتداء من الشال أربع مناطق متتابعة :

أولاً - نطاق التبغ : ويقع رأساً جنوب نطاق الذرة ولكن إلى الشرق من نهر الميسيسيي فقط في ولايات كنتوكي ، وتينيسي ، ولاسيا ماريلاند وفيرجينيا . ويكون الإنتاج كبيراً لدرجة يعادل ٢٠ مرة إنتاج فرنسا من التبغ ، وتصدر الولايات المتحدة نصف محصولها على شكل تبغ أو سكائر .

ثانياً - نطاق القطن : و يتد من كارولينا ومن جورجيا حتى التكساس ، حتى أصبحت الولايات المتحدة بفضله أكبر منتج بالعالم . ولما كان مجال القطن يتسع تدريجياً نحو أراض يتزايد جفافها فقد اكتسب صفة مقاومة الحشرات والطفيليات ، ولكن مردوده ونوعيته في تناقص . وهكذا تنتج الولايات المتحدة أليافاً من النوع المتوسط تقع بين الأنواع المصرية المتازة والأصناف الهندية الرديئة . وهناك عوائق عديدة تضر بالإنتاج مثل تعرض المحصول للحشرات وقلة الأمطار التي قد تخفض المحصول إلى النصف ، والأسعار العالمية التي قد تتفاوت بنسبة ٣ إلى ١ وهكذا أدت زراعة القطن الوحيدة في الجنوب إلى بؤس كا أوجدت غنى . ومنذ ١٩٣٠ تناقصت المساحات المزروعة قطناً بنسبة ٥٣٪ لفائدة زراعة فستق العبيد وزراعات الخضار ومزارع الخوخ والمشمش . ولكن لا تزال الولايات المتحدة تنتج أكثر من ٤٠٪ من قطن العالم أو ٢٠٠ مليون طن من الألياف و ٢٠٥ مليون طن من الألياف و ٢٠٥ مليون طن من بذرة القطن كا لا تزال أكبر دولة مصدرة له .

ثالثاً ـ وعلى حافة ساحل خليج المكسيك تمتد حقول الرز ، ٥,٢ ملايين طن وقصب السكر .

رابعاً ـ فلوريدا وتمتلك مزارع واسعة للأناناس ، فضلاً عن حقول واسعة شاسعة تنتج مقادير هائلة من الخضيات (الموالح في مصر والقوارص في تونس) ، وخاصة الليون والبرتقال والكريفون .

هذا وتجتاح غابات الصنوبر كل منطقة الجنوب الواقعة إلى الشرق من الميسيسيي . وبعد أن تفصد الشجرة كي تعطي الراتنج إلى أن تموت ، يقطعها الحطابون والعاملون في نشر الأخشاب . وهذه الصناعة تؤدي إلى استنزاف الغابات بسرعة ، حيث يستخرج منها الراتنج الذي يقطر ليعطي روح التربنتين .

الصناعة بالجنوب: لقد انتبه صناعيو الشال إلى الفائدة الكامنة والتي عكن استخدامها بالجنوب نفسه ، وخاصة الموارد الأولية فضلاً عن اليد العاملة الزنجية الرخيصة . وهكذا قفز الإنتاج الصناعي قفزات جبارة منذ نهاية القرن الماضي في هذه المنطقة . ففي أسفل هضبة البيدمونت تستثر مساقط المياه من أجل غزل ونسج القطن ، وهكذا أصبحت أتلانتا عاصة هذه الصناعة المبعثرة على شكل معامل صغيرة ومتوسطة ، ابتداء من كارولينا حتى آلاباما . وفوق مناجم الحديد والفحم المتقاربة عند النهاية الجنوبية لجبال الأبالاش ولدت مدينة هامة تعدينية اتخذت الم بيرمنغهام ، ١٠٠٠٠٠ ، نسبة وهو اسم شقيقتها البريطانية الكبرى . أما على ساحل الخليج فقد تضاعف عدد الترسانات البحرية . هذا كا يستخرج من فلوريدا أكبر كية من الفوسفات بالعالم ، كا يستثر الكبريت من لويزيانا وفي التكساس والبوكسيت من جبال اوزارك ومن الأبالاش الجنوبية .

أما في غرب الميسيبي ، من الكنساس إلى خليج المكسيك ، فقد أدى البترول إلى جذب عنيف للسكان يماثل ماأحدثه الذهب بالماضي ، فقامت مدن جديدة مثل تولزا ، وهي المقر العام للشركات البترولية والتي تضم حالياً أكثر من ٥٠٠٠٠٠ نسمة ، في حين لم يكن بها أحد عام ١٩٠٠ ، ومدينة أوكلاهوما سيتي وفيها ٧٥٠٠٠٠ نسمة وقد تزايد سكانها أكثر من ٣٥ مرة منذ مطلع القرن الحالي . ففي عام ١٩٠٠ اكتشفت طبقة من البترول على عمق ٢٠٠٠ متر تحت المدينة ، وبعد قليل أصبحت أرض المدينة مثل الغربال ، وحتى في أواسط أعرض الشوارع

المؤدية إلى قلب المدينة . وهكذا كانت البلدة تحتوي عام ١٩٥٠ (١٣٠٠) بئر مع أبراجها المعدنية . ويرسل البترول للمصافي الجبارة على الساحل . ولكن القسم الأعظم يرسل بواسطة الأنابيب إلى الولايات في الشال الشرقي . وهكذا يقدم الجنوب ٢٠٪ من إنتاج البترول في البلاد .

وقد أعطت تجارة القطن لهذه المنطقة فعالية بحرية كبرى في حين انحطت موانئ الساحل الأطلسي ، مثل شارلستون وسافاناه . بيد أن موانئ الخليج الأحسن تجهيزاً تعتمد على موارد وفيرة للتصدير ، وهكذا أصبحت تامبا ميناء الفوسفات ، موبيل : ميناء القطن ، وأصبحت هوستون ٢ مليون نسمة والتي تبعد عن البحر بمسافة ٨٠ كم وميناؤها غالفستون مهتتين بتصدير القطن والكبريت ولاسيا البترول نحو نيويورك وفيلادلفيا . لكن مدينة نيوأورليئان تظل العاصة السياسية والاقتصادية للجنوب وفيها ٥,١ مليون نسمة . وينافس سوق القطن فيها سوق نيويورك أو ليفربول . أما ميناؤها الذي يبعد مسافة ١٧٠ كم عن البحر فيصدر القطن والحبوب والبترول ويستورد السكر والبذور الزيتية والقهوة والنترات .

وقد اختار الأميركيون الأثرياء منذ ١٩٢٥ فلوريدا كبلد سياحة شتوية ، وبذلك نالت كلّ من ميامي ٢,٣ مليون نسبة وبالم بيش شهرة عالمية . وقد تمكن مهندس أميركي أن يصل بين الجزر المرجانية المتناثرة باتجاه كوبا ، بواسطة جسور من الإسمنت المسلح فوق طريق (فريد من نوعه بالعالم من حيث تقدمه في البحر) حتى جزيرة كي وست وهي ميناء يتجه نحو كوبا وميناء صيد إسفنج وسلاحف وقاعدة بحرية بمثابة قاعدة جبل طارق .

ج ـ منطقة الميدل وست:

ينحصر سهل الميدل وست بين نهري ميسوري وأوهيو على شكل هلال واسع حول البحيرات الكبرى .

فقد تركت الجوديات الرباعية فيها سلاسل تلال من المورينات ، كا حفرت وعمقت فيها حوضات البحيرات الكبرى ، وبذلك أوجدت على حافتها جروف الضلوع الكلسية (الجالات) التي يجتازها مصرفا البحيرة العليا وبحيرة إيريه ، على شكل شلالين هما سولت سانت ماري وشلالات نياغارا . ويكون المناح هنا عسيراً ، شديد البرد بالشتاء ، وحاراً جداً بالصيف ولكنه يتلطف بجوار البحيرات الكبرى التي تلعب دوراً معدلاً وكأنها بحر صغير داخلي . وكانت غابة الخروطيات في الشال وذوات الأوراق بالجنوب تستركل هذه المنطقة الجديدة التي نهضت منذ أواسط القرن الماضي نهضة جبارة بفضل استصلاح الطرق المائية ومد الخطوط الحديدية . ويعتبر الميدل وست أكبر منطقة زراعية بالاتحاد . وينقسم إلى ثلاثة نطاقات متيزة بوضوح :

أ ـ نجد حول البحيرات الكبرى نطاق الشوفان والعلف المزروع الخصص لتربية الماشية بشكل كثيف ، سواء من أجل الذبح أو من أجل إنتاج الحليب والزيدة والجبن .

ب ـ وإلى الجنوب من ذلك أي بين ذراعي الميسوري والأوهيو عتد نطاق الذرة حيث يكون الصيف حاراً ورطباً . وبعد أن يتم قطاف عرانيس الذرة في تشرين الأول والثاني يعمد المربون إلى إدخال أبقارهم كي ترعى سوق الذرة . وتستخدم حبوب الذرة لتسمين الخنازير . وهنا تتزايد زراعة الصويا تدريجياً .

جـ أما القمح فقد هاجر نحو المناطق الغربية الأكثر جفافاً، وهنا نجد نطاق القمح الذي ينقسم إلى شطرين: شطر شالي (أي داكوتا الشالية والجنوبية)، حيث يكون الشتاء قارساً جداً فلا يسمح إلا بزراعة القمح الربيعي، وشطر جنوبي (كانساس وأوكلاهوما)، حيث يكن زراعة القمح الشتوي، وهنا يأتي المزارعون بقمحهم إلى الصوامع (سيلو) وهي مخازن شيدتها شركات الخطوط الحديدية أو مؤسسات تجارية قرب الحطات.

الصناعة في الميدل وست: يعتبر الميدل وست منطقة صناعية من الطراز الأول. وإذا كان بترول المنطقة قد نضب معينه فإن المعامل الكهربائية المقامة بجوار نياغارا وعلى نهر المسسيبي الأعلى تقدم الكهرباء الوفيرة . كا أن هضاب السفح الغربي لجبال الأبالاش تملك مكن فحم واسع يتدعلى مسافة (٣٠٠) كم ، أي من بنسلفانيا حتى آلاباما . وهنا تجد طبقات سميكة تتراوح بين متر ونصف و (٣) أمتار ، ومنتظمة تتتابع بلا صدع على مسافة تتراوح بين (٨٠ وحتى ١٠٠) كم . و يكن استغلال هذه الطبقات بسهولة من سفوح الوديان التي يكفي حفر أنفاق مائلة نحو الخارج فيها لتسهيل تصريف المياه وتفريغ الفحم وتتم عمليات الاقتلاع ميكانيكياً والنقل كهربائياً ، وهكذا يتم إنزال الفحم مباشرة من فوهة المنجم إلى الباخرة النهرية أو إلى عربات القطار . وبذلك يكون مردود عامل المنجم في أمريكا أعلى مردود بالعالم فيتراوح بين (٥ أو ٦) طونات باليوم ، أي ما يعادل (٤) مرات مردود العامل البريطاني و (٥) مرات مردود العامل الفرنسي ، والإنتاج السنوي الذي يبلغ (٦٠٠) مليون طن وهي ثاني منتح بعد الصين يحتوي على كل أصناف الفحم الصناعي . أما في أحواض ايللينوا ، في الغرب ، فيتم الاستخراج من آبار قليلة العمق أو من مناجم مكشوفة ويبلغ حوالي (١٥٠) مليون طن بالسنة .

هذا كا تملك هذه المنطقة أهم مناجم الحديد بالعالم ، الواقعة في منطقة سلاسل من التلال على ضفاف البحيرة العليا . وهنا يستخرج نوع من الهياتيت ، يكاد يكون نقياً ، غني جداً بالمعدن إذ تعادل نسبة غناه (٦٠٪) في مدرجات واسعة مكشوفة تسير فوقها خطوط حديدية ، وتعمل هناك جرّافات جبارة من أجل تحميل العربات التي تهبط نحو الموانئ التي يعتبر ميناء دولوث أهمها .

أما الطريق الملاحي فوق البحيرات الكبرى فيسمح بنقل كثيف لفلزات الحديد نحو الفحم ، مما ساعد على نمو الصناعة التعدينية الثقيلة بجنوب

البحيرات ، وخاصة في بيتسبورغ (٢,٥) مليون نسمة الملقبة بعاصمة الفولاذ وفي بوفالو (١,٤) مليون نسمة وكليفلند (٢,٢) مليون وديترويت التي تسمى عاصمة السيارات بفضل معامل فورد وجنرال موتورز الضخمة ، ويزيد سكانها عن (٤) ملايين وغاري وشيكاغو وتضم ٧,٧ ملايين نسمة . هذا وتنتج الصناعات الميكانيكية إنتاجاً ضخاً من السيارات والطائرات في منطقة ديترويت وتجهيزات السكك الحديدية والمكائن الزراعية في شيكاغو وميلووكي وفيها مليون ونصف نسمة وسانت لويس ، التي تضم (٢٥٥٠٠٠) من السكان ، وتعتبر شيكاغو أهم مدينة في الميدل وست ، فإلى جوار أرصفة الميناء ، القائمة على ضفاف بحيرة ميشيغان والتي تستقبل الفحم والبترول والفلزات والأخشاب والحبوب ، تتعاقب معامل صهر الفولاذ ومصافي النفط والمطاحن ومعامل الورق . وشيكاغو هي أول عقدة للخطوط الحديدية وأهمها . فهي تقوم بوظيفة سوق كبير للحاصلات الزراعية وعاصة لحم (مجازر ومعامل معلبات) ، وبوظيفة مركز تجاري وصناعي متزايد الأهية .

هذا ويمتد معمل فورد في مدينة ديترويت على مساحة تزيد عن (٥٠٠) هذا ويمتخدم حوالي (٦٥٠٠) عاملاً . ويضم هذا المعمل أفراناً عالية ومصانع فولاذ وصفائح حديدية ومصاهر ومعامل زجاج ومركزاً كهربائياً فضلاً عن سلسلة من المعامل التي تنتج كل لوازم السيارة . وقد كانت هذه المؤسسة مدرسة لأنجع طرائق الإنتاج الصناعى .

أما الصناعات الكياوية فتصفي البترول وتصنع الأسمدة في كليفلند وشيكاغو ، والمطاط الطبيعي والاصطناعي في آكرون وكليفلند . هذا وتتوزخ الصناعات الغذائية في كل أنحاء الميدل وست ، وهكذا تعتبر سان بول وفيها (١,٥) مليون نسمة ومينابوليس وفيها أكثر من مليون عاصمتي الدقيق ، وكانساس سيتي وفيها مليون نسمة ، وسان لويس وسكانها أكثر من (٢,٥) مليون

وشيكاغو عاصمتي اللحم البقري ولحم الخنزير الناتج عن حيوانات تربى على مستوى الصناعة الكبيرة .

وأخيراً ليس هناك من مدينة كبيرة أو صغيرة إلا وتملك معملاً لإنتاج الأدوات الزراعية ، ومعمل قرميد ، ومصنع للسجاير ومطحنة ومعمل صابون الخ . .

هذا ويتصف الميدل وست بأنه منطقة ذات كثافة سكانية متوسطة ومدن كبرى لأنه يلعب ، بصفته عنبر الولايات المتحدة وبؤرة صناعية كبري ، دوراً عظيماً في الحياة الاقتصادية وفي الحياة السياسية أيضاً لأنه يصوَّت تارة لجانب الديموقراطيين وتارة لجانب الجهوريين فيؤدى لترجيح الميزان الانتخابي . وإذا كانت مساحة المنطقة تعادل (٢٠٪) من الولايات المتحدة ، فإن السكان يؤلفون (٣٣٪) من المجموع أي كثافة تعادل (٥٥) نسمة في الكيلو متر الربع . ولكن المنطقة جيدة العمران حتى في المناطق التي تتفوق فيها الفعالية الزراعية فنجد أن المدن قد اتخذت أهمية كبرى على ضفاف البحيرات وعند المواصلات الرئيسية النهرية والأرضية على نهرى الأوهيو والميسيسيي ، وعند تخوم الميدل وست مع السهول العليا مثل مدينة أوماها ومدينة كانساس سيتي . وعلى كل نجد هنا حوالي (٦٤) مدينة في كل منها أكثر من (١٥٠٠٠٠) نسبة منها (١٠) مدن تزيد عن نصف مليون مثل بوفالو، وكليفلند، وميلووكي الواقعة على ضفاف البحيرات وبيتسبورغ على الأوهيو ، وسان لويس والمدينتين التوأمين مينابولبس وسان بول على نهر الميسيسييي . وهناك مدينتان تتجاوزان المليون هما ديترويت وشيكاغو التي تعتبر عاصمة الميدل وست والتي قفز عدد سكانها من (٤٠٠٠٠) إلى أكثر من (٧) ملايين في خلال مدة (١٣٥) سنة .

د - السهول العليا أو الفاروست (الغرب البعيد) :

تعتبر السهمول العليا امتداداً للميدل وست حتى سفوح جبال الروشوز .

وابتداء من خط الطول (٩٩) نحو الغرب يتلو السهول منطقة هضاب تتزايد ارتفاعاً من (٣٠٠ حتى ١٨٠٠) م ، وكأنها منحدر لطيف حتى جبال الروشوز . وهنا يشتد برد الشتاء إذ تببط الحرارة حتى (ـ ٢٠ أو ـ ٣٠) درجة ما عدا حافة جبال الروشوز ، حيث تهب رياح الشينوك الساخنة فترفع الحرارة في أواخر الشتاء وفي مطلع الربيع . وتكون فصول الصيف حارة فترتفع درجة الحرارة فيها وسطياً حتى (٥٢٥) . وتأخذ الأمطار بالتناقص تدريجياً حتى يصبح الغطاء النباتي عبارة عن عشب قصير سهبي يستر الهضاب . ويؤدي الجفاف إلى تخريب مناطق برمتها ، وعندما أخضعت الأرض للزراعة هنا أضحت الرياح العنيفة تثير الغبار وتحمل التربة الزراعية الجافة كي تحول الأراضي إلى حقول مقفرة جرداء أو الغبار وتحمل التربة الزراعية الجافة كي تحول الأراضي إلى حقول مقفرة جرداء أو ما يسمى (bowl dust) . وهكذا تجد هنا صحارى حقيقية تسمى الأراضي الرديئة (بادلاندس) تتألف من كتل من الصخور الكلسية المارنية التي تجزأت إلى تلاع وإلى أهرامات وإلى خشوم وإلى مسلات تكون قاعدتها على شكل مصاطب متعاقبة .

وتعتبر السهول العليا مجال التربية الواسعة للماشية ذات القرن والأغنام قبل كل شيء . لكن زراعة الحبوب والنباتات العلفية تزدهر فيها بفضل أساليب الزراعة الجافة (دراي فارمينغ) ، التي تقضي بحراثة الأرض وعزقها بعد كل زخة مطر ، بحيث تتسرب الرطوبة للتربة وكيلا يتشكل على سطحها قشرة قاسية أو شقوق تلائم التبخر . ونجد هنا أنهاراً عديدة تغذيها ثلوج الجبال الصخرية وتجري في وديان عريضة أخضعت للزراعة بفضل الري وأصبحت خصيبة تنتج الحبوب والعلف والشوندر السكري .

ويسود في السهول العليا انطباع العزلة والوحشة ، لأن كل مزرعة تبعد عن الأخرى أكثر من (٣٠) كم وكلها تتاثل بصوامع قمحها المبنية على شكل أسطوانات جبارة ، وبحظائر ماشيتها ، وبمعاملها الصغيرة التي تصنع اللحوم المحفوظة ، ونجد بين منطقة وأخرى مدينة يتراوح سكانها بين (٥ حتى ١٠) آلاف نسمة عدا مدينة

هامة وحيدة هي دنفر (١,٣) مليون نسبة ، وهي مدينة تماس عند أقدام جبال الرشوز تؤلف مرحلة على طريق الباسفيكي .

هـ ـ الجبال الغربية:

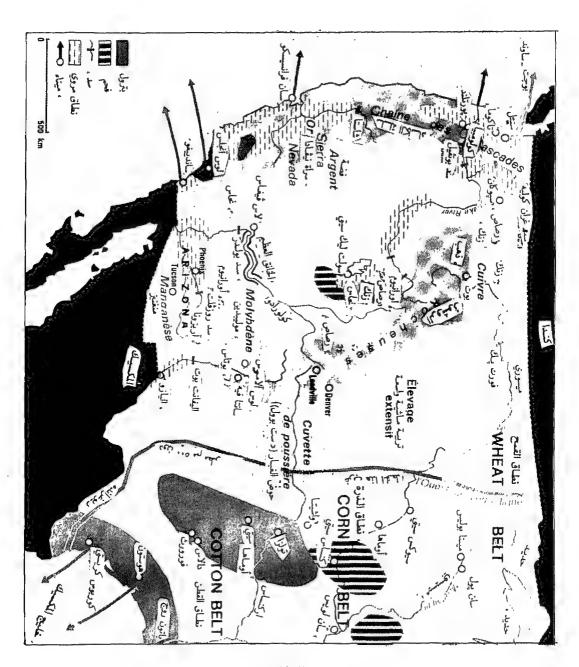
تؤلف الجبال الغربية منطقة العقبات الكبرى المعادية للإنسان . فعلى مساحة قدرها (٢٠٥) مليون كم أي تعادل مساحة شبه جزيرة العرب كلها لا نجد سوى (١٠) ملايين نسمة . وتتألف العقبة الكبرى من سلاسل جبلية متتابعة على مسافة (١٥٠٠) كم عرضاً ، واقعة بين السهول العليا وبين الحيط الباسفيكي . وهناك عقبة المناخ أيضاً لأن قحولة الهضاب الداخلية تتزايد باتجاه الجنوب الغربي حتى الوحشة الصحراوية .

ورغم كل شيء فقد استطاعت مناجم الذهب والفضة المبعثرة في كل الأمكنة ومناجم النحاس في ولايات مونتانا ، أوتاه ، آريزونا ، ومناجم الرصاص والتوتياء في نيفادا وأريزونا أن تجذب الناس . وبغية تأمين أقواتهم وجب اللجوء إلى ري الأراضي أو ممارسة الزراعة الجافة . (شكل ١٣)

و يمكن تمييز ثلاثة نطاقات هامة :

ا ـ عند أقدام السفح الغربي لجبال وازاتش ، في شال وجنوب بحيرة سولت ليك سيتي . تتد على مسافة (٣٠) كم واحة مساحتها (٣) ملايين هكتار وهناك نفق محفور تحت الجبل من أجل جر مياه الري القادمة من السفح المقابل .

٢ ـ بالجنوب ، في أريزونا ، يملك وادي (جيلا) المراعي وحقول القطن البديعة ومزارع الأشجار المثرة والخضار . أما مياه نهر الكولورادو المحجوزة خلف سد (بولدردام) ، فقد حولت وادي الموت (Death valley) الذي ينخفض إلى (٨٠) م دون مستوى البحر ، إلى مزارع متواصلة .



الشكل ١٣ غرب الولايات المتحدة

٢ ـ وفي الشمال الغربي أي في ولاية كولومبيا وفوق الهضاب البركانية الخصيبة والجافة في الوقت نفسه سمحت الزراعة الجافة بقيام حقول القمح الفسيحة ، ونلاحظ هنا القاطرات الهوائية وهي تهبط بأكياس القمح حتى الموجودة في الوديان ، التي تزيد أعماقها عن (٦٠٠) م . وأهم المدن هنا سيتل (١,٥) مليون نسمة وتاكوما ويزيد سكان كل منها على المليون . وقامت هنا صناعة الألمنيوم والفولاذ بعد قيام سد (غران كوليه) على نهر كولومبيا الذي ساعد أيضاً على ازدهار الري وتوسيع الزراعة .

و ـ منطقة الباسفيكي:

على خلاف منطقة الجبال الصخرية نجد أن كل العوامل المشجعة تتجمع هنا لتجعل من الساحل الباسفيكي أحد أجمل المناطق وأغناها في الولايات المتحدة ، مثل جمال وعظمة الجبل والبحر ، وعذوبة المناخ وتنوع الموارد . ويعتبر ازدهار هذه المنطقة حديثاً . حقاً لقد حدث هنا في أواسط القرن الماضي إقبال بشري شديد على ذهب كاليفورنيا ، ولكن الازدهار الحقيقي والازدهار العام يعود للقرن العشرين ، وكان التطور سريعاً ، ابتدأ زراعياً وتجارياً ثم تحول إلى تعديني وصناعي . ولا تحتل ولايات الشرق أو الميدل وست قصب السبق في سرعة تزايد السكان بل منطقة الساحل الباسفيكي بحيث تضاعف عدد سكانها (٣) مرات بين (١٩٠٠ و ١٩٥٠) . وتعتبر كاليفورنيا أول ولاية أميركية من حيث عدد السكان .

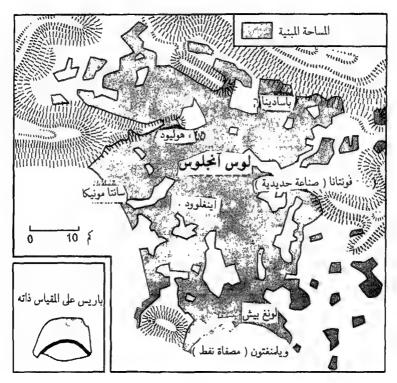
وهناك منخفض يفصل سلسلة جبال الكاسكاد عن السلسلة الساحلية ، ولكنه يغيب في الشال ويغرق في خليج بنوجت ساوند Puget Sound ، وهنا يسود مناخ محيطي ، ذو درجات حرارة متقاربة ، قليلة التفاوت وذو أمطار سخية ، فتقوم غابة رائعة من شجر الشوح والايبيسيئا والأرز فتغطي السفوح الجبلية . أما ميناءا سيتل Seattle وبورتلاند فيعيشان من صناعة الخشب ومن التجارة مع الشرق الأقصى وآلاسكا .

وإلى الجنوب من ذلك ، أي بين سلسلة سيرا نقادا وبين السلسلة الساحلية يتسع المنخفض ، لأن وادي كاليفورنيا الكبير يمتد على طول قدره (٧٥٠) كم وعلى عرض يتراوح بين (٤٠ و ٨٠) كم . ولا تستمد كاليفورنيا رخاءها من ذهبها بل من مناخها الحار المضيء والجاف ومن زراعاتها المروية التي تمتد على أكثر من مليوني هكتار . كا أصبحت جنة من أعناب ومن أشجار مثرة ، وقد استوردت فسائل التين والنخيل من افريقيا الشالية لزراعتها هناك . وتقوم القاطرات المبردة وحتى الطائرات بنقل الثار الطرية نحو المدن الكبرى بالشرق ، ولكن قسماً كبيراً من الإنتاج يتوجه نحو معامل التجفيف مثل العنب والخوخ والمشمش ونحو معامل المجفوظات .

هذا وتساهم حقول البترول الغنية في ثراء المنطقة أيضاً. كا أن الصناعات التعدينية والكياوية والترسانات البحرية تقوم هنا على قدم وساق. وهكذا أصبحت مدينة لوس أنجلوس مع ضاحيتها الفخمة هوليود عاصمة العمليات المالية والسياحة والسينا، وفيها (٧) ملايين نسمة وفيها أعلى مستوى معاشي في أمريكا لأن فيها (٣,٥) ملايين سيارة أو سيارة لكل شخصين (شكل ١٤). ولكن سان فرانسيسكو الواقعة عند مخرج الوادي الكبير والمطلة على الباسفيكي والحارسة لباب الذهب Golden gate الرائع، لا تزال رغ أن عدد سكانها أقل من لوس أنجلوس عاصة كل الساحل الباسفيكي ، فهي مدينة صناعية وميناء عظيم تشع منه التجارة الأميركية نحو الشرق الأقصى ونحو كل الباسفيكي ويسكنها أكثر من التجارة الأميركية نحو الشرق الأقصى ونحو كل الباسفيكي ويسكنها أكثر من

ز ـ الملحقات الخارجية: آلاسكا:

وقد اشترتها الولايات المتحدة عام ١٨٦٧ من روسيا ، وتتيز بتضاريس جبلية و بموقع شالي جداً جعلا مجال استغلالها محدوداً على صيد أسماك السومون



الشكل ١٤ لوس آنجلوس ـ نمط من المدن العملاقة (مينا بوليس)

واستثار بعض مناجم الذهب والنحاس ومكامن النفط والغاز . ومن هذا كان عدد سكانها قليلاً لا يتجاوز (٣٥٠٠٠) نسمة منهم (٥٥٠٠٠) من الأسكيو . وقد أدت الحرب العالمية الثانية فجأة إلى دخولها في تيارات المبادلة العامة الكبرى إذ يمر ، بواسطة ساحلها الجنوبي وجزر آلوشيان ، الطريق الجوي المتجه نحو الشرق الأقصى ، لأنه طريق أقل طولاً وأكثر ضاناً بسبب أن الساء هنا تكون أقل ضباباً من سواه ، وهكذا يمر الخط الجوي المنطلق من ادمنتون في كندا في مطاري هوايت هورس ومن فيربانكس كي يتجه نحو سيبريا ومنشوريا .

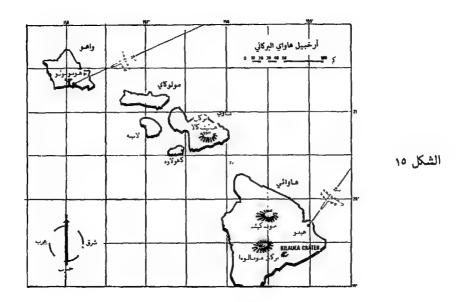
ورغبة من الولايات المتحدة في الإشراف على طرق التجارة العالمية ، فقد وضعت يدها على ممتلكات أخرى كي تجعل منها نقاط استناد بالنسبة لتوسعها

السياسي والاقتصادي . وهكذا وجدت نفسها بحاجة إلى الإشراف على قناة بناما ، وهي طريق حيوية بالنسبة للمواصلات بين الساحل الباسفيكي والساحل الأطلسي للولايات المتحدة ذاتها . وفي عام ١٩٠٠ تنازلت دولة بناما عن منطقة عرضها عشرة أميال على جانبي القنال . وفي خلال حرب قصيرة مع إسبانيا عام ١٨٩٨ استطاعت أن تحتل جزيرة بورتوريكو ، التي يسكنها (٣,٥) مليون نسمة من أصل إسباني والتي تنتج السكر والقهوة والتبغ والفواكه . وفي ١٩١٧ اشترت من الداغارك الجزر العذراء المجاورة . وبذلك وبفضل هذه الجزر الواقعة في وسط القوس المؤلف من جزر الآنتيل استطاعت أن تراقب مداخل بحر الآنتيل وقناة بناما .

كا استحوذت الولايات المتحدة أيضاً على قواعد ضرورية على طريق الشرق الأقصى ، فاحتلت جزر هاوائي (شكل ١٥) عام ١٨٩٨ التي يقطنها اليابانيون والصينيون والفيليبيون وعدد سكانها (٠٠٠٠٠) نسمة وفي عاصمتها هونولولو (٧٠٠٠٠) نسمة وتنتج مقادير ضخمة من السكر والأناناس والتي تحتل مركزاً متازاً في وسط الحيط الباسفيكي (فيها ميناء هونولولو وقاعدة بيرل هاربير البحرية) . كا احتلت جزر وايك وغوام عام ١٩١٨ وتعتبر مفتاح الشرق الأقصى ، وجزر صاموا وهي مفتاح أستراليا . وعلى أثر الحرب العالمية الثانية انتزعت من اليابان جزر ماريان ، بالو ، كارولين ، مارشال وضمتها إلى ممتلكاتها .

وفي عام ١٩٦٠ اعتبرت جزر هاوائي ولاية ، وشبه جزيرة آلاسكا ولاية أخرى من الوطن ، وهكذا أصبحت الولايات المتحدة تتألف من خمسين ولاية عثلة بخمسين نجمة على العلم الأميركي .

وإجمالاً يبلغ مجموع مساحة الأراضي الأميركية في خارج الولايات المتحدة (١,٥) مليون كيلو متر مربع .



الولايات المتحدة كدولة اقتصادية عظمى

تلك هذه الدولة (٢٪) من مساحة القارات وتضم (٢٪) من سكان الأرض . ولكنها تنتج على أرضها (٢٠٪) من قمح العالم أو (٥٨) مليون طن و (٢٠٪) من الإنتاج العالمي للذرة أو (١٥٨) مليون طن و (٣٠٪) من القطن و (٣٠٪) من الفحم الحجري و (٢٠٪) من البترول و (٣٠٪) من الخاس .

وإذا كانت الولايات المتحدة لا تملك بعض المنتجات بصورة كافية فذلك يعود لاستهلاكها الهائل وخاصة من الصوف والكتان والخشب ومعجونة الورق، لأنها تستهلك (٦٠ ٪) من إنتاج العالم من المعجونة ، والسكر لأن إنتاجها منه لا يزيد عن ثلث الاستهلاك وحتى البترول لأن إنتاجها منه لا يزيد عن نصف استهلاكها . ولكن عندما تكون محرومة من بعض المنتجات كلياً ، فنهلك يعود لأسباب مناخية محلية مثل المطاط والقهوة والكاكاو والأناناس والموز ، وهي مواد

تستوردها من الأقطار الاستوائية ، أو لأسباب اقتصادية مثل الحرير والشاي وهي من حاصلات الأقطار المزدحمة السكان كالشرق الأقصى ذات اليد العاملة الرخيصة وذلك لأن الولايات المتحدة هي قطر غني جداً ، وصناعته وزراعته آلية واليد العاملة ذات أجور باهظة . وهكذا نجد أن الفرد الأميركي استطاع أن يحتل في كل المجالات : أي الزراعية والصناعية والتجارية مستويات معيشة لامثيل لها بالعالم .

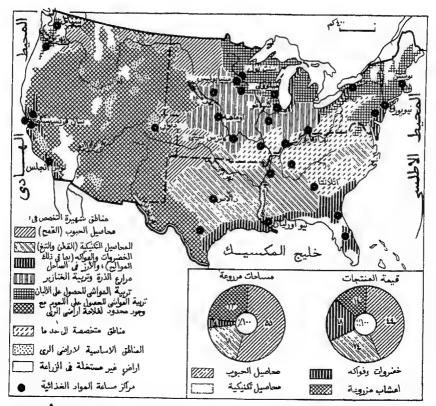
أ ـ الزراعة :

لا تحتل المكانة الأولى في الاقتصاد الأميركي لأن ٦٪ من السكان العاملين فقط ينصرفون إليها . ولكنها تعتبر مع ذلك أكبر دولة زراعية بالعالم ويليها الاتحاد السوفياتي ، وإذا استثنينا ملكية الأرض الجماعية في الاتحاد السوڤييتي ، فإن الزراعة في هذين القطرين تتصف بصفات مشتركة هي :

١ ـ تنتج الولايات المتحدة حاصلات المناطق المعتدلة والمناطق المدارية
 (شكل ١٦) ، وتكون هذه الحاصلات ، شأنها في الاتحاد السوڤييتي ، ضخمة
 ومتنوعة بآن واحد .

٢ ـ غير أن المردود يكون هنا ضعيفاً لأن إنتاج القمح في الهكتار هنا لا يزيد عن (١٣) كنتالاً مقابل (٢٠) في فرنسا و (٢٦) في إنكلترا و (٤٦) في الداغارك ، كا أن مردود القطن يبلغ كنتالين بالهكتار مقابل خمسة كنتالات في مصر ، أي أن الزراعة هنا تتصرف بمساحات هائلة ولا تزال زراعة واسعة .

لقد سخت الطبيعة على الولايات المتحدة بالوفير من التربة الخصبة ، بالإضافة إلى المناخ الذي هو في معظمه معتدل ، وتقدر نسبة الأراضي التي تزرع بد (٦٠٪) من مساحة الولايات المتحدة القارية . ويستخدم (٢٥) بالمئة من هذه المساحة أي (١٦٠) مليون هكتار في زراعة المحاصيل كا أن نصفها يشكل



الشكل ١٦ المناطق الزراعية الرئيسية في الولايات المتحدة الأمريكية

أرض مراع دائمة . وفي الولايات المتحدة (٤٧٥٠٠٠٠) مزرعة بمعدل (٩٧) هكتار للمزرعة الواحدة ولكن مساحة المزارع في القسم الشرقي من البلاد أصغر من ذلك بكثير . ومعظم المحصولات تغلها مزارع عائلية صغيرة يقوم بها أفراد العائلة بجانب كبير من العمل .

٣ ـ لقـد انـدفع الأميركيـون نحـو الميكانيكيـة . ففي ١٩٢٠ كان لـديهم
 (٢٥٠٠٠٠) تراكتور و (٢٢) مليون حصان ، وحالياً يبلغ عدد الجرارات (٤)
 ملايين والخيول (٣) ملايين . ولا تقوم الحاصدات الدراسات (كومباين) بأكثر
 من قطع السنابل وتدرسها وهي سائرة . وعندما يتم حصاد الحقل توقد النار في

الحصيد ثم يعقب ذلك المحراث المتعدد السكك الذي يجره التراكتور ، وذلك استعداداً للموسم القادم .

٤ ـ هناك تخصص في الإنتاج الزراعي حسب المناطق . فعلى المزارع الواسعة التي تتراوح بين (١٠٠ و ٤٠٠) هـ . تصبح الزراعة زراعة وحيدة صناعية . ففي نطاق القمح تعتبر المزرعة كمعمل قح ، وفي منطقة نطاق الذرة تبدو المزرعة كمعمل ذرة ولحم وفي نطاق القطن معمل قطن . أي أن المزارع الأميركي يتعلق إذن بشكل وثيق وكلياً بالتجارة ، فالأسعار المرتفعة تغنيه بسرعة وإنهيار الأسعار يدمره اقتصادياً بسرعة أكبر . وشدة الأزمات الاقتصادية المعاصرة أوجدت بعض العلاجات . وهكذا ظهر الكتان في مجال القمح ، كا بدأت زراعة الشوندر السكري في منطقة الشوفان ، والصويا وفستق العبيد في مجالي القطن والذرة الصفراء ، والخضار في كل مكان تقريباً .

٥ ـ أخذت الزراعة تتقدم تدريجياً أو تتوسع باتجاه الغرب ، مثل زراعة القمح التي استقرت حالياً إلى الغرب من نهر المسيسيبي وزراعة القطن المزدهرة كثيراً بالتكساس .

7 ـ لقد نتج عن التخصص في الزراعة وميكانيكيتها ، وعن هجرتها نحو النرب ، تلاؤم مع شرائط التضاريس والمناخ اللذين يتصفان بالتنوع والوضوح في أمريكا . وهكذا أصبحت المناطق الزراعية متيزة ومتباينة وتضم الولايات المتحدة منطقتين زراعيتين أساسيتين ، الأولى معتدلة وتشمل مناطق الوسط الشالي أو الميدل وست ، والأخرى مدارية وتشمل الجنوب . وهناك مناطق ثانوية مثل الشمال الشرقي والجبال الصخرية والساحل الباسفيكي .

المزروعات: يمكن اعتبار الولايات المتحدة والاتحاد السوڤييتي أكبر عنبرين في العالم للحبوب، ولكن الولايات المتحدة أول سوق عالمي للمحاصيل الزراعية، فالأميركان يزرعون كل أنواع الحبوب، مثل الشوفان والشعير وحتى

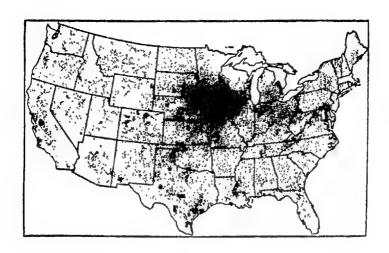
الذرة البيضاء لكن الـذرة الصفراء والقمح يحتلان المكانة الأولى . وتضارع الولايات المتحدة الاتحاد السوڤييتي تقريباً في إنتاج القمح وذلك في منطقة نطاق القمح وفي هضبة كولومبيا وقد أصبحت ثاني مصدر للقمح بعد كندا ، ولكن كية الحبوب أو الدقيق القابلة للتجارة العالمية تتبدل بشكل كبير بين عام وآخر ، لأن القمح الذي أصبح يزرع في تخوم المناطق المزروعة قد يتعرض للجفاف المتطاول الأمد . وتنتج الولايات المتحدة ثلث الحصول العالمي من الذرة ، ولكن صادرات الأرجنتين من هذه المادة تتفوق لأن تسمين الأبقار والحنازير يستهلك كيات كبيرة من الذرة .

ومنذ القرن الثامن عشر أخذ الجنوب على عاتقه تموين الصناعات النسيجية بالعالم بالقطن ، ولكن ظهر الآن منافسون جدد صدعوا التفوق الأميركي في هذا المجال ، مثل الهند والباكستان ومصر والبرازيل والصين والاتحاد السوڤييتي ، ولكن لا تزال الولايات المتحدة أكبر مصدر للقطن . هذا ويمثل محصول التبغ الأميركي حوالي ثلث الإنتاج العالمي ويجود في ولايات تينيسي وكنتوكي وماريلاند وفيرجينيا .

وفي الوقت الذي تظل فيه المزروعات التقليدية مثل الحبوب والقطن ثابتة أو تتقهقر قليلاً فيان زراعات أخرى تتقدم بشكل كبير. وبالنسبة لفترة (١٩٣٥ - ١٩٣٩) توسعت زراعة الكتان في منطقة القمح بنسبة (٢٠٠٪). والصويا في منطقة الذرة بنسبة (٢٥٠٪) وفستق العبيد بنسبة (٢٠٠٪) بالجنوب . ويبذل الأميركان جهوداً جبارة للتوسع في زراعة الحبوب الزيتية . كا يلاحظ أيضاً توسع في زراعة الخضار في الشال الشرقي وفي الجنوب ، وفي زراعة الأشجار المثرة والفواكه في الجنوب وفي كاليفورنيا . وتملك جورجيا اليوم أجمل مزارع الخوخ بالعالم ، ولكن نصف وزن الفواكه الأميركية هو من الحضيات . وأخيراً بعد أن ظلت الولايات المتحدة مستوردة للسكر من الأقطار المدارية أصبحت اليوم من أكبر منتجى سكر الشوندر في الميدل وست .

تربية الماشية: إذا كانت الولايات المتحدة لا تحتل المرتبة الأولى اليوم بالنسبة لعدد رؤوس الماشية ، فهي تحتل أول مكانة بالنسبة للنوعية فهي تحتل الدرجة الثانية بالنسبة لعدد خنازيرها (٥٠) مليون ، والأبقار التي يقارب تعدادها (١٢٨) مليون رأس (شكل ١٧) . ففي الوسط والشرق والجنوب يمكن اعتبار تربية الأبقار والجنزير ؛ كحصيلة لزراعة الحبوب ولا سيا الشوفان والشعير وخاصة الذرة الصفراء . وبعد أن كانت الولايات المتحدة منتجة للحم تتجه اليوم أكثر فأكثر نحو منتجات الألبان .

ويقدم الغرب والسهول العليا والجبال مراعي واسعة لتربية الأبقار والأغنام. ويتم تسمين الثيران والأبقار المولودة في منطقة الفاروست في منطقة نطاق الذرة. ويجب أن نشير إلى التناقص العظيم في عدد الخيول والبغال بسبب توسع نطاق استعال الميكانيك في الزراعة .



الشكل ١٧ توزع الأبقار في الولايات المتحدة كل نقطة في الشكل ترمز إلى (٢٠٠٠) رأس من البقر

ب ـ القوى المحركة:

الفحم الحجري: تعتبر الولايات المتحدة أكثر أقطار العالم غنى بالقوى الحركة ، وقبل كل شيء الفحم الحجري . فهي تملك ثلاثة أحواض فحمية تقل جودتها من الشرق نحو الغرب تدريجياً:

أولاً _ حوض الانتراسيت في سكرانتون على السفح الشرقي لجبال الأبالاش . وينتج وسطياً بحدود (١٥٠) مليون طن في السنة .

ثانياً ـ حوض بنسلفانيا وفيرجينيا وآلاباما على السفح الغربي لجبال الأبالاش ، وهو أغزر الأحواض إنتاجاً وينتج حوالي (٤٠٠) مليون طن بالسنة . وقد نتج عن ثخانة عروق الفحم ، وعن الاستغلال السهل للمكامن على عمق قريب ، واقتلاع الفحم بصورة ميكانيكية بحتة ، مردود شديد الارتفاع ، أي أن العامل ينتج هنا باليوم أكثر من أي عامل آخر بالعالم ، فضلاً عن إنتاج عام ضخم جداً يقارب (٢٢٪) من إنتاج العالم أو ٢١٦ مليون طن من مجموع ٢٧٥٥ مليون طن في ١٩٨١ . ورغ بعد مناجم بنسلفانيا عن البحر فهي ترسل الفحم بواسطة القطارات حتى ميناء هامبتون رودس ، المعد خصيصاً لتصدير الفحم نحو الموانئ الأميركية في شال الأطلسي ونحو موانئ أوروبا وأميركا الجنوبية .

وعلى كل يتراوح إنتاج الفحم في الولايات المتحدة حالياً بين (٥٠٠ و ٦٠٠) مليون طن .

البترول: منذ أكثر من (١٢٠) سنة أخذ إنتاج البترول يزحف نحو الجنوب الغربي ونحو الأعماق. ففي عام ١٨٥٩ نبع البترول لأول مرة في بنسلفانيا على عمق (٢٠) م. وفي أواخر القرن الماضي أصبحت أهم حقول البترول هي الواقعة في الميدل وست، وبين (١٩٠٠ ـ ١٩١٠) ظهرت أهمية ولاية كنساس، وبعد ١٩٢٠ انتقل مركز الثقل نحو التكساس وكاليفورنيا، واليوم تستغل حقول ساحلية تحت مياه الباسيفيكي. وزاد عق بعض الآبار عن (٥٠٠٠) م.

وهكذا يعطي الشال الشرقي أي ولايتي أوهيو وإيللينوا حوالي (٣٪) من الإنتاج ، والوسط أي كنساس وأوكلاهوما والتكساس (٥٠٪) والباقي تقدمه كاليفورنيا وما جاورها . وهناك حوالي (٢٥٠٠٠٠) كم من خطوط الأنابيب تربط بين حقول البترول في الوسط مع المناطق الصناعية بالشال الشرقي ، التي تستهلك معظم إنتاج البترول والتي احتفظت بالمصافي التي شيدت منذ البداية في شيكاغو وكليفلند وفيلادلفيا ونيويورك وتقذف بعض الأنابيب البترول الخام والبعض منتوجات بترولية بعد التصفية والبعض الآخر الغاز الطبيعي .

ويمثل الإنتاج الكلي للولايات المتحدة ٣٠٪ من إنتاج العالم أو ٤٦٨ مليون طن وتحتل المكانة الثانية بعد الاتحاد السوڤيتي . ولكن في هذه الدولة التي يتجول فيها ١٢٤ مليون سيارة سياحية ، يكون استهلاك المواد البترولية هائلاً بحيث تضطر الولايات المتحدة لاستيراد البترول من الخارج ، مما أدى لظهور امبراطورية حقيقية قائمة على البترول ، تتثل في شركات هائلة جبارة ، مثل ستاندارد أويل هدفها السيطرة على المنطقتين العظيمتين لإنتاج البترول في العالم ، وهما منطقة خليج المكسيك وتضم المكسيك وكولومبيا وفينزويللا ومنطقة الشرق الأوسط ، وتشمل إيران والعراق وكل شبه جزيرة العرب ، أي السعودية والحويت والمنطقة الحايدة واتحاد الإمارات العربية (الشارقة ، دبي ، أبو ظبي) والجزائر وليبيا ، عدا الامتيازات التي حصلت عليها للبحث عن البترول في صحراء مصر الغربية . وقد أنتجت الولايات المتحدة عام ١٩٦٢ مقدار ٢٥٩ مليون طن بترول ، وفي عسام ١٩٧٣ (٢٥٠) مليون طن ، و ٢٠١ في ١٩٧٦ و ١٩٨٨ في المدارد الآن ما يقارب خسى ونصف استهلاكها من النفط .

الكهرباء: وهنا أيضاً تحتل الولايات المتحدة المكانة الأولى بالعالم، وتنتج حوالي ٢١١٤ مليار كيلواط ساعي عام ١٩٧٦ و ٢٣٦٨ مليار في ١٩٨١ أو ٧٦ مرة إنتاج الهند، أو ما يعادل ١٠ مرات إنتاج فرنسا و٦ مرات إنتاج بريطانيا، التي

تحتل المكانة الثالثة بالعالم وه مرات إنتاج كندا ، التي تحتل المكانة الرابعة بالعالم . وليست الصناعة وحدها هي التي تستهلك الكثير من الطاقة الكهربائية ، بل دخلت هذه في كل الاستعالات المنزلية المألوفة ، كالتدفئة والمطبخ والمكانس والبرادات وعصارات الفواكه وطواحين القهوة الخ .. ويلاحظ الإنسان بالليل أن المدينة الأميركية تكاد تلتهب من الأنوار المنطلقة من الإعلانات الكثيرة الألوان .

ومن الطبيعي أن يصدر نصف الإنتاج الكهربائي من المعامل الحرورية التي تتحرك على الفحم والمازوت والغاز الطبيعي . ولكن الولايات المتحدة تملك في الأبالاش وفي الجبال الغربية احتياطات ضخمة من الفحم الأبيض ، لم يستعمل إلا قسم ضئيل منها وأصبحت تنتج من الطاقة النووية قساً من استهلاكها الكهربائي .

البالاش ، تكون المنطقة ملائمة جداً المنشآت الكهرمائية . وفي عام ١٩٣٣ لجأت الأبالاش ، تكون المنطقة ملائمة جداً المنشآت الكهرمائية . وفي عام ١٩٣٣ لجأت حكومة الولايات المتحدة إلى مكافحة البطالة ، فأوجدت مشروع استغلال وادي نهر التينيسي وذلك ببناء ٢٦ سداً مع منظومة لشبكات الري تروي ٢٠٠٠٠ ه . أو مايعادل مساحة الغاب وإنتاج هذه المعامل يعادل إنتاج فرنسا كله من الكهرباء .

٢ ـ في الوسط : أمكن استثمار مساقط البحيرات الكبرى مثل شلال سانت ماري ونياغارا ومساقط الميسيسيي الأعلى ، وخاصة عند مدينة مينابوليس وروك آيلاند وكيوكوك .

٣ ـ في الجبال الغربية : وهنا نجد مجال السدود الكبرى والخزانات التي تقدم المياه لري الأراضي البعيدة ولتحريك المعامل المشيدة عند أسفلها . وهنا تتزايد قوة المعامل المنشأة تدريجياً . وقد تم بناء سد بولدر على نهر الكولورادو الأدنى ، الذي يبلغ ارتفاعه ٢٢١ م ويخزن ٤٠ مليار متر مكعب من المياه في بحيرة ميد Mead الاصطناعية ويروي ٨٠٠٠٠٠ه. . أو ٢٠ مرة مساحة الغاب ، ويبدو

معمل بولدردام بانتاجه البالغ ٥ مليار كيلواط ساعي ، أول معمل وسد من نوعه بالعالم ولا يفوقه إلا السد العالي الذي ينتج ١٠ مليارات ك وس بالسنة وسد أنغارا في سيبريا ، ويوفر سد بولدر مياه الشرب لمدينة لوس أنجلوس على مسافة ٤٢٤ كم ، كا أوجد حديقة وطنية يمارس فيها صيد السمك وسباق القوارب والاصطياف في المعسكرات . كا تم بناء سد على نهر كولومبيا يروي ٥٠٠٠٠ هكتار . كا تم بناء سد آخر على النهر المذكور يجعل من النهر طريقاً ملاحياً طوله ٢٠٠ كم .

جـ ـ الصناعة:

يكن تفسير جبروت الصناعة الأميركية وقوتها قبل كل شيء بضخامة سوق الإنتاج الذي تؤلفه الولايات المتحدة . فهي أول قطر زراعي ، وأول قطر في إنتاج القوة الحركة بمختلف أشكالها ، كا تملك أكثر مناجم المعادن إنتاجاً وتنوعاً بالعالم .

فنجد الحديد في جبال الأبالاش وخاصة في الجنوب (آلاباما) وفي جبال الروشوز، ولكن فلزات البحيرة العليا هي أكثر مثيلاتها أهمية . كا احتلت الولايات المتحدة المكانة الأولى في إنتاج البوكسيت ٢ مليون طن الذي يستخرج من جنوب الأبالاش ومن جبال أوزارك غرب الميسيبي ، بحيث أصبحت الولايات المتحدة تقدم ٢٦٪ من إنتاج الألمنيوم بالعالم . كا أصبحت مناجم النحاس في منطقة البحيرة العليا ابتداء من ١٨٥٠ ومناجم الروشوز منذ مطلع القرن الحالي (من مونتانا ، أوتاه ، آريزونا) ، تؤمن للولايات المتحدة إنتاجاً ضخاً يعادل ربع إنتاج العالم أو ١٨٥٠ مليون طن .

كا تحتل الولايات المتحدة الذروة في إنتاج التوتياء ٤٠٠٠٠٠ طن والرصاص الذي تؤمن منطقة جبال أوزارك نصف الإنتاج والباقي من جبال الروشوز . كا تكثر لديها المعادن النادرة التي تلعب دوراً عظيماً في الصناعة المعدنية الحديثة ، وخاصة في صنع أنواع الفولاذ الخاصة ذات المقاومة الشديدة والمرونة الكبيرة مثل

الكروم والمولبيدين والفاناديوم والتنغستين . ولا تفتقر إلا إلى المنغنيز والنيكل والقصدير . وإذا كانت الولايات المتحدة تأتي بالدرجة الرابعة في إنتاج الذهب (من جبال الغرب وكاليفورنيا) والدرجة الثانية في إنتاج الفضة (جبال الغرب) ، فهي تملك احتياطاً نقدياً من هذين المعدنين الثينين يعادل ثلاثة أخاس الموجود بالعالم .

هذا كا تقدم منطقة خليج المكسيك للصناعة الكياوية الفوسفات ٤١ مليون طن طن (من فلوريدا) والكبريت (لويزيانا وتكساس) ٨مليون طن والمغنزيوم . ويستخرج الملح من مناجم مبعثرة بالبلاد أو من مجيرات مالحة في الجبال الغربية أو من ممالح البحر في كاليفورنيا بإنتاج يزيد على ٤٢,٢ مليون طن .

الولايات المتحدة كسوق استهلاكي عظيم: تؤلف هذه الدولة التي تضم ٢٣٢ مليوناً من السكان ، الذين بلغوا مستوى من المعيشة رفيعاً جداً سوقاً استهلاكياً هائلاً . ففي هذه الدولة التي يكون من المألوف أن يملك الإنسان فيها بيته الجهز بجام ، وسيارته وبراده وكل الأدوات الكهربائية من تلفزيون وسواه ، تستطيع المعامل مها كثر عددها ومها كانت ضخامتها أن تنتج بشكل كتلي . وهناك عوامل ثلاثة تحث على الإنتاج الضخم .

١ ـ التجانس ـ لأن الولايات المتحدة الأميركية متاثلة . فعلى مساحة ٨ ملايين كيلو متر مربع يعيش ٢٣٢ مليون من البشر ، الذين يتكلمون اللغة ذاتها ولهم نفس العادات المعاشية . وتجهد الصناعة كي تنتج لكل شيء عدداً قليلاً من الناذج ولكن بكيات ضخمة .

٢ ـ الدعاية والإعلان ـ وهي موجودة في كل مكان ، في الصحف ، وعلى الجدران وفي اللوحات الملونة ، أو المطبوعة ، أو اللوحات المنيرة . وهكذا يجذب الإنتاج المشتري بصورة مسترة ويزيد الاستهلاك .

٣ ـ الإقراض : ويستطيع الأميركي أن يشتري ما يشاء ولو لم يكن مالكاً
 للعدد الكافي من الدولارات لأن البيع بالتقسيط هو المألوف^(١) .

وهكذا تجد الصناعة الأميركية في وطنها ذاته أساساً اقتصادياً عريضاً ومتيناً يساعد على الإنتاج والاستهلاك . وقد نتج عن ذلك نهضة جبارة . وفضلاً عن ذلك ظهر في أمريكا نوعية فريدة من رجال الاقتصاد الأفذاذ والجريئين ، فأصبحوا رواد الصناعة أمثال كارنيجي وروكفلر وبيربونت ومورغان ، واستطاعوا أن ينشئوا مؤسسات ضخمة هي التروستات ، التي تحاول دوماً توسيع عالما . فهي تضم تحت إدارة اقتصادية ومالية واحدة سلسلة كاملة من المعامل الختلفة ، وحتى مناجم عديدة مما يسمح لها أن تشرف على صنع منتوج معين ، من الوقت الذي يكون فيه عبارة عن مادة خام حتى يصبح مادة استهلاكية جاهزة .

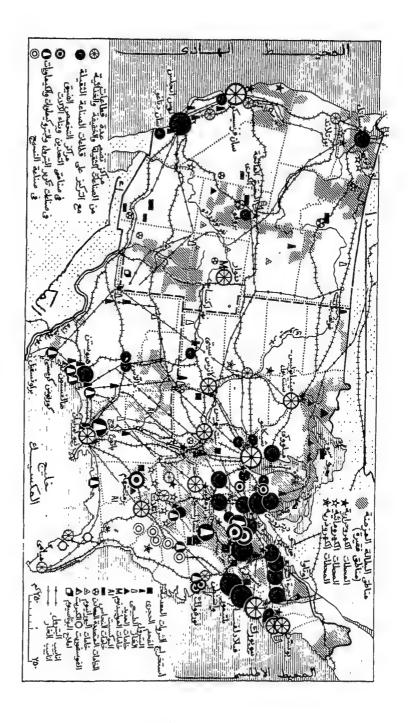
الصناعة المعدنية والصناعات الميكانيكية: تظهر منطقة البحيرات الكبرى وكأنها نطاق الصناعة المعدنية الأولى. فإلى الشرق منها والجنوب أي في جبال الأبالاش وفي ولاية إيللينوا تقع أكبر أحواض الفحم، وفي الغرب على ضفاف البحيرة العليا تقع أغنى مناجم فلزات الحديد وبينها يقع أجمل طرق المواصلات المائية المؤلف من البحيرات الكبرى، وإلى الجنوب من الأبالاش تقع ولاية آلاباما التي تملك الفحم والحديد والأفران العالية ومعامل الفولاذ وابتداء من الأباد ظهرت معامل جديدة لصناعة المعادن في الجبال الصخرية ولاسيا في أوتاه وكاليفورنيا.

ا) لا ينجو الفرد الأميركي المتوسط من هموم الميزانية العائلية : فإذا كان الغذاء والكساء لا يكلفان كثيراً ، فإنه من اللازم تسديد الأقساط الشهرية مع فوائدها ، أي أقساط البيت والسيارة والبراد وجهاز التلفزيون الخ .. كا يجب دفع أقساط التأمين ، وحتى إلى متمهد الجنائز إذا أراد الأميركي أن يكون موكب جنازته محترماً . وهكذا تجد أن الرفاه الأميركي يتطلب الكثير من النفقات وفي عام ١٩٨٠ كان دخل الفرد الأمريكي المتوسط ٢٠٠٠ دولاراً ينفق منها ٥٠٠٠ على المواصلات و ١٩٨٠ للملابس و ١٢٠٠ للمناية الطبية و ١١٨٠ كتأمين اجتاعي وضرائب ضد العجز والشيخوخة و ١٢٥٠ دولاراً على الدخل الشخصي و ٢٠٠٠ للمناية الشخصية والترفيه والباقي نثريات أخرى .

ومنذ ١٩١٠ تفوقت الصناعة المعدنية الأميركية على ألمانيا التي كانت أقوى دولة بهذه الصناعة في أوروبا ، وساعدت الحربان العالميتان على زيادة تفوق أميركا ، وهكذا أصبحت تنتج حالياً حوالي ٣٥ بالمئة من صهير وفولاذ العالم إذ أنتجت ٨٩ مليون طن فولاذ عام ١٩٦١ و١٩٦ مليون طن في عام ١٩٧٢ و١١٦ مليون في ١٩٧٦ و ١٩٧١ مليون في ١٩٧٦ و ١٩٧١ و ١٩٧١ أن كانت ألمانيا تفوق الولايات المتحدة قبيل الحرب العالمية الأولى ، أخذ إنتاج هذه الدولة يتضاعف كل سنة إلى أن أخذ بالوقت الحاضر يزيد عن ٤ ملايين طن بالسنة .

وفي شرائط كهذه نستطيع أن ندرك لماذا تكون الصناعة المكانيكية الأميركية متصدرة مثيلاتها بالعالم . فهي تتركز في منطقة البحيرات العليا مثل شيكاغو وديترويت وكليفلند وبوفالو ، وفي شال شرق البلاد حيث يقع مركز الرساميل ومهد الصناعة القديمة كا في مدينة بيتسبورغ وبوسطن ونيويورك وفيلادلفيا وبالتيور . ومن هذه المعامل الأميركية الرائعة التجهيز والنظام ، تخرج الماكنات الصناعية المتنوعة والماكنات الزراعية كالجرارات ٢٠٠٠ والآلات الكاتبة ٨٠٪ من إنتاج العالم ومكائن وأدوات السكك الحديدية ، فأنتجت أكثر من السيارات وتعادل ٤٠٪ من إنتاج العالم أو ٩ ملايين سيارة بالسنة عام ١٩٦١ . وتخصصت منطقة ديترويت في صناعة السيارات وتعادل ٤٠٪ من إنتاج العالم أو ٩ ملايين سيارة بالسنة عام ١٩٧٦ الأطلسي والباسفيكي في أحد أعوام الحرب عدداً من السفن حمولتها تعادل كل الأسلول التجاري . وتقتدي كل صناعات العالم بصناعة الولايات المتحدة من أجل التجهيز واستداد ما قتاج إليه من آلات (شكل ١٨) .

الصناعات الكيماوية : وتتمركز في الميدل وست والشمال الشرقي وهي مناطق تنتج الفحم وصناعية أي أنها تقدم نصف إنتاج الحامض الكبريتي بالعالم ،



الشكل ١٨ صناعة الولايات المتحدة الأمريكية

والصودا ، والأسمدة أو ٤٠٪ من إنتاج السوبر فوسفات بالعالم والمواد الملونة . وهي تعالج الخشب كي تصنع منه الورق الذي تستهلكه الصحف والمجلات بمقادير عظيمة . وتصنع مئات الملايين من الكيلو مترات من الأفلام التصويرية والسينائية . كا تنتج حوالي ٤٠٪ من كاوتشوك العالم وخاصة في مدينة آكرون بولاية أوهيو ، ومنذ عام ١٩٤٠ أخذت تستعين بفحم الشال الشرقي وببترول التكساس وكاليفورنيا لصنع المطاط التركيبي الذي فاق كثيراً إنتاج المطاط الطبيعي .

الصناعات النسيجية: لقد احتفظت إنكلترا الجديدة خلال مدة طويلة بحصر الصناعة النسيجية. ففيها تتركز تقريباً كل صناعة الصوف ولاسيا في مدن (بوسطن ، لورنس ، لوول ، بروفيدانس) . أما نيويورك وباترسون وفيلادلفيا فهي مدن الحرير والحرير الاصطناعي . وكانت صناعة القطن متركزة كلياً في منطقة بوسطن مع أنه يزرع بالجنوب . وبعد حرب الانفصال أخذ صناعيو الشال ببناء معامل بالجنوب بجوار الشلالات المنحدرة من سفوح الأبالاش الشرقية ، بغية الاستفادة من القطن الحلي ومن اليد العاملة السوداء الرخيصة . وتنتج صناعة النسيج الأميركية أكثر من الصناعة البريطانية التي لا تزال تحتفظ بكانة هامة بالنسبة لتصدير الأصواف والقطنيات .

الصناعات الغذائية: على الحاصلات الغذائية أن تجتاز آلاف الكيلو مترات ، قبل أن تصل أسواق الاستهلاك ، مثل لحم ومنتجات ألبان الميدل وست وفواكه الجنوب وكاليفورنيا مثلاً ، وذلك قبل أن تصل مدن الساحل الأطلسي . ومثل ذلك الإنتاج الضخم بالنسبة للمحفوظات الغذائية . وتستخدم هذه الصناعة حوالي مليون عامل أو أكثر من صناعة السيارات .

ويملك الميدل وست الصناعات الرئيسية كالمطاحن وصناعة الألبان واللحم .

ويتمثل غنى كاليفورنيا بمحفوظات الفواكه والخضار. وتصنع الولايات المتحدة جزءاً من السكر الذي تستهلكه بفضل شوندر منطقة الميدل وست ، ولكنها تستورد كميات ضخمة من السكر من كوبا ومن جزر هاوائى ومن الفيلبين.

د ـ تجارة الولايات المتحدة الخارجية:

لقد ظلت أوربا تحتل المكانة الأولى في ميدان التجارة الخارجية العالمية حتى عام ١٩١٤ . ولكن الحربين العالميتين سمحتا للولايات المتحدة بانتزاع الدرجة الأولى ، وفضلاً عن ذلك كانت أوربا التي خربتها الحرب تمركز قواها في ساحة المعارك فبقيت الولايات المتحدة سلية واندفعت لتقدم لدول العالم ماتحتاج الله(١).

وهكذا تملك الولايات المتحدة كل الشرائط الضرورية للهيمنة تجارياً على العالم:

أولاً ـ إنتاج ضخم .

ثانياً _ أسطول تجاري من الدرجة الأولى تعادل حمولته ١٨٪ من الأسطول العالمي أو ١٥ مليون طنة ، فضلاً عن بواخر ترفع أعلام دول مختلفة مثل باناما وليبريا وهندوراس وغيرها .

ثالثاً ـ قروض تجعل الدول المستقرضة تلغي حواجزها الجمركية أمام البضائع الأميركية .

⁽١) لاتلعب التجارة الدولية في الفعاليات الاقتصادية الأميركية الدور نفسه الذي تلعبه في دول أوروبا ، لأن التجارة الداخلية في السوق الداخلي الأميركي تفوق بعشر مرات التجارة الخارجية الأميركية . ومع هذا فإن الولايات المتحدة تقدم ٢٠٪ من الصادرات العالمية وتنال ١٥٪ من الاستيراد العالمي .

وبعد أن أصبحت الولايات المتحدة عبارة عن عملاق صناعي راحت تصدر السلع المصنوعة ابتـداء من مسحوق الحليب حتى الماكينة الألكترونية . كما تستورد في غالب الأحيان المواد الخام مثل الحاصلات الزراعية المدارية ، والطاط الطبيعى ، ومعجونة الورق ، والصوف ، والفلزات ، والبترول .

ومع أن التجارة الخارجية الأميركية لاتمثل أكثر من عشر الإنتاج والاستهلاك الأميركي غير أنها أهم تجارة خارجية بالعالم .

إنها تجارة قطر صناعي عظيم يستورد بعض المحاصيل الغذائية والمواد الخام كالنفط ويصدر أشياء مصنوعة ومنتوجات نصف مصنوعة .

وتتجه هذه التجارة نحو التصدير باتجاه أوروبا وأمريكا الجنوبية وآسيا ، ولا تلعب أفريقيا أكثر من دور ضعيف جداً وتزداد التجارة الأميركية باضطراد مع تزايد قروضها ومساعداتها للدول المتخلفة أو الدول المتحالفة معها عسكريا . ولا ريب في ذلك لأن معظم شعوب الأرض تجنح لتقليد غط الحياة الأميركي ولو في الأشياء الظاهرية على الأقل ، لأن هذه الشعوب إذا كانت أحياناً تعجز عن الاقتداء بالولايات المتحدة من حيث الازدهار العلمي والتفوق الصناعي والإنتاج ، فهي تقلدها بنجاح من حيث محاولتها مجاراة الأميركيين في حياتهم واستهلاكهم ولباسهم ولهوهم وهذا مما يزيد شعورها بفقرها النسبي أو المطلق ولكن أخذ الأمريكيون يعانون من أزمة الثانينات والركود الاقتصادي ففي آخر عام ١٩٨٢ كان هناك ١٢ مليون عاطلاً عن العمل أو ٢١٪ من القوى العاملة في البلاد .



هل توجد مدنية أمريكية ؟

هناك جواب جاهز فوراً يقدمه أولئك الذين يلعنونها ، سواء في « اليسار » الدولي أو « أحزاب اليبن » الوطنية . فهم يتبارون في شجب أمريكا ، ومنجزاتها وفخفختها وتخريبها للثقافات التي تحيط بها سواء في كندا أو في أمريكا اللاتينية ، ونشر تلوثها في أوروبا وحتى في العالم الثالث والبلدان الشيوعية . صحيح أن الأمريكي عندما يهبط من طائرة جامبو جت في مطار رواسي قرب باريس ، ويستأجر سيارة فورد من مكاتب هرتز أو آثيس ، ويقود في الطريق العريض كي يبلغ

فندق هيلتون ، حيث ينطلق منه بعد قليل من أجل موعد في ناطحة سحاب في حي الديفانس ، ويلتهم عند عودته وجبة هبرغر في مطعم ماكدونالد في شارع الشانزيليزيه ، قبل أن يشهد فياماً من إنتاج هوليود في ثيديو ، أقول أنه لن يشعر بالغربة في باريس .

والواقع سيعثر الأمريكي على المعايرة ، والتسويق والسوقيّة Vulgarité والانحطاط والعنف . وتفتقر المدنية الأمريكية ، كا تظهر ، للمثل الأعلى . ففيها الكثير من مظاهر القبح : غير أن هذه العيوب ليست الوحيدة التي تقدم تعريفاً عنها ، فالعرقية وعدم المساواة ، والبطالة ، وانعدام الأمن ، والمتاجرة ، والفساد والعنف هي أمور توجد في أماكن أخرى ، وربا كانت أسوأ مما هي في الولايات التحدة . ولكن لا نجد في أي مكان آخر ذلك النسيج من القيم المتصالبة على شكل سدى ولحة .

المدنية الأمريكية . أ . كاسبى . P.U.F

4 4 4

الولايات المتحدة أو أمريكا تملك أهم نظام اقتصادي في العالم: لنعرف كيف نحدد تدخلان الحكومة وكيف يعطر هذا النظام فرصة للتحرك والعمل.

لقد ساهمت الحكومة بدع من الشعب الأمريكي ، وذلك خلال العقود الأخيرة ، في القضاء على الحواجز العرقية ، كا قدمت عونها للعاطلين عن العمل والمتقاعدين ، كا قدمت الغذاء للذين يفتقرون للغذاء ، ودافعت عن الأمن ، والصحة ، وحقوق العمال في التفاوض ، مثلما ساهمت في الحفاظ على التراث الطبيعي . . .

ولقد استرد بلدنا مكانته المتيزة الذي هو أهل لها على رأس أولئك الذين يكافحون في سبيل حقوق الإنسان في العالم . وعمد الأمريكان البواسل في سبيل فرض هذه القيم خلال الجيل الحالي وقبل قرنين إلى المخاطرة بأموالهم وبوضعهم الاجتماعي وحتى بحياتهم ، ونحن ورثتهم . وهم يوجهون لنا رسالة خلال القرون .

ولا تجد الكلمات التي كانت تعطي مثل هذا البريق اليوم ، إلا صدى ضئيلاً لأن هذه الكلمات لا ينصت الناس إليها في كثير من الأحيان . وتذكرنا هذه الكلمات : عدالة ، مساواة ، وحدة ، تضعية ، حرية ، إيان ، حب بأن المهمة الملقاة على عاتق الأمريكان اليوم هي إحياء الآمال الواثقة في أمتنا والتي لا يجوز أن تتركز فقط على الكفاح ضد التهديدات الأجنبية ، بل مكافحة الأنانية والصفاقة والخول .

مقتبس من رسالة « عن وضع الاتحاد » جيمي كارتر ٢٣ / ١ / ١٩٧٩ عندما تنجز أمريكا ما وعدت به . فإني أتنبّأ بنصر العدالة .

وأتنبًأ بالحرية وبالمساواة بلا تحديد . وأتنبأ بتبرير الإخلاص وتبرير الفخار ، وأتنبأ بأن هوية الولايات المتحدة ستكون هوية واحدة وحيدة .

وأتنبأ بأن الاتحاد سيكون أكثر تلاحماً أكثر فأكثر بين الدول ولن تنفض عراه . وأتنبأ بحب الناس للناس ، وأقول بأنه سيكون بلا حدود ولا تحفّظ .

وأقول بأنك لا زلت قادراً على أن تجد الصديق الذي تبحث عنه . . . وأتنبأ بحياة ستكون رخية وفيرة ، ملتهبة ، مليئة بالروحانية ، وجريئة .

أناشيد الوداع . ويت وايتان . دار نشر فلامًاريون . باريس

4 4 4

الولايات المتحدة والمدنية الأمريكية

تتألف القوة الأمريكية من ٥٪ من سكان العالم ولكنها قثل:

٢٥٪ من الناتج القومي الخام العالمي

٣٠٪ من الكهرباء الناتجة في العالم

٤٠٪ من حظيرة السيارات العالمية

٨٥٪ من الحاسوبات (الكومبيوتر)

ـ أول مصدّر ومستورد عالمي من البضائع والخدمات

_ أول مصدر عالمي للمنتجات الزراعية

ـ انخفاض نسبي تدريجي ناتج عن المنافسة اليابانية والأوروبية

ـ الدرجة العاشرة من حيث الناتج القومي الخام لكل مواطن

ـ تبعية متزايدة نحو الخارج ٤٢٪ من النفط مستورد

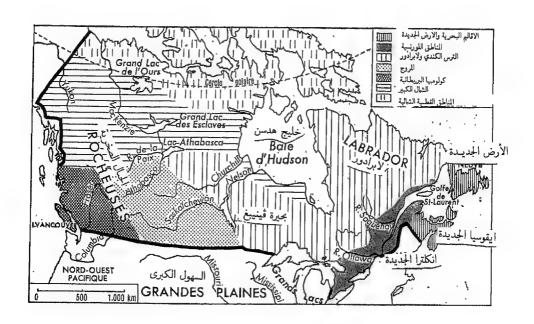
_ عملة مزعزعة : أونسة الدهب = ٨٢٠ دولاراً عام ١٩٨٠ و ٣٢٠ دولاراً في ١٩٨٢ و ٥٠٠ دولاراً

في ۱۹۸۲

ـ تضخم يعادل ١٩٧٨٪ في عام ١٩٧٩

☆ ☆ ☆

جغرافية الدول الكبرى (٩)



الشكل ١ المناطق الجغرافية في كندا

كندا

على تخوم المعمورة

لا تبدو المساحة الزراعية في هذا القطر الواسع كبيرة جداً ، فهي تبلغ ١٤ مليون هكتار ، مقابل ٣٢ مليون هكتار في فرنسا ، أو ٦٤٠٠٠٠ كيلو متر مربع ، أو ٢٠٠٪ من مساحة البلاد . وتقف الكوابح المناخية دون أي توسع زراعي إضافي ، بالرغ من التقنيات المتوائمة كالقمح الربيعي والزراعة الجافة (شكل ١) .

ويؤلف المزارعون ، الذين يشكل الملاكون المستغلون ٧٠٪ منهم ، أقبل من ٥٪ من السكان العاملين وعددهم في تناقص . ولا يوجد في هذه البلاد أكثر من ٣٠٠ مزرعة ، ارتفعت مساحتها الوسطى من ١٥٠ هكتار عام ١٩٦٧ إلى أكثر من ٢٠٠ هكتار في عام ١٩٧٧ ، هذا في الوقت الذي زادت فيه إنتاجية الزراعة الكندية بفضل ارتفاع مستواها التكنيكي .

المشاهد الزراعية القديمة والجديدة:

البلاد اللورانسية : بعد أن ظلت منطقة كيبك متأخرة لمدة طويلة فقد حسنت إنتاجيتها . وينصرف المستغلّون الذين تبلغ المساحة الوسطى لمزارعهم ٨٣ هكتاراً نحو منتجات الألبان ، وتقدم منطقة مونتريال نصف إنتاج الحليب والثار والخضروات . بيد أن الزراعة تتقهقر في أراضي الشال .

ويكون إقليم أونتاريو متيزاً بسبب جودة تربته ومناخه الملطف، لوجود كتلة المياه البحيرية المجاورة ، فهنا يكن زراعة الفواكه الحساسة كالدراق

والأعناب . وتكون الزراعة هنا متنوعة وحثيثة وذات أرباح عالية ، وتتجـه نحو الأسواق الحضرية في الولايات المتحدة المجاورة.

أما أراضي البراري المؤلفة من دبال أسود ، والمتصفة بجفافها النسبي فتناسب زراعة الحبوب التي تتناوب مع البور المحروث حسب أسلوب الزراعة الجافة dry farming فوق مستغلات كبيرة الأبعاد . وبعد أن عزفت منطقة البراري عن زراعة الحبوب الوحيدة ، أصبحت الآن تنبي تربية الأبقار والزراعات المهيأة للماشية ، كالشعير والأعلاف ، والذرة الصفراء العلفية .

أما كولومبيا البريطانية فتارس على الخصوص تربية الأبقار الواسعة Ranching فوق الهضاب العليا الداخلية . ولكن تظهر مزارع الأشجار المثرة ، البديعة المنظر في الأراض المروية .

الحاصيل الكبرى:

القمح: وتتجه ثلاثة أرباع محصوله للتصدير. وتنظم الحكومة التسويق والتخزين وفتح أسواق خارجية. ويلعب القمح الكندي دوراً استراتيجياً هاماً على الصعيد العالمي. وتكون تربية الأبقار الحلوبة في تراجع. بيد أن تربية أبقار اللحوم والتي تباع من الولايات المتحدة فتتقدم على الخصوص في إقلم البراري.

ولا تقدم تربية الحيوانات ذات الفراء (الثعلب الفضي والفيزون) سوى ٤٠ من إنتاج الفراء . وتنتج كندا ربع جلود الفرو في السوق العالمية ، ولكن الحكومة نظمت حملات الصيد للحفاظ على الوحيش faune المعرض للتهديد بالفناء مثل صغار الفقمة .

ولا يزال الصيد البحري حرفياً على السواحل الأطلنطية ، ولكنه أصبح

ضن إطار الصناعة الراقية على سواحل المحيط الهادي ، مما جعل مردوده يتناقص بسبب الإفراط في استغلال قيعان البحار . وتمارس الحكومة سياسة نشيطة للحفاظ على الوحيش البحري . ويصدر قسم كبير من الأسماك المصادة نحو الولايات المتحدة .



الصادرات الزراعية في ١٩٧٦ بملايين الدولارات : البذور الزيتية ٢٣١ ، الشعير ١٥٢ القمح ١٧٠ ، حبوب أخرى ٤٢٥ ، لحوم ٢٠٠ ، فراء وجلود ١٢٤ ، حيوانات حية ١٢٠ ، خضار ١١٥ ، تبغ ١٢٠ ، منتجات ألبان ، وتمثل جيعها ١٢٪ من جملة الصادرات الكندية .

الإحصائيات الزراعية لعام ١٩٧٧

الأقالم البعرية	كيبك	اونتاريو	مانيتوبا	ساسكاتشفان	البرتا	كولومبيا البريطانية	الجموع بآلاف الأطنان	i.ul
_	٠,٥	٤	27	٦٥	17	۰,٥	19701	القمح
۰,۵	1	۲	1.8	71	73	١,٥	11010	الشعير
_	_	١	_	_			17	الصويا
_	_	_	YX	**	**	10	3777	بذور زيتية
	٤	11	10	_	_	_	27.73	ذرة صفراء
_	٣	_	33	-	70	-	۱۰۰۸	شوندر سكري
۲	۲-	Yo	17	١٠	37	V	30/7/	أبقار (مجموع)
٤	0.	۲.		18	-	7	Y - £A	منها حلوبة
٤	11	77	_	10	_	7	٨٠١٧	حليب
73	31	۲.	1.	Y	7	3	YEAY	بطاطا
	-	٤٠	_	_	_			دجاج



كندا : الموارد الطبيعية (مصدرة كبرى للمواد الأولية)

قاثل كندا ، باعتبارها قطراً واسعاً ، وقليل السكان ، تماثل السويد ، أو سيبيريا ، من حيث شدة ثرائها بالموارد الطبيعية الخاصة بالعروض العليا ، كالأخشاب وبالتروس shields القديمة المتعدنة ، أي الفلزات . و يمثل استغلال هذه الموارد 7 ٪ من الناتج القومي الخام و ٣٠ ٪ من قيمة الصادرات في الوقت الذي تسمح فيه بنمو الصناعة في البلاد ، بيد أن وضع هذه المثروة الكامنة في موضع الاستغلال يكون عسيراً .

فالمسافات الكبيرة بين مواقع الإنتاج وأمكنة الاستغلال كالمحطات والموانئ ، أو مراكز الاستهلاك ، تتطلب استثارات جسية في سبيل إنشاء البنية الأساسية من طرق، وخطوط حديدية ، ممدَّدة خصيصاً لذلك وأنابيب . هذا كا أن المسافات لا تسمح إطلاقاً بتنظيم توزيع الموارد بصورة عقلانية بين شرقي البلاد وغربها . وتكون هذه المشكلة محلولة جزئياً بالتعاون مع الولايات المتحدة ، فيباع بترول البرتا في كاليفورنيا ، في حين تشتري البلاد الواقعة على نهر السان لوران فحم الأبالاش من الولايات المتحدة .

وتعيق قساوة المناخ عملية الاستغلال ، وتقسر أحياناً على إغلاق المناجم الواقعة في أقاص الشمال من البلاد

ويتعلق الإنتاج بالأسواق الخارجية وبتقلباتها ، ومنذ مدة قريبة أدى كساد النيكل إلى إغلاق مناجم منطقة سادبوري (شال بحيرة هورون) .

كا أن الاستثمارات الضرورية لاستغلال ثروات البلاد تكون من الجسامة بحيث تضطر كندا للاستعانة برؤوس أموال أجنبية ، ولا سيا الأمريكية منها ، وينتج عن ذلك نوع من تبعية اقتصادية وسياسية .

وقد لعبت وفرة الموارد الطاقية دوراً حاساً في استغلال ثروة كندا ، حيث تكون الحصيلة الطاقية فائضة . غير أن ذلك يستدعي حلّ مشكلات عويصة .

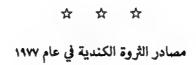
فالطاقة الكهربائية تقدم طاقة متجددة ، بيد أن الإنتاج يتقلّص في فصل الشتاء ، بسبب تجمد الأنهار ، لا سيا وأن المواقع الكبرى التي هي قيد التجهيز حالياً ، مثل خليج جيس ، مانيكواغان ، ونهر السلام Peace ، تكون واقعة في الشال و يجب تحقيق ارتباطها بمناطق الاستغلال بواسطة خطوط نقل ذات توتر عال . وتشكل هذه المشاريع أيضاً محذوراً لأنها تؤدي لاختلال التوازن الايكولوجي الضار بالهنود الأصليين . وتذلّل هذه المصاعب بالاستعاضة بمراكز حرارية يكون معظمها من النهط النووي .

كا أن الموارد النفطية الواقعة في ولاية البرت عدودة الخزون على خلاف ما كان يؤمّل منها قبل بضعة أعوام ، كا تكون نفقات الإنتاج مرتفعة جداً ، مثل حوض الماكنزي مثلاً .

ولا تمثل الموارد المعدنية المستغلة سوى قدراً ضئيلاً من المدخرات . والواقع تملك كندا على الخصوص احتياطاً من اليورانيوم يضعها في المرتبة العالمية الثانية .

ويؤلف الخشب ثروة عظيمة لأن ربع رقعة كندا تعتبر منتجة ، أو ٢,٥ مليون كيلو متر مربع ، ولكنها ثروة سريعة العطب بسبب الحرائق واستئصال الغابة ، وتنظم الدولة عملية الاستغلال والإشراف على عملية التحريج .

ويؤلف استغلال الثروات المعدنية ، أو الطاقيّة ، أو الغابيّة ، جبهة طلائعية تظل غير متصلة . فهي تتألف في أغلب الأحيان من خلايا منعزلة ، وتجهد الدولة حالياً لفك طوق عزلتها بإنشاء الطرق أو بالاستعانة بشبكة من الخطوط الجوية .



الإنتاج العالمي	المرتبة العالمية	الجموع	
-	~	۱۷۰	إنتاج الطاقة الأولية
-	-	100	استهلاك الطاقة الإجمالية
-	٥	717	الكهرباء الكلية . مليارك و س
-	۲	***	الكهرباء الهيدروليكية مليار ك و س
-	-	77	الكهرباء النووية مليار ك و س
-	15	۲۳	الفحم : ملايين الأطنان
-	14	٧٣	البترول
%0	٤	٧٤	غاز طبيعي : مليار م
X	۲	٥,٧	أورانيوم
-	٥	٧٨٠	نحاس
-	٦	****	حديد
XTT	١	770	نيكل
7,7%	٣	٥٣	ذهب (طن)
-	-	TTY	رصاص
XIX	1	14	زنك
/ Y%	۲	1087	أميانت
XIT	٣	17	نضة (طن)
	۲	1770-	استهلاك الفرد من الكهرباء بالعام
	۲	٦,٥٨	استهلاك الفرد طن معادل بترول

الصناعة والمواصلات كيف يمكن بعث النشاط في الرقعة الكندية ؟

تطرح تنية عجال اقتصادي على مقياس كندا مشكلات قد تستعصي على الحل : فالمناطق النشيطة شديدة التباعد عن بعضها بعضاً ، كا أن بؤر النشاط الصغيرة المنعزلة تكون عديدة ، ومن ناحية أخرى ، تتعرض كل المناطق الكندية لجذب المناطق الجاورة للولايات المتحدة . ويعاني الاقتصاد الكندي الكثير في سبيل إثبات ذاته تجاه جارة قوية للغاية .

المواصلات: استثمار ضروري ومرتفع الكلفة

تجعل قساوة الشتاء الكندي ، كالأنهار المتجمدة ، والمدن والمطارات المحاصرة بالعواصف الثلجية ، والطرق الخافسة خلال الربيع ، تجعل من الخط الحديدي الوسيلة الوحيدة للنقل الدائم . بيد أن هذا الخط فقد بعض أهميته بحيث لا يحقق الآن سوى ٣٠٪ من حركة نقل البضائع ، مقابل ٤٠٪ للطرق المائية ، و ٢٠٪ للأنابيب . أما الطائرة فلا تحقق نشاطاً هاماً على خطوط منتظمة فحسب ، بل تقوم أيضاً بفك طوق عزلة المراكز الصغيرة المنعزلة في الشال .

صفات الصناعة الكندية:

لقد ظلت كندا ، ولمدة طويلة ، عبارة عن دولة تصدر المواد الخام بعد معالجة بسيطة . ولم يقم التجهيز الصناعي فيها إلا خلال الحربين العالميتين بفضل رؤوس الأموال الأجنبية ، ولا سيا الأمريكية منها . ولكن نظراً لافتقارها إلى التقاليد الصناعية فقد كانت الإنتاجية فيها دون مثيلتها في الولايات المتحدة ، كا

كانت الأجور فيها متدنّية بالتالي . أما في الوقت الحاضر فتوفر الصناعة العمل لحوالي ٢٨٪ من السكان العاملين ، وهذه نسبة لا تزال منخفضة نسبياً ولا تقدم سوى ٣٢٪ من الناتج القومي الخام PNB .

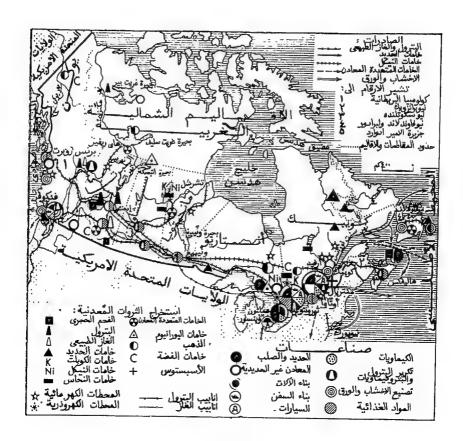
لائحة صناعات كاملة نوعاً ما:

تحتل الصناعات المرتبطة بالثروات الوطنية مكانة هامة: فتستغل الطاقة الكهرمائية لإنتاج الألنيوم حيث بلغ إنتاجها منه مليون طن ، مما بوّأها المرتبة الثانية في العالم ، اعتاداً على البوكسيت المستورد ، والخلائط الحديدية ، ومعجونة السورق وورق الصحف المذي منحها المدرجة الأولى في العالم . وبلغت كندا في مضار إنتاج الصناعة الحديدية أهية دولية إذ أصبحت تنتج ١٥ مليون طن في ١٩٨١ حيث تقوم المصانع في الموانئ البحرية أو الداخلية . وقد أذى تطور الإنتاج البترولي البالغ ٧٢ مليون طن حديثاً إلى قيام صناعات كهاوية طلائعية .

هذا وتكون الصناعات التحويلية متفاوتة في تطورها: فتقوم كندا بتجميع سيارات ولكنها لاتصنع سوى سيارات ثلجية auto-neiges. ويكون إنتاج الصناعات الجوية دقيقة التخصص أيضاً، وتتثل في شركة هافيللاند كانادير، شأن صناعات الأدوات الكهربائية كالعنفات والأفران الكهربائية. هذا ويقوم فيها أيضاً عدد من مصانع سلع الاستهلاك المبعثرة فوق رقعة أرضها، وتصنع منتجات استخدام عادي من أجل السوق المحلية (شكل ٢).

مشكلات إقلمية:

تظل الصناعة في كل الغرب والوسط الكندي صناعة شديدة التخصص مثل صناعة الألمنيوم الحرارية في كيتمات Kitimat على ساحل المحيط الهادي ، أو لا تصنع سوى ما هو ضروري للحاجات المحلية . وعلى العكس فإن أونتاريو



صناعة كندا الشكل ٢

وكيبك تنتجان في الوقت ذاته للأسواق الإقليمية وللسوق الوطنية ، وحتى الدولية بالاتفاق مع الولايات المتحدة . وإذا كانت مقاطعة أونتاريو هي الأكثر أهمية فهي لا تحاول مثل كيبك إقامة قائمة كاملة من صناعات تحقق لها الاستقلال الاقتصادي .

☆ ☆ ☆

الكنديون

كثافات ضعيفة:

لا تعني الكثافة الوسطية وهي ٢,٥ نسمة في الكيلو متر المربع شيئاً تجاه اتساع رقعة الأراضي الشاغرة . فمعظم السكان أو ٢٤,٥ مليون نسمة ، يقيون في شريط جنوبي يدعى كندا المفيدة . غير أن شبه الجزيرة الأونتارية ، ووادي السان لوران هما الوحيدان اللذان يتصفان بكثافة شبه أوروبية .

استيطان سكاني نشيط:

لقد تضاعف سكان كندا أربع مرات مند ١٩٠٠ ، ولكن نسبة النهو لا تتوقف عن الاسترخاء منذ ١٩٦٠ . ويبلغ النهو الطبيعي حالياً ٩,٤ بالألف أو ٨,٠٪ مقابل ٧,٩٪ في الكويت في ١٩٨١ ، أي عشرة أضعاف كندا . وتكون نسبة الوفيات ضعيفة جداً ، ٧,٣ بالألف ، وهو طبيعي في قطر فتيّ ذي مستوى صحي عال . ولقد تعرضت نسبة التوالد إلى انخفاض عظيم : فبين ١٩٥٥ و ١٩٧٨ هبطت من ٢٨ بالألف إلى ١٩٥٨ بالألف . ولم نعد نلاحظ ، كا في الماضي ، خصوبة أكثر شدة لدى الكنديين الفرنسيين بالموازنة مع الكنديين الناطقين بالإنكليزية . وتكون حصيلة الهجرة إيجابية أيضاً لأن عدد الداخلين كان ١٥٠٠٠٠ سنة ١٩٧٦ مقابل ١٠٠٠٠ من المغادرين . ولكن حركة الهجرة إلى كندا تبدو أقل نشاطاً مما كانت عليه قبل الحرب العالمية الثانية ، لأن كندا تحاول اجتذاب العال المختصين الذين يستقر نصفهم في ولاية أونتاريو .

حركات داخلية معقدة:

هناك ثلاث حركات تحدث في وقت واحد:

من الأرياف نحو المدن : ففي عام ١٩٠١ كان ٣٧٪ من الكنديين يعيشون من الأرياف نحو المدن . ١٤٠ -

في المدن . أما الآن فإن المدن تضم ٧٧٪ من سكان البلاد . وهناك ثلاث مدن مليونية عملاقة تستفيد أكبر استفادة من هذا التركز وهي : تورنتو وفيها ٣ ملايين نسمة حالياً ، ومونتريال ٣ ملايين أيضاً ولكن بسرعة أقل تسارعاً ، وأخيراً فانكوفير وهي المدينة الكبيرة الوحيدة في الغرب الكندي وفيها ١,٣ مليون نسمة .

ومن سائر أنحاء كندا باتجاه ولاية أونتاريو: ذلك أن الاقتصاد الشديد الحيوية في هذا الإقليم ، ومناخه الأكثر عذوبة ، لأن الكرمة تجود على ضفاف البحيرات الكبرى ، ومجالات العمل في مدينة تورنتو ، تتضافر جميعاً على جذب المهاجرين الجدد ، والريفيين ، وحتى من أهل منطقة كيبك . وتحوي ولاية أونتاريو حالياً ٨ ملايين نسبة مقابل ٦ ملايين في مقاطعة كيبك ، بعد أن كانتا متعادلتين في بداية هذا القرن .

ومن مختلف القطاعات الاقتصادية نحو القطاع الثلاثي: والذي يضم حالياً ٦٣٪ من العاملين مقابل ٤٤٪ في عام ١٩٥١ .

إعمار سكاني متنوع: يميز على المستوى الرسمي أربع مجموعات عنصرية هي :

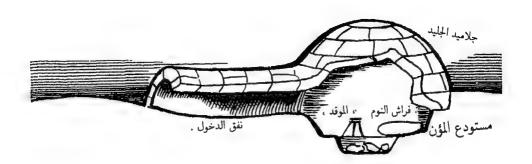
البريطانيون : وكانوا يؤلفون ٤٤٦٦٪ من السكان عام ١٩٧٦ .

الفرنسيون : ويشكلون ٢٨,٧٪ .

الكنديون الجدد : ٢٥,١٪ منهم ٢٣٪ من أصل أوروبي .

الأسكيو (شكل رقم ٣) والهنود الحمر : ١,٥٪ .

والواقع هناك كتلتان تحاولان التشكل والتكتل ، وهما الناطقون بالإنكليزية ، ويؤلفون ٧١٪ من السكان والناطقون بالفرنسية ٢٩٪ . ولا تبدو



مخطط للإيغلو: بيت الأسكيمو الشكل ٣

ازدواجية اللغة التي يريدها الفرنسيون غير ذات معنى بالنسبة للكنديين الجدد ، الذين يفضلون تعلم الإنكليزية التي تمثل الثقافة السائدة في القارة الأمريكية .



تطور نسبة السكان العاملين حسب القطاعات الثلاثة

القطاع الثلاثي	القطاع الثنائي	القطاع الأولي	السنة
8.8	77	۲.	1901
٥٢	٣٦	14	1171
٦.	٣٢	٨	1111
77	۸۲	٦	1477

المدن الكندية:

إذا تفحّصنا أوضاع الحياة ، السائدة في المدن الكندية ، استطعنا أن نميز ، وذلك استناداً إلى الدراسات الحديثة التي تمت لحساب وزارة الدولة للشؤون العمرانية ، أربعة نماذج من الأحياء :

- الأحياء المتقهقرة : وهي الواقعة في قلب أكبر المدن الكندية ، وتكون مأهولة بجاعات من الفقراء . وتكون المساكن فيها غاصة وهرمة ، ويكون الجنوح فيها منتشراً ، ولا سيا بين الشبان ، كا أن حالة السكان الصحية تكون ، بكل وضوح ، دون مثيلتها في الأحياء الأحسن حالاً .

الأحياء المستقرة : وتعطي صورة مختلفة تماماً ، مع أنها مأهولة بأناس من ذوي الدخل المتواضع . وهي وإن كانت أبعد من أن تكون موسرة ، فلديها ما يكفي من الجاذبية على الصعيد الفردي وعلى المستوى الاجتاعي ، مما يجعل سكانها متعلقين بها ، وقلّما يبدّلون مساكنهم . ويبدو على السكان أنهم معجبون بالحياة المادئة السائدة فيها .

- أما الأحياء المتجددة ، فهي أحياء قلب المدينة ذات الكثافة السكانية الضعيفة : ففي هذه الأحياء الكثير من البيوت الصغيرة الخاصة ، التي توفر إمكانات هامة للترميم والتي تبدو مرغوبة أكثر من قبل العائلات القادرة على شراء مساكنها ، مع أنه لا يزال الكثير من المائلات من الذين يرغبون العيش في دارة « فيلا » في الأرباض « الضواحي » حسب المثل الأعلى الأمريكي . وهكذا نجد حركة شبه مسترة ، وهي أن الناس الميسورين من مستوى ثقافي مرتفع ، أي أعلى من المتوسط ، على العموم ، أن يحلوا مكان العائلات الفقيرة التي كانت تقطن في هذه الأحياء منذ زمن طويل .

- وهناك قطاعات أخرى في المدن الكبرى ، أصبحت هدف تطوير على مقياس كبير ، بسبب غو وتطور المدن ذاتها . فقد قامت فيها أبراج سكنية على شكل موجات متعاقبة ، مثلما حدث في تورنتو على طول خط مترو شارع يونج . ويستطيع هذا التطور أن يقدم فرصة تصابي العارات ، بيد أن غط الحياة قد تبدل ، ذلك لأن الأبراج العالية تؤلف بيئة لا تستجيب دامًا مع الحاجات الإنسانية .

كندا اليوم . نيسان ١٩٨٠



الإنسان الكندي

من الواجب أن يؤلف الكنديون شعباً يجهل المشكلات الخطيرة: ففي عالم يضيق ذرعاً بسكانه لا يفتقر الكنديون إلى المكان الرحب الفسيح ، كا أنهم أغنياء لأن دخلهم الوطني الخام PNB بلغ ٩٦٦ مليار فرنك فرنسي عام ١٩٧٧ ، بما يضعهم في المكانة الثالثة بالعالم ، كا أن الناتج الوطني الخام الفردي يبلغ ١٥٠٠ فرنك أو ٨٣٠٠ دولار أي يحتلون المرتبة السادسة للدخل الفردي . كا يكون مستوى استهلاكهم عالياً ، فلديهم ٣٧٤ سيارة سياحية لكل ١٠٠٠ مواطن ، كا أن نسبة الوصول إلى التعليم العالي تعتبر من أعلى مثيلاتها في العالم ، إذ تبلغ ٨٩٤٪ أو نصف طلاب الثانوي تقريباً . وإذا استثنينا أزمة عام ١٩٧٥ فإن الدخل القومي الخام يتقدم حسب نسق يبلغ ٧٣٪ في العام . غير أن المصاعب والمشكلات لا تكون معدومة .

ثروات غير مستغلة كا يجب:

إذا كان الميزان التجاري فائضاً لأن الصادرات بلغت في عام ١٩٧٧ مقدار ٤٢,٢ مليار دولار كندي ، مقابل ٤٢ مليار دولار للاستيراد ، فإن ميزان المنتجات المصنوعة يكون عاجزاً ، بينا تبيع كندا معظم صادراتها بحالة خام ، ومن ناحية أخرى فإن ميزان المدفوعات خاسر بسبب الفوائد المدفوعة للمستثرين الأمريكيين أو سواهم . وكان الدين الخارجي يمثل ٥٠٪ من الناتج القومي الخام عام ١٩٧٨ . ويدل هذا الوضع على أن الكنديين يفتقرون للمبادهات ولرؤوس الأموال اللازمة لاستغلال بلدهم . وأخيراً تستأثر الولايات المتحدة بنسبة ٧٠٪ من المبادلات الكندية . وربحا يكون من المزعج وجود جار بمثل هذه القوة ، وقد قررت الحكومة الإشراف على الاستثمارات الأجنبية وتحديدها .

ثروة غير عادلة التوزيع:

يختلف الدخل العائلي حسب معدلات كبيرة جداً بين إقليم وآخر: فهو يبلغ المدخل الدخل العائلي حسب معدلات كبيرة جداً بين إقليم وآخر: فهو يبلغ المدرد الكويتي أو القطري في أونتاريو في حين لا يزيد عن ١٣٥٠٠ دولار في المقاطعات البحرية الشرقية. ففي هذه المقاطعات ذاتها تكون البطالة عالية جداً فبلغت ١٢٪ عام ١٩٧٧ مقابل ٢,٢ في أونتاريو، و ٨,٧ في كيبك وعلى كل أصابت البطالة في مطلع عام ١٩٨٣ ه. مليون نسمة أو ٨,٢٪ من القوى العاملة. غير أن هذه الفوارق تكون معوّضة على كل حال بعون فيديرالي إلى المناطق الأقل رخاءً.

إقليم كيبك ومشكلة الوحدة الوطنية:

يعتبر أبناء مقاطعة كيبك أنفسهم مختلفين عن سائر الكنديين . فقد كانوا أول من دخل البلاد ويفتخرون باحتفاظهم بثقافة ذات أصالة بلغتها وبإيمانها الكاثوليكي . وقد خضعوا لوضع استعاري خلال أمد طويل ، فقد جرى استبعاد « هؤلاء الزنوج البيض الأمريكيين » لمدة طويلة عن الحياة الاقتصادية وعن وظائف المسؤولية كالإطارات والوظائف السياسية الخ .. ولا يزال دخلهم حتى الوقت الحاضر أقل ارتفاعاً من دخل الناطقين بالإنكليزية ، كا أن فرص ارتقائهم تظل أقل ، وإذا كانوا قد حصلوا على حق ازدواجية اللغة في عام ١٩٦٩ في كل كندا فإن هذا القانون لا يجري تطبيقه إلا في مقاطعة كيبك حيث يؤلفون الأكثر نة .

وقد استفحل شعورهم القومي منذ بضعة أعوام مما أدّى إلى تشكل حزب كيبكي راح يطالب بالاستقلال مما دعا لإجراء استفتاء في عام ١٩٨٠ . ولكن إذا حصلت كيبك على الانفصال فيا هو مصير الأقليات الفرنسية في المقاطعات الأخرى كالأكاديين في إقليم نيوبرنسويك ؟ كا يمكن التفكير إذا حصل وتفكك الاتحاد الكندي فإن المقاطعات التي لا يميزها شيء عن الولايات المتحدة على المستوى الاقتصادي والثقافي ستشعر بنفسها وكأنها مجذوبة من طرف قطب المستوى الاقتصادي والثقافي ستشعر بنفسها وكأنها مجذوبة من طرف قطب

أمريكي جاذب . ترى ما هو مصير كندا في مثل هذه الحالة ؟ وعلى كل ظلت كيبك جزءاً من الاتحاد الكندي نتيجة الاستفتاء لأن مصالح الغالبية كانت في ذلك .

ል ል ል

منشور الحزب الكيبكي من أجل استفتاء عام ١٩٨٠:

يتم التطور الاقتصادي على حساب مصالح كيبك ، في حين تكون هذه المقاطعة في أمس الحاجة لأن يكون اقتصادها مزدهراً وحركياً ، لضان بقاء ثقافة الغالبية العظمى من سكانها على المدى الطويل . وقد برهن النظام الاتحادي بأنه كان يلعب دوماً تقريباً ضد مصالح أبناء كيبك . ولم يعد هناك وقت للانتظار من أجل وضع حد لمثل هذا الوضع . ولا تستطيع أية جماعة أن تقبل إلى ما لا نهاية أن تعهد بصيرها الخاص للآخرين دون أن تخسر كرامتها ودون التعرض لخطر قاتل لبقائها .

وتملك مقاطعة كيبك كل الموارد المادية والبشرية الضرورية لأن تمارس سيادتها السياسية . ولكنها لا تدّعي بأن لديها القدرة لأن تعيش ضمن العزلة أكثر من أية جماعة عصرية أخرى . فهي تشعر بالعديد من الشبكات المؤلفة من العلاقات المتبادلة التي توحّد مختلف الجماعات فيا بينها ، وهي مستعدة لأن تحتل مكانها كشريك مسؤول ونشيط فعّال ، ولا سيا فيا يتعلق بهذه الارتباطات المتميزة الناجة عن التاريخ والجغرافيا .

وبالتالي فإن حكومة ناشئة عن الخزب الكيبكي ستتعهد بتحقيق السيادة السياسية بالطرق الديوقراطية ، وتعرض على كندا مشاركة اقتصادية مفيدة للجانبين .

الشعور بالذات الكندية :

إن هذا الشعور الذاتي الذي يجب علينا تعليه ونشره ، هو الشعور بالولاء لشيء يتجاوز إلإقليم أو المدينة التي يحيا فيها الإنسان حياته ، ويجب أن يجد أساسه في جماعة حقوق المواطن الجوهرية ، وفي وصول هذا المواطن إلى حقه في قدر من وفرة الثروات الكندية وفي ثراء وتنوع قوانين البلاد . وفي هذا المعنى يجب أن تتفوق المصلحة الوطنية على المصلحة الإقليبية ، مها كان ذلك عسيراً أحياناً بالنسبة لبعضنا ، من الذين يصعب عليهم تناسي انتائهم إلى مدينة أو إلى مقاطمة ، لأن الحكومات الإقليبية والجاعات الأخرى تحاول أن تجعل الغلبة لمصالحها .

خطاب رئيس الوزراء بيير ترودو ١٩٨٠/٤/٣٠

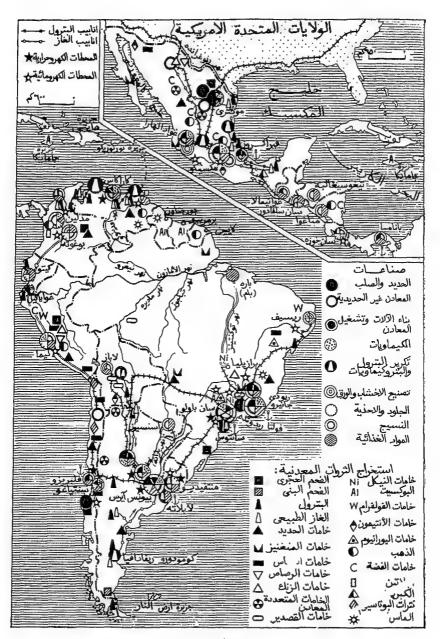
أمريكا اللاتينية

جزء من العالم الثالث

تضم أمريكا اللاتينية مجموعاً جغرافياً فسيحاً يؤلف ١٦٪ من مساحة الأرض العائمة ، إذ تشتل على أرخبيل الأنتيل وبرازخ أمريكا الوسطى والمكسيك ، وتتألف بالأصل من فتوحات قام بها الإسبان والبرتغاليون على حساب هنود أمريكا خلال القرن السادس عشر ، ثم تحولت إلى مستعمرات تشبّعت « باللاتينية » التي تتجلّى بالديانة الكاثوليكية وبانتشار اللغتين الإسبانية والبرتغالية ، ماعدا شطر من جزر الآنتيل ودويلات غويانة الثلاث . ولقد تحررت في بداية القرن التاسع عشى ، ولكنها ظلت مشتتـة على شكل دول صغيرة ، وبعضها في طريقـه إلى « التخلص من الاستعار » بحيث أصبحت أمريكا اللاتينية تؤلف ثلاثين وحدة سياسية مابين دولة مستقلة وأراض تابعة ، متفاوتة الأبعاد ، وذات أوضاع سياسية أو اقتصادية على درجة كبيرة من التنوع ، دول تتقاسم « شبه القارة » ، التي ظلت خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين عرضة لاضطرابات حدودية أو لحروب أهلية شديدة الفتك ، تتلاعب في مقدراتها مصالح الدول العظمي ، لأن الحرب الأهلية في نيكاراغوا ، في عهد الديكتاتور سيوزا ، كلفت البلاد قرابة ٤٠٠٠٠ قتيل في بلد لا يزيد تعداد سكانه عن ٢٫٥ مليون نسمة . وفي هذه الجمهوريات الاتحادية ، كالمكسيك ، وفنزويلا ، والبرازيل والأرجنتين ، أو « الموحدة » تشهد الفترات الثورية والديكتاتوريات ، التي تقوم على أيدي عسكريين Caudillo ، أو رجال الأعال Compradors ، تشهد على غليان سياسي مستمر . وقد أصبحت كوبا منذ عام ١٩٥٩ قطراً اشتراكياً وعضواً في الكوميكون ، وتكون البنى الاقتصادية والاجتاعية التي تحمل الطابع العتيق الموروث عن المرحلة الاستعارية هي المسؤولة عن ذلك ، مما يساعد على هيئة الرأسمالية الأجنبية و « زعامة » الولايات المتحدة ، والتي أصبحت بموجب مبدأ مونرو ١٨٢٣ الذي نادى بشعار « أمريكا للأمريكيين » ، أصبحت تضم « نصف الكرة الغربي » ضمن نطاق نفوذها ، وهكذا اتخذت منظمة الدول الأمريكية ، التي أنشئت في عام ١٩٤٨ من العاصمة واشنطن مقراً لها .

وتجابه كل أمريكا اللاتينية مشكلات التخلف بدرجات متباينة . ففي بعض الحالات نجد أن الناتج الداخلي الخام الفردي عالياً نوعاً ما ، ويعود ذلك إمّا لدع الدولة المسيطرة ، مثل بورتوريكو التابعة للولايات المتحدة ، ٣٣٠٠ دولار ، أو نصف الدخل الفردي في الولايات المتحدة ، أو بسبب الثروة النفطية ، مثل فنزويلا التي يرتفع الناتج الداخلي الفردي الخام فيها إلى ١٨٠٠ دولار . هذا ويكون لأكثر دول أمريكا اللاتينية تطوراً ، مثل الأرجنتين والأوروغواي ، اللتين يتصف اقتصادها بالركود ، أو البرازيل والكسيك اللتين تشهدان نهضة محسوسة ، دخلاً فردياً يتراوح بين ١٠٠٠ و ٢٠٠٠ دولار ، أي دخلاً عاثل البرتغال وإسبانيا ، في حين لا يتجاوز لدى أكثرية الدول الأخرى خمسمئة دولار ، أي عاثل ال خل في أقطار المغرب العربي أو متوسط الدول العربية غير النفطية . ولكن دولة هايتي لوحدها ، هي التي يهبط الدخل الفردي فيها إلى ٢٥٠ دولاراً ، تدخل في زمرة أقطار أفريقيا السوداء وآسيا المدارية ، أو تندمج في زمرة أكثر دول العالم فقراً وجهلاً وأمراضاً ، أو العالم الخامس .

ويمثل القطاع الثانوي « الصناعي » على العموم مابين ١٥ إلى ٣٠٪ من السكان العاملين (شكل ١) ، بما في ذلك العاملين في الصناعة



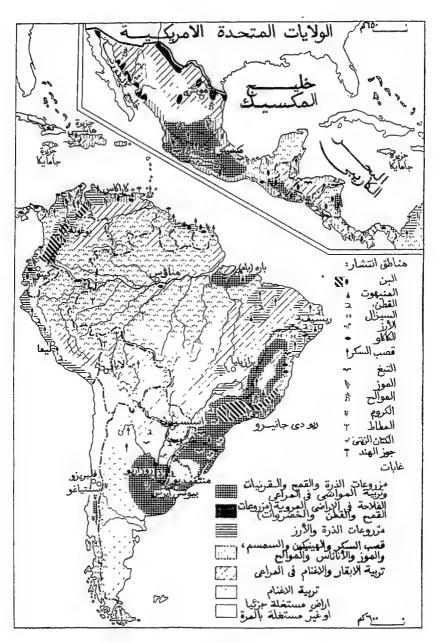
الشكل ١ الصناعة في أمريكا اللاتينية

الاستخراجية ، أما القطاع الثلاثي فيكون أكثر اتساعاً . ويكون أحياناً « قطاعاً ثلاثياً بدائياً » ، حيث تحتل الخدمات المنزلية والمهن الصغرى مكانة واسعة . أما حصة العاملين في الزراعة (شكل ٢) ، التي تتجه للتناقص بصورة صريحة ، فتتراوح بين ٣٠ و ٣٠٪ وأحياناً دون ٢٠٪ ، كا في الأرجنتين والأوروغواي ، أي تقل عن نسبتها في الأقطار الآسيوية الفقرة أو الأفريقية .

وتسود في هذه المنطقة من العالم الملكيات الزراعية الكبرى وقد جرت محاولات لتطبيق الإصلاح الزراعي ولكنها نادراً ماأنجزت تماماً، اللهم إلا في كوبا، وفي المكسيك حيث تم استلاك ٢٥ مليون هكتار، بعد اللهم إلا في كوبا، وفي المكسيك حيث تم استلاك ٢٥ مليون هكتار، بعد وزيعها على الجماعات القروية التي شكلت ما يسمى أجيدوس ejidos ولكنها أصبحت في أيدي فلاحين فقراء، محرومين من الوسائل التقنية، مما جعل هذه الملكيات الصغرى لاتنتج سوى ما يكفي لمعيشة العاملين فيها. ويظهر انعدام المساواة في كل مكان من أمريكا الجنوبية. ففي البرازيل، كا هو الحال في الأرجنتين، يستأثر ٥٪ من العائلات، وهي الغنية، بربع الدخل الوطني، في حين يكتفي أكثر قطاعات الشعب فقراً، وهم ٢٠٪ من السكان، بنسبة ٥٪ من الدخل الذكور.

وتنتسب أمريكا اللاتينية ، من حيث وجهة النظر إلى وتيرة غوها الديموغرافي ، إلى العالم الثالث ، فابتداءً من الفترة الواقعة بين ١٩٢٠ و ١٩٤٠ ، كان الفائض الطبيعي يقارب ٢٪ سنويا ، كي يبلغ ٣٪ بين ١٩٥٠ و ١٩٧٠ . وهكذا تضاعف عدد السكان ثلاث مرات في خلال نصف قرن فقفز من ١٩٥٠ مليون نسمة في ١٩٣٠ إلى ٣٦٠ مليوناً في ١٩٨٠ .

ويؤلف الذين تقل أعمارهم عن ١٥ سنة في معظم دول أمريكا اللاتينية ٤٠٪ وحتى ٥٠٪ من مجموع السكان هذا مقابل ٤ إلى ٦٪ من الذين تزيد أعمارهم عن ٦٥ سنة ، هذا بينا لاتزيد نسبة الذين تقل أعمارهم



الشكل ٢ الزراعة في أمريكا اللاتينية

عن ١٥ سنة عن ٢٣٪ في السويد. أما في الأرجنتين والأوروغواي ، وحتى الشيلي ، حيث ينتي جميع السكان تقريباً لأرومة أوروبية ، فإن الفائض السكاني يكون أقل من ذلك ، بحيث تمكن مقارنته مع إسبانيا أو ١٪. ويقوم التوسع الديموغرافي بتغذية تحضّر عمراني فوضوي . ويكفي في هذا الجال أن نشير إلى أحياء القصدير في العواص (١) . وحتى الآن لازالت الموارد الغذائية أواكب ، رغ ضعف المردود الزراعي ، النمو السكاني ، وعلى خلاف ما يحدث في آسيا الجنوبية الشرقية ، أو في أفريقيا ، فإن الجاعات تكون استثنائية ، وإن كان سوء التغذية ملحوظاً في الكثير من مناطق أمريكا اللاتينية .

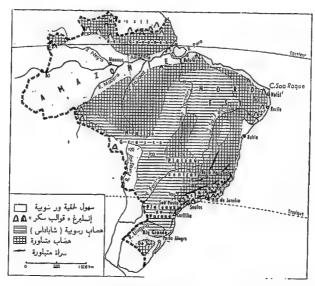
ولم تأخذ تبعية أمريكا اللاتينية اقتصادياً تجاه الدول الصناعية بالتناقص، إلا منذ عهد قريب جداً، تلك الدول التي تجد هنا المواد الأولية والسلع الغذائية الرخيصة، وأسواقاً لتصريف منتجاتها الصناعية، وأمكنة رحبة لاستثمار رؤوس أموالها. وإذا كانت المكسيك قد عمدت إلى تأميم حقول نفطها في ١٩٣٨، فإن فنزويلا وهي إحدى أعضاء منظمة الدول المصدرة للنفط، لم تسيطر على مواردها إلا منذ ١٩٦٧. ولقد استطاعت الدول التي تملك عائداً نفطياً، أو بعض الدول الغنية نسبياً، مثل البرازيل والأرجنتين، لوحدها، أن تتحرر جزئياً من رؤوس الأموال الأجنبية كي ترسي قواعد صناعة وطنية. وتظل كل هذه الدول مصدرة للمواد الأولية الخنام، من معدنية وزراعية، والتي تتعرض أسعارها لمضاربات شديدة. إذن يتعلق الازدهار الاقتصادي بمحصول واحد وبسوق واحدة. هذا مثلما نلاحظ أيضاً أن نسبة النهو الاقتصادي تحوم منذ بضعة أعوام حول ٥٪ في حين أن التضخم المزمن يحتل الأرجنتين، عما يعرض هذه الأقطار لهزّات اجتاعية وسياسية مؤلة.

⁽١) وهي أحياء بائسة غير منظمة تسكنها جماعات وافدة من الريف ، وتدعى العشش في مصر ، والصرايف في المراق والصنادق في دول الخليج العربي ، والبراكات في سورية .

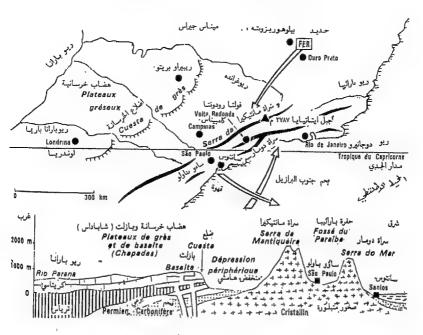
البرازيل

« القارة البرازيلية »

تكون البرازيل ، التي تبدو وكأنها تتقدم في الحيط الأطلنطي لملاقاة أفريقيا ، تكون معزولة في أمريكا الجنوبية بواسطة فيافي الأمازون وماتّوغراسو . ونظراً لوقوع عرضها الأعظم فوق خط العرض ٥ جنوباً ، أي على عرض رأس ساءوروك ، ولوقوع معظمها في نطاق مابين المدارين ، فهي تمتد على مساحة تبلغ ٨,٥ ملايين كيلو متر مربع ، أو ما يقارب مساحة الصين ، أو نصف مساحة الوطن العربي الكبير . وتغطى « الهضبة البرازيلية » الفسيحة ثلثي مساحتها (شكل ٣) . وهي عبارة عن ترس shield قديم ، تعرض لخفس في الشمال الغربي ، ولنه وض في الجنوب الشرقي . أما من طرف الحيط الأطلسي فهناك صدوع تجزّئ هذا الترس إلى كتل جبلية جانحة basculés ، تؤلف جبال سراة مانتيكيرا (شكل ٤) ، والمتدة بين مدينة رسيف و پورتو آليڤرو ، والتي ترتفع إلى ٢٧٨٧ م . وتواكب « قوالب السكر » الغرانيتية سبحة من سهول ساحلية ، مفرّضة مخلجان واسعة مثل خليج ريودو جانيرو . أما في اتجاه الداخل فتسود سطوح منبسطة ، هي عبارة عن أشباه سهول Pénéplaines متبلورة تنبثق فوقها بعض الأعراف المؤلفة من صخور أكثر مقاومة ، مثل موائد الصخر الرملي المهاة شاپاداس chapadas ، أو تكون عبارة عن لابات بازلتية . غير أن حوض الأمازون الذي اعتراه خفس بسيط ، أدّى لتراكم أكثر من ٣٠٠٠ م من رسوبات ناعمة (غرين) فيه ، ويتعرض لالتواء انكباسي subsidence على شكل مقعر



الشكل ٣ التضريس والمناطق الطبيعية في البرازيل



الشكل ، الشرق: المنطقة الحيوية في البرازيل

فضفاض ، بين الهضبة البرازيلية من جهة وبين هضبة الغويانة من الشال ، من جهة أخرى ، وهو يؤلف منخفضاً ، لايزيد ارتفاعه في أي مكان عن ٣٠٠ م ، وبعد أن يتخذ شكلاً شبه دائري عند حضيض جبال الآند غرباً ، نراه وقد أصبح ضيقاً عند الاقتراب من المصب العريض . ويكون حوض الآمازون النهري غير متناظر . فالنهر يجري في محور المقعر synclinal مع انحدار غير محسوس ، وذلك حتى في « ممر » أوبيدوس Obidos ، ولا تصل إليه أكثرية روافده من الضفة اليني إلا بعد أن تقفز من فوق الجنادل والشلالات عند منحدر الهضبة البرازيلية . وقلك البرازيل أيضاً شطراً من سهول پاراغواي المستنقعية والتي تسمى پانتانال . Pantanal

ويعمل كل من ارتصاف التضريس والموقع على درجات العرض على جعل المناخ نطاقياً ، والذي يكون بسيطاً من الناحية الحرارية ، ولكنه يضطرب بشذوذات مطرية . فالبرازيل الاستوائية تتجاوز مهد سهول الأمازون المنخفضة . وتتراوح درجات الحرارة الشهرية بين ٢٥° و ٣٥° ويكون الحر ثابتاً وعالياً في حين تزيد كمية الأمطار السنوية عموماً عن المترين . غير أن النظام الاستوائي ، الذي يتميز بحدين أقصيين في الاعتدالين ، لا يسود إلا في غرب الحوض ، حتى أن لمدينة ماناؤوس فصل جفاف خلال الشتاء الجنوبي ، أي من تموز إلى أيلول . وهكذا عيز أهل البلاد فصل « ربيع Verâo » .

وتستفحل الملامح المدارية فوق الهضبة البرازيلية: فتكون السعات الحرارية أكبر، وفصل الجفاف أكثر وضوحاً. ولكن هناك برازيل شبه قاحلة شاذة تقع على درجات عرض منخفضة، بين درجة العرض ١٧، أي في الحوض الأعلى لنهر ساؤو فرانسيسكو، ودرجة العرض ٣ جنوباً عند مدينة فورتاليزا شال رأس ساءوروك. ذاك هو إقليم « نوردسته Nordeste » أو

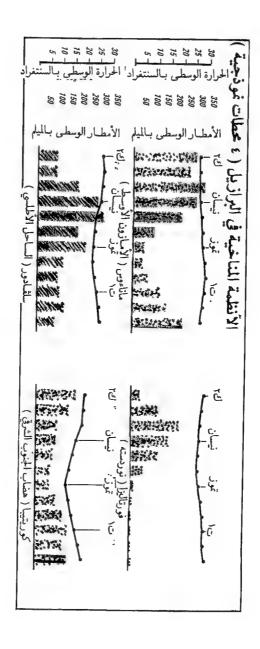
الشال الشرقي الذي يدين لعوامل مناخية معقدة بأمطار تقل وسطياً عن المتر، أو تقل عن ٥٠٠ مم أحياناً كا في « مضلع الجفاف » ، كا تكون عدية الانتظام في المكان والزمان . أما الساحل الأطلنطي ذو الجروف القائمة فيظل بين سلقادور وسانتوس ، على العكس ، مصحوباً بتيار بجري من مياه استوائية ، وبالتالي حاراً ورطباً . غير أن لمدينة ساءو پاولو ، التي تبعد عن البحر مسافة ٥٠ كيلو متراً والتي تقع على ارتفاع ٥٠٠ م ، فصل شتاء أكثر برودة ، لأن حرارة تموز لا تقل عن ١٤ درجة ، هذا مثلما تتعرض أحياناً شجيرات القهوة للصقيع . وتظهر البرازيل شبه المدارية فيا وراء خط العرض ٢٥ ابتداء من مدينة كوريتبا ، أو بالأحرى البرازيل المعتدلة مع فصل شتاء جنوبي لا يزال لطيفاً .

☆ ☆ ☆

تتألف البرازيل من ثلاث مجموعات كبرى قليلة التضاريس ، هي سهل الأمازون الشديد الاتساع ، و « الهضبة البرازيلية » والتي هي أكثر اتساعاً أيضاً ، وأخيراً حافتها الجبلية المطلة على المحيط الأطلسي ، والتي لا يتجاوز عرض سهولها الساحلية عن ١٠٠ كيلو متر . إذن تحتل الأراضي المنخفضة التي يقل ارتفاعها عن ٢٠٠ متر مقدار ٤١٪ من مساحة البلاد ، والهضاب المنخفضة ، أي بين ٢٠٠ و ما كثر من نصف مساحة البلاد أو ٢٥٪ . وهناك نسبة تزيد عن ٢٪ مؤلفة من هضاب عالية تصل إلى ١٢٠٠ م ، أما البقاع الجبلية الحقيقية فلا تشكل أكثر من ١٨٠٠ م ، أما البقاع الجبلية الحقيقية فلا تشكل أكثر من ١٪ من رقعة البلاد .

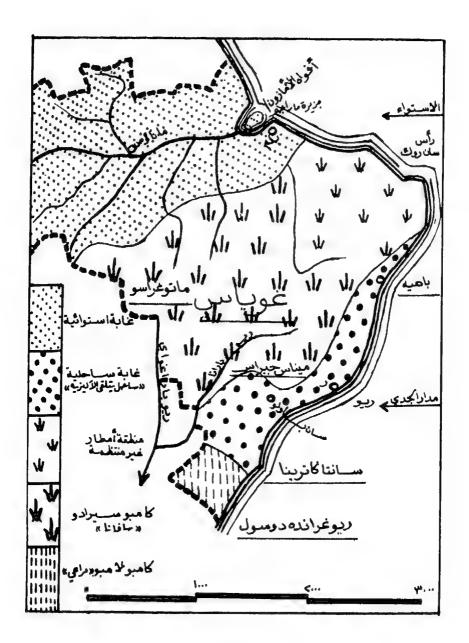
تظهر المنحنيات المطرية الحرارية الأنظمة المناخية الأربعة التي تتميز بها البرازيل

- ـ مناخ سهل الأمازون الأوسط ومثاله مدينة ماناؤوس
 - ـ مناخ الشمال الشرقي ونموذجه فورتاليزا
- ـ مناخ الساحل الأطلنطي الرطب ومثاله مدينة سالڤادور
- مناخ هضاب الجنوب الشرقي كا في كورتيبا حيث تصبح السعة الحرارية ملحوظة . ولكن يظل الشتاء لطيفاً ، وتكون الفروق المطرية عسوسة ايضاً ، فبينما يكون متوسط الأمطار السنوية ٢١٠٠ مم في ماناؤوس ، يهبط إلى ٧٦٠ في فورتاليزا ، ويبلغ ١٨٤٠ مم في سلقادور ، و ١٣٨٠ في كوريتبا . بيد أن فصل الجفاف لا يكون قاسياً حقاً إلا في فورتاليزا ، حيث يمتد على ستة أو ثمانية شهور (شكل ٥) .



البرازيل: المناطق الطبيعية

تتوزع الرقعة البرازيلية بين ثلاث مجموعات جغرافية كبرى: فالمشرق الأطلنطى ، هو المنطقة الطبيعية الوحيدة التي تأثرت بعمق بالعمل الإنساني . أما السداخل فهو بالنسبة للبرازيليين إقليم الأدغال Sertâo ، أو الغابة الأمازونية (شكل ٦). وتؤلف هذه الغابة أكبر كتلة غابية كثيفة في عروض مابين المدارين . وعند النظر إلى السلقا Selva من الطائرة ، فإنها تعطى انطباع الكثافة والاسترارية ، وهكذا لا يكون « الجحيم الأخضر » مقطّعاً إلا بواسطة الأنهار ، أو ببقع الرمال والوحول ، التي يشكلها نهر الأمازون الذي يبلغ طوله ٦٤٠٠ كيلو متراً وروافده ، ويتحول هذا النهر عند مصيه إلى خليج بحرى حقيقي يتد على عرض ٣٠ كيلو متراً . ويسكب في الحيط كمية من المياه العذبة تعادل خمس مياه أنهار العالم قاطبة . وعند دخول النهر إلى بلاد البرازيل يجري على ارتفاع ٦٠ م ، فيكون إذن عبارة عن نهر سهلى ، ذى ميل ضعيف ومنتظم وذي صبيب مدعوم مستقر ، لأن الصبيب في ماناءوس لا يقل عن ٦٠٠٠٠ م / ثا ، ويصلح للملاحة البحرية حتى مدينة ماناءوس . ويغمر الفيض الشتوي نطاقاً واسعاً هي « القارزيئا » ، المؤلفة من غابة رواقية منخفضة نوعاً ما ، ولكنها شديدة الكثافة ، و يسود فوق « الأرض الصلبة » أي فوق الفواصل النهرية ، غابة عالية ، وتحتغابة « نبت الحراج » فاتحة . وتساهم غابة السلشا الأمازونية ، التي هي نوع من اسفنجة واسعة ، في دعم التوازن الهيدرولوجي على الكرة الأرضية . وعندما تصبح الأمطار أقل غزارة ،



الشكل ٦ نبات البرازيل

يكون الجفاف واضحاً للعيان ، والترب شديدة الفقر ، وتتلاشى الغابة « الدائمة الخضرة » أمام تشكلات نباتية أخرى ، هي الساڤانا أو المروج Prairies ، وهي الكامپوس campos مثل كامپو سرادو campo cerrado في إقليم ماتّوغراسو ، والذي يتغطّى برداء من النجيليات القاسية وباقات الشجيرات ، أو مثل كامپوليپو campolimpo في إقليم ريو غرانده دوسول ، والمؤلف من بساط عشبي مستر ومن مراع متازة .

بيد أن قحولة « النوردسته » تفرض نوعاً من أحراش هي « الكاتينغا » caatinga وهو تشكل نباتي مفتوح ذو نباتات شوكية وشحمية .

وقد كان قسم كبير من البرازيل مستوراً بغابة كثيفة غير أن المستزرعين لم يتركوا منها سوى الأجزاء التي تشبثت فوق أكثر السفوح وعورة ، أو في القيعان الرطبة . وهكذا تحول السهل الساحلي ، بين رأس ساءوروك حتى خليج سلقادور ، ذي الأراضي السوداء اخصيبة ، إلى مزارع قصب السكر . ففي منطقة ميناس جيريس Minas Gerais أخذت السلطات من جديد تقوم بتحريج الأراضي بأشجار الأوكاليبتوس ، الأوسترالية الأصل ، ذات النو السريع ، بعد أن تم اجتثاث الأشجار بشكل جائر لتأمين الوقود لأفران صهر المعادن . وإلى الجنوب من المدار ، تعرضت غابة صنوبر آروكارياس ، والخاصة بنصف الكرة الجنوبي ، والشديدة التجانس ، تعرضت بدورها لقطع شديد جعلها غابة مفتوحة حتى ضفاف نهر پارانا .

ولم تحدث عمليات استزراع الأرض في البرازيل فعلاً ، إلا على حساب الغابة ، وذلك حيثما كانت هذه الغابة في متناول اليد ، وما أن يتم تخريب الغابة المنتجة للدبال humus حتى تتعرض الترب ، التي تكون أحياناً غنية جداً ، كالأراضي البنفسجية terras roxos في ولاية ساءو پاولو ، والناشئة فوق البازلت ، ولكنها ترب سريعة العطب دوماً ، أقول حتى تتعرض للغسل

والافتقار ، ويحل مكانها درع من لاتيريت عقيم يدعى كانغا Canga أو يجرفها الحت تماماً ونهائياً .

وهكذا ندرك كيف أن البرازيل ذات الزراعة من النهط المداري ، والتي تكون هدامة وواسعة ، لا تزرع أكثر من ٥٪ من مساحتها الهائلة . وهكذا أصبحت تنية حوض الأمازون الذي ظل مهجوراً لمدة طويلة ومعتبراً كحتجز réserve خاص بالقبائل الهندية ، قضية الساعة . بيد أن الإعمار الرسمي الذي ابتدأ منذ عام ١٩٦٧ تحت إشراف إدارة الأمازون العليا S.U.D.A.M ، لا يتم دون التسبّب في أخطار اجتاعية ، كإبادة أواخر الهنود من قبائل براڤوس bravos ولا سيا الأخطار الأيكولوجية ، كإبادة الغطاء النباتي وانجراف التربة إلخ ..

* * *

الغابة الأمازونية: يجتاز نهر الأمازون وروافده، التي تتجاوز أطوال ٢٠ رافداً منها ١٥٠٠ كم إلى ٢٥٠٠ كم، تجتاز قسماً كبيراً من الغابة العذراء وهي تغمر مساحات واسعة منها. و بيز السكان بين الأنهار ذات المياه الرائقة rios negros و بين الأنهار السوداء rios negros ، ذات المياه القاتمة والمشحونة بالدبال . « و يتألف النبات البدائي بالطبع من الغابة الكثيفة أو الحبة للمياه ، أو الحبة للظل ، وتملك جميعها صفات نوعية : دورة نباتية مستمرة ، أوراق دائمة ، كبر حجم الأشجار ، أنواع عديدة وشديدة التبعثر ، طبقات متنضدة ، غنى الغابة بالنباتات الراكبة والمتسلقات ، غياب ماتحت الغابة ، رقة طبقة الأوراق الميتة فوق الأرض لسرعة تفسخها ، ترب عميقة ولكنها فقيرة ، وقد كتب الكثير عن المكال الخطر في هذا العالم الموحش ، وكما هو الحال في سائر الأمكنة ، فإن الغابة الكثيفة سرعان ما يت استبدالها ، بعد استئصالها بغابة ثانوية أقل ارتفاعاً ، ومحرومة من تحتفابة كثيفة . بيد أن الغابة الأمازونية تتصف أيضاً بصفات نوعية : فهي أقل ارتفاعاً من الغابة الأفريقية ، غير أنها أكثر اتساعا بكثير . ولها أنواعها الشجرية الخاصة بها ، ولاسيا الكثير من أنواع النخيل ، مثلها تحوي عالماً حيوانياً أكثر فقراً بكثير من شقيقتها غابة أفريقية .

عن ديمانجو « القارة البرازيلية » دار ۱۹۷۲ SEDES

البرازيل: بوتقة عرقية

قتد رقعة البرازيل على نصف قارة أمريكا الجنوبية ، حيث تحتل مكاناً أصيلاً استناداً إلى ثقافتها البرتغالية . تلك هي جمهورية اتحادية ، اسمها الولايات المتحدة البرازيلية ، وتتألف من اثنتين وعشرين ولاية ، فضلاً عن محافظة العاصمة الجديدة ، برازيليا ، وبعض المناطق الحدودية (شكل ٧) . غير أن أبعاد الولايات تكون غاية في التفاوت ، فتكون صغيرة أكثر في البرازيل القديمة الاستعارية ، بالموازنة مع ولايات الغرب أو الشال ، حيث يكون السكان مبعثرين . وتضم ولاية ميناس جيريس ، غوانابارا ، ريودوجانيرو ، ساءو پاولو التي تؤلف عشر المساحة العامة ٤٠٪ من البرازيليين .

وعلى خلاف المكسيك أو الأقطار الآندية ، لا يمكن الكلام هنا عن استيطان سكاني ذي أساس هندي أمريكي ، غير أن البيض ليسوا أيضاً هم الغالبية العظمى كما في الأرجنتين . فقد عمل التهجين على اختلاط الدماء ، كما أن انصهار العروق هو ركيزة الأمة البرازيلية (شكل ٨) .

وإذا كانت الإحصائيات الرسمية تعتبر ٢١٪ من البرازيليين في عداد البيض ، وأن ٢٨٪ منهم « رماديون » ، أي هجناء على درجات مختلفة ، فإن البرازيل بالواقع هي « رمادية » أكثر بما تؤكده الإحصائيات . وإذا لم يكن هناك تمييز حقوقي ، فإن الزيجات تم فعلاً بين أناس ذوي بشرة من لون متقارب . ويعكس التسلسل الاجتماعي نوعاً من تسلسل لوني : فلون الجلد القاتم جداً يؤلف عقبة حقيقية . غير أن عناصر السكان تختلف في الحقيقة من منطقة لأخرى . ولم يبق في إقليم ماتوا غراسو في حوض الآمازون سوى قرابة ٢٠٠٠٠٠

هندي « متوحشون » ومهددون بالانقراض بسبب الجائحات والجاعات أو الجازر . ولكننا نلاحظ في كل داخل البرازيل غوذجاً بشرياً شديد الانطباع بالاختلاطات القديمة بين البرتغاليين والنساء الهنديات ، أي غوذج « كابوكلو » وتعني الفلاح ، وهما عبارتان مرادفتان لكلمة هجين . أما الزنوج الدين جلبوا في القرن السابع عشر إلى المزارع التي يعمل بها الرقيق في



الشكل ٧

تتألف البرازيل التي يبلغ تعداد سكانها ١٢٥ مليون نسمة من إحدى وعشرين ولاية ودائرة اتحادية وأربع مناطق اتحادية



الشكل ٨

عناصر السكان بالبرازيل

النوردسته ، فقد أصبحوا كثيرين بين مدينتي رسيف وسلقادور على الساحل ، وكذلك في ريودوجانيرو ، وفي إقليم ميناس جيريس ، حيث انتشروا قبل إلغاء نظام الرق في عام ١٨٨٨ . ولاتزيد نسبتهم في الأمة البرازيلية عن العشر ، ولكن هناك عدداً أكبر من الخلاسيين mulâtres وبعد أن كانت الهجرة الأوروبية إلى البرازيل برتغالية حصراً ، أخذت في التنوع خلال القرن التاسع عشر ، وقدمت على شكل عدة موجات كانت آخرها أكبرها حجاً لأن الرقم القياسي لأعداد المهاجرين كان في عام ١٨٩١ .

وقد كان المهاجرون من حوض البحر الأبيض المتوسط هم الأكثرية دوماً. فقد جاء الطليان ليعملوا في مزارع fazendas القهوة في منطقة ساءو پاولو حتى أنهم شكلوا الأكثرية بين المهاجرين في وقت من الأوقات ، بيد أن التيار البرتغالي ، الأكثر استراراً ، هو الذي حفظ وحدة البلاد الثقافية . هذا كا ساهت أوروبا الوسطى والشرقية بنصيبها ، فتشكلت جاليات حقيقية في

الجنوب، فهناك حوالي ٢٥٠٠٠٠ ألماني، ومثلهم من البولونيين تقريباً. أما المشارقة ولاسيا التجار اللبنانيين، الذين انتشروا في حوض الأمازون، أو في إلله التجار اللبنانيين، الذين استقبلوا بترحاب في البرازيل ابتداءً من عام ١٩٠٨ وشكلوا أقلية كبيرة تتألف من ٢٠٠٠٠ نسمة، في البرازيل ابتداءً من عام ١٩٠٨ وشكلوا أقلية كبيرة تتألف من ٢٠٠٠٠ نسمة، ويعملون في زراعة الخضار والرز أو كحرفيين، وهي أقلية نشيطة ومحترمة، تسير في اتجاه التمثل. وقد دخل البلاد حوالي ٢٠٥ ملايين مهاجر بين عام تسير في اتجاه التمثل، وقد دخل البلاد حوالي ٢٠٥ ملايين مهاجر بين عام ضعيف جداً لا يتعدى ٢٠٠٠ نسمة في العام، ولقد تبنّت البرازيل منذ عام ١٩٣٢ ضعيف جداً لا يتعدى ٢٠٠٠ نسمة في العام، ولقد تبنّت البرازيل منذ عام ١٩٢٢ سياسة اصطفاء، فقد حدد الدستور نسبة ٢٪ لعدد المقبولين بين ١٩٢٦ و ١٩٤٢، باعتبارها حصة « كوتا » سنوية لكل قومية ، مع استثناء البرتغاليين لوحده. ولذا لا يعود النه والديموغرافي إلا لفائض المواليد.

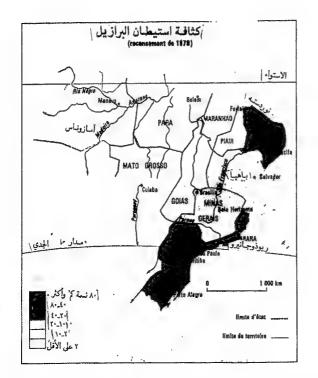
4 4 4

لقد تشكلت البرازيل ابتداء من عدة جبهات استيطانية: فني القرن السابع عشر كان مزارعون برتغاليون يقومون بزراعة الزاوية الشالية الشرقية من البلاد؛ وهي المنطقة الأولى التي هبط فيها أوائل المهاجرين ، فزرعوا قصب السكر اعتاداً على أيد عاملة من الرقيق ، الذي جيء به من أفريقية . وفي القرن الثامن عشر حصلت الهجمة على المنطقة التمدينية (ميناس جيريس) ، الغنية بالمذهب وبالأحجار الثينة . أما الهنود القليلو العدد ، والذين لازالوا في مرحلة القطف وصيد الأساك ، فقد كانوا يبادون بشن غارات منظمة عليهم . وكانت المزارع الواسعة « فازنداس » الرعوية تقدم اللحوم المجففة وحيوانات النقل للمناجم وللمزارع ، وبعد عام ١٨٢٠ وعلى الخصوص بعد ١٨٨٨ ، أي على إثر إلغاء الرق ، قيام معمرون أوروبيون باستغلال السواحل ، الواقمة بين ريو دوجانيرو وبورتو آلبغرو والهضاب حتى بارانا ، بزروعات مدارية كالقهوة أو بمحاصيل المناطق المتدلة . وانتقل مركز ثقل البرازيل نحو الجنوب . وفي الوقت ذاته وصل إلى حوض الأمازون الباحثون عن وانتقل مركز ثقل البرازيل نحو الجنوب . وفي الوقت ذاته وصل إلى حوض الأمازون الباحثون عن المطاط . وهكذا انتهى الأمر بجبهات الاستيطان في البرازيل الأطلنطية إلى التلاقي على شكل شريط لايزال مأهولاً بصورة متفاوتة ، بين سيارا ccara وريوغرائده دوسول على عرض ١٠٠٠ كم . ولكن تظل بقية البرازيل دائماً شبه خالية . وعند تماس البرازيلية .

استيطان الرقعة البرازيلية

لم تكن البرازيل تضم من السكان أكثر من ٤ ملايين نسبة في عام ١٨٠٠ ، وقارب عددهم ١٠ ملايين في إحصاء ١٨٧٢ ، كي يبلغ ١٧,٥ مليون نسبة في ١٩٠٠ . وقد وصل عدد البرازيليين إلى ١٢٢ مليوناً في عام ١٩٨٠ ويزدادون بمعدل ٣ ملايين في كل سنة ، أي أن نسبة الفائض السنوي تبلغ ٨,٨٪ ، أي أن عددهم في نهاية ١٩٨٠ سيبلغ ١٢٨ مليوناً . وتتجلى هذه الحيوية الديوغرافية في هرم الأعمار : لأن ٤١٪ من السكان تقل أعمارهم عن ١٥ سنة ، في حين لا تتجاوز نسبة الذين تزيد أعمارهم عن ٦٥ سنة ٣٪ .

وتبدو نسبة الوفيات البالغة ٨ بالألف منخفضة نوعاً ما . ولكن أمل الحياة عند الولادة يتراوح بين ٤٤ سندة في إقليم الشمال الشرقي ، النوردسته ، وبين ٨٥ سنة في منطقة ساءو پاولو . ويوت مولود واحد من عشرة قبل بلوغ العام ، أي أن نسبة الوفيات تصل إلى ١٠٠ بالأنف مقابل ١٢٥ في الجزائر . أما في حوض الأمازون وفي الشمال الشرقي فتكون الأوضاع الصحية في حالة يرثى لها . ويشكو ثلث السكان من هزال ناجم عن الطفيليات المعوية ، مثلها تنهك البرداء (الملاريا) عشر السكان ، ويتسبّب سوء التغذية على الخصوص في ٤٠٪ من الوفيات ، أما نسبة الولادات البالغة ٣٦ بالألف ، أو خسة أطفال في كل أسرة ، فلا تنخفض مطلقاً ، اللهم إلا في الأوساط الموسرة في المدن ، وتصطدم فكرة تحديد النسل بحكومة تهم بإعمار الداخل بالسكان ، واكليروس كاثوليكي شديد النفوذ ، هذا فضلاً عن الرأي العام في قطر ضعيف الكثافة ، والتي لاتزيد حالياً عن ١٣٠٥ نسمة في الكيلو متر المربع (شكل ٩) .



الشكل ٩

وإذا كانت البرازيل تبدو ناقصة الاستيطان ، لأن بعض المناطق تكون خاوية تماماً ، فإن بعضها تكون مرهقة بثقل سكانها ، إذ يعيش ١٩٠٪ من البرازيليين فوق ٣٦٪ من المساحة ، وحتّى الآن كان يجري الاستيطان في الغرب وفي حوض الأمازون على شكل هجات فوضوية ووقتية . وكان تأسيس العاصمة « برازيليا » في عام ١٩٥٨ ، على مسافة ١٠٠٠ كم من الساحل ، كان عبارة عن استباق لزحزحة مركز الثقل الديموغرافي عن موضعه السابق . أما توجيه هجرة أهل الشمال الشرقي Nordeste الريفية نحو النطاقات الرائدة في حوض الأمازون ، فلن تحل مشكلة ملكية الأراضي الزراعية في الشمال الشرقي . وهكذا لا يتعرقل استغلال البرازيل لنقص في عدد الرجال بل لافتقارها لرؤوس الأموال . وتفترض عملية استزراع أراض جديدة أمام الاستيطان توفر استثمارات ضخمة . وهكذا لا تعمل الهجرات الداخلية أكثر

من تصريف بعض سكان مناطق فقيرة مكتظة بالسكان نحو ولايات كثيفة السكان ولكنها أكثر غنى مثل ساءو پاولو ونحو المدن العملاقة .

وتضم البلديات الحضرية ٥٤٪ من سكان البرازيل . فهناك عشر مدن ، يتجاوز سكان كل منها ٥٠٠٠٠٠ نسمة . ويكون مركز كل منها في حالـة تحول مستديم ، كا تعمل ناطحات السحاب الفخمة على طمس معالم البقايا النادرة من عصر البرازيل المستعمّرة ، هذا في حين تتكدس على الأطراف ، وفوق الوهاد المعرضة للفيضانات ، وعلى أكثر السفوح وعورة ، أكداس من أكواخ متداعية تتكون من صفائح خشب وصفيح تؤلف أحياء القصدير ، أو أحياء فاڤيلاس في ريودوجانيرو . أما مدينة بيلم أو (پارا Para) ، الواقعة على عتبة حوض الأمازون ، وسلفادور (باهيا) التي تضم ١,٥ مليون نسمة وحتى رسيف التي يبلغ تعداد سكانها ٢,٣ مليون ، فهي مدن فقيرة بالصناعة ، وعلى خلاف مدينة بيلوهورنيزنته (٢ مليون) عاصة إقليم ميناس جيريس أو پورتو آليغره (١,٩ مليون) ، أو ريوغرانددوسول ، أما ثروة ساءو پاولو فقد نتجت عن القهوة . وبعد أن كانت هذه المدينة لاتحوي سوى ٢٥٠٠٠ نسمة في ١٨٧٢ ، ارتفع عدد سكانها بعد قرن واحد إلى ١١ مليون نسمة ، بعد أن ضمت إليها ميناء سانتوس والتي لاتزال ، بمصارفها التي تبلغ ٧٠٠ ، وبمؤسساتها الصناعية التي تصل إلى ٤٠٠٠٠ عدداً ، عاصمة البرازيل الاقتصادية ، بعد أن تخلت ريودوجانيرو في عام ١٩٦٠ عن وظيفتها كعاصة اتحادية لمدينة برازيليا ، ولكنها احتفظت بهيبتها وزادت من دورها الصناعي . وعلى خلاف مدينة ساءو پاولو ، التي تتوسع بكل راحة فوق هضبتها ، فإن لمدينة ريودوجانيرو طبغرافية عسيرة بما قسر السلطات العمرانية فيها على حفر أنفاق ، أو على اجتثاث تلال برمتها ، ولاكتساب أراضٍ مردومة على حساب مياه الخليج . ويبلغ عدد سكان هذه المدينة حالياً ٥,٥ ملايين نسمة .

النمو الديموغرافي لسكان البرازيل

عدد السكان بالملايين	السنة
7,.7	197-
70	198.
1,13	198.
01,1	190.
٧٠,١	117-
17,1	117
110	1171
172	1117

وهكذا يتضاعف عدد سكان البرازيل في ربع قرن . وسيصل عددهم إلى ٢٠٥ ملايين في نهاية القرن .

إن للبرازيل الأطلنطية لوحدها استيطاناً كثيفاً نوعاً ما: فلا يزال « خزان » الشال الشرقي مفصولاً عن المناطق الكثيفة الاستيطان في جنوب ميناس جيريس ، ومنطقة ريو بانقطاع حقيقي يمتد على ٥٠٠ كم . أما في الداخل فنجد نويّات صغيرة ، تتبعثر على طول محاور المواصلات . وتجنح مدينتا ساءو باولو وريودوجانيرو ، اللتان تبعدان عن بعضها بمسافة ٤٠٠ كيلو متر بوادي باريبا Paraiba لتكوين النطاق العمراني ، أو ميغاپوليس البرازيل المساة پازانفوا (المؤلفة من حروف من كلمات ساءو پاولو وغوانابارا (وهم اسم خليج ريودوجانيرو) .

مناطق البرازيل: المساحة ، السكان ، الثروة حصيلة					
الهجرة السنمويسة) الدخل	السكان٪ (۱۹۷۰	المساحة		
(١٩٦٠_٧٠)بآلاف السكان					
۱۰,۳+	۲	٤	27	الشهال (حوض الأمازون)	
+ 3,771	٣,٥	0,0	**	الوسط الفربي (باتّوغراسوبرازيليا)	
- A,737	18	٣٠	1.4	الشمال الشرقي (نوردسته)	
٦٣,٦ +	75	17,0	11	الجنوب الشرقي (ميناس ريودوجانيرو	
177,0+	۱۷,۵	١٨	Y	الجنوب (پارانا، ريوغرانده دوسول)	

البرازيل: الاقتصاد والجمع

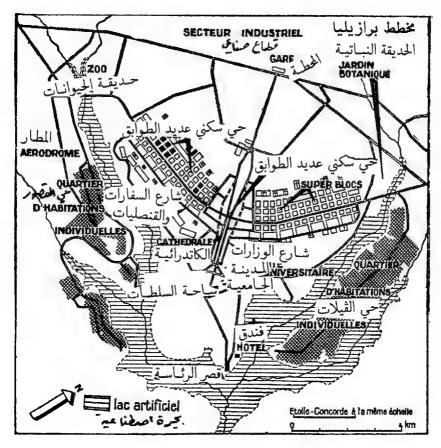
لقد شهدت البرازيل بالتعاقب دورات « خشب البرازيل » وهو خشب صباغي فرض اسمه على البلاد ، ودورة السكر ، ودورة الذهب ، ودورة المطاط ، ودورة القهوة ، واليوم عصر الصويا ، وقد بددت شطراً من مواردها الطبيعية في هذه المحاصيل التجارية . ومع ذلك لا تزال امكانياتها كبيرة عندما تتخلص من « لعنة المافة » . وقيد عمل اندفاع البرازيل نحو التصنيع القوى إلى اجتذاب الرساميل الأجنبية . وتكون نسبة التنهية الاقتصادية ، العالية عوماً ، غير منتظمة إذ كانت ١٤٪ سنوياً في ١٩٧٣ ، مقابل ٥٪ في ١٩٧٨ . ففي العالم الثالث حيث تتقابل الأمم الثرية ، بفعل النفط ، مع الأمم الكادحة ، تبدو البرازيل ، مع ناتج قومي خام يعادل ٤٠٪ من ناتج فرنسا ، كأمة عامَّة تسعى لإنجاح عملية « الإقلاع » الاقتصادي . وقد بلغ الناتج القومي الخام الفردي ١٧٠٠ دولار للفرد عام ١٩٧٨ ، مقابل ٥٠٠ في ١٩٧١ و ١٨٠ دولاراً في سنة ١٩٦١ . بيد أن الفوارق الاجتاعية تكون ضخمة ، أي بين ثروة المتيزين ، إذ يستحوذ ٥٪ من البرازيليين على ٢٧٪ من الدخل القومي ، وبين الفقر المأساوي لـدى الجماهير ، ففي هـذه البلاد ٤٠ مليون من الأميين والجياع ، وهم ضحايا التضخم الذي يبلغ ٤٠٪ سنوياً . وتهبط قيمة الكروزيرو وسطياً ١٥٪ في العام ، بالموازنة مع الدولار ، هذا فضلاً عن تخفيض قيمته رسمياً مرات متكررة .

غير أن سياسة البرازيل الاقتصادية لا تتقدم دون تناقضات . ففي عهد رئاسة ثارغاس Vargas وخلفائه قبل ١٩٦٤ ، كانت السياسة المذكورة ذات طابع وطني ؛ لأنها كانت ترفض منح امتيازات تعدينية للشركات الأجنبية ،

وأنشأت شركة وطنية للبترول Petrobas وللصناعة الحديدية C.S.N ، وشراء شركات الكهرباء والمواصلات الخاصة . غير أن الإفراط في المعونات كدع سوق القهوة ، أو المشاريع التبذيرية ، كإقامة العاصمة برازيليا ، أدت إلى استدانة الدولة وإلى تقليص الاستثمارات المفيدة . ولكن قام النظام العسكري فيما بعد ليفتح البلاد أمام رؤوس الأموال الأجنبية ، غير أن الاقتصاد البرازيلي الذي لا يزال دوماً سريع العطب ، هشاً ، يتمتع ، بالحقيقة ، بالإحاطة وبالحماية (لوجود الحواجز الجركية ولتقنين الاستيرادات) .

ويكون الميزان التجاري على العموم خاسرا ، لأن أسعار المنتجات الزراعية والمواد الأولية ، التي تؤلف معظم مبيعات البلاد ، تصعد بصورة تقل انتظاماً عن أسعار سلع التجهيز ، ولا سيا النفط التي عليها أن تستورده . وتحاول البرازيل أن تنوع صادراتها: ففي عام ١٩٧٧ لم تمثل القهوة رغ سعرها المرتفع جدا ، أكثر من ٢٢٪ مقابل ٥٦٪ من قية صادراتها في عام ١٩٦٠ .

غير أن هناك ثلاث مجموعات من المنتجات وهي : القهوة ، خضاء أو ذوابة ، والصويا من زيت أو كسبة ، والفلزات ، لا تزال تمثل ٥٤٪ من قيمة مبيعات البرازيل الخارجية . وأصبح العملاء التجاريون أكثر عدداً أيضاً . ففي ١٩٥٩ كان ٤٢٪ من الصادرات و ٣٤٪ من الاستيرادات تتعلق بالولايات المتحدة . أما في ١٩٧٦ فقد هبطت هاتان النسبتان المئويتان بالتعاقب إلى ٢٥٪ و ٣٣٪ لفائدة المبادلات مع أوروبا الغربية ، وعلى الخصوص مع ألمانيا الاتحادية وإيطاليا ، ومع اليابان ، والأرجنتين ، ومع فنزويلا وإيران اللتين تقدمان البترول ، الذي أصبح يؤلف ٣٤٪ من قية مشتريات البرازيل في ١٩٧٨ . وإذا كان الميزان المتجاري يجنح نحو التوازن ، فإن ميزان المدفوعات يكون دائماً عاجزاً ، لأن فوائد الدين الخارجي ، البالغ ٥٠ مليار دولار في يكون دائماً عاجزاً ، لأن فوائد الدين الخارجي ، البالغ ٥٠ مليار دولار في



الشكل ١٠

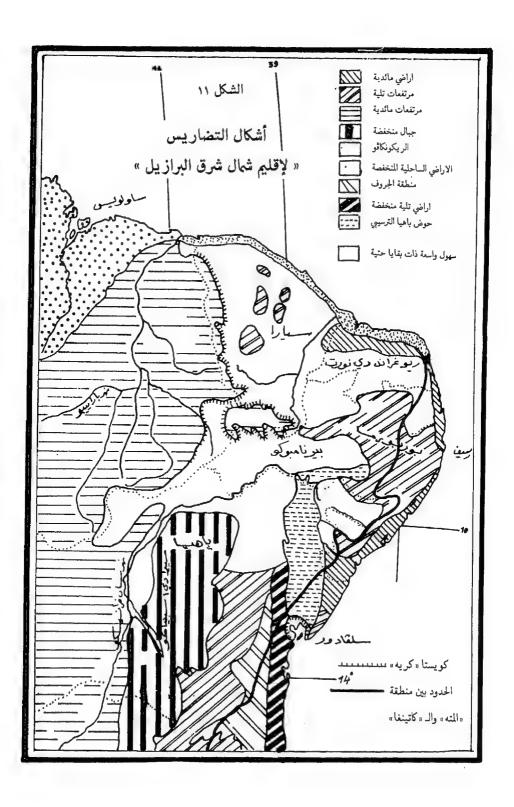
برازيليا:

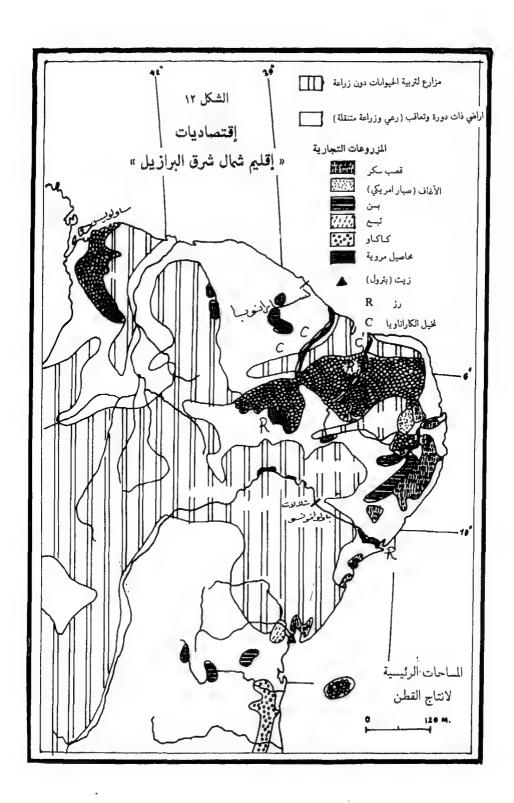
لقد تم بناؤها في خلال ثلاثة أعوام ١٩٥٨ - ١٩٦٠ ، فوق هضبة غوياس Goias ذات التربة الخراء ، وأصبحت تض ٢٠٠٠٠ نسبة ، ومعظمهم يسكنون أحياء سكنية رديئة التجهيز ، ويرسم الخطط الرائد على حافة بحيرة اصطناعية قوساً سكنياً معقوفاً ، مقطوعاً بمحور وظيفي ، يقود من الخطة إلى قصر الرئاسة . وتكون العارات الرسمية التي أشرف عليها المهندس العمراني (نياير) غاية في العصرنة ، كقصر التشريع المندي يضم مجلس النواب ومجلس الشيوخ ، وكان الرئيس السياسق (كوبيتشك) يتصور أن إقامة الدوائر الاتحادية في هذه « الصحراء » ، بعيداً عن تأثير مدينة ريودوجانيرو المرهق سيساهم في منح الولايات المتحدة البرازيلية بنية جديدة .

الفوارق الإقليية وتنظيم استغلال الرقعة

يقف خلف الفوارق الإقليمية الكبرى في البرازيل تنوع البيئات الطبيعية ، شأن التقلبات التاريخية في مراحل الاستغلال . فقد يختلف الدخل الفردي بين ولاية وأخرى من ١ إلى ٧ . ويبلغ التباين أقصاه بين الجنوب الأكثر تقدماً وتنمية ، مثل ولاية ساءو پاولو التي تسمي نفسها «قاطرة قطار البرازيل » ، وبين الشمال الشرقي (الشكلين ١١ ، ١٢) ، ذي المستوى المعاشي الآسيوي ، حيث لا يزيد الدخل الفردي التوسط لدى عشرين مليونا من الريفيين عن ١٨٠ دولاراً . ولكن الفوارق في داخل الولايات المزدهرة هي السائدة أيضاً فيكون لسكان مدينة ساءو پاولو دخل متوسط يعادل ضعف الدخل الفردي الوطني أو ٢٤٠٠ دولار ، أي يعادل دخل الفرد في بريطانيا . غير أن نصف العال يتقاضون فيها أجراً أدنى لا يزيد عن ١٠٠٠ ليرة سورية في الشهر أو ١٠٠٠ دولار ، وهو مبلغ زهيد للغاية تجاه نفقات المعيشة ، التي تعادل أسعارها التغذية ، مثلما ارتفعت نسبة وفيات الأطفال بنسبة ٥٤٪ خلال عشرين عاماً ، وكثيراً ما يكون هؤلاء الكادحون السانباوليون ، عبارة عن وافدين من الشال وكثيراً ما يكون هؤلاء الكادحون السانباوليون ، عبارة عن وافدين من الشال الشرقي ، حيث يكون بؤسهم هناك أكثر عمقاً .

هذا وينال « النوردستي » جراية غذائية مقدارها ١٧٠٠ سعرة « حريرة » يومياً ، مع أن المتوسط الوطني للبلاد هو ٢٥٠٠ سعرة . وإذا كان سكان سرتاءو Sertao وهو الحوض الأوسط لنهر ساءو فرانسيسكو ، خلف مدينتي رسيف وسلقادور، يشكون من قلة الماء، فإن سكان الساحل يشكون من قلة الأرض. وتبدو مشكلة ملكية الأرض جادة . فكل سياسة ترمي لتنظيم رقعة





البلاد تصطدم بصالح كبارملاكي الأراضي، الذين يملكون نصف مساحة أراضي البرازيل المفيدة، وكذلك بجشع الأوساط المالية، وبالفساد، أي الرشوة . وتفيد مشاريع التجهيز أرباب الملكيات الكبرى Fazendeiros ، وهم سادة الأرض وسادة السياسة . وليس لدى مؤسسة التخطيط الإقليي S.U.D.E.N.E ، أو الإدارة العليا لتنبية الشمال الشرقي ، التي أنشئت في عام ١٩٥٩ ، وذلك بعد تمرد « الرابطات الفلاّحية » ، وبعد جفاف عام ١٩٥٨ ، أي برنامج لإعادة النظر في توزيع الأراض الزراعية ، كا لا توجد أية فكرة مماثلة ، لدى لجنة نهر ساؤفرانسيسكو المكلفة بتنظيم النهر المذكور، ببناء السدود واستغلال الطاقة . أما مياه الآبار التي تم حفرها ، فتستخدم لسقاية قطعان كبـار ملاكي قطعان الماشية أكثر من ري حقول الفلاحين الهجناء ، أو الكابوكلو Caboclos . أما الملكيات الصغرى التي لا تزيد مساحة الواحدة منها عن ١٠ هكتارات في الشمال الشرقي ، فتمتد على ٥٪ من الأراضي ، هذا في الوقت الذي يستر فيه ، فوق الملكيات الكبرى ، نوع من استرقاق مقنع بالنسبة لمستأجري الأراض . وهكذا اضطر ٣,٥ ملايين من النوردستيين للهجرة في مدة عشرين عاماً رغ بداية التصنيع ، إذ أمكن إيجاد ١٣٠٠٠٠ فرصة عمل في الصناعة لاسيا في ميناء رسيف .

ويبدو حوض الأمازون بالنسبة للشال الشرقي المهدد دوماً بالجفاف وبالمجاعة ، كمصرف طبيعي . فعندما كان لهذا الحوض الاحتكار العالمي للمطاط كان المستنزفون Seringueiros ، الذين كانوا يقومون بفصد أشجار الهيڤيا الوحشية يأتون من الشال الشرقي . غير أن كل المحاولات لإنشاء مزارع مطاط حديثة ، مثل مؤسسة فورد لانديا على نهر ريو تاباجوز ، باءت بالفشل في موطن الهيڤيا الأصلية ، وهذا مثار الاستغراب .

وقد قامت مؤسسة سودام S.U.D.A.M أو « المؤسسة العليا لتطوير حوض

الأمازون »، عن طريق فتح الطرق من خلال الغابة العذراء ، بفتح غابة السلقا أمام المستزرعين . ونظراً لعجز « البرنامج القومي للإدماج » بحل مشكلة الأراضي الزراعية محلياً في منطقة « النوردسته » ، فهو يرمي منذ عام ١٩٧٠ إلى توجيه هجرة الفلاحين بلا أرض نحو هذه المناطق الرائدة . غير أن الكثير من هؤلاء لا يستطيعون ، رغ القانون ، أن يحصلوا على صكوك التمليك ويتم طردهم بفظاظة من قبل وكلاء الملاكين المتغيبين ، أو من وكلاء الشركات التي حصلت على امتيازات واسعة للغاية .

4 4 4

الجفاف في « النوردسته » الشمال الشرقي

تتصلّب الأرض وتتشقّق على شكل شقوق عميقة في « مضلّع الجفاف » ذي النبات الضامر وذلك عندما لا تتخصّ رياح الأليزة « الرياح التجارية الجنوبية » عن الأمطار المنتظرة ، كا حدث في ١٩٥٨ ، وفي ١٩٧٠ .

وعندها يضطر السكان للنزوح نحو الساحل بحثاً عن الماء (صورة رقم ١). وهكذا يكون إقليم اسيرتاءو " مناسباً لتربية الماشية الواسعة ، وتتغذى الماشية ، ولا سيا الأبقار ، وكذلك الأغنام والماعز ، بالقش أو أوراق النبات ، خلال الفصل الجاف التي غت في إقليم الكاتينغا Caatinga غرب رسيف وجنوب بيلم خلال الفصل الرطيب ، والتي يشرف عليها القليل من الرعاة الفرسان أو قاكيروس vaqueiros .

ومن المعتقد أن كل رأس من الأبقار يحتاج إلى ٥ هكتارات كي يحصل على غذائه . ولكن هناك أيضاً مزروعات ، وهي بالطبع عبارة عن زراعة فوق حريق ، ودون أية دورة زراعية أو تسميد ، وتقوم على زراعة القطن والذرة الصفراء والفاصولياء . ولا تمكن ممارسة هذه المزروعات البعلية في حالة الجفاف . وتسيطر هنا الملكية الكبرى ، أو « الفازنداس » التي تمتد على أكثر من ١٠٠٠ هكتار ، والتي تحتل ما بين ٢٥٪ و ٥٠٪ على إقليم السرتاءو ، وعلى الخصوص في جنوب عكس نهر ساءو فرانسيسكو ، حيث تصل النسبة حتى ٧٥٪ ، ولكن من الحق القول أن مفهوم المساحة يجب أن نقرنه بمفهوم النوعية . ويتم استغلال الأرض عموماً بشكل مؤاجرة أو مشاركة . ومن الطبيعي أن تكون كثافة السكان ضعيفة ، فهي تتراوح بين ٤ إلى ٢٥ نسمة في الكيلو متر مربع . ومع ذلك تعتبر كثافة عالية جداً أيضاً .

سيوس ١٩٧٢

« وعندئذ تدمي الماشية أشداقها بحثاً في أشواك تين الصبّار ، عمّا يمكن أن يروي ظها ، وهي تجر أقدامها نحو الآبار التي نضب معينها ، وأصبح ماؤها غوراً منذ زمن بعيد . . . وأخيراً تظل السهاء ثابتة ممعنة في زرقة قاتمة ، تلك هي الهجرة . . . وعندئذ يقصد الناس الساحل ، يائسين ، وهم يترنّحون ويتايلون ، بحثاً عن الماء »

ب ، رونديير



رسيف عاصمة النوردسته

توحي أحياء رسيف القديمة ، بكنائسها الباروكية ، وببيوتها المبرقشة ، والبديعة والمزدحة ، توحي برخاء فترة السكر خلال القرنين السابع عشر والشامن عشر . غير أن نصف السكان يعيشون في الضواحي الحيطة بها ضمن أحياء الموكامبوس mocambos ، وهي أحياء قصدير ، قذرة ، وأحياناً تكون في وسط المستنقعات ، حيث يعيش البؤساء منهم اعتاداً على السرطانات ، التي تتغذى بدورها من برازهم . وهنا تبلغ نسبة المساكن ذات المياه الجارية ٥٥٪ ولكن مع ضغط غير كافي ، بينها لا تزيد نسبة المساكن التي تتصل بالجاري العامة ١٥٪ . وهنا تضرب نسبة وفيات الأطفال الرقم القياسي العالمي ، لأن ٢٢٠ رضيعاً بين كل ٢٠٠٠ لا يحتفلون بعيد ميلادهم الأول.



صورة (١)

البرازيل: مشكلتا المواصلات والطاقة

تعتبر وسائل النقل غير الكافية أو غير المتوائمة ، عائقاً أمام استغلال البرازيل . ففي البلاد ٢٨٠٠٠ كم من الخطوط الحديدية ، ذات الامتداد العشوائي ، مع أجهزة عتيقة ، ولكن الجنوب الشرقي هو الجزء الوحيد الجهز بشبكة حقيقية ، ممدّدة لخدمة نطاق القهوة ، أما الاتصال مع النوردسته ، من بيلو هو يزونته إلى سلڤادور ، فهو حديث ، كا تقع العاصمة برازيليا في رأس الخط . ولم تقم البرازيل ببناء أكثر من قطاعات من خطوط حديدية عابرة للقارة ، يصل قطاع منها حتى نهر پاراغواي عند كورومبا Corumba . أما في الداخل فتظل الأنهار هي الشريانات التي لاغنى عنها للنفوذ لداخل البلاد . ولكن شدة تبدل صبيبها ، وكثرة الجنادل في مجراها ، لاتسح بأكثر من البلاد . ولكن شدة تبدل صبيبها ، وكثرة الجنادل في مجراها ، لاتسح بأكثر من البلاد ، فوق بعض القطاعات الواقعة بين جندل وآخر . أما نهر الأمازون فهو صالح للملاحة على الدوام حتى ماناءوس ، وحتى مدينة ايكيتوس الإمازون فهو صالح للملاحة على الدوام حتى ماناءوس ، وحتى مدينة ايكيتوس كوقود ، وتنقل المواشي والركاب والبضائع . وتحقق المساحلة البحرية . ٢٠٠٠

هذا وتملك البرازيل العديد من الموانئ ، ولكنها رديئة التجهيز ، ولا تعتمد على أكثر من ظهير محدود ، باستثناء بيلم بالنسبة لحوض الأمازون . أما الأسطول الذي تصل حمولته إلى ٣ ملايين طنة من الحمولة الخام فهو غير كاف . وتمر التجارة الدولية على الخصوص بميناء ريو دوجانيرو ، الذي تصل حركته السنوية إلى ٣٨ مليون طن ، وسانتوس وحركته ١٩ مليون طن ، وملحقه البترولي ميناء ساءوسيبا ستياءو التي تصل حركته إلى ٤٥ مليون

طن ، وڤكتوريا توباراءو ، وحركته ٥٩ مليون طن ، وهو ميناء تعديني يصدر خامات الحديد .

هذا وتنقل شبكة الطرق البرية ٧٠٪ من البضائع . وقد حلّت الشاحانات مكان العربات التي تجرها الثيران ، أو مكان قوافل البغال المسرجة . وقد استطاعت البرازيل خلال ٢٠ عاماً أن تمد ٤٠٠٠٠ كم من الطرق الاتحادية ، مزودة بكسوة زفتية أو تكون عبارة عن دروب بسيطة ، وذلك في البرازيل الأطلنطية ، كالطريق الدولية بين ساءو باولو وريو دوجانيرو ، والطريق الذي ينطلق من برازيليا ويجتاز حوض الأمازون شالاً . أما الطريق العابر لحوض الأمازون فقد تم افتتاحه في عام ١٩٧٣ . غير أن الطريق الهامشي الشالي فهو مازال قيد التنفيذ . بيد أن الطائرة تظل أكثر وسائل النقل سهولة ، حتى أن الحركة الجوية تعتبر من أكثر مثيلاتها نشاطاً في العالم . ومن وجهة النظر هذه ، تظل البرازيل قطراً فتيًا جديداً .

غير أن مصادر الطاقة لا تظهر على مقياس البرازيل ، علماً بأن شطراً كبيراً من البلاد لا يزال ينتظر التنقيب . وفي ١٩٧٧ لم تنتج البرازيل أكثر من ٣١ مليون طن معادل بترول ، مقابل استهلاك بلغ ٧٣ مليون ، ولحيها القليل من الفحم ، ومن نوعية رديئة في الجنوب ، ويصل إنتاجه إلى ٣ ملايين طن ، يغطي نصف الاستهلاك ، لأن فحم الكوك يستورد من الولايات المتحدة . ولا تزال صناعة الحديد التقليدية والخطوط الحديدية تعتمد على الحطب ، ولم تنتج من البترول سوى ٨ ملايين طن ، وأفضل حقل وهو الذي تم اكتشافه في ١٩٤٠ قرب سلفادور ، آخذ بالنضوب ، كا أن التنقيبات في حوض الآمازون كانت مخيبة للآمال ، أما التنقيب على الرصيف القاري على الساحل الأطلنطي فقد بدأ مؤخراً ، ولما كانت الوسائل التقنية والمالية لدى شركة بتروباس ، التي كان لما حق احتكار الأبحاث محدودة ، فقد أخذت شركات أجنبية

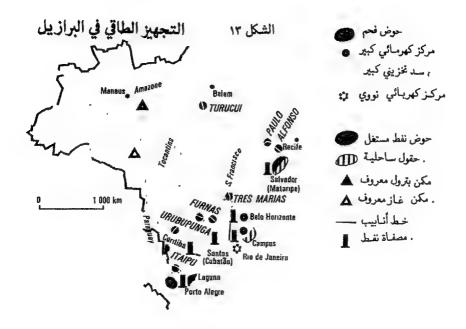
منذ ١٩٧٧ بالاشتراك في عمليات التنقيب . وتشتري البرازيل من ڤنزويلا ، ومن بلدان الشرق الأوسط مقادير ضخمة من النفط ، تصل إلى ٥٠ مليون طن ، تعالجها كلياً في مصافيها ، وتظل فاتورة البترول ثقيلة جداً على الرغ من خلط الوقود بالغول المستد من القصب ، أو من المانيوق .

أما أفضل ورقة رابحة في يد البرازيل في ميدان الطاقة ، فهي القوة الكامنة الكهرمائية العظيمة ، والتي تقدّر بحوالي ٥٠٠ مليارك و س ، وهي قيد التجهيز ، كحوض ساءوفرانسيسكو ونهر پارانا ، أما سدّ ايتيپو الناي الذي يجري بناؤه على نهر پارانا بالاشتراك مع جمهورية الپاراغواي ، والذي سيفرغ العمل فيه عام ١٩٨٣ بطاقة قائمة تبلغ ١٢٦٠٠ كيلواط ، فسيكون أول سد في العالم . وإذا كانت البلاد تنتج ٩٦ مليارك و س من الكهرباء (أو ٨٠٠ ك و س لكل نسمة) ، فإن هذا « الفحم الأبيض » يقدم منها ٨٩ ، مما جعل البرازيل تمثل المكانة الرابعة في إنتاج الطاقة من المياه منذ وقت قريب (شكل ١٢) .

ተ ተ ላ

مصادر الطاقة البرازيلية

في مقابل تفاوت الاستيطان والتنية الاقتصادية في البرازيل . هناك اختلال في التوازن بالنسبة للموارد الطاقية المستغلة : فالوقود المستحاث ، أي البترول ، يقع على الهامش في « النوردسته » ، وعلى الهامش الجنوبي بالنسبة للفحم ، وكلاها في مكامن ذات مخزون متواضع ، في حين تقع مصافي البترول قرب موانئ الاستيراد . أما الإنشاءات الهيدروليكية ، التي شيدت في البداية في سراة دومار Serro do Mar على يد شركة لايت Light الكندية ، ثم قامت باتجاه الداخل ، على يد شركة الكتروبراز الوطنية ، والتي قامت لخدمة المثلث الصناعي ، ساءوباولو ، بيلوهوريزونته ، ريو دوجانيرو ، عوضاً عن الشال الشرقي القاحل ، هذا في حين أن القوة الكامنة لحوض الأمازون لم يبدأ بهد استغلالها بشكل واسع ، هذا كا أن أكثرية مدن الداخل ، تعتمد على مؤسسات صغيرة لتوليد الكهرباء الحرارية .



ولازال الاستهلاك الوطني من الطاقة معتدلاً بالواقع ، فهو يبلغ بالنسبة للفرد وخلال العام ١٢٠٠ كغم من معادل الفحم ، هذا مع أن الحطب وفحم الخشب والغول تشكل جميعاً حوالي الربع تقريباً .

شلال ايغواسّو: إن لمعظم الأنهار عند هبوطها من الهضبة البرازيلية جنادل ، أو شلالات ، ويبلغ ارتفاع شلال ايغواسو م م متراً عند مقرن نهر ايغواسو مع نهر پارانا ، ولاتزال الطبيعة عند شلالات ايغواسو في الحالة البدائية ، وهناك القليل من السواح الذين تتاح لهم فرصة التمتع برؤية هذه الأعجوبة ، فليس هناك من قناة التفاف ، ولامركز كهرمائي . أما في المناطق الأخرى فقد عمدت البرازيل إلى تجهيز هذه القوة الحركة الثبينة ، كا فعلت على نهر ساءوفرانسيسكو ، حيث استغلت شلالات پاولو الفونسو ، وخزان ترس مارياس ، وعلى روافد پارانا ، حيث بنت خزان فورناس وعلى النهر ذاته كركز ايتيپو Itaipu . وهكذا استمدت البرازيل في عام ۱۹۷۷ ، من مواردها من الطاقة الوطنية ، وهي في الواقع محدودة ، وبذلك وقفت خلف الولايات المتحدة وكندا والاتحاد السوڤيتي في إنتاج الطاقة الكهرمائية .

4 4 4

البرازيل: زراعة مدارية

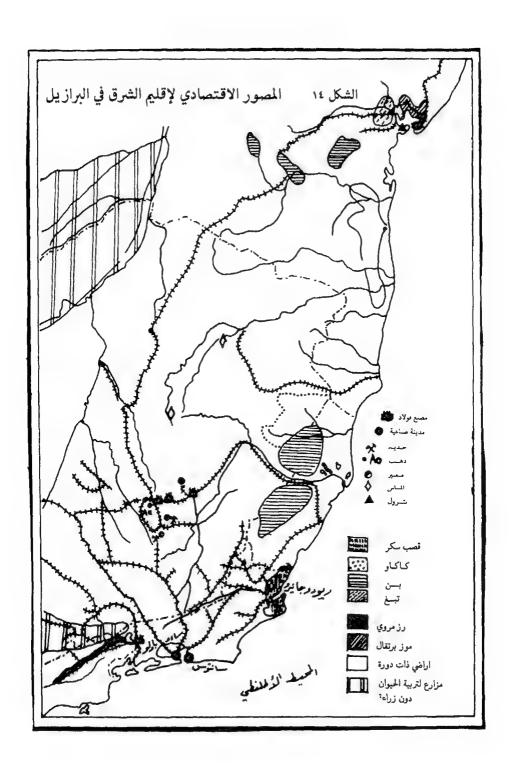
يعيش ٤٠٪ من سكان البرازيل من خيرات الأرض ، مقابل ٥٥٪ في عام ١٩٦٠ ، ولكنهم لا يساهمون بأكثر من ١٥٪ من الناتج القومي الخام P.N.B ، وتكون الرقعة البرازيلية غير مستغلة كا يجب ، كا أن ثلثها فقط هو الذي يعتبر خاضعاً للتملّك والمسح العقاري ، أي للكادسترو : فالمساحة الذي يعتبر خاضعاً للتملّك والمسح العقاري ، أي المكادسترو : فالمساحة الغروعة تبلغ ٤١ مليون هكتار أو ٥٪ من المساحة العامة ، وأربعة أضعاف ذلك هي القسم المتروك للمراعي ، أما الباقي أو ٢٠٪ فتغطيه الغابات ، أو يكون عقياً ، وتكون البنية العقارية من تركة الحقبة الاستعارية . وتتألف الملكيات الكبرى من ٢٠٠٠ مزرعة كبرى ، أو Fazendas ، وتتألف الملكيات الكبرى من ٢٠٠٠ مزرعة كبرى ، أو المساحة تجاوز مساحة كل منها ١٠٠٠ هكتار ، وتنتشر على ٥٤٪ من المساحة الزراعية المفيدة . أما صغار الملاكين ، والذين يزرعون بأنفسهم قرابة ١٠ هكتارات فهم أقلية ، ولا يزيد عددم على المليونين ، في مقابل طبقة كادحة زراعية من الكابوكلوس caboclos ، الذي يبلغ عددم ٣ ملايين مابين شريك أو مستثر بلا صك تمليك ، والمهددين دوماً بالطرد ، هذا فضلاً عن ٢ ملايين من العال المياومين ، الذين كثيراً ما يقاسون من البطالة .

وفي عام ١٩٦٤ ظهر « قانون الأرض » الذي هند بفرض ضريبة على كبار الملاكين المتغيبين ، الذين يتركون أراضيهم بوراً ، وقد يصل الأمر إلى نزع ملكيتهم . وكان يقضي بتوزيع مقاسم إعمار على الفلاحين الذين المنين المناسخ وهذا المشروع الذي لم يكن إصلاحاً زراعياً بالمعنى الصحيح ، أدى مع ذلك إلى انقلاب عسكري ، صحيح أنه تم توطين بضعة آلاف من عائلات الفلاحين من أقليم « نوردسته » في قرى زراعية agrovilas في حوض الأمازون ،

ولكن شركة لودڤيغ Lodwig الأمريكية نالت مقابل ذلك امتيازاً ، مساحته مليونا هكتار .

وهكذا لا تزال قضية ملكية الأرض في حوض الأمازون تنتظر التسوية والحل ، شأنها في الشمال الشرقي . وفي كل عام يم إحراق مليون هكتار من الغابات ، واستزراع أرضها ، لأن نظام الزراعة الذي يكون متواعًا مع بيئة مابين المدارين ، يظل بدائياً على العموم ، وينتسب إلى « الزراعات المتنقلة » دون حراثة ودون ساد . ولهذا يكون المردود منخفضاً ، إذ يبلغ وسطياً ١٥ كنت الأ « قنطاراً » في الهكتار من الحبوب ، أي مدخرات خصوبة الأرض في الملكيات الكبرى « قازانداس » حتى النهاية ، حتى مدخرات خصوبة الأرض في الملكيات الكبرى « قازانداس » حتى النهاية ، حتى أن الغابة لاتستطيع العودة إلى ماكانت عليه ، وبعد مرور « دورة زراعية » فوق أرض نضب معينها ، يأخذ أصحاب مشاريع آخرون باستغلالها في زراعة أكثر قناعة ، أو يتركونها لتربية الماشية الواسعة .

ويكون هذا التطور ملحوظاً فوق هضبة ساءو پاولو (شكل ١٤) ، فابتداء من عام ١٨٧٠ تحولت « القازاندا » الساءو پاولية إلى مزرعة قهوة Саtezal : ذلك أن التربة البنفسجية تناسب كثيراً شجيرة القهوة العربية Arabica وتكون الأرض مقسّمة إلى مقاسم ، يقوم المعمّرون ، النين كانوا في البداية من الطليان ، والمرتبطين بعقد باستصلاحها ، باقتلاع النباتات الأصلية ، ومن ثم زراعتها بشجيرات البن ، مثلما يزرعون بين صفوفها الفاصولياء والذرة الصفراء ، لتأمين غذائهم . وبعد خمسة أعوام ، تدخل الشجيرات مرحلة الإنتاج ، ويستغل المالك مزرعته مباشرة بالاستعانة بالعال ، وعندما يأخذ المردود بالانخفاض يبيع المزرعة ، كي يقيم مزرعة جديدة بعيداً عنها . وقبل ١٩٣٠ كان زحف القهوة ينهش غابة هضاب پارانا فوق ترب رملية



هزيلة ، وكانت الجبهة الرائدة تتقدم مع تمديد الخطوط الحديدية ، فتتقدم بعديلة ، وكانت الجبهة الرائدة تتقدم مع تمديد الخطوط الحديدية مثل : ماريليا ولوندرينا . أما الآن فقد أدركت شجرة القهوة حدّها الايكولوجي : فعندما يزيد الإرتفاع عن ٨٠٠ م ، يستفحل خطر الصقيع الشديد . وتجاه إفقار الترب ، وأمام التقلبات المناخية والاقتصادية الناجمة عن زراعة وحيدة هي القهوة ، أخذت الزراعة الساءو پاولية بالتنوع ، فاستعاضت عن شجيرات القهوة بحقول القطن ، ومزارع قصب السكر ، والذرة الصفراء ، وفول الصويا ، مثلما أخذت تدمج تربية الماشية مع الزراعة (شكل ١٥) .

حصة البرازي في الصادرت لزاعةِ (١٩٥٥)

4 57	ئېرة
470	موز
Z *•	کاکار
/ 17	تمب السكر
211	اناناس
4.1	برتقال
۷۱۲	سيرال
71.	تطر

الشكل ١٥



تحتل الغابة القسم الأعظم من البرازيل، أو يستخدم على شكل مراع: فنذ سبعة عشر عاماً ارتفعت المساحة المزروعة من ٢٩ مليون هكتار إلى ٤١ مليون هكتار، وعلى الرغ من إخضاع أراض جديدة للزراعة، على حساب الغابة في حوض الأمازون، فإن التطور يتجه نحو التكثيف في الملكيات الكبرى Fazendas الرعوية، في الجنوب وفي الوسط. فقد سمحت الحراثية بواسطة الجرار « التراكتور »، واستخدام الأسمدة الكياوية، ومبيدات الأعشاب، بقيام زراعة قمح كبرى، ورز، وذرة صفراء، وفول الصويا ابتداءً من عام ١٩٧٠. أما الماشية التي تحسن غذاؤها، فقيد تصالبت مع ثيران مستوردة من أوروبا، غير أن التربية الواسعة لازالت قاعمة في ماتوغراسو، وفي

سرتاءو في الشال الشرقي : ففوق مزرعة تمتد على ٢٥٠٠ هكتار : يعيش أحياناً ٥٠٠٠ رأس من الأبقار ، شبه الوحشية ، تتجول في مراعيها تحت حراسة بعض الرعاة الخيّالة « قاكيروس » ، وعلى الرغم من تنظيم نهر ساءوفرانسيسكو من حيث السدود وبحيرات التخزين ، فإن المساحات المروية في إقليم « نوردسته » لا تزال محدودة ورديئة الاستغلال . أما حول رسيف فتسود زراعة قصب السكر الضعيفة المردود ، والتي لم تتطور منذ عصر مزارع الرقيق في القرن السابع عشر معتمدة على أيدٍ عاملة بائسة ، مأجورة ، تعيش في أوضاع مماثلة جداً لأوضاع رقيق الماضي .

\$ \$ \$

قطاف القهوة: يستدعي قطاف ثمار القهوة العربية « آرابيكا » في مزارع البن في ولايات ساء و پاولو ، پارانا ، ميناس جيريس ، وهي الثار التي تسمى « الكرز » ، لأن كلاً منها يشتل على نواتين ، تؤلف كل منها حبة القهوة الخضراء ، أقول : يستدعي قطافها الاستعانة بأيد عاملة فصلية ، تأتي غالباً من الشمال الشرقي . وتسبق عملية التجفيف بالشمس ، فوق مساطيح كبيرة من الآجر الأحمر ، غربلة « الكرزات » ، ويتم الحصول على ١٥ كغم قهوة خضراء ، من كل ١٠٠ كغم من ثمار القهوة .

ويقع مركز ثقل إنتاج القهوة حالياً ، على مسافة ٤٥٠ كم من الساحل . وهذا الانتقال نحو الغرب يكون مصحوباً بتحوّل طارئ على هذه الزراعة الوحيدة ، الحسّاسة بالأزمات ، إلى زراعة متعددة ، أي هناك توافق الزراعات مع المواقع ومع الترب . وتنتشر مزارع البن عموماً ، فوق منبسطات الفواصل النهرية ذات الصخور الباطنية البازلتية ، في حين تنتشر مزارع القطن على هوامش الفواصل النهرية تاسنوية ذات الصخور الباطنية البازلتية ، في حين تنتشر مزارع القطن على الأودية . أما مراعي تسمين المواشي ، فتقع في قيعان الأودية ، المعرضة لضربات الصقيع ، والتي لاتصلح بالتالي لزراعة القهوة . وتكون مراعي التسمين ، أو invernadas ، مأهولة بأبقار ، وصلت سيراً على الأقدام من ساڤانات ماتو غراسو (غرب برازيليا) . أما المزارع التي هجرتها شجيرات القهوة فوق المفضة ، فغالباً ماتغرس بأشجار الأوكاليبتوس . ويجلب هذا النوذج من الاستغلال ، الأكثر مرونة من زراعة القهوة السابقة ، يجلب الرخاء إلى الغرب ، من ولاية ساءو باولو ، وإلى شال ولاية پارانا ... أما في الشرق الأوسط من ولاية ساءو باولو ، فإن العودة لاستخدام الأراضي التي أنهكتها موجة زراعة أما في الشرق الأوسط من ولاية ساءو باولو ، فإن العودة لاستخدام الأراضي التي أنهكتها موجة زراعة القهوة ، لم تحصل على النجاحات ذاتها في كل مكان . وقد كانت النجاحات ناتجة في الغالب ، عن دور اليابانيين ، الذين انضوا إلى تعاونيات ، ويمارسون أساليب زراعة متقنة ، مما يؤدي لتحويل الشهد الزراعى كلياً .

عن ج . دومانجو « القارة البرازيلية » ۱۹۷۲ SEDES

البرازيل والمضاربات الزراعية

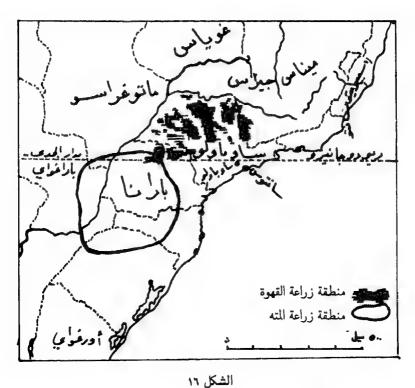
تحتل البرازيل بعد الولايات المتحدة ، المكانة الثانية كدولة تبيع منتجات الزراعة وتربية الماشية ، بحالة خام أو مصنّعة ، تلك المنتجات التي تؤلف ثلثي صادراتها ، وتبدو اللائحة الزراعية مدهشة . وتعتبر البرازيل مصدّرة كبيرة للمنتجات المدارية ، ذات فائدة تتفاوت فعلاً حسب الأسواق العالمية ، وحسب التقلبات المناخية .

فهناك بالنسبة للقهوة ، على الخصوص ، فرط إنتاج وكساد تارة ، وتارة أخرى ندرة وصعود شديد في الأسعار . وقد كان « النهب الأخضر » بارومتر ازدهار البلاد ، ولا زال البن يسيطر على تبوازن الميزان المتجاري ، وبين ١٩٤٩ و ١٩٧٥ ، وهو العام الذي أدّى فيه الانجاد إلى تلف قسم التجاري ، وبين ١٩٤٩ و ١٩٧٥ ، وهو العام الذي أدّى فيه الانجاد إلى تلف قسم عظيم من شجرات القهوة ، وبداية دورة جديدة ، كان السوق رديئاً ، وبلغت الخزونات خلال عام واحد ما يعادل الاستهلاك العالمي . وتظل البرازيل أول دولة منتجة للقهوة ، ولكن حصتها هبطت منذ عام ١٩٢٩ : من ثلثي الإنتاج العالمي إلى الخس ، وذلك لمصلحة المنافسين الآخرين في أمريكا الجنوبية ، مثل : كولومبيا ، أو الأفارقة أما في ميدان التصدير ، فقد انكش مكان القهوة من ٧٥٪ إلى ٢٢٪ في عام ١٩٧٧ وصدرت في ١٩٧٨ من البن مابلغت قيته ٢,٢ مليار دولار .

أما مزارع الكاكاو ، المتدة في جنوب ميناء سلقادور ، تحت غطاء غابي شبه مفتوح ، والتي تشكو من هرم الأشجار ، ومن المرض ، فلا تزال تقدم ١٥٪ من الكاكاو العالمي ، وتحتل البرازيل المرتبة العالمية الثالثة بعد غانا ونيجيريا ، وتقدم ٤٪ من الصادرات ، لأن إنتاجها يبلغ ٢٣٠٠٠٠ طن .

وتحقق مزارع الموز ، وتحتل أول مرتبة بالعالم ، ومزارع البرتقال التي تشغل المرتبة الثانية في العالم ، كفاية الاستهلاك الحلى ، وتترك فائضاً للتصدير . غير أن مزارع قصب السكر التي تؤلف زراعة وحيدة حول رسيف ، أو يدخل في دورة زراعية ، في ولاية ساءو ياولو ، لا تتوقف عن التوسع ، حتى لقد بلغ إنتاج السكر ٨,٥ ملايين طن ، مما بوّاً البرازيل المرتبة الأولى في العالم ، وكذلك بالنسبة لإنتاج الغول. وعلى خلاف ذلك فإن محصول القطن ، العديم الانتظام ، لا يستخدم إلا في الصناعة البرازيلية ، مع أن إنتاجه يصل إلى ٤٠٠٠٠ طن من الألياف ، أي يعادل إنتاج مصر ، ويندر أن يكون القطن مروياً في « النوردسته » ، ولا تلقى زراعته عناية كبيرة في يارانا ، ولهذا يكون ضعيف المردود ، ومن نوعية رديئة . وتظل الزراعة التصديرية الكبرى الآن هي الصويا، إلى جانب القهوة . (شكل ١٦) وتكون زراعة فول الصويا، مختلطة مع الذرة الصفراء ، أو مع القطن ، وتمتد من نهر يارانا حتى ريو غرانده دوسول ، مجيث تغطى مساحة حقوله ٧ ملايين هكتار ، مع إنتاج يصل إلى ١٢ مليون طن ، وهو يعادل إنتاج الصين ، أو ١٥٪ من الإنتاج العالمي . وتكون زراعة هذا الفول الغني بالبروتين ، والمرغوب جداً في الغذاء الحيواني على شكل كسبة ، والإنساني على شكل زيت ، تكون مربحة جداً . ويقدم فول الصويا المصدّر بحالة خام ، أو بعد تحويله إلى كسبة أو زيت ، يقدم للبرازيل من الدخل مثل ما تقدم لها القهوة .

هذا وتكون مكانة الزراعات الغذائية أقل بريقاً ، ومع ذلك يخصّ للها ٢٠٪ من الأراضي بيد أن المردود يكون منخفضاً ، ومتفاوتاً حسب السنين . ففي عام ١٩٧٨ بلغ محصول الحبوب ٣١ مليون طن ، وهبط في ١٩٧٨ ، وهو عام قحط إلى ٢٤ مليون طن فقط . وتتوسع زراعة الرز ، على شكل زراعة بعلية واسعة أكثر من القمح المحصور في أقصى الجنوب ، ويصل محصوله إلى ٩ واسعة أكثر من القمح المحصور في أقصى الجنوب ، ويصل محصوله إلى ٩



السمل ١٠ أهم مناطق نمو المتّة والقهوة في البرازيل

ملايين طن ، فوق مساحة تبلغ ٥,٥ ملايين هـ ، مثلما تتوسع زراعة النرة الصفراء (شكل ١٧) ، التي تمتد من ميناس جيريس إلى پارانا ، ويصل إنتاجها إلى ١٩ مليون طن فوق مساحة تبلغ ١٢ مليون هكتار . وتعطي زراعة المانيوق ، (شكل ١٨) الذي يؤلف دقيقه مع الفاصولياء ، أساس الغذاء الشعبي في النصف الشالي من البلاد إنتاجاً يتراوح بين ٢٥ و ٣٠ مليون طن ، مما يجعل البرازيل أول دولة منتجة لهذه المادة في العالم . وإذا كان ٤٠٪ من البرازيليين يشكون من سوء التغذية ، فيجب أن نعزو ذلك إلى العادات يشكون من سوء التغذية ، فيجب أن نعزو ذلك إلى العادات الغذائية ، وللفقر ، أكثر من عدم كفاية الموارد الغذائية التي تزداد



السمل ١٠ توزع الذرة في البرازيل كل نقطة تمثل مليون بوشل (مكيال إنكليزي يعادل ٣٦,٥ ليتر)

بسرعة تفوق سرعة النبو الديموغرافي . وتقدم تربية الماشية البروتينات النبيلة ، على خلاف الأقطار الآسيوية . ويستهلك البرازيلي وسطياً ٣٠ كغم من اللحم في العام ، أو أقل من نصف الأمريكي الشالي أو الأوروبي الغربي . بيد أن اللحم المجفف يكون على الغالب غالياً جداً بالنسبة للنوردستيين أن اللحم المجفف يكون على الغالب غالياً جداً بالنسبة للنوردستيين والرز ، في حين تشتري ٣ ملايين طن من القمح الأرجنتيني .



الشكل ١٨ توزع زراعة المانيوق الطعام النشوي الرئيسي في البرازيل

القطيع البرازيلي: بالإضافة إلى أعداد كبيرة من الخيول ، تبلغ ٥ ملايين رأس ، ومثلها من الحمير والبغال ، وهي حيوانات لا غنى عنها في المواصلات وفي الأعمال الحقلية ، ولنقل الأثقال المحلية ، فإن قطيع البرازيل يضم ١٠٦ ملايين رأس من الأبقار ، و ٢٨ مليون من الخنازير ، و ١٧ مليون من الأغنام ، في إقليم ريوغرانده دوسول و ٧ ملايين رأس من الماعز في الشمال الشرقي . وتزيد قية هذا القطيع من الناحية الاقتصادية تدريجياً . ويتم تسمين الماشية الهزيلة القادمة من الداخل ، فوق مراعي التسمين المسماة invernadas الأكثر قرباً من الساحل ، والمدن الكبرى ، ولكنها تتغذى أيضاً على المذرة الصفراء والصويا ، التي تقدم علفاً للأبقار الحلوبة ، وللخنازير ، في الجنوب الشرقي .

البرازيل قطر حديث العهد بالتصنيع

لم تكن البرازيل قبل عام ١٩٤٠، تحوّل صناعياً ، سوى المواد التي تقدمها الزراعة وتربية الماشية ، باستثناء صناعة حديدية صغيرة في منطقة ميناس جيريس ، وذلك بالاستعانة برؤوس أموال أجنبية غالباً . غير أن مهاجراً إيطالياً كنيته ماتارازو Matarazzo ، استطاع مع ذلك أن ينشئ صناعة ذات تمركز شاقولي ، انطلاقاً من مصنع لإنتاج دهن الخنزير ، فأصبح ينتج الدقيق ، وأكياس التغليف ، ونسيج الجوت ، ثم نسيج القطن فالحرير الاصطناعي ، فالورق وأخيراً دخل ميدان الصناعة الكياوية . ولكن لا ينزال ٢٠٪ من ولكن الدولة الاتحادية ، هي التي أطلقت العنان للتصنيع خلال الحرب العالمية ولكن الدولة الاتحادية ، هي التي أطلقت العنان للتصنيع خلال الحرب العالمية مدينة قولتا رودوندا ، الواقعة على منتصف الطريق بين ساءو باولو وريودوجانيرو . ومنذ خسة عشر عاماً راحت الصناعة البرازيلية تتقدم بسرعة ، وتغطي معظم الحاجات ، باستثناء السلم التجهيزية .

وإذا كانت البرازيل فقيرة بالطاقة ، فلديها المواد الخام ، وإذا كانت لا تحصل على أكثر من ٢٠٠٠٠ طن من المطاط الطبيعي من غابتها ، فإن صناعتها البتروكياوية تقدم لها عشرة أضعاف هذا الرقم من المطاط التركيبي ، كا أن ثروتها المعدنية تشكل كنزا أسطوريا حقيقيا : فلديها النحاس في ولاية باهيا ، والنيكل في ولاية غوياس وتنتج منه ٣٥٠٠ طن ، والبوكسيت في ولايتي ميناس جيريس وبارا وتنتج حوالي المليون طن ، ولا سيا المنغنين ألذي تحتل بإنتاجه الدرجة الرابعة في العالم ، في ولايتي ميناس وآباما وإنتاجه الذي تحتل بإنتاجه الدرجة الرابعة في العالم ، في ولايتي ميناس وآباما وإنتاجه

1,1 مليون طن ، وخام الحديد : الذي تحتكر البرازيل ربع احتياطيه العالمي ، ويتكشّف « مربع الحديد » حول مدينة بيلو هوريزنته ، عن ذخر مقداره ٢٥ مليار طن من الخامات . وقد بلغ الإنتاج ٦٠ مليون طن ، من الحتوى المعدني في عام ١٩٧٤ ، مقابل ٤٥ مليون طن عام ١٩٧٨ ، وذلك حسب الطلب عليه في أسواق التصدير ، في أوروبا والولايات المتحدة واليابان ، والذي يتم تصديره عن طريق ميناء ثيتوريا ، شال شرق ريودوجانيرو . وتصب صناعة الحديد البرازيلية مقدار ١٤ مليون طن من الفولاذ ، وأخذت بتصديره ، وستصل قدرتها الإنتاجية في ١٩٨٣ إلى ٢٢ مليون طن بفضل المركب البحري الجديد في ميناء ثيتوريا ، حيث دخلت رؤوس أموال يابانية وهولندية . وبعد أن كانت صناعة السيارات ، عبارة عن تجميع بسيط في ١٩٧٥ ، ومن ثم صناعة مع قطع من إنتاج برازيلي ، أخذت تقدم مليون سيارة سياحية في عام ١٩٧٨ ، تصدر قسأ منها . ترى هل ستصبح البرازيل يابان جديدة ؟

وتشرف الدولة على قطاع الطاقة ، وعلى قسم من الصناعة الثقيلة ، غير أن الشركات المتعددة القوميات ، تهين على الفروع الحديثة : كصناعة السيارات (قولغسڤاكن) ، وصناعة الأجهزة الكهربائية ، والخيوط الكياوية ، والصيدلة . وفيا عدا الشركات الأمريكية مثل mxxx وفورد ، هناك الجموعات الألمانية ، وتمثلها قولغسڤاكن ، والإيطالية وتمثلها فيات وپيريللي ، والفرنسية : مثل شركة رون پولنك ، وسان غوبان ، وپونتاموسون ، أو شركات يابانية ولقد بلغت ديون البرازيل الخارجية ٩٠ مليار دولار في عام ١٩٨٢ .

وترهق هذه التبعيّة ميزان المدفوعات ، بسبب شراء البراءات ، والساح بخروج الأرباح . ففي مصنع سيارات ڤولغسڤاكن في ساءو پاولو ، تكون أجرة العامل في الساعة ٢,٠ دولار مقابل ٥٠,٥ دولارات في جمهورية ألمانيا الاتحادية . وعلى الرغم من انخفاض الأجور ، فإن صناعة البرازيل

الفتية ، ذات المصانع الصغيرة جداً ، والعتيقة أحياناً ، أو ذات الموقع الرديء ، تتطلب سياسة حماية صارمة . وتتركز معظم المصانع ، في « المثلث الصناعي » ، الواقع بين المدن الثلاث : ساءو پاولو ، بيلو هوريزنته ، وريودوجانيرو، وتضم ولاية ساءو پاولو لوحدها ، نصف المصانع ونصف العمال .

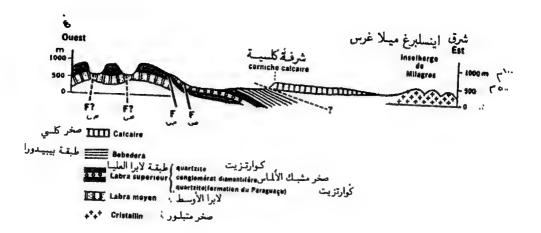
أما أنشطة الجنوب ، فغالباً ما تكون أنشطة غذائية أو نسيجية . في حين يكون إقليم النوردسته ، محروماً من الصناعة ، باستثناء صناعة الپتروكيياء في سلقادور ، والصناعة القطنية في رسيف . ومع ذلك بدأ تطبيق سياسة لامركزية صناعيسة ، إذ يقوم مصنع لصهر الألمنيوم قرب بيلم ، كا يبنى مركب صناعي ساحلي في موقع سواپيه Suapé قرب رسيف .



مصانع الفولاذ في قولتا رودوندا: وقد أنشأتها الدولة في وادي پاريبا ، بين ساءو پاولو وريودوجانيرو. وتعتمد هذه المصانع على الخط الحديدي في تموينها بالفلزات وبالفحم المستورد. أما مصانع الحديد الأحدث ، فقد استقرت فوق خامات الحديد ، مثل مصنع أوزييناس Siderbras ، أو على قرب من ميناء مثل كوسيپا Cosipa قرب سانتوس ، وتركز مؤسسة سيدربراز Siderbras أسهم الدولة في صناعة الحديد ، وهي شركات وطنية ، وشركات مختلطة ، تدخل فيها رؤوس الأموال الأجنبية وعلى الأخص اليابان ، كا هو الحال في شركة أوزييناس .



لا يزال التنقيب الجيولوجي في البرازيل ناقصاً: ومع ذلك أمكن التعرف على مكامن هامة أحياناً لمعظم الفلزات المفيدة . ولكن تبدو البرازيل غنية على وجه الخصوص بخام الحديد وبالبوكسيت ، وكذلك بالمعادن الستراتيجية : كالمنفنيز والنيكل والتنفستين وتنتج منه ١٧٠٠ طن ، وتظل الولاية التعدينية الحقيقية هي ميناس جيريس ، المعروفة منذ القرن السابع عشر بثرواتها من خامات الذهب في موقع Ouro Preto (اورو پريتو) . ولكن بدأ استغلال الموارد الأقرب والأسهل ، كا في ولاية پارا وآميا . أما البقية فقد تركت كاحتياطي وقامت مدينة ديامنتينا فوق مناجم الألماس في شالى مدينة بيلوهوريزونته (شكل ١٩) .



مكامن الماس في البرازيل الشكل ١٩

النهضة الصناعية في البرازيل

لقد اختارت البرازيل ، منذ أزمتها الكبرى في ١٩٦٣ ـ ١٩٦٧ الاستراتيجية التالية :

- ـ تقوم كل تنية البرازيل ، بما في ذلك التنية الزراعية ، على غو متسارع لصناعة الوسط الجنوبي وليس هناك من حاجة لأي إصلاح بنيوي .
- ـ يتطلب هذا النمو الصناعي السريع ، أكثر من ١٠٪ في العام ، إلغاء أي عائق في وجمه حركيمة المؤسسة الخاصة .
- ـ لن يتخذ أي تدبير تفضيلي ، تجاه رؤوس الأموال الأجنبية ، ولكن السياسة الصناعية ، ستحاول عقلنة بني الصناعة الوطنية ، بأن تفرض عليها الحجم الأدنى ، وذلك في مؤسسات الفروع الجديدة وحمايتها من سياسة غر الأسواق dumping .

وهذه الاستراتيجية ، لن تحل على الفور مشكلات الاستخدام ولا مشكلات اختلال المبادلات .

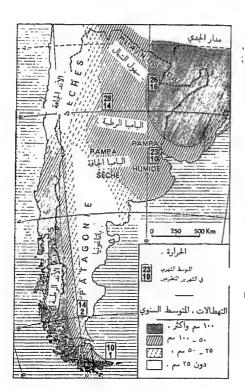
ـ وسيتم الاعتاد على تنمية صادرات المنتجات الأولية ، غير التقليدية كفلزات الحديد ، وأخشـاب حوض الأمازون ، والمنتجات المصنوعة القادرة على المنافسة في الأسواق الخارجية .

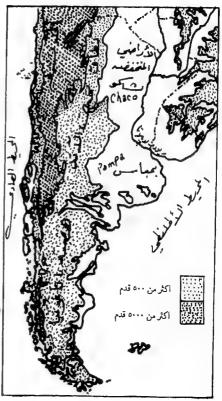
عن د. س. لامبيز و جـ م مارتان « أمريكا اللاتينية : اقتصاد ومجتمات » دار آكولان ۱۹۷۱

الأرجنتين

البيئة والسكان

ممثل جهورية الأرجنتين في القرن الجنوبي للقارة الجديدة ، والتي تبلغ مساحتها ٢,٨ مليون كم ، والممتدة من سروات جبال الآند حتى الحيط الأطلنطي ، تمثل مجموعاً جغرافياً شديد التنوع ، ففي الشال الغربي ، يقع اليمونت Piémont والسلاسل الأمامية ، أي سراة قرطبة ، التي تؤلف طليعة سلسلة الآند ، ثم يظهر حادور glacis شاكو اللحقي . أما في الشمال الشرقي ، فيتألف من ميزاب « ميزو پوتاميا الأرجنتينية » ، الواقع بين نهر يارانا ونهر أوروغواي ، اللذين يشكّلان نهر ريودولا يلاتا ، بعد التقائها (شكل ١) ، وإلى الجنوب من هـذا المصب العريض ، تمتـد سهـول الپـامپــا الفسيحة ، وهي سطح قليل التّموج ، مؤلف من غرين Limons ريحى ، أي من اللوس ، ويخلو من المياه الجارية ، ومن الأشجار في الحالـة الطبيعيـة ، ومن ثمّ ، أي إلى الجنوب ، تظهر هضاب ياتاغونيا الرتيبة . هذا كا يكون المناخ بحد ذاته متنوعاً (شكل ٢): ذلك أن مدار الجدي ، يلامس إقليم الشاكو من الشمال ، بيد أن رأس هورن في نصف الكرة الجنوبي ، يقع على عرض مماثل لدرجة عرض موسكو . هذا وتكون حرارة أكثر الشهور دفئاً في جزر أرض النار ، تعادل حرارة أكثر الشهور برودة في بوينوس آيرس ، أي ١٠ درجات (شكل ٣) . وتهب من جبال الأند على پاتاغونيا ، وحتى على سهول الپامپا ، في الشتاء ، ريح جافة ، تكون أحياناً قارسة ، هي ريح بامبيرو Pampero . ويخترق الأرجنتين من الشهال الغربي نحو الجنوب الشرقي ، أي من يونسادو

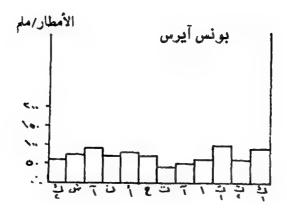




مناخ الأرجنتين الشكل ٢

الخريطة الطبيعية للأرجنتين الشكل ١

آتاكاما ، التي ير مدار الجدي من شالها ، حتى أرض النار ، يخترقها حزام شبه قاحل ، يتلقى أقل من ٤٠٠ مم من الأمطار ، ويقطع الأرجنتين على شكل وتر ، وهكذا تتعرض سهول الپامپا ذات الأمطار الصيفية غير المنتظمة ، إلى سنوات عجاف . وهكذا يتعاقب من الشمال إلى الجنوب ، الساڤانا الشجرية ، والدغيلات الشوكية (بروس) أو monte ، ثم المروج أو البراري ، وأخيراً السهب steppe (شكل ٤) .

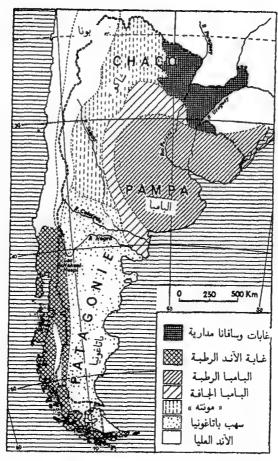


غوذج المناخ: صيني العرض: ٣٤,٣٥° جنوب خط الاستواء الارتفاع: — م المعدل السنوي للحرارة ١٦,٦° معدل أحر شهر كانون ثاني ٢٣,١° معدل أبرد شهر تموز ١٠,١° الأمطار السنوية ٢٨٠٨ مم

الشكل ٣

وبعد أن ظل الإسبان قابعين في مراكزه ، في وادي لا پلاتا ، أو في غوطات حضيض جبال الآند ، أخذوا في استيطان سهول الپامپا ، و إقليم پاتاغونيا ابتداء من النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وذلك بعد القضاء على السكان الهنود الحلين القليلي العدد .

وإذا كان الهجناء عديدين بين العال الزراعيين Peones ، أو بين رعاة الماشية غوشوس gauchos ، فإن ٨٦٪ من سكان الأرجنتين ، هم من البيض الخلصاء . وينحدر هؤلاء ، أي كريوللوس criollos ، من مهاجرين قدموا من



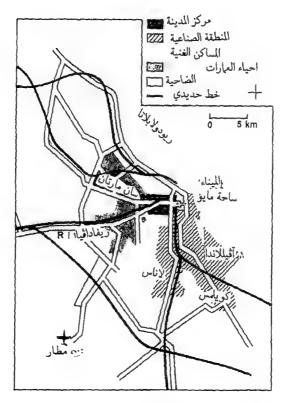
نبات الأرجنتين الشكل ٤

أوروپا ، على شكل موجات متعاقبة بين ١٨٨٠ و ١٩١٤ ، وكان ثلاثة أرباعهم من الطليان ، أو ٤٤٪ ، ومن الإسبان أو ٣٣٪ . وكان بين هؤلاء الأرجنتينين الجدد ، فرنسيون من إقليم الباسك ، ومعمرون ألمان ، استقروا في إقليم الشاكو ، كا استقر في پاتاغونيا أعداد من الإنكليز ومن اليوغوسلاڤيين . ولم تعد الأرجنتين تستقبل مهاجرين جدد ، سوى من الأقطار الجاورة ، أي من الأوروغواي ومن بوليڤيا . هذا ويظهر التوسع الديموغرافي مكبوحاً ،

لانخفاض نسبة التوالد وهي ٢٢ بالألف ، وتكون نسبة الوفيات معتدلة ، وهي ٩ بالألف ، أي أن الفائض السنوي يعادل ١٦ بالألف أو ١,٣ بالمئة ، ولكن هرم السكان يتجه نحو الشيخوخة ، لأن عدد الذين تتجاوز أعمارهم ٦٥ سنة ، يشكلون ٨٪ ، بينما لا يشكل الأولاد الذين تقل أعمارهم عن ١٥ سنة سوى ١٨٪ من السكان . وللأرجنتين كثافة سكانية لا تزيد عن ١٠ في الكيلو متر المربع ، نظراً إلى أن عدد سكانها كان في عام ١٩٧٩ يعادل ٢٦,٧ مليون نسمة و٢٨ مليوناً في ١٩٨٠ .

هذا ويكون الاستيطان السكاني رديء التوزيع ، لأن ٨٠٪ من الأرجنتينيين يعيشون في المدن الوزعة عند حضيض الآند ، وعلى حافة سهل الپامپا النهري البحري . ولمدينتي قرطبة وروزاريو اللتين يزيد سكان كل منها عن ٨٥٠٠٠٠ نسمسة دور إقليي . ولكن تتلاق في هسنا « القطر المروحي » ، كل الطرق والخطوط الحديدية باتجاه العاصة ، التي يحقق ميناؤها ٧٠٪ من التجارة الخارجية .

ويتمركز في بوينوس آيرس وأرباضها (شكل ٥) ، ثلث السكان في هذه الدولة ، ذات الرأس المتورّم . هذا وتكون المفارقات بين العاصمة والأقاليم ، وبين الأرياف والمدن ، حادة ولا تزال الأراضي الزراعية تحت احتكار ٢٠٠ عائلة من كبار الملاكين ، أو terratenientes ، في حين تزحف الطبقة الكادحة الزراعية نحو المدن . وقد دع هؤلاء «الحرومين من القمصان descamisados » من عام ١٩٤٥ إلى ١٩٥٥ ، السياسة الاقتصادية الوطنية ، و «العدالة » التي نادى بها الرئيس پيرون . أما الأرجنتين التي تخضع لديكتاتورية عسكرية منذ ١٩٧٦ ، والتي يكون غوها الاقتصادي ضعيفاً لا يتعدّى ١٪ في العام ، مقابل ٢٪ في اليابان ، فلا يزيد الناتج الداخلي الخام للفرد عن ٢٠٠٠ دولار ، ويبدو عليها بعض الاستقرار ، ما عدا حربها الفاشلة ضد الإنكليز ، في

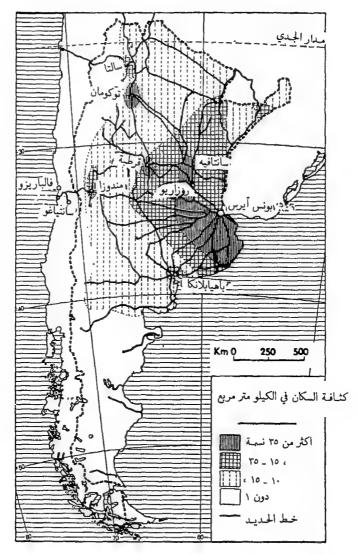


بوينوس آيرس الشكل ه

صيف ١٩٨٢ ، في سبيل الاستيلاء على جزر فولكلاند (مالوين) ، ولكنها تضرب الرقم القياسي العالمي في نسبة التضخم .



توزع سكان الأرجنتين : يتكدس المهاجرون الجدد في العاصمة ، أو بجوارها (شكل ٦) . ويعيش في الأقاليم الشهالية الغربية ثلث سكان الأرجنتين ، مقابل ٧٠٪ في بداية القرن التاسع عشر . أما في پاتاغونيا الشاسعة ، فيتبعثر ٧٠٠٠٠٠ نسبة . هذا كا تكون أرياف الپامپا شبه خالية ، إذ تتناثر فيها المزارع الضخمة estancias ، الشديدة التباعد ، لأن مساحة الواحدة تمتد على آلاف الهكتارات . وتقوم بضع دكاكين حول الكنيسة ، في حين نجد قرب محطات السكك الحديدية ، الخازن التي تتكدس



الاستيطان وشبكة الخطوط الحديدية في الأرجنتين الشكل ٦

فيها المحاصيل . وقد شهدت الأرجنتين ، بفضل الهجرة ، شأن الأقطار المجاورة الجديدة ، اندفاعاً استيطانياً شديداً ، فارتفع عدد السكان ، من أقل من مليونين من الأهالي في ١٨٧٠ ، إلى أكثر من ٨ ملايين في ١٩١٤ . بيد أن سكانها من الأصل الأبيض ، والشديدي التحضّر ، قد حدّوا من خصوبتهم في

وقت مبكر . فكانت نسبة التوالد تقل عن ٢٥ بالألف منىذ ١٩٣٠ . ومنىذ ذلك الحين والنمو الطبيعي ثابت تقريباً محدود ١٪ في العام ، أي يتضاعفون مرة كل ٧٥ سنة ، أي نجدهم أكثر قرباً من إسبانيا مما هو الحال عليه في أقطار أمريكا اللاتينية الأخرى ، باستثناء جارتيها الأوروغواي والشيلي .



بوينوس آيرس ، الميناء والمدينة : لا يتتع موقع هذه المدينة بأية ميزة تلفت النظر : فهي تقع على حافة سهل منبسط ، إلى جانب مياه نهر ريودولا پلاتا العكرة ، والتي تطل عليها خط من ناطحات السحاب ، التي تؤلف حي الأعمال ، الذي يبدو وكأن ينبثق من السهل والنهر ، ويتطلب الميناء حماية ضد الإطهاء . ويعود أصل ومنشأ بوينوس آيروس إلى عام ١٥٥٦ . وكانت عاصة نائب ملك إسبانيا في دولا پلاتا في عام ١٧٧١ ، ثم عاصة للأرجنتين في ١٨١٦ . وظلت مدينة متواضعة ، حتى قبل قرن مضى ، حيث لم يكن عدد سكانها يتجاوز ٢٠٠٠٠٠ نسمة . أما اليوم فيبلغ عدد سكان المدينة هذه ٢,٧ ملايين . غير أن هناك ٢٥ ناحية تزحف نحو دائرة العاصة الاتحادية ذاتها ، وتؤلف مع بوينوس آيرس مدينة علاقة ، يزيد عدد سكانها عن ١٠ ملايين ، وشديدة امتداد الرقعة . ويتألف مركزها من خطيط شطرنجي ، ذي شوارع ضيقة ، تتقاطع بزاوية حادة في كل ١١٧ م ، ويكون السير فيها عسيراً . أما على الأطراف فتتد خطوط الأبنية المنخفضة على طرفي محاور الطرق ، مثل ريفاداڤيا وفيها ١٨٠٠٠ شقة . أما في الشرق فتقع الأحياء الصناعية ، مثل حي آڤيلانيدا وحي كياس والأحياء العالية . وتقع الأحياء السكنية في الشمال ، على ضفاف ريودولا پلاتا . ويتركز في الماصة نصف الصناعة الوطنية .

ويعمل المستوى الثقافي المرتفع ، والكثافة العليا في الدوائر الحكومية ، من بوينوس آيرس العاصمة الكبرى في أمريكا الشمالية ، وإحدى كبريات المدن العملاقة العالمية . ويمكن وضع هذا التميّز في خدمة تنية منتظمة للمجال الأرجنتيني ، وذلك بالارتباط مع المناطق القريبة في الأقطار المجاورة .

عن ر. غينيار « أمريكا اللاتينية » تحت إشراف كولان دولاڤو . دار نشر بورداس ١٩٧٣



الأرجنتين

اقتصاد قيد البناء

لقد علت استثارات أوروبا الصناعية ، بدءاً من عام ١٨٨٠ ، وكانت على شكل خطوط حديدية ومستودعات تبريد ، علت من الأرجنتين موردة متيزة للحوم والصوف والحبوب ، مزدهرة نسبياً . ولكن عندما استحوذ النظام الپيروني على احتكار التجارة الخارجية لتمويل التصنيع ، عن طريق الشراء بثن بخس ، كي يبيع بسعر مرتفع ، خسرت الأرجنتين زبائنها ، وأصبحت الزراعة مفككة الأوصال منذ ١٩٤٩ .

وتظل الأرجنتين مع ذلك قطراً زراعياً ، يصدر ثلاثة أرباع إنتاجه بحالة خام ، أو بعد تحويله . وتتألف مبيعاتها بصورة أساسية من حبوب ، ومن بذور زيتية ، ومن الصوف واللحوم . بيد أن حجم المحاصيل ، يكون عديم الانتظام جداً ، شأن الأسعار العالمية . وهكذا وبالرغ من سيطرة القطاع الأول ، على الاقتصاد الوطني ، فهو لا يحقق أكثر من ١٢٪ من الناتج القومي الخام ، مثلما لا يوفر العمل لأكثر من ١٤٪ من العاملين . ويعتبر نصف مساحة البلاد صالحاً للزراعة ، ولكن المزروع فعلاً لا يتجاوز ١٢٪ ، بيد أن المراعي تكون أكثر امتداداً بأربع مرات ، وتشكو الترب ، وغالباً ما تكون غنية ، من ظاهرات الانجراف . أما المزارع الكبرى أو الاستانسياس estancias ، فهي ملكيات خاصة واسعة ، تكون مستغلة جزئياً بواسطة عال مأجورين ، من أجل تربية الماشية ، في حين يكون القسم الآخر ،

مقسماً بين المشاركين الذين يأخذون على عاتقهم زراعتها . غير أن الملكيات الصغرى ، أو غرانجه granja في تقدم ، ولا سيا في البقاع المروية ، وهي واسعة نوعاً ما ، وكذلك على جبهة شاكو الطلائعية .

وتؤلف تربية الماشية ، أكثر الأنشطة الاقتصادية ازدهاراً: ففي منطقة الپامپا الجافة ، يعيش فوق المراعي الهزيلة المسوّرة بالأسلاك الشائكة ، قطيع يجري إعداده كي يُساق فيا بعد إلى الپامپا الرطبة ، التي تقوم بفضل المزروعات العلفية ، بتسمين الحيوانات قبل أن تقدمها إلى مخازن التبريد المزروعات العلفية ، فقد اختصت بالتربية الواسعة للأغنام . غير أن عدد قطيع الأغنام ، يتناقص ، فهبط خلال ثلاثين عاماً من ٥٠ مليون رأس إلى ٢٤ مليون ، ينتج ١٦٠٠٠٠ طن من الصوف ، في حين يزداد قطيع الأبقار ، الذي قفز تعداده من ٤٠ مليون إلى ٢٠ مليون رأس .

وعادت الأرجنتين من جديد ، لتكون منتجة كبيرة للّحم المبرّد والجحمّد ، أو ٤ ملايين طن الذي يشكل ١١٪ من الصادرات ، ولا سيا باتجاه إيطاليا . ويستهلك معظم إنتاج الحبوب محلياً ، ولكن الذرة البيضاء ، التي يصل منتوجها إلى ٨ ملايين طن ، والذرة الصفراء ، التي يبلغ منتوجها ١٠ ملايين طن ، تتركان فائضاً للتصدير . وبعد أن كان القمح يؤلف تصديراً رئيسياً تقليدياً ، أصبح يعطي الآن محصولاً شديد التفاوت ، بين عام وآخر ، فبعد أن بلغ ١١ مليون طن في عام ١٩٧٦ ، هبط في العالم التالي إلى ٣,٥ ملايين طن ، بسبب الجفاف ، ولهذا لا يقدم دوماً أرباحاً كبيرة . أما زراعة البذور الزيتية ، مثل بذرة الكتان ، وعباد الشمس في سهل الهامها ، وفستق العبيد والصويا ، الكتان ، وعباد الشمس في سهل الهامها ، وفستق العبيد والصويا ، فهي أكثر ربحاً ، مثل الزراعات المخصصة للسوق لداحلية : كزراعة الرز والتبغ ، وقطن شاكو ، وقصب السكر ، وهي الزراعة الوحيدة في واحة وكومان ، وتفاح المزارع المروية على نهر ريونيغرو ، والبرتقال ، ولا سيا توكومان ، وتفاح المزارع المروية على نهر ريونيغرو ، والبرتقال ، ولا سيا

الكرمة المزروعة على البيمونت الآندي . وتعتبر الأرجنتين منتجة كبيرة للخمور والتي يبلغ إنتاجها وسطياً ٢٥ مليون هكتو لتر .

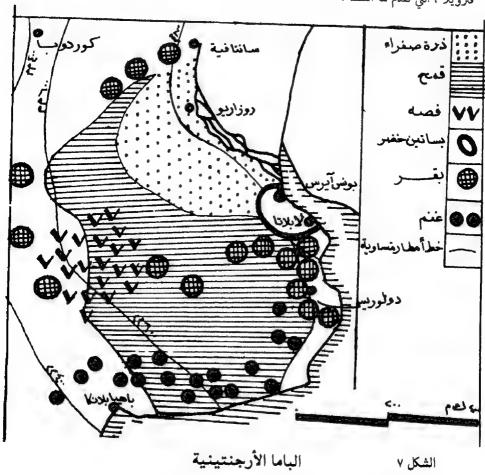
هذا وتكون الصناعات الزراعية الغذائية ، التي تؤمّن ٤٠٪ من عالات العمل ، قديرة : كالمطاحن ومعاصر الزيت ومصانع الجعة ، ولا سيا «مصانع اللحوم» ، التي لا تزال في أيدي الشركات الأمريكية الكبرى ، مثل شركة سويفت وآرمور . غير أن «سياسة التصنيع الإرادي» الرامية إلى تجهيز البلاد بصناعات استهلاكية ، كالنسيج والسيارات ، ثم بالصناعات الأساسية ، فقد عانت من الاضطرابات السياسية والاجتاعية ، كرداءة أجور العال ، عاماً بأنهم منخرطون في نقابات منظمة ، ولا يزيد إنتاج الحديد الوطنية عن ٣ ملايين طن من الفولاذ ، أي نصف حاجة السوق ، وينال مصنع سان نيقولا ، في سافلة روزاريو ، الفلزات والفحم ، من مكامن واقعة في پاتاغونيا ، وهناك مصنع آخر قيد التنفيذ ، أكثر عقلانية ، يقوم من باستخراجها من پاتاغونيا ، ومن حضيض جبال الآند ٨٠٪ من الوقود السائل ، استخراجها من پاتاغونيا ، ومن حضيض جبال الآند ٨٠٪ من الوقود السائل ،



تجارة الأرجنتين

ليس لدى الأرجنتين الكثير من الفحم ، إذ لا يزيد إنتاجها كثيراً عن تصف مليون طن من موقع ديوتوربيو ، كا لا تملك سوى فلزات حديدية فوسفورية ، من مناجم جبال سراة غرانده أو ١١٥ ألف طن . ولهذا تكون صناعة الحديد ، التي أقامتها الدولة في سان نيقولا ، في سافلة مدينة روزاريو ، قليلة القدرة على المنافسة .

ولكن الأرجنتين ، حتى بعد تصنيعها ، لا تجد ما تبيعه ، سوى منتجات أرضها وقطيعها ، من لحوم وأصواف ، وحبوب وبذور زيتية على الخصوص ، والفائض الذي سجلته في عام ١٩٧٧ كان استثنائياً نوعاً ما ، ويعود إلى ضخامة صادرات الحبوب التي تنتج سهول البامبا معظمها (شكل ٧) ، والتي بلغت ١٦ مليون طن مقابل ١٠ ملايين في ١٩٧٦ ، على أثر موامم طيبة ، ولكن أيضاً لتقنين الاستيراد بصورة صارمة . وتتصدر الولايات المتحدة ، بقية عملائها التجاريين ، سواء في ميدان التصدير أو الاستيراد ، في حين نكصت الدول الأوروبية متراجعة ، غير أن البريطانيين والطليان يشترون اللحوم المبردة ، وكذلك الذرة الصفراء وفول الصويا والصوف . ولكن المبادلات تنو بشكل خاص مع الأقطار المجاورة ، . كالشيلي والبرازيل ، التي تشتري القمح وتبيع منها القهوة ، وكذلك مع فنزويلا ، التي تقدم لها النفط .



_ ۲.۸ _

وقد بلغت صادراتها في ١٩٧٦ مقدار ٧٤٢ مليار بيزوس ، وكانت تتألف من الحبوب واللحم والصوف والثار والخضار ، وبلغت استيراداتها في العام ذاته ٤٥٤ مليار بيزوس ، وكانت تتألف من مكائن وسيارات ومنتجات كهاوية وصيدلانية ، وحديد ومعادن ووقود .



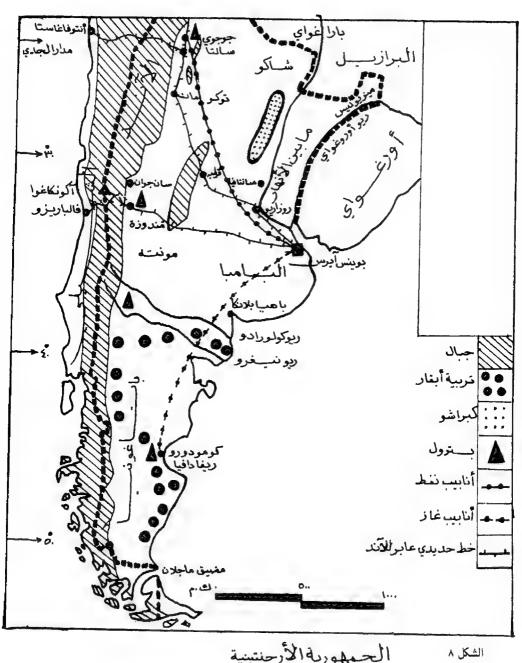
الطاقة في الأرجنتين: لم يتدفق النفط في الأرجنتين لأول مرة إلا في عام ١٩٠٧ في باتاغونيا في موقع كومودور ريفادافيا (شكل ٨). ولا يزال هذا الحقل منتجاً، ولكنه ينتج الفاز على الخصوص. وقد اكتشفت حقول أخرى يكون فيها الغاز على العموم عتلطاً بالنفط، عند أقدام جبال الآند، وفي شال الشاكو، كحقل كامپودوران، وحتى في أرض النار ذاتها. ويعود احتكار التنقيب والاستخراج لشركة حكومية هي ٢٠٩٢. وفي عام ١٩٥٥ لم تكن الأرجنتين تنتج سوى ٤ ملايين طن من الزيت الخام. لكن هذا الإنتاج بلغ و٢٥٠ مليون طن في ١٩٨١، إلى جانب ٨ مليارات متر مكعب من الغاز، عما كان يغطي تقريباً حاجة البلاد، وكانت تكل استهلاكها باستيراد ٢ ملايين طن، من بترول فنزويلا، و٢ مليار م من الغاز من بوليڤيا. وتبلغ قدرة مصافيها، وأهها الواقعة في طن، من بترول فنزويلا، و٢ مليار م من الغاز من بوليڤيا. وتبلغ قدرة مصافيها، وأهها الواقعة في و منطقة العاصمة. وهناك تقع مراكز توليد الطاقة الحرارية التي تحرق زيت الغويل، والمركز في منطقة العاصمة. وهناك تقع مراكز توليد الطاقة الحرارية التي تحرق زيت الغويل، والمركز النووي في آتوشا، الذي يستخدم الأورانيوم الطبيعي من منجم في جبال الآند. وتنتج الأرجنتين و٢ مليارك و س أوح ١٢٠ ك و س لكل مواطن، ولكنها لا تستد من طاقتها الهيدروليكية الكامنة العظجة، مثل سد شوكون، سوى سبع كهربائها.



التوزع المئوي للأرض الأرجنتينية

مساحات غير منتجة ما٪ غابات الراعي ٢٧٪ الأرض المزروعة ٢١٪

4 4 4



الجمهورية الأرجنتينية

- 41+ -

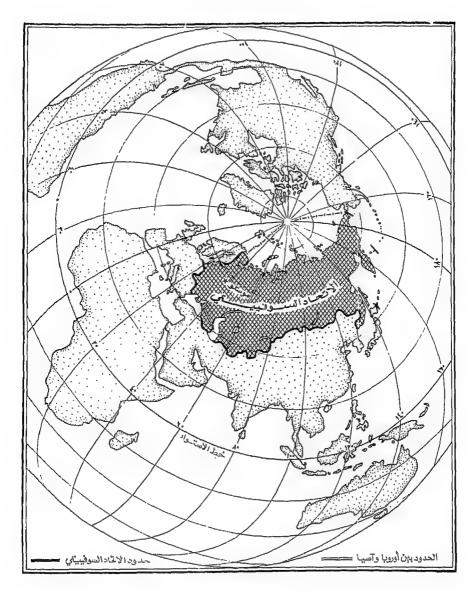
الفصالاتاني

الاتحاد السوفييتي

الاتساع:

تشغل رقعة الاتحاد السوفييتي سدس مساحة الكرة الأرضية (شكل ١). فن كل أصقاع الاتحاد ، تنطلق قطارات تحمل في واجهتها أساء مدن بعيدة ، مثل : أوديسا ، مورمانسك ، عشقباد ، فلاديفوستوك ، كي ينتهي بها المطاف في موسكو . فالمسافات التي قطعتها ، والأيام التي قضتها في الطريق ، تعطي فكرة عن اتساع بلاد السوفييت . وحتى لو ركب المسافر القطار السريع ، فإن الرحلة بين فلاديفوستوك وموسكو ، تستغرق أكثر من أسبوع ، لأن المسافة الفاصلة بين هاتين المدينتين ، تعادل المسافة التي تفصل مدينة نيويورك عن باتاغونيا في أقصى الجنوب الأرجنتيني ، أو بعبارة أخرى بين القطب وخط الاستواء أو أكثر من أسويد وجزيرة صقلية . والمسافر من أوديسا إلى موسكو يضطر لأن يظل في عربة القطار ضعف المدة اللازمة كي من أوديسا إلى موسكو يضطر لأن يظل في عربة القطار ضعف المدة اللازمة كي يقطع فرنسا بين مرسيليا وبحر المانش .

هذا و يمتد الاتحاد السوفييتي من الغرب إلى الشرق على / ١٧١ / درجة طول ، أي ما يقارب نصف محيط الكرة الأرضية . فأقصى نقطة غربية فيه ، تقع عند التخوم البولونية ، قرب مدينة كالينينغراد ، الواقعة على بحر البلطيك ،



الشكل ١

وتنتهي حدوده شرقاً عند رأس دجنيف ، الذي تنتهي به شبه جزيرة تشوكش ، ولكن أبعد ممتلكات الاتحاد هي جزيرة رامانتوف ، الواقعة في وسط مضيق بهرنغ الفاصل بين قارة آسيا وقارة أمريكا .

وهكذا تأخذ أبعاد الاتحاد السوفييتي درجة تجعل الشمس لا تغيب عن حدوده . فبينا تكون الساعة الخامسة صباحاً في شبه جزيرة تشوكش ، يكون الليل في منتصفه على بحيرة بايكال ، في حين لا تتجاوز الساعة السابعة مساء في موسكو .

وأقص النقاط الجنوبية في الاتحاد السوفييتي تقع في تركانستان ، على الحدود الأفغانية ، قرب مدينة كوشكا أي على درجة عرض ٣٥ وهو عرض مدينة حماة السورية ، بينا تقع أبعد نقاطه الشالية في ما وراء الدائرة القطبية ، عند نهاية أرس تشيليوسكين ، في سيبريا ، بحيث تبلغ المسافة الفاصلة بين جنوب تركانستان وشال سيبريا / ٤٠٠٠ / كم .

وهكذا نجد أن النخيل الذي يعود أصله لجزيرة العرب ، يحمل ثماره في الواحات التركانية ذات المناخ شبه المداري ، في الوقت الذي تقذف فيه الرياح الشمالية بقطع الجليد ، على سواحل رأس تشيليوسكين حتى في قلب الصيف .

ففي تركانيا الجنوبية ، يأتي الربيع في مطلع العام الجديد تقريباً .والشتاء الذي تتجاوز حرارة كانون الثاني الوسطى فيه درجة الصفر ، يكون هنا قصيراً جداً . والثلج النادر الذي قد يهطل في بلاد التركان الجنوبية ، يذوب قبل أن يلامس الأرض .

لهذا تبدأ أعمال الحراثة والبذار هناك في أواسط كانون الثاني . وعليه يبدأ الربيع زحفه ابتداء من الحدود الجنوبية باتجاه الشال . وإليكم بعض مراحل مسيرته : تزهر أشجار التفاح في موسكو في أواخر شهر أيار ، أي متأخرة مدة

شهرين عن تركانستان ، ولكنها لا تزهر في شالي سيبريا إلا في شهر حزيران ، أي في الوقت الذي تتخلص فيه الأنهار من جمدها ، وتتغطى أرض التوندرا ببساط مستمر من الزهور ، ولكن الصقيع يحتمل وقوعه في أي يوم من الصيف ، الذي سرعان ما يترك مكانه للخريف الذي يفاجئه الشتاء .

المساحة والحدود:

تبلغ مساحة الاتحاد السوفييتي ٢٢,٤ مليون كيلو متر مربع ، أو سدس مساحة العمورة وهكذا تعادل مساحته ثلاثة أضعاف مساحة الولايات المتحدة . ومجموع مساحة انكلترا وفرنسا وايطاليا واسبانيا لا يتجاوز $\frac{1}{18}$ من مساحته .

وتمتد حدود الاتحاد على مسافة / ٦٠٠٠٠ / كيلو متر تقريباً . وتستغرق طائرة سرعتها الوسطية ٥٠٠ كم بالساعة مدة خمسة أيام بلياليها كي تحلق فوق الحدود المذكورة .

وللاتحاد السوفييتي جيران عديدون : فله حدود مشتركة مع النروج وفنلندا وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا وتركيا وإيران وأفغانستان والصين ومنغوليا وكوريا .

أولاً _ التضاريس

تتصف تضاريس الاتحاد السوفييتي بشدة بساطتها . فهي تنقسم إلى مجوعتين :

أولاً _ رقعة فسيحة من الأراضي المنبسطة ، قليلة النتوءات أو عديمتها .

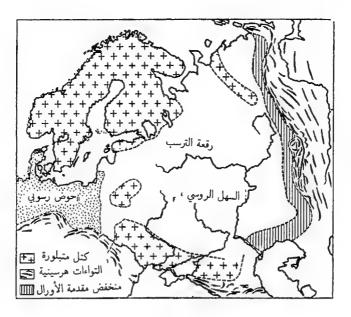
ثانياً - يهين على هذه الرقعة من الجنوب الغربي ، ومن الشرق ، قلادة جبلية طويلة متفاوتة في شدة ارتفاعها ، مؤلفة من سلاسل عالية ، فضلاً عن منبسطات عالية مائدية ، مثل هضبة بامير التي تدعى سقف العالم .

١ ـ نطاق الهضاب والسهول:

يتألف معظم هذا النطاق من العتبة الروسية السيبرية ، التي تتحدد في جنوب الأورال ، بواسطة منخفض آسيا الوسطى .

هذا وتنقسم العتبة الروسية السيبرية بواسطة جبال الأورال ، ونهر ينيسئي إلى ثـلاثـة أجـزاء ، ابتـداء من الغرب نحـو الشرق وهي : السهـل الروسي (شكل ٢) ، سهل سيبريا الغربية ، وهضاب سيبريا الوسطى .

ولا يتجاوز ارتفاع السهل الروسي عموماً ٣٠٠ م . وتستد الأنهار ينابيعها من مرتفعات متواضعة (الفولغا ٢٢٣ م ، الدينيبر ٢٥٣ م) كا تظهر خطوط تقسيم المياه بينها لاطئة جداً .



الشكل ٢ العتبة الروسية في العصر الهرسيني

يبدو القسم الثمالي من هذا السهل ، والذي يتكئ بالغرب على الكتلة الكاريلية الفينية ، التي ترتفع إلى ١٢٤٠ م في شبه جزيرة كولا ، يبدو أكثر أجزاء السهل الروسي هدوءاً ؛ فبين نهر الفولفا الأعلى ونهر بتشورا ، نجد تلال أوفالي وتلال تيان ، التي لا يتجاوز ارتفاعها ٢٠٠ م . ولكن أواسط هذا السهل وجنوبه ، تكون أكثر غنى بالبروزات ، فنجد زمرة من الهضاب المتزايدة الارتفاع باتجاه الشمال الشرقي ، وتهين أحياناً بشكل شرفة قائمة على الضفاف البنى للأنهار ، مثل هضبة الفولغا ٣٦٥ م التي تمتد على مسافة تزيد عن ١٠٠٠ كم بمحاذاة هذا النهر . وإلى الغرب من منخفض الدون ـ اوكا نجد هضبة روسيا الوسطى ، وهي مركز تبعثر الشبكة النهرية ، وتتحدد بهضبة فالدائي وهضبة مينسك هضبة روسيا الوسطى ، وهي مركز تبعثر الشبكة النهرية ، وتتحدد بهضبة فالدائي وهضبة مينسك مرتفعات فولمينيا ـ بودوليا ، التي تسمو إلى ٣٤٥ م قرب التخوم البولونية .

وترتفع جبال الأورال إلى الشرق من السهل الروسي ، وهي عبارة عن حدود تقليدية بين أوروبا وآسيا ، ولكنها بالواقع ليست أكثر من سلسلة جبال متواضعة ، ضيقة وقليلة الارتفاع ، رغم أن طولها يتجاوز ١٨٩٤ م في قمة نارودنايا الواقعة في القسم الشهالي . ولا تؤلف هذه السلسلة حاجزاً حقيقياً بين السهل الروسي وبين سيبريا الغربية نظراً لسهولة عبورها .

هذا ولا يزيد ارتفاع سهل سيبريا الغربية ، الذي يربو طوله من الشال للجنوب على ٢٤٠٠ كم وعن ٨٠٠ كم من الغرب للشرق ، عن ٢٠٠ م . كا لا يـزيد ارتفاع رصيف كازاخ الذي يصل هذا السهل الكبير بـآسيـا الوسطى ، عن ١٦٠ م فقط . ونظراً لانعدام الانحدار تقريباً نجد أن جريان المياه يكون عسيراً ، فتكثر هنا الأذرع النهرية والبحيرات والمستنقعات .

هذا وتمتد بين نهري ينيسئي ولينا هضاب سيبريا الوسطى ، التي تتراوح ارتفاعاتها الوسطى بين ٥٠٠ و ٨٠٠ م مع بعض القطاعات العالية المحدودة في الشمال الشرقي ٢٠٣٧ م . وتكون مجاري الأنهار هنا عميقة . وفي الشمال تنفصل المضاب عن المحيط المتجمد الشمالي بسهل خاتنغا الأسفل ، وبشبه جزيرة تايمير الجبلية وهي أبعد رأس في أوراسيا .

وتنفصل آسيا الوسطى المنخفضة ، الواقعة في خارج نطاق العتبة الروسية السيبرية ، عن سيبريا الغربية ، بظهرة أرضية عريضة هي كازاخستان .

ويبدو هذا الحوض الكبير المدعو بالمنخفض الآرالي ـ الخزري ، شديد التقعر ، إذ يبلغ عمق أخفض نقاطه ١٣٢ م دون سطح البحر ، وتكون بعض أجزائه عبارة عن صحارى حقيقية من الرمال والحجارة . وحيثًا لا تكون الرمال مثبتة ، نجد كثباناً ترتفع إلى مترين وحتى خسة أمتار ، وتدعى البرخانات ، تتعرض لتبديل أشكالها بصورة مسترة بفعل الرياح العاتية ، ويرتفع هنا المنخفض على شكل حدور glacis نحو الجبال الواقعة إلى الجنوب منه ، أو نحو الجنوب الشرقي .

٢ ـ الحافة الجبلية:

وتختلف اختلافاً عنيفاً عن النطاق الآنف الذكر ، فهنا يكون تفاوت الارتفاعات جسياً بين الأراضي المتجاورة ، إذ يتفاوت الارتفاع بين منخفض فرغانة وبين ذرى جبال آلائي بحوالي ٥٠٠٠ م ، مع أن المسافة الفاصلة بينها لا تتجاوز ٥٠ كم فقط . وإلى الجنوب من السهل الروسي الكبير تتعاقب عدة نطاقات جبلية :

أولاً ـ جبال الكربات الشرقية ، وتتصف ذراها بالاستدارة ، ولا يزيد ارتفاعها عن ٢٠٠٠ م .

ثمانياً ـ السلسلة الطورية الصغيرة في شبه جزيرة القرم ، وتسمو إلى ١٥٤٥ م .

ثالثاً ـ حاجز القوقاز الكبير الذي يمتد على مسافة ١٢٠٠ كم طولاً و ٨٠٠ كم عرضاً . وهنا لا تقل الارتفاعات عن ٢٠٠٠ م مطلقاً . وتكثر القمم التي تزيد عن ٥٠٠٠ م مثل قسة البروز ٥٠٥ م . ونظراً لحداثة هذه السلسلة ، التي جزاها الحت الشديد ، نجدها تؤلف سوراً عالياً عسير الاجتياز ، إذ لا تخترقه أية سكة حديدية عدا ثلاثة طرق معبدة ، تخترق ممرات يزيد ارتفاعها عن ٢٤٠٠ م في داخل السلسلة .

رابعاً ـ وإلى الجنوب من منخفض ماوراء القوقاز ، الـذي يشكل حوضات متتالية ، تنتصب جبال أرمينيا المرتفعة المحاذية للحدود التركية الإيرانية .

وإلى الشرق من بحر الخزر ، تظهر جبال عالية متفرعة عن جبال آسيا الوسطى : فهضاب بامير العليا ، تحمل ذراً شديدة الارتفاع (قمة الشيوعية ١٤٩٥ م ، وهي أعلى نقطة في الاتحاد السوفييتي) . وفي الشال الشرقي نجد مروحة جبلية عريضة ، تدعى تيبان شان ، التي تنهض إلى ٧٤٣٩ م ، وتحيط فروعها بمنخفضات عيقة مثل (فرغانة أو الوادي الأعلى لنهر سيرداريا وحفرة بحيرة ايسيك كول) وتمتد هذه المروحة من جبال آلائي حتى بحيرة بالخاش .

وإلى الشرق من بحيرة بالخاش ، تتعاقب أشكال جبلية ثقيلة ، تسمو إلى ده٠٠ م في جبال آلائي وإلى ٣٥٠٠ في جبال سايان ، ثم تنخفض بعد بحيرة بايكال (التي ينخفض قاعها إلى ١٧٤١ م دون سطح البحر) في كتل سيبريا الوسطى ، مثل جبال يابلونوئي وجبال ستانوفوئي .

وإلى الشمال الشرقي والجنوب الشرقي من هذه الكتل المدورة القمم ، تقدم سيبريا الشرقية والشرق الأقصى السوفياتي أشكالاً جبلية ، لاتزال دراستها ناقصة حتى الآن .

وعلى كل هناك أقواس جبلية متزايدة الارتفاع ، تتعاقب باتجاه الشرق ، مثل جبال فيركوهيانسك وقوس كامتشاتكا كوريا كسكي ٤٨٥٠ م على حافة الحيط الهادي ، وسلسلة سيخوتا آلين في المقاطعة البحرية .

تشكل التضاريس:

تشكل التضريس الحالي في الاتحاد السوفييتي على مراحل كبرى ؛ والعنصر الأساسي في البنية يتألف من ركيزة من صخور قدية جداً تمتد ، رغم أنها غير مرئية في أكثر الأحيان ، على قسم كبير من رقعة البلاد ، وخاصة في سيبريا الوسطى .

وتظهر هذه الركيزة أحياناً عند السطح ، وذلك حول السهل الروسي ، ويتشكل هذا السهل في معظم رقعته ، من تراكم توضعات بحرية في قناع حوضة ، تؤلف صخورها المتبلورة ، في فناندا وفي الكتلة الأوكرانية وكذلك في جبال الأورال وفي تيان ، الحافة المرئية لهذه الحوضة .

ومنذ العصر الهرسيني ، حيث نهض النطاق الالتوائي الجسيم في الأورال وفي سلاسل التائي وجبال سايان وما وراء بايكال ، لم تتعرض هذه المناطق لأي التواء ، بل إلى فعل الحت الذي براها ، كا اجتاحها البحر وتخلّمت في بعض الأصقاع في عصر الالتواء الألبي .

هذا ويبدو أن هذه الركيزة ، والكتل المتبلورة أو الهرسينية التي تحيط بها ، والأراضي الرسوبية التي تغطيها ، تلعب جميعاً دوراً أساسياً في اقتصاد الاتحاد السوفييتي ، فهذه المناطق تضم بالواقع احتياطات هائلة من الفحم : كالفحم العائد للدور الأول في منطقة الدونتز ، وفي حوض موسكو ، وفي حوض كاراغاندا ، والطبقات العائدة للدور الأول والثاني في منطقة كوزباس ، بالإضافة إلى مكامن عديدة غنية بالمعادن المختلفة (كا في شبه جزيرة كولا ، وفي روسيا الوسطى ، والأورال ، وعتبة كازاخ) .

وقد وقعت حركات أحدث من السابقة ، مصحوبة بظواهر بركنة كا في القوقاز والشرق الأقصى ، وقد حدثت أعنف هذه الحركات في الدور الثالث ، حيث أدت إلى نهوض القسم الأعظم من الحافة الجبلية .

وتهين الكتل الالتوائية في الغرب ، كا في الكربات والقوقاز ، وفي الشرق الأقصى مثل السلاسل التي تتشكل حالياً في كامتشاتكا ، والتي تستمر في جزر كوريل ، في حين تميز الكسور التي تطيف برقع كبيرة ناهضة أو منهدمة ، تميز القسم الأكبر من الحافة الجبلية ، التي تبدأ من جبال التائي حتى كتلة آنادير .

ولقد أدت صدمة الحركات الألبية ، إلى نهوض بعض الكتل الهرسينية ، حيث أوجد تجدد الحت تضاريس من النموذج الآبالاشي ، ذات أعراف طويلة قاسية منفصلة عن بعضها بوديان طولانية . وهذا التضريس هو الذي جعل جبال

الأورال مثلاً ، سهلة العبور منذ زمن قديم ، وساعد على استغلال العروق والاندساسات المعدنية الوفيرة جداً في مثل هذه التضاريس .

ومن ناحية أخرى ، تشكلت في المنخفضات الداخلية وفي مشارف التواءات بعض السلاسل الجبلية ، وتخزنت احتياطات بترولية من الدور الأول ، كا في سفوح الأورال الغربية ، أو من الدور الثالث والرابع كا في القوقاز وتركانيا .

هذا وتعرضت التضاريس لتأثير الجوديات الرباعية :

ولقد كان امتداد الجوديات عظياً جداً في الجزء الأوربي من الاتحاد السوفييتي ، وهو أكثر المناطق رطوبة ، حيث اندفع لسانان عظيان من الجليد ، بين هضاب روسيا الوسطى في سيبريا الغربية . وتظهر علائم هذا الزحف الجودي في المناطق السهلية هذه ، على شكل تلال مورينية وعيرات مثل (لادوغا واونيغا ويبوس وايلن) ومستنقعات .

أما في المناطق الجبلية ، فقد ظهرت قبعات جليدية فوق الكتل المرتفعة . ففي آسيا الوسطى ، انطلقت من هذه القبعات جوديات الوادي الواسعة ، مما أدى لنشوء معالف جودية جسمة ، ذات حواف متدرجة جانبياً ، تنحدر من هضبة بامير العليا ومن جبال تيان شان .

ثانياً . المناخ

يكون للظاهرات المناخية في الاتحاد السوڤييتي ، أكثر من الوقائع الجيومورفولوجية ، اتساع لامثيل له في الأقطار الأوروبية الأخرى . وتكون الرتابة هي أكثر الصفات بروزاً للعيان في المناخ السوڤييتي . كا أن القساوة هي الطابع الآخر لهذا المناخ .

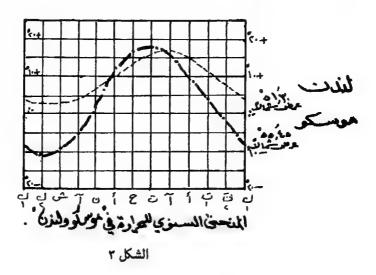
ففي مدينة موسكو الواقعة على درجة عرض كوبنهاغن ذاتها (٥٥،٥ درجة عرض شمالاً) ، يبلغ المدى الحراري ٣٠ درجة ، فيكون معدل كانون الثاني (- ١٠,٨ درجات مقابل ١٨،٥ في تموز) ، ويغطى الثلج الأرض خلال ١٤٠

يوماً ، كا يتردد الانجاد في ١٧٢ يــوماً من العام ، أو حــوالي نصف السنــة (شكل ٣) .

ويشتمل مناخ الاتحاد\السوفييتي على أنواع كثيرة :

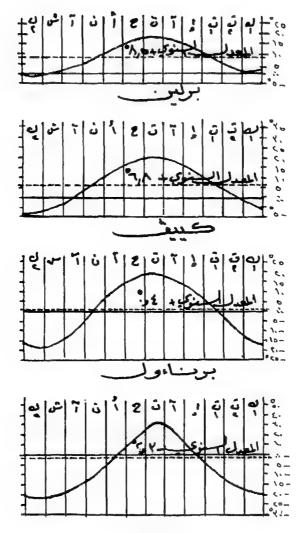
ففي شمال سيبريا كما في المنخفضات ، التي تطيف بها جبال فرخويانسك ، تبط الحرارة أحياناً إلى (٨٠) درجة تحت الصفر ، لـدرجة أن بخار زفير الإنسان ، يتحول فوراً إلى غبار من الجليد . ولكن في الوقت نفسه ، تتفتح الورود في جورجيا الغربية .

ولكن مناخ الاتحاد السوفييتي ، يكون إجمالاً معتدلاً أو قارياً . ففي كل مناطق الاتحاد تقريباً يكون الشتاء بارداً والصيف حاراً أو حاراً جداً .



وتزداد الفروق الحرورية كلما ابتعدنا عن الحيط الأطلسي باتجاه الشرق ، لأن مياه هذا الحيط ، تشكل عاملاً ملطفاً بالنسبة لفصول الشتاء ، في حين تجعل الصيف أقل حرارة . ففي لينينغراد التي لا تبتعد كثيراً عن الحيط الأطلسي ، يكون الشتاء فيها لطيفا نوعاً ما ، والصيف معتدل الحرارة ، في حين يكون

الشتاء قاسياً في سيبريا ، والصيف لاهباً ، مما يساعد على نضج الحبوب والخضار والبطاطا بسرعة وبنجاح (شكل ٤) .



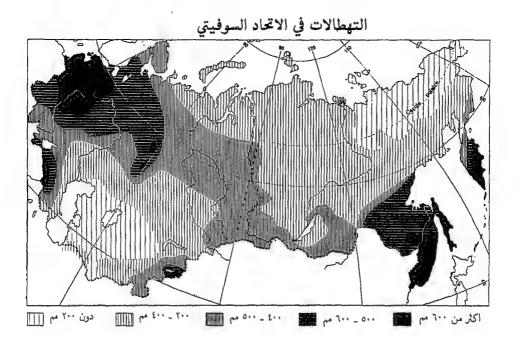
نيقولايفسك أنظمة الحرارة في المناخ القاري الشكل ٤

عناصر المناخ:

الحرارة : يلاحظ بالنسبة لمجموع رقعة الاتحاد ، أن متوسطات الحرارة ، تدل على وجود فصول شتاء شديدة البرد ، وعلى فصول صيف شديدة الحرارة وأحياناً محرقة .

فتوسط شهر كانون الثاني يهبط إلى - ١٢,٨ درجة في مدينة كويبيشيف الواقعة على درجة ٥٢ شهالاً في وسط القسم الأوربي ، وإلى مادون -- ٥٠ درجة في حوض نهر لينا الأوسط ، في حين أن متوسط تموز يصعد إلى ٣١,٥٠ في كويبيشيف ، وإلى أكثر من ٥٠٠ في آسيا الوسطى المنخفضة . وإجالاً تتعرض تسعة أعشار مساحة البلاد إلى الصقيع خلال ١٢٠ يوماً بالسنة .

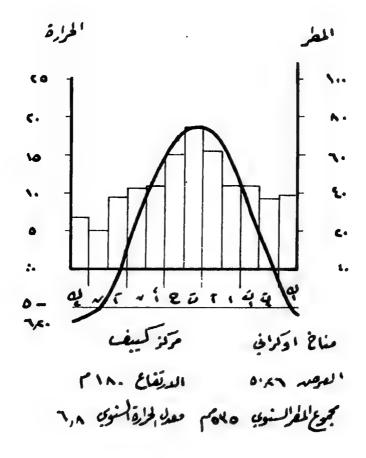
التهطال: يبدو مجموع التهطال ضعيفاً على العموم (شكل ٥).



الشكل ٥

فكية التهطال تتراوح بين ٦٠٠ و ٧٠٠ م في الشال الغربي ، ولكنها تهبط إلى ٣٠٠ مم في فولغوغراد (ستالنغراد سابقاً) ، وتقل عن ٤٠٠ مم في حوض نهر ينيسيئي ، وإلى أقل من ٢٠٠ مم في الشال الشرقي ، وتؤدي حرارة الصيف في المنطقة المحصورة بين بحر آرال والخزر ، إلى امتداد مفعول الجفاف .

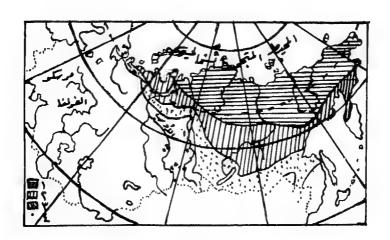
وتسقط هذه التهطالات غالباً على شكل زخات عاصفية في الصيف ، وهي الفترة الإنباتية ، ولكنها فترة التبخر الأقصى . ففي موسكو يسقط ٥٨,٧٪ من مجموع الأمطار بين أيار وأيلول وكذلك في كييث (شكل ٦) ، أما في الشتاء فتظل طبقة الثلج على الأرض مدة طويلة ولكنها تكون عادة رقيقة .



الشكل ٦

هذا ويكون نسق الفصول ، وهو أمر أساسي لفعالية الإنسان ، متيزاً بضور فصلي الربيع والخريف . ففي الشتاء يكون البرد قارساً جداً ، وخاصة في شرقي البلاد ، ولكنه يكون محتملاً بفضل الجفاف وركود الهواء ، ولاسيا في سيبريا .

ولا تكون طبقة الثلج التي تغطي الأرض أكثر من ١٤٠ يوماً في القسم الأعظم من الاتحاد السوفييتي ، كافية للحيلولة دون تجمد التربة حتى عمق لابأس به ، وخاصة في أشد المناطق برداً . وتدعى التربة المتجمدة هذه مرزلوتا أما الطبقة المتجمدة أبدياً فتدعى تيال (شكل ٧) . وتظل الأنهار مدة طويلة متجمدة ، حيث تكون المواصلات حينشذ ميسورة على الطرق وفوق الأنهار المتجمدة .



الشكل ٧

توزع التيال (الأرض المتجمدة أبدياً) .

- ١ ـ نطاق الأرض المتجمدة المسترة (دون ٥ درجات على عمق ١٠ ـ ١٥ م) .
- ٢ ـ نطاق يكون توزع الأرض المتجمدة فيه غير متصل (بين ـ ١,٥ درجة و ـ ٥درجات) .
 - ٣ ـ نطاق متقهقر (الحرارة تزيد عن ـ ١ درجة في المتوسط السنوي) .
 - ٤ ـ بقاع من أرض متجمدة .

هذا ويكون الربيع القصير بحد ذاته عبارة عن فصل مضطرب ، إذ تتقطع فترة الدفء بعودة البرد . ولكنه يعتبر فترة انحلال الجمد أو الراسبوتيتزا ، حيث تتحول التربة إلى وحل ، فتطغى الأنهار على السفوح الفسيحة وعلى مساحات واسعة مما يجعل المواصلات عسيرة .

ويأتي الصيف بسرعة كبيرة ، وتتزايد حرارت نحو الشرق والجنوب ، فيكون الحر في مدينة استراخان في تموز أقسى مما هو في طنجة . أما في الشمال لا ينفك تجمد التربة على عمق يزيد ٥٠ سم أو ٢ م . وتهطل زخات مطر فجائية تؤدي إلى تخديد السهب ، فضلاً عن قدوم رياح عنيفة من الجنوب الشرقي تثير عواصف الغبار . ولا نجد فصل خريف حقيقي ، لأن البرد يعود بسرعة كبيرة جداً ابتداء من نهاية أيلول في موسكو ؛ لدرجة أن الشاء البارد والجاف يتفوق ابتداء من أواسط تشرين الثاني .

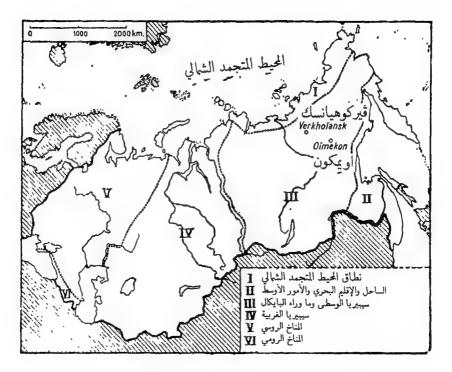
عوامل المناخ:

يكن تفسير المناخ السوفييتي أولاً بتاثير درجة العرض ، إذ أن أكثر من أربعة أخماس البلاد تقع إلى الشال من درجة العرض ٥٠ (أي درجة عرض بلجيكا) ، وهذا ما يجعل الشتاء شديد القساوة .

والعامل الثاني في قساوة المناخ هو البعد عن البحر ، أي الطابع القاري للبلاد ، رغ امتداد الواجهات البحرية (شكل ٨).

فالحيط المتجمد الشمالي الذي يتجمد خلال تسعة شهور بالعام ، لا يقدم لبلاد السوفييت الدفء ولا الرطوية . كا أن تأثير الحيط الهادي الذي تجري فيه تيارات باردة (مثل تيار أو ياشيفو الماثل لتيار لابرادور) ، يبدو قليل التلطيف ، فضلاً عن أن هذا التأثير ينحصر بجوار الساحل ، بسبب وجود الجبال . أما في الغرب فإن الرياح الحيطية الأطلسية لا تدرك الاتحاد السوڤيتي إلا بصعوبة ، بسبب وجود السلاسل الاسكندينافية والجبال المرسينية في أوربا الوسطى . بينا ينحصر تأثير البحر البلطي والبحر الأسود في سواحلها فقط .

وهكذا يكن تفسير ضعف التهطالات وشدة سعات الفروق الحرورية وضور الفصلين الانتقالين .



الأقسام المناخية الكبرى في الاتحاد السوڤييتي: إمكانات التنبية والتقوقع القاري

الشكل ٨

كا أن وضع التضاريس يجعل القسم الأوربي من البلاد وسيبريا الغربية والوسطى عرضة للرياح القارسة أو الحرقة ، التي لا يعترضها أي حاجز أو عائق . وهكذا تدخل مؤثرات الحيط المتجمد الشالي حتى أواسط آسيا الوسطى المنخفضة ، بحيث يتعرض بحر آرال الواقع على درجة عرض مدينة بوردو الفرنسية إلى التجمد مدة لاتقل عن خمسة شهور بالعام ، مع أن متوسط الحرارة في كانون الثاني في بوردو لا يتجاوز ٧° فوق الصفر .

وأخيراً لا يجوز أن نهمل مفعول نظام الضغوط ، وتأثير كتل الهواء اللذين يلعبان دوراً هاماً .

ففي الشتاء نجد في أواسط الضغوط الشديدة (بين ٧٧٤ إلى ٧٨٠ مم) ، التي تطغى على سيبريا الشرقية والوسطى وأحياناً حتى روسيا ، كتلاً هوائية قطبية قارية ينجم عنها طقس جاف وبارد ، هادئ ومثمس ، وهو فصل الشتاء السيبري النوذجي . غير أنه تتجول منخفضات محيطية من الغرب نحو الشرق ، على طول الجهة القطبية بما يؤدي في بعض المناطق إلى هطول الأمطار ، وخاصة على حبال القوقاز الغربية . كا يتعرض غرب روسيا وشاليها الغربي أحياناً لهبوب رياح غربية رطبة وأكثر دفئاً .

أما في الصيف فيحل محل الضغوط العالية الشتوية ضغوط منخفضة ملحوظة ، مما يسبب أحياناً هبوب رياح حارة وهطول أمطار عاصفية . وتدخل بعض المنخفضات الغربية أحياناً حتى روسيا بمحاذاة الجبهة القطبية .

المناخات الاستثنائية:

إن الفروق الطفيفة بين مناخات الاتحاد السوفييتي ، تنجم فقط عن تفاوت مدة دوام البرد ، أو عن تاريخ بدء أو نهاية الشتاء . بيد أن هناك بعض المناطق التي تشذ عن هذا الانسجام .

فناخ آسيا الوسطى المنخفضة ، يبدو مضيئاً وجافاً ومتطرفاً ، أي هو عبارة عن مناخ صحراوي . فهنا تتراوح الأمطار بين ٨٠ و ٢٠٠ مم ماعدا جوار الجبال ، كا أن الصيف جاف . بالإضافة إلى شدة السعة الحرارية في التبدلات اليومية والسنوية ، ففي وادي نهر سيرداريا الأدنى ، تتراوح الحرارة الوسطى بين ٢٦,٦ درجة في تموز وبين - ٩٠٠ في كانون الثاني .

هذا ويسود على سواحل البحر الأسود وفي جنوب القرم وعلى السفح الغربي لجبال القوقاز ، وكلها عمية من الرياح الثمالية بسبب وجود الجبال ، يسود مناخ من النوذج الرومي ، ومضيء وعذب (فتوسط كانون الثاني في يالطا يبلغ ٢,٧ درجات) ورطب شتاء ، ومعتدل الحرارة صيفاً (لأن متوسط تموز في يالطا ٢٤٦٠) ، ولكنه يصبح أكثر رطوبة في ما وراء القوقاز الغربية ، لأن مدينة باطوم تنال ١٤٦٥ مم من الأمطار .

أما في الشرق الأقصى السوفييتي ، فإن الرياح الصيفية القادمة من البحر تكون رطبة ، والصيف منخفض الحرارة (متوسط حرارة مدينة بتروبافلوسك ١٢،٥ درجة) ، كا أن الرياح الشتوية القارية تكون باردة (متوسط كانون الثاني - ٥١٢،٥) وجافة . وهنا تكثر كمية التهطال كا يكثر الضباب .

ثالثاً ـ النبات

تكون الترب والنبات في الاتحاد السوفييتي موزعة حسب مجموعات كبرى ، كا هو الحال بالنسبة للمناخ والتضاريس .

الطوندرا:

وتغطي المناطق التي تظل متجمدة على عمق قريب في الصيف ، أي النطاق الساحلي الشالي مع الجزر ، وتمتد جنوباً تقريباً حتى خط الحرارة المتساوية ١٠ درجات في تموز (شكل ٩) .

تكون الطوندرة الحقيقية عديمة الأشجار هذا في الوقت الذي تكون كل نباتاتها ـ من أعشاب وشجيرات ـ معمّرة . والسبب هو أن الفترة الإنباتية تكون غاية في القصر ، مما لا يسمح للنباتات الحولية بأن تنتج ثمارها وبالتالي بذورها .



الشكل ١ المناطق الطبيعية في الاتحاد السوڤييتي

ويكون النبات هنا غير مستر . وقرماً وقيئاً ، ويتألف من أعشاب وأشنيات وطحالب وتؤلف الغذاء الرئيسي لقطعان الرينة .

وينو النبات ببطء شديد (من ١ إلى ٣ مم بالنسبة للحزازيات Lichens . وإلى الجنوب تظهر الطوندرة « الشجيرية » ، حيث تنمو أشجار السندر القزمة والصفصاف القطبي على شكل دغيلات متشبثة بسطح الأرض ، ثم ندخل الطوندرة « الحراجية » حيث تقبع الغابات في الأودية ، وتؤلف المرحلة الانتقالية إلى الغابة .

نطاق الغابات:

ويغطي حوالي نصف مساحة الاتحاد السوفيتي منها ٢,٢ مليون كم في المنطقة الأوربية . وتشغل الطايغا حيزاً كبيراً فيها ، وهي غابة مؤلفة من الصنوبريات (مثل الصنوبر والميليز والايبيسيئا) ، التي تختلظ بها أحياناً أشجار السندر . وتكثر في هذه الغابة المستنقعات ، وتغشاها سحب البعوض بالصيف ، كا تكثر فيها الأشجار اليابسة ، لهذا تشتهر بأنها عسيرة المواصلات .

وتكون الطايغا في السهل الروبي حاوية على الكثير من الفسحات (بولييه) ، التي وسّعها السكان وأقاموا فيها منذ عهد بعيد بعزل عن غارات بدو السهب . والواقع يبدو أن ترب الطايغا الرمادية (البودزول) ، رغم أنها فقيرة بتأثير غسل المواد الخصبة بفعل مياه التسرب ، تصلح للزراعة بشرط أن تضاف إليها الأعمدة والكثير من العناية . وتعتبر غالبية مدن روسيا القديمة مدن بولييه قامت فيها أول دولة روسية .

وتتحول الطايفا من أطرافها: ففي الشال تكون أقل كشافة وقيئة نوعاً ما ، وفي الجنوب تتقهقر الغابة لتتحول إلى سهب حرشي ، وفي الغرب نجد نطاقاً انتقالياً (مخروطيات وذات أوراق) ، تؤدي إلى غابات ذات أوراق (بلوط ، دردار ، سندر) ، وأخيراً نجد في الشرق الأقصى أن الأمطار القادمة من الحيط الهادي تروي غابات كثيفة مختلطة (حوض نهر الآمور) ، حيث تهين أشجار المخروطيات ، والنشم ، والبلوط ، والزيزفون ، والجوز ، والكرز البري ، فوق غابة منخفضة مؤلفة من شجيرة الكرمة الوحشية « والليون » والسرخسيات الشجرية .

السهوب(١):

يمتد إلى الجنوب من السهب الحرشي ، ابتداء من جبال الكربات حتى الطائي ، الشريط الطويل المستمر من السهوب . وهذه العبارة تعني كل أشكال النبات في المناطق غير الحراجية ضمن النطاق القاحل الجنوبي . وتنتهي حدود السهب باتجاه الجنوب بجوار خط الحرارة الوسطي ١٥ في تموز .

وأفضل منطقة فيها هي نطاق السهوب فوق التربة السوداء ، وهو عبارة عن شريط طويل يمتد من أوكرانيا حتى أقدام جبال سايان ، وتبلغ مساحته ٢,٥ مليون كم (شكل ١٠) .



جبال عالية مداد صحاري توندرا غابات غابات سهوب . { أراض سوداء

الشكل ١٠ توزع النطاقات النباتية

⁽١) وترد خطأ على شكل استبس في العديد من الكتب الجغرافية ، وقد عربت بكلمة سباسب والأصح سهوب ومفردها سهب وهو السهل العشبي كا ورد في كتاب ، وصف أفريقيا ، للحسن الوزان ، ليون الأفريقي ، ترجة المؤلف .

والسهوب عبارة عن « براري أو مروج » مماثلة للبراري الأميركية ، التي تنبت وتزدهر بسرعة كبيرة جداً في الربيع (وتتألف قبل كل شيء من نباتات معطرة كالزنبق والشقائق والسوسن والنجيليات) ، ثم تجف في الصيف . وينتج عن تفسخ هذه الأعشاب الدبال ، الذي يختلط بالتربة بشكل وثيق وهي تربة لوسية غالباً ، مما يجعل تربة التشرنوزيوم ، أو التربة السوداء ، سوداء اللون لأن نسبة الدبال ترتفع فيها إلى ٢٥٪ ، وهي أغنى تربة زراعية بالعالم حينما تكون أمطار الصيف كافية ، ولكنها تتعرض لتهديد الحت والرياح ومياه الأمطار العاصفية التي تؤدي لتعريض أخاديد السيلات .

وباتجاه الجنوب تتناقص نسبة الدبال بالأراضي السوداء ، كا تتناقص ثخانتها . وهنا تظهر الترب الكستناوية والمحمرة ، ثم تظهر السهوب الرمادية التي تنو عليها النجيليات ، ثم تظهر السهوب البيضاء ذات الترب الحاوية على الملح ، حيث تتباعد النباتات النجيلية عن بعضها ، كي تترك بقعاً جرداء مما ننذر بالاقتراب من الصحارى .

الصحارى:

عندما يصبح المناخ شديد الجفاف ، في آسيا الوسطى المنخفضة ، تعجز الترب ، الفقيرة جداً بالدبال ، عن تغذية النبات عدا النباتات الموقتة المتواعدة مع الجفاف والجمد . فبجوار بحر آرال تمتد صحارى حقيقية ، حجرية ، غضارية أو رملية . وفي هذه الصحارى تنو شجيرات الساكساوول ذات الأغصان المعقدة والفقيرة بالأوراق وذات الخشب القاسي .

لا يكون انتظام هذه النطاقات تاماً في أي مكان . فالجبال العالية تشذ عن هذه القاعدة ، إذ تحوي على سفوحها (مثل جبال القوقاز وجبال آسيا الوسطى) تطبقاً نباتياً شديد التنوع ، وفضلا عن ذلك يكون هذا التعاقب ، الذي يكون كاملاً على طول خط الطول ٦٠ ، مقتصراً بالشرق على النطاقين الأولين ، لأن الغابة تبلغ الحدود الجنوبية ، في حين نلاحظ إلى الغرب من خط الطول ٤٠ أن الطوندرا تكون محدودة جداً ، ويختفي النطاق الصحراوي كا يحل على الطايغا غابة ذات أوراق أو مختلطة أي ذات أوراق ومخروطيات .

ومها كان ارتصاف هذه النطاقات ، فإن نطاقي الغابة والسهب يستران ٧٠٪ من مساحة البلاد ويؤلفان المشهدين الرئيسيين . فالغابة ، وهي منطقة ملجأ وفسحات مزروعة ، لعبت دوراً رئيسياً في تاريخ الدولة الروسية . أما السهب وخاصة الأرض السوداء على الأقل فلم تعد ، كا كان بالماضي ، منطقة خوف وغزو بل أصبح منطقة ذات إنتاج زراعي غني .

رابعاً ـ الأنهار والبحار والبحيرات

الأنهار: صفاتها:

تكثر الأنهار في الاتحاد السوفييتي نظراً لاتساع رقعته ، فبعضها مثل نهر أوب ، تكون عبارة عن أنهار سهول ذات مجرى هادئ وبطيء ، في حين أن بعضها مثل نهر أنغارا وكاتون ؛ تكون أنهاراً هائجة تكثر فيها المساقط . وبعضها يفيض بالربيع بسبب ذوبان الثلوج مثل نهر الفولغا ، بينما يفيض نهر الآمور ، الذي يكون تساقط الثلوج في حوضه ضئيلا ، في فصل الصيف الذي هو فصل الأمطار هناك . وإذا كان نهر كوليا الذي يصب في المتجمد الشمالي يتجمد خلال ثانية شهور بالعام ، فإنا نجد أن نهر ريون في جيورجيا لا تتجمد مياهه مطلقاً .

وتستد الأنهار الرئيسية في القسم الأوربي من الاتحاد السوفييتي ينابيعها من أواسط السهل الروسي الكبير ونذكر منها : نهر الدنيبر ، والدون ، والدفينا الغربي . وأطول أنهار أوربا هو الفولغا ، حوالي ٣٧٠٠ كم .

وتجري أهم أنهار سيبريا من الجنوب نحو الشال . وهذه الأنهار هي ، نهر الأوب وطوله ٥٧٠٠ كم مع رافده ايرتيش اللذان يمتد حوضها على مساحة ٢,٩ مليون كم ونهر ينيسيئي ، ونهر انغارا ولينا . ويبلغ طول نهر ينيسيئي ، ٩٤٠ كم ، وذلك إذا أضفنا إليه طول رافده سيلنغا . أما الشرق الأقصى فيجري فيه نهر الآمور الغزير .

وتصلح معظم أنهار الاتحاد السوفييتي للملاحة ، وهكذا نجد أن نهر الفولغا _ ٢٣٣ ـ

ورافده الكاما ، يحملان على طول مجراهما أطواف الخشب والمراكب التي تنقل القمح والملح والبترول . وهكذا يؤلف الفولغا أكبر شبكة صالحة للملاحة في الاتحاد .

ويؤمن الفولغا وروافده ثلثي النقل المائي المداخلي . أما الأنهار السيبرية فتبدو وسيلة المواصلات الوحيدة بين المساحات الفسيحة التي تفصل بين المحيط المتجمد الشالي وبين الخط الحديدي العابر لسيبريا .

وتكون غالبية أنهار آسيا الوسطى عبارة عن أنهار موقتة وتنتهي نحو حوضات مغلقة لا تنصرف إلى البحر . ويستثنى من ذلك نهر سيرداريا ونهر آموداريا ، اللذان يعتدان على غزارة ذوب الثلوج والجوديات ويدركان بحر آرال حتى في قلب الصيف ، على الرغم من استفحال التبخر في الصحارى التي يخترقانها .

البحيرات:

نصادف في جنوب الاتحاد أكبر بحيرة بالعالم أي بحر الخزر ، الذي أطلق عليه اسم بحر نظراً لأبعاده الكبيرة ، التي تقارب مساحتها البحر الأسود . فهو مثل البحر المذكور من ناحية العمق والأمواج والأسماك أي يتصف كبحر حقيقي . و يحتل بحر الخزر المكانة الأولى من ناحية كثافة النقليات .

وإلى الجنوب أي في نطاق الصحارى والسهوب ، تقع بحيرة آرال الكبرى التي تسمى بحر آرال أحياناً ، وبحيرة بالخاش فضلا عن زمرة بحيرات أصغر مساحة تكون أحياناً غنية جداً بالأملاح .

ولكن المنطقة الشمالية الغربية من الاتحاد ، تكون غنية جداً بالبحيرات التي تكون متصلة ببعضها ، بواسطة أنهار ذات مساقط كثيرة مما يجعلها موائمة لبناء المراكز الكهرمائية . وأهم هذه البحيرات لادوغا ، وأونيغا ، وبيبوس وايلمن .

أما البحيرات الجبلية فهي غالباً ما تكون عبارة عن حفر سحيقة مليئة بمياه نقية وشفافة ، وأهم هذه البحيرات هي بايكال في سيبريا . وهي أعق بحيرات

الدنيا (أكثر من ١٧٤٠م)، وتبدو للناظر كأنها محفورة وموضوعة في الجبال العليا المستورة بالغابات. ويضطر الخط الحديدي الذي يحاذيها لاختراق حوالي خمسين نفقا. ونذكر من بين بحيرات المرتفعات بحيرة ايسيك كول في قيرغيزيا وبحيرة سيفان في أرمينيا. وتقع البحيرة الأخيرة على ارتفاع كبير، لدرجة أن نهر رازدان الذي ينبع منها، يضطر لأن يحفر لنفسه واديا منتصب الجوانب كي يصرف مياهه السيلية. وتستغل مياه هذه البحيرة لري حقول القطن والكرمة في أرمينيا.

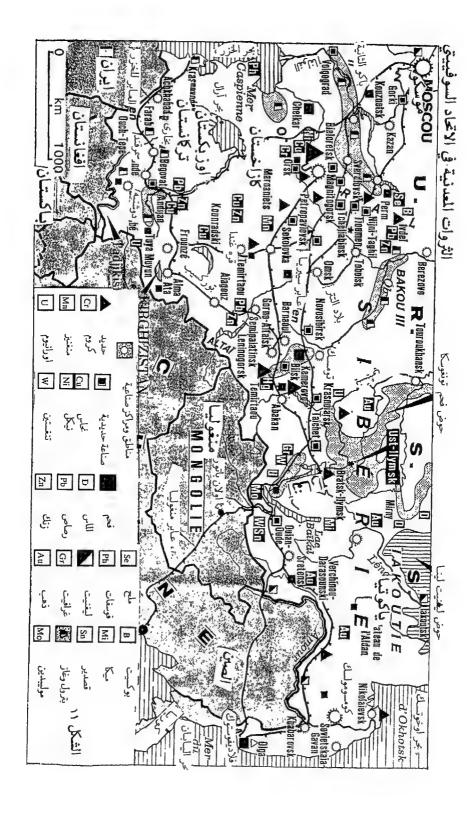
وتعتبر بحيرة ساريز في بامير أحدث بحيرات الاتحاد . فقد نشأت في عام ١٩١١ على أثر انهيار سد طريق مجرى نهر المورغاب . ومنذ ذلك الوقت أخذت تتوسع بانتظام ، وحالياً يزيد طولها عن ٨٠ كم وعمقها عن ٥٠ م .

البحار والسواحل:

لاتبدو الواجهات البحرية مواعّة للملاحة في الاتحاد السوفييتي . فهذه السواحل تبدو قصيرة نسبياً ، إذ يخص كل ١٣٢٧ كم مقدار ١ كم من الساحل مقابل ١ كم ساحل لكل ١٧١ كم في فرنسا ، ويبلغ مجموع طولها ١٨٠٣٤٦ كم بما في ذلك الجزر ، التي يبلغ مجموع طول سواحلها ٢٠٠٨٥ كم .

كا تكون هذه السواحل قليلة التعاريج وغالباً منخفضة ، فتكون على شكل سواحل ذات ليان ، كسواحل البحر الأسود وطولها ٢٩٢٨ كم أو رملية ، كسواحل البحر البلطي التي يبلغ طولها ٧١٩٠ كم ، أو مستنقعية كسواحل شال سيبريا . كا يكون ظهير بعض هذه السواحل قليل الفعالية ، كا تتعرض غالبية هذه السواحل إلى التجمد شتاء ، ماعدا ميناء مورمانسك (في شبه جزيرة كولا) ، الذي يظل حراً كل السنة . ومجموع طول الساحل من رأس دجنيف Degnev حتى الحدود الصينية ٢٦٧٥١ كم .

وتتم العلاقات البحرية مع أوربا في الغرب عن طريق بحرين هما البلطيك ، الذي يتعرض _ ٢٣٥ ـ.



للتجمد بسبب قلة نسبة ملوحته ، ويقع مخرجه تحت إشراف المداغارك ، كا أن البحر الأسود هو بحر مقفل أيضاً ، لأن المضائق تقع تحت هينة الأتراك .

ويحتوي ساحل المحيط الهادي على بعض الملاجئ ، ولكن البحر يتعرض هنا للتجمد ، فدينة فلاديفوستوك التي تقع على نفس درجة عرض مرسيليا ، تتعرض لتجمد مياهها خلال ١١٠ أيام في السنة . أضف إلى ذلك أن كثرة الضباب تعيق الملاحة كثيراً .

أما في الشال فيتد الساحل الشاسع للمحيط المتجمد الشالي . ولا ينجو من التجمد على هذا الساحل سوى قطاع الساحل المورماني الذي يظل سالكاً طيلة العام . أما في المناطق الأخرى فلا يكون هذا الساحل سالكاً إلا في خلال الصيف ، كا يلاحظ أن انفكاك الجليد لا يكون تاماً في أواسطه . بيد أن الحكومة السوفييتية بذلت جهوداً جبارة لإيجاد الارتباط البحري على الساحل الشالي ، وقد تمت أول رحلة دون توقف بفضل كاسحة الجليد سيبرياكوف عام ١٩٣٣ ، ومنذ ذلك الوقت أنشئت خطوط منتظمة تربط بين مصبات نهر أوب وينيسيئي ولينا وذلك خلال بضعة أسابيع بالعام .

وهكذا يظهر من خلال دراسة الجغرافيا الطبيعية للاتحاد السوفييتي أن لديه امكانيات هائلة من أجل التنبية الاقتصادية على نطاق واسع: كالأحواض الفحمية ، والمناطق البترولية ، والمكامن المعدنية (شكل ١١) ، فضلاً عن أراض زراعية غنية وشاسعة ، وشبكات ملاحية واسعة . ولكن استخدام هذه الموارد يبدو عسيراً بسبب شروط الاستغلال الصعبة ، كقساوة المناخ واتساع الأراضي الفقيرة ، وبعد المسافات ، وقلة الانفتاح الطبيعي على الخارج (شكل ١٢) .

وهذا ما يساهم في زيادة أهية الجهد الإنساني وتنظيم من أجل استغلال واستثار هذه الموارد الطبيعية .

قطم النشيار، وكذلك مسد العصوش وروية الايائل وصيد الرساك والفلامة تربية الايافل وسيد الوحوش تربية المواشى والفلامة زراعة لبذالس والقب والحبوب ، كوذك تربة المواشى الله النام النامة والمعلق من المعالمة المعلق المعلق على المعالم المعمل على اللحوم واللبان ، وتربية العنازير زاعة الملائس، وتربية العواشي العصولي على الولمان ، والله المواشي العصولي على الولمان ، والله المواشية المثنان ويشجر السكر زلية الملالمس، وكذلك تربية المواشى الحصول على الالداء المجاورية والمتنان والثنب على الموادية والمتنان والثنب المجاورية والمتنان والثنب المجاورية والمتنان والثنب المجاورية والمتنان والتناس المجاورية والمتنان والمتنان والمتنان والمتنان والمتنان والمتنان والمتنان والمتنان والتناس المتنان والتناس والمتنان والتنان والتنان والمتنان والتنان والمتنان والمتنان والمتنان والمتنان والتنان والمتنان والمتنان والتنان والمتنان والتنان والمتنان وا المناطق الزراعية: الزراعة في الاتحاد السوقييتي زراعة القمح، وتربية المواشئ للحصول على اللحوم والإلمان، وزراعة الخصوات مرائيل الاستار المسوف ال 1000 مم راعة الفطن ولدلك المؤلفة ومداعة المسروات وتوقية مرود الفتر (الحريم) تربية المولشى في المولى [[]] الجيلية رائية الصوب وفول السواء ورئية المراشي المسل على المائية المراشي المسل على المسلم والانبار الزراعة المتأفية للمعن (انتاج اللبان والنشوات والنغاطس) راعة الناعي وزيلة العرائه النامة بالمنطقة سية الاستوائية

الشكل ١٢

سكان الاتحاد السوفييتي وطريقة العمل فيه

تنص الفقرة الأولى في الدستور السوفييتي على ما يلي : «أن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية هو دولة اشتراكية قائمة على العال والفلاحين » . وعبارة الاتحاد السوفييتي لا تدل على أي مغزى جغرافي ، بل ترمز إلى الفكرة القائلة أن الاتحاد السوفييتي هو مجموعة شعوب اتخذت النظام السياسي والاجتاعي ذاته .

وعلى الصعيد السياسي يظهر تعريف هذا النظام كا يلي: « يختص عال المدن والريف بكل السلطة الذين تمثلهم مجالس النواب » ، بالإضافة إلى مجلس السوفييت الأعلى للاتحاد السوفييتي . ويمثل هذا المجلس الجهاز الأعلى لسلطة الدولة في الاتحاد السوفييتي ، ويتألف من مجلس الاتحاد الذي ينتخب على أساس نائب واحد عن كل ٣٠٠٠٠٠ نسمة ، ومن مجلس القوميات المنتخب ضمن إطار مختلف المجموعات القومية .

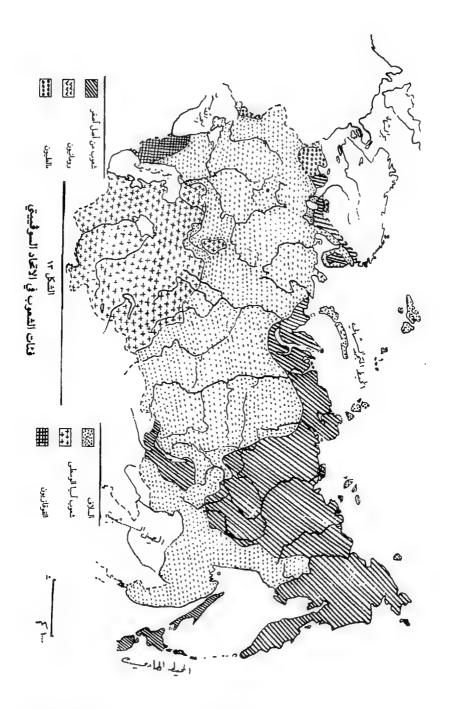
أما على الصعيد الاجتاعي والاقتصادي فيتيز النظام السوفييتي « بتصفية النظام الرأسالي في الاقتصاد وإلغاء الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج وإلغاء استغلال الإنسان الإنسان » ، وبذلك تصبح أدوات ووسائل الإنتاج « ملكية اشتراكية » في حين يضن القانون حق المواطنين في الملكية الشخصية للمداخيل والتوفير ، الناجمة عن عملهم وبملكية بيت السكن بالإضافة إلى حق الإرث للملكية الشخصية .

أولاً . شعوب الاتحاد السوفييتي

تنوع الأجناس وتفوق الروس:

غير أن على النظام السوفييتي الشديد التركز أن يأخذ بعين الاعتبار شدة تنوع الشعوب ، لأن الخارطة القومية للاتحاد تبدو كبيرة الاختلاف ، وهذا الوضع لا يفسّر إلا بالجغرافيا ، لأن هذا القطر الشاسع ، والحاوي على المشاهد المتتابعة والسهلة التواصل ، كانت تساعد داعًا على الهجرات البشرية ، كا يفسر بالتاريخ القديم جداً والمعقد للغاية (شكل ١٣) .

إن العنصر الرئيسي في هذا التاريخ ، هو التفوق الذي اكتسبه عنصر قومي هو سلاق الشرق وتكوين الدولة الموسكوڤية ، وبعد أن كانت موسكو مدينة متواضعة ، أخذت تتسع في القرن الرابع عشر بصورة وطيدة ، وفي القرن السادس عشر بلغت الامبراطورية الموسكوڤية ضفاف بحر الخزر في عهد ايڤان الرهيب ، وفي القرن الثامن عشر ، أي في عهد كاترين الثانية . وصلت بحر آزوف جنوباً على حساب السلطنة العثمانية وليتوانيا غرباً . وأخيراً وفي القرن التاسع عشر حصل استعار مزدوج لسيبريا ، أولاً عن طريق النفي حول طريق العربات القديمة باتجاه منشوريا (هيلونغ يانغ حالياً) أو خط التراكت Trakt ، وثانياً بواسطة الاستعار الحر بعد إلغاء نظام الاقنان والرق في ١٨٦١ . وعندئذ حصلت هجرة حقيقية باتجاه الأراضي السيبيرية ، وتوسع في بداية القرن التاسع عشر في إثر تمديد الخط الحديدي العابر لسيبيريا . وفي الوقت ذاته راحت الامبراطورية تمتد في اتجاه آسيا الوسطى ، أي نحو دويلات التركستان الإسلامية ، ونحو بلاد



جغرافية الدول الكبرى (١٦)

القفقاس، ونحو ضفاف الحيط الهادي حتى آلاسكا الأمريكية. وفي أعقباب معاهدتي اقتسام النفوذ مع بريطانيا في آسيا الوسطى ١٨٨٥ ـ ١٩٠٧، ومع اليابان في مناطق الحيط الهادي بعد انكسار الروس في البر والبحر أمام اليابانيين في ١٩٠٥، تثبتت نهائياً حدود روسيا القيصرية عند سواحل الحيط الهادي شرقاً، وحافة آسيا الوسطى الجبلية وإيران جنوباً. وبعد هزيمة ألمانيا واليابان في ١٩٤٥، أخذت حدود الاتحاد السوڤياتي تضم الدول البلطية، وقسماً من بروسيا الشرقية التابعة لألمانيا، والمناطق الشرقية من بولونيا القديمة وجزءاً من بسارابيا التابعة لرومانيا وتابع المعمرون الروس استزراع الأراضي الصالحة للزراعة في سيبريا.

وتضم حدود الاتحاد حالياً السلاف الذين يقاربون ١٨٥ مليون نسمة ، وهم الذين قاموا بأكبر حركة هجرة . وينقسمون إلى زمرة الروس الكبار ، وهم الأكثر عدداً ، وأصلهم من بلاد الغابات ، والروس الصغار وموطنهم الأصلي أوكرانيا والروس البيض (منطقة مينسك وفيتبسك) .

ثم تأتي مجموعة الشعوب غير السلافية ، وتضم فئات جنسية مختلفة جداً . ففي الشال الغربي يقطن البالطيون والفينيون المبعثرون ابتداءً من شبه جزيرة كولا حتى الأورال وهم اللابون والماري وموراف الفولغا . ونجد في التوندرا مجموعات متنوعة ولكن متاثلة في غط حياتها ، مثل الكورياك بجوار بحر اوخوتسك ، والصاموئيد والتشوكش . كا تقطن الطايغا شعوب قديمة مثل الطونغوز وخاصة الياقوت الذين استوطنوا حوض اللينا ، ويقطن السهب شعوب كانت بدوية بالماضي اتجهت حالياً نحو الحياة المستقرة : مثل التركان والكازاخ والأوزبك والقيرغيز والطاجيك . ويجب أن نضيف إلى هذه اللاد ، مثل اليهود وألمان الفولغا ، عدا الأقوام

الشديدة التنوع في جبال القوقاز، كالشراكسة والداغستان والكرج والأرمن والأكراد والأتراك.

سياسة القوميات:

يخلق هذا التنوع الشديد لشعوب الاتحاد وبالتالي تنوع اللغات والثقافات ، مشكلات عديدة . فقد تجاهل القياصرة ذلك عن عمد ورفضوا منح المجموعات الجنسية ، باستثناء الروس ، أي مساهمة في إدارة الدولة . ويجهد النظام السوفييتي بوضع حلول مرنة لتلك المشكلات .

وهكذا أوجد تجاه التفتت القومي تنظيماً إداريا معقداً ، فأصبح الاتحاد السوفياتي دولة متعددة القوميات ، مؤلفاً من ١٥ جمهورية اتحادية كان عدد سكانها كا يلى :

197	9		1977		1977	
مليون	7,771	۱ تسبة	۲٦,٠٠٠,٠٠٠	نسمة	117,7,	جمهورية روسيا
مليون	٤٩,٨	نسمة	٤٥.٥١٦,٠٠٠	نسمة	٤٠,٦٠٠,٠٠٠	جمهورية اوكرانيا
مليون	۲,۲	نسمة	۸,٦٣٢,٠٠٠	نسمة	۸,۰۰۰,۰۰۰	جمهورية بيلوروسيا
مليون	۲,٤	نسمة	۲,۹۸٦,۰۰۰	نسمة	۲,٧٠٠,٠٠٠	جهورية ليتوانيا
مليون	7	نسبة	٤,٦٦٠,٠٠٠	نسبة	۲,٤٠٠,٠٠٠	جمورية أذربيجان
مليون	٣	نسمة	۲,۱۹٤,۰۰۰	نسمة	1,7,	جمهورية ارمينا
مليون	7,01	ا نسمة	١٠,٥٢٤,٠٠٠	نسمة	٧,٣٠٠,٠٠٠	جمهورية اوزبيكستان
مليون	12,0	اسمة	17,171,	نسمة	۸,۵۰۰,۰۰۰	جمهورية كازاخستان
مليون	۲,٥	نسبة	7,777,	نسبة	۲,۰۰۰,۰۰۰	جمهورية ليتونيا
مليون	١,٤	نسة	١,٢٨٥,٠٠٠	نسبة	١,١٠٠,٠٠٠	جمهورية استونيا
مليون	٥	نسبة	٤,٤١٥,٠٠٠	نسبة	٤,٠٠٠,٠٠٠	جمهورية جورجيا
مليون	٤	نسمة	٣,٣٦٨,٠٠٠	نسبة	Υ,γ··,···	جهورية مولدافيا
مليون	٣,٥	نسبة	۲,70۲,۰۰۰	نسبة	1,1,	جمهورية قيرغيزيستان
مليون	۲,۸	نسبة	۲,۰۷۵,۰۰۰	نسمة	١,٨٠٠,٠٠٠	جهورية طاجيكستان
مليون	۲,۸	نسبة	1,412,	نسبة	١,٤٠٠,٠٠٠	جهورية تركانستان

وتؤلف كل من هذه الجمهوريات بحد ذاتها اتحاداً فيديرالياً ، يضم من ناحية مناطق ومقاطعات تحكمها مباشرة ، ومن ناحية أخرى ـ هذا إذا كانت هناك ضرورة ـ مقاطعات وجمهوريات ذات استقلال ذاتي . وتساير التخوم بين الجمهوريات قدر الإمكان التوزع القومي ، أما إذا كان ذلك معقداً كا في جمهورية أوزبكستان ، فإن الحدود الإدارية تصبح متعرجة جداً ، وتتبدل بالواقع باسترار ، مسايرة التحولات الاقتصادية والديوغرافية .

وهكذا أمكن الحفاظ على أصالة القوميات ، المصانة بهذا التنظيم ، الذي يحاول جاهداً تنية الثقافات القومية :

مثل انتشار الجرائد والمسارح والمدارس التي تنشر لفة وآداب وفن كل قومية ، وهكذا صار الرقص الاوزبكي والدراما الجيورجية والشعر القيرغيزي ، تؤلف جميعاً جزءاً من التراث السوفييتي . كا فتحت التقاليد الشفوية وسائل التعبير فأوجد العلماء الأحرف الهجائية لحوالي ثلاثين مجموعة جنسية لم يسبق لها أن عرفت الكتابة .

وهذه الجهود المبذولة في سبيل احترام هذا التنوع ساعدت مع ذلك على إيجاد شكل جديد للوحدة بين شعوب الاتحاد السوفييتي .

لقد توسع مجال اللغة الروسية بسبب التوسع في التعليم ، وتدرس العقيدة الشيوعية في كل مكان . ولكن وحدة البني الاقتصادية بشكل خاص ، التي تخضت عن تحولات عيقة في مختلف مناطق الاعاد السوفييتي ، هي التي عملت بدورها على توثيق العلاقات المتبادلة : فقد أسندت لكل منطقة مكانة محددة في نظام وحيد من الإنتاج والتوزيع ، حسب تقديرات مخطط وحيد . وفضلاً عن ذلك فقد عملت الحياة العصرية على تلاشي الخصائص المحلية في سائر البلاد ، وهكذا اضطرت النسوة المسلمات إلى التخلي عن الحجاب إلا فيا ندر ، مثلما تراجعت البداوة واختفى تقريباً تعدد الزوجات .

كا ساهمت الهجرة الداخلية نحو المناطق الصناعية والأراضي العذراء في خلق غوذج سوفييتي وعاطفة التضامن ، برهن عليها الدفاع المشترك عن أراضي الاتحاد السوفييتي خلال الحرب العالمية الثانية .

الأوضاع الديموغرافية

السكان: لقد بلغ عدد سكان الاتحاد رقم ٢٦٠ مليون نسمة في عام ١٩٧٧ و ١٩٧٨ مليون في مطلع عام ١٩٧٩ (أي الدرجة الثالثة بالعالم بعد الصين والهند). ولا تزيد الكثافة عن ١٢ شخص بالكيلو متر المربع، وهي نسبة ضعيفة نسبياً، تعود لاتساع المساحات ذات الطبيعة القاسية، وقد ارتفع العدد عام ١٩٨٢ إلى حوالي ٢٠٠ مليون، أي بزيادة قدرها حوالي ٢٠ مليون خلال عشرة أعوام. ويتزايد سكان الاتحاد بصورة متسارعة: فبين عام ١٩١٣ و ١٩٦٢ ارتفع عدد السكان بحوالي ٥١ مليون نسمة، ويقارب التزايد السنوي حالياً حوالي المليونين سنوياً مقابل ١٢ مليون بالهند، وهو نسق تزايد يقل عن نسبة التزايد في الولايات المتحدة مثلاً، والتي تزايد سكانها بمقدار ١٩٨٨ مليون سنوياً بين فترة وي الولايات المتحدة مثلاً، والتي تزايد سكانها بمقدار ١٩٨٠ مليون سنوياً بين فترة

وتتضافر عدة عوامل لتفسير البطء النسبي في التزايد الديموغرافي ، لأنه لم تتعرف البلاد إلى أية هجرة تزيد في نسق التزايد . كا تعرض الاتحاد السوفياتي منذ ١٩١٣ إلى عدة فترات مضطربة ، وهي الحرب العالمية الأولى والحرب الأهلية خلال الثورة والجاعة التي أعقبتها ، وأخيراً الحرب العالمية الثانية التي خسر الاتحاد خلالها ١٨ مليوناً من السكان ، كا أن خسارة مليون شاب منهم ؛ لن تكون دون نتيجة مباشرة على رقم المواليد ، لحالي .

ورغم هذه العقبات لا يزال التزايد الطبيعي للشعب السوفيتي هاماً جداً . فالفائض السنوي للمواليد يصل إلى (٩ بالألف) ، وترتفع نسبة المواليد إلى (١٨ بالألف) مقابل بالألف) مقابل عنه فرنسا ، كا هبطت نسبة الوفيات إلى (٩ بالألف) مقابل ١٠ في فرنسا .

وقد نشرت مجلة الحوليات الجغرافية بتاريخ تموز ـ آب ١٩٧٩ ص ٤٩١ مايلي :

تبلغ نسبة التوالد ١٥ بالألف في روسيا السوڤياتية و ١٥،٤ بالألف في اوكرانيا ولكنها تبلغ ٣٥ بالألف في اوزبكستان و ٢٧ بالألف في طاجيكستان و ٢٥ بالألف في تركانستان .

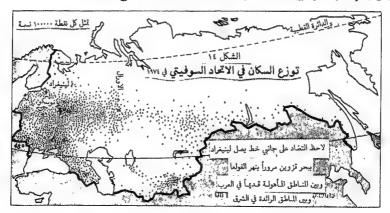
وإذا كان السكان الروس قـد تزايـدوا بنسبـة ١٢٪ بين ١٩٥٩ و ١٩٧٠ فـإن أبنـاء الجمهـوريـات الإسلامية السوڤياتية كالاوزبكيين والطاجيك تزايدوا في الحقبة ذاتها بنسبة ٥٣٪.

توزع السكان: يدل الرقم المتوسط للكثافة ، وهو ١٢ بالكم ، على تفاوت مدهش في الكثافة الإقليمية ، فأشد الكثافات تلاحظ في القسم الأوروبي الذي يقطنه ثلثا السكان . وعلى كل ففي شمال شرق المائدة الروسية ، شأن بعض السهوب المجاورة لبحر قزوين ، لا تزيد الكثافة فيها عن (١) نسمة بالكيلو متر المربع . وماأن نجتاز الأورال شرقا ، حتى نجد نطاقات قليلة السكان تمتد على المربع . ومائد (شكل ١٤) . والمنطقة الوحيدة الكثيفة السكان ، هي الشريط الذي يقطنه الروس والذي يمتد من جبال الأورال حتى الباسفيكي على طرفي الخط الحديدي العابر لسيبريا وعلى أطراف فروعه الجديدة . كا نجد مناطق كثيفة في القسم الجنوبي فيا وراء القفقاس وعند سفوح جبال آسيا الوسطى وحول بعض الوديان الكبرى ، التي تجتاز الصحارى عما يتنافر مع نقص الكثافة العام .

وتكن عوامل هذا التباين في الكثافة في المناخ القاسي والترب الماتية على الزراعة ، مما حال دون استيطان الناس . وحتى في المناطق المواعدة ، نلاحظ أن السكان لا يزالون مجتمين على شكل جزر استيطانية ضمن القفار الخالية .

ويلاحظ ابتداء من فترة ١٩٢٥ - ١٩٣٠ أن التوزع يجنح نحو التطور، فالقسم الآسيوي من البلاد، الذي كان يضم في عام ١٩٦٧ سبع السكان، أصبح يحوي عام ١٩٣٩ الربع، ويضم الآن حوالي الثلث. فغي هذه المناطق يكون التكاثر أسرع بكثير من القسم الأوربي. فبينا زاد العدد الكلي للسكان بقداره بالمئة بين ١٩٤٠ و ١٩٥٦، نجد أن عدد سكان الجمهوريات الآسيوية قد زاد بنسبة ٢٥ بالمئة، كا تضاعف سكان أراضي الشرق الأقصى بعد ١٩٢٦. وهذا الإعمار والاستيطان الجديد إنما تم على حساب المناطق الريفية في روسيا الأوربية، حيث حرر دخول الآلات الزراعية عدداً كبيراً من الفلاحين، الذين اجتذب الأورال وسيبريا الغربية قسماً كبيراً منهم، سواء لحاجات الصناعات

الجديدة ، أو لرفع الإنتاج الزراعي في هذه المناطق . أضف إلى ذلك أن الحرب العالمية الثانية أدت إلى تهجير ١٢ مليوناً نحو الشرق ، والكثير منهم استقروا في مواطنهم الجديدة . وهكذا نجد أن مركز الثقل السكاني ومركز ثقل الأراضي الصالحة للزراعة يجنحان نحو التقارب مع بعضها .



المدن والأرياف: لا يزال الريفيون يشكلون خمسي السكان تقريباً . فكان عددهم عام ١٩٥٩ (١٠٨،٥) مليون أو (٥٢ باللئة) تقريباً ، وهبطت نسبتهم إلى ٣٨ ٪ في ١٩٧٧ ، وهي نسبة لا تزال مرتفعة بالنسبة لدولة صناعية عظمى . وطريقة الاستيطان الريفي الغالبة هي المسكن المتجمع . فالتقاليد الروسية القديمة (نظام المير) وقلة الأمن والمياه في السهوب تتحالف جميعاً لتكوين القرى . وجاء النظام الاشتراكي ليزيد أيضاً في شدة قركز السكان .

والواقع نلاحظ أن أبنية الاستغلال الزراعي (عنابر للمكائن ، الاسطبلات ، الصوامع) ، التي يضاف إليها الأبنية العامة (قاعات الاجتاعات ، المدرسة ، الخزن الجاعي) ، تكون كلها جماعية ومتيزة عن بيوت السكن . فالاختلاف الجوهري عن قرى أوربا الغربية ، هو انفصال المسكن عن مكان العمل . فكل قرية تضم مجموعة بنايات كبرى متجمعة عادة ، وبيوت صفيرة فردية محاطة بحدائقها ، مرتصفة بموجب نظام متباين حسب العادات المحلية ، وهناك اتجاه حديث يدخل ضن إطار تحسين الشرائط الزراعية (تجميع الأراضي لأقصى حد ممكن) ، يرمي إلى تمركز المسكن ونشوء ما يسمى بالمدن النراعية (آغروغراد) ، التي هي عبارة عن مدن سكن للعال الزراعيين تحوي على كل مكتسبات النوذج الحضري .

ويحتل الخشب في بيوت مناطق الغابات المكانة الأولى ، وتتألف الجدران من ألواح وجذوع فوق أساس من الأحجار ، ويتألف السقف من صفائح خشبية

أيضاً ، وفي الداخل يوجد موقد ضخم يؤمن الدفء لكل الغرف . وفي السهوب يودي فقدان الخشب إلى تغير منظر المسكن . فالمسكن الأوكراني المدعو «خايتا » ، يتألف من جدران مبنية من اللبن ، سقفه من القش الذي يتجاوز الجدران ويؤلف نوعاً من سقيفة . وتطلى جدرانه بالكلس وتضاف إليه ألوان صارخة . أما في المناطق الأخرى ، فنجد الناذج الإقليمية التقليدية ، فتكون البيوت في القفقاس مبنية بالحجارة . وأخيراً نلاحظ في كثير من القرى الجديدة السهبية ظهور القرميد في الجدران والسقوف وأحياناً ألواح الاسمنت .

غير أن توسع المدن في هذا القطر الذي لا يزال يحمل الطابع الريفي يبدو مع ذلك سريعاً. فالامبراطورية الروسية كانت دولة متأخرة من وجهة النظر إلى عدد مدنها وضخامة هذه المدن بسبب بطء النبو الصناعي. وفي خلال ٣٠ عاماً، أدت النهضة الصناعية التي لم تبدأ إلا في أواخر القرن الماضي في بعض المناطق (الأورال ، الدونتز ، منطقة موسكو) إلى تضخم عدد سكان المدن بحوالي ١٠ مليوناً ، كا يدل على ذلك الجدول الآتي :

۱۹۲٦ كان في الاتحاد ٣١ مدينة ، يزيد سكان كل منها على ١٠٠٠٠٠ نسمة منها ٣ أكثر من ٥٠٠٠٠٠ .

۱۹۳۹ كان في الاتحاد ٩٠ مدينة ، يزيد سكان كل منها عن ١٠٠٠٠٠ منها ١١ أكثر من ٥٠٠٠٠٠ .

١٩٥٦ كان في الاتحاد ١٣٥ مدينة ، يزيد سكان كل منها عن ١٠٠٠٠٠ منها ٢٢ أكثر من ٥٠٠٠٠٠ .

وفي ١٩٧٩ ارتفع عدد المدن التي يزيد عدد سكانها عن نصف مليون إلى ٣٨ مدينة ، وهي : موسكو ٨ ملايين وتحتل المرتبة الخامسة بين أكبر مدن العالم أي تأتي بعد بكين ومكسيكو وطوكيو وسيئول ، لينينغراد ٤,٦ ملايين ، كييف

۲٫۱ ، طشقند ۱٫۸ ، باکو ۱٫۱ ، خارکوف ۱٫۳ ، غورکی ۱٫۲۷ ، نوفوسیبیرسیك ۱٫۲۱ ، کوبیشیف ۱٫۲ ملیون ، سفردلوفسك ۱٫۱ ملیون ، مینسك ۱ ملیون ، اودیسا : ملیون ، تشلیابنسك : ملیون ، تشلیابنسك : ملیون ، تشلیابنسك : ملیون ، قازان ۲۰۸ ألف ، دنیبر بروتیروفسک ۱ ملیون ، بیرم ۱۸۰۰ ألف ، أومسك : ملیون ، فولغوغراد ۸۱۸ ألف ، روستوف الدون ۲۸۹ ألف ، أوفا ۲۷۳ ألف ، أریفان : ملیون ، ساراتوف ۲۵۸ ألف ، ریغا ۲۳۳ ألف ، آلما آتا ۲۳۰ ألف ، فورنیج ۲۰۰ ألف ، زابوروزیه ۲۵۸ ألف ، کراسنویارسک ۲۶۸ ألف ، کریفویروغ ۷۷۳ ألف ، ناروسلافل ۲۵۸ ألف ، قره غندا ۲۲۲ ألف ، یاروسلافل ۲۵۸ ألف ، أي هناك ۱۸ مدینة یزید عدد سكانها عن الملیون .

ولكن لهذا النبو العمراني بعض الاستثناءات ، مثل المدن القديمة التجارية الأوربية التي لم تدخلها الصناعة (سمولنسك ، أوريل ، غومل ، فيتبسك) . كا أن بعض المدن التي نكبت بمعارك ضارية خلال الحرب ، ظل عدد سكانها ثابتاً ، مثل لينينغراد التي فقدت وحدها ٢٥٠٠٠٠ شخص قضوا من الجوع والبرد . وعلى العكس نجد أن التزايد الشديد منذ ١٩٢٩ كان أولاً : من نصيب المناطق الصناعية ، كا في أوكرانيا الصناعية ، فبعد أن كان عدد سكان مدينة غورلوفكا ٢٤٠٠٠٠ ازداد بنسبة المعنا عدد سكان غوركي على نهر الفولغا من ٢٤٤٠٠٠ إلى ٢٢٠٠٠٠ ، كا نجد أن مدينة تشيليا بنسك في الأورال ، التي كان عدد سكانها ٢١٠٠٠ ، قد ازداد بنسبة ١٢٤ ٪ . وفي سيبريا زاد تشيليا بنسك في الأورال ، التي كان عدد سكانها ٢٤٠٠٠ ، قد ازداد بنسبة ١٢٤ ٪ . وفي سيبريا زاد عدد سكان مدينة ستالينسك بنسبة ١٠٥ ٪ فوصل إلى ٢٤٧٠٠٠ نسمة ، وزاد عدد سكان نوفوسيبريسك البالغ ٢٤١٠٠٠ بنسبة ٢٠٠ ٪ .

ثانياً : كما أدت النهضة الصناعية إلى ارتفاع عدد سكان المدن القديمة ، فـأصبحت كييف تضم مليونين من السكان ، وباكو ١,٦ مليون ، كما تغلفت بعض المدن بمدن ثانوية مثل موسكو .

ثالثاً : هذا وقد انبعثت مدن جديدة من العدم منذ ١٩١٧ ، فتضخمت بشكل مدهش ، فبعضها عبارة عن مدن صناعية مثل ماغنيتوغورسك ، وفيها ٤٠٠٠٠ نسمة . أو كاراغندا وتضم ٢٢٢٠٠٠ ، أو مدن إدارية مثل ستالين آباد (وتدعى فرونزة) عاصمة تاجيكستان وتحوي ٢٥٠٠٠٠ نسمة .

ويخلق هذا النبو المتسارع مشاكل عرانية مستعجلة كالتموين الذي يستدعى

تحسين المواصلات الداخلية ، والسكن الذي لا يزال يؤلف مشكلة عويصة رغ الجهود المبذولة .

لقد زاد عدد سكان موسكو مثلاً ، خلال الخطط الخسي الخامس بحوالي ٢٠٠٠٠٠ نسبة بسبب تدفق وافدين جدد . وخلال الفترة ذاتها ، تم بناء ٤,٣ ملايين متر مكعب من المساحة السكنية . وتج عن ذلك نشوء أبنية إيجارية امتدت على نطاق واسع ، ولكن الحاجة للمساكن لم تتناقص كثيراً . وكانت التدابير المتخذة لتلافي هذه الأزمة عديدة : فتم « الاستغناء عن التزيينات غير المفيدة والعالية الكلفة » والتي كانت ترهق أحياناً الهندسة العمرانية السوفياتية ، واللجوء إلى عقلانية صناعة البناء ، والكف عن إقامة مؤسسات صناعية جديدة في المدن الكبرى ، وإقامتها على العكس في « المدن الصغرى الحسنة التخطيط » والتي قامت حول المدن الكبرى ، والمقصود منها تخفيف الضغط عن المدن الضغمة .

جدول بتشييد المساكن في الاتحاد السوڤييتي بين ١٩٥٠ ـ ١٩٧٩

	-4. # "" -	# · · · · · · · · · · · · · · · · · · ·	
صلوا على شقق (ملايين)	عدد الأفراد الذين حا	عدد الشقق المبنية (بالألف)	السنة
	٥,٣	1.77	190.
	۸,۰۱	YYYY	1170
	11,Y	7777	114
	11	AYYY	1940
	١٠	Y · · ·	1111

كا نلاحظ أن بنية المدن السوفييتية ذاتها ، تتميز باتساع أبنيتها الجماعية . مثل جامعة موسكو ، ومحطات القطار الأرضي ، وقصور النقابات ، وكذلك الحال بالنسبة للمؤسسات الجماعية في الأحياء السكنية (مغاسل ثياب جماعية ، حدائق أطفال مخازن كبرى).

ومن جهة أخرى ونظراً لهينة الوظيفة الصناعية حالياً ، لا سيا بالمدن الجديدة ، فإن المدينة تنشطر إلى عنصرين أساسيين هما : أحياء المعامل وأحياء السكن . وإذا كانت البنايات الضخمة هي المتفوقة أحياناً ، فهي مخصصة في

بعض المدن الجديدة للجهاز الإداري والاجتاعي ، بينا نجد في الأحياء السكنية البيوت الفردية الصغيرة .

لا يزال الكثير من المدن القديمة تحمل ملامح المراحل الكبرى من تماريخها: تلك هي حالة عواصم آسيا الوسطى الإسلامية. ففي طاشقند ، لا يزال الاهتام الاستراتيجي ماثلاً في شبكات الطرق ، التي تتخذ شكلاً مروحياً ، وتشهد عن ماضي المدينة العسكري ، وقد انبثقت مدينة عصرية من ناحية أخرى ، مع مصانعها الواسعة ، ومحطة هامة ، ودور تحرير جرائد ومجلات ، ومسرح يتسع لمقدار ٢٥٠٠ شخصاً . وأخيراً لا تزال المدينة القديمة تحتفظ بمنازلها ذات السقوف المستوية والعديمة النوافذ على الطريق ، وأزقتها ذات متاهات الأزقة ، والزنقات ذات الغبار ، والتي تفوح منها روائح الزهور ، والجلود ، والعفونة ، والأبنية الطينية ، وأسواقها المسقوفة ، وسواقيها التي ينطلق منها خرير الماه .

تقع طشقند عاصمة اوزبكستان ومركز محافظة طشقند في حوض نهر تشيرتشيك . وتأتي من حيث عدد السكان (مليون و ٨٠٠ ألف نسمة) في المرتبة الرابعة في الاتحاد السوڤيتي وتبلغ مساحتها ٢٥٠ كيلومتراً مربعاً وهي تعتبر من أقدم المدن السوڤيتية وبدأت تتشكل كدينة في القرنين الرابع والخامس بعد الميلاد . وكانت تسمى تشاتش وكانت ملتقى طرق التجارة بين الشرق والغرب . وسميت فها بعد بينكينت . أما أول ذكر للمدينة كطشقند فيعود إلى القرن الحادي عشر .

عانت المدينة في القرون الوسطى من الغارات المتوالية والتخريب وكانت تنتقل من سيطرة لأخرى وتشتت السكان بين المدن الأخرى وحول تيورلنك طشقند بعد الاستيلاء عليها ، إلى قلعة منيعة ولكن ذلك لم ينقذها من الغارات والتخريب في القرون اللاحقة .

تحولت طشقند في منتصف القرن المنصرم إلى مركز هام للتجارة مع روسيا . وتم في عام ١٨٦٥ إلحاقها بالامبراطورية الروسية . وأصبحت بعد عامين مركزاً لولاية تركستان .

وابتداءً من عام ١٩٣٠ بنيت في طشقند المنشآت الصناعية ، وشيدت أول جامعة في كل آسيا الوسطى وأحيط بالعناية التامة ماتبقى من آثار معارية ترجع للقرنين الخامس عشر والسادس عشر .

إن الأحياء الجديدة تضفي لوناً خاصاً على الطابع المهاري للمدينة ومن بينها أحياء تحمل أساء « موسكو » « لينينغراد » ، « اوكرانيا » وغيرها ويكن الأمر في أنه حدثت هنا عام ١٩٦٦ هزة أرضية عنيفة ، سببت أضراراً فادحة لبعض الأحياء وخاصة للمركز وهرعت كل البلاد لمساعدة المدينة : فجاء البناة من موسكو ولينينغراد واوكرانيا والمناطق الأخرى وبني خلال السنوات الخس اللاحقة فقط ،

مامساحته (٥,٥) مليون متر مربع من المباني السكنية وكذلك المسارح ودور السينما والفنادق وجامعة ومعاهد دراسية اخرى .

تعتبر طشقند مركزاً لاقامة المعارض الفنية واللقاءات والندوات ذات الأهمية العالمية . وتخترق المدينة العديد من الخطوط السياحية .

فدينة موسكو التي تعتبر رمز النظام الجديد ، تشتل على مختلف مشاهد المدن السوفييتية . فهي عقدة طرق تجارية ، وكانت مقر الأمراء الروس منذ القرن الثالث عشر ، ثم ما لبثت أن أصبحت بسرعة عاصمة تجارية وسياسية حول الكرملين ، وهو قصر القياصرة ، ورغ منافسة سان بطرسبورغ (لينينغراد) التي أصبحت عاصمة جديدة ، أوجدها بطرس الأكبر ، ثابرت موسكو على نموها بصفتها مركز ثقافي ولا سيا بعد عام ١٨٥٠ بصفتها مركز صناعي ، فبلغ عدد سكانها عام ١٩٦٢ (١٩٨) مليون نسمة . وكان الكثير من شوارعها بلا بلاط ، وكانت تكثر فيها البيوت الخشبية بحيث كانت تبدو كمدينة غير كاملة . ولكن الثورة اختارتها من جديد كعاصمة سياسية في قلب البلاد ، كا اختار الأتراك أنقرة بعد القسطنطينية بعد ثورة مصطفى كال . ولا تزال تحتفظ بوظائفها التقليدية ، كا أن تطورها الصناعي آخذ بالتسارع ، ففي عام ١٩٧٩ (شكل ١٥) كان فيها ٨ ملايين نسمة بعد أن كانوا ٥ ملايين عام ١٩٦١ (

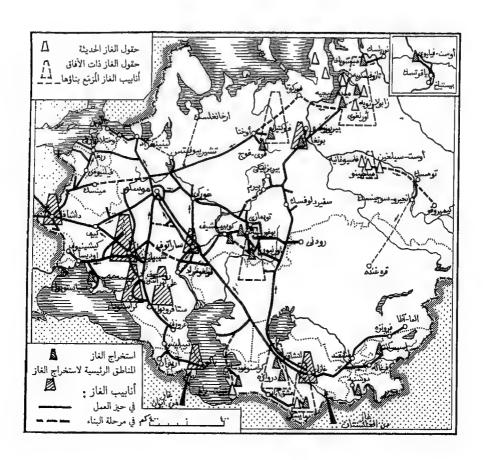
لا يزال قسم من موسكو القديمة باقياً : وهو الكرملين الحاط بسور من قرميد أحمر مع كنائسه وقصوره ، وهو مقر الحكومة ومتحف تاريخي في الوقت ذاته . وبالقرب من الميدان الأحمر ، وهو قلب المدينة ، حيث شيّد فيه قبر لينين ، تنتصب كاتدرائية القديس باسيل الشهيرة .

وقد تواءمت الدينة مع الحياة العصرية : فقد تم هدم جزء من الأحياء القديمة كالحي الصيني والمدينة البيضاء ، ومدينة الأرض ، والتي كانت محدودة بشوارع دائرية . أقول : هدمت لكي تترك عبالاً لشوارع عريضة فسيحة ، تطيف بها عمارات ضخمة حديثة ، تتجاور مع الأبنية القديمة . وتمتد المدينة العصرية ، فها وراء آخر شارع خارجي ، بمحطاتها ، ومصانعها ومطارها ، والجامعة الجديدة وملعب دينامو .. إلخ . وقامت أحياء سكنية تنتشر فيها الحدائق العامة كي تحل مكان البراكات



الشكل ١٥

الخشبية التي قامت في أواخر القرن الماضي ، ولكي تحيط بالمصانع الجديدة . وقد تم بناء القطار الأرضي عام ١٩٣٥ لعجز وسائل النقل الجاعي السطحية ، ويبلغ طول الشبكة الحالية أكثر من ٢٠ كم وتحوي ٤١ محطة ، تحوي كل روائع الهندسة ، وسيبلغ طول هذه الشبكة حسب الخطط ٢٥٠ كم . وفضلاً عن ذلك فقد اقتضت الحاجات العديدة ، كالتزويد بالمواد الأولية والمنتجات الفذائية ، والحاجة للماء والكهرباء ، اقتضت بناء قناة موسكو ـ الفولغا ، وإقامة ميناء نهري كبير . وتكل المراكز الحرارية الحضرية المعتدة على حوض ليغنيت موسكو ، والمصانع الكهرمائية المقامة على نهر الفولغا بتوفير الباقي من حاجة موسكو للكهرباء ، في حين يأتي الغاز الطبيعي بواسطة أنبوب ساراتوف ـ موسكو ، وابتداء من عام ١٩٥٦ من أنبوب ستاڤروبول (في القفقاس) الشالي حتى موسكو ، وأخيراً بواسطة أنبوب الغاز القادم من سيبريا والمتجه نحو أوروبا الشرقية والغربية (شكل ١٦) .



الشكل ١٦ صناعة الغاز في الاتحاد السوڤييتي

ثانياً: إطارات الاقتصاد السوفييتي

المبادئ:

لقد خلفت الامبراطورية الروسية للنظام السوفييتي اقتصاداً متأخراً جداً . حقاً كانت روسيا تبدو في عام ١٩١٣ كدولة عظمى زراعية ، ومصدِّرة للقمح والبطاطا والسكر والكتان والقنب . ولكن المستوى المعاشي البائس الذي كان عليه الفلاحون الروس ، هو الذي كان لوحده يسمح بوجود هذه الصادرات .

فرغ اتساع روسيا وسكانها وثروتها الطبيعية ، لم تكن تقدم عام ١٩١٣ أكثر من ٢,٦٪ من الإنتاج العالمي . ومثال الفحم الحجري يعطي فكرة معبرة جداً . فكانت تنتج عامئذ ٣٠ مليون طن مقابل ٥٠٠ مليون في الولايات المتحدة ، وما يقارب ٢٠٠ مليون طن في إنكاترا . كا كانت الصناعات الأساسية وليدة ومحدودة بالجزء الأوروبي ، وتحولها الرساميل الأجنبية بحوالي ٧٥٪ ، وكذلك الحال بالنسبة للسكة الحديدية . وهكذا كان الاقتصاد السوفييتي اقتصاداً شبه استعاري في " بلد جديد » ومرتبط بشدة بالدول العظمى الصناعية . وبعد الحرب العالمية الأولى ، جاءت سني الحرب المدنية والتدخل الأجنبي ، مما أدى إلى إنهيار هذا الاقتصاد البسيط بحد ذاته ، فكان هناك الكثير من الأراضي المهجورة ، والمعامل المتخربة والطرق الحديدية غير الصالحة للاستخدام .

ترى ما هي الأهداف والمبادئ الاقتصادية للنظام الناجم عن ثورة اكتوبر ؟ إن الهدف المعلن هو تأمين نهضة اقتصادية سريعة ، ورفع مستوى حياة الشعوب السوفييتية . ولبلوغ هذا المرمى كان المبدأ الاقتصادي الأساسي هو النظام الجاعى collectivisation .

وتنص الفقرة ٦ من الدستور على ما يلي :

« إن الأرض ، وباطنها ، والماء والغابات والمصانع ، والمعامل ، ومناجم الفحم والفلزات ، وخط

الحديد ، ووسائل النقل المائي والجوي ، والبنوك ، ودوائر البريد والهاتف واللاسلكي ، والمؤسسات الزراعية الكبرى التي تنظمها الدولة . . . ، وكذلك المؤسسات البلدية والكتلة العظمى من المساكن في المدن والمدن الصناعية ، هي جميعاً ملك للدولة ، أي ملك الشعب قاطبة »

وكانت هذه الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج ، ضرورة كي تسمح في الوقت نفسه بتطور الاقتصاد الوطني بشكل عقلاني ، لتجنب التنافس وفوض الإنتاج . فالدولة إذن هي التي تدير الاقتصاد وتحدد الأهداف التي يجب بلوغها ، وتنسق كل مؤسسات وفروع الإنتاج ، وهذا ما يسمى التخطيط . ولتأمين نجاح الاقتصاد مادياً في مجموعه ، ولجعله مستقلاً ، كان من الضروري الإلحاح على تصنيع البلاد ، مع تأمين الأفضلية لتظور الصناعة الثقيلة ، التي تقدم لمختلف قطاعات الاقتصاد ما يلزمها ، عا في ذلك الزراعة ، كالمكائن والتجهيزات (التي كانت تستورد حتى ذلك الوقت) والوقود والطاقة الكهربائية .

أساليب التطور الاقتصادي:

تتعلق هذه التحولات قبل كل شيء بتهيئة المخططات ، وأشهرها الخططات الخسية التي راحت تنسق الحياة السوفييتية منذ ١٩٢٨ ، والتي لم تتوقف إلا خلال الحرب العالمية الثانية . ويحدد كل مخطط ، إحصائيا ، ولمدة خمسة أعوام ، الأهداف التي يجب أن يبلغه كل فرع من فروع الاقتصاد ، وكل منطقة من المناطق ، ويقدّر التنية الصحيحة التي يجب أن تنالها قطاعات الاستهلاك (المساكن ، التغذية ، التجهيز المنزلي ، المدرسي ، الثقافي) ويوزع الاستثمارات المالية . إن مجموعاً كهذا ينظم الإنتاج والاستهلاك بالتوازي ؛ عليه أن يقضي على كل مخاطر الأزمات .

وتشترك في تهيئة الخطط الاقتصادي ، وهو مهمة طويلة وشديدة التعقيد ، كل الأمة . فيعمل فيها التقنيون الختصون بالخطط ، وكذلك العال والكولخوزيون عن طريق « لجان الخطط » المنتخبون . ومنذ ١٩٥٥ عدت الدولة إلى تخفيف جهاز التخطيط الضخم : أي الغوسبلان في الاتحاد

السوفييتي (لجنة المخطط) الذي يظل دامًا الجهاز الأعلى . ولكن هذه المخططات ذاتها لا تشكل إطماراً صلداً إذ يمكن تعديلها في أية لحظة .

ولتنفيذ هذه الخططات يستند الاقتصاد السوفياتي على تقدم تكنيكي (تقني) متسارع يساعد عليه البحث العلمي ويدعمه فعلاً تمركز الأراضي الزراعية والمعامل على شكل وحدات كبرى . وتخصص قروض طبويلة الأجل لفعالية مخابر عديدة جداً ومعاهد علمية . وقد أعطى هذا الجهد العلمي ثماره في التنقيب عن ثروة البلاد الطبيعية ، التي لم تكن متقدمة في عام ١٩١٧ . وهكنذا أمكن تكوين آلاف الجيولوجيين ، الذين ينقبون عن ثروة الأرض في طول البلاد وعرضها . كما تضاعفت الدراسات المتعلقة باستخدام الطاقة النووية ، كاستخدامها في المراكز الكهربائية ، وفي وسائل النقل. وفي الوقت نفسه يجري تشجيع العاملين في المعامل بحثاً عن كل التحسينات التقنية المفيدة لفعاليتهم . وهدف كل هذه الأعمال وكل مؤتمرات المخترعين والعقلانيين والجمددين ، هو التوصل إلى المكننة Mécanisation المتزايدة في كل الجالات وحتى إلى الأعتبة العامة Automatisation في الإنتاج . كما لم تحرم الزراعة ذاتها من هذا الجهد . ففي عام ١٩٥٥ كان في الاتحاد السوفييتي ١٤٣٩٠٠٠ جرار بقوة ١٥ حصان وصعد عددها في ١٩٨٠ إلى أكثر من ٢٥٠٠٠٠٠ جرار (تراكتور) ، كا كانت الحركات الميكانيكية تؤلف ٩٤٪ من القوة الحركة المستعملة ، وكان القطاع الزراعي يستخدم ٤١٣٠٠٠ اختصاص متخرجين غالباً من معاهد التعليم العالي ، التي خرَّجت عام ١٩٥٦ (٨٥٠٠٠) مهندس مقابل (٣٥٠٠٠) في الولايات المتحدة في العام نفسه و (٥٠٠٠) في فرنسا .

« إن الغالبية العظمى من الأطباء هم من النساء . ففي مصنع ليكاتشوڤ للسيارات في موسكو تؤلف النساء ٤٢٪ من المهندسات . أما في معهد بوليتكنيك لينينغراد فإن ٣٠٪ من الطلاب هم من الإناث » .

مجلة بوبولاسيون ..رولان بريسًا . عدد نيسان حزيران ١٩٦١ .

لقد وزعت قالنتينا على كل الكولخوزات خارطة الترب التي أنجزتها ، وسجلت فوقها نتائج كل التحاليل ونوعية الأسمدة الموائمة . وقد استقبلت هذه الوثيقة في البداية بالريب ثم أخذ هؤلاء الفلاحون بالاعتياد عليها ، وتذوقوا فوائدها . وراح رؤساء الفرق الزراعية ينقلون عنها ما يتعلق بالأراضي التي يشرفون عليها ، وبعدئذ ظهرت مقولة ، غير مفهومة في الأمكنة الأخرى . ولكنها سحرت قلب قالنتينا ، عبارة ظهرت في معظم الكولخوزات تقول : « نحن نقوم بتنفيذ الخارطة » .

وأخيراً نلاحظ أن هذه الطرائق تطبق ضمن مناخ إنسائي ذي أصالة . لأن تحقيق الخطيط أو البرنامج يستدعي من قبل العال الكولخوزيين والمهندسين تعهدات علنية بانجازها قبل الموعد ، كا يخلق التسابق بين المعامل والمؤسسات مما يولد ما يسمى بالتنافس الاشتراكي . ومن جهة أخرى فإن الستاخانوفيين يقتبسون من ستاخانوف ، وهو عامل منجم في الدونتز ، أسلوب زيادة الإنتاجية أو إنتاجية فرقهم دون زيادة الجهد الطبيعي ، وذلك بأن يستخدموا أدواتهم بشكل أفضل وأنجع ، وبتنظيم عملهم عقلانيا . وتهدف أشكال التشجيع الرسمية إلى خلق (العامل الطلائعي) . وتجد هذه الصوفية في العمل الجاعي أجمل أشكالما في المشاريع الكبرى ، التي ترمي لتحويل الطبيعة كتحويل الأنهار وري الصحاري الخ . .

تنظيم القطاعات الاقتصادية الكبرى:

تنظيم الزراعة: بعد أن جرى تقسيم الأراضي في عام ١٩١٧ ، تراءى بسرعة للعيان أن الفلاحين الفقراء النين لا يملكون أدوات زراعية ، كانوا يستغلون أرضهم بشكل بدائي جداً ، في حين أن فئة الفلاحين الميسورين (كولاك) ، كانوا يستحوذون على أراضي الفلاحين المديونين . ولحل هذه المعضلة الاجتاعية الجديدة ، عدت الحكومة السوفياتية إلى إصدار زمرة من القوانين الزراعية ، ودعت فلاحي كل قرية لاستغلال أرض قريتهم جماعياً ، ومنحت ميزات كبرى لهذه التعاونيات .

والكولخوز: هو عبارة عن اتحاد بين الفلاحين ، تكون فيه كل وسائل الإنتاج مشتركة . كا أن أرض الكولخوز ملك للدولة التي تمنحهم حق استغلالها عباناً ، ولأجل غير محدود . وينتخب مجلس الكولخوزيين العام الذي يجتم بصورة دورية ، مجلس إدارة ورئيساً . وتنظم هذه المجالس العمل ، وتقوم بعمليات مالية جماعية : كدفع الضرائب ، وإنفاق ما يلزم على الإدارة والمشتريات المختلفة ، وتوزيع الأرباح بين الكولخوزيين حسب مقادير الإنتاج ، ونوعية العمل . وفضلاً عن هذه المداخيل ، يملك كل كولخوزي بيتاً مع أرض شخصية ، وقطيعاً صغيراً (بقرة ، خنزير ، أغنام ، طيور داجنة) . ومنذ ١٩٥٦ قررت الكولخوزات جميعاً بكل حرية ، توسيع هذه الملكيات الشخصية .

وفي الوقت الحاضر لا يحوي الاتحاد السوفييتي سوى ١٠٠٠٠٠ مزرعة فردية ، مقابل ١٩,٧ مليون عائلة ريفية منضة إلى ٧٨٠٠٠ كولخوز ، وتستغل مساحة ٢٦٣ مليون هكتار ٦٥٪ منها تستخدم الطاقة الكهربائية ، ولا يتوقف عدد الكولخوزات هذا عن التناقص منذ بضعة أعوام ، لأنه يجري تجميع الكولخوزات الصغيرة بفضل تزايد القوى الحركة والمكننة . ويستخدم الكولخوزيون أدوات زراعية متزايدة دوماً ، ففي عام ١٩٥٨ استفاد هذا التجهيز الميكانيكي من إلغاء للكولخوزات ، وهي مؤسسات حكومية كانت تؤجر خدماتها للكولخوزات ، إذ جرى في ذلك العام توزيع أدواتها (وكان فيها أكثر من مليون جرار مثلاً) وأخصائيها على الكولخوزات . وقد بلغ عدد الجرارات العاملة في الزراعة ١٩٦٥ مقدار ١٦٥٠٠٠ جرار عن عام ١٩٥٥ وبلغ ٢١٠٠٠ مليون حالياً .

والواقع ورغ الجهود الجبارة الحالية ، لا تزال هناك مظاهر عوز تقنية هامة : « فجني البطاطا مشلاً لم يصبه التحديث إلا بنسبة ٦٠٪ والحلب الآلي ٣٠٪ وهناك ٧,٢ جرارات لكل ١٠٠٠ هكتار عروث مقابل ٤٠ في الولايات المتحدة و٥٠ في فرنسا وإنكلترا ٧٠ وأكثر من ١٢٠ في ألمانيا الفربية . وهناك أيضاً نقص في الأسمدة ففي ١٩٦٥ كان المكتار ينال ١٢٢,٧ كغم من الساد مقابل ٢٢٩ في

الولايات المتحدة و٧١٩ في فرنسا و٨٦٢ في بريطانيا و١١٣٩ في ألمانيا الغربية . وهناك أيضاً نقص في المستودعات ، وغرف التبريد والصوامع (عن بوجوغارنييه . صور اقتصادية عن العالم نشر S.E.D.E.S) .

أما السوفخوزات فهي مزارع حكومية يعتبر المشتغلون فيها كعال .

وقد تكونت السوفخوزات في أوائل أعوام الثورة من أملاك النبلاء والكنيسة المصادرة لتأمين تموين المدن والجيش الأحمر. وتقدم حالياً مقادير كبيرة من السلع الغذائية للسوق الحكومي ، ولكنها تلعب دور « مزارع نموذجية » تدخل الآلات فيها لأقصى حد ، وتطبق طرائق علمية متقدمة جداً . ويوجد حالياً ٥٨٠٠ سوفخوز ، تملك مساحات واسعة من الأراضي ، فتتراوح كل منها بين ٢٠٠٠ إلى ١٠٠٠ هكتار ، أي ما يعادل مساحة سهل الغاب كله ، وغالباً ما تكون مختصة بفرع معين كإنتاج الحبوب أو تربية الماشية أو زراعة الخضار أو التبغ أو الشاي . ولكن هذا التخصص لا يكون مطلقاً أبداً فنجد مثلاً أن السوفخوز المختص بالحبوب المسمى (الجبار) في منطقة روستوف ، والذي تبلغ مساحته ١٠٠٠٠ مأس غنم . وتستغل السوفخوزات ربع المساحة المزروعة بالاتحاد .

بنية الصناعات: _ يقع كل مصنع تحت سلطة مدير ، تعينه مديرية الاقتصاد التي يرتبط بها المعمل . فهو مسؤول أمام الدولة ، كا يكون مسؤولاً أمام « مؤتمر الإنتاج » ، الذي تدعو إليه نقابة المؤسسة ، والذي يدرس توجيهات الخطط ، وسير العمل ، وتوزيع أرباح المعمل . ويبلغ عدد مؤسسات الصناعة الحكومية ٢١٢٠٠٠ ، تقدم ٨٩١٨٪ من الإنتاج الصناعي ، ويوجد فضلاً عن ذلك أكثر من نصف مليون مؤسسة تقدم ٨٩٨٪ من الإنتاج السوفييتي ، تدعى « مصانع تعاونيات الحرفيين » ، تعمل في صناعات الألبسة وصناعة الموبيليا والأحذية .

وتكون هذه ، من ناحية ، متجمعة في كوبيئات ، تضم ضمن منطقة واحدة الصناعات المتكاملة كناجم الفحم ومناجم الخامات المعدنية . قره غنده ـ بلخاش : وهو شكل من تمركز شاقولي ، وتضم من ناحية أخرى في التروستات ، مؤسسات التمركز الأفقي ، التي تتجمع في منطقة معينة ، المؤسسات التي تتجمع في منطقة معينة ، المؤسسات التي تمارس الفعالية ذاتها مثل مناجم الفحم .

وفيا عدا مؤسسات الدولة هذه ، هناك مؤسسات أخرى يفوق عددها ٢٠٠٠٠٠ تقدم ٨,٢٪ من الإنتاج السوفياتي . وتتألف هذه على الخصوص من ورشات تعاونيات الحرفيين ، التي تقدم تكلة هامة للصناعة الخفيفة الحكومية ، ولا سيا في صناعة اللابس والخياطة وصناعة الأثاث ، وصنع المعادن ، والمهن الجلدية كالأحذية .

وتتميز الصناعة السوفياتية بتمركزها . ففي عام ١٩٥٤ كان الملاحظ في الصناعات التحويلية السوفييتية أن المعامل التي يزيد عدد عمال كل منها عن الصناعات التحويلية السوفييتية أن المعامل التي يزيد عدد عمال كل منها عن ١٠٠٠ بين عامل ومستخدم ، كانت تستقطب ٦٤٪ من الأيدي العاملة ، وتقدم ٢٧٪ من الإنتاج الكلي ، في حين نجد بالولايات المتحدة أنه في عام ١٩٥٢ ، كانت الأرقام المقابلة هي ٣٣٪ و٣٦٪ .

تنظيم المبادلات التجارية: ـ تتخذ التجارة الداخلية ثلاثة أشكال أساسية في الاتحاد السوفييتي ، وهي : تجارة الدولة التي تلعب دوراً حاساً وخاصة في المدن ، وفي المناطق الصناعية (٣٣٪ من تجارة المفرق) وثانياً : التجارة التعاونية (تعاونيات الاستهلاك) ، نجدها خاصة في الريف ٢٧٪ من تجارة المفرق . وإلى جانب هذين القطاعين الداخلين في إطار التخطيط ، نجد التجارة الكولخوزي) ، التي التجارة الكولخوزي) ، التي لا تخضع لأي تخطيط والأسعار حرة ، وتؤمن ١٠٪ من تجارة المفرق . أما التجارة الخارجية فتخضع كلياً لهينة الدولة ، إذ عليها أن تقدم للاقتصاد السوفييتي كل ما تفتقر إليه لتحقيق أهدافه ، كا أن الصادرات ترمي قبل كل شيء لتأمين مو يل المشتريات الأجنبية .

هذا وتكون الأهداف التي ترمي شعوب الاتحاد السوفييتي التوصل إليها ، والوسائل الحددة للوغ ذلك كا يلي : « تأمين الحد الأقصى من تحقيق الحاجات المادية والثقافية المتزايدة باسترار لدى كل المجتمع ، وذلك بتطوير وبتحسين الإنتاج الاشتراكي فوق قاعدة التقنية العليا » . ويكون أحد عوائق تحقيق هذا الشرط كامناً في تجزئة وتفاوت استغلال مناطق الاتحاد السوفييتي ، إذن هناك سعي حثيث للقضاء على هذا التفاوت لتحقيق نهضة منسجمة وقديرة في الاقتصاد .

المناطق الإنتاجية الكبرى في الاتحاد السوفييتي

لا تقوم الدراسة الإقليمية للاتحاد السوفييتي على التقسيم إلى مناطق طبيعية بقدر ما تقوم على توزيع المناطق الإنتاجية التقليدية ، أو الجديدة التي تتعدل دامًا بفضل التطور الاقتصادي السريع .

لقد كانت روسيا القديمة تشتل على قطاعات نشيطة من عهد يعود لما قبل الثورة ، ولكنها تحولت بعد غوها الصناعي الحديث مثل منطقة الغرب ، ومنطقة موسكو وأوكرانيا ، أما في اتجاه الجنوب الشرقي والشرق من هذه المنطقة ، كبلاد الغولغا .. الأورال وسيبريا الغربية ، فقد تعرفت على الحياة الصناعية العصرية بحيث أصبحت الآن مراكزها الأساسية . وأخيراً وعند تخوم هذه المناطق ظهرت البلاد الهامشية فالشال الأقصى السوڤياتي ، وبلاد بايكال والشرق الأقصى وبلدان آسيا الوسطى وكازاخستان ، وبلاد القوقاز ، وهي بلاد راحت تستثر ثرواتها بصورة منهاجية حتى أن بعضها لم يكتشف إلا منذ وقت لا يتجاوز الربع قرن من الزمن .

أولاً - تطورات روسيا القديمة

الغرب: ـ لاتزال مشاهد الغرب (روسيا البيضاء ، الجهوريات البلطية ، منطقة لينينغراد ، كاريليا) تحمل الطابع الجودي ، حيث تتبعثر فيها البحيرات والمستنقعات التي تصلها أنهار تكثر فيها الشلالات ، وأماكن الجنادل . فالغابة تغطي في هذه المنطقة مساحات شاسعة وتغذي صناعات عديدة في كل المدن القائمة فيها (مناشر ، صناعة عيدان الثقاب ، السيللوز) . وتعتبر هذه المنطقة ريفية بالأساس ، فالمناخ هنا أقل حرارة بالصيف وأكثر رطوبة من مناخ المناطق الوسطى ، حيث يناسب النباتات العلفية أكثر من زراعة الحبوب . وأهم الزراعات هنا تقوم على زراعة الجاودار والبطاطا وخاصة الكتان . كا تزدهر

تربية الأبقار بشكل خـاص في الجمهوريـات البلطيـة وحول لينينغراد التي تطيف بها هالة من بساتين تنتج الخضار .

وتعتبر ثروات الأرض الباطنية هنا ضئيلة ، إذ لا تحوي سوى مكن بسيط للفاز الطبيعي في استونيا ، تستمد منه مدينة لينينغراد حاجتها بواسطة أنبوب . ولكن وفرة المياه الجارية ساعدت على استغلال الطاقة الكهرمائية كراكز نهر النيقا وسڤير وڤواخوڤ إلى حد كبير ، مما يوفر لمنطقة لينينغراد الطاقة الوفيرة التي تسمح بمعالجة فلزات معدنية محلياً مثل الحديد والنيكل ولا سيا البوكسيت الذي يعطي الألمنيوم ، كا في مركز تيخڤين في جنوب بحيرة لادوغا .

ولكن المدن تتطور هنا بشكل متفاوت . فلا زالت مدينة لينينغراد الميناء الكبير المطل على البحر البلطي ، وتضم مع ضواحيها أكثر من ٤ ملايين نسمة . وبعد أن أنشأها بطرس الأكبر في عام ١٧٠٣ كي تكون عاصمة روسيا ونافذتها على الغرب ، أخذت في النبو السريع ، وهكذا أصبحت في عهد القياصرة أكبر مركز صناعي في البلاد ، بفضل الصناعات المعدنية والنسيجية التي قامت فيها . ورغم أنها فقدت بعد الثورة وظيفتها كعاصمة ، فقد ظلت أكبر ميناء سوفييتي فضلاً عن علاقاتها مع الحيط المتجمد الشالي بفضل قناة البلطيك ـ البحر الأبيض ـ كا لا زالت مركزاً ثقافياً كبيراً . ونظراً لتوفر الأيدي العاملة الخبيرة فيها ، نجد أن الصناعات المختصة تنو فيها بسرعة ، كبناء السفن ، والصناعات الكياوية ، وصناعة الألمنيوم .

ولا تزال لينينغراد اليوم ، وهي سان بطرسبورغ الأمس ، لا تزال تلك المدينة الفخمة ذات المشاهد الماثلة لقصور قرساي ، وذات الساء الصدفية حيث تطير فيها مواكب طيور النورس ، وذات القنوات المخضرة بسبب إهمالها نوعاً ما ، والمحفوفة بفنادق قديمة تذكرنا تارة بآمستردام وتبارة بلوحيات الرسام كورو الفرنسي ، ونهرها الذي تصطف فوقه السيارات ، وتحت جسوره ، وبين جلاميسد الجليد ، وتمتد لينينغراد الجديدة خارج المدينة القديمة الفخيمة على شكل زمرة من المدن التابعة ، حول المصانع الفخمة ، التي تخربت في معظمها خلال الحصار الألماني لها في الحرب العالمية الشانية وفقدت

مليوناً من سكانها . وبعد أن أعيد بناء لينينغراد من جديـد استردت ازدهـارهـا الـذي كانت عليـه قبل الحرب وراح أول خط قطار أرضي « مترو » يعمل بها منذ ١٩٥٥ ، بطول مقداره ١١ كم .

منطقة موسكو: ـ تقد منطقة يتراوح نصف قطرها بين ٢٥٠ و٣٠٠ كم حول موسكو، وغير واضحة الحدود، يطلق عليها الجغرافيون السوفيات اسم المركز الصناعي، ويخترقها نهر الفولغا وأوكا. تلك هي منطقة انتقالية تدريجية بين مشهد جودي إلى مشهد سهلي إذ تتناقص كية التهطال باتجاه الجنوب، كا تكثر الفسحات في الغابات تدريجياً في نفس الاتجاه.

وتعكس الحياة الزراعية هذه الصفات ، فرغ وجود زراعة الجاودار والبطاطا والكتان تأخذ زراعة القنب والقمح بالتزايد ولا سيا في القسم الجنوبي كنطقة تولا . ويساعد تزايد سكان المدن بسرعة على تطور وغو قطاعين اقتصاديين هما : زراعة الأشجار المثرة والخضار وثانياً تربية الأبقار لإنتاج الحليب ومشتقاته واللحوم .

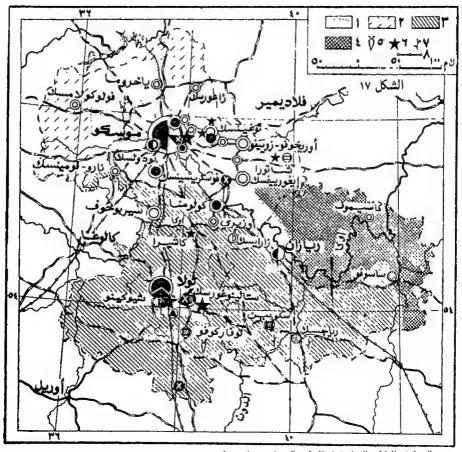
وعلى كل نجد أن الفعاليات الصناعية والعمرانية ، هي التي تؤمن العمل لأغلبية سكان المنطقة ، ولكن لا نجد هنا سوى القليل من الموارد المعدنية . فعلى مسافة ١٠٠ كم من موسكو إلى الجنوب ، بين مدينتي تولا وريازان يقع حوض موسكو الفحمي ، الذي يحتوي على احتياطات هامة من الفحم الرديء ، وخاصة الليغنيت ، ولكن يتيز بسهولة استخراجه بصورة ميكانيكية . ويبلغ الإنتاج السنوي ٢٥ مليون طن من الفحم الذي يستخدم كادة خام في الصناعة الكياوية ، وفي المراكز الكهربائية المحلية . ولكن الدور التجاري والسياسي السابق لهذه المنطقة ، بالإضافة إلى كثرة الناس المتكدسين هنا نتيجة ذلك ، ساعد على نشوء وتطور الصناعات منذ عهد القياصرة .

وقد تسارع تطور المنطقة منذ ١٩١٧ ، فشبكة الطرق الحديدية والمعبدة كثيفة جداً وحديثة . فنذ افتتاح قناة موسكو ـ الفولغا أصبحت بواخر نهر الفولغا تتردد على موانئ موسكو النهرية الثلاثة ، التي أصبحت اليوم تتصل بالبحار الخسة ، وهي البحر الأبيض والبلطي والخزر وآزوف والأسود . كما أن أعمال تنظيم نهر الفولغا تؤدي إلى تحسين مواصلات المنطقة ، مثلما تقدم مقادير متزايدة من الطاقة الكهرمائية .

وتحتل الصناعة النسيجية التقليدية مكانة هامة ، فتشتهر مدينة رجيف وكوستروما وستشرباكوف بصناعة الكتان والقنب ، بينا تنصرف مدينة سبيربوخوف نحو صناعة الصوف ، في حين تهتم مدينتا ايفانوفو وياروسلاف بصناعة النسيج القطني ، وكأنها تحتكرانها . كا قامت في معظم هذه المدن مجدداً الصناعة المعدنية : كصناعة الجرارات في كولومنا وبرادات الشاي النحاسية (ساموقار) في تولا ، وعربات القطارات الحديدية في كالينين والسفن البحرية في ستشرباكوف . ومع أن الصناعة الكياوية تكون نشيطة في ياروسلاف (مصافي بترول ، مطاط تركيبي) نجدها أيضاً هامة في سنتالينوغورسك بفضل فحم الليغنيت الحلي (شكل ١٧) .

وتستقطب مدينة موسكو التي تضم قرابة ٨ ملايين نسبة مع المدن الملحقة بها ، كل هذه الفعاليات . ففيها الصناعات المعدنية (سيارات من ماركة موسكوفا ، والجرارات ، والرولمانات ، وبناء الطائرات) والصناعات الكياوية (سوبر فوسفات والمطاط والحرير الصناعي) ونسيج وغزل القطن والألبسة والصناعات الغذائية ، بحيث أن عدد العاملين والعاملات في الصناعة يتجاوز المليون ونصف . وقد أدت النهضة الصناعية في المنطقة الوسطى ، إلى نمو عراني عظيم ويستر نمو « المركز الصناعي » دوماً ، ولكن بصورة أقل وضوحاً من المناطق الأخرى .

أوكرانيا: وهي منطقة تاريخية خضع وجودها القومي للتهديد زمناً طويلاً. وتحتوي أوكرانيا على مشاهد متنوعة ، ففيها الفسحات أو السهب الغابي في الشمال والشمال الغربي ، والأراضي السوداء ، والسهوب القاحلة بالجنوب والجنوب الشرقي ، حيث يصبح الصيف تدريجياً أكثر تشمساً وجفافاً وحرارة .



توزع الصناعة والمناطق الزراعية في المنطقة الوسطى حول موسكو:

آ - المناطق الزراعية : ١ - نطاق ضواحي المدن . ٢ - زراعة الكتان والأبقار الحلوبة . ٣ - زراعة الحبوب والبطاطا وتربية الأبقار الحلوبة والخضار على وتربية المواشي الحلوبة ومن أجل اللحم . ٤ - استغلال الخشب وزراعة البطاطا وتربية الأبقار الحلوبة والخضار على ضفاف الأنهار أو « الرّقات » . ٥ - أهم مناطق زراعة الشوندر السكري . ٦ - الحطات الكهربائية الرئيسة . ٧ - مناطق زراعة التبخ-. ٨ - أنابيب نقل الغاز .

وتلعب أوكرانيا في الاقتصاد السوفييتي أولاً دور عنبر غذائي ، إذ تقدم عن القمح الشتوي و٧٠٪ من الشوندر السكري . وفي الشمال الغربي تنتج أوكرانيا الجاودار والقمح ، كا تسمح الرطوبة بوجود المراعي الطبيعية والزراعات العلفية ، مما يسمح بقيام تربية ماشية بصورة حثيثة . ولكن القسم الأعظم من القمح الأوكراني (١٠ ملايين طن) تنتجه الأراضي السوداء .

حتى عام ١٩١٧ كانت تقوم هناك زراعة واسعة تحقق فوق مساحات شاسعة محاصيل غزيرة . وقد اتجهت جهود التحسين نحو مكننة الزراعة التي زادت المردود بنسبة كبيرة بالنسبة للفرد العامل وكذلك بالنسبة لوقت العمل ، دون تطور محسوس من حيث إنتاجية وحدة المساحة ، وحل تدريجيا مكان الزراعة الواسعة زراعة حثيثة ذات دورة زراعية ، وزاد المردود بفضل الاعتاد على الأسمدة ، وعلى اصطفاء البدور ، ودخلت في الدورة الزراعية زراعة الذرة الصفراء ، والمزروعات العلفية ، والمعزوقة كالبطاطا ، والصناعية كالشوندر السكري والتبغ ، . غير أن مشكلة الحفاظ على الترب طرحت نفسها فوق الأراضي السوداء « تشرنوزيوم » التي تتطاير بفعل الجفاف والحراثة المتكررة ، والتي أصبحت فريسة للرياح ومياه ذوب الجليد وزخات المطر الربيعية . وهكذا ظهر مخطط تنظيي دخل مرحلة التنفيذ منذ ١٩٤٨ ، يشتمل على زراعة أحزمة من الغابات ضد الرياح المجففة القادمة من الجنوب الشرقي ، مثلما قامت خطوط من الأشجار الداخلية حول المزارع من نوع « الحواكير » المتراخية .

وفي أقصى الجنوب من المنطقة ، تظهر المزروعات المدارية التي تزداد مساحتها بسرعة كالرز (في حوض الدينيبر الأدنى) والقطن ، كا تتوسع زراعة الخضار في منطقة أوديسا .

ولكن تعتبر أوكرانيا ، فضلاً عن ذلك نظراً لتجهيزها الصناعي ، الدي بدأت طلائعه في أواخر القرن الماضي ، كأهم منطقة صناعية سوفييتية قوية ، تماثل أهيتها وتنوع إنتاجها دولة عظمى في أوربا الغربية . وتقوم هذه القوة على الموارد الوفيرة في الطاقة والفلزات ، ففيها أحواض فحم الدونباس التي تشتل على فحم الأنتراسيت ، وفحم الكوك ، مع احتياطات كبيرة ، وبعد أن تخربت هذه الأحواض كلياً خلال الحرب ، أعيد تجهيزها بشكل حديث جدا ، وتنتج حالياً ما يزيد عن ١٦٠ مليون طن . كا يعتبر الاستغلال الكهرمائي للأنهار متقدماً مثل سد دينيبروغيز الشهير ، الذي تم بناؤه عام ١٩٣٢ ، والذي غر أماكن جنادل نهر الدينيبر . كا تقدم مناجم كويڤوئيروغ حوالي ٤٠ مليون طن من فلزات الحديد سنوياً ، والذي ستعقبه بعد نضوبه مناجم كورسك بلغورود الواقعة في الشال الشرقي فوق أرض الجمهورية الروسية . كا تحتوي المنطقة على

المنغنيز في جوار نيكوبول بالإضافة إلى احتياطات البوكسيت التي تكل الموارد الطبيعية ، والتي تفسر تفوق الصناعة المعدنية هنا .

هذا وتكثر هذا المدن الصناعية . ففي منطقة الدونباس حيث تبدو شبكة الخطوط الحديدية كثيفة جداً ، نجد فعاليات متنوعة مثل استخراج الفحم ، والصناعة المعدنية في فوروشيلوفسك وماكييڤكا وستالينو ٧٥٠٠٠ نسمة ، والصناعات الميكانيكية الثقيلة (قاطرات فورو شيلوفغراد) ، والصناعات الكياوية الملحقة . ففي عقفة الدينيبر قرب مناجم الحديد نجد أن توفر الطاقة الكهرمائية يساعد على نشوء الصناعة المعدنية الكهربائية (أنواع الفولاذ الخاصة ، الخلائط alliages والألينيوم) وأهم مراكز الصناعة هي دينيبروبتروفسك (أكثر من مليون) نسمة وزوبروجيه وكريفوئيروغ ودينيبروجيرزينسك .

وتعتبر مدينة خاركوف الواقعة في الشهال ، ثالث مدينة صناعية في الاتحاد ويعود نموها السريع ، إذ تضم ما يربو على المليون نسمة وثلث ، إلى الصناعات الميكانيكية (جرارات ، قاطرات ، تجهيزات منجمية) . وفي الشهال الغربي تقع مدينة كييف وسكانها ٢,٢٥ مليون نسمة ، وهي عاصمة الجمهورية ومدينة تاريخية وعقدة أساسية لشبكة الخطوط الحديدية الأوكرانية . ويأتيها غاز داشافا الطبيعي بواسطة الأنابيب كا تعتبر الصناعات التحويلية ناشطة جداً فيها .

وقلك مدينة أوديسًا على الساحل فضلاً عن الترسانات البحرية ، صناعات تعليب الأسماك والخضار والمطاحن ، ومصانع المكائن الزراعية ، وتقوم مدينة جدانوڤ ، على بحر آزوڤ ، بنقل الفحم وخامات الحديد ، ولكن يظل ميناء الدونباس هو روستوڤ ، وهو مركز صناعي هام .

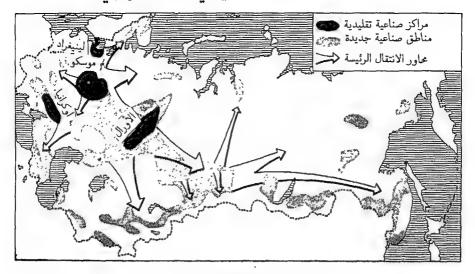
أما المدن القديمة في الغرب مثل لڤوڤ ، كيشينيڤ ، وتشرنوڤتسي فهي مراكز إقليمة يقوم نشاطها على الصناعات الغذائية .

و إجمالاً تعتبر أوكرانيا منطقة عمرانية كثيفة جداً ، إذ تضم ٢٥ مدينة يزيد عدد سكان كل منها عن ١٠٠٠٠٠ نسمة . ومجموع سكانها يتجاوز سكان فرنسا . أما شبه جزيرة القرم التي ألحقت بأوكرانيا منذ حوالي ١٥ سنة ، فلها سهوب قاحلة تبذل الجهود لريّها بواسطة قناة القرم الكبرى الشالية ، كا تملك نطاقاً ساحلياً يتكئ على سلسلة جبلية طورية تعتبر الساحل اللازوردي الروسي بزراعاته الرومية ، كزارع الأشجار المثرة والكروم والحطات السياحية الترويحية مثل يالطا . وفيها مدينة كرتش وهي مركز استخراج خام الحديد ، وقاعدة ستاڤروبول البحرية ، ومركز سيمفيربول الصناعي في الداخل ، وهي أم مدن القرم .

ثانياً ـ المناطق الصناعية الجديدة

سهوب الجنوب ومنطقة الفولغا: ابتداء من جنوب شرق موسكو تتخلى منطقة الغابات تدريجياً عن مكانها إلى سهول فسيحة ، تقد حتى أعضاد جبال القفقاس وبحر الخزر . وكان نهر الفولغا يؤلف بالنسبة لهذه المناطق الزراعية التقليدية الحور التجاري ، ولكن بعد الحرب العالمية الثانية تحولت إلى نطاق صناعي أساسي (شكل ١٨) .

امتداد النطاقات الصناعية في الاتحاد السوفيتي



الشكل ١٨

لقد عملت الزراعات كالقمح والجاودار والشوندر السكري والتبغ والكتان والقنب. وكذلك تربية الماشية في المناطق العديدة الأودية ، والتي لا تزال غنية بالغابات في الشال ، عملت على خلق حياة ريفية متنوعة . واحتفظت المدن ، وهي مراكز تجارية سابقة ، بدورها كأسواق للمحاصيل الغذائية ، ولكنها اتجهت أيضا نحو التصنيع : كالمنسوجات ، والمطاحن ، وصناعة الجرارات والمكائن الزراعية ، مثل فورونيج وفيها ١٧٠٠٠٠ نسمة .

أما في منطقة الأراضي السوداء الممتدة من أوكرانيا حتى الأورال حيث يقل عرضها تدريجياً ، ولا سيا بين قورونيج وساراتوڤ في الجنوب ، فتظهر الأراضي الرمادية التي تعتبر خصيبة نوعاً ما . وتكون هذه مناطق الزراعة المتصفة بقلة الكثافة السكانية ، حيث تلعب الآلة الزراعية الدور الجوهري ، حيث يكن للزراعة أن تقوم على عاتق عدد قليل من الناس ، إذ تتم كل العمليات الزراعية خلال فترة إنباتية محدودة بفعل الجفاف والفصل الحار ، ويكون القمح هو الغالب . ولكن تربية الماشية تحتل مكانة هامة ، لا سيا في الجنوب حيث يستفحل الجفاف ، كتربية الأغنام . وتتم مكافحة هذه القحولة الخطيرة على المزروعات وعلى الترب بزراعة أحزمة حراجية وبتنفيذ مشاريع الري . وكانت أول شطيرة تم إنجازها هي بناء قناة الدون الفولفا وخزان تسيليانسكايا ، حيث تنطلق منه أقنية الري نحو كل ضفة نهر الدون اليسرى .

وعند الاقتراب من بحر الخزر تختفي تربة التشرنوزيرم ، وتتزايد القحولة : لهذا تعتبر سهوب الفولفا الأدنى وسهوب تيريك بوادي رعوية لقطعان الأغنام . ولكن الري وحده يستطيع أن يرد لها الحياة ، وقد أصبحت أودية نهر تيريك وكوما والفولغا الأدنى ، تشهد قيام زراعات كثيفة مروية كالخضار والثار والقطن . أما في سهوب الكوبان ، حيث تكون التربة أكثر خصوبة والمناخ أكثر رطوبة ، فتقوم زراعة قمح من النوع الواسع .

وهكذا تتعرض هذه المناطق لنهضة عمرانية وصناعية ، تظهر في قطاعين أولها السفح الشالي للقفقاس الذي تتزايد أهيته بفضل الإنتاج البترولي .

لقد ارتبط حقل غروزيني البترولي بواسطة خط أنابيب ببحر الخزر ، وكذلك بالبحر الأسود حيث يتلقى ميناء تواپسه بترول حقل مايكوب ، ويغذي حقل الغاز الطبيعي الهام في مايكوب مدينة موسكو بفضل أنبوب تم إنجازه في كانون الأول ١٩٥٦ . أما بقية المراكز العمرانية فهي ميناء نوڤوروسييسك على البحر الأسود ، وكراسنودار ، وهي عقدة مواصلات ومدينة صناعية ، وأورجونيكيدزه الواقعة عند مدخل عمر يقود إلى تبيليتي (تفليس) التي تقع بجوار بعض مناجم الرصاص والزنك .

والقطاع الثاني هو منطقة الفولغا أو البوڤولجيية وهي المنطقة المتدة من مدينة غوركي إلى استراخان عند المصب ، وهو أهم أجزاء هذه النطقة . فالمدن التي ظلت تجارية حتى ١٩١٧ تعرضت لنهضة صناعية ازدادت كثيراً خلال الحرب بفضل تحويل الصناعة الغربية باتجاه الشرق . وتتزايد هذه النهضة حالياً لسببين أولها : البدء باستغلال مكامن البترول الغنية ، الواقعة على الضفة اليسرى من الفولغا (باكو الثانية) . وثانياً : الاستغلال المائي (للفولغا الكبير) إذ تحول إلى درجات من بحار اصطناعية كبيرة لتنظيم مياه النهر وروافده ، ولتأمين ري مناطق واسعة ، ولتسهيل الملاحة ، ولإنتاج الطاقة الكهرمائية بكثرة . وبعد أن مناطق واسعة ، ولتسهيل الملاحة ، ولإنتاج الطاقة الكهرمائية بكثرة . وبعد أن تم بناء سد غوركي أشرف اثنان آخران على الانتهاء . ويقدم معمل سد كوبشيف لوحده ما يعادل ثلثي إنتاج بلجيكا من الكهرباء .

على طول هذا الشريان الحيوي تتتابع مدن نشيطة جداً مثل غوركي ١,٢ مليون نسمة ، وكان اسمها نيجني توفغورود قدياً ، الشهيرة بمعارضها والتي أصبحت عاصمة صناعة السيارات ومركزاً صناعياً متكاملاً تماماً إذ تقوم فيه صناعة تكرير النفط والصناعات الكياوية ، والصناعة المعدنية وصناعة الورق والجلد ، وقازان التي تقوم فيها صناعة المعادن ، والمنسوجات والجلود ، وكويبيشيف ١,٢٥ مليون نسمة ، وهي مركز مواصلات نهرية وحديدية ، إلى جانب صناعة الشاحنات ومصافي النفط والصناعات الكياوية ، وساراتوق ، وهي رأس خط أنابيب يغذي العاصمة بالغاز الطبيعي ، ومركز تكرير نفط وصناعات متنوعة ، وفغولغوغراد ، وكانت تدعى ايكاتيرينبورغ في العهد القيصري ، وسالينغراد حتى عام ١٩٥٦ ، وقد دمرت كلياً خلال الحرب العالمية الثانية ، فأصبحت رمز المقاومة في وجه الاجتياح النازي ، والتي زادت أهميتها على أثر افتتاح قناة الدون ـ الثولفا ، والتي أصبحت مجهزة بصانع حديثة للغاية للجرارات والشاحنات ، واستراخان أخيراً التي تؤمن علية ترانزيت البضائع بين حوض الثولفا وبحر قزوين وتظل مركزاً هاماً لصيد السبك وتعليب الكافيار .

الأورال وسيبريا الغربية: لقد أصبحت المنطقة الممتدة من نهر كاما إلى جبال الطائي ، بما في ذلك جبال الأورال وسيبريا الغربية خلال بضعة أعوام ، وذلك بفضل مواردها المعدنية ، من المناطق الصناعية الكبرى في الاتحاد السوفييتي . وتبدو الثروات المعدنية هائلة هنا .

ففي جبال الأورال تستغل مناجم فحمية عديدة منذ القرن الشامن عشر. ورغ قلة أهيتها وشدة تكسر طبقاتها ، فإنها تنتج سنوياً ما يقارب ٤٥ مليون طن ، كا يكثر الحديد في جوار ماغنيتوغورسك خاصة حيث يستغل بصورة مكشوفة . كا تشتل جبال الأورال على ربع احتياطي الاتحاد من النحاس ، فضلاً عن مكامن البلاتين والكروم والمنغنيز والنيكل . كا يمتد على سفوحه الغربية حوض « باكو الثانية » البتروليب الذي يغطي رقعة مساحتها ٧٥٠٠٠٠ كم ، وينتج أكثر من من البترول السوفييق ، وأم بقاع إنتاج النفط تقع في منطقة باشكيريا وبلاد التر .

هذا ويعتبر حوض كوزباس في سيبريا الغربية ، من أهم مناطق الفحم بالعالم ، لأن احتياطيه يبلغ ٥٠٠ مليار طن ، فحم سهل الاستغلال جداً ، لأن سمك الطبقات يبلغ أحياناً ١٥ م ، وينتج سنوياً أكثر من ٧٥ مليون طن . وهناك مكامن فحم لم تستغل بعد على نطاق واسع كحوض نهر ينيسيئي الأعلى . كا تكثر الفلزات للعدنية في منطقة الكوزباس ولا سيا عند أعضاد جبال الطائي : كالحديد والزنك والنحاس . كا ارتبط منجم حديد جديد عند نهر ينيسيئي الأعلى بمنطقة كوزباس ، بعد إتمام تديد الخط الحديدي بين ستالينسك وآباكان ٣٦٠ كم ، ويدعى خط يوغ سيب . وهناك خط أنابيب يمتد بين مدينة تو يمازى وأومسك حتى الكوزباس يقدم البترول لسيبريا الغربية .

وفي كلتا المنطقتين يجري تجهيز حثيث في القوى الكهرمائية ، وخاصة على نهر ايرتيش وكامـا ، وأوب ، وينيسيئي .

وبعد أن كان تجهيز المنطقة صناعياً بسيطاً جداً قبل ١٩١٧ (في الأورال) ، أخذت بالتطور بقوة منذ البرنامج الخسي الأول (معامل أورال كوزنتسك) ولا سيا على أثر الحرب العالمية الثانية ، إثر نقل معامل الغرب إلى الشرق .

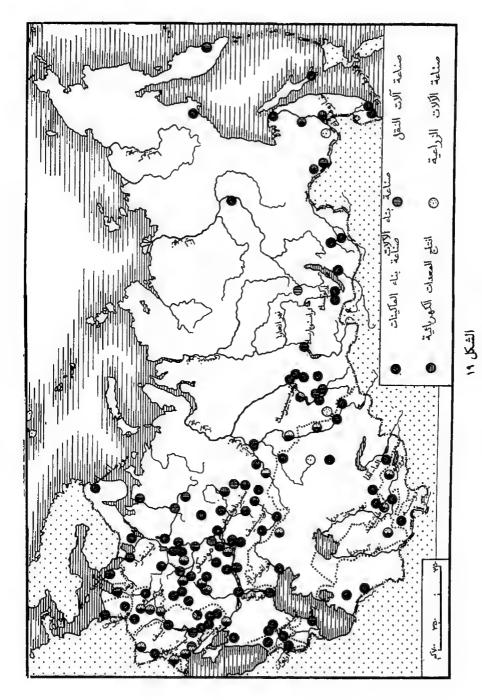
أما في الأورال فتتوزع الصناعات الثقيلة على بضع مجموعات جبارة ، حيث تهين دوما الصناعة الحديدية ، والتي تكلها صناعة المعادن الأخرى غير الحديدية ، والصناعات الميكانيكية ، والصناعة الكياوية ، وأهما مجموعة تشوسو فوسيروف في مدينتي نيجني تاغيل وسفرد لوفسك (١٠١مليون نسمة)

حيث يتم بناء العنفات والطائرات وتجهيزات السكك الحديدية . كا تشتهر مدينة تشليا بينسك وزلاتوست التي تحوي أكبر معامل فولاذ في أوروبا(١) .

وتعتبر مدينة ماغنيتوغورسك من أكبر مراكز الصناعة الحديدية بالاتحاد ، التي أنشئت بها لأول مرة عام ١٩٣٢ وأضيف إليها حالياً مصاهر الرصاص والزنك ، ومعامل مطاط تركيبي ، وأضيف إليها في جنوب المنطقة مركز صناعي حديدي وكياوي جديد هو أورسك خليلوفو . ونجد على السفوح الغربية للأورال زمرة من المراكز الصناعية المنعزلة ذات فعاليات أكثر تنوعاً ، مثل مركز بيرم (مولوتوف) الذي يحوي معملاً للألمنيوم ومصفاة للنفط ، ومصنع طائرات . كا يصنع في مدينة أوفا وأورنبورغ (تشكالوف) الجرارات والقاطرات والطائرات والمكائن الزراعية (شكل ١٩) .

أما في سيبريا فنجد مركز كورْباس ، الذي يحوي على أكبر مجموعة صناعية بالمنطقة إذ ينتج أكثر من سبعة ملايين طن من الفولاذ . فضلاً عن صناعة المعادن غير الحديدية . ففي هذه المنطقة التي كانت شبه خالية من السكان قبل ٥٠ عاماً ، أخذ توسع المدن فيها تسارعاً أكبر بكثير مما هو في الأورال . والمدن الرئيسية الأربع هي ستالينسك ولينينسك ولم يكن فيها سوى ٢٠٠٠٠ نسمة عام ١٩٢٦ فارتفع العدد إلى ٢٥٠٠٠ عام ١٩٣٩ وإلى المليون ونصف عام ١٩٧٦ وارتفع عدد سكان مدينة نوفوسيبرسك إلى ١٩٣٥ مليون نسمة ، وتحوي على معامل سيارات وجرارات ، وتجهيزات منجمية . وكراسنويارسك وفيها صناعة السيللوز والمكائن الزراعية وقد كانتا بالماضي عبارة عن مدن تجارية وقليية ، تحولتا إلى عقدتي مواصلات حديدية ومن ثم إلى مدينتين صناعيتين .

 ⁽۱) إن بناء مصنع ينتج سنوياً مقدار مليون طن من الفولاذ يكلف ما يزيد عن ٥٢٥ مليون دولار أو ٢٠٠٠ مليون ليرة سورية .



صناعة بناء الألات في الاتحاد السوڤييتي

ونذكر أخيراً مدينة أومسك الحاوية على مصفاة بترول جبارة ، ومدينة تومسك وبارناؤل ، وتحتويان على صناعة كبيرة لغزل القطن ونسجه بفضل أقطان آسيا الوسطى .

لقد تم هذا التطور الحضري والصناعي في مناطق قليلة الزراعة أو غير مزروعة سابقاً ، باستثناء هضبة ما قبل الأورال الغربية وبعض الأراضي السوداء السيبيرية ، حيث كانت أولى عليات الاستيطان ريفية . وقد أعاقت الحاجة للأيدي العاملة في الميدان الصناعي ، ولمدة طويلة ، توسع المساحات المزروعة ، ولكن الزراعة أخذت تتوسع بفضل مكننة الأعمال الحقلية . وقد اتجهت الجهود أخيراً نحو تنية القطاع الريفي ، فظهرت أساليب زراعية حثيثة ومزروعات متنوعة أكثر ، كالقمح والشوندر ودوار الشهس والأعلاف ولا سيا استزراع عدة ملايين المكتارات من الأراضي العذراء بين جبال الأورال ووادي الينسيئي الأعلى .

ثالثاً _ البلاد المامشية

الشمال الأقصى السوفييتي : _ يتد الشمال الأقصى على حافة الحيط المتجمد الشمالي ، ابتداء من شبه جزيرة كولا إلى بحر بهرنغ . وتهبط حدوده الإدارية في سيبريا حتى درجة العرض ٢٢ ، فتض مدينة ياكوتسك وعقفة نهر لينا ، وشبه جزيرة كامتشاتكا ، وضفاف بحر اوخوتسك . فهذه المنطقة الفسيحة لا تؤلف بالواقع وحدة جغرافية حقيقية . على أن المشهد الموحش المؤلف من توندرا ومستنقعات تعقبها غابة الطايغا باتجاه الجنوب ، ويخلق المناخ القاسي ، وتبعثر السكان الشديد في هذه المنطقة نفس الشروط الحياتية العسيرة في كل وتبعثر السكان الشديد في هذه المنطقة نفس الشروط الحياتية العسيرة في كل الوحدة ظهرت في عام ١٩٣٣ على شكل منظمة وحيدة ، تدعى المديرية العامة للطريق البحري الشمالي ، التي تمتد سلطتها على جميع المسائل القطبية ، للطريق البحري الشمالي ، التي تمتد سلطتها على جميع المسائل القطبية ، للناطق الشاسعة أهمية رئيسية .

لقد جعلت الأرض المتجعدة أزلياً والبرد الزمهرير من بناء الطرق والخطوط الحديدية معضلة شائكة . وفي الوقت الحاضر لا يوجد حالياً فيا عدا الدروب سوى بعض الوصلات من الطرق والخطوط الحديدية . وفضلاً عن السكك الحديدية المتدة من مورمانسك إلى اركانجلسك قامت سكك جديدة حتى أوختا ، والتي وصلت الآن إلى فرخوتا ومصب نهر الأوب . وبعد أن تغلبت الخطوط الجوية على العديد من المشكلات التقنية أصبحت تحل مكان المواصلات الأرضية فربطت بصورة منتظمة بين الشرق الأقصى وموسكو ونوڤوسيبريسك وايركوتسك . ولكن أكثر الجهود روعة أنجز من ناحية المواصلات البحرية التي كانت تحول دونها الحواجز الجليدية . وفي سبيل جعل ذلك مستطاعاً تمت تعبئة علماء الخرائيط والمكتشفين ورجال علم الأنواء ، وإقامة مراكز للمحروقات على طول السواحل لتحوين السفن بالوقود ، وبناء كاسحات جليد وطائرات مائية تقوم عهمة الخفر ، وأخيراً كان من اللازم التنسيق بين كل هذه الجهود . وهكذا أمكن تحقيق ارتباط صيفي منتظم بين مورمانسك وقلاديثوستوك على الحيط الهادي ، والذي يخفف العبء عن كاهل الخيط الحديدي العابر لسيبريا ، وتؤمن على الخصوص علية الارتباط بين مصبات الأنهار الكبرى التي تلعب دور مخارج لمنتجات مناطق الظهر الجنوبي .

وهكذا ترتسم بالنسبة لهذه المناطق الغنية جداً بالمعادن ، شروط استغلال منهاجي ، وتعتبر شبه جزيرة كولا أكثر المناطق تصنيعاً ، فهي تنتج النيكل والحديد ولا سيا الفوسفات . كا وصل الخط الحديدي عام ١٩٥٠ إلى منطقة بتشورا الحاوية على حوض فحمي في Vorkouta وحوض أوكتا البترولي . كا دخل التصنيع بسرعة إلى حوض نهر ينيسيئي الأدنى الغني بالفحم (كا في حوض نوريلسك) ، وبالنحاس والنيكل والكوبالت . ويتزايد استغلال مكامن الذهب حول نهر كوليا . كا أن الطريق البحري الشالي أصبح عامل إقامة مناشر هائلة للخشب في المدن الساحلية ، التي تتمون من الأخشاب العائمة فوق مياه هذه الأنهار الكبرى .

هذا كا انفتحت الأنشطة التقليدية بدورها على الحياة العصرية . فقامت كولخوزات الصيد على بحر بارنتز وعلى بحر أوخوتسك والتي نالت أجهزة متقنة : وتمارس مزارع تجريبية التربية الحثيثة لحيوان وعلى الريّنة ، كا قامت محطات قنص بتدريب السكان الحليين على طرائق وتجهيزات حديثة لمعالجة جلود الفراء .

وأدى هذا التطور إلى توسع مدن متفاوتة الأهمية ، فمدينة أرخانجلسك القديمة أصبحت تعيش من صناعة الخشب ، وتحوي على ما يقارب ٣٥٠٠٠٠ نسمة . كا أن الطريق البحري وصيد الأسماك ، أوجدا مدينة مورمانسك التي تحوي الآن على ما يقارب ٢٥٠٠٠٠ نسمة . وانبثقت مدن صناعية جديدة مثل كيروفسك ، مدينة الفوسفات . ونوريلسك ، مدينة النيكل قرب مصب نهر ينسيئي ، وماغادان على بحر أوخوتسك ، وهي مدينة الذهب . كا قامت موانئ مثل ميناء ديكسون في شمال مصب نهر ينسيئي ، ومدن إدارية مثل ياكوتسك على نهر لينا .

وظهرت الحاجة لتموين سكان المدن . فجرت تجارب الزراعة القطبية وذلك في البداية في شبه جزيرة كولا أو خيبني . فظهرت مزارع الملفوف والبطاطا ، سواء في حقول مكشوفة أو إذا تعذر ذلك في أقفاص تحت الأرض . وتمت تجارب لمواءمة زراعة القمح مع البرد . وفي الوقت الحاضر تزهر وتثر في شبه جزيرة كولا وفي پاكوتيا أشجار الكرز والتفاح .

بلاد بايكال والشرق الأقصى : - ابتداء من شرق نهر ينيسيئي ، يصبح المناخ السيبري شديد القساوة ولكن في الوقت نفسه يصبح غالباً أكثر رطربة من الغرب ، لذلك تكثر هنا الغابات التي لا تظهر الفسحات فيها إلا في الجنوب ، كا في منطقة ما وراء البيكال ووادي نهر الآمور .

ويتعلق الاستيطان بشكل وثيق بالخطوط الحديدية أي بخط عبر سيبريا وفروعه الشمالية وخو بكين ومنشوريا ، أي منطقة هيلونغ يانغ الصينية ، وبخط بايكال آموريسكي ماجسترال ، وهو خط استراتيجي أنشئ خلال الحرب ، وخط تايشت إلى كومسومولسك ، وهكذا أصبحت الفسحات الفسابيسة دوائر زراعية ، تزرع القمح وقارس تربية الماشية ، كا في حوض ايركوتسك وبلاغوڤتشنسك وخابارتسك على نهر الآمور ، وعلى ضفاف رافده نهر الإيسوري . ومن ناحية أخرى فالصيد أصبح نشيطاً جداً وناله التحديث : كالصيد البحري ، ولا سيا في منطقة شبه جزيرة ساخالين ، حيث يصاد السرطان وسمك الرنجة وسمك التن ، وسمك سلمان وسمك الحفش ، الذي يستخرج منه الكاڤيار .

وقد نجم عن استغلال الموارد المعدنية وقيام الصناعات في المنطقة

تسارع في عدد سكانها بسرعة منذ ٥٠ عاماً . وأهم المناجم الفحمية تقع في حوض ايركوتسك تشير يمخوفو (غرب بحيرة بايكال) ، وفي حوض بوريا على طرفي نهر بوريا رافد الآمور ، وفي جزيرة ساخالين الحاوية على آبار بترولية غزيرة أيضاً . كا يستغل الحديد على حوض نهر الآمور الأوسط ، والنهب في كل منطقة ، بالإضافة إلى مكامن معدنية متنوعة كالقصدير والرصاص ، وإلى الشرق من بايكال وفي سلاسل سخوتا آلين الممتدة شمال ميناء فيلاد يفوستوك . كا قامت مراكز كهرمائية هامة ولا سيا على نهر آنغارا الذي يخرج من بحيرة بايكال .

وفيا عدا الميناء البحري فيلاديفوستوك ومدينة كومسومولسك ، التي أنشأتها الشبيبة الشيوعية ، والتي يبلغ عدد سكانها ٢٥٠٠٠٠ نسمة ، نجد أن المدن الرئيسية هي عبارة عن عقد مواصلات حديدية آخذة بالتصنيع ، مثل ايركوتسك على ضفة بحيرة بايكال وتشيتا الواقعة إلى الشرق من البحيرة ، وأولان أوديه المرتبطة بالصين بخط حديدي ، ومدينة خاباروفسك التي هي ميناء نهرى وسوق كبيرة للفراء .

آسيا الوسطى وكازاخستان (شكل ٢٠): ـ تؤلف آسيا الوسطى وجهورية كازاخستان مجوعة كبيرة تتشكل من سهوب ومن صحارى يطيف بها من الجنوب والشرق جبال شديدة الارتفاع . ففي شالي كازاخستان يعتبر السهب امتداداً لسهب سيبريا الغربية الذي ينال أمطاراً لا بأس بها . ولكن يتلوه في الجنوب فيافي رملية ، يغيض فيها معظم مياه الأنهار . وهكذا تصبح المياه نادرة جداً فلا ينبت سوى بعض الشيح والنباتات الصحراوية المتباعدة كا يغدو المناخ قاسياً . غير أن الشرائط البشرية عملت في هذا المجموع الجغرافي على إيجاد منطقتين متيزتين عن بعضها . ففي الشال نجد بلاد كازاخستان ، وهي عبارة عن قطر جديد وصناعي يختلف عن المناطق الجنوبية التي تضم جهوريات آسيا الوسطى الأربعة ، والتي لا تزال تقليدية ريفية وصناعاتها حرفية إلى حد كبير .

Ouralek

Akmolinak

Amabbach

Fohn

Fohn

Fohn

And Amabbach

Fohn

And Amabbach

Fohn

Achkebad

Achbebad

Achkebad

Achkebad

Achkebad

Achkebad

Achkebad

Achkebad

Fig. 7. - L'Asie centrale soviétique et le Kazakhstan.

آسيا الوسطى السوڤياتية وكازاخستان الشكل ٢٠

ويكون التطور المشترك لكلتا المنطقتين بالواقع متأثراً بتطور الشبكة الحديدية. فخط ترانساراليان يصل الأورال بطاشقند ، أما خط توركسيب فينطلق من طاشقند نحو الكوزباس مروراً بالمناطق التعدينية بجوار بحيرة بلخاش . أما خط عبر الخزر فيحاذي الحدود الجنوبية . وأخيراً فإن خط يوغسيب الذي انتهى عام ١٩٥٨ يخدم كازاخستان الشالية باتجاه الأورال وكوزباس .

فبعد أن كانت كازاخستان عبارة عن بلاد البداوة والترحال ، أصبحت تعتبر اليوم كمنطقة كبيرة تبشر بستقبل عظيم . ويعود هذا إلى غناها بالمعادن التي كشفت عنها أعمال التنقيب الحديثة . فأرضها تحتوي على الفحم الحجري والنحاس والرصاص والبترول والمنغنيز والمسادن النادرة . وقد عرفت بعض مناطقها تطوراً فريداً وهكذا قامت مدينة كاراغندا من العدم في مدة ٢٠ عاماً ، وأصبح فيها أكثر من ٦٠٠٠٠ نسمة ، بالإضافة إلى عدة معامل تنتج أصناف الحديد . وقد ابتدأ استغلال الفحم هنا منذ عام ١٩٣٠ ، كما تم اكتشاف حوض ثان للفحم يكن استغلاله بسهولة أكبر خلال الحرب العالمية الثانية ، وهكذا أصبح إنتاج جمهورية كازاخستان من الفحم يتزايد بسرعة كبيرة جداً ، فارتفع بين عامى ١٩٥٠ و١٩٥٥ من ١٧ مليون إلى ٢٨ مليون طن . وأخذت مدينة كونراد تنو على ضفة بحيرة بالخاش ، حيث تكثر فلزات النحاس بجوارها . كا يتكشف حوض نهر ايبا Emba ، الذي يصب في شمال بحر الخزر عن مقادير ضخمة من النفط. هذا ويستثمر النحاس والرصاص والحديد بجوار مدينة تشيكنت. كا سمح وجود الحديد والنحاس والمنغنيز بمنطقة مدينة جزخازكان ، الواقعة بين بحر آرال وبحيرة بالخاش بنهضة سريعة . وتعتبر مدينة آلماأتا عاصة جهورية كازاخستان ، التي ارتفع عدد سكانها إلى أكثر من نصف مليون ، مركز صناعات ميكانيكية بعد أن كانت مدينة قديمة عند أبواب الصين .

وقد أوجد قيام الصناعات وبناء المدن في قلب السهب القاحل مشاكل عديدة :

ا _ مشكلة الأيدي العاملة : ولحلها نشرت نداءات في كل الاتحاد ، من أجل الهجرة نحو هذه الجمهورية ، التي تعادل مساحتها مساحة جزيرة العرب والتي لا يسكنها أكثر من ١٥ مليون نسمة .

٢ _ مشكلة المواصلات .

" - مشكلة الغذاء: ولحلها جرت أبحاث عن إمكانيات كازاخستان الزراعية . فسهوب الشمال الرطبة نسبياً ، أصبحت من أهم عنابر قمح الاتحاد ، وقامت سوفخوزات جديدة فوق أراضيها العذراء . كا استفادت السهوب القاحلة من مشاريع الري حيث يكون الماء متوفراً . وهكذا ظهرت زراعة الحبوب والقطن لتأمين حاجة السكان المتكاثرين .

أما آسيا الوسطى السوفياتية فهي منطقة أكثر تعقيداً ، تشتل بأن واحد على صحارى مثل قره كوم وقيزيل قوم (الرمال السوداء والرمال الحراء) ، حيث تكون حياة البداوة ممكنة كا تنتشر الغوطات بمحاذاة الأنهار وعند أقدام الجبال ، حيث قامت حياة ريفية أصيلة .

وقد كانت مشكلة المياه دوماً هي المشكلة العويصة في هذه المناطق كا تذكر ذلك كتب التاريخ . كا زادت المشكلة تعقيداً منذ أن عهدت البرامج الخسية إلى آسيا الوسطى بالوظيفة الرئيسية ، وهي تأمين القطن اللازم للاتحاد السوفييتي .

والواقع تسام الشروط الطبيعية ونظام المياه على ازدهار هذه الزراعة ، لأن ٢٢ إلى ٤٠٪ من مياه الأنهار ، تجري بين تموز وشهر آب ، وهي فترة الري الحثيث لمزارع القطن . وعلى كل يجب تقوية شبكة الري المتباعدة ، وهكذا تم بناء أقنية عديدة ابتداء من نهر سيرداريا وفي وإدي فرغانة الغني ، وكذلك ابتداء من نهر تشو ، الذي يصب في بحيرة بلخاش ومن نهر زارفشان المار من مدينة سمرقند . ومن جهة أخرى يتم حالياً بناء قناة جبارة ابتداء من نهر آموداريا باتجاه الغرب ، لتموين نهر مورقاب ونهر تيجن ، وهما نهران هزيلان يستنزف الري مياهها بسرعة وتستمر حتى مدينة عشقباد قرب الحدود الإيرانية . وقد أدت هذه المشاريع الختلفة إلى انتزاع مئات الآلاف من المكتارات على حساب الصحراء ، وأصبحت تزرع قطناً بالتناوب مع البرسيم لتغذية الماشية . ولا تزال زراعات تقليدية تزدهر إلى جانب القطن وخاصة زراعة الأشجار المثمرة ، مثل الجوز والمشبش والتفاح ، والمزروعات الحقلية كالبطيخ والحص والبزاليا والبندورة . وتظل قيرغيزنا منطقة هامة لتربية الماشية ولا سيا الأغنام .

وهكذا أدى التجهيز الحديث وتطبيق الطرائق العلمية الزراعية ولا سيا توسيع شبكات الري إلى تثبيت الطابع الريفي للمنطقة ، التي تعتبر المنطقة الزراعية الوحيدة التي يتزايد سكانها الريفيون بسرعة في الاتحاد .

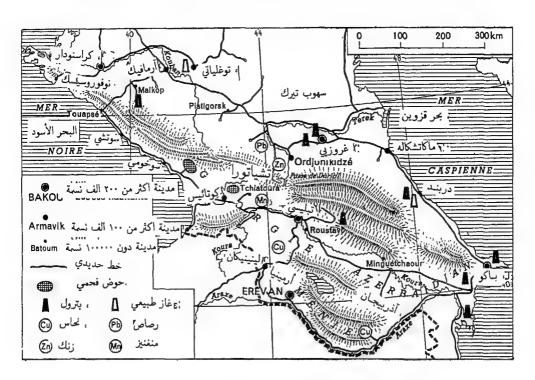
وتكون الموارد الصناعية هنا متنوعة ولكنها مبعثرة وعسيرة الاستغلال أحياناً: فيوجد بالمنطقة مكامن فعم صغيرة ونحاس وزنك . كا يوجد البترول في أوزبكستان ، ولا سيا في تركانستان إلى الجنوب من كراسنوفودساك الواقعة على الضفة الشرقية لبحر الخزر . ولكن الصناعة الرئيسية هي صناعة النسيج ، التي تؤدي إلى توسع المدن الإسلامية القدية . فدينة طاشقند عاصة أوزبكستان التي يزيد عدد سكانها على المليون ، والتي أصابها الزلزال عام ١٩٦٦ وخرب شطراً كبيراً منها ، تعتبر عقدة مواصلات هامة وعاصة ثقافية ، تصنع قطن منطقتها علياً ، وعلى كل تحتل جمهورية أوزبكستان المكانة الخامسة بالاتحاد من حيث أهية إنتاجها الصناعي . كا تنسج مدينة فرونزة عاصة جمهورية قيرغيزيا الجوت . كا يجري غزل الحرير الطبيعي في دوشنبه ولينيناباد في جمهورية تاجيكستان . كا قامت مجدداً صناعة حرير طبيعي نامية في مدينة عشقباد العاصمة التركانية . كا لا تزال هناك صناعة حرير رفيعة وسجاد ممتاز في بعض المدن التقليدية ضمن إطار صناعة حرفية شرقية ، كا في بخارى وسمرقند .

بلاد القفقاس: لقد كانت جبال القفقاس خلال مدة طويلة تلعب دور حاجز هائل يعيق الاتصال بين الشال والجنوب، وظلت مدة طويلة ملجأ لشعوب المناطق المنخفضة، إذ لا نجد فيها سوى عمراً واحداً هو عمر داريال على ارتفاع ٢٣٧٩ م، يصل بين مدينة أورجونيكيدزه (فلاديقوقاز) وبين مدينة تبليسي (تفليس) . وتنتشر هنا القرى المحصنة التي تسمى « عاوول » على السفوح الصخرية وتزرع حقولها الصغيرة بالحبوب والأشجار المثرة . كا تنتشر

تربية الماشية فوق المراعي الجبلية وفي المراعي المروية في الوديان ، كالأبقار بالغرب والأغنام بالشرق . ولا تزال صعوبة المواصلات تحول دون استغلال الغابات على نطاق واسع .

هذا ويجدر بنا أن غيز بين القوقاز الشالي والقوقاز الجنوبي . فالشالي غني جداً بالفحم والغاز والنفط ، وبالمعادن غير الحديدية كالرصاص والزنك والتنفستين والموليبدين (شكل ٢١) .

وينتج القوقاز الشمالي ٣٥ مليون طن فحم معظمها من الانتراسيت . كا تنتج مصانع روستوف الجرارات والحصادات الدراسات ، كا تنتج الصناعة



بلاد القفقاس

الشكل ٢١

الكياوية في شمال القوقاز الأسمدة الكياوية والبارافين والأحماض الدهنية التركيبية والمواد البلاستيكية إلخ . كا تنتج مدينة نوفورودسيسك من الإسمنت ما يعادل عشر إنتاج جمهورية روسيا الاتحادية كلها . ولكن ميزة القوقاز الشمالي تكن في زراعته ، فهو يقدم للبلاد الكثير من القمح واللحم والحليب والمنتجات الغذائية الأخرى .

وإلى الجنوب من السلسلة الجبلية الرئيسية نجد منخفض ما وراء القفقاس ، وهو أكثر سكاناً ونشاطاً رغم تجزؤ التضاريس . ففي الشرق تقع جمهورية آذربيجان (شكل ٢٢) وجمهورية جيورجيا (الكرج) بالغرب . وتملك آزربيجان مكامن حديد ، ولا سيا البترول بجوار مدينة باكو .

فني هذه المدينة التي لعبت دوراً ثقافياً رائعاً في العلوم الثقافية والإسلامية ، والتي تضم الآن أكثر من مليون ونصف نسمة ، نجد اليوم فيها مركزاً تكنيكياً وعلمياً رئيسياً لصناعة البترول . ولكن احتياط حوضها البترولي في تناقص وإنتاجه في تناقص أيضاً ، إذ لم ينتج سوى ١٥,٣ مليون طن عام ١٩٥٥ و ٢١,٤ مليون طن عام ١٩٦٥ عدا عن ٥,٥ مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي ، ولكن استغلال البترول أخذ يمتد في عرض بحر قزوين ، إذ قامت مدينة عائمة ٢٠٠٠ نسمة فوق جزيرة اصطناعية على مسافة ٧٠ كم من الساحل ، تحيط بها أبراج آبار النفط المرتكزة على جزر معدنية .

والجدير بالذكر أن آزربيجان تنتج من الكهرباء أكثر من تركيا وإيران والباكستان وأفغانستان جميعاً ، مع أن عدد سكانها لا يزيد عن ٦ ملايين نسمة .

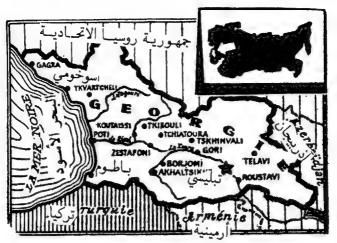
ويزرع السهل اللحقي الذي يشكله كل من نهر آراكس ، المحاذي للحدود التركية ونهر كورا الذي يصب جنوب باكو ، بالقطن والرز حالياً بعد إنجاز مشاريع الري ، بينا كان بالماضي عبارة عن منطقة تربية ماشية بسيطة .

وتقع جمهورية جيورجيا (الكرج) في الغرب وتتمتع بمناخ عـذب ورطب . وهنا يكون السكان الريفيون كثيفين فوق التلال التي تزرع فوقها الأشجـار المثرة والكرمـة والشـاي والتوت ، كا تم تجفيف مستنقعـات الكولشيـد جـزئيـاً ، حيث

يزرع مكانها القطن والحمضيات . هذا وتتوسع الصناعات بفضل القوى الكهربائية الوفيرة والمناجم التي تنتج الفحم والمنغنيز بجوار مدينة تشياتورا . وينتج أول معمل للحديد والذي تم بناؤه عام ١٩٥٠ مقدار ٢٠٠٠٠ طن من الفولاذ . وتنتشر على الساحل محطات السياحة كا في سوخومي ، حيث يقصدها الكثيرون في كل الفصول . وتصدر مدينة باطوم البترول القادم إليها بالأنابيب من حوض باكو . وتتوسع العاصمة تفليس (أكثر من مليون نسمة) بسرعة بفضل صناعاتها اليكانيكية : كالمكائن النسيجية والتجهيزات الكهربائية والنسيج .

أما جمهورية أرمينيا فتقع إلى جنوب المنخفض المذكور آنفاً ، وهي منطقة مرتفعة وجافة .

وهنا تمارس المزروعات المروية في الأحواض الصغيرة وفي الوديان كزراعة العلف والقطن والتبغ ، كا نجد تربية الأغنام فوق المرتفعات . وقد ساعد استغلال الفلزات كالنحاس وموارد القوى الكهربائية على قيام صناعات حديثة ، تنشط في المدن مثل العاصة أريفان (مليون نسمة) ، حيث نجد المعامل الغذائية والنسيجية والكياوية .



الشكل ٢٢

قوة الاتحاد السوفييتي الاقتصادية

لقد انتقل الاتحاد السوفياتي خلال نصف قرن ، بفعل حركة التصنيع السريعة ، من دولة ثانوية في عام ١٩١٧ ـ فيا عدا إنتاجها الزراعي ـ إلى ثاني دولة بالعالم من ناحية القوة الاقتصادية . فهي تنتج ١٧,٢ ٪ من الإنتاج الصناعي العالمي مقابل ٢,٦ ٪ في عام ١٩١٣ . غير أن هذه القوة لا تخلو من نقاط الضعف والنواقص .

أولاً ـ الإنتاج الزراعي:

لقد ظل تقدم الإنتاج الزراعي في خلال ٥٠ عاماً بطيئاً في معظم القطاعات ، ولكن الآن وبفضل تقدم الصناعة السريع وخاصة إنتاج الأسمدة والمكائن أصبح هذا التقدم سريعاً: فالمردود في ارتفاع ، كا تتوسع الرقعة المزروعة بسرعة ، إذ بعد أن كانت لا تمتد على أكثر من ١١٨ مليون هكتار عام ١٩٦١ ، ارتفعت إلى ١٤٨ في ١٩٥٠ ، ثم قفزت إلى ٢٠٥ ملايين عام ١٩٦١ أو حوالي عشر رقعة البلاد أو ضعف مساحة مصر .

المزروعات: تحتل الحبوب المكانة الأولى في هذه المساحة المذكورة أو ١٧ ٪ من إنتاج قدره ١٩١١ مليون طن عام ١٩٦٨ ، و ١٩٦٦ مليون طن عام ١٩٧٨ مقابل ٨٠ مليون ١٩١٣ . ويعتبر القمح العنصر الأساسي في زمرة الحبوب ، ويمنح الاتحاد السوفييتي المكانة الأولى بالعالم ، إذ قارب إنتاجه ١١٥ مليون طن في ١٩٧٨ كي يبط إلى ٨٨ مليون طن في ١٩٨٨ (شكل ٣٢) . وبفضل التقدم التقني والعلمي لم يعد القمح محصوراً بالأرض السوداء ، بل توسع على حساب الجاودار الذي ظل النوع الوحيد من الحبوب في الشال والغرب ، ولكن يظل الاتحاد السوفياتي أول منتج عالمي للجاودار ، كا يؤمن الشعير والشوفان أيضاً المكانة الأولى للاتحاد .

المناطق الزراعية في الاتحاد السوڤييتي الشكل ٢٢

وقد بذلت جهود كبيرة منذ بضعة أعوام ، من أجل التوسع في زراعة الذرة الصفراء بقصد دع تربية الماشية فتوسعت رقعة الذرة حتى جبال القفقاس الشالية وفي المناطق الشالية حتى جوار موسكو . كا يزرع الرز إلى الجنوب من جبال القفقاس وفي آسيا الوسطى ولكنه في تقهقر .

ويحتل القطن بين الزراعات الصناعية مكانة الصدارة في اهتام الحكومة باسترار . فتقدم لدرجة أصبح يتجاوز حالياً ٥,٦ ملايين طن من القطن الخام . ولكن هذا الرقم يظل دائماً دون الحاجات . لهذا هناك اتجاه نحو زيادة المردود في المناطق القطنية التقليدية ، فارتفع مردود الهكتار من ١٩ كنتال عام ١٩٥٥ إلى ٢٢ كنتال بالعام التالي في أوزبكستان التي تنتج ٧٠ ٪ من القطن السوفييتي ، أو ما يعادل إنتاج البرازيل والباكستان وتركيا وإيران من هذه المادة . وبلغ المردود في تركانيا النسبة نفسها في عام ١٩٦٦ إذ أنتجت ٥٠٠٠٠٠ طن (١) .

⁽٢) يعتبر القطن مادة أولية ذات قية كبيرة بالنسبة لفروع صناعية عديدة . أمن طون واحد من القطن الخام عكن صنع ٢٠٠٠ متر من النسيج ومقددار ١٠٠ إلى ١١٥ كنغ من السزيت و ٢٠٠ إلى ٢٥٠ كنغ من الكسبة و ٣٠٠ كغ من الصابون . هذا كا يصنع من ألياف القطن أنسجة لعجلات السيارات ، وحرير اصطناعي ، وصباغات ومواد بلاستيكية ، ولباد . كا تقدم أعواد نبات القطن الفول الاتبليكي والورق والسيللوز والأغذية للماشة .

وقد توسعت زراعة القطن بالاتحاد السوفييتي بشكل خاص منذ استلام السوفييت زمام السلطة . ففي ١٩١٢ كان القطن لا يغطي في روسيا القيصرية سوى ١٩٠٠٠ هكتار ، وكان مردود الهكتار وسطياً ١٠,٨ كنتال . وحالياً تشغل مزارع القطن أكثر من ٢,٤ ملايين هكتار . وفي عام ١٩٦٥ أنتج الاتحاد السوفييتي ٥٦٠٠٠٠ طن من القطن الحام ، أي سبعة أضعاف إنتاج ما قبل الثورة .

وفي الوقت الحاضر يحتل الاتحاد السوفياتي الدرجة الثانية بالمالم في إنتاج القطن وأول مكانة من ناحية المردود . ففي عام ١٩٦٤ كان مردود المكتار في الولايات المتحدة ٥٧٨ كغ من شعرة القطن مقابل ٥١٥ كيلو في الاتحاد السوفييتي .

ويقطف حالياً نصف الإنتاج السوفييتي من القطن الخام بواسطة الماكنات القاطفة ، التي كان يزيد عددها عام ١٩٦٦ عن ٢٠٠٠٠ ماكنة ، واستطاعت هذه الآلات أن تقطف ٢٠٠٠٠ طن قطن خام عام ١٩٦٢ ، ولكنها في العام ١٩٦٥ قطفت ربع الإنتاج السوفييتي تقريباً أو ١٩٦٠ مليون طن مما يعادل ٢٢,٢ ٪ من الإنتاج الكلي . وارتفع عدد ماكنات القطف ٤٠٠٠٠ عام ١٩٧٠ .

كا ازدادت المساحات المزروعة قطناً حتى في خارج آسيا الوسطى ، فأصبح القطن يزرع بعلاً في السهوب المجاورة للبحر الأسود . ولكن الاتحاد السوفييتي يحتل المكانة الأولى في إنتاج الكتان ، الذي يقتسم الأرض مع البطاطا في روسيا البيضاء وفي المنطقة الوسطى وإنتاجها الوسطي ٨٥ مليون طن . كا يحتل نفس الدرجة في مضار زراعة الشوندر السكري الذي بلغ إنتاجه ٩٤ مليون طن في عام ١٩٧٨ ، التي كانت زراعته في أوكرانية قد تقدمت خلال الحرب حتى القفقاس الشمالي وآسيا الوسطى وسيبريا . وبعد أن كان عبّاد الشمس يزرع منذ القديم في الحدائق الروسية ، أخذ يمتد في أوكرانية وفي قيرغيزيا حيث أخذت زراعة الصويا بالظهور .

وهناك الزراعات الخاصة التي تتطلب عناية فائقة والمختصة بالمناطق الحارة ، وهي الشاي والكرمة والحضيات التي تزرع في شبه جزيرة القرم وعلى سفوح القفقاس المشمسة ، وفي الواحات الواقعة عند أقدام جبال آسيا الوسطى ، ويتقدم مجال هذه المزروعات مع تقدم علم البيولوجيا .

تربية الماشية وصيد الأمماك: _ علك الاتحاد السوفياتي ما يقارب ١١٥ مليون رأس من الأبقار في مناطق الغابات ولاسيا في روسيا البيضاء وفي منطقة لينينغراد، فضلاً عن ١٤٠ مليسون رأس غنم في سهوب الجنسوب وهي الأراضي التقليدية لتربية الماشية، وفي الجهوريات الإسلامية، حيث لازال الانتجاع نحو الجبال ملحوظاً. ولكن هذه الأرقام لاتستجيب لحاجات السكان من المنتجات الحليبية ومن اللحم، وهي حاجات ازدادت مع توسع المدن ومع تزايد القوة الشرائية. ويقول السوفيات أن هناك عدة عوامل تؤدي إلى هذا النقص: فقد أدت الحرب إلى فناء القطيع كا أن قطاع تربية الماشية لا يخضع كغيره للمكننة وللجاعية لحد كبير (لأن تربية الماشية الفردية الكولخوزية لا تزال تجريبية ويعتل مكانة كبيرة)، كا يلاحظ في كثير من المناطق عدم توسع زراعة العلف، ويعتد لحد كبير على استيراد العلف من المناطق الأخرى، ولتلافي هذه النواقص ويعتد لحد كبير على استيراد العلف من المناطق الأخرى، ولتلافي هذه النواقص

اتخذت عدة حلول كتوسيع زراعة الذرة الصفراء ، وحتى في المناطق التي لاتنضج فيها باعتبارها علفاً ممتازاً ، وزيادة عدد الخنازير بشكل مدهش إذ قفز عددها من ٢٢ مليون عام ١٩٨١ ، وخاصة استغلال مراعي واسعة في كازاخستان وفي سيبريا وإقامة سوفخوزات متخصصة .

ويحتل الاتحاد السوفياتي الدرجة الثانية: ١ ملايين طن ، في مضار وزن الأسماك التي يصطادها خلف اليابان مقابل ١٠,٧ ملايين طن أو ١٢٪ من صيد سمك العالم . ويمارس الصيد منذ عهد طويل في بحر الخزر وبحر آزوف (سمك الرنجة والسردين الخ) ، ولكنه أخذ يمتد إلى بحر اوخوتسك وفي المصبات الكبرى . كا أن هناك مشاريع لاستغلال الثروة السمكية بالأنهار ، ولاسيا في البحار الاصطناعية المتشكلة خلف السدود . وأصالة الصيد في الاتحاد السوفييتي تعود لسعة البلاد وصعوبة توصيل الأسماك للمدن ، لهذا تحتل معامل تعليب السمك مكانة جوهرية ، وتقوم معامل جديدة وخاصة في المناطق النائية كضفاف الحيط المتجمد الشمالي وسواحل الشرق الأقصى .

ثانياً: الإنتاج الصناعي:

الطاقة مان على الاتحاد السوفييتي كي يتحول إلى دولة صناعية عظمى أن يعمد أولاً إلى زيادة إنتاجه من الطاقة ، ومن ثم توزيع هذه الطاقة في كل البلاد .

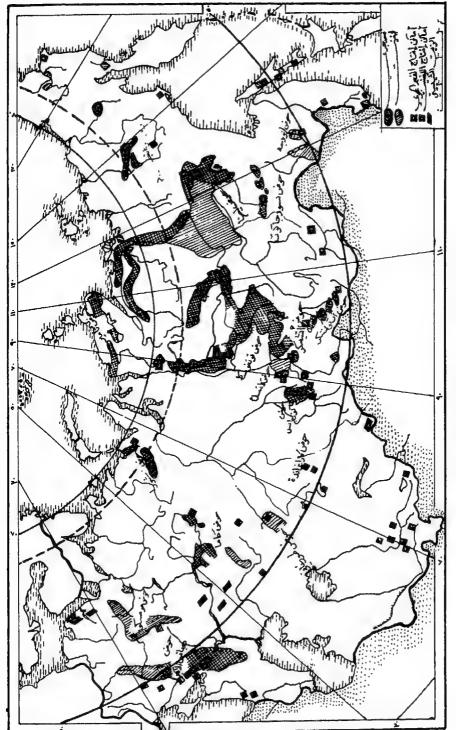
ولا يزال الأساس الرئيسي لإنتاج الطاقة هو الفحم ، الذي ينتشر ذخره الهائل على سائر المناطق ويعادل ٢٠٪ من الاحتياطي العالمي مع ظهور عدم التوازن بين القسم الأوربي الذي لا يجوي أكثر من ٨٪ وبين القسم الآسيوي الذي يحتوي على ٩٢٪ من الاحتياطي السوفييتي . وبعد أن كان الإنتاج الكلي يتجاوز ٢٩ مليون طن عام ١٩٥٧ ، كا ارتفع في عام ١٩٧٨ إلى ٥٠٠ مليون طن و ١٦٠ مليون طن من فحم الليغنيت ويقدر إنتاج الفحم عوماً بـ ٥٠٠ مليون طن في ١٩٨٠ . وهكذا أصبح الاتحاد السوفياتي أول دولة منتجة للفحم بالعالم منذ ١٩٥٩ ، ويعتقد الآن أن الصين الشعبية تحتل المكانة الأولى .

لايزال حوض الدونتر ، الذي تناقصت أهميته النسبية من ٧٧٪ من الإنتاج في ١٩٢٨ و ٢٠٠ في في ١٩٦٥ و ٢٠٠ حالياً ، لايزال يحتفظ بدور جوهري لإنتاجه المؤلف من فعم انتراسيت ومن فعم الكوك الممتاز ، واستطاعت البحوث الأخيرة أن تحدد هذا الحقل حتى منطقة الدنيبير . أما في بقية المنطقة الأوروبية فإن الإنتاج يكون أقل أهمية ، مثل حوض موسكو الذي يحوي فحاً رديئاً ولكنه يستملك محلياً ، وحوض بتشورا في الثال ، الغني بفحم الكوك ، وأحواض الأورال ، ذات يستملك محلياً .

وتملك المناطق الشرقية احتياطات هائلة ، بعضها لم يبدأ استغلاله إلا منذ عهد قريب جدا كحوض تونغوزسكا وحوض نهر لينا . أما حوض كوزباس الواقع عند أقدام جبل الطائي ، فيحوي ما لايقل عن ٤٥٠ مليار طن من فحم الانتراسيت ومن فحم الكوك ، كا أن استغلاله يكون ميسورا ، وأحيانا في حقول مكشوفة ، وكذلك شأن حوض قراغندا الذي يقع بجوار المكامن المعدنية في كازاخستان ، والذي ينتج قرابة ٥٠ مليون طن بالعام . ومنذ عشرين عاماً بدأ استغلال عدة مكامن فحم هامة في سيبيريا الوسطى والشرقية : كأحواض ايركوتسك ـ تشير يمخوقو ، وزيابوريا ، وساخالين . أما في ما وراء الدائرة القطبية ، كا في ياقوتيا وفي شمالي كازاخستان ، فقد امتدت يد والاستغلال لمناجم جديدة كلما تقدمت عملية التصنيع نحو الأمام .

وقد أخذ مركز الثقل في الإنتاج الفحمي بالانتقال نحو الشرق بسرعة أكبر من سرعة الصناعات ، وهذا يخلق مشاكل عديدة في مجال التوزيع والنقل ، أضف إلى ذلك تمركز ثلثي الإنتاج في أربعة أحواض وهي : الدونتز وموسكو وكاراغندا وكوزنتسك (شكل ٢٤) .

وقد تسارع إنتاج النفط منذ ١٩٥٠ لتأمين الحاجات المتزايدة إليه ، ولا سيا مكننة الزراعة . وقد ساعد على هذا التزايد ، استغلال مكامن جديدة . وبلغ الإنتاج عام ١٩٧٣ / ٤٢١/ مليون طن فاحتل الاتحاد الدرجة الثانية بإنتاج يعادل ١٩٥٣٪ من الإنتاج العالمي مقابل ٩٨,٣ مليون طن عام ١٩٥٧ ، وصعد هذا الإنتاج إلى ٩٧٠ مليون طن في ١٩٨٠ فاحتل الدرجة الأولى بالعالم .



الأحواض الفحمية في الاتحاد السوڤييتي الشكل ٢٤

لقد أخذت أهمية حوض باكو النسبية والمطلقة في التناقص فأصبحت الآن تعادل ٥٪ مقابل ١٠٠ في ١٩٦٤ و ٧١٪ في ١٩٤٠ . ويستقر إنتاجه حول ١٥ مليون طن بفضل إستغلال الاحتياطات العميقة والطبقات المتدة تحت مياه بحر قزوين . وإلى الشال من جبال القنقاس ، تنتج مناطق مايكوب وغروزيني وداغستان عدة ملايين من الأطنان . ولكن حوض أورال ـ الفولفا « أو باكو الثانية » فقد شهد نهضة تظاهرية . ويقدم الآن أكثر من نصف إنتاج الاتحاد . ويكل حوض بتشورا ، وحوض ايبا ، وحوض أقدام جبال الكاربات ، أي حوض بوريسلاف مصادر النفط في الجزء الأوروبي من الاتحاد . وقد تكشفت المناطق الشرقية عن ثروات ضخمة من الغاز والنفط ، ولا سيا في سيبريا الغربية ، وتنتج أحواض خاتنفا السفلي في الدائرة القطبية ، وأحواض ساخالين ، وأحواض آسيا الوسطى « تركستان » مثل فرغانة ونفط داغ على بحر الخزر ، قرابة ٢٠ مليون طن بالعام .

ويتزايد إنتاج الغاز الطبيعي لحد كبير رغم العقبات الشديدة ، كعدم كفاية إنتاج الأنابيب فبلغ الإنتاج عام ١٩٦٢ مقدار ٦١ مليار متر مكعب و ٣٧٢ مليار م في ١٩٥٨ مقابل ٢٠,٢ مليار م عام ١٩٥٧ استخرجت من مكامن استونيا وغاليسيا وأوكرانيا الشرقية وساراتوف وسيبريا الغربية . وتشير التقديرات إلى أن الاتحاد ينتج مقدار مليون طن من زيت الشيست ، ومليون طن من الوقود السائل التركيبي من الفحم الحجري .

ومنـذ بـدء النظـام السوفييتي كان الانتبـاه متجهـاً نحو إنتـاج الكهربـاء ، فارتفع إنتاجها من ٢ مليار كيلوواط ساعي عام ١٩١٣ إلى ٢٠٩،٥ مليار عام ١٩٥٧ وإلى ٩١٤ مليار في عام ١٩٧٣ وإلى ١٣٢٥ مليار ك و س في ١٩٨١ .

لا يزال نصيب المراكز الكهربائية الحرارية التي يكون بناؤها سريماً ، لا يزال هو المسيطر إذ يقدم حوالي ٧٥٪ من الطاة ة . ويسمح إنتاج الكهرباء الحرارية باستغلال بعض مصادر الطاقة القليلة القدرة الحرارية : كالطورب ، الواقع بعيداً عن مناطق أحواض الفحم الكبرى ، في الوسط وفي الشال الغربي ، والخشب الذي لا زال يلعب دوراً لا يستهان به .

وعلى كلٍ فإن إنتاج الطاقة الكهربائية في تزايد . والواقع تبدو الاحتياطات جسية بفضل غزارة الأنهار ووجود قلادة جبلية جنوبية ، كا تكون كلفة إنتاجها أقل مجوالي ٨٠٪ عن إنتاج الطاقة الحرارية . وقد تم بناء أول مركز في ١٩٢٦ وهو مصنع قولحوڤ الصغير ، ثم راحت المراكز الكهربائية

تتزايد وأصبحت أكثر جسامة بكثير . وهكذا ينتج معمل كويبيشيف في كامل دورانه ١١ مليار كوس بالعام أو ١٥ مرة إنتاج سد الفرات . أما المناطق التي يتسارع تجهيزها فهي المناطق الجودية في الشمال الغربي ، ومناطق التضريس الألبي كا فيا وراء الكاربات والقوقاز وجبال أرمينيا ، والأنهار الكبرى في القسم الأوروبي كنهر الدنيستر والدنيبير ولا سيا « نهر الفولغا » وحافة آسيا الوسطى .

وتتجه الجهود اليوم نحو أنهار سيبريا : مثل نهر ايرتيش ، أوب ، ينيسيئي وآنغارا الـذي يصرف مياه بحيرة بايكال ، حيث تم بناء مركز براتسك ، بعد سد ابركوتسك ، وهو أكبر سد في العالم .

ويهتم الاتحاد السوڤياتي في الوقت الحاضر بإقامة منظومة طاقة كبيرة موحدة بالنسبة للقسم الأوروبي أولاً ، وذلك بربط شبكات الأورال بالمركز والجنوب بخطوط ذات توتر عال . ولكن يجب أن نشير إلى أن ميزانية الطاقة بالاتحاد السوفييتي لا تزال تتعادل مع الفحم ، الذي يقدم ٥٠٪ من الطاقة . غير أن التطورات الحالية تجنح نحو تغير هذا التوازن بفضل الإنتاج البترولي المتزايد ، وكذلك إنتاج الغاز الطبيعي والاستعال الكثيف للطاقة الذرية ، لأن هناك مركزاً كهربائياً يعمل بالطاقة الذرية منذ عام ١٩٥٤ .

الفلزات المعدنية: _ يتجاوز ذخر الاتحاد السوفييتي من فلزات الحديد ٥٠٪ من الاحتياطي العالمي العروف . فالقسم الأوربي بحوي على مكن كريفوئيروغ الكبير ، فضلاً عن أن ذخر منطقة كورسك بلغورود حيث تؤدي الكتلة المتكدسة إلى شذوذ مغناطيسي ، ومكامن الأورال في ماغنيتوغورسك وفي كيرتش وفي كولا . كا أدت الاكتشافات الجديدة إلى إغناء المناطق الآسيوية كا في كازاخستان حول ايركوتسك ، وفي الشرق الأقصى في منطقة ياكوتيا . ويبلغ الإنتاج الكلي ١٥١ مليون طن من الفولاذ في ١٩٧٨ أي الدرجة الأولى بالعالم ، وأصبح الاتحاد السوفياتي أول دولة في العالم في إنتاج الفلزات الحديدية .

وتبدو مكامن المنحاس هامة كا في مناجم بلخـاش وكاراغنـدا والأورال . ويحتل الاتحـاد المكانـة الأولى في إنتاج المنغنيز وفي الاحتياط لأن إنتاجه يعـادل ٥٠٪ من الإنتـاج العـالمي ، ويتركز ذلـك في

أوكرانيا ، وفي ما وراء القفقاس . ويستخرج البوكسيت من منطقة لينينغراد والأورال وكازاخستان وتكثر المعادن الأخرى غير الحديدية في القفقاس والأورال وجبال آلطائي وسواحل المتجمد الشالي (كالنيكل في منطقة نوريلسك) . ويعتقد أن إنتاج الاتحاد من الذهب يعادل نصف إنتاج العالم من هذه المادة .

وإليكم مركز الاتحاد السوفييتي في العالم في مضار صناعة المعادن غير الحديدية :

	الفلزات	المدن	
المنيوم	الرابع	الثاني	
النحاس	الثاني	الثاني	
الرصاص	الأول	الأول	
الزنك	الثاني	الأول	

وتستخدم الصناعة الكيماوية مكامن الفوسفات الضخمة في شبه جزيرة كولا والبوتاس في الأورال وآسيا الوسطى ، كا تستغل أكبر احتياطات العالم من ملح الصودا من خليج قره بوغاز على بحر الخزر.

الصناعات: _ لقد قامت الصناعات الثقيلة والتحويلية بصورة تقليدية في المناطق الغنية بموارد الطاقة أو المعدنية ، كنطقة موسكو وأوكرانيا والأورال ، في الكوزباس ، ومنطقة كاراغندا . أما الآن فان الصناعة تتجه نحو مناطق لم تكن تنتج بالماضي سوى الطاقة أو المواد الخام ، كا في منطقة الفولغا ومنطقة بايكال والشمال الأقصى وياكوتيا . كا نلاحظ أخيراً أن المناطق الهامشية تقوم بجهد كبير نحو التصنيع .

وتعتبر الصناعات التجهيزية الشغل الشاغل للحكام السوفييت ، الذين يعتقدون أن نهضتها الكبرى هي التي تؤمن للبلاد قوة اقتصادية متينة . كا أن صادرات أدوات التجهيز الصناعي نحو الأقطار الاشتراكية كالجهوريات الشعبية ونحو الأقطار المتخلفة ، كالهند والبلاد العربية تساهم في منح الأولوية للصناعات الثقيلة . وقد أنتجت الصناعة الحديدية عام ١٩٦١ مقدار ٦١ مليون طن من

الفونت (الصهير) مقابل ٢٧ مليون طن عام ١٩٥٧ و ١٥١ مليون طن من الفولاذ عام ١٩٧٨ مقابل ٥١ مليون عام ١٩٥٧ ، وتقدم منطقة الأورال وأوكرانيا (دونباس والدنييبر وسواحل بحر آزوف) والمنطقة الوسطى وكوزباس القسم الأعظم من هذا الإنتاج ، فضلاً عن مناطق إضافية جديدة مثل لينينغراد بالنسبة لأنواع الفولاذ الكهربائية ، وما وراء القفقاس ، وسيبريا الوسطى والشرق الأقصى .

أما بالنسبة لصناعة المعادن غير الحديدية ، فإن الإنساج كان أيضاً سريعاً ، ويضع الاتحاد السوفييتي بين أكبر المنتجين ويعادل ٧٠٠٠٠٠ طن من النحاس وأكثر من ٢ مليون طن من الألنيوم . لأنه أنتج ١,١ مليون طن ألمنيوم عام ١٩٦٤ و ٢,٥ مليون طن بوكسيت ، أي الدرجة الثانية بعد الولايات المتحدة التي أنتجت عام ١٩٦٤ مقدار ٢,٣ مليون طن ألمنيوم . وتقع مصاهر النحاس في أماكن الاستخراج كا في الأورال التي تفوقت عليه منطقة كازاخستان وكوزياس ، كا أن الاستحصال على الألمنيوم يرتبط بإنتاج الكهرباء الرخيصة ، فيكون ذلك هاماً في منطقة لينينغراد والدنيبر في سيبريا حول المراكز الكهربائية الجديدة .

إن أكثر القطاعات تطوراً هي الصناعة المعدنية التحويلية ، التي تساهم في تجهيز البلاد . فصانع آلات وتجهيز الصناعة التي كانت متركزة قبل الحرب في المناطق الأوربية ، أخذت تنتشر في سيبريا الوسطى كا في نوفوسيبيرك وكراسنو يارسك وفي الشرق الأقصى . وفي ١٩٨١ أنتجت صناعة السيارات مقدار ١٣٢٤٠٠٠ سيارة سياحية و ٨٧٣٠٠ سيارة نفعية مقابل ٥٥٣٥٠٠ سيارة عام ١٩٦٢ كان ٧٥٪ منها عبارة عن سيارات نفعية .

ورغم أن هناك رغبة في تجنب المركزية في الإنتاج ، فإن المعامل الرئيسية لا تزال موجودة في المنطقة الوسطى ولا سيا موسكو ، التي تحوي على معامل سيارات موسكو فيتش الصغيرة . وعلى نهر الفولغا (غوركي) وفي الأورال وقد اتفق الاتحاد مع شركة فيات الإيطالية لإقامة معمل ينتج سنوياً ٢٠٠٠٠٠ سيارة ابتداء من عام ١٩٦٨ وتدعى « لادا » . ويبلغ إنتاج الجرارات ١٩٦٨ وحدة

عام ١٩٨٠ مقابل ٢٠٤٠٠ جرار عام ١٩٥٧ (في خاركوف وستالينيغراد والأورال) ، ويتبعثر إنتاج المكائن الزراعية في المراكز الصناعية في أوكرانيا وعلى الفولغا وفي الأورال وحالياً في سيبريا . وتصنع تجهيزات القطارات في المناطق الصناعية القديمة . كا تصنع الطائرات في منطقة الأورال الغربية كا في مدينة بيرم وأوفاوتشكالوف .

أما الترسانات البحرية فتضع الاتحاد السوفييتي في المكانة الخامسة بالعالم بإنتاج سفن تبلغ حولتها ٢٥٠٠٠٠ طنة بالسنة ، يتم بناؤها في موانيء البلطيق والبحر الأسود ، وفي مورمانسك (من أجل سفن الحيط المتجمد الشمالي) وفي ميناء فلاديفوستوك .

هذا وتحتل الصناعة الكيماوية الدرجة الثانية بالعالم ، وقد كانت نهضتها واضحة جداً بالنسبة للإسمنت ، إذ تضاعف إنتاجه تسع مرات بين ١٩٥٠ و ١٩٧٨ حيث بلغ إنتاج ذلك العام ١٩٢٧ مليون طن حيث قارب إنتاج الولايات المتحدة . وقد ازداد إنتاج الأسمدة أيضاً رغم أنه دون الكفاية . ونظراً إلى أن الجهود التي بذلت لتوسيع زراعة نباتات المطاط (كوك ساغيز) لم تعط النتيجة المرجوة ، اتجهت النية نحو التوسع في إنتاج المطاط التركيبي ، الذي يزيد عن ٢٥٠٠٠٠ طن ، ولكن النجاح كان أقل أهية في مضار إنتاج مواد البلاستيك والأصبغة والألياف الاصطناعية (كالحرير الاصطناعي والنايلون الخ) .

أما صناعات المواد الاستهلاكية ، فقد كان تقدمها بطيئاً ، ولكن الفارق بين إنتاجها وإنتاج صناعات التجهيز ، يجنح تدريجياً للتضاؤل . وهكذا أنتج الاتحاد ٧,٣ ملايين جهاز تلفزيون عام ١٩٥٩ مقابل ١,٢٧ مليون عام ١٩٥٩ و ٥ مليون ماكنة غسيل ١٩٧٦ .

وتحتل الصناعة القطنية المكان الأول بين الصناعات النسيجية ، وتتركز حول موسكو وبالدرجة الثانية في لينينغراد . وقد امتدت لمناطق أخرى

مثل آسيا وما وراء القفقاس . أما بالنسبة لمنسوجات الكتان والحرير ، فإن التزايد كان واضحاً جداً منذ بضعة أعوام فبين ١٩٥٠ و ١٩٥٦ تضاعف إنتاج الأنسجة الحريرية عشر مرات . كا أن الصناعة الصوفية انتقلت جزئياً من المنطقة الوسطى نحو المناطق المنتجة مثل أوكرانيا الجنوبية وقفقاسيا وآسيا الوسطى .

ونذكر صناعة الأحدية ضن عداد الصناعات الجلدية ، وهي غير كافية ، ولكن إنتاجها يتجاوز مع ذلك ٥٠٠ مليون زوج بالعام ، هذا عدا أحدية المطاط واللباد مقابل ٢٠٠ مليون زوج في المعام ، هذا عدا أحدية المطاط واللباد مقابل ٢٠٠ مليون زوج في المعدة بقي عبل المعناعات الغذائية فإن الاتحاد السوفييتي يحتل المكانة الثانية بعد الولايات المتحدة ، فهي تأتي في الطليعة في إنتاج سكر الشوندر والمطاحن ، وأخيراً شهدت عدة صناعات استهلاكية دفعة جديدة نشيطة مثل : الراديو ، والتلفزيون ٧,٣ ملايين ، والبرادات ٦,٢ ملايين (١٩٧٩) ، ومكائن غسيل الثياب وأجهزة التصوير .

أما صناعة البناء فتتحه أكثر فأكثر نحو إنتاج العناص الجاهزة الصنع ، ولا تزال تعجز عن مواكبة حركة العمران ، أما صناعة الخشب فهي قديرة بفضل ثروات الطايغا ولكن لا يزال إنتاج بعض القطاعات كالورق دون حدود الكفاية .

ثالثاً: وسائل النقل والمبادلات التجارية:

المواصلات: ـ تبدو مشكلة النقل شائكة في قطر فسيح الأرجاء ذي شرائط طبيعية قاسية، كالاتحاد السوفييتي. ومع هذا تضاعفت عمليات النقل الإجمالية عشرين مرة بين ١٩١٣ و ١٩٧٥ مما استدعى تمديد شبكة المواصلات واستخدامها شكل أفضل.

وتؤمن شبكة الخطوط الحديدية حوالي ٨٣٪ من المواصلات الداخلية ، بعد أن كانت لا تزيد عن ٥٧٪ في ١٩١٣ . وتكون هذه الشبكة كثيفة في القسم الأوربي ، فيا عدا الشمال . وتكون متراخية في الشرق فيا عدا حول الخط العابر سيبريا ، حيث أخذت تتفرع عنه خطوط عديدة ، ويبلغ طول الخط المذكور ٩٣٤٠ كم بين موسكو وفلاديفوستوك . ويوازي هذا الخط جنوباً خط حديدي

يدعى يوغسيب ، تم إنجازه منذ بضعة أعوام في القسم الغربي من القسم الآسيوي . ويرتبط بهذين الخطين فروع عديدة بالإضافة إلى خطوط آسيا الوسطى مثل : خط عبر الخزر ، وخط عبر آرال ، وخط كاراغندا ـ بلخاش ، وخط توركسيب . وفي الشرق نجد خط بايكال آمورسكي ماجيسترال ، الذي يوازي عابر سيبريا من الشمال . ولتسهيل المواصلات مع الصين تم تمديد خط مباشر من بايكال إلى بكين . كا تمدد خط آخر ابتداء من آلما آتا باتجاه التركستان الصينية أو سيكيانع . ورغبة في سرعة المواصلات وتوفيراً للفحم الحجري ، يجري حالياً إدخال الكهرباء للقاطرات ، كذلك محركات ديزل . ويبلغ طول الخطوط التي يستعمل فيها هذان النوعان من الجر ما يقارب ٢٥٠٠٠ كم .

كا تجري دامًا المحاولات الرامية لزيادة دور الملاحة النهرية الرخيصة نسبياً رغم عقبات التجمد الشتوي ، ويعادل دور الملاحة الداخلية ١٢٪ من مجموع المواصلات ويتزايد بسرعة . وقد تمت إعادة بناء الطريق القديمة مثل منظومة ماري بين لينينغراد والفولغا . كا تم إيجاد طرق جديدة تؤلف منظومة البحار الخسة ، وهي : قناة البلطيك ـ البحر الأبيض ـ قناة موسكو ـ الفولغا ـ قناة الفولغا ـ الدون التي تمت في عام ١٩٥٢ والتي تفتح أمام المنطقة الوسطى ، وبلاد الفولغا طريق البحر الأسود . هذا ويتزايد دور نهر الفولغا بفضل « البحار الاصطناعية » وتجهيز موانئ نهرية كبرى مثل ياروفسلافل وغوركي وكازان . أما نشاط الأنهار السيبرية فيقتصر على تعويم الأخشاب وتفريغ الفلزات المعدنية نشاط الأنهار السيبرية فيقتصر على تعويم الأخشاب وتفريغ الفلزات المعدنية ناهال .

ولا تزال شبكة الأنابيب الناقلة للنفط والفاز محدودة ، فلا تؤمن أكثر من ٣٪ من النقليات ، وستؤدي سرعة بنائها إلى تخفيف أعباء النقليات النهرية ، وخاصة الحديدية وأهمها أنبوب سيبريا الممتد حتى تشيكوسلوفاكيا .

أما دور النقليات البرية فلا يزال ضعيفاً ، إذ لاتنقل السيارات أكثر من ٨٪ من البضائع و ١٦٪ من المسافرين ، إذ لاتزال السيارات الحاصة قليلة ومعظمها من النوع العائد للنفع العام .

وتسام الشروط الطبيعية في جمل بناء الطرق الحديثة عسيراً ، لهذا تظل الشبكة محدودة . وأم طرق السيارات العريصة نجدها حول موسكو . ولا يكن اعتبار النقل البري أكثر من عامل مساعد للنقليات على الخطوط الحديدية .

وعلى خلاف ذلك نلاحظ أن المواصلات البعيدة المدى ، أي النقليات الجوية ، تكون ناجعة . فيبلغ طول الخطوط الجوية ٢٧٥٠٠٠ كم التي ازدادت حركة الطيران عليها بحوالي عشرين مرة منذ وأكثر هذه الخطوط نشاطاً هو خط الشرق الأقصى الذي يربط موسكو بمدينة خاباروفسك بواسطة الطيارات النفاثة بمدة ٩ ساعات . وفضلاً عن الخطوط الجوية الكبرى التي تنطلق من موسكو ، نجد خطوطاً ثانوية بين المدن الرئيسية وخاصة الخطوط التي تصل بين مدن ساحل الحيط المتجمد الشالي . كا تنشط خطوط الطيران الدولية مثل موسكو - بكين وموسكو - نيويورك . وموسكو - باريس عبر براغ . وخط موسكو - دمشق الخ .

وينو الأسطول التجاري ببطء ، وتقارب حمولته سنة ملايين طنّة (الطنة ٢,٨٣ م ٢) . ولا يزال الاتحاد السوفياتي يعتد على أحواض بناء السفن الأجنبية لإمداده بالسفن الجديدة . وهناك خطوط ملاحة وطنية تربط موانئ البلطيق والأسود والمتجمد الشالي ، وتهتم السلطات بتوسيع الموانئ وقسينها بفية تنشيط التجارة فيها .

التجارة الخارجية: _ بالرغ من قوة الاقتصاد السوفييتي فهو لا يحتل أكثر من مكانة ضامرة في المبادلات الدولية ، إذ لا يحتل سوى الدرجة السادسة بالعالم ، كا لا تزيد قية تجارته عن ٦٪ من التجارة العالمية . ولكن يجب أن نتذكر أن هذه المبادلات قد تضاعفت أربع مرات منذ ١٩٣٩ حيث كان الاتحاد السوفياتي يحتل المكانة السادسة عشرة .

وبعد نهاية الحرب الثانية واحتدام الحرب الباردة ، أصبح الاتحاد السوفييتي - كا حصل له في فترة ١٩١٧ - ١٩٢٥ - منعزلاً عن الدول الصناعية الكبرى الغربية ، لأن الولايات المتحدة قررت عام ١٩٥١ عدم تصدير مواد معينة للاتحاد السوفييتي وحلفائه . فاضطر الاتحاد لتنية علاقاته مع الجمهوريات الشعبية ، التي كانت بحاجة قصوى لسلع التجهيز الصناعي ، لهذا قتص هذه الجمهوريات ٥٦٪ من التبارة الخارجية السوفيتية ، ولكن منذ ١٩٥٥ أخذت المبادلات بين الشرق والغرب بالتزايد فضلاً عن اتساع التجارة السوفيتية مع أقطار العالم الثالث في الشرق الأوسط وجنوب آسيا وأميركا الجنوبية .

وأهم الصادرات السوفيتية التقليدية هي: البترول والخشب والفراء والفلزات كالمنغنيز والكروم. وأضيف إليها صادرات جديدة منذ ١٩٤٥ مثل: القطن وقد صدر منه عام ١٩٦٤ مقدار ٤٠٠٠٠٠ طن، ويعادل إنتاج مصر، ومكائن الصناعة المنجمية، والمنسوجات والمواد الغذائية وآلات التنقيب عن النفط، والمكائن الزراعية، والرولمانات، وحتى المعامل الكاملة مثل معامل الفولاذ إلى الهند ويؤلف النفط والغاز ٣٧٪ من قية الصادرات في ١٩٨٨.

أما الاستيراد فيتألف من مصنوعات تجهيزية قادمة من الجهوريات الشعبية ، بالإضافة إلى آلات قادمة من الدول الرأسالية : كالمكائن ، وسفن صيد الأساك ، وسفن الشحن ، ومعامل سيارات كاملة ، مثل فيات وفورد وسواها . كا يستورد الاتحاد مواد أولية : كالمطاط والقصدير والصوف والجوت . هذا وأخذ الاتحاد يشتري مواد استهلاكية كانت محظورة أو محدودة في فترة التصنيع مثل : المنسوجات الرفيعة والرز والفواكه المدارية والقهوة والكاكاو والسكر والأحذية والسجائر .

وأهم الدول التي يتعامل معها الاتحاد السوفياتي هي: الصين التي كانت قتص لوحدها ٢٠٪ من الصادرات قبل النزاع الأخير في مطلع الستينات ، وألمانيا الشرقية وبولونيا . ومن بين الأقطار الرأسالية نذكر: فنلندا وبريطانيا والسويد وإيطاليا وفرنسا وعدد كبير من دول العالم الثالث: كالهند وأندونيسيا وإيران وأفغانستان وسوريا والعراق .

مشكلات الاقتصاد السوفييتي الحالية

المصاعب:

إن أول مشكلة هامة هي النواقص الزراعية . والواقع أن تزايد السكان ، واتجاه السكان نحو التركز في المدن ، وارتفاع القدرة الشرائية ، أظهرت كلها . ٣٠١ -

ضعف إنتاج عدة مواد غذائية: كالحبوب، ومشتقات الحليب، كالزبدة، والأجبان، واللحم، الذي بلغ ٥,٥ مليون طن عام ١٩٦٦، أي يستهلك الفرد ٢٥ كيلو لحم بالسنة مقابل ٧٥ كغم في أوروبا الغربية وأمريكا، والخضار. أضف إلى ذلك أن بعض الصناعات التجهيزية تخلق مظاهر اختناقية رغ ارتفاع انتاجها. ففي مجال الطاقة تكثر الشكوي من عدم كفاية إنتاج الفحم، وخاصة في المناطق الأوربية، لأن ذلك يؤدي إلى توقف دوران المعامل عدة مرات بالسنة، بالإضافة إلى عمليات النقل غير العقلانية: فالمنطقة الوسطى تجلب الفحم من منطقة الكوزباس الواقعة على مسافة ٢٠٠٠ كم . كا ينتقد أيضاً عدم كفاية إنتاج الأنابيب، مما يؤدي إلى قلة الاستفادة من الغاز الطبيعي الوفير الذي يعتبر مصدر قوة سهلة ورخيصة . كا أن الكثير من المعامل، لا تنال سوى القليل من أنواع الفولاذ الخاصة، والمعادن غير الحديدية ومن الأخشاب مما يحد من إنتاجها.

كا أن انتاج السلع الاستهلاكية ـ فيا عدا المنتجات الزراعية ـ لا يزال غير كاف بالنسبة للطلب المتزايد: كالأقشة الصوفية ، والأحذية الجلدية ، حيث لم يزد الإنتاج في عام ١٩٦٧ عن ٤١٥ مليون زوج ، والحفوظات الغذائية ، وزجاج النوافذ ، التي لا تزال كياتها غير كافية . ومن جهة أخرى فإن بعض مؤسسات الصناعة الخفيفة أنتجت سلعاً لا يقبل عليها الجهور بسبب رداءة صنعها . كالا يزال قطاع بناء المنازل في وضع دون المرغوب .

كا أن هناك ثغرات ملحوظة في وسائط النقل: بطء القطارات. ضعف ميكانيكية عمليات الشحن والتفريغ، رداءة التنسيق بين الخط الحديدي والباخرة في الموانئ البحرية والنهرية.

وينسب السوفيات بعض هذه النواقص إلى عيوب تنظيم اقتصادهم الضخم . والعيوب الرئيسية حسب نظرهم هي : تفاوت العمل بين مختلف مؤسسات الفرع

نفسه ، وإذا كان البرنامج الخسي يتحقق عادة ، أو يتجاوز حده ، فذلك يعود لإنتاج المؤسسات « الطلائعية » التي تخفي تأخر مؤسسات عديدة أخرى . كا ينتقدون « روتين الأوراق » والإفراط في التوجيهات الصادرة عن المكاتب ، ويتد هذا الانتقاد حتى التنظيم الزراعي . وبصورة إجمالية يبدو جهاز التخطيط ثقيلاً جداً ، وقليل المرونة ، وضخاً هائلاً .

الخطط السباعي والمشاريع الكبرى:

لقد أخذ الخطط السباعي ١٩٥٨ ـ ١٩٦٥ بعين الاعتبار كل النواقص المذكورة أنفاً. ففي الجال الصناعي ، كان الهدف هو زيادة الإنتاج بحوالي ٨٠٪ وكانت القطاعات المفضلة هي : الطاقة ولاسيا الغاز الطبيعي والبترول ، والصناعات التي تجهز الزراعة كإنتاج : الجرارات والمكائن والأسمدة ، وإنتاج القاطرات الكهربائية ، والألياف الصناعية وبناء المساكن ، كا أصبحت المكننة في الفروع الصناعية ولاسيا الناحية الأوتوماتيكية نامية جداً . ولدع هذا التطور الصناعي تم تحقيق المشاريع الكبرى ، رغ صرف النظر عن بعض المشاريع الضخمة جداً .

وتتجه بعض هذه المشاريع الكبرى نحو الزراعة مثل: ري مناطق الدينيبر الأدنى والفولغا الأدنى وفي آسيا الوسطى . كا كان المقرر إنهاء الخطط التنظيي لغابات القسم الأوربي كزرع شرطان حراجية ضد الرياح الجففة ، وتسييج مزارع واسعة واستنباط المياه وبناء برك اصطناعية . كا ازدادت محاصيل القطن والشوندر السكري والبطاطا إلى حد كبير . وكذلك الأمر بالنسبة لمنتجات تربية الماشية بفضل توسيع المراعي الاصطناعية وزراعة الذرة الصفراء . كا تم إخضاع الكثير من الأراضي الواسعة العذراء للزراعة لأول مرة ، لتأمين إنتاج متزايد ومحسوس في الحبوب وقد صاحب كل التطورات الزراعية الآنفة الذكر مكننة زراعية متزايدة وخاصة في عجال الحصاد والقطف لتجنب الخسائر .

وأخيراً طرأت بعض التعديلات على تنظيم الاقتصاد والتخطيط . فمن جهة انصب الاهتام على زيادة الإنتاجية . ومن أجل هذا كان من اللازم تمركز الجهود فوق أهم ورشات العمل ، وتجديد التجهيزات الهرمة وتجنب صنع نماذج مكائن تتفوق عليها الأقطار الرأسالية والجهوريات الشعبية ، وزيادة تخصص الصناعات كي يمكن تعميم أتمتة العمل . وتزايد الإنتاجية هذا ساعد على متابعة وتسارع تناقص ساعات يوم العمل الذي ابتدأ منذ ١٩٥٦ .

ومن جهة أخرى تستهدف هذه القرارات نحو لامركزية الجهاز الاقتصادي ومنحه المرونة . وقد تم أولاً خلق مائة وخمسة مناطق اقتصادية «سوفنارخوز» أكثر كفاءة في إدارة الإنتاج من الوزارات المتباعدة والمرهقة . كما أن السلطات المشرفة على المؤسسات الزراعية منها أو الصناعية ، والتي كانت تتعرقل في سيرها بسبب أنظمة ضيقة جداً ، أصبحت أكثر توسعاً وتم تخفيض جهازها الإداري .

والأهداف الاقتصادية التي يؤكدها الاتحاد السوفياتي هي اللحاق بأول دولة اقتصادية بالعالم أي الولايات المتحدة ، ثم رفع مستوى الحياة لكل فرد من المواطنين بحيث يعادل ما هو عليه الحال في أكثر الأقطار الرأسالية تقدماً .

ولتحقيق ذلك تمت الموافقة في عام ١٩٦١ على برنامج لعشرين عاماً ١٩٦١ . ١٩٨٠ . والجدول التالي يعطي المقارنة بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة حسب النسبة المئوية من المجموع العالمي وذلك استناداً لحسابات منظمات الأمم المتحدة لعام ١٩٧٦ .

المتحدة	اله لايات	وفياتي	اد الت	الاتح
---------	-----------	--------	--------	-------

	رد حاد السوسياي	,	-
المساحة (٪ من أراضي العالم)	% \7,0	% 0	
السكان	% ٦,0	% 0, ٤	
القمح	% TT,T	2 18	
الذرة الصغراء	х т	% £Y, Y	
البطاطا	% T-,0	% 0, £	
السكر	% \•,Y	7,Y X	
ألياف القطن	% Y1	% \Y,Y	
صوف	% \ A	% \	
أبقار	Z 1,1	% 1.,0	
pd.	Z 1Y	× 11,1	
حلٰیب	x 11,5	% 1 7, 5	
فحم حجري	% Y•,£	% 40,2	
نفط خام	% \A,Y	X 18	
طاقة التكرير	% \Y,A	X 71,7	
الكهرباء	% \ 7 ,Y	% ٣٠, ٩	
خام الحديد	X YA,Y	% 1, Y	
فونت وخلائط حديدية	7,17	% 17,1	
فولاذ	Z Y1,7	X 1Y,1	
بوكسي <i>ت</i>	% A,T	X Y, £	
المنيوم	Z 17,A	% Y1,E	
، نحا <i>س</i>	% 18,1	X \A,Y	
منفنيز	% YA, 1	% · ,٣	
ورق صحف	% ٦, 0	X 18,A	
منسوجات صناعية	% Y£	% 18,X	
إسمئت	% \7,Y	% A,Y	
سيارات نفعية	z 1,1	% ۲ Υ,Υ	

4 4 4

بلاد السوڤيات في ١٩٨٢

قوام الاتحاد السوڤييتي ١٥ جمهورية متحدة ، و ٢٠ جمهورية ذات حكم ذاتي ، و ٨ مقاطعات ذات حكم ذاتي ، و ١٠ دوائر ذات حكم ذاتي .

ويبلغ عدد سكان الاتحاد السوڤييتي ٢٧١ مليون نسمة . نسبة سكان المدن ٦٥٪ وسكان الأرياف ٥٣٪ ونسبة الذكور ٢٦,٨ ونسبة الإناث ٥٣,٢٪ .

ويميش في الاتحاد السوڤييتي أكثر من ١٠٠ أمة وقوم ، أكثرها تعداداً الروس ، ثم الأوكرانييون ، الأوزبكيون ، الروس البيض ، الكازاخ ، التتر ، الآذربيجانيون ، الأرمن ، الكرج ، المولداف ، الطاجيك ، الليتوانيون ، التركان ، الألمان ، القيرغيز ، اليهود ، التشوڤاش ، اللاتفيون ، الموردوڤيون ، البولونيون ، والأستونيون .

أولاً: جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفيتية

تأسست في ٧ تشرين الثاني ١٩١٧ . وتشغل المكان الطليعي بين سائر الجمهوريات ، سواء من حيث عدد السكان أم من حيث المساحة ، أم من حيث الثروات الطبيعية ، أم من حيث القدرة الاقتصادية والعلمية والتكنيكية . مساحة الجمهورية ١٧ مليوناً و ٧٥٠٠٠ كيلو متر مربع ، أو ضعف مساحة الولايات المتحدة تقريباً ، ويبلغ عدد سكانها ١٤٠ مليون نسمة .

وهذه الجهورية عبارة عن اتحاد مؤلف من جهوريات ومقاطعات ودوائر قومية ذات حكم ذاتي . وموسكو عاصمة الاتحاد السوڤييتي وكذلك عاصمة روسيا الاتحادية التي تضم ١٦ جهورية ذات حكم ذاتي و ٥ مقاطعات ذات حكم ذاتي و ١٠ دوائر ذات حكم ذاتي .

وقلك روسيا الاتحادية احتياطيات كبيرة من الماء العذب ومن الموارد المائية الطاقية ، ومن موارد الخامات المعدنية . وتشغل المرتبة الأولى بين جمهوريسات الاتحاد السوڤيتي من حيث الاحتياطيات الجيولوجية العامة من الفحم والبترول والغاز . وفي غضون ٦٠ سنة زاد إنتاج الطاقة الكهربائية في روسيا الاتحادية أكثر من ١٦٠٠ مرة . وازداد المنتوج الصناعي إجمالاً في روسيا الاتحادية أكثر من ١٠٠٠ مرة .

وتقدم حقول روسيا أكثر من نصف المنتوج الإجمالي في عموم الاتحاد السوڤييتي من الحبوب ... ٣٠٦ ...

والمزروعات العلفية . وتؤمن مزارعها زهاء ثلثي مشتريات الدولة من البيض ونصف مشتريات اللحوم ومشتريات الحليب والبطاطا . وتكون الأعمال الزراعية الأساسية بمكننة كلياً .

وفي جمهورية روسيا الاتحادية زهاء ٥٠٠ مؤسسة للتعليم العالي و ٢٥٠٠ ثانوية متخصصة . وفي موسكو وحدها مثلاً ٨٦ مؤسسة للتعليم العالي و ١٣٩ ثانوية متخصصة تعد الاختصاصيين في ٢٤٩ اختصاصاً .

ثانياً: جمهورية أوكرانية

تقع في الجنوب الغربي من سهل أوروبا الشرقية أو السهل الروبي . عاصمتها كييث . مساحة رقعتها ٢٠٣،٢ آلاف كيلو متر مربع بحيث تشغل المرتبة الثالثة بعد روسيا الاتحادية وكازاخستان . عدد سكانها ٢٠٥،٠ مليوناً وتأتي بعد جههورية روسيا الاتحادية من حيث عدد السكان والقدرة الاقتصادية . وتنتج أوكرانيا اليوم زهاء خس المنتوج الصناعي والزراعي في الاتحاد السوئييي . وأوكرانيا هي بلد التعليم الشامل . ويعمل فيها أكثر من ٢٠٠٠٠٠ من العاملين العلميين ، بينهم ٥ آلاف بحمل لقب دكتور في العلوم و ٢٠٠٠٠ مرشح (كانديدات) في العلوم . وتقوم أكاديمية العلوم الأوكرانية بعمل علمي كبير .

ثالثاً: جمهورية بيلوروسيا

وتقع على حدود الاتحاد السوڤييتي الغربية . مساحتها ٢٠٧،٦ آلاف كيلو متر مربع وعدد سكانها ٩٠٧٤٤ ملايين نسمة ، عاصمتها مينسك . وتنتج بيلوروسيا من المنتجات حالياً في نصف يوم قدر ماأنتجته في كل عام ١٩٢٢ .

وتتحدد سياؤها الصناعة بالمؤسسات الكبيرة في صناعة بناء الآلات وصناعة الراديو ـ الكترونيك والصناعة الكيمائية وصناعة توليد الطاقة الكهربائية . ويتألف خس الإنتاج الإجمالي لصناعة بناء الآلات في بيلوروسيا من السيارات الشاحنة الكبيرة التي تنتجها مؤسسة « بيلافتوماز » ثم إن هناك ٦٨ بلداً تشتري الجرارات من طراز « م ت ز . بيلاروس » وتغطي الغابات أكثر من ٣٠٪ من أراضي الجهورية ، وعلى أساسها تعمل مؤسسات عديدة لصناعة الأخشاب وصناعة معالجة الخشب وصناعة الورق والصناعة الكياوية وغيرها من الصناعات . والعالم الحيواني في بيلوروسيا غنى ومتنوع .

وتعتبر بيلوروسيا من مناطق الاتحاد السوقييتي الزراعية المتطورة . وتشغل المرتبة الشانية بين الجمهوريات المتحدة من حيث زراعة البطاطا وإنتاج الحموريات المتحدة من حيث إنتاج اللحم والبيض .

ويؤمن تطور الصناعة والزراعة ، وأبعاد البناء الشاسعة ، غو مداخيل السكان غوا كبيراً ، والنجاحات في تطوير التعليم العام والعلم والفن ورعاية الصحة ، ويدع مركز الجهورية العلمي والنجاحات في تطوير التعليم العام والعلم والفن ورعاية الصحة ، ويدع مركز الجهورية الساعة في اكاديبة العلوم البيلوروسية حيث يعمل أكثر من ٥٠٠٠ عالم يدرسون ويحلون قضايا الساعة في ميادين الرياضيات والسيبيزيتيك والآلات الخاسبة والطاقة الذرية وبناء الآلات وبناء الأجهزة والكيباء والبيولوجيا . ويربو مجل عدد العاملين العلميين على ٣٩٠٠٠ شخص .

رابعاً ـ جمهورية أوزبكستان

في الجنوب الشرقي من الاتحاد السوڤييتي بين نهري سيرداريا وآموداريا (سيحون وجيجون) تقع اكبر جمهورية إسلامية في آسيا الوسطى السوڤيتية وهي جمهورية أوزبكستان التي تأسست في ٢٧ تشرين الأول ١٩٢٤. مساحتها تقارب مساحة العراق أو ٤٤٧،٤ ألف كيلو متر مربع ويزيد عدد سكانها عن سكان العراق أو ١٦,٥٨٣ مليون نسمة . عاصمتها طشقند ، وفي قوامها تدخل جمهورية قره قلباقيا ذات الحكم الذاتي .

وتؤلف اوزبكستان قاعدة القطن الأساسية في الاتحاد السوڤييتي ، وبالموازنة مع عام ١٩٢٢ فقد ازداد مجمل محصول القطن الخام ١٥٠ مرة . وتنتج اوزبكستان زهاء ثلثي محصول هذه المادة الأولية الثينة في الاتحاد السوڤييتي .

كا بلغت تربية دود القز وتربية غنم قره قول (فراء استراخان) والبستنة وزراعة الرز مستوى رفيعاً . ويشكل توليد الطاقة وبناء الآلات وصناعة الحديد والفولاذ والمعادن غير الحديدية والكيياء ، ملامح وجه الجهورية الصناعي . واوزبكستان اليوم هي جمهورية صناعية زراعية تحوي أكثر من ١٥٠٠ مؤسسة صناعية كبيرة مزودة بأحدث منجزات التكنيك والتكنولوجيا . وينطوي باطن الأرض الأوزبكية على البترول والفحم . وتشغل هذه الجمهورية إحدى المراتب الأولى في الاتحاد السوڤييتي من حيث احتياطيات الغاز الطبيعي .

هذا وقد أحرزت اوزبكستان نجاحات كبيرة في تطوير التعليم العام والثقافة والعلم . ويعمل فيها أكثر من ٣٦٠٠٠ من العاملين العلميين . وتحوي المؤسسات التابعة لأكاديمية العلوم الأوزبكية أكثر من ٤٠٠٠ عالم . ويقال إن هذه الجمهورية عبارة عن فردوس حقيقي في نظر المؤرخين وعلماء الآثار حيث يدرسون آثار الثقافة الإسلامية العريقة في خوارزم وإمارة خيوه وعصر آل تبور . وقد أنجز كلياً ترميم التحف المعارية في كل من سمرقند و بخارى ..

ويتم في هذه الجمهورية استصلاح ١٠٠٠٠٠ هـ سنوياً على حساب الصحراء . وتحوي خزانات يتكدس فيها زهاء ٣٥ مليار م٢ من الماء العذب أو ما يعادل بحيرة الأسد على سد الفرات ، لأن كل طن

واحد من القطن يتطلب ٦٠٠٠ م من الماء العذب وهكذا أصبح مردود القطن من أفضل أمثاله في العالم لأن كل هكتار يعطى هنا ٣١٠٠ كغم من القطن .

خامساً: جمهورية كازاخستان

كازاخستان هي الجمهورية الثانية من حيث المساحة بعد جمهورية روسيا الاتحادية أو ٢٦/ مليون كم 7 . وعدد سكانها ١٥,٥٦٢ مليون نسمة . وقد تأسست في البدء جمهورية كازاخستان في ٢٦ / ٨ / ١٩٢٠ كجمهورية ذات حكم ذاتي ضمن إطار جمهورية روسيا الاتحادية . ولكن فيا بعد وبالتحديد في ٥ / ١٢ / ١٩٣٦ ، أصبحت جمهورية كازاخستان المتحدة وعاصمتها آلما أطا .

وفي عهد السلطة السوفييتية تحول قطر البدو هذا إلى جمهورية ذات صناعة متنوعة الفروع ، وزراعة وتربية للمواشي متطورتين ، ومستوى ثقافي رفيع ، وقامت صناعة عصرية كبيرة تنتج حالياً خسة أمثال ما كانت تنتجه روسيا كلها قبل الثورة . وقد اكتشفوا في باطن أرض كازاخستان جميع الخامات النافعة المعروفة في الطبيعة تقريباً . وتصدر كازاخستان إنتاجها إلى ٧٠ بلداً من آلات وأدوات معقدة وأجهزة وفلزات وصفائح المعادن غير الحديدية والفراء ومعلبات اللحوم .

وقد رفع استصلاح الأراضي البكر اقتصاد كازاخستان إلى درجة جديدة نوعياً وجعل منها أكبر مرعى في الاتحاد السوفييتي . تبلغ مساحة الأراضي البكر والبور المفلوحة في كازاخستان ٢٥،٥ مليون هكتار . وتشتهر كازاخستان كمنطقة كبيرة لتربية المواشي في شرق الاتحاد السوفييتي . وبعد أن كان الذين يعرفون القراءة والكتابة بين السكان الأصليين المسلمين الذين يشكلون نصف سكان الجمهورية لا تتجاوز نسبتهم ٢ ٪ أصبح التعلم الثانوي إلزامياً حالياً .

سادساً : جمهورية جورجيا (الكرج)

وهي جمهورية أخذت شكلها الحالي بتاريخ ٥ / ١٢ / ١٩٣٦ . وتدخل ضن كيان جمهورية أبخازيا ذات الحكم الذاتي وجمهورية آجاريا ذات الحكم الذاتي ومقاطعة أوسّيتيا (قوشحة) ذات الحكم الذاتي . ومساحة جمهورية جورجيا ٦٩٠٠٠ كيلومتر مربع وعدد السكان ٥,١ ملايين . وعاصمتها تبليسي أو تغليس .

وفي هذه الجمهورية تنوع كبير من الحيوانات والنباتات والثروات الطبيعية والأحوال المناخية ولاسيا الساحلية . وقد كبحت السدود جماح الأنهر الجبلية الغزيرة المياه ، وقامت إلى جانبها الحطات الكهربائية الموحدة في الشبكة العامة للمنظومة الطاقية فيا وراء القفقاس (جورجيا وأرمينيا وآذربيجان) . ويكون باطن الأرض غنياً بالفحم والمرمر والنحاس والنفط والمنفنيز المذي تعتبر مؤسساته في تشياتورا من أكبر المؤسسات في العالم لاستخراج الفلز الرفيع النوعية . وتنتج جمهورية

جورجيا في يوم ونصف قدر ما أنتجته في كل عام ١٩٢٢ من المنتوجات الصناعية .

وتضفي المناطق شبه المدارية ، الاصالة على زراعة جورجيا ، والشاي والخضيات من أهم المزروعات شبه المدارية ، وتعتبر الكروم وبساتين الأشجار المثرة وزراعة التبغ وزراعة النباتات الزيتية الأثيرية من الفروع الأساسية في الزراعة وتخطى منتجعات ساحل البحر الأسود والمنتجعات الجبلية في جورجيا بشهرة عالمية .

وترق منابع ثقافة الشعب الجورجي الروحية إلى الماضي البعيد ، لأن جورجيا من أقدم بلدان العالم ، ويستهل « أبو التاريخ » هيرودوت مؤلفه بوصف العلاقات المتبادلة بين اليونان وكولخيدا أي جورجيا الغربية . وتعود معلوماته إلى الألف الثاني قبل الميلاد . وهناك أصداء عن أحداث أقدم عهدا ، هي الأساطير عن الأرغونوط الذين زاروا كولخيدا بحثاً عن الصوف الذهبي . وأسطورة بروميته _ أميراني العظيم الذي حصل على النار من أجل الناس فيترته الآلهة عقاباً على ذلك في جبال القفقاس .

سابعاً : جمهورية آذربيجان

ويعود كيانها الحالي إلى ٥ / ١٢ / ١٩٣٦ حيث أصبحت جمهورية متحدة . وتشغل جمهورية آذربيجان المرتبة الأولى بين جمهوريات ما وراء القفقاس من حيث المساحة ٨٦٠٠٠ كم ومن حيث عدد السكان 7,7 ملايين نسمة . وتدخل جمهورية ناخيشيفان ذات الحكم الذاتي ، ومقاطعة قره بـاخ الجبلية ذات الحكم الذاتي ، ضن إطار جمهورية آذربيجان ، وعاصمتها باكو .

وإذا كان المثل القفقاسي يقول: « ما تعطيه هو لك » فإن العلاقات الاقتصادية بين هذه الجمهورية والجمهوريات السوفييتية الأخرى أضفت على هذا المثل مغزى خاصاً ، ذلك أن آذربيجان تقدم للجمهوريات المجاورة الطاقة الكهربائية والبترول والغاز الطبيعي ، ومنها تمتد خطوط أنابيب الغاز إلى تبليسي ويريقان عاصة أرمينيا . ومن جورجيا تصل سكائب الفولاذ إلى مصنع سومغايت لتصفيح الأنابيب ، التي ترسل بدورها ، إلى أوكرانيا وجمهوريات آسيا الوسطى ومختلف المناطق في روسيا الاتحادية . وتتلقى آذربيجان الحديد الصب « الفونت » والصفائح من أوكرانيا والأورال وسيبريا .

وأكثر الفروع تطوراً في زراعة آذربيجان هي زراعة القطن والكروم وبساتين الأشجار المثرة وتربية المواشي في المراعي . وكانت نسبة المتعلمين في هذه البلاد لا تتجاوز ١٩٢٠ ٪ في عام ١٩٢٠ ، ولم يكن في البلاد مؤسسات للتعليم العالي ، أما الآن فإن التعليم بجميع أنواعه ودرجاته يشمل في آذربيجان مليونين و ٤٠٠ ألف شخص . ويصيب كل ١٠٠٠٠ نسمة من السكان في آذربيجان ١٧٠ طالباً مقابل

١٦١ في فرنسا و ١٠٦ في ألمانيا الاتحادية و ١٨ في بريطانيا و ١٠٤ في اليابان . ويعمل في أكاديمية العلوم الآذربيجانية ٤٠٠٠ شغيل علمي . وقد أنشئ فيها معهد البحوث الكونية للموارد الطبيعية . ولفة سكان البلاد تركية وهم من المسلمين الشيعة .

ثامناً: جمهورية ليتوانيا

تقع جمهورية ليتوانيا على الساحل الجنوبي الشرقي من بحر البلطيق . وتتفوق هذه الجمهورية على جارتيها الشاليتين لاتڤيا وأستونيا من حيث المساحة ٦٥٠٠٠ كم٢ وعدد السكان ٣,٥ ملايين نسمة .

وليتوانيا هي الموطن الأول للقبائل البلطيقية التي تعيش هنا منذ الألف الثاني قبل الميلاد كالبروس والاتفاغ والكورش وغيرها . وظهر كيان هذه الدولة في حزيران ١٩٤٠ ، وعاصمها ثيلنوس ، ومن ثم تحولت الجهورية من زراعية إلى صناعية . فغي خلال ستة أيام تنتج حالياً من المنتوجات الصناعية قدر ما أنتجته في كل عام ١٩٤٠ . وتنافس الأقمشة الليتوانية الأقمشة الإنكليزية العالمية الشهرة وتتفوق عليها أحياناً من حيث النوعية وتباع منتجات مؤسسات النسيج في كاوناس وفيلنوس وشاوولباي في أكثر من ٨٠ بلداً . وترسل ليتوانيا الآلات الحاسبة وغير ذلك من المنتجات الصناعية إلى جميع أنحاء الاتحاد السوفييق وترسل الجمهوريات الأخرى إلى ليتوانيا ما لا تنتجه ليتوانيا . وقد اشترك الاختصاصيون والعمال في تصبيم ويناء خط أنابيب الغاز الطبيعي إلى ليتوانيا من داشاقار في أوكرانيا ، وقدموا من أوكرانيا وبيلوروسيا ولاتفيا وليتوانيا ذاتها . وقد تعاونت كل الجمهوريات في بناء محطة كاوناس الكهرمائية بصورة فعلية .

وتوائم الظروف الطبيعية والمناخية في ليتوانيا تكثيف الزراعة المختصة بتربية الماشية من أجل اللحم والحليب وتربية الخنازير وزراعة بعض النباتات الصناعية والعلفية . ونصف مواطني هذه الجمهورية حصلوا على التعليم العالي أو الثانوي .

تاسعاً : جمهورية مولداڤيا

في الطرف الأقصى من جنـوب غرب الاتحـاد السوفييتي ، حيث ينتهي السهـل الروسي ، تقـع جهورية مولداڤيا ومسـاحتهـا ٢٣٠٠٠ كم٢ يسكنهـا ٤,٠٢٤ مليون نسمة . وفي ٢ آب ١٩٤٠ توحـدت مع بيسارابيا ذات الحكم الذاتي وتحولت إلى جمهورية مولداڤيا المتحـدة وعـاصمتهـا كيشينيڤ . وكانت معظم أراض هذه الجمهورية تابعة لرومانيا قبل ١٩٤٣ .

وتتصف مولداڤيا بكشافة السكان الكبيرة وتتوفر فيها الأيدي العاملة لأن متوسط كشافة السكان ١١٩ نسمة بالكيلو متر المربع وهذا أكبر متوسط بين كل جهوريات الاتحاد السوڤييتي .

وهناك أغنيات وأساطير كثيرة عن جمال الأرض المولداڤية وسخائها . وتغطي التربة السوداء - ٣١١ _

- وهي خير تربة في العالم - أراضي مولداڤيا كلها تقريباً . وفي تربة كهذه يمد غصن وقع صدفة من عربة جذوره في الأرض الهشة ، أو بذرة كرز رماها سائر في حوش ما ، أو جوزة سقطت من منقار طائر في الأرض المحروثة ، ويؤمن المناخ الحار ووفرة الشهس امكانيات موائمة لتطوير زراعة متعددة الفروع . ومن أهم ثروات هذه الجهورية العنب .

ومنذ ٥٠ سنة كانت كامتا « مولداڤيا الصناعية » تبدوان غريبتين . أما اليوم ، فإن مؤسساتها تنتج الجرارات والآلات الحاسبة والأجهزة الكهربائية . وتنتج مولداڤيا الآن في أقل من نصف يوم من المنتوجات الصناعية أكثر مما كانت تنتجه في كل عام ١٩٢٢ .

وتعود شهرة مولداڤيا إلى صناعة الخور وتشغل مولداڤيا المرتبة الثالثة في الاتحاد السوڤييتي في مضار إنتاج خمور العنب والمعلبات والسكر الناع .

عاشراً: جمهورية لاتقيا

تقع هـذه الجمهوريسة الاشتراكيسة في الشمال الغربي من الاتحـاد السوڤييتي على سواحـل بحر البلطيق . مساحتها ٦٣٧٠٠ كم وعدد سكانها ٢,٥٥١ مليون نسمة . وللأرض اللاتڤية تـاريخ حـافل وتذكر أنقاض القصور القديمة بالحروب المدمرة كما تحفظ الآثار الجليلة مجد مـآثر الشعب . ونشأت هذه الجمهورية في ٥ / ٨ / ١٩٤٠ لتدخل في كيان الاتحاد السوڤييتي .

عاصتها ريفا التي لا تعتبر مركزاً ثقافياً صناعياً في الجمهورية فحسب بل أيضاً مركزاً ثقافياً عريقاً تقوم فيه أكاديمية العلوم اللاتثية التي تضم ١٧٠٠ من العاملين العلميين ، و ١٠ مؤسسات للتعليم العالى . وفي الجمهورية ٦٨ متحفاً ، بينها متحف كاتدرائية دومسكي وهو عبارة عن إنشاء معاري تاريخي بارز .

وقد ازداد الإنتاج الصناعي فيها ٤٦ مرة بالموازنة مع عام ١٩٤٠ . وتتخصص زراعة لاتفيا في تربية الماشية للحليب والمواشي الأدبيلة والخنازير . وتلعب لاتفيا دور « بوابة بجرية » مهمة للاتحاد السوفييتي وعبر مرافئها يتاجر الاتحاد مع دول عديدة .

حادي عشر: جمهورية قيرغيزيا

أخذت هذه الجمهورية كيانها الحالي في ٥ / ١٢ / ١٩٣٦ بعد أن كانت جمهورية ذات حكم ذاتي ضمن كيان جمهورية روسيا الاتحادية . مساحتها ١٩٨٥٠٠ كيلو متر مربع ، أي تعادل مساحة سورية ولبنان ، وعدد سكانها ٣٠٤٢٣ ملايين نسمة أكثريتهم من المسلمين عاصمتها فرونزه .

وفي الثمال الشرقي من آسيا الوسطى السوڤييتية تمتد سلاسل جبال تيانشان على مئات الكيلو مترات ، وفي باطن أرض تيانشان اكتشف الجيولوجيون في أرض قيرغيزيا مكامن الكثير من الفلزات النافعة . ولكن أكبر ثروات الجمهورية هي المراعي في سفوح جبال تيـانشــان ، التي تؤمن العلف لملايين الرؤوس من المواشي التي تؤلف فرعاً من أهم فروع الاقتصاد الوطني فيها .

وقيرغيزيا الحالية ذات صناعة متطورة تضم أكثر من ١٣٠ فرعاً . وتقوم قيرغيزيا بدور منطقة منتجة للمعادن غير الحديدية والآلات الزراعية والمصنوعات الكهرتكنيكية والأجهزة . ولكن لا تزال قيرغيزيا ، رغ كل هذا ، منطقة زراعة متنوعة وتختص في تربية الأغنام الناعمة الصوف . والخيول الأصيلة ، وفي زراعة القمح والشمندر السكري والتبغ والخشخاش الطبي والقطن والكروم .

وقد احرزت قيرغيزيا نجاحاً كبيراً في تطوير ثقافتها فبعد أن كان الشعب أمياً أوشك الآن أن ينتقل إلى التعليم العام الثانوي الإلزامي . وفي قديم الزمان بلغ الإبداع الشعبي الشفوي للشعب القيرغيزي ذرى رفيعة . وقد سجل بحاثة الأدب ملحمة « ماناس » التي تضم أكثر من مليون بيت من الشعر ، ويمكن تصنيف هذه الملحمة دون مبالغة ، في عداد أعظم تحف أدب القروسطي العالمي .

الثاني عشر: جمهورية طاجيكستان

وتقع في جنوب الاتحاد السوڤييتي . مساحتها ١٤٣١٠٠ كيلو متر مربع وعدد سكانها ١٠١١، ملايين نسبة غالبيتهم مسلمون . وتأسست في ١٢ / ١٠ / ١٩٢٤ كجمهورية ذات حكم ذاتي ضن إطار جهورية أوزبكستان . وفي ١٦ / ١٠ / ١٩٢٩ تحولت إلى جمهورية متحدة . عاصمتها دوشانبه .

ويتصف اقتصادها المعاصر بالزراعة المكننة المتعددة الفروع ، والصناعة المتطورة وقامت لصناعة توليد الطاقة ، وقامت محطة نوريك الكهرمائية .

وطاجيكستان هي المنتجة الأساسية في الاتحاد السوڤييتي للقطن الرفيع التيلة ، المادة الأولية المهمة للصناعة الخفيفة . وتحتل طاجيكستان المرتبة الثالثة في الاتحاد من حيث إنتاج القطن الخام .

وقد قامت في الجمهورية منظومات فريدة للري ، وأنشئت خزانات مائية ، وشبكة واسعة من قنوات الري والصرف تقى التربة من التملح ومن الغرق .

وغدت طاجيكستان بلد التعليم الشامل . أما قبل الثلاثينات ، على حد قول مؤسس الأدب الطاجيكي صدر الدين عيني ، فقد كان الناس المتعلمون والمثقفون نادرين كندرة الأشجار المثرة في صحراء مالحة التربة . وتوجد الآن في طاجيكستان أكاديمية للعلوم يحل علماؤها قضايا الفيزياء الفلكية وعلم الزلازل والجيولوجيا والجيوفيزياء .

الثالث عشر: جمهورية أرمينيا

عاصتها يريڤان . ومساحتها أقل بكثير من أية جمهورية متحدة أخرى ، أي زهاء ٣٠٠٠٠ كيلو متر مربع أي تعادل بلجيكا أو هولندا ، وعدد سكانها ٣,١٦٧ ملايين نسمة ، ويطلق على أرمينيـــا لقب بلد الشمس والجبال ، لأن تسعة أعشار أراضيها تقع على ارتفاع يربو على ١٠٠٠ م فوق سطح البحر ، وبلد الصخور والعنب ، وبلد الأودية السبعة . وقد تحولت أرمينيا المعاصرة إلى بلد صناعي زراعي ذي صناعة عالية التطور تنتج الآلات الحاسبة الألكترونية والأجهزة ، وذي زراعة ممكننة .

وقد حددت خصائص الأحوال الطبيعية والاقتصادية الاتجاهات الأساسية في الزراعة الأرمينية ، ذلك لأن التضاريس الجبلية قد حدّت من رقعة المساحات الصالحة للزراعة ، ولهذا لا تتيح الامكانيات المتوفرة في الزراعة « سعة » أي استصلاح أراضي جديدة بل يتيح التطور « عمّاً » أي تكثيف الإنتاج الزراعي وزيادة المردود عن طريق أساليب الهندسة الزراعية وأعال الاصطفاء .

وبما يلفت النظر تنية القاعدة الطاقية في أرمينيا التي تفتقر لموارد الوقود والطاقة افتقاراً كلياً تقريباً . ورغ ضآلة الموارد المائية فقد شكلت الحطات الكهرمائية التي بنيت على نهر أرمينيا ، وخاصة سلسلة محطات رازدان قاعدة أنجزت عملياً على أساسها كهربة الجهورية كهربة تامة . وصارت ثروات الوقود في الجمهوريات المجاورة مصادر جديدة للطاقة في أرمينيا ، وهكذا بنيت الحطات الكهرمائية على نهر فوروتان والحطة الكهرذرية الأرمينية ، ومجمع خامات الذهب في زود ، واوتوستراد يريشان على نهر فوروتان وغير ذلك .

الرابع عشر: جمهورية تركانيا

وقد تأسست في ٢٧ / ١٠ / ١٩٢٤ . مساحتها ٤٨٨١٠ كيلو متر مربع وعدد سكانها ٢ ملايين نسمة . عاصمتها عشق آباد ، وتركانيا بلد حضارة عريقة كانت تقوم فيها الزراعة المتطورة والمدن ، وفيها كانت تتلاق طرق التجارة النشيطة في الأزمنة القديمة والقرون الوسطى ، والتي تربط الصين والهند بأوروپا الغربية وروسيا . وقد استهوت ثروات تركانيا ، من قديم الزمان ، الفاتحين ، وفيها مرت قوات ملوك فارس القديمة والاسكندر المقدوني إلى أن فتحها العرب ونشروا فيها دينهم واجتاحتها جحافل المغول بقيادة جنكيزخان كا دمرتها عام ١٣٩٧قوات تيورلنك ودارت في هذه الأرض خلال عدة قرون رحى نضال ضار بين شاهات إيران وأمراء بخارى وخانات خيوه ، إلى أن اجتاحتها قوات القياصرة الروس في الربع الأخير من القرن الماض وضتها إلى الامبراطورية الروسية .

وتشغل صحراء قره كوم ، وهي من أكبر صحارى العالم ، قسماً كبيراً من أراضي الجهورية ، ومع ذلك فإن تركانستان منطقة غنية ذات صناعة متطورة . وقد أنشأت مشاريع كبيرة لاستخراج الغاز وتكرير النفط . وعلى أساس من الصناعة المتنامية نشأت وكبرت مدن جديدة عصرية مثل نفط داغ ، وتشليكن ، وهما مركزان لصناعة استخراج البترول ، وبيرم علي وهي منطقة صناعة الغاز المتنامية ويزمين وهي مركز لصناعة مواد البناء .

وقد جعلت مكننة الزراعة ، وتغيير بنيتها بصورة عقلانية ، ولا سيما زيادة المساحات المزروعـة

بالقطن ، أقول جعلت من تركمانستان منطقة زراعة متقدمة وتربية للماشية ذات أهمية تشمل الاتحاد السوڤييتي كله .

وفي هذه الجمهورية أكاديمية للعلوم التركانية والمدارس التركانية للرسم والنحت عما سمح بنهضة الشعب التركاني الثقافية .

الخامس عشر: جمهورية استونيا

وهي أبعد جمهوريات البلطيق الثلاث إلى الشمال . وتقع على ساحل بحر البلطيق بين خليج فنلندة وخليج ريغا . مساحتها ٤٥١٠٠ كيلومتر مربع ، وهي أقل جمهوريات الاتحاد السوڤييتي سكاناً إذ لا تحوي سوى ١,٥ مليون نسمة . عاصمتها تالين . وفي استونيا ١١٥٠ بجيرة وخزان مائي و ٢٠٥ نهراً وأكثر من ١٥٠٠ جزيرة ولا غرابة فقد مرت من فوقها الزحوف الجودية وتركت عليها بصاتها . وكان أجداد الاستونيين « القبائل الاوغرو ـ فينية » يتعاطون الصيد بنوعيه وتربية المواشي والزراعة ويتاجرون مع الليفيين والاسكندنياڤ ومع الجيران الشرقيين السلاف . وتشكلت هذه الجمهورية السوڤييتية خلال الحرب العالمية الثانية في ٢ / ٨ / ١٩٤٠ .

وفي استونيا السابقة كان الاقتصاد يتسم بطابع ريفي وكان الإنتاج الصناعي لا يمثل سوى خمس المنتوج الإجمالي . أما الآن فإن سيا الجمهورية تحددها الصناعة التي يشكل منتوجها ثلثي الإنتاج الإجمالي .

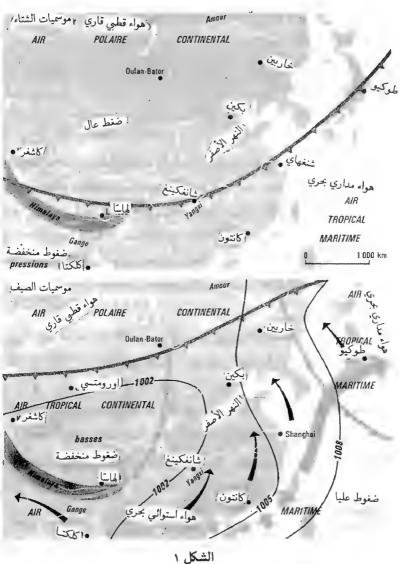
ويؤلف الشست البيتومي الثروة الرئيسية في باطن أرض استونيا . وقد اكتشف منـذ أكثر من ٢٠٠ سنة في حوض كوختلا وتبلغ الاحتياطات الصناعية المنقب عنها ٦ مليارات طن .

وتعتبر محطة البلطيق الكهربائية الإقليية هي أكبر محطة حرارية تعمل بالشيست كا أن مصنع كرينغوله في نارفا هي من أكبر مؤسسات الأقشة القطنية في الاتحاد السوڤييتي .

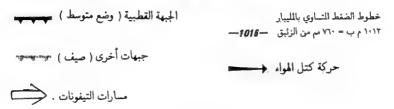
وتعطي فروع اللحم والزبدة والألبان ، التي تتسم ، مع فرع السمك ، بأهمية تشمل الاتحاد السوڤييتي كله ، تعطى زهاء نصف منتوج الصناعة الغذائية في استونيا .

وقد حدد البحر من قديم الزمان ، إلى حد كبير ، نشاط الاستونيين العملي ، وينطلق اليوم صيادو السمك الاستونيون على سفن ـ برادات كبيرة لصيد السمك ، والتي تشكل أساس صيد السمك في استونيا .

وتعتبر جامعة الدولة في تارنو من أقدم مؤسسات التعليم في الاتحاد السوڤييتي كا أن معهد تالين الهوليتكنيكي أكبر مؤسسة للتعليم العالي في استونيا . وتبدو شعبية الغناء الجوقي الخارقة الأهمية من خصائص الثقافة الأستونية .



السمل الجوي في الشرق الاُقصى



الفصل لثالث

الشرق الأقصى

عملاقا آسيا: الصين واليابان

بيئة طبيعية متناقضة

يؤلف الشرق الأقصى الذي يكون على العموم معزولاً بالجبال المرتفعة وبصحراء الرمال وبالسهب أو بالغابة ، ولكنه ينفتح على الحيط الهادي ، أقول يؤلف رقعة استيطانية ومدنية مدهشة بسبب استمراريتها وبوحدتها . ويستطيع هذا الوضع الجغرافي أن يفسر مركزية الصينيين العنصرية ، الذين يعتبرون بأن الصين كانت داعًا بلداً وسطاً « زهو نغ غوو » ، بيد أن المشاهد وأغاط الحياة لابد أن تكون متنوعة جداً فوق رقعة تغطي مساحة بيد أن المشاون كيلو متر مربع .

فهضبة التيبت التي تنكئ على جبال هيالايا ، والتي يبلغ ارتفاعها الوسطي ٤٠٠٠ متراً ، تنتصب وكأنها « سقف العالم » الذي تنحدر عنه أنهار آسيا الشرقية والجنوبية الكبرى . وتهين على درجة وسيطة من جعدات جبلية ، متجمدة أو معرّاة ، وعلى حوضات فسيحة استطاع الريح أن يكدّس فيها كثباناً رملية في حوض تاريم وطبقات من اللوس ، كا في حوض النهر الأصفر « هوانغ هو » ، وذلك ضمن منخفضات مغلقة ، أو تنصرف مياهها نحو النهر المذكور . تلك هي الصين العليا القارية ذات الواحات والبداوة الرعوية ،

والتي كانت تدعى في الماضي الصين الخارجية ، بالمقابلة مع الصين البحتة ، أو الصين الامبراطورية ذات الأقاليم الثانية عشرة . أما باتجاه الحيط الباسفيكي ؛ فلا نجد أي صحراء تفصل النطاق المعتدل عن المناطق المدارية الرطبة . وقد نشأت المدنية الصينية الزراعية القديمة في المنطقة المعتدلة ، في بيئة مفتوحة مؤلفة من سهول لحقية خصيبة ، ومن تلال قليلة الغابات ، تحت تهديد الجفاف والفيضان بصورة دورية . وقامت المدنية المذكورة على السيطرة على المياه والزراعة الحثيثة ، وزراعة الذرة البيضاء صيفاً والقمح الشتوي ، على المياه والزراعة الحثيثة ، وزراعة الذرة البيضاء صيفاً والقمح الشتوي ، على على طرائق التفكير .

ولقد فرضت هذه المدنيّة المتفوقة ذاتها شيئاً فشيئاً ، وتبنّت زراعة الرز ، في بيئة جغرافية مختلفة من حيث التضريس والمناخ ، وذلك في الصين الجنوبية وثيتنام وفي شبه جزيرة كوريا والأرخبيل الياباني .

ولقد سمحت الأمطار الموسمية الصيفية لزراعة الرز، وهو أحد حبوب الهند، والذي يتطلب الحر والرطوبة، بأن يمتد من الصين المدارية، وذلك قبل ٤٠٠٠ سنة إلى كوريا ومنإلى اليابان، ولما كان حقل الرز يتطلب أشغال تهيد الأرض وري، فإنه يستدعي بالتالي وجود جماعات كثيفة من الفلاحين، كا أن مردوده المرتفع وقيمته الغذائية العالية؛ يسمح بوجود كثافات سكانية شديدة، هذا ولاسيا إذا كان من المكن الحصول على محصولين في العام بفضل الشتل والأنواع المبكرة من البذار في النصف الجنوبي من الصين، وفي أقصى الجنوب من الأرخبيل الياباني.

وإجالاً فإن الشرق الأقصى ، وهو جزء من آسيا الموسمية ، يتصف بوجود شتاء جاف وبارد نسبياً وصيف مطير وحار ، غيرأن فصل الأمطار يكون طويلاً نسبياً ، هذا فضلاً عن أن بعض المناطق تتلقى أيضاً بهطالات شتوية كا في شمال غرب اليابان . بيد أن ارتصاف خطوط التضريس

من عرضية وطولية ، تجعل من الصين العليا ، مع ذلك ، ولاسيا فيا وراء النهر الأصفر ، منطقة قاحلة .

وتفسّر المفارقات المطرية ، أكثر من المفارقات الحرارية ، ذلك التوزع في أنماط الحياة التقليدية ، كزراعة الرز ، وزراعة الحبوب « الجافة » ، وتربية الماشية البدوية ، وزراعة الغوطات (١) .

* * *

وتتعلق آلية الموسميات في الشرق الأقصى على الخصوص بالفارق الحراري بين الفصول ، أي بين كتلة الهواء القارية المفرطة البرودة في آسيا ، وبين هامشها البحري . ففي الشتاء يسود على منفوليا نطاق من ضغوط عالية ، ينساب منها هواء بارد وجاف ، وهي الموسميات الشتوية ، والتي تصل حتى خليج الطونكين . ولكن في حزيران ، يجتاح الهواء المداري ، الحار والرطب ، الصين الجنوبية ، حتى ليلامس منشوريا والأرخبيل الياباني ، الذي يخضع غالباً لهواء مداري بحري مترطب فوق الحيط الهادي . إذن غير أحياناً موسميات صينية ذات أمطار صيفية غير منتظمة في الصين الشالية ، وموسميات يابانية أكثر انتظاماً . ويزداد هذا الخطط الشديد البساطة تعقيداً بالاضطرابات الجبهية . ففي الثناء تجلب المنخفضات الناجة عن الجبهة القطبية بعض الأمطار إلى الصين الوسطى ، والثلوج إلى اليابان الشالية الغربية ، كا تلطم التيفونات ، وهي سيكلونات مدارية ، سواحل الصين الجنوبية والسفح الشرقي من اليابان .

 ⁽١) وهي الواحات بلا نخيل .

النموذج الياباني والطريق الصيني

لقد اختار الشرق الأقصى في علاقاته مع بقية العالم سياسة الانفتاح تارة أو الانغلاق تارة أخرى ، وذلك حسب صروف التاريخ . فقد كان على علاقة مع الهند والمشرق العربي ومع سهوب أوروبا الشرقية والبحر الأبيض المتوسط ، بواسطة الطرق البحرية عبر المضائق الماليزية ، أو بواسطة دروب قوافل آسيا الوسطى مثل « طريق الحرير وطريق الشاي » . ويدين العديد من الاختراعات كالورق والبارود والبوصلة بنشوئها وبانتشارها إلى هذه المبادلات التي كانت كثيفة على الخصوص بين القرن الثالث عشر والسادس عشر . ولكن بعد أوائل الاتصالات مع الملاحين والمبشرين الغربيين القساة ، تقوقعت كل من الصين في عهد الأسرة المنشورية ، واليابان في عهد الشوغون ، على نفسيها خلال قرنين كاملين من الزمن .

وفي وسط القرن التاسع عشر لم يكن رد فعل اليابانيين والصينيين واحداً تجاه الدول الأوروبية العظمى والولايات المتحدة التي كانت تبحث عن الأسواق . وجاء عصر الميجي « عصر النور » عام ١٨٦٨ ، ليدخل اليابان في طريق التحديث ، على غرار أوروبا ، ثم الولايات المتحدة . وفي عام ١٩٣٩ كانت صناعة اليابان تعادل صناعة فرنسا ، وأصبح « لليابان الكبرى » مستعمرات واسعة ، ظلت تستغل خيراتها حتى عام ١٩٤٥ .

وما إن تحررت من قيود هزيمتها بموجب معاهدة سان فرانسيسكو عام المناعت اليابان الجديدة ، رائدة الرأسمالية الليبيرالية ، أن تصبح

في العيد المئوي للميجي ثالث قوة اقتصادية في العالم . وأول دولة في التكنولوجيا وفي عدد المهندسين ، بالنسبة للسكان وأكثر الدول استعالاً للإنسان الآلي robot إذ كانت في عام ١٩٨٢ تملك نصف هذا النوع من الآلات في العالم . وللموذج الياباني أنصاره . ففي تايوان وفي كوريا الجنوبية عملت المساعدات الأمريكية والاستثمارات اليابانية على تعجيل التنية الصناعية ، فقامت الصناعات الخفيفة ، ثم تلتها مركبّات بحرية للصناعات الثقيلة ، على غرار اليابان . وفي خلال بضعة أعوام ، استطاعت مجموعة هيونداي الكورية أن تفرض نفسها في الأسواق العالمية حسب الطريقة اليابانية (١) ، وأصبحت سيارات كوريا الجنوبية معروفة بجودتها في العديد من الأقطار .

أما الصين التي كان مجمعها الزراعي والعسكري يقت التجديدات التقنية ، فقد ظلت تتخبط خلال قرن كامل في الفوض والبؤس وذل « المعاهدات غير المتكافئة » . ومنذ « تحريرها » في عام ١٩٤٩ ، أعيد تكوين السلطة المركزية التي أعلنت عن نشوء « الصين الثورة » بعد قياس مدى التأخر الاقتصادي ، وأبعاد البلاد ، والتضخم الديوغرافي ، وذلك ضمن تجربة تنظيم اجتاعي اقتصادي مستوحاة في البداية من السوڤيات ، ثم أصبحت ذات أصالة كلية .

وقد كان لهذا « الطريق الصيني » أزماته الحادة كالقفزة الكبرى للأمام بين المراء الطريق الصيني » أزماته الحادة كالقفزة الكبرى للأمام بين ١٩٦٨ و ١٩٦٩ ، واستناداً إلى استراتيجية تنية اقتصادية قائمة على المساواة المطلقة والمواضعة على الجهد الجماعي ، وكان الطريق الصيني يرمي إلى إرساء قواعد إنسان جديد ، متضامن ، متعدد الكفاءات ، متفان ، أو حسب فكرة ماوتسي تونغ ، هو « أحمر وخبير » في الكفاءات ، متفان ، أو حسب فكرة ماوتسي تونغ ، هو « أحمر وخبير » في

⁽١) لقد عمدت كوريا منذ ١٩٤٦ إلى تحويل ٩٠٪ من المدارس الثانوية إلى معاهد مهنية تكنولوجية بصورة تدريجية ، وهكذا تحول شعبها من أمة كلام إلى أمة عمل ومهارة ، حتى أن عدد العال المؤهلين الكوريين وصل إلى رقم ٩٠٠٠٠ في أقطار الخليج العربي خلال عام ١٩٨٠ والمكلفين بتنفيذ المشاريع الكبرى .

الوقت ذاته . ولكن بعد عهد ماوتسي تونغ تأكد الفشل الجزئي على الأقل ، سواء في تغيير العقليات ، مثلها كان في النتائج الاقتصادية . وهنا رجحت آراء الواقعيين على العقائديين : وتبيّن أن رصيد مليار صيني من الناتج القومي لا يتجاوز ناتج ٥٣ مليون فرنسي ، الذي يقل عددهم عن الصينيين بمقدار ١٨ مرة ، أو أن مستوى الفرد الفرنسي الواحد أعلى بمعدل ١٨ مرة من مستوى المواطن الصيني .

ومنذ ١٩٧٦ استعاضت عن « الاعتاد على قواها الذاتية » بسياسة اقتصادية تقبل العون المالي والتقني من الدول الأجنبية ، ولاسيا من جارتها ، ورائدة شعوب آسيا في معارج الحضارة ، وهي اليابان ، التي تقدم العون التكنولوجي للاتحاد الموفياتي في استغلال ثروات سيبريا والتكنولوجيا الحربية للولايات المتحدة في أواخر ١٩٨٢ .



الامريالية اليابانية

لقد استولت اليابان في عام ١٨٧٦ على جزر كوريل وريوكيو « اوكيناوا » . وفي ١٨٩٥ انتزعت جريرة فورموزا « تايوان » من الصين ، وفرضت حمايتها على كوريا ، ثم ضمها نهائياً في ١٩١٠ . وفي أعقاب الحرب الروسية اليابانية التي دمرت فيها الأسطول الروسي في معركة تسوشها بتاريخ ٢٧ / ٥ / ١٩٠٥ ، استحوذت على النصف الجنوبي من جزيرة ساخالين ، مع ميناء بورت آرثر ، ومنطقة نفوذ في منشوريا ، التي أصبح اسمها في عام ١٩٣٤ منشوكوو ، وأصبحت امبراطورية تسدور في فلك اليابان ، التي نالت حق الانتداب من جمعية الأمم على الممتلكات الألمانية السابقة. في الحيط فلك اليابان ، التي نالت حق الانتداب من جمعية الأمم على الممتلكات الألمانية السابقة. في الاستحواذ على الصين وجنوب شرق آسيا وإدخالها في « نطاق الازدهار المشترك » ، خسرت اليابان نهائياً كل هذه الملحقات باستثناء جزر ريوكيو التي ردها الأمريكيون في عام ١٩٧٢ .



الصين

تضريس على شكل درجات

متد أرض جمهورية الصين الشعبية على رقعة تبلغ مساحة مصر . ملايين كيلومتر مربع ، أو ما يعادل عشرة أضعاف مساحة مصر . ويتألف ثلثا هذه المساحة من جبال أو من هضاب ينوف ارتفاعها عن ١٠٠٠ م . في حين لا تمثل السهول المنخفضة أكثر من عشر هذه البلاد . فهناك الصين العليا في الغرب ، ذات الملامح المورفولوجية والمناخية العائدة لآسيا الوسطى ، والتي تتنافر مع الصين الشرقية ، أو صين الموسميات . فن ناحية نجد أراضي مرتفعة وأحواضاً ذات آفاق واسعة متجانسة ، ومن ناحية أخرى منطقة مجزأة ، مؤلفة من جبال ومن أودية ومن سهول لحقية (إطهائية) كبيرة .

وتتألف التيبت ، التي تحوم ارتفاعاتها الوسطى حول ٤٠٠٠ م ، من تعاقب منخفضات وسلاسل ضيقة ، ترتفع السلسلة الجنوبية منها ، وهي هيالايا إلى ٨٨٨٨ مترا ، والتي تشرف على أخدود يجري فيه ، في اتجاه معاكس ، الجاري العليا لنهري الهندوس وبراهما بوترا . ونجد في الشرق حزمة جبلية ملتوية ، ذات اتجاه طولاني ترتفع إلى ٧٥٩٠ م ، وحيث تعمل خوانق نهري الميكونغ ويانفزي على عزل المعقل التيبتي . وتقوم في الشمال سلسلة مقوسة على مثل الارتفاع المسنية) وعن منغوليا .

ويتألف حوض سينجيانغ (التركستان) من حوضات ذات كثبان وسبخات ملحية ، تهبط أحياناً لما دون مستوى البحار ، كحوض تورفان الذي يهبط إلى - ١٥٤ م ، بيد أن جبال تيانشان القديمة التي نهضت إلى ٧١٣٩ م تنتصب بين حوض تاريم وظنغاريا ، والتي تتصل بالصين بواسطة ممر غانسو .

وتمتد منغوليا الداخلية على الهوامش الجنوبية لصحراء غوبي ، حيث يرسم النهر الأصفر (هوانغهه) عقفته الكبرى ، وهي عبارة عن شبه سهل Pénéphine متبلور الصخور ، ينهض في اتجاه منشوريا .

وبين هذه الحافة الصلعاء ، المؤلفة من جبال خينغان والكتل الجبلية الغابيّة ، التي كثيراً ما تتعمّم بالثلوج شتاء ، والتي تؤلف التخوم الكورية ، والتي ترتفع إلى ٢٧٤٤ متراً ، عتد السهل المنشوري ، أو هيلونغيانغ .

وتقوم شبه جزيرة ليادونغ وشبه جزيرة شاندونغ المتقابلتان ، والمتصفتان بكثرة تضاريسها ، وبخلجانها العميقة ، تقومان بإغلاق بحر پوهي Pohai ، وهو البقية الباقية من خليج كان أكثر اتساعاً في القديم . وقامت لحقيات النهر الأصفر المتراكمة بتشكيل السهل الكبير الذي يحده جرف من الغرب . وإلى الغرب منه تمتد هضاب اللوس Loess ، وهي توضّعات نهرية ريحية تحجب تفاصيل التضريس المدفون ، ولكنها تكون محزّزة بمسيلات ذات جوانب عودية . وإلى الجوانب يمتد حاجز كينلينغ الجبلي ، الذي يرتفع إلى ٤١٦٦ م ، والذي ينخفض كي يسمح للسهل الكبير بالاتصال بمر اليانغزي اللحقي .

ويجري نهر يانغزيجيانغ تارة في حوضات ، حيث تقوم البحيرات بتنظيم صبيبه ، إذ تردّ له في موسم الشح الشتوي بعض المياه التي تختزنها في فصل الفيضان الصيفي ، وتارة في خوانق وحشية ، ويقوم بحزّ مجراه في حوض سيشوان الأحمر ، الذي اشتق اسمه من لون الصخور الرملية التي حوّلها الحت

إلى تلال . والواقع تظهر كل الصين الجنوبية بالفعل ، على شكل متاهات من سلاسل جبلية صغيرة ومن منخفضات ، مع ساحل ذي جروف وشديد التحزّز باستثناء دلتا نهر كسيجيانغ ، الذي يصب عند كانتون . ولقد استطاع الكارست المداري في منطقة غوانغسي ، والناتج عن تحلّل شديد في الصخور الكلسية ، أن يقدم مشهداً غريباً مؤلفاً من أبراج صخرية ومن سهول صغيرة رطبة ، مشهداً يتكئ على مائدة منبسطة أكثر ارتفاعاً ، هي هضاب يونّان .

☆ ☆ ☆

تمتد الصين من الشرق إلى الغرب على مسافة ٥٠٠٠ كيلومتر ، أي تعادل المسافة بين لشبونة واستراخان عند مصب نهر الفولغا ، أو ما يعادل خمس حزم ساعية . وتعادل المسافة بين نهر آمور (هيلونغيانغ) ، الواقع على درجة العرض ٥٥ وبين خليج طونكين ، الواقع فيا وراء مدار السرطان ، البعد بين موسكو والخرطوم أو ٤٠٠٠ كم . وبالموازنة مع أوروبا تبدو الصين مزحزحة نحو الجنوب ، ولهذا يكون وضعها الجغرافي أكثر شبها بموضع الولايات المتحدة ، وعند تساوي درجات العرض فإن لشرقي الصين وشرقي الولايات المتحدة صفات مناخية متشابهة إلى حد كبير (شكل ٢) .



الشكل ٢

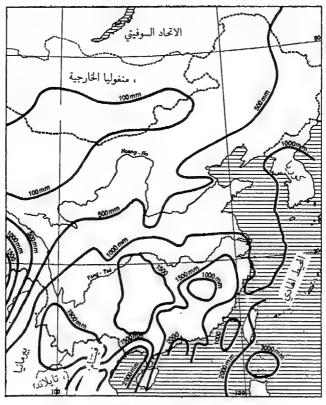
الصين: أرض النكبات الطبيعية

تزخر الحوليات الصينية بأخبار الكوارث القتالة: فالزلازل تصيب سائر البلاد المتصفة بشدة فقرها للاستقرار التكتوني: مثل إقليم يونّان، التيبت، سينجيانغ، غانسو، هضاب اللوس أو السهل الكبير، حيث وقع آخر زلزال في عام ١٩٧٦ وأودى بحياة ربع مليون نسمة في المنطقة الواقعة بين العاصمة والبحر. غير أن الخطر يصدر على الغالب من نزوات المناخ، التي تسبب سنوات القحط أو الفيضانات.

ويكون عدم انتظام المناخ ، الطابع المميز للصين الموسمية . أما الصين العليا فتتصف بشدة الفروق الحرارية ، اليومية والفصلية ، ففي طرفان يكون متوسط كانون الثاني - ١٠° ومتوسط تموز ٣٣° ، ولكن تسود قحولة ثابتة ، لأن كاشغر لا تنال وسطياً أكثر من ٥٥ مم من المطر .

ويسود على الصين الشمالية مناخ قاري ذو شتاء بارد ، وحتى قارس جداً في منشوريا . فيهبط متوسط حرارة شهر كانون الثاني في خاربين إلى - ٢٠° ، في حين يكون الصيف حاراً . ففي بكين يستمر الانجاد الربيعي في كل مرة تهب فيها رياح الشمال الغربي القادمة من منغوليا الحمّلة بغبار اللوس . ويكون هذا الفصل البارد هو الفصل الجاف أيضاً : فبين تشرين الأول وأيار لا تتلقّى مدينة تيانجين ، وهي ميناء بكين ، سوى ٨٩ مم من مجموع مقداره ٢١٥ مم . غير أن أمطار الموسميات الصيفية تكون شديدة التبدل بين عام وآخر .

وإذا كان معدل الأمطار السنوية في بكين هو ٦٣٠ مم ، فقد أمكن تسجيل حد أدنى هو ١٦٨ مم وحد أقصى ١٠٨٦ مم ، أي اختلاف بنسبة ١ إلى ٦ . وربحا تؤدي فروق أقل إلى تلف الموسم الزراعي . ففي السهل الكبير تسكب الأمطار الموسمية عادة ٦٠ مم في شهر حزيران ، حيث تم الحراثات الصيفية ، ولكن في خلال عشر سنوات ، وُجد أن هناك أربعة أعوام شديدة الجفاف ، أي أقل من خلال عشر سنوات ، وُجد أن هناك أربعة أعوام شديدة الجفاف ، أي أقل من الحراثة ويضيع الحصول (شكل ٣) .



التهطالات في الصين

الشكل ٣

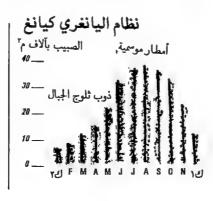
_ 777 _

ويكون السهل الكبير أيضاً واقعاً تحت تهديد النهر الأصفر ، الذي شيّده من وحوله الخصيبة . والواقع يكون نهر الهوانغهه نهراً غريب الأطوار ، فيكون صبيبه المتوسط ضئيلاً والشح الشتوي شديداً ، بعد أن يقوم بانعطافه الطويل في منغوليا . ولما كان هذا النهر يتصف بشدة حولته التي تبلغ ٣٤ كغم في المتر المكعب . فقد استطاع أن يبني عند مصبه في السهل مخروطاً ، يجنح النهر إلى التأرجح فوق خاصرتيه : فبعد أن غير مصبه مبتعداً بمقدار ٨٠٠ كم في عام المرفوع فوق خاصرتيه : فبعد أن غير مصبه مبتعداً بمقدار ١٩٠٠ كم في عام المرفوع فوق عصيبة لحقية ، محفوفاً بحواجب تنهار أحياناً أمام المرفوع فوق عصيبة لحقية ، محفوفاً بحواجب تنهار أحياناً أمام الملطة الثورية هي إصلاح هذه الحواجب .

أما الصين الجنوبية فتحظى بمناخ شبه مداري ذي فصول شتاء لطيفة وأمطار أكثر سخاء وانتظاماً. فإذا كانت شنفهاي تتعرض لبعض موجات البرد، لأن متوسط كانون الثاني فيها ٣,٣°، فإن الفصل الإنباتي يتجاوز الأحد عشر شهراً في الحوض الأحر. كا تجهل مدينة غواندونغ الواقعة في جنوب غرب كانتون الانجاد. وهنا ينطبق فصل الأمطار على الموسميات الصيفية، ولكنه يتدد بالتيفونات، التي كثيراً ما تلطم سواحل مضيق فورموزا. وفي كانتون تتلقى أربعة أشهر صيفية أكثر من ٢٠٠ مم، بين أيار وآب، وأربعة أشهر أخرى أكثر من ٨٠ مم. ولكن الاضطرابات الجوية الناجمة عن انتقال الجبهة القطبية، تجلب أيضاً بعض الزخات الشتوية ولا سيا في الوادي الأدنى لنهر اليانغزي (شنغهاي).



نظام نهر يانغزجيانغ: يتيز نهر يانغزي بصبيب وفير ونظام منسجم. فعند مصبّه ، وبعد أن يقطع مسافة ٥٦٠٠ م ، يصب وسطياً ٢٩٠٠ م ، أو أكثر غزارة من الفرات بمقدار ٢٨ مرة ، وأكثر من النيل باثنتي عشرة مرة . ويكون فيضان الصيف الواقع بين تموز وأيلول مخفضاً بسبب انسكاب الكثير من المياه في البحيرات الكبرى المنظمة ، وفوق ٢٠٠٠٠ كيلو متر مربع من الأراضي المنخفضة على طرفي مدينة ووهان . ولكن يظل انقطاع السدود الجانبية مع ذلك ، كا حدث في ١٩٣١ تهديداً مصلتاً فوق رقعة تمتد على ١٢٠٠٠ كيلومتر مربع وسهول غاصة بالسكان (شكل ٤).



الشكل ٤

☆ ☆ ☆

المنحنيات المطرية الحرارية في ست محطات صينية: تدل الأعدة في مثل هذه المنحنيات على ارتفاع التهطالات الشهرية . أما المنحني فيدل على الحرارات الوسطى الشهرية . ويندر أن تنطبق هذه القيم على الحقيقة ، بسبب شدة الاختلاف في الحرارة بين السنين ولا سيا بالنسبة لكية التهطالات (شكل ٧) .

وإذا حسبنا مجموع درجات الحرارة للأيام التي يكون معدلها الحراري أكثر من ١٠ ، أمكننا أن غير في الصين خمسة مجالات مناخية كبرى :

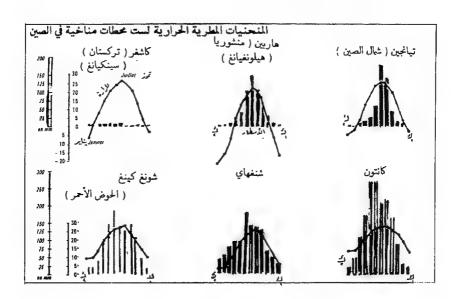
_ فعندما يكون المجموع السنوي بين ٩٥٠٠ و ٨٠٠٠ درجة حرارة سنتفراد فهذا نطاق مداري عدود بالجنوب الأقصى .

- وعندما تتراوح بين ٨٠٠٠ و ٤٥٠٠ درجة حرارة مئوية في الصين شبه المدارية حيث لا تمنع حوادث الانجاد الشتوي النبات ذا الأوراق الدائمة فوق الترب المفسولة الحراء .

ـ أما المناخ المعتدل الدافئ ، ومثاله مدينة تيانجين ، فيتراوح المجموع الحراري فيه بين ٤٥٠٠° و ٥٢٠٠ درجة ، وهنا يكون الشتاء بارداً والصيف حاراً . ويتألف النبات الطبيعي من غابة أشجار ذات أوراق نفضية أو من أشجار مخروطية ، أو مروج فوق ترب سمراء فاتحة ، معتدلة أو قلوية .

- وعندما يكون المجموع بين ٣٢٠٠ و ١٧٠٠ فالمناخ معتدل بارد ، ذو شتاء شديد البرودة ، ولكن يظل الصيف حاراً يسمح بقيام المزروعات ويكون المشهد النباتي متناسباً مع مقادير التهطال ، فإما أن يكون غابة شمالية من راتنجيات (طايغا) أو سهب أو صحراء .

ـ وعندما ينخفض المجموع عن ١٧٠٠ درجة فالمناخ قطبي . ففوق ترب متجمدة مدة تقارب نصف السنة ، كا في شال منشوريا والتيبت لا تكون هناك زراعة ممكنة .



الشكل ه

الصين: إحصاء عسير

لقد انقضى حين طويل من الدهر دون أن يجري تعداد الجماهير الصينية اللهم ، إلا بصورة تقريبية ، كاستهلاك الملح ، والرسائل المنقولة ، والعائلات المكلفة بدفع الضرائب . ولكن كان من المتفق عليه منذ ٢٠٠٠ عام بأن الصين تؤوي إجمالاً ربع بني الإنسان ، وبعد أن كان عدد الصينيين ستين مليوناً حتى القرن الثاني عشر ، بلغ ١٢٠ مليوناً في أواسط القرن السابع عشر ، بفضل انتشار نوع جديد من الرز المبكر ، سمح بجني محصولين في العام في جنوب البلاد . وبعد ورود مصادر أقوات جديدة ، قادمة من أمريكا ، كالذرة الصفراء والبطاطا الحلوة ، تضاعف عدد السكان بين ١٧٥٠ و ١٨٥٠ كي يبلغ ١٥٥ مليوناً . وقبل ظهور مالتوس بخمسة أعوام ، أبدى أحد المثقفين الكبار تخوفه من هذا الرق

ولقد حدثت ثورة ديموغرافية كا في أوروبا ، ولكن دون ثورة صناعية ، مما أدى إلى اكتظاظ السكان ، وكان قتل الأطفال شائعاً ، ونسبة الوفيات عالية ، واستفحال الكوارث الطبيعية ، والتدخلات الأجنبية ، والحروب الأهلية ، مما يدفعنا للافتراض بحدوث ركود عددي في عام 1969 .

وكانت نتائج أول إحصاء جرى في عام ١٩٥٣ باعثة على الدهشة . إذ كان في الصين القارية ٥٨٣ مليوناً من السكان ، ورقماً مدوّراً بلغ ٦٠٠ مليون إذا حسبنا معهم سكان الصين الوطنية في تايوان ، و « الجاليات الصينية » فيا وراء

⁽١) كان نابوليون الأول يقول : الصين جبار نائم ، ويل للعالم إذا استيقظ .

البحار ، وهو رقم مقبول من الجميع . وتستند التقديرات التالية دوماً على هذا الإحصاء . ولكن الوضع الديموغرافي تطور بعد هذا التاريخ .

ذلك أن التعليات المشدّدة التي فرضها النظام ، واستئصال شأفة « الآفات الأربع »وهي السذباب ، والبعوض ، والبراغيث والجرذان ، وحملات التلقيح والتطهير قد عملت جميعاً على تحديد الأمراض المستوطنة كالبرداء والجائحات . وقد انخفضت نسبة الوفيات إلى ٨ بالألف ، ولا سيا وفيات الأطفال التي هبطت إلى ٥٠ بالألف ، أي نصف نسبتها الوسطية في العالم العربي ، كا أن الأجل المتوسط بلغ ٥٠ سنة . غير أن تخفيض نسبة الولادات كان أكثر صعوبة ، فلك أن التقلبات الايديولوجية كانت تؤثر على السياسة الديوغرافية . وقد كانت حملة تحديد التوالد ، التي بدأت في ١٩٥٦ ، والتي نشطت من جديد في كانت حملة تحديد التوالد ، التي بدأت في ١٩٥٦ ، والتي نشطت من جديد في الأرياف . وكانت في البداية محرضة توصي بالعقة و بالزواج المتأخر . كا أن الإجهاض وتعقيم الذكور كان من الأمور الشائعة ، غير أن منع الحمل ، كا في تايوان ، وهونغ كونغ أو سنغافورة ، وهي أيضاً مأهولة بصينيين ، هي التي تستطيع تفسير الانخفاض الحالي الواضح في الولادات . ومع ذلك تبدو تستطيع تفسير الانخفاض الحالي الواضح في الولادات . ومع ذلك تبدو

ومنذ ٢٥ سنة ، ومع نسبة تزايد طبيعي سنوي متوسط تعادل ٢ بالمئة ، أي أن هناك تزايداً سنوياً يتراوح بين ١٢ و ١٧ مليون نسبة ، فعنى ذلك أن عدد الصينيين سيكون بحدود ٩٦٦ مليون في ١٩٧٧ أو مليار كي يبلغ ١٠٤٠ مليون في الصينيين سيكون بحدا بالحكومة الصينية إلى التدخل رسمياً في السياسة الديموغرافية ، والسماح للأسرة بولدين فقط ، ولكن مع تفضيل الولد الواحد ، ذكراً كان أو أنثى ، وفرضت عقوبات مادية على الزوجين اللذين ينجبان أكثر من ولدين .

السن الأدنى للزواج

شبان بنات حسب قانون ۱۹۵۰ ۲۰ سنة ۱۸ سنة مع التوصية :

في الأرياف ۲۰ سنة ۲۲ سنة في المدن ۲۷ سنة ۲۰ سنة

وهناك بعض العموامل المشجعة على الزواج المتأخر ، وبالتالي على انخفاض الخصوبة ، تستطيع أن تلعب دورها أيضاً : مثل شدة الضغط الاجتاعي ، ارتفاع المستوى الثقافي ، تحسين وضع المرأة ، ولا سيا مساهمهن في النشاط الاقتصادي . وفي تايوان ، وفي سنغافورة ، حيث يكون السكان من الصينيين ، تكون الظاهرة مماثلة ، وعفوية أكثر ، وقد ساهمت بقدار الثلث في انخفاض نسبة المواليد الحسوسة جداً في خلال ١٥ عاماً فقط .

الأوضاع الديموغرافية الرسمية أو التقديرية بالنسبة لكل ألف مواطن

	1907	1907	1574	1444
نسبة التوالد	77	37	77	۲٠
نسبة الوفيات	١٧	11	١٠	٨
النمو الطبيعي	۲.	77	77	۱۲

هرم الأعمار لسكان الصين حسب إحصاء ١٩٥٣

على الرغم من أن الأرقام الإجمالية تبدو مقبولة ، فإن إحصاء عام ١٩٥٣ أصبح مدعاة للشك . فالمناطق الهامشية ، ذات الأقليات القومية ، اكتفت بتقديرات إدارية ، إذ يكن تفسير القلة الواضحة جداً في جنس الإناث بين ٥ - ٣٠ سنة عارسة قتل الأبناء قبل ١٩٤٩ .

عناص هوم الأعمار

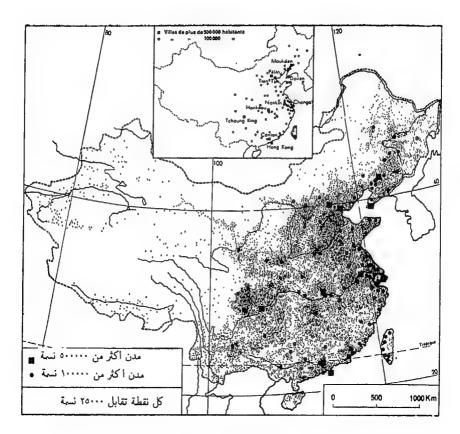
دون ۱۵ سنة	النسبة المئوية
40,1	في ١٩٥٣ حسب الإحصاء
71	حسب ديوغرافي أمريكي
40	في ١٩٧٨ (إحصاء الأمم المتحدة)
	70,1 T1

الصين : تفاوت الإعمار السكاني

يحمل المشهد الصيني التأثير البشري بصورة عميقة ، وذلك على الأقل في « الصين القديمة » ، التي تضم ١٨ إقلياً « مقاطعة » ، والتي طورتها أجيال متعاقبة من الفلاحين ، لأن الطبيعة تسترد حقوقها عند الاقتراب من الصحارى والجبال في « الصين الخارجية » . ويكون توزع الإعمار السكاني شديد التباين . فإذا كانت الكثافة الوسطى تعادل ١٠٨ نسمة في الكيلو متر المربع ، فإن الحدود القصوى تتراوح فيها بين ١ و ١٠٠٠ ، وهكذا لا يعيش في النصف الغربي من البلاد سوى ٢٪ من السكان .

أما أكثر المناطق سكاناً فهي السهل الأصفر الكبير ، وشبه جزيرة شاندونغ ، وسهل اليانغزي الأسفل والأوسط ، والحوض الأحمر في سيشوان . ويضم إقليم شاندونغ ٦٥ مليون نسمة على مساحة ١٥٠٠٠٠ كيلو متر مربع ، مثلما يحوي إقليم سيشوان ٩٠ مليون فوق رقعة تعادل مساحة فرنسا ، أو أكثر بقليل من نصف مليون كيلو متر مربع . وتكون الكثافات مرتفعة في الصين الجنوبية ، وذلك في مناطق زراعة الرز كالدلتات وقيعان الأودية ، ولا تكون التلال المعرّاة من غاباتها بأقل كثافة بكثير وذلك بفضل زراعة شجيرات الشاي . بيد أن الجبال قد أخلاها الفلاحون الصينيون لأقوام مطرودة مؤلفة من رعاة أو فلاحين عارسون زراعة متنقلة (شكل ٦) .

أما السواحل الجنوبية فقد كانت مصدر هجرة لما وراء البحار. فنذ عام ١٨٥٠ كان الآنكلوسكسون يحشدون في كانتون طوابير الشغيلة للعمل في مزارع المطاط في أوقيانوسيا وفي مد الخطوط الحديدية العابرة لأمريكا. ولكن



كثافة سكان الصين الشكل ٦

التيار الرئيسي هو الذي اتجه نحو آسيا الجنوبية الشرقية . وبعد عدة موجات من المهاجرين إلى تايوان ، وآخرها كانت في عام ١٩٤٩ ، أصبحت تايوان « فورموزا سابقاً » صينية تماماً تقريباً . كا أن مستعمرة هونغ كونغ البريطانية تضم أكثر من أربعة ملايين ، وُلد ٥٨٪ منهم في الصين القارية . أما في سنغافورة فيؤلفون ثلاثة أرباع السكان . ويتألف الصينيون في المهجر من مزارعين وصيادين أو عمال مناجم ، ولا سيا من تجار ، لا مثيل لنجاحهم الاقتصادي ، ولكن يظل تماسكهم الاجتاعي والثقافي حقيقياً . ولكن إذا كان

لا زال بعض الصينيين يهاجرون دوماً عن طريق هونغ كونغ ، فإن هناك صينيين يعودون للوطن على أثر طردهم ، نتيجة حركات معادية للأجانب ، كا في أندونيسيا وفيتنام ، وهكذا تستقبل الصين بعض مغتربيها .

ولقد وجدت الصين الشمالية متنفساً لها في السهوب التي تحتاج إلى الاستزراع فيما وراء سور الصين الكبير. ففي خلال العشرينات استقر الكثير من المعمرين في وادي هوانغهه الأوسط الصالح للري ، أو سكنوا في منشوريا (هبلونغيانغ). وقد بلغ عدد هؤلاء الآن ٩٠ أو ١٠٠ مليون في المدن ، وفوق رقعة من سهول خصيبة تمتد على مساحة تبلغ ٢٥٠٠٠٠ كم وبعد أن جرى تقسيم منشوريا إلى ثلاثة أقاليم ، خسرت اسمها السابق ، وأصبح اسمها دونغبيه أي الشال الشرقي .

أما في منغوليا الداخلية فإن عدد الصينيين ارتفع إلى ٩ ملايين أو ضعف عددهم في ١٩٥٣ ، إلى جانب مليون واحد من المنغول البدو . وبعد الفراغ من بناء الخط الحديدي الجديد في اتجاه الشمال الغربي ، وصل بضعة ملايين من الروّاد إلى إقليم تركستان الصينية أو سينجيانغ ، وأصبح الصينيون يؤلفون ٤٠٪ ، بعد أن كانوا لا يزيدون عن ١٥٪ قبل ثلاثين عاماً . وهكذا تعمل إعادة توزيع الإعمار السكاني على تخفيف الخناق عن « الصين القديمة » .

غير أن هذا الاستعار الحقيقي للرقعة الصينية ؛ لا يجري بالضرورة دون نزاعات مع الأقليات القومية ، أو امتعاضها المكبوت على الأقل ، والتي تخشى على نفسها من الغمر.

*** * ***

لقد تزايد سكان الصين بالموازنة مع عام ١٩٥٣ من حيث العدد ، وذلك على الأقل بمدل ٥٠٪ ، في حين أن بعض الانتشار السكاني المنظم أو العفوي ، يتم باتجاه الشمال الغربي والشمال الشرقي . ولكن يبدو من الحمّل أن التوزع الجغرافي للسكان يظل منسجاً إلى حدّ ما مع هذه الخارطة ، مع

وجود أهم الكشافات السكانية في السهل الكبير والحوض الأحمر ، ووادي اليانفيزيه وسواحل الصين الجنوبية .

ويظل التنافر في توزع السكان بين « الصين القديمة » الشرقية ، مجال الزراعة المستقرة القائمة على الماء وبين الصين الغربية ، المنصرفة نحو البداوة الرعوية ، باستثناء بعض الغوطات المروية . فقد حرى تقسيم إقليم سيشوان الشديد التباين ، بين الحوض الأحمر وجبال التخوم التيبيتية . وقد أمكن دمج منشوريا ، وهي المنطقة الوحيدة من « الصين الخارجية » ، التي أمكن دمجها مع الصين القديمة بعد قرن من الاستعار وذلك في نصفها الجنوبي ، على الأقل .



استناداً إلى دراسة قام بها (جنتل) في عام ١٩٧٤ ، في كتابه « الصين » . أورد المفارقات القائمة بين جزأي الصين والتي تتجلّى في الصفات التالية :

الفرب	الشرق	
مشتتون	كثيفون	السكان
أقليات	هان	القوميات
حديث	طويل	التاريخ المكتوب
مثنوعة	وحيدة	المدنية
		النسبة المئوية من
ضعيفة	مرتفعة	الأراضي المزروعة
أساسية	ثانوية	تربية الماشية
شاسعة	نادرة	الأراضي القابلة للاستزراع
محلية ونادرة	متقدمة	صناعة
عسيرة	سهلة إلى حدّما	مواصلات



الشعب: الهان والأقليات القومية

يؤلف الصينيون بالمعنى العرقي للكامة ، أي الهان ، ٩٤٪ من السكان . ويعبّر التجانس الاجتاعي والثقافي ، الفريد إلى حدّ كبير ، عن تجربة مجتمع ريفي يعود لآلاف السنين ، استطاع كفاحه ضد نوائب الطبيعة أن يتخض عن تضامن مزدوج : ضن الأسرة والقرية ، كا تضيف التعاليم الكونفوشية احترام الامبراطور البعيد المنتدب من طرف الساء . كا يعمل استعال كتابة رمزية ، جرى الآن تبسيطها إلى حدّ كبير ، وتعليم لغة مشتركة هي « بيهوا » المشتقة من لغة « مانداران » في بكين ، يعمل على تلافي ظاهرة كثرة اللهجات .

ولا يكن ملاحظة اختلافات طفيفة بين الصين الشالية وبين الصين الجنوبية في غط الحياة إلا بصعوبة . ففي الشال ذي الشتاء القارس ، تبرز الحاجة إلى ضرورة تدفئة المساكن ، ويأكل الناس أرغفة من الخبز أو حساء الذرة البيضاء ، في حين تسير على الدروب العربات التي تجرها البغال ، أو قوافل الجمال . أما في المدن ذات الخطط المنتظم الذي أملته قواعد التنجيم ، فتهب الرياح القادمة من منغوليا حاملة معها دوامات الغبار . أما الجنوب اللطيف والرطب ، فهو مجال زراعة الرز والوحل الذي تتمرغ فيه الجواميس . وتتم عمليات النقل فوق ظهور الحمّالين ، ويستخدمون على الأنهار القوارب والسنابيك . أما المدن فهي عبارة عن متاهات من القنوات ومن الأزقة التي تقطعها المدارج الحجرية . ونلاحظ أيضاً وجود اختلافات انتروبولوجية بين أبناء الصين الشالية ، وهم على العموم أكثر بسطة في الجسم وبين أبناء جلدتهم أهل الجنوب .

أما الأقليات القومية « مينزو » والذين يبلغ عددهم ٦٠ مليوناً ؛

فلا وزن كبير لهم أمام الهان Hans ، إذ لا يؤلفون أكثر من ٢ أو ٧٪ من مجوع السكان ، ولكنهم يشغلون ٢٠٪ من رقعة البلاد . وتقوم هذه القوميات على اللغة ، كاللغات التركية أو المنغولية في الشمال الغربي ، واللغات التيبيتية البرمانية ، والوحيدات المقطع كالصينية ، في الجنوب الغربي ، وعلى الدين : فهناك البوذية واللامائية لدى التيبتيين أو الشامانية لدى المنغول ، والإسلام لدى الناطقين بالتركية مثل الويغور في التركستان ، وكذلك الهوي Huis وهم من المسلمين الصينيين في إقليبي نينغكسيا في الوسط ، وفي يونّان في الجنوب ، وعلى العرق لأن التاجيك والديغور ينتسبون إلى شعوب آسيا الوسطى البيضاء ، وبكل بساطة على غمط الحياة كالمزارعين المتنقلين ومربي الماشية المنتجعين في الجبال ، ومربي الماشية البداة في السهوب .

وتجاه هذه الأقوام « البرابرة » فقد تخلّت بكين رسمياً عن سياسة « التصيين » الرسمية ، فأنشأت معهداً مركزياً للأقليات القومية والمناطق أو النواحي ذات الاستقلال الذاتي .

وتسير بعض المجموعات في طريق المثل مثل الزوانغ في إقلم غوانغسي ، الندي كان يؤلف إقلماً ذا استقلال ذاتي في السابق . ولكن البعض الآخر يبدو أكثر عتواً على المثل ، مثلا لم تعد الحكومة تجبر الفلاحين المسلمين على تربية الخنازير في إقلم يونّان . ولقد أدى إلغاء منصب « اللاما » في لهاسّا عاصمة التيبت والالتزامات الإقطاعية ، وإعادة توزيع الأراضي ، وتحديد أراضي الرعي لدى البداة ، إلى اضطرابات وخاصة في التيبيت ومنغوليا الداخلية . وقد عمدت الحكومة المركزية إلى تقليص رقعة جمهورية منغوليا ذات الاستقلال الذاتي بشدة في عام ١٩٦٩ ، وربما يعود ذلك للخوف من حركة وحدة منغولية ، تدعمها جمهورية منغوليا المجاورة وربما الاتحاد السوفييتي .

بعض العبارات الصينية لفهم الأمماء الجغرافية کسي хi غرب شرق dong دونغ نان جنوب nan شمال بيه bei شان جبل (كتلة) shan کین جبل (سلسلة) gin لينغ ling جيانغ × شوان Hu بحيرة هو hai بحو هيه قطر غووه guo أصفر هوانغ huang أحمر هوتغ hong أسود Pei پيه ثلاث سان san أربع si سي أرض تي ti ماء تيان tian سلام آن an باب من men تنين لونغ long

☆ ☆ ☆

جينغ

Jing

عاصمة

المدن: بكين وشنغهاي

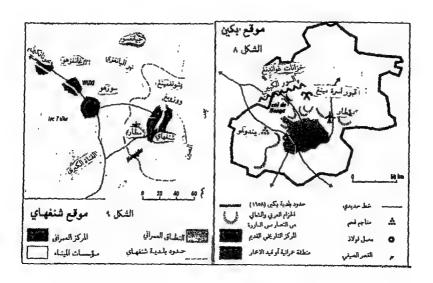
لقد كان ٨٦٪ من الصينيين من سكان الأرياف حسب إحصاء ١٩٥٣ ، والآن يعيش ٣٢٪ منهم في المدن . غير أن للصين مع ذلك تقاليد حضرية : فقد كانت هناك مدن ما قبل العصر الصناعي ذات الخطط الهندسي ضمن أسوارها (شكل ٧) ، وذات وظيفة إدارية عالية ، وكانت بكين تمثل نموذجاً عنها (شكل ٧) ، غير أن انفتاح الصين بعد عام ١٨٤٠ ؛ دفع لنشوء موانئ ذات المتيازات أجنبية مثل شنغهاي (شكل ٩) ، أما في منشوريا التي استعمرها



الروس ثم اليابانيون ، فقد قامت فيها مدن عند تلاقي الخطوط الحديدية ، وقرب المناجم ومدن صناعية . وعند ظهور أول مخطط خماسي بين ١٩٥٣ ـ ١٩٥٧ أصبح الاندفاع العمراني محسوساً ، فأصبح في الصين ١٦ مدينة كبرى تتجاوز المليون من السكان ، وفي بضعة أعوام زاد عدد سكان آنشان ، مدينة الفولاذ في منشوريا ، خس مرات ، كا حدث لمدينة لاتزهو ، عاصمة الغرب الصيني الواقعة على النهر الأصفر .

وقد عمدت الحكومة إلى الحد من الهجرة الريفية لتحاشي المساوئ الناجمة عن « تحضر وحشي » ، يؤدي حماً لمشكلات ومصاعب في السكن والاستخدام ، وذلك بتنظيم « كومونات الشعب » ، التي ترمي إلى انسجام إطار الحياة ، وتصنيع البلاد في العمق ، مثلاً عمدت إلى إطلاق « هجرة حضرية » أصيلة ، عن طريق إرسال شبان المدن المتعلمين إلى الأرياف المتأخرة أو النامية .

ولكن من المشكوك فيمه أن يكون أكثر من ٢٢٪ من الصينيين يقيون في دوائر حضرية ، والتي توسعت كثيراً كي تضم أرباض البساتين ، لأن رقعة بكين قتد على ١٧٨٠٠ كيلو متر مربع ، أو ما يعادل محافظة حلب كلها ، أو نصف أراضي مصر الزراعية . وإذا كانت شنغهاي الكبرى تضم ١٢ مليون نسمة فذلك مع المدن التابعة . وتعتبر شنغهاي من صنع الأجانب عند مصب وادي يانغزي في بحر الصين ، وبعد أن كانت الصين الجديدة مرتابة تجاه هذه المدينة ذات الأجناس المتنوعة والفاسدة ، والغاصة بالسكان نتيجة الرأسالية ، لم تستطع الاستغناء عن مشتل الأطر (الكوادر) والعال الذي تمثله هذه المدينة . وعادت شنغهاي لتحتل مكان الميناء الأول « ٥٠ مليون طن » ، وأكبر مركز صناعي في الصين : وفيها أكثر من مليوني عامل و ١٥٪ من الإنتاج ، مع بؤرة جديدة من صناعات ثقيلة عند مقرن نهر هوانغيو والنهر الكبير .



أما بكين التي أنشأها الفاتحون المنغول في القرن الثاني عشر والثالث عشر ، فتقع عند مدخل السهل الكبير وتتحكم بطرق السهوب . وبعد أن كانت عاصة أسرة مينغ الصينية ، التي شيدت القصر الامبراطوري ابتداءً من القرن الخامس عشر ، ثم عاصة الأسرة تسنغ المنشورية بين ١٦٤٤ و ١٩١١ ، اضطرت بكين لأن تتخلى عن دورها مؤقتاً لمدينة تانكين عاصة الجنوب ، والواقعة على نهر اليانغزي الأسفل من عام ١٩٢٧ إلى ١٩٤٩ . وتدين لماضيها العريق ولموقعها الاستراتيجي ، الذي كان دوماً رائعاً ، في عودتها إلى دورها كعاصمة بمبادرة من الصين الثورية . ويقع ميدان تيان آن تحت سور « المدينة المحظورة » ، التي تحولت إلى متحف ، والذي يلعب دور إطار لاستعراضات النظام القائم .

ولكن على الرغم من وظيفتها الإدارية ، لا تخلو بكين من وجود صناعة هامة ، ففيها ١,٨ مليون عامل ، مثلما تنو بكين بصورة مدروسة ، فإذا كان فيها ٩ ملايين نسمة فإن أربعة منهم يسكنون في الأرباض الريفية . ومن العسير دوماً على أي صيني أن يحصل على رخصة إقامة أو على مسكن في بكين .

إحصاءات المدن الكبرى الصينية تقدير عدد السكان بالملايين

شنغهاي	۸۰,۸	شونغكينغ	٣
بكين (بيجنغ)	۲,۲	كسيان	۲,۸
تيانجن (نيانسن)	۲,3	لودا (دايرن)	7,7
شنيانغ (موكدن)	۲,۸	هاربین (خاربین)	٤,٢
كانتون (غوانغزهو)	۲,۲	تانفين (نانجينغ)	٣
ووهان	٣,٢		

لا تزال بكين تحتفظ بكل جمال قصور وحدائق « المدينة المحظورة » ، التي كان يقطنها الأباطرة . ولكن اختفى قسم من السور القديم ، كا تم شق شوارع عريضة في أحياء البيوت الواطئة المحتجبة خلف جدرانها المبنية بالطابوق النيئ . وقامت على هذه الشوارع عمارات كبيرة حديثة . وتمتد المدينة نحو الشمال الغربي باتجاه التلال ، بواسطة مجموعات عديدة سكنية وجامعية في حين تتكاثر في المناطق الأخرى المصانع الرائدة ، والتي يدعى الأجانب لزيارتها .

أما ميناء شنفهاي فقد نما على مسافة ما ، بعيداً عن وحول دلتا نهر يانغزي على نهر هوانغبو ، ذي المياه العميقة ، وكانت مناطق الامتيازات الأجنبية تنفتح على الميناء . وظلت شنفهاي حتى الاحتلال الياباني في عام ١٩٣٧ تحقق ثلثي تجارة الصين الخارجية ، وبذلك أصبحت البؤرة الكبرى للصناعة النسيجية الصينية . وقد نجم عن رحيل الرأسماليين الأجانب أو الوطنيين في عام ١٩٤٩ باتجاه هونغ كونغ وتايوان ركود اقتصادي متطاول .

ثورة في الأرياف

لقد ظلت الزراعة الصينية تقليدية جداً حتى عام ١٩٤٩: فكانت كل عائلة تحصل على أكبر قدر ممكن من الفائدة من حقولها ، مع تطبيق تقنية بستنة متوائمة مع المستغلّة القزمة والمصحوبة بعناء منهك مضن ، لأن كل هكتار مزروع قحاً يتطلب ٨٠ يوم عمل ، ولم تكن الأرض تعرف الراحة . فكان نصف الحقول في الشال و ٧٠٪ من حقول الجنوب تعطي محصولاً مزدوجاً ،

بفضل شتل الرز بعد بذره في مشاتل ، مما يترك حقل الرز شاغراً مدة طويلة كافية لقيام زراعة بعلية شتوية . أما الري فكان مستعملاً بحذق في الجنوب حيث يزرع الرز ، وفي وادي الهوانغهه الأوسط ، بفضل السكور الاشتقاقية ، أو السدود التحويلية والدواليب الرافعة ، وحتى السهل الكبير اعتاداً على مياه الآبار .

ولكن وعلى الرغ من استعال « التسبيد الصيني » المؤلف من الساد البشري ، فقد كان المردود هزيلاً ، أي ٧ إلى ٨ كنتالات بالهكتار من القمح و ١٥ إلى ٢٠كنتال من الرز ، وكان الفلاح يقف مكتوف اليدين أمام النكبات الطبيعية ومتطلبات ملاكي الأرض .

هذا كا كانت الأراضي موزعة بصورة رديئة ، لأن ٧٠ إلى ٨٠٪ من الأراضي كانت تخص ١٠٪ من المالكين ، وقد قضى الإصلاح الزراعي على طبقة الملاكين الغائبين ، واسترد ٤٧ مليون هكتار ووزعها على ٧٠ مليون الملاكين الغائبين ، واسترد ٤٧ مليون هكتار صالحة للزراعة كانت مفتّة بين أسرة . غير أنه كان هناك ١٠٠ ملايين هكتار صالحة للزراعة كانت مفتّة بين ١١٠ ملايين من المستغلات . وفي ١٩٥٣ تحققت اشتراكية الأرض وكان كُل فلاح ينال إيجاراً حسب حصته وجرى ضم القطع المفتتة (تجميل remembrement) ونظمت فرق التعاون : تلك هي التعاونيات شبه الاشتراكية . وتم تنفيذ اشتراكية الأرض من المحاونيات بالكامل في عام ١٩٥٧ ، مع ظهور التعاونيات الاشتراكية التي بلغ عددها ٢٠٠٠٠ وهو عدد القرى ذاته ، المنقولة حرفياً عن الكولخوزات السوڤياتية ، واحتفظت كل أسرة فلاحية بمن المحاونيات وحديقتها ، وصار كل شغيل يعمل على أساس ١٥٠ يوماً في العام . كا قامت وحديقتها ، وصار كل شغيل يعمل على أساس ١٥٠ يوماً في العام . كا قامت

ومع انطلاقة القفزة الكبيرة إلى الأمام في ١٩٥٨ ، ظهرت « كومونة الشعب » أو « غونغ شه » ، وهي وحدة إنتاج زراعي وصناعي ، وهي

خلية الحزب والميليشيا ، التي تعبّئ أعضاءها في جو من التقشف والتضحية ، في خدمة الحقول و « الأفران العالية » القروية . وكان الرجال والنساء يعملون في ٢٦٥٠٠ كومّونة ، مدة ٢٥٠ يوم عمل لوقت غير محدود ، وكانوا يأكلون في مقاصف ، وينامون في مهاجع ، في حين كانت دور الحضانة والمدارس تهتم بشؤون الأطفال .

ولقد فشلت الكوم ونة ، ولكنها لا زالت باقية على أنها إطار إداري واجتاعي ، وتتوزع الكوم ونات الحالية وعددها ٥٠٠٠٠ مقدار ٩٥٪ من الأراضى ، لأن الباقي يشكل مزارع الدولة .

وعادت العائلات الفلاّحية إلى مساكنها وإلى قطع أراضيها . وأصبح العمل على الأراضي الجماعية منظاً ومأجوراً من فرقة الإنتاج ، وهو ما يعادل التعاونية الإنتاجية سابقاً . ولقد ورد ذكر فريق دازهي (وهي ناحية فقيرة في جبال شانسي) كثال على ذلك . وتضم كل فرقة وسطياً ٤٠٠ شغيلاً (ضمن ٢٠ فريقاً) ، غير أن الحدائق العائلية الحدودة بنسبة ٨٪ من الساحة المزروعة في الكومّونات ، تعطي حالياً ٢٠٪ من الدخل الزراعي ، وتنتج الخضار والمواشي الصغيرة والدواجن .

4 4 4

يجري الاعتاد في الزراعة على الفقر لزيادة كية العمل المبذول فوق الوحدة المساحية ، مثلما يتم اللجوء إلى تنويع الأنشطة الريفية للحيلولة دون انتقال السكان باتجاه المدن . فالكومونة الشعبية لا تقتصر على زراعة الرزأو القمح ، أو تربية الخنزير والأوز ، بل ينصرف العمل نحو كل شيء على المقياس الحلي ... ، فإذا كان الفلاح يسير خلف الحراث في الخريف ، فهو يعمل في الشتاء على صنع عرك مضخة مائية ، وإذا كان يقود جاموسة أثناء النهار ، فهو يلعب دوره في المساء في تمثيلية مسرحية .

عن ب . جنتل « الصين » نشر الطباعة الجامعية الفرنسية ١٩٧٤

الكفاح ضد النكبات الطبيعية

منذ عام ١٩٤٩ أصبحت جماهير فلاحي الكومونات و (جيوش البناء) ، من مدنيين وعسكريين ، تحت إشراف وزارة الحفاظ على المياه ، ومنهمكة في الكفاح ضد الكوارث الطبيعية وإصلاح الرقعة الزراعية المتضررة كثيراً ، وكانت ترمي المساريع الكبرى والصغرى إلى إعادة التحريش والحد من شدة الفيضانات ، وإلى ريّ الأراضي واستزراع أخرى ، وفي إنتاج الكهرباء . وتبدو نتائج هذا الجهد الجبار في السيطرة على الطبيعة غير متساوية ، فلا تزال الأرض الصينية خاضعة للجفاف وللفيضانات .

وفي سبيل الوقاية من ريح منغوليا ، ومن زحف الرمال على (الأراضي العنراء) التي تم إخضاعها للزراعة الطلائعية ، فقد تمت زراعة (الحاجز الغابي) أو (السور الأخضر العظيم) ، وذلك ابتداء من حدود منشوريا حتى شالي التركستان أو سينجيانغ . وتمتد أعمال التحريش إلى التلال وإلى السفوح التي تخددت بفعول حت التربة الشديد في الصين الشالية ، في منطقة اللوس ، كا هو الحال في الصين الجنوبية .

ومنذ عام ١٩٤٩ تضاعفت المساحة المروية ثلاث مرات ، فأصبحت هم مليون هكتار من أصل ١٣٣ مليون هكتار قابلة للحراثة ، منها ٥٥ مليون تروى بصورة منتظمة . وتم إصلاح منشآت الري القديمة . وتم حفر قنوات جديدة ، وتضاعفت مخزونات المياه مرات عديدة ، كا جرى حفر مليوني بئر ، وجهزت بمضخات ذات محركات .

أما في الجنوب فقد سمح الري بغمر حقول الرز عندما تتأخر أمطار الصيف ،

وبالحصول على محصول ثان خلال الشتاء إذا كان شديد الجفاف . أما في السهل الكبير ، فقد أصبحت الأقنية ، التي تجر المياه من النهر الأصفر ومن الآبار ؛ تسمح بريّ ٢٠ ٪ من الأراضي . وفي منغوليا الداخلية وفي سينجيانغ تكون كل الأراضي المزروعة مروية ومساحتها ٥ ملايين هكتار ، وكذلك الحال في الغوطات التقليدية وعلى الأراضي الجديدة المستصلحة والمستزرعة .

وقد قام الصينيون بتنظيم شامل لأحواض أنهارهم الكبرى ، ذلك أن التحريج وبناء سدود تخزينية في الجبال ، وحفر حوضات في الأودية يمكن أن تنصرف إليها مياه الفيضان ، أدّى إلى تخفيف خطر التهديد الجاثم على سدود اليانغزي والفيضانات . وكثيراً ما يرد ذكر مثال عن ذلك التنظيم الهيدروليكي في حوض هويهه ، وهو نهر هدام في جنوبي السهل الكبير . ولكن لا زال السهل الكبير في نصف الشمالي عرضة لنزوات النهر الأصفر . فلم يعد كافياً رفع سوية حواجبه الجانبية بتقويتها ودعها ، هذا فضلاً عن فتح سرير اصطناعي آخر له مع (قناة النصر). فلا زال الحت في منطقة اللوس يقتلع دوماً من التربة الخصيبة ما يعادل سنتيتراً واحداً في كل عام ، كا أن حمولة نهر الهوانعهه من اللحقيات لم تتناقص إطلاقاً. وهناك برنامج لبناء ٤٦ سدأ ، كي يكن تحويل هذا النهر الذي (لا يكن إصلاحه) إلى نهر مؤلف من درجات وصالح للملاحة . وقد تم إنجاز اثنين من أكبر هذه السدود مع بعض التأخير ، وهما سد ليوشا في العالية ، والذي يسمح بري وادي نهر الهوانغهو الأوسط، ويقدم عند مدينة لانزهو ١٠٠٠ ميغاواط من الطاقة الكهرمائية ، وفي ساغن ، عند مخرج الخوانق ، حيث تم بناء خزان سعته ٣٦ مليار م ، أى يزيد قليلاً عن سد الفرات السوري ، مما أدى إلى انخفاض الفيضان الأقص من ٢٧٠٠٠ م / ثا إلى ٨٠٠٠ م / ثا . غير أن هذا السد سيكون مردوم كلياً بالطمى قبل ثلاثين عاماً .

تنظيم حوض نهر هويه Huai:

لقد ظل القسم الجنوبي من السهل الكبير الواقع بين الخروط اللحقي للنهر الأصفر ، الذي يمكن ملاحظة سريره القديم ، أو الذي عاد إليه النهر بين ١٩٣٧ و ١٩٤٥ ، بعد أن جرى نسف سدوده الجانبية على أثر الغزو الياباني ، وبين الجرى الأدنى لنهر اليانغزي ، أقول : ظل على الدوام خاضعاً لكوارث دورية ، على شكل جفاف قاس شديد أو بسبب فيضانات نهر هويه . ولكن بين ١٩٥٧ و ١٩٥٧ خضع الحوض النهري لتنظيم رائع : فقامت سدود تخزينية على هامشه الجبلي ، الشديد العراء من الغابات ، مثلاً ثم حفر بحيرات لاستقبال مياه الفيضان في السهل ، وتم تمديد ١٤٠٠٠٠ كيلومتر من القنوات من شتى الأنواع ، تستخدم للري وللصرف ، والتي تقوم إحداها بفتح مصرف عريض مباشر إلى البحر لنهر هويه ذاته . غير أن جوّ التهافت الذي جرت فيه هذه الأشغال والتي استمرت خلال حملة (قفزة كبيرة إلى الأمام) ، لم تستبعد خيبات الأمل التقنية فيا بعد .

وأخذت كل كومونة على عاتقها بناء سدود صغيرة ، وبحفر قنوات وياقامة مضخات . وقد أذى هذا الجهد أحياناً إلى كارثة ، هذا في الحالة التي يؤدي فيها فرط الري إلى صعود الغشاء المائي الباطني ، وبالتالي إلى تمليح التربة . وقد كان تسيير المؤسسات الجديدة على العموم عاجزاً . ويشير تقرير جرى في عام ١٩٦٢ ، قام بمقارنة ناحية مروية منذ ثلاثة قرون ، وأخرى منذ سبع سنوات فقط إلى أن الثانية تشكو من تسيير غير كاف وفاشل .

« الصين » دار . آ . كولان ١٩٧٠

المناطق الزراعية

يعمل كل من التضريس والمناخ على تحديد المساحة المزروعة بنسبة ١٤ ٪ والمراعي ١٩ ٪ والغابات ١٠ ٪ . وهناك خط يحاذي جبال كينلينغ ، يتوقف إلى الشال قليلاً من شنغهاي يقطع الصين الشرقية ، حيث يقع ٩٠ ٪ من الأراضي الصالحة للزراعة ، إلى شطرين . وهذا الخط ينطبق على خط الحرارة المتساوية صفر في شهر كانون الثاني ، مثلما ينطبق على خط الأمطار المتساوية الذي يعادل متراً واحداً من الأمطار في العام . وأخيراً على الانتقال من الترب الحامضة والمفسولة في الصين شبه المدارية إلى الترب القلوية ، الغنية

بالأملاح المعدنية في الشمال . أو بعبارة أخرى تقع صين الرز في جانب ، وفي الجانب الآخر ، أي الشمالي ، صين القمح .

وتطبع زراعة الرز المشاهد الزراعية في الصين الجنوبية: ولا سيا في حوض نهر سيجيانغ ويانغزي ، وكذلك في الدلتات والسهول اللحقية ، وتكون هذه الزراعة حثيثة intensive بصورة متفاوتة ، حسب الارتفاعات والفروق المناخية . وإذا كان من المتعذر جني أكثر من محصول واحد من الرز الصيفي في حقول الرز المرتفعة في يونّان ، فإن من الممكن حصاد ثلاثة مواسم في دلتا كانتون الذي لا يعرف الصقيع ، وذلك في بداية الصيف ، وفي الخريف وفي قلب الشتاء ، هذا إذا لم يكن شديد الجفاف . أما في الحوض الأحمر ، في سيشوان ، ذي المناخ الرطب واللطيف ، فيكن الحصول على موسمين فوق حقول الرز الصغيرة على شكل مصاطب : أي رز صيفي ، والقمح أو الشعير في الشتاء ، كا أن سهول اليانغزي الأوسط والأسفل ، حيث يكون الفصل الإنباتي ، أقل طولاً يمتد على ٣٠٠ يوم ودون انجاد خطير ، ولكنه يمتع بأمطار أفضل توزيعاً .

ويجنح استعال أنواع مبكرة إلى تعميم موسمين سنويين من الرز، ذي مردود أفضل. ولكن فوق التلال، على الترب الحراء، فإن الحقول تحمل مزروعات غذائية أخرى، وأقل عناية، كالذرة الصفراء والبطاطا الحلوة. غير أن المناطق الزراعية في الصين الجنوبية تتميز أيضاً ببعض المحاصيل التجارية التقليدية أو الجديدة. فهناك اختصاصات زراعية أصيلة في إقليم غواندونغ المداري: كقصب السكر، والموز، والجوت وحتى القهوة أو الهيشيا في جزيرة هاينان. وتنتشر شجيرات الشاي فوق التلال إلى الجنوب من يانغزي. ويكون تنوع مزروعات الحوض الأحمر مدهشة، حيث يزرع يانغزي، ويكون تنوع مزروعات الحوض الأحمر مدهشة، حيث يزرع عطي زيتاً صناعياً). وهناك أخيراً حقول القطن والقزازة (تربية دود القز) ، التي تنتشر حول شنغهاي.

أما في السهل الكبير من الصين الجنوبية فإن الزراعة المزدوجة هي القاعدة ، ولكن تتألف من زراعة القمح الشتوي الذي يندر أن يستفيد من الري ، ومن محاصيل صيفية متنوعة ، مثل الذرة البيضاء (غاوليانغ) والذرة الصفراء والقطن وفستق العبيد . ويفيد الري على الخصوص زراعة البساتين والأشجار المثرة .

أما في منشوريا فلا يكن الحصول على أكثر من زراعة صيفية هي الدرة البيضاء والصويا ، التي تتعاقب فوق الترب السوداء العميقة ، لأن الرز يحتل القيعان الرطبة أو المالحة . أما حقول المصاطب في إقليم اللوس فتحمل زراعة الدخن والذرة الصفراء ذات الحاصيل المتفاوتة باختلاف جودة المواسم السنوية . وإلى الجنوب من ذلك ، تتباين حقول القمح الربيعي الكبرى في مزارع الدولة مع الغوطات المروية في الوادي الأوسط من النهر الأصفر ، حيث تررع البطاطا ، والشوندر السكري والأعلاف ، أو في سينجيانغ حيث يزرع القطن الطويل التيلة والفواكه . وقد أمكن استصلاح بضعة ملايين من المكتارات في السهوب منذ ١٩٤٩ ، بيد أن الصين العليا تظل على الدوام عجال الرعاة من منغوليين وتيبيتيين .

ተ ተ

لقد نشأت المدنيّة الزراعية في الصين ، قبل ثلاثة أو أربعة آلاف من السنين ، في الحوض الأدى من نهر الموانغهه (النهر الأصفر) ، حيث يسود مناخ معتدل قاري ، متوسط الرطوبة إذ تتراوح مقادير التهطال بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ مم ، مستندة على موارد غذائية كالدخن ، ثم القمح الذي اقتبست زراعته من آسيا الوسطى . ولكن عندما امتدت الزراعة إلى الجنوب الشبه مداري تبنّى الصينيون الرز ، وهي زراعة علية بلا ريب ، وذلك بعد تحسين تقنيّات زراعة الرز كبناء حقول الرز ونظام الري ، وابتدعوا الشتل ، واصطفوا الأنواع ذات النو السريع .

ولدى الصين اليوم ٣٣ مليون من الهكتارات المزروعة بالرز أو ربع المساحة الزراعيـة المفيـدة .

وإذا استثنينا منشوريا حيث تسمح الحرارة الصيفية بنضج سنابله ، فإن الرزلم يتجاوز أبداً مجاله التقليدي ، إلى الجنوب من خط العرض ٣٤ . ولكن تعميم المحصول السنوي المزدوج من الرز يمدد الساحة المنتجة على مساحة ٥٠ مليون هكتار ، أو نصف مليون كيلومتر مربع ، أو ما يعادل مساحة العراق والأردن تقريباً .

هذا ويعتبر القمح الذي هو من الحبوب الحضارية ، كالرز ، الزراعة الكبرى الغذائية في الصين الشمالية ، ولكنه يكون هنا متشاركاً مع حبوب أخرى في زراعة بعلية شأن القمح : مثل الشعير الشتوي ، والدخن ، والذرة البيضاء ، والذرة الصفراء التي دخلت زراعتها للبلاد في القرن السابع عشر فقط على شكل زراعات صيفية . أما في حوض اليانغزي فإن القمح الشتوي ذا المردود الضعيف ، يتخلى عن مكانه حالياً للرز (المحصول السنوي الثاني) . وعلى العكس تمتد في الثمال الغربي مزارع القمح في بيئة مناخية شديدة البرد ، حيث يقل الفصل الإنباتي عن ٢٠٠ يوم في العام ، وشبه قاحل ، لأن كية التهطال تتراوح بين ٥٠٠ و ٢٥٠ مم من الأمطار السنوية . أقول : تمتد زراعة القمح الربيعي على جبهة رائدة في السهوب ، ولكن الصقيع المتأخر ، أو الجفاف المستديم قد يؤدي لخسارة المحصول كليّة . وعلى الرغ من الحواجز الغابيّة أو (الأحزمة الخضراء) فإن التذرية الريحية لخطارة لغصول كليّة . وعلى الرغ من الحواجز الغابيّة أو (الأحزمة الخضراء) فإن التذرية الريحية لخطارة لغطوط كليّة . وعلى الرغ من الحواجز الغابيّة أو (الأحزمة الخضراء) فإن التذرية الريحية

مزارع الشاي:

تتألف شجيرة الشاي من نبتة مدارية ذات أوراق دائمة ، تعود أصلاً للصين الجنوبية . وقد دخلت في التشكل النباتي الطبيعي للتلال التي تجردت من غاباتها ، وذات الترب الجانحة نحو الحرة ولكنها ليست لاتيريتية . وقد نقل الصينيون هذا المشروب للعالم قاطبة ، وحتى اسمه العالمي (شا) (أ) . بيد أن مزارع الشاي الصينية ، التقليدية كثيراً ، تتناقص مع المزارع الاستعارية في سيلان وأسام ، أو مع المزارع اليابانية ذاتها ، التي تزرع في صفوف متراصة . ويتم جني الأوراق دائماً بالأيدي ، على ثلاثة مواسم في العام ، وتكون الأولى أكثرها غزارة وأفضلها نوعية . ولا تصدر الصين إطلاقاً قوالب الشاي الأسود ، الحميس والمتلاصق بدم الثور ، بواسطة (طريق الشاي) القديم ، باتجاه روسيا . بيد أن الشاي الأخضر ، ذي النكهة المستحبة ، والذي يجود فوق تلال جنوب اليانغزي ، هو المستهلك في الصين ، والذي يتم تصدير قسم منه نحو الأقطار العربية .

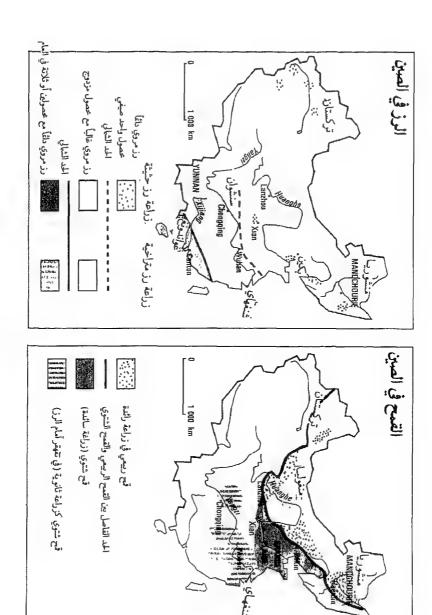
⁽١) ويممَى تايُّ في المغرب ، وشايُّ في سورية ، وجاي في العراق ، وشاهي في جزيرة العرب وليبيا .

المنتجات الزراعية

لقد أفلحت الزراعة الصينية منذ ١٩٤٩ في زيادة مقادير منتجابها كثيراً ، مثلها زادت إنتاجيتها بتوسيع المساحة الزراعية المفيدة من ١٠٧ إلى ١٩٣١ مليون هكتار ، أو ١,٣٣ مليون كيلومتر مربع ، أو ما يعادل مساحة مصر وسورية والأردن ، وكذلك بتوسيع حدود النطاقات القابلة للري ، التي أصبحت تؤلف على الأقل نصف المساحة الزراعية العامة ، أو ٢٧ مليون هكتار أو ١,٠٠٠ مليون كيلومتر مربع ، وذلك عن طريق الحصول السنوي المزدوج ، الذي شمل كل الرقعة الواقعة إلى الجنوب من نهر اليانغزي ، وفي الحوض الأحمر ، وحتى في السهل الكبير . وقد ارتفع استهلاك الأسمدة الكيماوية من مليونين إلى ٢٥ مليون طن . كا أدخلت أنواع جديدة من البذور (التقاوي) ، وتحسنت الطرائق الزراعية ، كا ساهمت مجالس (ميثاق النقاط الثانية) في زيادة المردود ، رغ توالي النكبات الطبيعية .

هذا ويكون استعال المكائن في الحراثة ، وفي الحصاد ، مقصوراً على الزراعة الرائدة ، ولا سيا في شال منشوريا حيث يعوّض إنتاش البنار مسبقاً ، في مناقع ، شدة قصر الفصل الإنباتي ، كا أن البور المحروث في كل سنتين (الزراعة الجافة) ، يصون احتياطى رطوبة التربة .

هذا وتخصص ثلاثة أرباع المساحات للحبوب الغذائية: وهي قاعدة غذاء الصينيين. وتقدم الصين ثلث محصول العالم من الرز، أو حوالي ١٣٠ مليون طن، مع مردود متوسط يعادل ٢٦ كنتال بالهكتار، مقابل ٢٠ في سهل البو الإيطالي وفي سهول الأندلس، لأن الرز الشتوي يكون قليل



الإنتاجية . أما إنتاج القمح ، فيقارب ٤٠ مليون طن ويعطي محاصيل غير منتظمة ، مع مردود ضعيف يتراوح بين ١٠ و ٢٠ كنتالاً بالهكتار (١) ، وعلى أثر دخول الأنواع الهجينة ، فقد أصبحت الذرة الصفراء تتوسع على حساب الدخن والذرة البيضاء .

ويكون إنتاج (الحبوب) في السنين العادية ، الأول في العالم ، غير أن الإحصائيات تدمج في هذه القائمة مقدار الربع المؤلف من الدرنيات كالبطاطا والبطاطا الحلوة ، التي يقارب إنتاجها ١٥٠ مليون طن . وفي عام ١٩٧٨ بلغ الإنتاج ٣٠٤ ملايين طن مقابل ١٨٥ مليون طن في عام ١٩٥٧ . غير أن الصين تشتري (تكملة) من الحبوب ، من شعير وقمح ، من السوق العالمية بلغ مقدار مقدارها ١١ مليون طن في عام ١٩٧٨ ، هذا في الوقت الذي تبيع فيه مقدار مليوني طن من الرز . ويبدو أن الأزمة الغذائية التي كانت مزمنة في الصين قد أمكن التغلب عليها ، إذ يتصرف كل صيني بمقدار ٢٧٠ كغم من الحبوب مقابل أمكن التغلب عليها ، إذ يتصرف كل صيني بمقدار ٢٧٠ كغم من الحبوب مقابل

وتكتل الموارد الغذائية بالخضار التي تؤكل طازجة كالبطيخ الأحمر أن ، أو مملحة أو محفوظة كالملفوف والخيار ، والثار وهي أقل وفرة باستثناء إقليم غواندونغ أو التركستان الصينية (سينجيانغ) ، والنباتات السكرية والزيتية .

وقد كان قطيع المواشي في (الصين القديمة) ملحقاً بالزراعة . وتربّي الصين ٢٤٠ مليون خنزير ، اعتاداً على تربية الماشية العائلية وفي الورشات الخارجة عن الكومونات ، فضلاً عن عدد لا حصر له من الطيور الأهلية ، ولا سيا الأوز

⁽١) أو نصف المردود في الداغارك وهولندا ، أو ضعف المردود في العالم العربي .

 ⁽٢) ويسمّى الرقيّ في العراق ، والجبّس في سورية الشمالية ، والدبشي في وادي الفرات ، والدلاع في بلدان المغرب
 والحبحب في الحجاز وجح في نجد .

الشكل ١٠

والبط والدجاج ، وتصدّر لحم الخنزير ومسحوق البيض . وتربي منغوليا الداخلية وسينجيانغ والتيبت مقدار ٧٥ مليون رأس من الأغنام ، ولكن الصين لا تصدر سوى الأصواف والجلود وأحياناً لحوم الأغنام المبرّدة أو المعلبة ، لأن استهلاك اللحم واللبن يظل محلياً على الغالب .

ويستمد الصينيون بروتيناتهم على الخصوص من الصويا على أشكال مختلفة ، ومن تربية الطيور والدواجن الصغيرة ، التي تعتمد على الفضلات المنزلية ، ومن صيد الأمماك من الأنهار ومن البحر ، حيث يبلغ مقدار الصيد ٧ خلايين طن من الأسماك ، ورغ الوسائل التي لا تزال تقليدية ، فإن المصائد الساحلية عند مصب نهر اليانغزي ، تنتج الأسماك الجففة ، وسواحل الجنوب في غواندونغ حيث يصاد سمك المرجان والروبيان .

المصاطب المزروعة في هضبة اللوس:

لقد استطاع العمل المضي المتد على آلاف السنين ، أن ينظم المنحدرات الستورة باللوس المتفاوت في نخانته على طرفي العقفة الكبرى للنهر الأصفر ، وتكون هذه التربة خصيبة طبعاً ، ولكنها منفذة ولا يمكن إخضاعها للري إطلاقاً ، وبما أنها هشة جداً فهي لا تناسب زراعة الأشجار . وانطلاقاً من الأودية العميقة ، في هذه البلاد المضرسة ، فإن الحت يصعد وهو يحفر أخاديد عميقة في اللوس . ويحتاج هذا المشهد الزراعي الرائع إلى الترميم باسترار . تلك هي أول منطقة في الكوارث الطبيعية والمجاعات في الصين ، فالدخن والذرة الصفراء تكونان تارة (محروقة) بالجفاف ، وتارة مجروفتين والجاعات الوحلية . ويطبق هنا أكثر من أية منطقة أخرى (ميثاق النقاط الثانية) وهي : السيطرة على المياه والحفاظ عليها ، إغناء التربة ، الحراثة العميقة ، اصطفاء البذور ، أبذر بصورة متراصة ، لزوم حماية البذار ، تحسين الأدوات الزراعية ، اتباع قواعد التسيير الصحيح .

وبين ١٩٥٧ وعام ١٩٧٠ لم ينشر الصينيون أية إحصائيات . أما أرقام المحاصيل المنشورة على أثر (قفزة كبيرة إلى الأمام) ، فقد كانت غير موثوقة ، وتعرضت لتصحيحات فيا بعد . أما منحنى نمو الإنتاج الغذائي فيبدو أنه ينطبق تقريباً على المنحنى الديموغرافي ، غير أن الأزمة الغذائية كانت عسيرة في ١٩٦١ - ١٩٦٣ ، إذ حدثت مجاعات محلية ، ولم يمكن التغلب عليها إلا باللجوء للاستيراد الكثيف في حدود عام ١٩٦٧ ، ومنذ بضعة أعوام كانت المواسم أكثر وفرة وأكثر انتظاماً . أما الناتج القومي الخام

PNB في الصين ، الذي يكون من العسير جداً تخمينه ، فإن الإنتاج الزراعي يحتل فيه الربع مقابل النصف في ١٩٥٧ . كا انخفضت حصة الزراعة في الصادرات ، فأصبحت ٤٠ ٪ مقابل ٧٥ ٪ ، بيد أن دورها الاجتاعي والاقتصادي يظل جوهرياً . وتستمد الدولة دوماً من الكومونات الزراعية الشطر الأكبر من مواردها ، لأن الزراعة تظل ذات الأولوية .

	الهند	اليابان	الصين	إحصائيات زراعية لعام ١٩٧٩
	٧٨,٥	10,1	188,0	رز غیر مقشر
تخمينات	71,7	٠,٢	11	قح
ملايين الأطنان	٠,١	٠,١	۱۳,۳	فول الصويا
	٦,١		۲,۹	فستق العبيد
بألاف الأطنان	04	08.	0	سكو
بآلاف الأطنان	٥٦٥	١٠٨	707	شاي
بآلاف الأطنان	110-	_	***	ألياف قطن
	٣	*1	17	حرير خام

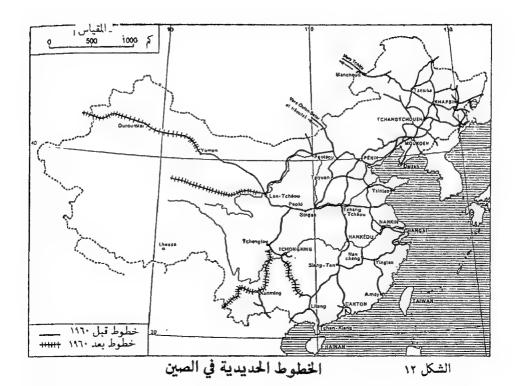
ولا تكون المزروعات الصناعية زراعات وحيدة إطلاقاً ، بل مشتركة ومندمجة في منظومة زراعة الحبوب ، حسب المناطق ، من قمح ورز ، ذرة بيضاء أو صفراء ، ولا تشذ عن ذلك المزروعات الشجرية كالشاي .

ومنذ ١٩٤١ توسعت زراعة القصب السكري في غواندونغ (أقصى الجنوب) ، والشوندر السكري في منغوليا . ولقد ارتفع إنتاج السكر الذي كان ٥ ملايين طن عشر مرات . وتحتل الصين المرتبة الأولى في إنتاج الزيت النباتي ، ولا سيا زيت الصويا ، وهي اول منتجة للتبغ . أما الشاي الذي يبلغ إنتاج الزيت النباتي ، ولا سيا زيت الصويا ، وهي اول منتجة للتبغ . أما الشاي الذي يبلغ إنتاجه من عن يقل قليلاً عن الإنتاج الهندي ، فيخصص للاستهلاك الحلي . وقد بذلت جهود خاصة في سبيل المواد النسيجية ، فدخلت زراعة الجوت إلى إقليم غواندونغ ، وجرى تحديث تربية دودة القز في المناطق التقليدية لزراعة التوت كجوار شنغهاي وكانتون ، كا هو الحال في شاندونغ حيث يجمع (الحرير البري) من فراشة البلوط . وتوسعت زراعة القطن ، فبلغ إنتاج أليافه ٥,٢ حيث يجمع (الحرير البري) من فراشة البلوط . وتوسعت زراعة القطن ، فبلغ إنتاج أليافه ٥,٢ مليون طن وأصحبت الصين ثالث دولة منتجة له بالعالم ، في وادي يانغزي ولا سيا في السهل الكبير وإقليم سينجيانغ ، حيث يزرع القطن الطويل التيلة مروياً . ولكن لهذه الجهود حدودها ، وها هي الصين مستوردة للحبوب ، وأصبحت منذ عدة سنوات تشتري مقادير متزايدة من الصويا ومن القطن من السوق العالمية ، وحتى من الولايات المتحدة .

المواصلات: عنق الاختناق

لا تزال الوسائل التقليدية في النقل شائعة الاستعال ، في القسم الأكبر من الرقعة الصينية ، كالقوارب والفلوكة على قنوات وأنهار الصين الجنوبية ، وقوافل حيوانات الحل على دروب الغرب . ولا تزال شبكة الخطوط الحديدية ، وحتى شبكة الطرق المعبدة متراخية جداً . فلا زال ربع الكومونات ، الواقعة بمعزل عن الطرق المرصوفة ، يتطلب إخراجه من العزلة . ورغ النجاحات التظاهرية ، فإن منظومة النقل الداخلي لا تزال تؤلف نقطة الضعف في الاقتصاد الصيغي . وتنقل الخطوط الحديدية تؤلف نقطة الضعف في الاقتصاد الصيغي . وتنقل الخطوط الحديدية الأجانب ، حسب مصالحهم الاستراتيجية أو التجارية ، كخط يونان البهلواني المهلواني المعد إلى هايفونغ وإلى الطونكين شال ثيتنام . أما الخط الحديدي الرئيسي الذي يربط هونغ كونغ بالعاصمة بكين مروراً بووهان ، فقد كان يفتقر إلى الجسور على نهر اليانغزي (اليانغتيي) . وفي عام ١٩٤٩ كانت الشبكة الجسور على نهر اليانغزي (اليانغتي) . وفي عام ١٩٤٩ كانت الشبكة كبير على الخط العابر لمنشوريا ، وهو إنجاز روسي ، وخط جنوب منشوريا ، كبير على الخط العابر لمنشوريا ، وهو إنجاز روسي ، وخط جنوب منشوريا ، وهو ما حققه اليابانيون خلال احتلالهم لمنشوريا حتى عام ١٩٤٥ (شكل ١٢) .

وقد خطط النظام الجديد لبناء ١٦٠٠٠٠ كيلومتر من الخطوط الحديدية خلال ٤٠ عاماً ، وقد أضيفت إلى الشبكة السابقة في المناطق الهامشية ، خطوط بلغ طولها ١٨٠٠٠ كم وهو الخط العابر لمنغوليا ، الذي يحقق الاتصال المباشر مع الاتحاد السوفييتي ، ولكن حسب العرض الروسي ، أي ١,٥٣ م ، والخط العابر للقارة في الشمال الغربي أو لانسين ، أي بين لانزهو (وسلط الصين) إلى



التركستان . والخط الغربي الذي يربط الخطين السابقين بالخطين الذاهبين إلى سيشوان وإلى كانتون . وقد تحول المحور الكبير من الشال للجنوب إلى خط مزدوج بين بكين وووهان . وقت كهربة قطاعات مثقلة بالحركة أو ذات مرتسم شديد التعقيد . وقد أصبحت الخطوط الحديدية والطرق البرية تجتاز نهر اليانغزي من الآن فصاعداً ، من فوق جسور في مدينة شنوغكنغ ، وووهان ، ونانكين .

وحيثا كانت البلاد تفتقر تماماً للخط الحديدي ، كا في التيبت ، فقد تم شق طرق نفوذ . ولدى الصين حالياً ٢٨٠٠٠٠ كم من الطرق المزفّتة ، مقابل ٢٠٠٠٠ كم في عام ١٩٤٩ ، ولكن حظيرة السيارات الشاحنة البالغة ٢٠٠٠٠ وحدة لا تساهم حتى الآن بأكثر من ٢ ٪ من حركة البضائع على مسافات طويلة ، وتخدم الشبكة الجوية الداخلية مئة مدينة .

وهكذا تلعب الملاحة الداخلية إذن دوراً كبيراً ، وذلك على الأقل في الصين الجنوبية في كل الفصول ، وفي منشوريا ، خلال الصيف فقط . وتر على نهر اليانغزي رغ خوانق ايشانغ ، أكبر حركة نقل في إقليم سيشوان . وقد تمت أعمال تعميق وتعريض وأقيمت منجنيقات لجر السفن بالحبال ، وإشارات مضيئة لتحسين قابلية هذا النهر الكبير للملاحة .

وبعد أن تلاشى الأسطول البحري الذي لا غنى عنه لتنية التجارة الخارجية ، استطاع أن يرفع حمولته من ٥,٠ مليون طنة حمولة خام إلى ٤ ملايين منذ ١٩٦٣ ، ويتألف من سفن مستعملة أو جديدة ذات غاطس ضعيف . وتفتقر الموانئ للأعماق وللتجهيزات الرافعة . وير قسم من تجارة الصين الدولبة على شكل ترانزيت من هونغ كونغ ، ويمر الباقي على الخصوص من سبعة موانئ ، كالحبوب في الاستيراد ، والفحم والنفط في التصدير ، وتأتي شنغهاي ولودا ، وهي دايرن القديمة ، وهي بوابة منشوريا ، في طليعة الموانئ النشيطة .

تقاليد الصينيين في التجارة البحرية: كانت السفن الشراعية الصينية تتردد في القرن الخامس عشر على سواحل إفريقيا الشرقية . ولكن خلال قرن استطاع الأجانب أن يحتكروا النشاط التجاري في موانئهم على الساحل الصيني مثل هونغ كونغ ، كينغداو ، أو دايرن (لودا اليوم) ، أو في موانئ امتيازاتهم مثل شنغهاي . ومن المتوقع أن تكون الشروط الملاحية متفاوتة على سواحل تمتد لمسافة ١٤٠٠٠ كم . فعند مصب نهر سيجيانغ ، ونهر يانغزي ، وهو المنفذ الوحيد إلى الحوض الأخر ، سشوان ، تقع هونغ كونغ وشنغهاي في موضع ممتاز لتأمين خدمة ظهيرين واسعين ، وهما من إنشاء أحنبي . أما كينغداو ولودا فينفتحان على خليجين شبه مغلقين ولا بأس بعمقها . بيد أن خليج بوهيه يتعرض للانجاد الشتوي . ومنذ بضعة أعوام أصبح نمو البحرية الصينية باعثاً على الدهشة . كا تستخدم الصين أيضاً سفنا تحمل رايات وهمية كسفن پاناما وليبيريا ، مثلما تستأجر سفناً علكها مجهزو سفن الصين أيضاً سفناً محمل رايات وهمية كسفن باناما وليبيريا ، مثلما تستأجر سفناً علكها مجهزو سفن ناقلات نقط من حولة ١٠٠٠٠٠ طن ، مما يسمح بشحن بترول منشوريا في كل الفصول . بيد أن نشاط المونية لا يتجاوز ٢٠٠ مليون طن من البضائع ، منها ٨٠ مليون طن تخص التجارة الدولية .

ولا تنزال وسائل الاتصالات ناقصة: إذ لا قلك العبدة . وليس هناك من خط الحديدية ، مقابل كل كيلومتر مربع من المساحة و ٢٠٠ م من الطرق المعبدة . وليس هناك من خط حديدي يواكب وادي اليانغزي . أما مدينتا شونغكينغ وووهان ، فها قبل كل شيء عبارة عن مرفأين نهر بين ومركزين للمسافنة Transbordement . وتختلف كثافة شبكة الخطوط الحديدية بشدة . وهناك بعض المحاور الكبرى التي تكون ذات خط مزدوج ، وعلى المسافر من أجل القيام برحلات طويلة نوعاً ما ، أن يقضي ٢٦ ساعة بين كانتون وبكين ، وثلاثة أيام حتى الحدود الصينية السوفياتية في منشوريا ، وأن يختار بين ثلاثة أنواع من العربات حسب نوعية المقاعد والمرتبات : مقعد قاس ، مرتبة قاسية ، مرتبة طرية . وهناك بعض الخطوط القليلة التي تزيد سرعة قطاراتها عن من منه مناهد احتفالي .

« عن م . جان ه الحياة الصينية » عن م . 1971 P.U.F. Que Sais-Je

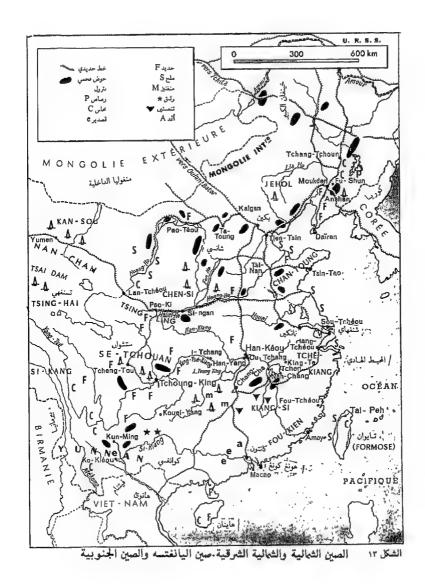
حركة الموانئ الصينية الكبرى في عام ١٩٧٨ مقدّرة علايين الأطنان

الطرق المائية النهرية: تملك الصين شبكة من الطرق المائية تمتد على ١٢٠٠٠٠ كم ، والتي تصلح للقوارب والفلوكة ، و ٢٠٠٠٠ كم تصلح للصنادل ذات الحرك . وتحقق الملاحة النهرية ٢٠ ٪ من النقليات الداخلية ، أو عشرة أضعاف النقل بالشاحنات ، وتكاد تنحصر هذه الحركة بالصين الجنوبية . أما في المناطق الأخرى فإن شح المياه في الشتاء والانجاد يعملان على شل حركة الأنهار . أما (القناة الكبرى) التي تم بناؤها في الماضي لنقل رز حوض اليانغزي حتى بكين ، فلم يتم بعد تنظيفها من الوحول إلا جزئياً .

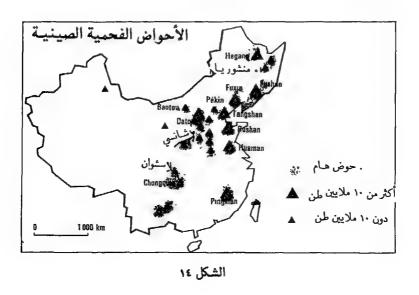
مصادر طاقة كبيرة

لقد دخلت الصين عصر الطاقة الحديث منذ برهة وجيزة: إذ لا يتجاوز ما يصيب الفرد فيها أكثر من ١٠٠ كغم من معادل الفحم . ولكن ثروتها من مصادر الطاقة ، من مستحاثة (حفرية) ومتجددة ، هي أفضل فرصة متاحة للتصنيع لديها .

ولا يكن مقارنة المدّخرات الجيولوجية في الأحواض الفحمية ، والتي تبلغ على أقل تقدير ١٠٠٠ مليار طن ، إلا بتلك الموجودة في أمريكا الشالية أو في الاتحاد السوفييتي . ويكن العثسور على مكامن الفحم في سائر أنحاء الصين ، ولكن الأحواض الكبرى وأجود أنواعه هي الواقعة في منشوريا وفي الصين الشمالية ، ولا سيا في شانسي (شكل ١٣) ، إذ يتوفر الأنتراسيت ، وفحم الكوك على شكل طبقات سميكة ، قليلة التشويم التكتوني ، ويمكن استغلالها على عمق قريب ، أو على المكشوف ، كما هو الحال في جبال الأبالاش الأمريكية ، أو في حوض الكوزباس الروسي في سيبريا الغربية . وإذا تركنا جانباً بعض الاستثناءات في الصين الجنوبية ، فإن كل المناجم الحديثة الكبرى ، تكون ممكننة ، وتعمل في منشوريا ، حيث جرى اكتشاف حقل فوشون ، الذي بدأ اليابانيون استغلاله ، والذي تتوضّع فيه طبقات الشيست البيتومينية ، التي يستخرج منها النفط فوق الفحم المدسم ، وفي شمال شانسي ، في حقل داتونغ ، وفي أطراف السهل الكبير ، وفي تانغشان في ولاية هوينان Huainan ، التي تؤمن استهلاك العاصمة ، وووهان وشنغهاي . ولكننا نجد في العديد من الأمكنة مناجم الكومّونات الصغيرة التي تقدم ٤٠ ٪ من الإنتاج الكلي ، مع كثير من النفايات ، وإلتي توفر الطلب الحلى .



ولكن وعلى الرغم من عدم دقة الإحصاءات ، فمن المؤكد أن إنتاج مناجم الفحم الصينية بلغ في ١٩٧٨ مقدار ٦١٨ مليون طن ، أي يتساوى مع إنتاج كل من الاتحاد السوفيتي أو الولايات المتحدة . وظل الفحم المستخرج حتى عام ١٩٧٦ يقدم ٨٦ ٪ من الحصيلة الطاقية (شكل ١٤) .



وتقدم المراكز الحرارية العاملة على الفحم ثلاثة أرباع الطاقة الكهربائية . غير أن الطاقة الهيدروليكية الكامنة ، تكون عظية لأن تجهيز نهر اليانغري لوحده ، يستطيع أن يقدم ثلاثة أضعاف طاقة فرنسا الكهرمائية ، ولكن هذا النوع من الطاقة لم يكد يدخل حيّز الإنتاج بعد ، لأن دوره لا يمثل سوى ٣٪ من الطاقة الكهربائية . وفضلاً عن السدود المنشورية التي خلفها اليابانيون ، تضاف الآن سدود نهر الهوانغهه ، هذا عدا عن العديد من المراكز المجهرية في الصين الجنوبية ، والتي تقدم الكهرباء لمضخات الري . وعلى كل لا تتصرف الصين بأكثر من ٢٥٠ مليار ك و س ، أي ما يعادل إنتاج فرنسا تقريباً التي يقل عدد سكانها عن الصين بعشرين مرة . ولديها خامات

اليورانيوم في سينجيانغ « التركستان » ويتم إغناؤه في لانزهو على النهر الأصفر الأعلى ، ويقتصر استعمال الطاقة النووية لغايات عسكرية بحتة .

وقد كان استغلال أغشية النفط معروفاً منذ القدم في ستشوان ، واتساع الأحواض الرسوبية مصدر الفأل الحسن . ولكن التنقيب عن النفط واكتشافه في الغرب في البداية ، في غانصو وسينجيانغ ، على شكل مكامن نائية ، كان عسيراً لصعوبة تصريفه نحو الشرق ، وهذا كان يكبح من تقدم الاستغلال . غير أن اكتشاف حقل داكينغ في عام ١٩٥٩ في منشوريا (شكل ١٥) ، والذي دخل مرحلة الاستغلال في ١٩٦٥ بواسطة مدينة زراعية يسكنها التقنيون الفلاحون ، ومن ثم مكامن خليج پوهيه وقديد أنبوب ، ومعامل تكرير ، سمحت جميعاً باستخراج ٢٩ مليون طن من النفط اعتباراً من عام ١٩٧٠ ، كي يرتفع إلى ١٠٤ ملايين طن في ١٩٧٨ . ويبدو الاحتياطي جسياً ، ولكن لم يكن بعد تقديره بشكل جيد ، إذ تتضارب التقديرات بين ٣ أو ٥٠ مليار طن ومعظمه فوق الجرف القارى off-shore .

النفط في الصين



الشكل ١٥

إنتاج البترول في الصين: قبل ١٧ سنة كان يتم في الصين استغلال حقول نفط وغاز طبيعي صغيرة في سشوان في موقع يومن Yumen ، وموقع كاراميه: Karamai في التركستان ، وذلك للحاجات المحلية . أما الصين الشرقية ، فكان الاستهلاك الضئيل من أجل التنوير أكثر من الاستهلاك في النقليات والصناعة ، وكان يتحقق عن طريق معالجة صخور الشست البيتومي ، حيث يستخرج طن واحد من النفط من كل ٢٠ طن من الصخور ، أو بواسطة استيراد البترول السوثياتي . غير أن اكتشاف حقل داكينغ قلب هذه المعطيات فقامت الصين بتجهيز نفسها بصورة محومة ، وضاعفت أطوال أنابيبها مرات عديدة فوصلت إلى بكين وإلى ميناء لبودا ، وزادت من طاقتها التكريرية فبلغت ٨٠ مليون طن ، واشترت آلات الخفر ، التي تسدّد قيتها من مبيعات البترول الخام ، المؤلف من نفط كثيف وكبريتي ، يوافق أصحاب معامل التكرير اليابانية ، وبلغ تصديرها ١٠ ملايين طن . ولكن تقع أكبر مدخراتها النفطية تحت مياه خليج يوهيه ، وفي الرصيف القاري ، في البحر طن . ولكن تقع أكبر مدخراتها النفطية تحت مياه خليج يوهيه ، وفي الرصيف القاري ، في البحر

ويتعلق استغلالها باتفاقات دبلوماسية شاقة مع تايوان وثيتنام أكثر من صعوبة الحصول على تكنولوجية معقدة من اليابانيين .



الحصيلة الطاقية لدى الصين استهلاك مصادر الطاقة الأولية (نسبة مئوية)

	1907	1444
الفحم	248	% \ •
بترول	XY	X\X
غاز طبيعي	۶٠,٤	%+,0
طاقة كهربائية	XY,1	%o

هذا وتكون المعطيات الإحصائية عن صناعة استخراج الفحم ، من أكثرها غوضاً حتى اليوم ، وبما لا ريب فيه أن الأرقام المتوفرة تشير إلى كيات المستخرج الخام ، قبل الفرز والفسل ، وليس الفحم التجاري . غير أن النجاحات تظل رائعة بلا ريب .



وتبلغ القوة الحركة المتوفرة ١٣٠٠ مليارك و س بالنسبة لجمل الأنهار ، ولكن إنتاج الطاقة الكهرمائية لا يتجاوز ٦٠ مليارك و س أو ربع الإنتاج الصيني من الطاقة الكهربائية . أما المراكز الحرارية في الأحواض الفحمية ، أو في المدن الكبرى ، فتنتج الباقي ، ولأكثر المؤسسات الكهربائية أو الحرارية دور محلى صرف .

وتظل شبكة النقل جنينية embryonnaire ، اللهم إلا في منشوريا ، وحول بكين وشنغهاي ، حيث يحقق ترابط المراكز مرونة أكبر في التوزيع . ولا زال هناك الكثير من الكومونات بانتظار الكهربة . ويظل استهلاك الكهرباء الفردي ضعيفاً ، أو حوالي ٧٧٠ ك و س بالعام للفرد الواحد .

☆ ☆ ☆

هذا ويضم باطن أرض الصين احتياطات هائلة من الفحم ، ذات قدرة حرارية قوية في الصين الشالية ، ومن نوعية أقل جودة في منشوريا ، ولا سيا في الصين الجنوبية ، حيث يكون عمر الفحم جوراسياً أو من الحقب الشالث . ويكون توزع المدخرات على الشكل التالي : ١٩٪ من الأنتراسيت و ٢٥٪ من الفحم الصالح لصنع الكوك ، و ٢٤٪ من الفحم الدسم ذي البخار ، و ٤٪ من الليغنيت . غير أن المناجم الباطنية تكون عرضة للكثير من الكوارث ، ناتجة عن ضربات غاز الغريزو(۱) ، والفيضانات والزلازل ، كا حدث في مناجم تنفشان في تموز ١٩٧٦ وعلى الرغ من تحسين طرائق الاستخراج ، وتقدم المكننة فإن إنتاجية المناجم الصينية لا زالت ضعيفة .



⁽۱) غاز سريع اللهب ينطلق من مناجم القحم ، وهو غاز ميتان مختلط بالأزوت بصورة متطاولة وبفاز الفحم وبالهواء الجوي . ويتكون في مساحات الفحم على أثر تفسخ المادة النباتية ويتكدس في جيوب طبيعية موجودة في سقف الطبقات . وعندما يخترق معول عامل منجم أحد هذه الجيوب ، يحدث انبعاث غاز الغريزو ، وعند اختلاطه بالهواء العادي تحدث فرقعة يكفى لهب مصباح عادي لحدوث الانفجار والحريق .

السياسة الصناعية

كانت الصين لا تزال حتى عام ١٩٤٩ في المرحلة الحرفية: واعتاداً على وسائل حاذقة وبدائية ، كان الصينيون يستخرجون من كل الأمكنة مقادير ضعيفة من الوقود ومن الفلزات المعدنية . وكان التنغستين والأثمد للتصدير ، في حين ظل الفن الصيني في صناعة الأقمشة الحريرية ، أو البورسلان والبرنيق الصيني ، محافظاً على سمعته . أما المصانع الحديثة ، ذات الرأسال الصيني ، فقد كانت نادرة ، باستثناء شنغهاي ، حيث قامت مغازل القطن ، وهي أول صناعة تنشأ في قطر متخلف عادة إلى جانب صناعة الأسمنت . أما الأساس الوحيد لصناعة ثقيلة ، والذي كان من صنع اليابانيين في منشوريا ، فقد قام السوڤيات بتفكيكه ، كغرامة حربية دون أن يخوضوا هذه الحرب فعلاً ، لأن الأمريكان هم الذين أجهزوا على اليابان في عام ١٩٤٥ .

ومن ثم قام السوڤيات بتمويل ١٥٦ مشروعاً كبيراً في أول مخطط خماسي (١٩٥٢ ـ ١٩٥٧) ، تعطي الأفضلية لقطاع الدولة أي لسلع التجهيز والمواصلات ، وأهمل الصناعة الخفيفة ، تاركاً مهلة وفرصة « للرساميل الوطنية » وإلى تعاونيات الحرفيين . ومن ثم تضاعف الإنتاج : ولكن الصين ظلت تنتج من الفولاذ أقل من فرنسا بثلاث مرات، ومن الكهرباء بخمس مرات ، ولم ينصب الاهتام إلا على منشوريا (هيلونغيانغ) ، التي سبق لها أن كانت أفضل تجهيزاً ، وعلى الصين الشالية الغنية بالفحم .

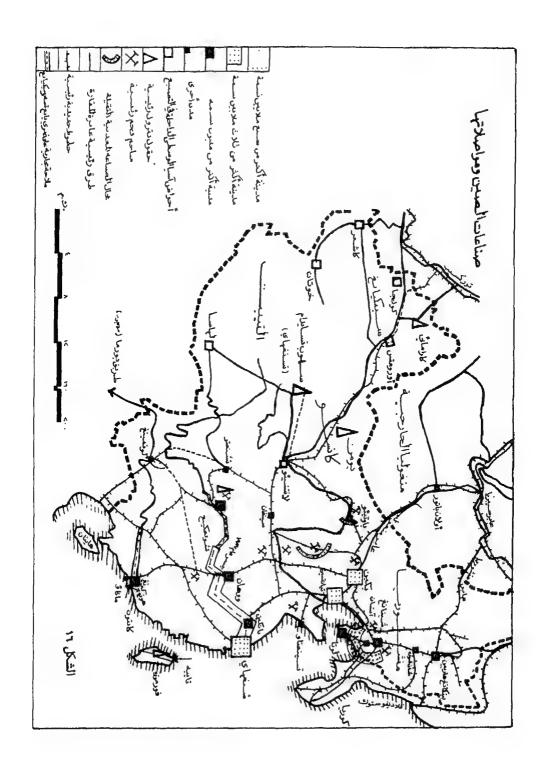
ولما أطلق النظام الحاكم شعار « القفزة الكبيرة للأمام » ، فإنه كان يرغب في تسارع التنبية عن طريق تعبئة الطاقة البشرية الكامنة ، ونشر بعب في تسارع التنبية عن طريق تعبئة الطاقة البشرية الدول الكبرى (٢٤)

التصنيع في طول البلاد وعرضها عن طريق تنظيم « الكومتونات الشعبية »، وهي وحدات ذات استقلال ذاتي ، زراعية وصناعية في الوقت نفسه ، وكان الهدف من البعثرة والاستقلال الذاتي حل مشكلة النقل . ويستطيع فرن عال فلاّحي أن يسكب بضعة أطنان من الفونت باليوم ، وهكذا تم بناء ومن عال فلاّحي أن يسكب بضعة أطنان من الفونت باليوم ، وهكذا تم بناء الضعف . وحلّت الأوامر اليومية مكان الخطط ، ومكان الخطط السوفياتية لأرقام الإنتاج ، وكان الفشل : لأن الأرقام كانت خداعة ، والنوعية غير مضمونة ، فضلاً عن إنهاك قوى الشغيلة . وأدى رحيل الخبراء السوفيات إلى الضربة القاضية لأن البلبلة انتقلت إلى الورشات الصناعية الكبرى .

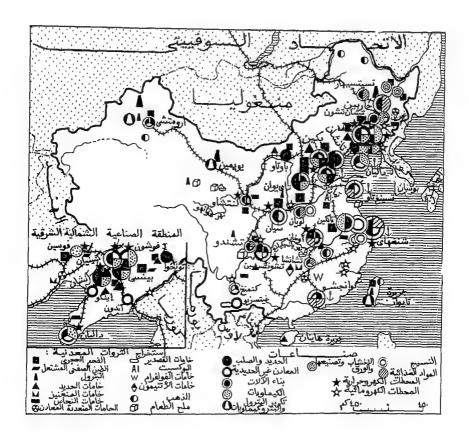
وبعد أن أصبحت الصين الماوّية لا تعتمد إلاّ على « قواها الخاصة » ، فقد عادت في عام ١٩٦٠ إلى منح الأفضلية للزراعة ، وللصناعات التي تعمل للزراعة مثل صناعة الأسمدة ، ولكنها ظلت دوماً تفكر في إقامة الصناعة في « أعماق البلاد » و« أن تسير على ساقين » ، كإقامة الصناعة الكبرى والصناعات الحلية ، وأنتجت الكومّونات ٢٠٪ من الفولاذ ، ٤٠٪ من الأسمنت والفحم و ٢٠٪ من الأسمدة .

ويقوم « ميثاق آنشان » على إشراك الأطر بالإنتاج والعال بالتسيير ، وعلى إلغاء العلاوات ، ويقلص مروحة الأجور غير أن التعتم الإحصائي ظل يحجب النتائج ، التي تبدو متفاوتة للغاية وذلك حتى عام ١٩٧٠ (شكل ١٦) .

ومع دخول الخطط الرابع (١٩٧١ - ١٩٧٥) تطورت السياسة الصناعية : فبعد أن أصبح لدى الصين كيات نفط للتصدير ، زادت من مبادلاتها ، وراحت تشتري التجهيزات ، وكرّست فترة ما بعد الماويّة القطيعة ، إذ أصبح للخبير الأرجعية على رجل السياسة . وشجعت الإنتاجية بعلاوات المردود . أما على الساحل فقد تمّ بناء الوحدات البتروكياوية ،



ووحدات صناعة الحديد الحديثة ، التي تم شراؤها « مفتاح باليد » من اليابان أو من أوروپا وتبدو أنها استوحت كثيراً من تجربة اليابانيين وخبرتهم الرائدة (شكل ١٧) .



الصناعة في جمهورية الصين الشعبية

الشكل ١٧

سياسة اقتصادية أكثر واقعية:

لقد كانت الأسباب الرئيسية لإعادة النظر . لخطط العشري (١٩٧٦ _ ١٩٨٥) ، الذي تم نشره في آذار (مارس) ١٩٧٨ ، هو الطابع الطوبائي للأهداف المقترحة ولاختلاف التوازن الناجم عن هيئة الصناعة الثقيلة بصورة مفرطة ، ولا سيا الصناعة الحديدية . فلم يخف العوز إلى الطاقة وكثرة أعناق الاختناق في وسائل النقل ، مما أدى إلى عرقلة نشاط المؤسسات ، فكان من الواجب تنية إنتاج الكهرباء ، وتقليص بعض مشاريع التجهيز الهامة . وهكذا كان مخطط « التعديل وإعادة البنية الكهرباء ، والتمتين والإصلاح » يستدعى الاهتام بالنقاط التالية :

- زيادة إنتاج الحبوب والمحاصيل الزراعية الأخرى ، واستناداً إلى المجلة الرسمية « بناء الصين » : « الزراعة هي ركن الاقتصاد الوطني . والتنبية الكاملة للزراعة هي التي تستطيع أن تسمح بتقديم الغذاء الوفير لسكان المدن ، وكذلك المادة الخام الضرورية للصناعة الخفيفة ، ولا سيا النسيجية ، سواء للحاجات المحلية وللتصدير . وعندما يبلغ الفلاحون وعددهم ٨٠٠ مليون نسمة مستوى الرفاهية فإن السوق الداخلية تستطيع أن تنو من نفسها .

ـ تنية الصناعات الخفيفة والصناعات النسيجية كي يمكن تزويد الجماهير بما يكفي من سلع الاستهلاك والتي ستزداد رواجاً مع تزايد القدرة الشرائية ، وأيضاً لزيادة حجم الصادرات .

ـ عدم الاكتفاء بتحسين الكية فحسب ، بل وجوب تحسين النوعية ، وتنويع منتجات الصناعة الثقبلة .

ـ بذل الجهود لتحقيق زيادة منتظمة في دخل العال والفلاحين .

إعادة النظر في بنية التسيير الاقتصادي الذي يجب أن ينح مختلف وحدات الإنتاج العاملة في الصناعة والتجارة والزراعة والمواصلات والنقل أكبر سلطة ممكنة للحسم وتخصصاً أكثر تقدماً.

ـ ضرورة أن تبذل المؤسسات جهدها لتحسين الإنتاج والتسيير والمستويات التقنية .

ـ نشر وتعميم التخطيط العائلي .

كاتم الإلحاح على ضرورة رفع السوية المعاشية أيضاً ، وذلك بتنشيط صناعة الخدمات وتنيتها .

عن مجلة قضايا اقتصادية ، ومجلة الشرق الأقصى الاقتصادية . هونغ كونغ ٥ تشرين أول ١٩٧٩

بناء مصفاة بترول في يومن (غانصو)

لقد كانت أعمدة التقطير الجوي ذات أبعاد متواضعة . وتعالج مصفاة يومن Yumen بترول حقل يقع في الغرب الصيني . وهو أول حقل على قدر لا بأس به من الأهمية تم اكتشافه . ولكن دوره ينحصر بتوين إقليم غانصو . وهناك أنبوب ينقل النفط إلى مصفاة لانزهو على نهر الهواننهه أو «هوانغهو = النهر الأصفر » وهي كمية أكبر من نقط يومن . وقد كوّن الصينيون جيولوجييهم بأنفسهم ، وكذلك فرق الحفر . غير أن صناعة التكرير تواكب مع بعض التأخير نجاحات التنقيب واستغلال البترول في الصين . غير أن النجاحات التكنولوجية في الصين لا تكون مع ذلك أقل دهشة .

« ففي خلال أول مخطط خماسي ، كانت الصين تستطيع أن تحقق بنفسها إنتاج ٥٥٪ من المكائن التي كانت بحاجة إليها ، أما الباقي فكان يجب تقليده حرفياً أو استيراده . وفي نهاية المخطط الثاني ، ومع تزايد الحاجات ، فإن نسبة المستوردات ارتفعت إلى ٨٥٪ . كا أن انتشار المهارة التقنية ، كانت تسير موازية مع نمو طلائعي في بعض وحدات الإنتاج ، وفي ١٩٧٢ كان المستوى التكنولوجي في بعض الفروع الصناعية لا يزيد تأخراً بأكثر من ١٥ سنة عن أفضل المستويات في الأقطار المتقدمة .

عن ب . جنتل . الصين ۱۹۷٤ . P.U.F

مركب الصناعة الحديدية في ووهان :

وهنا يبلغ التضاد حده الأقصى بين هندسة الأفران العالية ، وبين وسائل النقل اليدوي ، إذ قد نجد عاملة تحمل رافعة حديدية على كتفها ، أو تقوم بأعمال الحفر والردم . وقد كان إنشاء هذا المركز على نهر اليانغزي ، في سافلة مدينة ووهان ، في القلب الجغرافي للصين القديمة ، واختيار موقع مصنع الصناعة الحديثة هذا ، حسب أسلوب سوفياتي ، أقول : كان تقليدياً تماماً ، بجوار منجم فلزات الحديد ، وعلى مسافة معقولة من منجم فحم حجري . غير أن أعمال بناء هذا المصنع استغرقت مدة عشرة أعوام ، تطورت التكنولوجيا خلالها .وينتج مركّب ووهان اليوم ١٠٠٪ من الفولاذ الصيني ، الذي بلغ ٢١٠٥ مليون طن ١٩٧٨ ولكنه أصبح من غط قديم ، إذ يتم الآن في الصين بناء مركّبات صناعة حديدية ، كا في شنغهاي مثلاً ، يكون موقعها ومؤسساتها مستوحاة من النبط الياباني . ومنذ عام ١٩٧٠ تقدم إنتاج الصين بحوالي ٥٠٪ ، ولكنه يظل أدنى ، من حيث القية ، من إنتاج فرنسا (التي يقل عدد سكانها عن الصين بحوالي ١٩ مرة) . ولكن يظل التقدم الكي أقل إثارة للإعجاب من التحسينات التقنية ، المرتبط « بانفتاح » الصين ، التي أصبحت تتخذ مظهر دولة صناعية كبرى .

البنى الصناعية وأماكن توطينها

كانت المناطق المفتوحة أمام النفوذ الأجنبي ، خلال النصف الأول من القرن الحالي ، هي الوحيدة التي شهدت بداية تصنيع ، فكانت الصين والهند المستعمرة في مرحلة واحدة . وإذا كان الاهتام منصرفاً في بداية النصف الثاني من القرن العشرين نحو ترميم وإصلاح النواة الصناعية في الثمال الغربي ، فقد كان من المناسب تحديد أمكنة الأقطاب الجديدة ، استناداً إلى وجود المواد الأولية ، وإمكانات النقل والحاجات الإقليية .

وهكذا كان التخطيط واللامركزية يسيران جنباً إلى جنب. وكانت هناك ثلاثة قطاعات تساهم في الإنتاج الصناعي . فلم يكن على الكومونات الريفية إلا الانقياد لتوجيهات الخطط العامة ، وأن تتحمل على عاتقها كل الاستثارات ، وكان العمل الصناعي الخاضع لضرورات التقويم الزراعي ، مأجوراً كالعمل في الحقول . وكان لدى الكومونات ، حسب موقعها ، فوائض إنتاجية كالفحم والإسمنت ، أو تكتفي بصيانة الأدوات الزراعية ، وبتحضير الساد . ويبدو أن نصيب الصناعة الريفية يتجه للتناقص . أما في المدن فإن مؤسسات الصناعة الخفيفة ، وهي التي يقل عدد عمال الواحدة منها عن ٢٠٠٠ عامل مها كانت طبيعة المصنوعات ، فقد دخلت في الإنتاج المبرمج ، لأن الدولة هي التي تقدم الاستثمارات التحويلية ، وتتلقى الأرباح ، غير أن وزارة الصناعة الخفيفة ، تترك مهمة التسيير فيها للبلديات أو للتعاونيات العمالية . ولكن المؤسسات الكبرى في الصناعة الثقيلة هي التي تتعلق كلياً بالدولة .

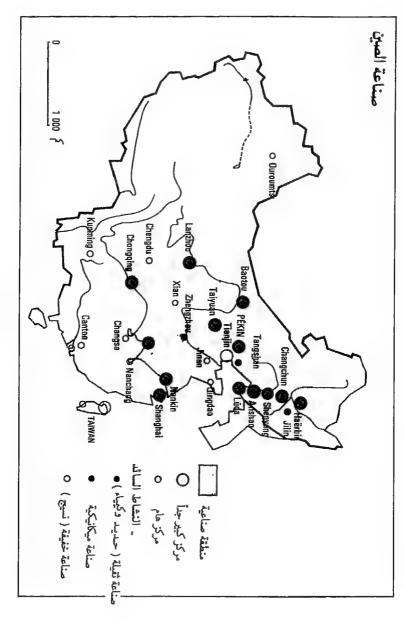
ويبدو أن الإنتاج الصناعي الخطط هو الذي يحتل مثلثاً تتألف قاعدته من مجرى نهر اليانغزي ، أي يمتد من شونغكينغ إلى شنغهاي ، وتقع قمته في هايربين في منشوريا (شكل ١٨) .

أما في الغرب فلا نجد شيئاً سوى المراكز النووية وبعض الصناعات الأساسية كالصناعة الحديدية في باؤتو Baoutou والبتروكييا في لانزهو ويحتوي الجنوب على مناجم مبعثرة وصناعة حرفية نشيطة ، ولكن القليل من المصانع الحديثة ، وذلك حتى في كانتون ذاتها . أما الحوض الأحمر فلم يتخلّص بعد من عزلته ، ولهذا لا يستفيد كل الاستفادة المكنة من ثروته الطاقية الكبرى ، كا أن موقع مدينة شونغكنغ الكثير التضاريس لا يكون مناسباً للصناعة الثقيلة .

وعلى العكس من ذلك يستأثر الوادي الأوسط والأدنى لنهر اليانغري بما يعادل ٢٩٪ من الصناعة الصينية ، ولا سيا في ووهان ، عند تقاطع محور الخط الحديدي ، الذي يربط كانتون ببكين ، مع الطريق الصالح للملاحة ، حيث تقوم الصناعة الحديدية والمكانيكية ، وفي نانكين التي ازدهرت بالصناعة البتروكياوية والألكترونية وأخيراً في شنغهاي التي عادت فأصبحت أكبر بؤرة للصناعات ، ولأكثر الأنشطة تنوعاً وأكثرها ديناميكية .

أما النمو الصناعي في الصين الشمالية ، التي تقدم ١٧٪ من الإنتاج ، فهو أكثر سرعة أيضاً ، وهو يقوم على الصناعات الاستخراجية وعلى النسيج ، والصناعة الحديدية والميكانيكية والكياوية . أما مثلث بكين ـ تيانجين ـ تانغشان (مناجم فحم) فهو الذي يحظى بكل صنوف الرعاية ، لأنه يعتبر الموازن لمنطقة اليانغزي الأدنى ، ويظل الشمال الشرقي الذي يقدم ٢٤٪ من الإنتاج وهو « حَرَم » منشوريا ، يظل مع ذلك « الرور الصيني » ، فالنطقة الصناعية تمتد فيه من شنيانغ شمالاً إلى ميناء لودا جنوباً ، هذا فضلاً عن مناجم فحم فوشون ، ومصانع الفولاذ في آنشان .





تظل الصناعات الحديثة ، على مقياس الصين ، متركزة نسبياً على المستوى الجغرافي . فقد تعرضت سياسة اللامركزية لمشكلات قاهرة متنوعة : كواقع مصادر الطاقة ، وثغرات منظومة النقل ، والافتقار إلى الأيدي العاملة المؤهلة . وهكذا تم نقل تجهيزات بعض المغازل من شنغهاي نحو مدن السهل الكبير ، وإلى حقول القطن ، وفوق مناجم الفحم . ولكن ظلت قوانين العطالة inertie تلعب دورها إجمالياً : فقد احتفظت مراكز الصناعة القائمة في عام ١٩٤٩ مثل شنفهاي ، أو مدن منشوريا عزية اسبقيتها . كا أن الاهتام بالهيبة هو الذي يفسر ، إلى حدّ ما ، النو الصناعي في مدينة بكين .

فوشون:

لقد قام اليابانيون باستغلال مناجم الفحم « على المكشوف » الواقعة هنا في وسط السهل المنشوري ، مثلها استغلوا طبقات الشيست البيتومي التي تمتطي طبقات الفحم . وقد عمل أول مخطط خلي ١٩٥٧ بمونة من السوفيات ، على جعل هذه المنطقة قاعدة قوية للصناعات الثقيلة ، والتي استوحت بشكل خاص من العمران الصناعي في مدن سيبريا . ولا يزال الشال الشرقي يقدم نصف البترول من آبار داكنغ ، وربع الفحم ، وثلث الفولاذ من آنشان ، مثلها يصنع أكثر آلات التجهيز تعقيداً . وفضلاً عن مراكز الصناعة الوحيدة كا في آنشان ، فإن المدن الكبرى مثل هايربين (خاربين) وشانغشون ، ولود (دايرن) ولا سيا شنغيانغ ، والتي تض ٢٠٠٠ مصنع ، تحوي أكثر الصناعات التحويلية تنوعاً : كإنتاج زيت الصويا ، والورق ، والنسيج والكياويات .

ታ ታ ታ

الصناعات الثقيلة والصناعات الخفيفة

تحوي الصين معظم المواد الأولية الضرورية للصناعة . ولكن الخشب يكون نادراً إلا في منشوريا ومع هذا تصنع السيللولوز أيضاً والورق اعتاداً على أقصاب البامبو ، أو من تفل قصب السكر بعد عصره . وتضطر الصين لاستيراد المطاط من سيلان . ومنذ قليل راحت تستورد بعض القطن من باكستان أو ما يعادل عشر حاجاتها منه . أما باطن أرضها ، الذي لم يتم بعد التنقيب عن كل مكنوناته ، فهو ليس غنياً بالحروقات فحسب ، بل تكشف عن وجود الملح في

سشوان ، والفوسفات والكاعولان ، ومعظم الفلزات المعدنية . هذا كا تستغل الصين من أجل التصدير الأثمد والتنغستين لأنها تقدم نصف إنتاج العالم من الصين الجنوبية ، مثلما تستثر من أجل الاستهلاك الوطني ، الذي لا زال ضعيفاً ، القصدير والنحاس من يونّان ، والرصاص والزنك من منشوريا وكذلك المنغنيز . ولكن الصين تفتقر للبوكسيت ، ولكنها تستمد الألمنيوم من طبقات الشيست الآلومينية ذات المحتوى الفقير .

هذا وتعتمد الصناعة الحديدية على كل فلزات الحديد المحلية التي تعالج في أفرانها العالية . وتكون مناجم خامات الحديد عديدة وجيدة التوزع . فهناك جيوب من الفلز الجيد قرب ووهان ، وفي إقليم شانسي ، ولكنها تكثر في منشوريا ، وفي منغوليا الداخلية ،وفي جزيرة هاينان حيث تتوفر أكداس من الخامات أكثر غزارة على شكل طبقات سميكة ، مؤلفة من فلزات فقيرة ، سهلة الاستخراج ، ولكنها تكون عسيرة المعالجة .

وتجسد نهضة الصناعة الحديدية خلال الخطط الأول ، ثم أثناءه « القفزة الكبرى إلى الأمام » مثلما تمثل نجاح الصين الجديدة . وبعد عشرة أعوام من خيبة الأمل التقنية ، أصبحت النجاحات محسوسة : فبلغ الإنتاج ١٨ مليون طن في ١٩٧٠ و و ٣٥ مليون طن في ١٩٧٠ . وصعد إلى ٣١,٧ مليون طن في ١٩٧٨ و ٣٥ مليون طن في ١٩٨١ . وقد خدت نيران « الأفران العالية الفلاحية » ، ولكن لا تزال مصانع الفولاذ المحلية الصغيرة تسكب نسبة لا بأس بها من هذا المعدن . غير أن للمجمّعين الجديدين في ووهان وباوتو ، القريبين من الفلزّات ، والأكثر بعداً عن فحم الكوك ، مسيرة غير منتظمة ، في حين يكون لجمّع آنشان ، الموروث عن اليابانيين والذي تجهّز من جديد ، قدرة أكبر بكثير ، إذ يبلغ إنتاجه ٦ ملايين طن من الفولاذ ، ويتتع بوسائل نقل أفضل تتثل بشبكة كثيفة من خطوط حديدية ، في منشوريا ، وتنتج بالتضافر مع مصانع الفولاذ الحديثة في بكين وفي

شنغهاي ، فولاذا أفضل كالسكك الحديدية وصفائح أنابيب النفط . ولكن إذا نظر نا إلى استهلاك الفرد الصيني للفولاذ والبالغ ٣٠ كغم تقريباً وجدناه أقل من الياباني بعشرين مرة . كا تنتج الصين من الإسمنت حوالي ١٢ مليون طن ، أي أقل من اليابان التي يقل سكانها ثماني مرات عن الصين . ومنذ ١٩٧٠ تكاثرت وحدات صناعة البتروكيمياء ، كالنسوجات التركيبية والبلاستيكية ، كا تقدم صناعة الأسمدة للزراعة ٤٨ مليون طن تنتج ورشات الكومونات منها نسبة ٤٠٪ .

ويشيّد الصينيون في منشوريا وفي شنغهاي تسلّحهم وسلع تجهيزهم:
كالمكائن الصناعية والعنفات ، وكل تجهيزات الخطوط الحديدية ، مثلما ينتجون المكائن الصناعية والعنفات ، وكل تجهيزات الخطوط الحديدية ، مثلما ينتجون السياحية (۱) ويتطور إنتاج سلع الاستهلاك حيث تقدم المؤسسات الحرفية التعاونية ۲۰٪، بسرعة كبيرة تلبية لطلب سوق وطنية تزداد انفتاحا ، كالدراجات وأجهزة الراديو ، والساعات وللتصدير . وتستطيع الصناعة النسيجية ، وهي الأولى في العالم بلا ريب ، أن تؤمن كساء الجماهير الصينية ، مثلما تحقق للصين ۱۷٪ من مبيعاتها الخارجية على شكل ألبسة جاهزة خارجية وداخلية انتشرت الآن في أقطار الخليج بشكل كاسح لرخص أسعارها التي تقل بحوالي ٥٠٪ عن مثيلاتها التي تنتج في البلاد العربية المجاورة .

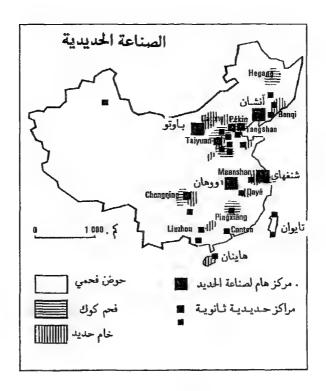
⁽۱) لا يزال الشعب الصيبي الانضباطي يمارس سياسة « شد الأحزمة على البطون » إذ لاوجود للترف ولا للسيارات الخاصة السياحية ، بل دراجات للجميع ، وباصات متوفرة ونظيفة ، وكل ذلك في سبيل تحقيق رفاهية الجيل القادم والقضاء على « مفعول التظاهر » والحسد والنزاع الطبقي الكادب .

النمو المقارن للصناعة الحديدية والصناعة النسيجية : بعد أن جرت النضحية بالصناعة الخفيفة خلال الخطط الأول ، ولاسيا خلال القفزة الكبيرة إلى الأمام ، تبدو اليوم وهي تنو بصورة أفضل من السابق . فالصناعة النسيجية ، التي كانت هامة في ١٩٤٩ حتى أنها كانت تقوم بالتصدير للخارج ، لاتزال في معظمها متركزة في المراكز الحضرية الكبرى التقليدية ، حول شنفهاي التي تنتج ٢٠ ٪ وفي تيانجين . غير أن المصانع الحديثة قامت في مناطق زراعة القطن كالسهل الكبير ، وفي معظم المدن الكبرى مثل سيان وبكين . وتبدو الصناعة القطنية أكبر مستهلكة لألياف القطن في العالم . غير أن الحصول السنوي الصيني من القطن والذي يبلغ وسطياً ٢٠٥ مليون طن قد أصبح غير كاف . وتستورد الصين ٢٠٠٠٠ طن من الأقطان الطويلة التيلة ، أي أكثر من إنتاج مصر كله ، مثلما تدمج وتستورد الصين بصورة أفضل فحسب ولكن الصناعة تزيد من صادراتها من الأقشة المصنوعة ومن الألبسة الجاهزة ، كالألبسة الداخلية والتريكو والملبوسات الجاهزة التي تحمل أحياناً ماركة هونغ كونغ ، أو ماكاؤو البرتغالية .

هناك الكثير من المكامن المعروفة والمستغلّة بصورة تقليدية منذ زمن بعيد . وإذا استثنينا خام الحديد فإن الصين الجنوبية تبدو أكثر غنى بالمعادن المتنوعة ، وعلى الخصوص إقليم هونان ، سيشوان ويونّان ، ولكن هناك الكثير من المكامن المعدنية البعيدة المنال . وإذا كانت مروحة الثروات المعدنية التي لاغنى عنها في صناعة المعادن ، وفي الكيياء ، تبدو كاملة نوعاً ما ، فإن احتياطاتها تبدو محدودة . ولا زالت هناك مناطق واسعة تنتظر التنقيب كالتيبت . ولا تنتج الصين حالياً أكثر من ٢١٠٠٠٠ طن من الألمنيوم و ٢٠٥٠٠٠ طن من النحاس أي أقل من جارتها اليابان بست مرات .

وتبدو مواقع مصانع الحديد (شكل ١٩) خاضعة لقوانين تقليدية : كوجود المواد الأولية ، ومنظومة المواصلات . أما خام الحديد ، الذي يتوزع على مكامن عديدة ، تكون على العموم ذات عتوى ضعيف ، فينقل إلى مسافات أقصر من الفحم الصالح لصنع الكوك ، والنادر نوعاً ما في الصين الجنوبية . وتكون أكثرية المصانع ذات قدرة ضعيفة بالموازنة مع المعايير العالمية ، وتشكو من تأخر تقني حقيقي . ولا تنتج الصين سوى القليل من أنواع الفولاذ الخاصة ، مثلما تفتقر لمصانع الفولاذ العاملة على الأوكسجين ولبعض وسائل التصفيح اللازمة لصنع الأنابيب . وقد ظهرت صناعة الحديد الساحلية عند مصب نهر اليانغزي في مشروع باؤوشان Baoshan ، والتي تعتمد على الطريق البحري في تمنه على الطريق البحري في تونها ، وربا كان ذلك على خامات الحديد المستوردة ،

هذا وقد استقرت صناعات الميكانيك الدقيقة في الصين الثمالية: ذلك لأن الأيدي العاملة الصينية ، من ذكور وإناث ، مشهورة منذ القديم بحنقها ، الذي يعتبر عامل نجاح في سياسة التصنيع . وبما أن الصين كانت معروفة منذ زمن طويل في الخارج بنوعية وبقية منتجات صناعتها الحرفية على الصعيد الفني ، كالأقشة الحريرية والسجّاد والبورسلان ، فقد أخذت الآن تسير على خطى هونغ كونغ وتايوان لكي تتحول إلى دولة مصدرة ومنافسة في صنع سلع الاستهلاك الدارج ، الذي يستدعي الكثير من الشغل والقليل من المواد الخام : كأجهزة الراديو والترانزستور والساعات . وستصبح الصين قريباً وبعد تأخر مقداره نصف قرن ، عبارة عن يابان من نوع أخر على الأسواق العالمية .



الشكل ١٩

بعد ثلاثين عاماً من الثورة: حصيلة إيجابية

يعتبر الصينيون التخلّف ناتجاً عن البنى الاجتاعية التقليدية ، ومن تنظيم القتصادي رديء لوجود الرأسالية والهينة الأجنبية . وكانت الصين الماوية تعتبد في تنيتها على الذات ، مستحدة استثماراتها الاقتصادية والاجتاعية من منتجات زراعة تتمتع بالأفضلية . ولا ينظر إلى تفوق القطاع الأولي ، على أنه قرينة تخلف في بلد يؤلف الفلاحون فيه ٧٥ ٪ من العاملين ، والذين لهم دور متعدد الأنشطة في الكومونات الريفية . ويأكل كل صيني مافيه الكفاية لكي يعيش وأن يعمل مجاسة . وتوزّع الأقوات حسب حصص تتناسب مع السن ومع نوعية العمل ، فتتراوح بين ١٥ و ٢٢ كغم من الحبوب شهرياً توفر وسطياً مقدار لأجور زهيدة ، بيد أن الغذاء والسكن ، حيث يخصّص لكل مواطن أربعة أمتار مربعة ، رخيصان ، ولا يمتصّان أكثر من ٣٠ ٪ من دخل الأسرة الوسطى ، ذلك الدخل الذي يتقدم بمعدل ٥ ٪ في العام .

وتظل الصين قطراً فقيراً ، ولكنها استطاعت على الأقل في خلال ثلاثين عاماً أن تقضي أو تخفف المشكلات المألوفة في العالم الثالث المتخلف مثل : الأمية ، سوء التغذية ، العوز الصحي ، التأخر التقني ، ولاسيا النو الديوغرافي الوثّاب ، الذي يعتبر عنصر ضعف مع الفقر ، لأن ﴿ المّالُ والبّنُونَ زِينَةُ الحَياةِ الدُنْيَا ﴾ .

وقد قدرت قيمة إنتاج السلع المادية بمبلغ ٣٠ مليار دولار للزراعة و ٩٠ مليار دولار للصناعة . ويقدر الناتج القومي الخام الحالي للصين ، والذي يبدو

من المتعذر حسابه بدقة ، بحوالي ٤٠٠ مليار دولار (۱) ، أي تعادل مرتين ونصف دخل الهندي المتوسط . ومنذ عام ١٩٧٦ أصبح الإصلاح والتعديل الاقتصادي ، الذي يستهدف تطبيق قوانين « الإصلاح الموضوعي » ، يرمي إلى رد الاعتبار للعائدية ، وإلى الربح ، وإلى قية البضائع ، ولاسيا حقيقة الأسعار . وتحتفظ الزراعة « حسب مميزات القطر » بأرجحيتها ، ولكن سيخصص المزيد من الاستثارات للصناعة الخفيفة التي تقدم مواد التصدير . أما في الصناعة الخفيفة من الاستثارات للمناعة الجهود كلها يجب أن تتجه نحو بعض المشاريع الرئيسية . ويرمي الخطط الحالي إلى استثار ٢٠٠ مليار دولار قبل عام ١٩٨٥ ، منها ٨٥ مليار على شكل تجهيزات وتقنيّات مستوردة من الخارج .

ولم تحقق الصين حتى الآن سوى ١٪ من المبادلات الدولية ، مع أنها تضم ضمن حدودها ربع سكان الأرض تقريباً ، فهي توازن بين مشترياتها ومبيعاتها خلال فترة الخطط الخاسي إن لم يمكن تحقيق ذلك في كل عام . فهي لاتزال تعتمد دوماً على صادراتها التقليدية ، أي الحرير الخام ، الشاي ، مسحوق البيض ولحم الخنزير ، والزيوت النباتية ، المعادن الاستراتيجية ، ولكنها أصبحت تصدر المزيد من المنتجات المصنوعة ، والبترول منذ فترة وجيزة . وتسيطر سلع التجهيز طبعاً في قائمة المستوردات ، ولكن الصين زادت كثيراً من مشترياتها الغذائية .

وقد تبدّل عملاء الصين بشكل جذري خلال العشرين سنة الأخيرة . فبعد أن كانت ثلاثة أرباع تجارتها تتحقق مع الاتحاد السوڤياتي ، ودول أوروبا الشرقية ، راحت تتجه نحو الأقطار الرأسمالية الصناعية . وهكذا تمتص هونغ كونغ واليابان ٣٤ ٪ من صادراتها ، مثلما أصبحت اليابان أول مصدّرة للصين أو ٢٦ ٪ فسبقت جهورية ألمانيا الاتحادية بمسافة بعيدة .

⁽١) أو أربعة أضعاف الناتج القومي الحام في المملكة العربية السعودية في ١٩٨١ والتي يقل سكانها عن الصين مئة مرة .

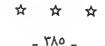
لم تخضع طبيعة المستوردات حتى ولا الصادرات ذاتها إلى تحولات جذرية ، فإذا نظرنا إلى مجموعات المنتجات الكبرى لانجد أنها قد خضعت لتحولات جذرية . ويتجلّى تصنيع الصين على شكل انكاس خفيف في المنتجات المصنوعة ، وزيادة نصيبها في الصادرات . ولكن العملاء التجاريين طرأ عليهم التغيير . ففي عام ١٩٥٥ كانت الصين تقوم بثلاثة أرباع تجارتها مع الأقطار الاشتراكية ، ولاسيا مع الاتحاد السوقياتي ، الذي كان يقدم التجهيزات الصناعية وكان يتقاضى أثماها سلعاً غذائية ومواد أولية ، كانت الصين في أمس الحاجة إليها . ومنذ قطيعة ١٩٦٠ أصبحت المبادلات مع الكتلة الاشتراكية ورومانيا على رأسها ، محدودة جداً . وتعتبر اليابان اليوم أول عيل تجاري للصين ، والمشتري الوحيد لنفطها . وير قسم من الصادرات الصينية عبر هونغ كونغ ، والتي تشتري أقواتها من الصين ، عا يؤدي إلى اختلال في المبادلات مع المستعمرة البريطانية .



إحصائيات غبر مؤكدة

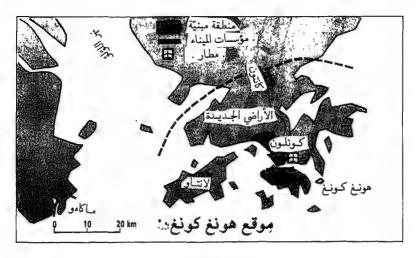
حبوب	بهلايين الأطنان		قطن (ألياف) بآلاف الأطنان
1904	إحصاء رسمي	771	78
190A	أول تقدير للقفزة الكبرى إلى الأمام	770	77
1908	تصحيح إحصائي	۲0٠	71
۸۹۶	الهدف الأصلي	۵۲۵	a
1909	الهدف المراجع	770	77
1177	الهدف المحدد لعام ١٩٦٢	70.	78
114.	أرقام شبه رسمية	78.	\Y • •
1944	إحصاء رسمي	3.7	71

وبين عامي ١٩٦٠ و ١٩٧٠ لم ينشر الصينيون شيئاً من المعطيات الإحصائية، إلا نسبة النو المئوية بالنسبة لِقيّم مشكوك فيها أو متناقضة ، أذيعت في ١٩٥٨ و ١٩٥٩ . وقد أمكن الحصول على بعض الأرقام من خلال الخطب الرسمية ، أو خلال الحوادث الخاصة . ولأول مرة منذ ٢٠ عاماً ، في ١٩٧١ ، أعلنت الصين عن أرقام وعن نسب مئوية عديدة ، كانت على علاقة ضئيلة مع التقديرات السابقة التي نشرها المراقبون الأجانب المختصون بالاقتصاد الصيني .



أبواب الصين : هونغ كونغ ، تايوان ، ماكاؤو

تضم مستعمرة هونغ كونغ البريطانية جزيرة تنازلت الصين عنها في عام ١٨٤١ بعد حرب الأفيون ، « والأراضي الجديدة » فوق القارة المؤجرة إلى بريطانيا حتى عام ١٩٩٨ . وقد غت مدينة علاقة ضمن إطار من الجبال الصلعاء (شكل ٢٠) ، والخلجان المتقطعة تجاه ماكاؤو ، الميناء التجاري البرتغالي منذ القرن السادس عشر ، وذلك حول ميناء هونغ كونغ . وتتساهل الصين في وجود هذا الجيب الأجنبي المأهول بالصينيين ، ولكنه تابع بكليته للصين ، ولاسيا في تموينه بمياه الشرب وبالمواد الغذائية . وتستخدمه الصين كحلقة اتصال مع الأقطار الرأسالية ، أو مع « الجاليات » الصينية في جنوب شرق آسيا ، ومنه تستأجر سفن الشحن . وتهين بناية مصرف الدولة الصيني على حي الأعمال في هونغ كونغ .



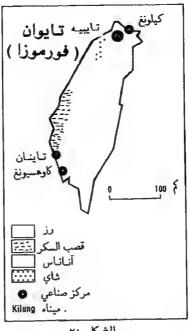
الشكل ٢٠

وتبلغ تجارة الترانزيت التي تمر من مستودعات الميناء الحر فيها ٢٠ مليون طن . ولكن تزدهر كل أنواع التجارة في هونغ كونغ ، حيث يقوم مخرجو الأفلام والسواح بالبحث بشغف عن صور « الصين القديمة » الملونة والصاخبة والساغبة . وقد كان تزايد السكان في هونغ كونغ خارقاً ، فضلاً عن تضخمه بأفواج اللاجئين ، فبعد أن كان عددهم ١٩٨٨ مليون في ١٩٤٨ بلغ اليوم بأفواج اللاجئين ، فبعد أن كان عددهم ٢٠٨ مليون في ١٩٤٨ بلغ اليوم مرد ملايين نسمة . وعلى الرغ من تكاثر العارات الضخمة على التلال فإن المدينة تشكو من الاختناق ، لأن الكثافة السكانية تصعد فيها إلى ٢٠٠٠ نسمة في المكتار ، كا أن أحياء العشش أو أحياء المراكب لاتتوقف عن الامتداد .

ويجد الرأساليون الصينيون هنا الأيدي العاملة الوفيرة والقانعة بأجور الجياع والعاملة في مصانعهم ، التي تنتج الأقشة القطنية والمطرزات ، والمصنوعات البلاستيكية والألكترونيات . ويبدو الدخل الفردي الخام لكل مواطن في هونغ كونغ والبالغ ٢٤٠٠ دولار دخلاً عالياً ، لأنه يزيد بستة أضعاف عن دخل الفرد الصيني ، بيد أن الثروات تكون رديئة التوزيع للغاية . وعلى مسافة ١٥٠ كم إلى الشرق من الصين ، تقع جزيرة تايوان ، أو فورموزا ، وهي جزيرة جبلية يكون انعدام التناظر فيها شديداً : فالسفح الباسفيكي يكون وعراً يتخذ شكل جرف ، أو شفا ، تخضع للتيفونات ، ويكون بالتالي كثير الغابات وقليل السكان (شكل ٢١) . ويتكدس السكان الذين وفدوا من الصين على شكل عدة موجات في الغرب فوق السهول والتلال المشرفة على مضيق فورموزا . وتنوء الجزيرة من كثرة سكانها المكتظين : فعلى مساحة تبلغ مضيق فورموزا . وتنوء الجزيرة من كثرة سكانها المكتظين : فعلى مساحة تبلغ فيها عن ٥٠٠ نسمة في الكيلو متر المربع ، بعد أن كانت ٨ أشخاص فقط في خلفها اليابانيون ، والمعونة الأمريكية ، أقول : عملت جيعاً على تسهيل خلفها اليابانيون ، والمعونة الأمريكية ، أقول : عملت جيعاً على تسهيل خلفها اليابانيون ، والمعونة الأمريكية ، أقول : عملت جيعاً على تسهيل

التطور الاقتصادي . ولهذا يكون الدخل الفردي فيها ١٢٠٠ دولاراً أي أعلى بثلاث مرات من دخل الفرد الصيني في الصين الشعبية ، وتعتبر الصين الوطنية وكوريا الجنوبية وسنغافورة من الدول التي خرجت من مستنقع التخلف ، وحققت عملية الإقلاع.

وقد عمل الإصلاح الزراعي ، الذي أوحت به الولايات المتحدة ، على تحسين أوضاع الفلاحين الذين أصبح ٧٠ ٪ منهم ملاّكين ، ولكن المستغلات الزراعية في تايوان تكون صغيرة للغاية ولهذا يحظر البناء فوق الأراضي الصالحة للزراعة ، كا أن عقود الزراعة مع مصانع السكر والمعلبات قليلة الأرباح. ونظراً لإنعدام مصادر الطاقة لأن الجزيرة لاتحوي سوى القليل من الفحم والنفط ، والمراكز الكهرمائية ، فإن الصناعات الخفيفة هي الغالبة ، وتتألف من مصانع نسيج



الشكل ٢١

وألكترونيات وبالستيك ، وهي التي تقدم أهم الصادرات حتى أن حصة سكر القصب هبطت من ٦٠ ٪ إلى ٢ ٪ فقط . بيد أن مركب كاوهسيونغ ، الذي يجوي على مصانع البتروكيياء وصناعة الحديد وإصلاح السفن يجذب الاستثمارات اليابانية : وتبدو وتيرة نمو الصناعة في فورموزا من أكثر أمثالها سرعة في العالم ، إذ بلغت ٢٥ ٪ في عام ١٩٧٨ .

وتضم العاصمة تايپيه (صورة ١) حوالي ٢,٥ مليون نسمة ، والمدن الشهيرة هي كاوسيونغ وفيها أكثر من مليون وتاينان ٢٠٠٠٠ ، وتايشونغ ٢٠٠٠٠ نسمة . وتنتج من الرز ٣,٧ ملايين طن ومن القمح ١,٣ مليون طن ومن البطاطا الحلوة ١,٧ مليون طن فضلاً عن الصويا وفستق العبيد . أما المزروعات التجارية فتتألف من قصب السكر والقمح والرز والتبغ والموز والأنناس . ويكون الصيد البحري فيها نشيطاً ، إذ تصيد ما يعادل زنته ٨٦٠٠٠٠ طن من الأسماك . وتنتج أرضها من الفحم الحجري ٣ ملايين طن بالعام .

Δ Δ Δ

على الرغ من طابع جزيرة تايوان الجبلي ، إذ ترتفع أعلى قة فيها الى ٢٩٠٠ م ، فإنها مستغلّة بشكل يثير الدهشة . ولقد استغلّها اليابانيون إلى أقصى حد ممكن بين ١٨٥٥ وعام ١٩٤٥ ، فاستمدوا منها الرز والفواكه المدارية ولاسيا السكر . ويشتل السهل الغربي على مزارع الموز ، بينها تتغطى التلال بشجيرات الشاي وبجزارع الأناناس . وتحوي الجزيرة صناعة تعليب قوية تعالج ثمار الأناناس ، وأنشأت مزارع رأسالية جديدة لإنتاج الفطور والهليون ، والتي أصبحت تنافس المنتجات الفرنسية في أوربا ذاتها . وقد أنشأت تايوان التي تقلّد اليابان ، حذو النعل بالنعل ، أسطولاً لصيد سمك التن (تون) وأوجدت تنوعاً كبيراً في صناعاتها بحيث تنفذ مشاريع صناعية هامة في دول الخليج العربي وتنافس بذلك كوريا الجنوبية . أما الزراعة التي يعمل فيها ٣٧ ٪ من العاملين فلا تقدم سوى ١٤ ٪ من الناتج القومي الخام . وتعيش تايوان من مبادلاتها التجارية ، وعلى الخصوص مع اليابان والولايات المتحدة اللتين تتقاسمان ٢٠ ٪ من التجارة الخارجية للجزيرة ، وتصدر تايوان نصف ناتجها القومي الخام ، وهي نسبة مئوية مدهشة للغاية . ولقد استفادت جمهورية الصين الوطنية من عزلتها الاصطناعية . ولكنها بعد أن خسرت مقعدها في الأمم المتحدة في عام ١٩٧٢ ، لم تعد دولة كبيرة الوزن السياسي . وتايوان هي إقليم صيني وعليها أن تعود عاجلاً أو آجلاً إلى أمها الصين بصورة حتية .

لقد استردت الصين كل الامتيازات الأرضية الأجنبية التي تنازلت عنها في الماضي بموجب «معاهدات غير متكافئة » خلال القرن التاسع عشر ، باستثناء مساحة ١٠٣٢ كم مربع من الأرض البريطانية في هو نغ كونغ المؤلفة من جزيرة ومن شبه جزيرة . وهناك نفق بحري ربط منذ مدة وجيزة بين جزيرة فكتوريا وكوولان ، حيث تمتد مؤسسات البناء والمناطق الصناعية والمطار الذي امتد شطر من أرضه على حساب الخليج .

وأهم مدن مستعمرة هونغ كونغ هي العاصمة فكتوريبا وفيها ١,٢ مليون نسبة ، وكوولونر Kowloon وفيها ١,٨ مليون نسبة .

وتنتج صناعتها النسيجية ٢٠٠٠٠٠ طن من غزول القطن ، وبلغت صادراتها في عام ١٩٧٦ ، ٢٢,٨ ميارة مليار دولار هونغ كونغي مقابل استيراد مبلغ ٤٣,٢ مليار دولار مما يؤلف ١٢ ٪ من مجموع التجارة الصينية العامة .

وهناك مستعمرة ماكاؤو مساحتها ١٦ كيلو متر مربع وسكانها ٣٥٠٠٠ نسمة وهي ميناء توقف أي محطة ، وترانزيت فتتعرض لمنافسة قاتلة من هونغ كونغ وتصدر ألبسة ومنسوجات تشكل ٧٩ ٪ من صادراتها .



تايوان

أو (فورموزة)

يبلغ عدد سكانها ١٧٠٣ مليون نسمة (١٩٧٩) و ١٨,١ مليون في (١٩٨١) منهم ١٠٠٠٠٠ جبلي قريبون في عاداتهم ولياسهم من سكان جبال بيرمانيا ولاءوس وڤيتنام الشالية . ويبلغ دخل الفرد المتوسط فيها ٢٠٠٠ دولار ، أو خسة أضعاف دخل المواطن في الصين الشعبية . ولدى كل أسرة جهاز تلفزيون ، وفيها ٢ ملايين مشترك بالتلفون ، وبلغت نسبة كهربة المساكن ٩٩.٩ ٪ . وقد طبقت حكومة تايوان إصلاحاً زراعياً استفاد منه نصف مليون أسرة فلاحية ، ويملك كل المزارعين اليوم الأرض التي يزرعون ، وينع القانون امتلاك مساحة تزيد عن ٢ هكتارات ، وقد اشترت الحكومة الساحة الزائدة ووزعتها على الفلاحين الحرومين بالتقسيط بعد أن عوضت على الملاكين الكبار نسبياً .

وقامت الدولة بتطبيق سياسة ناجعة تدعو « الأغنياء الجدد » لتوظيف أموالهم في الصناعة المتوسطة وهذا ما فعله كلهم تقريباً . فبين ١٩٥٢ و ١٩٧٩ زادت التجارة الخارجية أكثر من ١٠٠ مرة من حيث الحجم فقفزت من حيث القية من ٣٠٣ ملايين دولار إلى ٣١ مليار دولار أمريكي .

وعلى الصعيد الزراعي فقد منعت الحكومة البناء فوق الأراضي الصالحة للزراعة ، ويجب على مخططي المدن الجديدة أن يقيوها فوق الأراضي الوعرة أو فوق مناطق لا تصلح للزراعة . وسيشبل الري معظم السهول الصالحة للزراعة خلال بضعة أعوام ، ولحماية الجزيرة ، المعرضة دوماً لتهديد التيفونات والفيضانات الساحلية ، فقد تقرر بناء ٥٢٢ كيلومتر من السدود أو الحواجز وقد تم الآن بناء ١٥٢ كيلومتر منها .

وقـد شملت المكننـة كل المستغلات الزراعيـة في ١٩٨٢ ، وقفزت محـاصيل الزز من ٦٤٠٠٠٠ طن في ١٩٤٥ إلى ٢,٥ مليون طن في ١٩٧٩ .

وتايوان اليوم التي تصل الكثافة فيها إلى ٤٧٦ نسمة في الكيلومتر المربع تماثل هولندا في أوروبا (٢٨٠) أو رواندا في أفريقيا (١٨٠) . ويخصص للجيش الذي يضم ٢٠٠٠٠٠ رجل وامرأة ٤٠ ٪ من الميزانية وتحتل المكانة الثانية في آسيا ، بعد اليابان ، من حيث احتياطيها من العملات الصعبة . وتتراوح صناعاتها بين لعب الأطفال الرخيصة إلى الألكترونيات مروراً بالنسيج . ولا يوجد فيها بطالة ، كا لم تقترض قرشاً واحداً من البنك الدولي . ويقصدها سنوياً ٢٠٠٠٠ صيني للزيارة والسياحة من البرازيل وأوروبا ومدغسكر وسائر أفريقيا والأمريكتين . ولم تكن تمثل الحاصيل الزراعية المصدرة في البرازيل وأوروبا ومدغسكر وسائر أفريقيا والأمريكتين . ولم تكن تمثل الحاصيل الزراعية المصدرة في عام ١٩٨٠ أكثر من ٥ ٪ من التجارة الخارجية وتتجه كل الجهود لتصدير المنتجات الصناعية . وتصدر معلبات الأناناس والحضار علايين الأطنان . وفي عام ١٩٧٩ كانت اليابان والولايات المتحدة تستأثران بأربعة أخماس تجارة تايوان الخارجية . وأجور العال فيها عالية وتأتي بالدرجة الثانية بعد اليابان . فتصل أجور الشغيلة شهرياً إلى ١٩٠٠ أو ١١٠٠ ليرة سورية ، ولكن العامل المختص في مصانع الفولاذ تصل إلى ٢٠٠٠ وحتى ٢٥٠٠ ليرة سورية ، ولكن العامل المختص في مصانع الفولاذ تصل إلى ٢٠٠٠ وحتى ٢٥٠٠ ليرة سورية .

وتهين الدولة على الصناعة الثقيلة ولا تقل نوعية عن الدول الصناعية العريقة . فهناك مركب لبن يوان Lin Yuan ، الذي قامت إلى جانبه مصفاة نفط ، الذي يمتد على مدى البصر ، وهو من أحدث أمثاله في العالم .

وهناك أيضاً الترسانات البحرية ، مع حوض جاف طاقته مليون طن ، والتي تكون قادرة على إنتاج سفن عملاقة مرغوبة في دول الغرب ، ويكون دفتر الطلبات مملوءاً لمدة عامين مسبقاً ، فقد طلبت حكومة الكويت بناء ٤ ناقلات نفط ، وواحدة لحساب الولايات المتحدة .

وتقوم مصانع الأسمنت على شكل سلسلة عند حافة الجبل وتقض أطرافه . وتحوي البلاد ستة مصانع لإنتاج سيارات التجميع ، وهي سيارات أمريكية ويابانية غالباً وتعمل بكامل طاقتها . وقد أنتجت هذه المصانع في عام ١٩٧٩ ، ١٥٠٠٠ سيارة ، واستيراد السيارات الأجنبية محظور . كا أنتجت مصانع بيجو هناك ١٠٠٠ سيارة في العام ذاته .

وقد قامت في تايوان أكثر مصانع الحديد حداثة في العالم ، ولهذا تحقق أفضل الأرباح في هذه الصناعة . و يمكن تصوّر " المعجزة الاقتصادية " إذا عرفنا أن الجزيرة لا تملك أية مادة خام ولا أي مادة طاقيّة . و يتم الآن في مدينة هسينشو Hsinshu ، الواقعة على مسافة ١٠٠ كم من العاصمة تايبيه ، بناء " البارك العلمي الصناعي " الذي سيتحول إلى مدينة تكنولوجية متقدمة في الغد ، وتض جامعات و ختبرات ومدن وقرى منضة إلخ ..

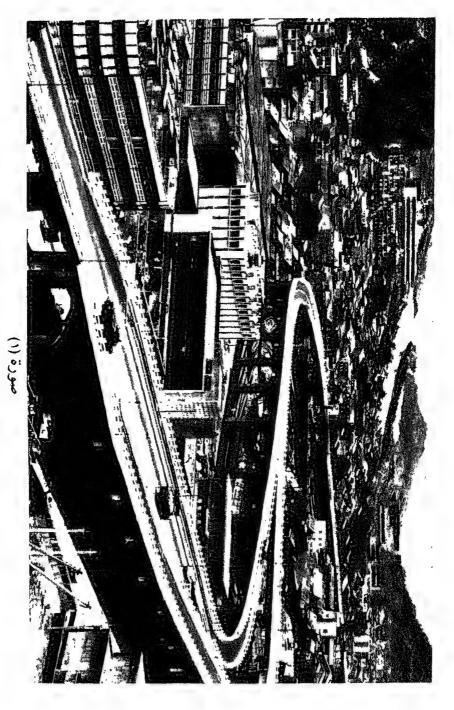
وتتجه الجهود حالياً لاستغلال الطاقة الحرارية الأرضية ويدير المجلس القومي للعلوم هذا المجموع وتصل ميزانية البحث المدني إلى ٧٥٠ مليون فرنك فرنسي تقدم الدولة ٥٢٪ من هذا المبلغ ، ويعمل في ميدان البحث العلمي ٢٢٠٠٠ باحث .

هذا وقد ازدهرت زراعة الأسماك في الأحواض فصدرت في عام ١٩٧٩ مقدار ٥٠٠٠٠٠ طن من سمك الحنكليس ومثلها من الروبيان . وقتل المكائن الصانعة ذات التحكّم العددي الحديث جداً ٢٥٪ من قية الصادرات الصناعية وبلغت ٥٠٪ في ١٩٨٠ ، وأنتجت البلاد أول أوتوبوس • باص » كهربائي في كانون الأول من عام ١٩٨٠ وستنتج الصين الوطنية أول سيارة كهربائية ، كا أنتجت البلاد أول طائرة وطنية تماماً ، وطائرات عسكرية للتدريب . ويجري بناء مركز طاقة حرارية محيطية وسينتج إلى ٤٠ ميغاواط من الكهرباء . ويقوم المصنع على استرداد الطاقة الناتجة عن اختلاف الحرارة بين المهاء الماخة الى ماخذة التي يقذفها مركز نووي وبين مياه البحر .

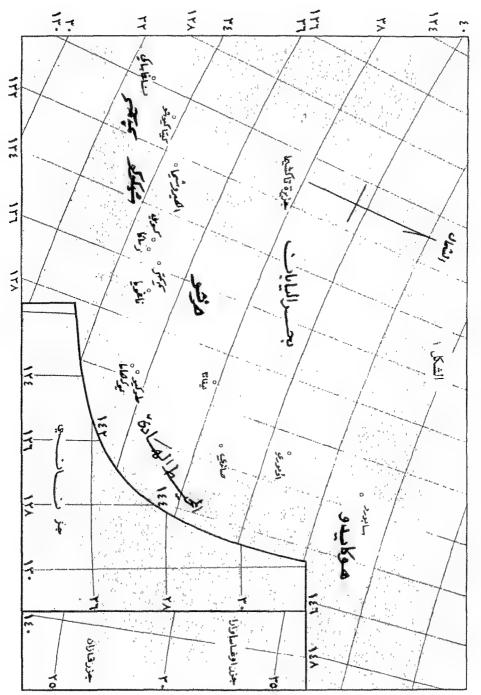
وستنتج البلاد في ١٩٨٢ مقدار ١٣٥٠٠٠ طن من المطيلة tôles غير قابلة للصدأ وهو أكبر مصنع في جنوب شرق آسيا بعد اليابان .

ويدين ٢٠٠٠٠ من سكان البلاد بالكاثوليكية والعدد نفسه من البروتستانت ، مثلما تضم قرابة نصف مليون مسلم . ولا يعثر الإنسان في هذه الجزيرة السعيدة على أي متسول أو متشرد ، ولا أكواخ من ألواح خشب أو الصفائح الصدئة ، ويسير على غرارها كل من هونغ كونغ وسنغافوره وكوريا بشطريها وهي الأمم التي خرجت ، منذ عام ١٩٧٥ ، من حظيرة دول العالم الثالث .

ملخص عن ، پاري ماتش ، ۲۱ / ۱۲ / ۱۹۸۰



لقد أصبحت تايبه مماثلة للعواصم الكبرى في الغرب وقد تم الفراغ من إنجاز أول برنامج للمشاريع الكبرى في عام ١٩٧٠



المساسان

اليابان

تكون الضفة الشرقية من آسيا ، مصحوبة بأرخبيلات ترتصف على شكل قلائد متيزة . ونجد في وسط هذه القلائد قوساً (شكل ١) تؤلف جزره الأربعة الرئيسية ، التي تصاحبها / ٤٠٠٠ / جزيرة صغيرة ، ما يسمى باليابان . ويتألف هذا القوس من جزيرة رئيسية هي هوندو أو هونشو مساحتها لوحدها / ٢٣٠٠٠٠ / كيلو متر مربع أو حوالي ثلثي مساحة اليابان ، يتجه قوسها الحدب نحو الحيط وتتحدد بالشال بجزيرة هوكايدو وبالجنوب بواسطة جزيرتي سيكوك وكيوسيو .

ولا تغطي هذه الأراضي التي تمتد على مسافة / ١٦ / درجة عرض أو على مسافة / ٢٢٠٠ / كم من الشمال للجنوب ، أكثر من مساحة / ٢٦٩٦٠ / كم ، أو ضعف مساحة سورية في حين يعيش فوقها عدد من السكان كبير جداً بلغ عدده / ١١٨ / مليون ، أو كثافة تعادل / ٣١٧ / نسمة بالكيلو متر المربع .

أولاً - الإطار الطبيعي

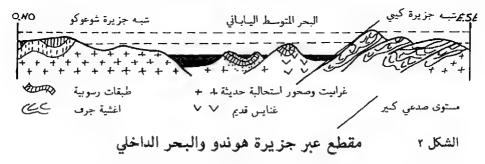
اليابان بلاد جبلية قبل كل شيء ، فلا تشتمل على أكثر من سهول صغيرة قليلة . وتضاريس اليابان ، التي تعود للدور الثالث ، ثم تعرضت لحركات تالية ، لا تزال مسترة ونشيطة حتى اليوم ، و يمكن اعتبارها تضاريس شابة أو متصابية على الأقل . وهذا الشباب في التضاريس هو الذي يفسر لنا الطابع العصبي وأحيانا الكثير الزوايا للاشكال التضاريسية ، كا يفسر الجروف الكبيرة التي تشابه الجدران والتي تبدو كأنها حديثة جداً ، كا تشرح لنا ضآلة رقعة السهول اللحقية ، المحدودة بانهدامات ضيقة ، ووضوح الدواحل الصخرية ، حيث تهبط اللحقية ، المحدودة بانهدامات ضيقة ، ووضوح الدواحل الصخرية ، حيث تهبط

الجبال منها مباشرة فوق البحر دون درجات ولا بلاج ، ويبلغ طول هذه السواحل / ٢٨٠٠٠ / كم من .

وتبدو تضاريس اليابان إجمالاً كثيرة التجزئة وغامضة .

وتظهر غالباً على شكل سلسلتين جبليتين ، تحاذيان السواحل الشرقية والغربية وتنفصلان عن بعضها بسلسلة متطاولة من الثمال للجنوب مؤلفة من سهول صغيرة انهدامية . وتنقطع هاتان السلسلتان والسهول ، بالوسط ، بواسطة حفر عرضانية ، أهمها هي التي تقع في أواسط جزيرة هوندو واسمها « ماغنافوساً » . وتدفقت في هذه المناطق المنهدمة لابات أدت الى تشكل مخاريط بركانية . فعجد في حفرة ماغنافوساً المذكورة أعلى قمة في اليابان وهو بركان فوجي ياما ، الذي تعمم الثلوج ذروته التي ترتفع إلى ٣٧٧٣ م ، وهو محل تقديس الشعب ، وبركان آساما وهو أنشط براكين اليابان .

كا حصلت حركات بعد الدور الجيولوجي الثالث ، أدت إلى نهوض مجموع الأراضي و إلى انكسارات و إلى انهيار بعض أجزاء الأرض (شكل ٢) . وقد أدى نهوض القاعدة الأرضية إلى إثارة حت عنيف قامت به الأنهار القصيرة ، ولكنها غزيرة المياه ، وشديدة الانحدار لدرجة أنها تجرف مقادير هامة من الأنقاض ، وتوضّعها في السهول اللحقية في الأجزاء السفلي من وديانها أو عند مصباتها .



وقد منحت الكسور والانهدامات التضاريس اليابانية مشهد الشطرنج ، حيث تنعزل حوضات صغيرة بين كتل لا تزال بارزة وخاصة في الجنوب الغربي من جزيرة هوندو . ونجد في أقصى الجنوب من جزيرة هونشو منطقة منخفضة اجتاحتها قشرة رقيقة من مياه البحر لا تزيد ثخانتها عن ٥٠ م لتؤلف ذلك البحر الداخلي أو البحر المتوسط الياباني ، الذي يربط ، أكثر مما يفصل ، بين شواطئ هونشو وسيكوك وكيوسيو .

وقد صاحب هذه الانكسارات ظواهر البركنة . وهكذا تحوي اليابان / ٢٠٠ / بركان منها / ٥٤ / بحالة اشتعال وتغطي الأرض الاندفاعية ثلث مساحة اليابان . وتكثر الينابيع الحارة التي يستحم فيها اليابانيون رغم أن حرارة مياهها تتراوح بين / ٥٥ و ٥٥ / درجة مئوية والتي أصبحت تستغل في انتاج الطاقة الكهربائية الحرارية الأرضية .

كا تتيز اليابان بزلاز لها . ففي بعض بقاع حفرة ماغنافوسا يحدث وسطياً بالسنة حوالي ٥٠٠ زلزلة ، يشعر بها الإنسان . وتكون بعض الزلازل هدامة مثل زلزال عام ١٩٣٣ الذي دمر مدينة يوكوهاما والعاصمة طوكيو ، ومات من جرائها حوالي ١٠٠٠٠٠ نسمة . كا لا يكون غزو المد البحري المسمى « تسونامي » بأقل خطراً من الزلازل . وتفتر هذه الارتجافات الكثيرة بوضع اليابان على حافة الأغوار الباسيفيكية السحيقة ، والتي تهبط إلى ٨٠٠٠ وحتى ١٠٠٠٠ م . وتقع على حافة هذه المناطق المنهارة اليابان أي على طرف العتبة الآسيوية ، أي أنها تمثل منطقة غير مستقرة من القشرة الأرضية ، التي كثيراً ما تتعرض للحركات الاهتزازية الأرضية .

ينتج الشكل المقوّس للقلادة الجزرية اليابانية عن التواءات وعن تخلعات deslocations شديدة التعقيد . وترتسم هنا عصيبتان جبليتان ، الأولى أكثر استراراً وتنتصب في الغرب ، والأخرى أكثر تفككاً ، وتتعاقب على حافة الحيط الهادي وتطيف بسهول أكثر اتساعاً بقليل ، ولاسيا السهل الذي المتدت فيه مدينة طوكيو . ويستقر البحر المتوسط الياباني الذي يفصل جزيرة هونشو عن جزيرة شيكوك ، بين هذين النطاقين تقريباً . وتتناثر في هذا البحر الجزيرات الصغيرة ، بحيث لا يشابه بحرأ قدر ما يشابه عية بحرات ضن ديكورستارة .

ولما كانت أرض اليابان مهشمة بالكسور وتحاذي حفراً غائرة في قيعان الحيط الهادي ، فهي تشتهر بأنها بلد البركنة ، والينابيع الحارة والزلازل ، فهي تحوي ٢٠٠ بركان لا يزال ربعها ناشطاً وتقع أكثر هذه البراكين في جزيرة كيوشو وفي غرب هونشو ، ولكن الحفرة الانهدامية الكبرى الممتدة من الثال للجنوب والتي تقطع جزيرة هونشو في وسطها ، تكون أيضاً مصحوبة بمخاريط جسية ، ولا سيا بركان فوجي ياما قرب العاصمة طوكيو ، والذي يحوي أعلى قمة في الأرخبيل وهي ٢٧٧٦ م والذي قدمت خطوط سفوحه المنسجمة الرسوم المفضلة في طباعة الأقشة واللوحات . وهذه الحفرة الانهدامية العظيمة fossa nagna تكون عبارة عن نطاق عدم استقرار مذهل فقد حدثت فيه زلازل رهيبة يزيدها هولا غزو المد وقد كانت أكثر الكوارث تقتيلاً تلك التي حدثت في ١٩٢٣ والتي أدت إلى هلاك ١٠٠٠٠٠ نسمة في طوكيو ويوكوهاما والتي خربت ٢٠٠٠٠ منزلاً .

البحار والسواحل:

يقع قوس الجزر اليابانية بين بحار جانبية لا يزيد عقها عن / ٤٠٠٠ / م بالغرب ، وبين الحيط الهادي الذي تتجاوز أعماق أغواره قرب جزيرة هوندو مقدار / ٨٠٠٠ / م ويحاذي السواحل الجنوبية الشرقية تيار حار ذو مياه قاتمة اسمه كوروشيفو حتى درجة العرض / ٣٨ / شتاء و حتى درجة العرض / ٤١ / صيفا . وهناك تيار بارد اسمه أوياشيفو يندس بين التيار الحار المذكور و بين ساحل جزيرة هونشو درجة العرض ٣٧ مما يؤدي لتشكل ضباب كثيف مماثل لضباب جزيرة الأرض الجديدة في شرق كندا . وفي المنطقة التي يقترب فيها التياران من بعضها البعض يكثر البلانكتون « الهائمات » ، كا أن الأسماك التي يجذبها التياران تكثر هنا ، فتكون هذه المنطقة من أغنى بقاع العالم بالصيد البحري .

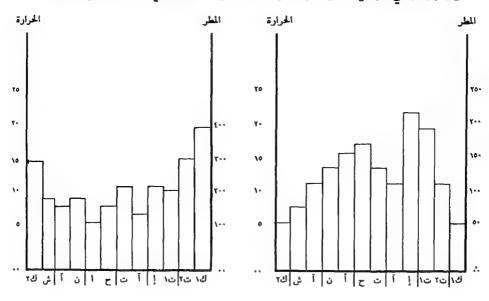
أما سواحل اليابان فتتيز بكثرة تسنّنها فيصيب كل / ١٣,٥ / كم من الأرض مقدار كيلو متر واحد من السواحل (مقابل ١ كم لكل ٢٠ كم في إنكلترا) . فتكون بعض السواحل صخرية والأخرى تخترقها الخلجان العريضة والرؤوس . أي أن هذه السواحل موائمة جداً للملاحة الصغيرة واستخدمت فترة طويلة من أجل المواصلات بين مدن السواحل ، كما في اليونان القديمة وكانت أكثر ضانة من المواصلات بالطرق البرية في هذه المناطق الجبلية . ولكن هذه السواحل لا تحوي الكثير من الملاجئ العميقة أو الخلجان الأمينة ، ولا تدوم الموانئ الحالية إلا بفضل أشغال تحسين وصيانة لا تتوقف .

المناخ:

يهين على مناخ اليابان ، مثل مناخ الصين الجاورة ، تأثير تناوب الرياح الشمالية الغربية القادمة بالشتاء من الآنتسيكلون السيبيري ، وتأثير كتل الهواء المداري القادمة صيفا من منطقة الضغوط العالية المستقرة فوق الحيط الهادي .

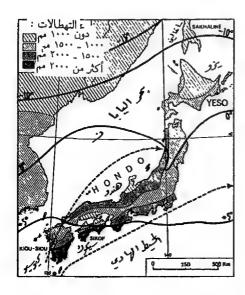
وينتج عن ذلك فصول شتاء باردة نسبيا ، فتكون درجة الحرارة في طوكيو الواقعة على خط عرض مدينة الجزائر في كانون الثاني بماثلة لدرجة حرارة باريس ، كا يكون الصيف فيها حاراً نسبياً فيكون متوسط حرارة تموز في طوكيو ٢٥,٤ درجة في حين لا تتجاوز في سان فرنسيسكو الواقعة على العرض نفسه مقدار ١٥,٢ درجة . ولكن هذا المناخ أكثر اعتدالا من مناخ الصين الشمالية لأنه يتلطف بتأثير جوار البحر (شكل ٣) .

وتمنح الرقع البحرية التي تحيق باليابان للبلاد مناخاً أكثر رطوبة بكثير من مناخ القارة المجاورة (شكل ٤) . فهي لا تنال صيفاً الأمطار التي تأتيها بها الرياح الحارة القادمة من الحيط الباسفيكي ومن السيكلونات الناشئة في منطقة فورموزا والتي تروي السواحل الغربية ولا سيا الشرقية في أيار وايلول فحسب ،



الشكل ٣

مناخ ياباني مركز طوكيو مناخ ياباني مركز كانازاوا العرض ٣٥,٤١ الارتفاع ٢١م العرض ٣٦,٣٣ الارتفاع ٣٠م مجوع المطر السنوي ١٤٧٦م معدل الحرارة السنوي ٥١٣،٨ معدل الحرارة السنوي ٥١٣،١ بل وتأتيها رياح شتوية مارة فوق بحر اليابان حيث شحنت بالرطوبة فتعطي تهطالاً سخياً يكون أحياناً ثلجياً على السواحل والجبال الغربية . وحتى في العاصمة طوكيو الواقعة على الساحل الشرقي ، ينال كانون الأول ، وهو أجف الأشهر أمطاراً بكية تعادل ٥٤ مم من التهطال . وإذا استثنينا جزيرة هوكايدو (يزو) فإن الأمطار تتجاوز المترداعًا بالبلاد .



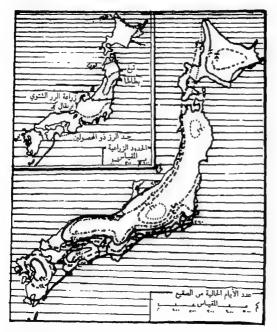
الشكل ٤

الأمطار في اليابان

وتشير الأسهم المقطعة إلى الطرق التي تسلكها المخفضات السيكلونية مثلما تشير الخطوط السوداء إلى خطوط الحرارة المتساوية لتهر كانون الثاني

وهناك فروق مناخية تنتج عن درجة العرض وعن التضاريس . فخطوط الحرارة المساوية تدل على أن الشال هو أكثر برودة بكثير لأن متوسط شهر كانون الثاني هو صفر . ويسام التيار البارد الذي يحاذي الساحل الشرقي حتى درجة العرض ٢٧ في هذا التبرد . ومع أن السواحل الشالية لجزيرة هوكايدو تقع على عرض مدينة بوردو الفرنسية ، فإنها تتعرض لتجمد مياهها البحرية . ولكن الجنوب الذي يكون أكثر حراً ورطوبة وأكثر مواءمة للحياة ، فإنه يتعرض لتخريب العواصف البحرية (تيفون) (شكل ه) .

وتنم التضاريس عن وفرة التهطال على السواحل الغربية المعرضة لرياح الشتاء ، وللمنخفضات السيكلونية الصيفية . ويكون للبحر الداخلي الذي تحميه التضاريس سواحل أقل أمطاراً ، ولكن درجات الحرارة فيه أقل تعرضاً لعنف الرياح . أما الداخل فأكثر جفافاً .



الشكل ه الحدود الزراعية باليابان

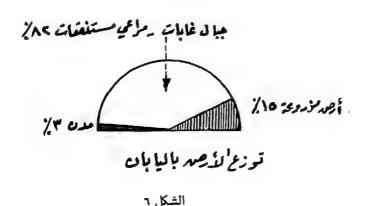
النبات:

لا يكون النبات هنا كا في الصين مفصولاً بين الشال والجنوب بواسطة الصحارى ، ذلك لأن النبات المداري والنبات المعتدل يختلطان في أواسط البلاد . وتبلغ وفرة النبات هنا حدها الأقصى فنجد ١٦٨ فصيلة نباتية تقابل ٨٥ في أوروبا . وتغطي الغابة ٨٦٪ من مساحة البلاد ويستغل تسعة أعشارها بشكل منتظم ، ٣٦٪ للتدفئة و ٢٧٪ في الصناعة (شكل ٦) .

و إلى الجنوب من خط العرض ٣٨ ، يشتمل النبات شبه المداري على عدة فصائل ذات أوراق دائمة الخضرة . وهكذا يبلغ ارتفاع أشجار الكاميليا ١٠ م كا يكون نبات ما تحت الغابة وفيراً وكثيفاً ، والأزهار كثيرة مثل الاوركيديا وسواها ، وهذا ما يجعل اليابانيين من عشاق الأزهار الأوائل بالعالم . ففي جزيرة هوندو تتخلى الغابات الجميلة أحياناً عن مكانها لأنواع من ذوات الأوراق الساقطة ، ثم إلى الصنوبريات وأخيراً إلى أشجار البامبو ذات الأدغال التي تبلغ ٢٠ م ارتفاعاً .

أما نبات النطاق المعتدل ، والذي نجده على جبال الجنوب فيتميز بسقوط أوراقه شتاء . وهكذا تسود أشجار الزان والقيقب مع البلوط والحور والسندر والكستناء . ولكن هذه الغابة المعتدلة تتميز بشدة غزارة ما تحت الغابة وبالملتفات وبالنباتات المتسلقة ، أما على سفوح الجبال المرتفعة والمعرضة لرياح الشمال فتسود الخروطيات .

تغطي الغابة أكثر من ٢٠٪ من مساحة اليابان ولكن مشاهدها تختلف من الشال إلى الجنوب: ففي هوكًايدو تكون الغابة شالية شبه قطبية غنية بالراتنجيات وتحتل ٧٠٪ من مساحة الجزيرة . أما في هونشو فتكون الغابة غنية بالفروق ، حيث تتميز أشجار القيقب التي تفرر سائلاً سكرياً والمتعددة الألوان حسب الفصول بسبب أوراقها والسرو والصنوبر ولاسيا كريبتوميريا Cryptomérias ، وتسود في كيوشو غابة السنديان والبامبو والكافور وحيث تزدهر السحلبيات والكاميليا العملاقة وأشجار الجلوة المتسلقة . ولكن تتداخل في العديد من المناطق الأنواع المدارية والمعتدلة ، فتتجاور أشجار السندر مع النجيليات وقد تكون أشجار البلوط مغلفة أحياناً بالمتسلقات .



ثانياً ـ سكان اليابان

لقد تعرض السكان القدامى الذين كانوا يستوطنون الأرخبيل الياباني إلى عملية طرد من الجنوب باتجاه الشال ، ويصادف الإنسان بقاياهم في الجبال الداخلية من جزيرة هوكايدو ، وهم قريبون من العرق الأبيض إذ يكثر الشعر في وجوههم وهم الآينو .

وقد نتج هذا الطرد عن مجيء أقدوام مختلفة ينتسبون إلى عنصرين رئيسيين : الأول من أصل منفولي قدموا عن طريق كوريا خلال عصور متفاوتة ، والثاني من أقوام بحرية ، من أصل ماليزي أو من جزر بولينيزيا بالحيط الهادي ، قدموا مباشرة من جزيرة لجزيرة أو بعد أن أقاموا فترة ما في

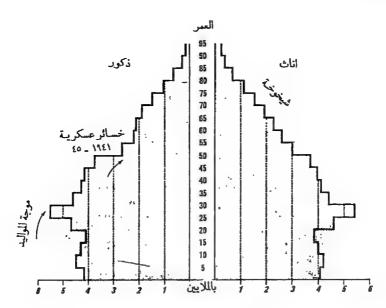
الصين الجنوبية . ولكن انعزال اليابان الجغرافي سمح بازدهار حضارة منسجمة صهرت هذه العناصر المختلفة عرقياً في أمة واحدة مثالية .

وفي عـام ١٨٦٨ ألغى الامبراطـور النظـام الإقطـاعي ودشن عصراً جــديــداً اسمــه عصر الميجي (النور) ، وبذلك فتح اليابان للمؤثرات الخارجية وبدأ تجديد صاحبه تزايد شديد في عدد السكان .

تزايدهم: بعد أن كان عدد سكان اليابان ٢٢ مليون عام ١٨٧٢ في مطلع عصر الميجي ، قفز إلى ٥٥ مليون في ١٩٢٠ وإلى ٢٧ في ١٩٤٥ وإلى ١٩٤٨ في ١٩٧٣ وإلى ١١٨ مليون في ١٩٨٠ . وقد تعرفت إنكلترا في عصر توسعها الصناعي في القرن الفائت ، على ثورة ديموغرافية مماثلة . ولكن هذا الاندفاع الديموغرافي الياباني ، ظل مستراً حتى أيامنا هذه ، إذ يتزايد عدد سكان اليابان سنوياً أكثر من مليون نسمة مع أن العمر الوسطي ارتفع فيها إلى ٧٢ سنة مقابل ٤٩ في الهند و٣٨ في أثيوبيا .

ويعود هذا التزايد إلى نسبة التوالد المرتفعة جداً من ناحية ، وإلى نسبة الوفيات المنخفضة جداً . فقد كانت نسبة التوالد بين ١٩١٧ و ١٩٤٠ تزيد سنوياً عن ٣٠ بالألف . ولكن نسبة الوفيات هبطت من ٢٠ بالألف عام ١٩٠٠ إلى ١٦٥٥ بالألف عام ١٩٤٠ . وابتداء ١٩٥٠ انخفضت هذه النسبة بفضل تقدم الطب ، والعناية الصحية إلى أن وصلت حتى ٢٠,٤ بالألف عام ١٩٦١ وإلى ٦ بالألف في ١٩٧٧ . ولكن بنفس الوقت أخذت نسبة التوالد بالانخفاض ، فكانت ١٧ بالألف عام ١٩٦١ و ولكن بنفس الوقت أخذت نسبة ماثلة للنسبة الموجودة في أوروبا عام ١٩٦١ و التزايد السنوي يعادل (١) بالمئة في ١٩٧٠ ، ولكن لوحظ عام ١٩٥٩ أن ثلثي النساء الحوامل كن يلجأن إلى الإجهاض في المستشفيات الحكومية . وقد أدى هذا الإجراء الذي فسرته عقول متحررة إلى ارتفاع هائل في عدد حالات أدى هذا الإجراء الذي فسرته عقول متحررة إلى ارتفاع هائل في عدد حالات الإجهاض المقنعة ، قفز بها من ١٠٦٠١ في عام ١٩٤٩ إلى أكثر من مليون و ١٧٠ ألفاً في عام ١٩٥٥ ، والفضل في نجاح خطة التخفيض يعود للوعي الذي يتمتع به الفاً في عام ١٩٥٥ ، والفضل في نجاح خطة التخفيض يعود للوعي الذي يتمتع به

الفرد الياباني ، ولوفرة عدد الأطباء والمستشفيات ، وهذا مالا يتيسر في حالات أمم بماثلة كالهند وسواها . وهكذا أدت المصاعب الناجمة عن الحرب ، وعن انكسار اليابان أمام الأميركان ، والبؤس الناتج عن الهزيمة ، وعن عودة كل اليابانيين المغتربين قسراً إلى جزرهم إلى سياسة تحديد النسل ، أو التخطيط العائلي ، وأصبحت الأمم الراغبة في اتباع سياسة مماثلة تلجأ لاقتباس نظريات الدكتور أوجينو الياباني . وعلى كل سيظل فائض الولادات على الوفيات كبيراً حتى مستقبل قريب وفي ١٩٨٠ كانت نسبة التوالد ١٣,٧ بالألف مقابل ١٦،١ للوفيات بالألف أي نسبة التزايد السنوي أصبحت ٢,١، بالمئة وهكذا يتضاعف اليابانيون مرة كل قرن تقريباً في حين تزيد نسبة التزايد السنوي في الوطن العربي عن مرة كل قرن تقريباً في حين تزيد نسبة التزايد السنوي في الوطن العربي عن بالألف أو أربعة أضعاف اليابان (شكل ٧) .



هرم الأعمار لسكان اليابان

الشكل ٧

_ ٤.٤ ..

سكان اليابان يبدؤون في التناقص بعد ٢٨ عاماً

ـ اليابان تشترك مع سويسرا كأكثر الجتمعات تقدماً في السن بعد ٣٥ عاماً ..

سوف يبرداد عدد سكان اليبابان إلى ١٣٠ مليوناً في أوائل القرن الحادي والعشرين من ١١٧ مليوناً اليوم ، ثم يبدأ في الانخفاض حتى يستقر عند ١١٨ مليوناً في عام ٢٠٧٥ ، بعد حوالي قرن من الآن . وخلال ذلك الوقت ، سوف يستمر السكان في مواصلة التقدم في السن بسرعة . وسيشكل الذين يبلغون الخامسة والستين فما فوقها أكثر من ٢٠ ٪ من كل السكان بعد ٢٥ عاما من الآن ، مقابل ٩ ٪ اليوم . وعندما يحدث ذلك ، فإن سكان اليابان يحتمل أن يكونوا أكثر سكان العالم تقدماً في السن .

ماسبق ، هو السبيل الذي يتوقع أن يتخذه سكان اليابان في المئة سنة القادمة ، وفقاً لتقرير عن تقديرات المستقبل للسكان اليابانيين أعده حديثا معهد مشكلات السكان بوزارة الصحة والشؤون الاجتاعية من بيانات الإحصاء القومي لعام ١٩٨٠ .

أطول متوسط لامتداد الحياة في العالم

منذ ٢٠ عاماً فقط كانت اليابان تتميز بمعدلات عالية للمواليد والوفيات . وفي عام ١٩٥٠ كان متوسط مدى الحياة ٥٧,٩١ للرجال و ٦١,١٣ عام للنساء . وقد زاد طول العمر زيادة ملحوظة منذ ذلك الحين ، بفضل تحسين أنظمة الضان الاجتاعي ، وما تم من تقدم في علوم الطب وغير ذلك من التطورات . ويعد اليابانيون بين أطول الشعوب عراً في العالم ، حيث بلغ متوسط مدى العمر ٧٣,٥٥ عام للرجال ، ٧٨,٩٧ عام للنساء في عام ١٩٨٠ ، ومن المتوقع أن يصل إلى ذروته ليكون ٧٥ عاماً للرجال و ٨٠ عاماً للنساء في وقت ما في القرن القادم . كا أنه من المتوقع حدوث عودة معتدلة إلى الوضع في معدل المواليد ، مما يؤدي إلى مستوى ثابت للسكان في عام ٢٠٢٥ .

وبناء على هذين الافتراضين ، فإن التقديرات الجديدة تفترض ثبات عدد سكان اليابان من خلال معدلات منخفضة للولادة والوفيات . وسوف تتغير الأمة ككل بسرعة من مجتم متوسط العمر إلى مجتم للكهول . وأكثر النقاط الجديرة بالذكر في تقدير هذه الاحتالات الجديدة هو توقع أن يمضي تقدم السكان في العمر بسرعة أكبر مما توقعته إحصائيات وتقديرات سابقة .

تكاليف عالية للضمان الاجتاعي

في الوقت الحالي يشكل الأشخاص الذين في الخامسة والستين من أعمارهم فما فوق ، ٩ ٪ من كل السكان ، أو حوالي واحد من كل ١١ شخصاً . ولكن بعد ٢٤ عاماً من الآن ، سوف يشكلون أكثر من ٢٠ ٪ من السكان ، أو واحد من كل خسة ، وستصل نسبة العجائز إلى ذروتها - ٢٢,٢٪ - أو واحد من كل ٥,٤ شخص في عام ٢٠٤٣ . ووفقاً لتقديرات الأمم المتحدة للسكان لعام ٢٠٢٥ فأن لوكسبورج وسويسرا فقط سيكون لديها نسبة أكبر من العجائز في سكانها عن نسبة اليابان في ذلك العام وهي ٢١,٢ ٪ ، وسيكون سكان اليابان عندئذ أكبر سناً من سكان السويد ، وإيطاليا ، وجمهورية ألمانيا الاتحادية ، التي سيكون لديها هي الأخرى نصيب أكثر من ٢٠ ٪ من الكهول في سكانها .

وفضلاً عن ذلك ، فإن السكان في سن التناسل (١٥ إلى ٦٤) سوف يسترون في التناقص . وفي الوقت الحالي يعول سبعة أشخاص في سن العمل شخصاً كهلاً عن طريق نظام الضان الاجتاعي . وبعد ٢٥ عاماً من الآن ، سوف يكون ثلاثة أشخاص في سن العمل يعولون واحداً من الكهول . ولكن الظروف ستكون بالنسبة للسكان في سن التناسل أكثر قسوة في الحقيقة منها من الناحية النظرية لأنه لن يكون كل شخص من هذه المجموعة من العمر يعمل فعلا ويسهم بذلك في أموال الضان الاجتماعي لكل عجوز .

وفي مواجهة هذا التقدم في السن للسكان الذي لامفر منه ، والزيادة الناجمة عن ذلك في عبء الإعالة على كاهل السكان العاملين ، فإن الحكومة مضطرة إلى أن تجري مراجعة أساسية في سياساتها الخاصة بالشؤون الاجتاعية والعالة ، إذ أنها ترتبط بالمعاشات والرعاية الصحية للشيوخ ، والعالمة للسكان في منتصف العمر . وقد وجه نقد لمشروع ميزانية سنة ١٩٨٢ المالية لزيادته الضخمة في اعتادات الدفاع على حساب مصروفات الشؤون الاجتاعية . وستصبح المناقشات حول الميزانية القومية أكثر ضراوة بعد ٥٠ أو ١٠٠ عام من الآن ، حيث سيصبح ضغط إعالة سكان متقدمين في السن أكثر حدة ، ويتشابك مع عوامل أخرى مثل نمو اقتصادي منخفض ، وقيود على إمكان الحصول على الطاقة ، ومتطلبات دفاعية أكبر . وسوف تتحد هذه العوامل لكي تجعل الإدارة المالية في المستقبل أكثر صعوبة مي اهى الآن .

« نشرة أخبار اليابان »

AY / A / \

توزع هؤلاء السكان:

تبلغ الكثافة المتوسطة للشعب الياباني حالياً حوالي ٣١٥ نسمة في الكيلو متر المربع الواحد . ولكن السكان شديدو التفاوت من حيث التوزيع ، لأن السهول أكثر كثافة بكثير من الجبال ، وتبلغ الكثافة فيها أحياناً ١٠٠٠ نسمة في الكم (تبلغ حالياً في وادي النيل والدلتا ١٢٢٢) . وهكذا يسكن في سهل طوكيو (كوانتو) ومساحته ١٣٠٠ كم ، أي أكثر من مساحة لبنان بقليل ، حوالي ٣٢ مليون من مجموع السكان .

أما الجنوب الذي يتمتع بمناخ أكثر دفئاً ومواءمة للزراعة ، فيحتوي على عدد من السكان أكثر كثافة من الشال الأكثر برداً وفقراً . وابتداء من شال طوكيو تكون الكثافات في كل مكان متوسطة أو ضعيفة بالنسبة للمتوسط الوطني . وهكذا نلاحظ أن القسم الشالي من جزيرة هونشو وجزيرة هوكايدو ، اللذين يعتبران باليابان مناطق من المكن زيادة استيطانها ، لا يجذبان إلا القليل من المهاجرين من باقى الجزر ، بسبب قساوة المناخ وقلة وفرة الموارد الزراعية .

الأرياف والمدن :

لقد ظهر تزايد السكان بالبدء أكثر شدة بالمدن ، رغم أن التوالد فيها أقل ارتفاعاً مما هو في الريف . ورغم وجود بعض المدن الكبرى القديمة ، فإن العنصر الريفي كان خلال مدة طويلة العنصر السائد بين السكان ولكنه يجنح اليوم للبقاء مستقراً . ففي ١٩٢٠ كان في اليابان ٥٥ مليون نسمة منهم ٣٧ مليون ريفي ، أي يسكنون في قرى يقل عدد سكانها عن ١٠٠٠٠ نسمة . وفي ١٩٥٠ صعد عدد سكان اليابان إلى ٨٣ مليون ، منهم ٣٨ مليون ريفي . وهذا التبدل نتج عن هجرات داخلية جسيمة ، أدت إلى مفادرة السكان الريفيين المناطق الفقيرة نحو المدن ، وخاصة الكبرى منها . وهكذا صعد عدد السكان الإجمالي للمدن التي

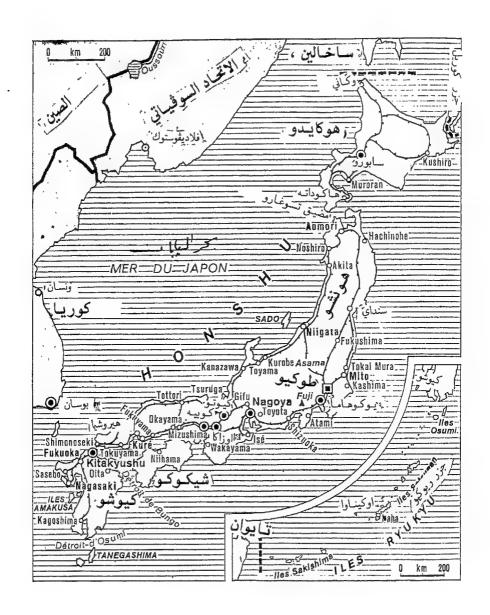
يزيد عدد سكان كل منها عن ٥٠٠٠٠ نسمة ، بين ١٩٢٠ إلى ١٩٥٠ ، من ١٠ ملايين إلى ٢٨ مليون وتسجل هذه الحركة خطوات جديدة منذ ١٩٥٠ ، وهكذا تحوي اليابان حالياً ٨ مدن يزيد سكان كل منها عن مليون نسمة . ويعيش ٧٧٪ من اليابانيين في المدن وليست الحياة الحضرية لوحدها مع ما يتبعها من تسليات ، هي التي تجذب الريفيين نحو المدن الكبرى مع مصانعها وتجارتها ومكاتبها ، بل الأمل في خلاصهم وخلاص عائلاتهم من العزلة الريفية وتلبية لنداء الصناعة الوثابة في المدن المتكاثرة (شكل ٨) .

وقلما نجد في الأرياف سكاناً مبعثرين . ولتوفير أكبر ما يمكن من الأرض الزراعية فإن البيوت الخشبية المؤلفة غالباً من طابق واحد ، تصطف على طول الطريق الخالي من الطرق المعترضة على مسافة عدة كيلو مترات أحياناً .

أما في المدن فإن الكثير من الأحياء تحتفظ بمظاهر القرى الكبرى مع بيونها المؤلفة من مساكن صغيرة جداً ذات سقائف جانبية مزدوجة ، والتي تجاور الطرق المتصالبة كا في المدن الجديدة في المناطق الصناعية ، وتارة تجاور طرقاً مسدودة غير سالكة ، أو تنتشر على طرفي شارع عريض ، بحيث يتساءل الإنسان كيف يستطيع في هذا التيه أن يجد إنساناً يجهل عنوانه . أما في المدن القديمة فإن هذا التيه من الشوارع ، يطيف غالباً بقصر قديم إقطاعي . ولكن تظهر في المدن الحديثة أو في الأحياء الجديدة من المدن القديمة ، شوارع عريضة مستقيمة ، أكثر عرضاً ، تحف بها العارات الأوروبية الطراز .

الحضارة اليابانية:

وتعتبر في معظمها من أصل صيني ، ولكنها اتخذت مظاهر خاصة بها انتقلت من جيل لآخر حتى أيامنا هذه . وقد بذلت اليابان القديمة منذ حوالي قرن وربع من الزمن جهداً جباراً للتقدم وهو جهد كان أكثر شدة بعد انكسار عام ١٩٤٥ وبعد الاحتلال الأميركي .



الشكل ٨ توزع المدن اليابانية في ١٩٧٥

ولقد تبنى اليابانيون الاتجاه الغربي في الحضارة .. وهكذا كوّنوا جيشاً وبحرية قويين ، وشيدوا مصانع على الطراز الأوروبي ومخازن كبرى وعمارات ضخمة أميركية الطراز . ويقصدون السينا بأعداد كبيرة ، وأكثرهم يلكون أجهزة راديو وتلفزيون وسيارة . وتعتبر طوكيو أكبر مدينة تحدث فيها المخابرات الهاتفية . وتكثر المدارس المختلفة المستويات في كل أرجاء القطر . ومعظم النساء والرجال يتخذون الألبسة الأوروبية في الشارع والمعمل .

ولكن تحت هذه المظاهر الحديثة ، تظل اليابان وفية على مقياس كبير لتقاليـدهـا . لأن دستور عام ١٩٤٧ الرامي إلى تنظيم البلاد على أساس ديوقراطي ، يعتبر الامبراطور دائماً على أنه « مقدس ومحرم » . ولاتزال « الشنتويسة » : وهي عبارة عن نظام نصف ديني ونصف فلسفي ، لاتزال مزدهرة دوماً ، وتصون تقديس الإمبراطور والأجداد العظام والأسرة والعشيرة والقوى الأساسية في الطبيعة . ولا يزال مفهوم الشرف العسكري من عهد حكم الطبقة العسكرية (الساموراي) والدايو باقياً ، أو « البوشيدو » وهو الانتحار بطريقة الهاراكيري ، أي بشق البطن بالسكين أمام الجهور ، في حالة الهزيمة العسكرية أو الفشل ، إلى جانب مفهوم الإخلاص الكلى للوطن ، مثل فرق « الكاميزاكه » أو الفدائيين ، الذين لعبوا دوراً كبيراً في أواخر أيام الحرب العالمية الثانية . وإلى جانب عمال المصانع للنضين إلى نقابات ، لاتزال كتلة الفلاحين وأرباب الحرف التقليدية عاماً . ولا يزال الفن ذا أصالة ، ولازال يعبر عن حب عميق للطبيعة . ويعمد الياباني إلى التقليد أولاً ، ريثا يكتسب المهارة ، ثم يشرح ويعيد التفكير فيما قلده حسب طبائعه الخاصة وتقاليده . ويزداد نجاح الفيلم السينمائي والإذاعة والمسرح كلما كان المعروض يمثل أكثر فأكثر الصوفية القومية والآلمة والأبطال. واليابانيون والبابانيات الذين يتجولون خلال النهار بلباس أوربي ، يعمدون فور دخولهم بيوتهم إلى خلعها ، وأخذ حمام ساخن جداً ، ومن ثم يلبسون الكيمونو . وتتم حفلة الشباي دوماً حسب طقوس ثبابتة ، وكلها روحية ، لذا يكون لها دوماً نفس طابع البساطة والجمال . كما أن فن الباقات يعتبر دائماً في الصدارة في ـ كل البيوت ، إذ يوجد في طوكيو لوحدها ٢٠٠٠٠ أستاذ لتعليم فن ترتيب باقات الزهور .

ثالثاً - المناطق الكبرى

تؤدي تجزئة البلاد بين أربع جزر كبرى وخاصة كثرة الامتداد من الشال للجنوب على مسافة ١٥ درجة عرض ، إذ تمتد اليابان من عرض بخارست إلى عرض القاهرة ، تؤدي إلى اختلافات مناخية محسوسة تسمح بتييز خس مناطق في الأرخبيل الياباني :

١ ـ هوكايدو:

وهي الواقعة في أقصى الشال ، وأقل الجزر سكاناً . مساحتها ٧٨٥٠٠ كم وكثافة السكان فيها ٧٦ نسبة في الكم ومجموع سكانها ٦ ملايين نسبة . ومعظم تضاريسها بركانية كا هو الأمر في سائر أنحاء الأرخبيل . ولكن المناخ أكثر قساوة لدرجة تقارب المناخ السيبري . وقد ظلت الجزيرة مدة طويلة كلجأ لسكان بدائيين هم الآينو ، الهاربين من وجه اليابانيين باتجاه الشال . وقد استوطن اليابانيون الجزيرة مجدداً ، وخاصة بعد هزية عام ١٩٤٥ ، إذ استقبلت مهاجرين جدداً يارسون الزراعة الميكانيكية .

وتنحصر مواردها الرئيسية في الغابات والصيد البحري ، لأن موقعها مماثل لموقع الأرض الجديدة في شرق كندا ، ومناجم الفحم وخاصة الزراعة . وتزرع بها نباتات المناطق المعتدلة مثل القمح والجاودار والشعير والبطاطا كا دخلت زراعة الرز مجدداً على الساحل الجنوبي .

ويمثل الريفيون حوالي ٢٢٪ من سكان الجزيرة ، والباقي يتبعثر في عدد كبير من المدن الصغرى التي تعتبر مدينتا سابورو وهاكوداته أهمها .

۲ ـ شمال جزيرة هوندو « هونشو » :

لهذه المنطقة تضاريس شديدة التجزؤ، وشتاء أقبل قساوة من شتاء هوكايدو، ولكن تتعرض لحوادث صقيع شديدة ولكثرة تهطال الثلوج. وتماثل حقولها حقول أوروبا الغربية، ويزرع بها الذرة البيضاء والشعير والذرة الصفراء والفاصوليا والصويا. أما على السفح الشرقي فتزدهر زراعة القمح والبطاطا، كا تتكاثر مزارع الرز. وتنو أشجار التوت بالسهول لأن هذه المنطقة أكثر مناطق اليابان إنتاجاً للحرير.

ونصف السكان ريفيون تقريباً ، وتقل الكثافة العامة عن ١٥٢ شخصاً في الكيلو متر المربع ودون المعدل الوسطي للبلاد ، ويعيش فيها أكثر من ١٢ مليون نسبة .

٣ ـ وسط هونشو:

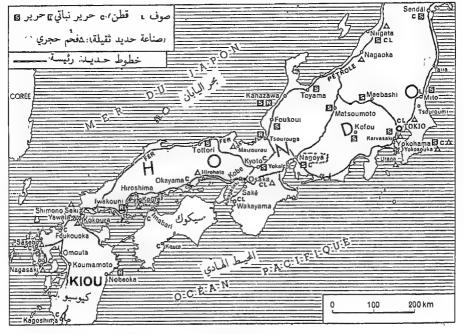
تبلغ الجزيرة أكبر عرض لها بين سهل سندائي وبحيرة بيبوا . وهنا تصبح الجبال أكثر ارتفاعاً كا يحتوي بعضها على مخاريط بركانية ، تعتبر من أهم مثيلاتها بالبلاد مثل آساما ، وفوجي ياما الذي خمد منذ ١٧٠٨ . وتكون هذه السهول والمصاطب والتلال القابلة للزراعة أكثر عدداً . كا أن كثرة الأمطار وارتفاع الحرارة خلال الفترة الإنباتية تجعل النبات وفيراً وبهيجاً . وهنا تتنوع المزروعات ، وتحتل حقول الرز مساحة كبيرة . وتتراوح كثافة السكان بين ٢٠٠ و ٠٠٠ شخص في الكيلو متر المربع ، وأكثر من ذلك في سهل طوكيو . أما الساحل الجنوبي المحصور بين ناغويا وطوكيو فيعتبر من أكبر مناطق العمران باليابان (شكل ٩) .

ومدينة ناغويا التي يبلغ عدد سكانها أكثر من مليوني نسمة ، تحتل قلب منطقة يزيد عدد سكانها عن ٢,٥ مليون تقدم ١٠٪ من إنتاج اليابان الصناعي .

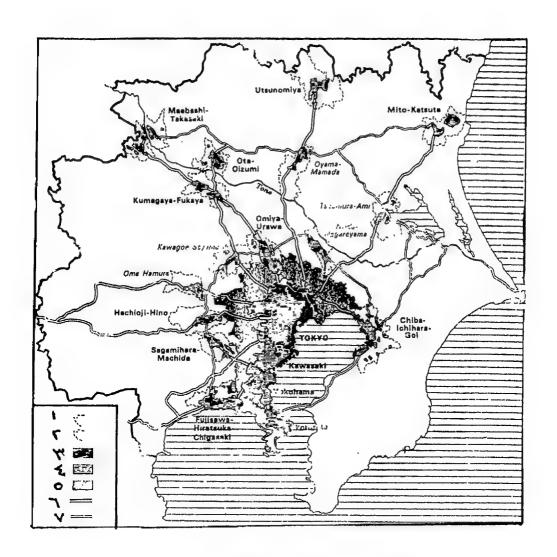


وتتفوق هنا الصناعة النسيجية إلى جانب صناعة الحديد . أما بؤرة النشاط الأكثر أهمية سواء من الناحية الزراعية أم من الناحية الصناعية فتقع حول طوكيو مع يوكوزوكا Yokosuka وميناء يوكوهاما (شكل ١٠) . واتخذت طوكيو كعاصة منذ ١٨٦٨ وهي مبنية فوق سهل لحقي كبير . وتضم اليوم مع ضواحيها أكثر من ١١ مليون نسمة و ٤,٨ ملايين ضمن حدودها البلدية ولذا تعدّ ثالث مدينة في العالم من حيث كثرة السكان بعد شنغهاي ومكسيكو (شكل ١١) . ومساحة هذه المدينة ٥٦ ألف كم ، وتمتد على رقعة واسعة ، إذ ضمت بين بيوتها عدداً من البساتين ومزارع الرز لدرجة أن حدودها كمدينة تبدو غامضة . وتكاد تكون هذه المدينة جديدة بكل معني الكلمة ، إذ أعيد بناؤها بعد زلزال ١٩٢٣ تكون هذه المدينة جديدة بكل معني الكلمة ، إذ أعيد بناؤها بعد زلزال ١٩٢٣ الذي هدمها وبعد تدميرها بقنابل الطائرات الأميركية عام ١٩٤٥ .

. اليابان الوسطى والجنوبية وصناعاتها الرئيسة



الشكل ١٠



مشروع التوسع الحضري في إقليم طوكيو

١ ـ مدن جديدة ٢ ـ مدن جديدة تحت الدراسة
 ٣ ـ مناطق صناعية ٤ ـ مناطق احتياطية للتوسع
 ٥ ـ الحزام الأخضر ٦ ـ طرق رئيسية ٧ ـ طرق ثانوية
 يلاحظ وجود مدن تابعة لطوكيو بعد الحزام الأخضر مباشرة ، ومدن تابعة بعيدة عن الحزام الأخضر

الشكل ١١

وقد تم حفر قناة تسمح لطوكيو باستقبال سفن البحر الكبرى ، ولكن يوكوهاما التي يزيد عدد سكانها عن ٢,٤ مليون تظل الميناء الأول للشركات الملاحية الكبرى . والمجموع المؤلف من طوكيو والمدن المجاورة يضم ١٤ مليون نسمة . وهنا أكثر مراكز البلاد نشاطاً ، إذ تنتج ٣٠٪ من مجموع الإنتاج وتضم أكثر الصناعات تنوعاً ، وهي أول مدينة صناعية بالعالم لأن فيها ٢,٥ مليون عامل صناعي .

٤ ـ جنوب هونشو وسيكوك:

يتيز القسم الواقع إلى الغرب من بحيرة بيوا (في جزيرة هوندو) بنشاط كبير في جوار البحر الداخلي ، الذي تشرف عليه أيضاً الضفاف الشالية من جزيرة سيكوك ، وهنا تكثر غابات البامبو . أما داخل جزيرة هوندو الجنوبية ، فهو منطقة زراعة رز كبيرة كا تكثر مزارع الشاي والقصب بجوار الساحل .

ويكون للبحر الداخلي ساحل منبسط تارة وتارة محفوف بحقول منتزعة من البحر « بولدر » وتارة جبلي وبركاني . وتقدم الجزر الصغيرة والسواحل هنا ملاجئ كثيرة للمراكب الصغيرة . لذلك لعب البحر الداخلي دوراً هاماً في تاريخ اليابان . فعلى ضفافه الشالية تزدحم معظم المدن الكثيفة السكان في الأرخبيل ، مثل أوزاكا ٣,٣ ملايين نسمة وهي ثاني مدينة باليابان ، وأهم مركز فيها للصناعة القطنية ، وسوق كبير للرز والسكر . و كوبه ١,٣ مليون نسمة ، وهي مركز لصناعة الحديد ، ورابع ميناء بالعالم قبل الحرب العالمية الثانية . وهيروشيا وكان الصناعة الحديد ، ورابع ميناء بالعالم قبل الحرب العالمية الثانية . وهيروشيا وكان سكانها ٢٥٠ ألف نسمة قبل انفجار أول قنبلة ذرية فوقها عام ١٩٤٥ ، وعاد بناؤها ببطء بعد ذلك ، وتضم أكثر من نصف مليون نسمة . وشيمونوسيكي وسكانها ١٠٠ ألف نسمة ، وتقع بمواجهة المنطقة الصناعية في جزيرة كيوسيو . ومن جهة أخرى تقع مدينة كيوتو على مسافة ٥٠ كم إلى الشال من أوزاكا بجوار بحيرة بيوا

وسكانها ١,٥ مليون نسمة ، وهي العاصمة القديمة للامبراطورية ومدينة معابد وأديرة ومركز جامعي وفني ، ولكنها مدينة صناعية أيضاً ، تشتهر بصناعة الخزف ونسج الحرير الطبيعي .

ه ـ جزيرة كيوسيو:

وهي الجزيرة الرابعة الواقعة في أقصى الجنوب ، وتقع على مسافة ثماني درجات من المدار على عرض مدينة شنغهاي ، لهذا تتتع بمناخ شبه مداري ، حار ورطب ، مع غابات ذات نبات بهيج غالباً وحقول رز تعطي موسمين بالعام أحياناً ، ومزارع شاي ، وبعض حقول قصب السكر والقطن . ونجد في الشال أي في مدينة فوكوكا Fukuoka وسكانها ١٠٠٠ نسبة مناجم هامة لإنتاج الفحم ، وأصبحت مركز صناعة حديد ثقيلة وصناعات كياوية . وتقدم هذه المنطقة ١٠٪ من الإنتاج الصناعي الياباني لذا تكون كثافة السكان هنا مرتفعة جداً . ويتميز ميناء ناغازاكي الواقع على بحر الصين ، بترساناته النشيطة لبناء السفن وسكانه ١٠٠٠ ألف نسبة .

تحوي هذه المناطق الختلفة ، كا رأينا ، تنوعاً كبيراً في المشاهد . ولكن في نظر الإنسان البعيد عن جو الشرق الأقصى ، يشعر بوجود مشهد ياباني متيز ، انتشر عالمياً بواسطة الصور أو الطوابع ، والذي نجد فعلاً عناصره في معظم جزر الأرخبيل : فهنا نجد أجمة من أشجار ، تكون من صنوبر أحياناً ، وهناك شبح غريب لمعبد مع بوابته الخشبية المغرقة بالألوان ، وبحدائقه وبقنواته الصغيرة التي تمتطيها جسور ذات خطوط منسجمة ، وحوله دغيلات من أشجار الكرز أو المانيوليا ، أو من الشجيرات الصغيرة ، وفي الأفق يتراءى لنا مخروط بركاني ذو سفوح منتظمة ، أو زاوية من جدار ذي صخور ضخمة ومراكب صغيرة . وهكذا يكون الانسجام والأناقة هما أبرز ملامح هذا المشهد التقليدي ، والذي لا يجوز ، مع ذلك ، أن يجعلنا ننسى حقول الرز مع فلاحيها ، ولا المصانع التي تشبه خلايا نحل بشرية .

رابعاً - الاقتصاد الياباني

التحديث:

في عام ١٨٦٨ كانت امبراطورية الشبس المشرقة تعيش من زراعتها ، في حين كان ينصرف قسم صغير من سكانها نحو الحرف الراقية ، وكانت التجارة محدودة جداً بالنسبة للجزر اليابانية الأربع . وعند مطلع عصر الميجي ، أخذ الامبراطور ومستشاروه على عاتقهم تحويل اليابان إلى دولة حديثة .

ولتحقيق ذلك وجب النهوض بالزراعة لتأمين غذاء السكان المتزايد من ناحية ، ومن ناحية ثانية لإنتاج المواد الأولية للصناعات الوطنية وللتجارة الخارجية ، كالحرير مثلاً . ولهذا جهدت السلطات الامبراطورية في توسيع رقعة الأراضي المزروعة ، وهي مهمة عسيرة في بلاد ذات أبعاد ضئيلة ، وذات تضاريس معقدة جداً ، وتربة قليلة الخصب أحياناً حتى في السهول . ولكن أمكن بين عامي ١٨٧٧ إلى ١٩٣٩ بعد جهود جبارة توسيع الرقعة المزروعة بنسبة

ولكن النهضة التي أحرزتها الصناعة الكبرى والتجارة الدولية ، كانتا الشغل الشاغل الرئيسي لحكومة طوكيو ، التي كانت تتصرف بأيد عاملة وفيرة دؤوية على العمل وقنوعة . وقد استقدمت لأجل ذلك خبراء تكنولوجيين من أميركا وبريطانيا ، وخاصة من أجل إنشاء الصناعات الرئيسية . وأقامت موانئ حديثة في حين كان الأسطول التجاري يتزايد من أجل زيادة الملاحة الشاطئية والتجارة الخارجية . وأخذت الخطوط الحديدية تتدد لتربط المدن الرئيسية ببعضها البعض .

ولأجل إنجاح هذا المشروع الجبار، لم تعمد الحكومة أبداً لاستدعاء رساميل أو مساعدات أجنبية ، بل فرضت ضرائب باهظة على الفلاحين وأصبحت هي ذاتها مالكة لعدة مؤسسات ، وخاصة في بجال الصناعة الثقيلة وفي صناعة السلاح . ولكنها كانت تشجع في الوقت نفسه المؤسسات الخاصة وخاصة تلك التي تهتم بالتصدير وبالأسواق الخارجية . وهكذا ظهرت بعض الشركات (أو إخوان الثراء) الضخمة مثل شركات زيباتسوس Zaibatsus التي أصبحت قوية جداً .

ورغ فقر البلاد بالمواد الخام ورغ الأزمات والقفزات غير المتزنة ، أصبحت اليابان في عام ١٩٤١ عند مهاجمتها للقواعد الأميركية في المحيط الهادي ، إحدى أكبر الدول الصناعية والتجارية بالعالم ، ولكنها استطاعت قبل ذلك في عام ١٩٠٥ أن تدمر الأسطول الروسي بالشرق الأقصى .

الامبريالية اليابانية:

رغبة من اليابان في تأمين المواد الخام لصناعتها الوطنية ، والتي تفتقر إليها في بلادها . ومن أجل الحصول على أقطار ، يمكن أن تستخدم كمرف لسكانها الكثيرين جدا ، عمدت اليابان إلى زيادة قوتها المسكرية في الوقت نفسه الذي زادت من قوتها الاقتصادية ، وأخذت تقتطع لنفسها امبراطورية على حساب جبرانها . وعلى أثر حرب مع الصين احتلت اليابان فورموزا «تايوان » وجزر بسكادور عام ١٨٩٥ . وفي ١٩٠٥ بعد حرب مع روسيا احتلت النصف الجنوبي من جزيرة سخالين وكوريا وميناء بورت ارثور . وفي ١٩٣١ إلى ١٩٣٢ ، اجتاحت المقاطعات الصينية في منشوريا وفي جيهول وميناء بورت الكرّة على الصين فاحتلت الجيوش اليابانية كل الصين الشالية والساحل الجنوبي . وأخذت هذه الامبراطورية ترسل المواد الخام المصانع اليابانية كا استقبلت الأراضي المفتوحة في مده ١٠ سنوات ، مليونين من المهاجرين اليابانيين في حين هاجر للأقطار الخارجية مليون واحد .

ولكن هذا الاستعار المتزايد والمستفحل ، قاد البلاد نحو الكارثة بسبب حسد وخوف الأقطار الاستعارية الأخرى من خطر العرق الأصفر الذي تمثل كل منجزات المدنية الغربية . وهكذا أصبحت اليابان في أواخر الحرب العالمية الثانية ، مقتصرة على جزرها الأربع فقط ، بعد أن استولت على كل جنوب آسيا وخسرت ثلاثة أرباع قوتها الإنتاجية الصناعية ، ولكن اقتصادها عاد بعد انهيار عام ١٩٤٥ إلى ازدهار جبار ، من جديد ، وهو ازدهار لم تعرفه اليابان من قبل أبداً ، لتتحول إلى ثالث قوة في العالم ، وكان ثأرها علمياً تكنولوجياً واقتصادياً .

الزراعة:

منذ نهاية الحرب ، بذلت اليابان جهودا كبيرة لتوسيع المساحات المزروعة ، ولكن الأراضي المزروعة حالياً ، لا تتجاوز ١٥٪ من مساحة البلاد . ولا يعمل بالزراعة أكثر من ١٥٪ من السكان العاملين . وتبدو معظم المزارع ضئيلة

الرقعة ، ومقسمة إلى قطع صغيرة . وقد فرضت سلطات الاحتلال الأميركية عام ١٩٤٦ الإصلاح الـزراعي ، فتضاعف عـدد الملاكين المستغلين والرقعـة التي يستغلونها . ولكن تطبيق هذا الإصلاح لم يكن كا يبدو دقيقاً جداً ، ولم يؤد إلى أي تبديل يذكر في بنية المزارع نفسها . وعلى كل أصبح ٧٠٪ من الفلاحين اليابانيين مالكين صغار ، يستغل الواحد منهم وسطيا أقل من هكتارين .

لا تتعرض الأرض للبور إطلاقاً فوق هذه المستغلات المفرطة في تفتتها . ويحمل ثلث الأراض المزروعة ، على الأقل ، محسولين في الهام ، وإليكم كيف تكون الأرض مستخدمة في جنوب خط العرض ٣٨ : فبعد حصاد مزارع الرز المغمورة ، في نهاية الصيف ، يزرع نوع آخر من الحبوب أو زراعة صناعية كالكولزا « الشلغم » أو أسمدة خضراء ، تحصد في نهاية الشتاء ، أما فوق الأراضي البعلية (أو الإعذاء أو الديم) فتارس زراعة محصولات متداخلة ، بحيث تنتج خلال العام خمسة محاصيل فوق الأرض ذاتها .

وبفضل كثرة اليد العاملة ، تمارس اليابان نوعاً من زراعة ، تماثل زراعة الحدائق بسبب العناية المفرطة المبذولة للأرض : كالري المنتظم بدقة ، والحراثة ، والعزق المتكرر . ولاتستخدم الزراعة الكثير من الماكنات الزراعية ، باستثناء جزيرة يزو ، وأحياناً لاتستخدم الحيوان . وتبذل جهود كبيرة من أجل تحسين البذار ، واستخدام الأسمدة المختلفة الأنواع ، من طبيعية وكياوية ، جهود لاتنفك عن التزايد . وهذه الزراعة الكثيفة تعطى مردوداً مرتفعاً .

والمحصولان الرئيسيان هما الرز والحرير . فزارع الرز المغمورة بالماء ، تحتل نصف مساحة الأراضي المزروعة البالغة ٦ ملايين هكتار . وتبلغ القية الاجمالية لحصول الرزحوالي ٦٠٪ من القية الكلية للإنتاج الزراعي . ويبلغ مجموع المحصول ١٧ مليون طن ، أي تعتبر اليابان ثالث منتج عالمي للرز ، ومردود المكتار يبلغ ٦٠ كنتال من الرز ، وهو رقم عالمي ، ولكن هذا المقدار لا يكفي الاستهلاك الوطني بسبب تزايد السكان . كا أن تربية دود القز التي تمارس بعناية فائقة وبطريقة عملية ، تتراجع بسبب المزاحمة المتزايدة الناجمة عن المواد

النسيجية الاصطناعية . وقد بلغ إنتاج شرانق الحرير بعد الحرب العالمية الأولى ، حوالي ثلثي إنتاج العالم وكان يغذي نصف الصادرات اليابانية . ومع أن الإنتاج كان لا يزال كبيرا إلا أنه ينحدر بسرعة .

ومن بين الـزراعـات الأخرى ، نـذكر : الشعير ٢٠٠٠٠٠ طن ، والقمـع ومن بين الـزراعـات الأخرى ، نـذكر : الشعير ٢٠٠٠٠٠ طن ، والبطاطا والبطاطا الملوة ١٠٥ مليون طن ، ومختلف أنواع الفاصولياء ، وأخيرا البقول والأشجار المثرة ، والشاي ١٠٥٠٠٠ طن . كا يزرع القطن والقصب السكري في الجنوب على رقعة صغيرة ، كا أن تربية الماشية لا تلعب أكثر من دور هذيل في الفعاليات الزراعية . وعلى كل لوحظ منذ أعوام حدوث تقدم محسوس في ميدان تربية الأبقار الحلوبة ، ٣٠٧ ملايين رأس ، بحيث أصبحت اليابان تصدر الحليب المكثف وسمن الغنم ، وتربية الخنازير ٨ ملايين والطيور الداجنة .

وتقدم الغابات المستغلة عقلانياً خشب النجارة وحطب التدفئة وقصب البامبو وفحم الخشب ، الذي يستهلك بكثرة في المنازل للتدفئة والحطب اللازم لمعجونة الورق لأن الغابة تستر ١٧٪ من رقعة البلاد وتعطي ٤٣٫٤ مليون م من جذوع الخشب و٩٫٩ ملايين طن من المعجونة و١٥٫٧ مليون طن من الورق . وإذا كان سدس سكان اليابان يعملون بالزراعة فإن هذه الزراعة تقدم حوالي ١٠٪ من الدخل القومي ، كا تقدم أكثر من ثلاثة أرباع الحاجات الغذائية الوطنية .

المبيد البحري :

تتتع اليابان بسواحل طويلة جداً ، وبقرب القيمان البحرية الغنية بالأماك ، لذا تحتل الدرجة الأولى بالعالم في هذا الحجال ، إذا يعمل بالصيد ١,٣ مليون عامل مقابل ٧٢٠٠٠ في بريطانيا ، أو عشرة أمشال فرنسا . ويستهلك معظم الإنتاج في جزر الأرخبيل ذاته ، كالأساك والأشنيات . كا يستخدم قسم منه كأسمدة أو يصدر للخارج مثل السلاطمين وسمك الطون واللآلئ المزروعة . . . كا يكون الصيد الساحلي نامياً جداً ، ولكن قلما تستخدم فيه مراكب ذات محركات ، ويقدم هذا الصيد

الكثير من الأماك المتنوعة وخاصة السردين . وبالإضافة إلى ذلك تملك اليابان سفن صيد ضخمة بخارية أو ذات محرك تمخر البحار من مضيق بهرنغ حتى خليج البنغال وكل الحيط الباسفيكي وحتى المتجمد الجنوبي . وبعض هذه السفن عبارة عن معامل حقيقية ، تنتج على ظهرها المعلبات من السلاطمين لكل أنحاء العالم ، وزيت حوت البالين . وبذلك أصبحت اليابان أكثر أمم العالم تصديرا للمأكولات البحرية . ويعمل في الصيد الساحلي ٧٠٪ من الصيادين .

وتنتج اليابان حوالي ١٠.٦ ملايين طن من الأساك في ١٩٧٧ أو ١٥,٥٪ من الصيد العالمي وتــأتي بالدرجة الثانية بالعالم بعد البيرو .

الصناعة:

لم تتوقف الصناعة عن التوسع والنو منذ ثورة ١٨٦٨ ، وتشغل اليوم نسبة من السكان العاملين أكبر بكثير من العاملين بالزراعة . وهكذا تبدو اليابان أقوى دولة صناعية وأكثرها اعتاداً على الآلة في كل آسيا الموسمية وثالث دولة في العالم بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي .

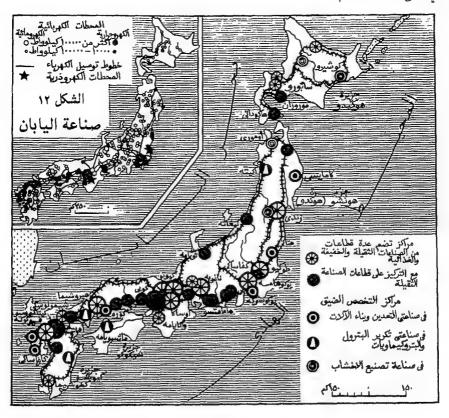
اليابان في الطليعة

هناك جيش « الأوادم الآلية » Robots . ويشير تقرير جمعية « الأوادم الصناعية » (جيرا) أنه كان في اليابان في اواخر عام ١٩٧٩ / ٥٦٨٠٠ إنسان آلي عاملين في البلاد وأكثر من ثلث هؤلاء كانوا يعملون في صناعة السيارات أو ٣٨٪ وفي الصناعة الكهربائية المنزلية ١٨٪ أما الباقي فكانوا يتوزعون في صناعة اللدائن ١١٪ ، والصناعة الميكانيكية ٨٪ ، والصناعة الحديدية ٤٪ وفي صناعة ممالجة الممادن ٣٨ .

وهذه النهضة تعود قبل كل شيء إلى وفرة اليد العاملة ، وإلى تقاليدها في القناعة وبساطة العيش ، مما يجعل عمالها قليلي المطالب والشطط. وعلى كل ارتفع دخل عمال الفولاذ الشهري إلى ما يعادل أمثالهم في ألمانيا الغربية وعمال الصناعات اليدوية إلى أمثالهم في أمريكا فضلا عن علاوات وفوائد لا يستهان بها .

وتتفوق في اليابان المعامل الصغيرة شبه الحرفية ، إذ أن ٥٠٪ من معامل البلاد لا تشغل أكثر من عامل ، وهذه ظاهرة لا ترى في الصناعات النسيجية بصورة خاصة ، حيث يعمل فيها عدد

من العال الحرفيين بالتعهد (القبالة) لحساب أرباب العمل الذين يقدمون لهم المواد الخام ، لهذا لا تكون الإنتاجية بالنسبة للعامل الواحد مرتفعة . وتوجد إلى جانب هذه المؤسسات الصناعية الصغيرة ، مراكز كبرى على شكل معامل ضخمة جداً ، وهنا تكون الأجور أكثر ارتفاعاً والتقنية technicité أكثر تقدماً بكثير . ونلاحظ في الصناعة الصغرى كا في الكبرى ، وجود تمركز مالي شديد . وبعد أن بدا للناس أن التروستات كادت تنهار بعد هزية ١٩٤٥ ، عادت الآن للنو وأشهرها تقوم على أساس عائلي مثل عائلة ميتسوي وتروست ميتسوبيشي التي تنتج السيارات والاسمنت والمعلبات الغذائية والمراوح كا تبيع مصانع كاملة « مفتاح باليد » الخ . . . التي تملك كل منها فروعاً عديدة من الصناعة والتجارة والبنوك . أضف إلى ذلك أن الدولة ذاتها أصبحت منذ ١٨٦٨ كقوة صناعية . وتخرج الجامعات اليابانية وعددها ٢٣٦ عددا هائلا من الهندين . فأصبح في اليابان اليوم من المهندسين أكثر من أي قطر آخر عدا الولايات المتحدة و الاتحاد السوفييتي . ولكن اليابان تحتل الدرجة الأولى من حيث النظر إلى عدد المهندسين بالنسبة إلى عدد السكان إذ لديها ٢٠٠ جامعة تكنولوجية والقليل من الجامعات النظرية التي تخرج أرباب الكلام .



أما فيا يتعلق بمصادر القدرة فلا نجد باليابان سوى القليل من الفحم الحجري ومن البترول ولكن تحوي البلاد الكثير من الشلالات . وقد بلغ إنتاج الفحم في عام ١٩٨١ مقدار ١٧,٦ مليون طن استخرجت خاصة من مناجم جزيرة كيوسو الشالية ومن مناجم جنوب هوكايدو . واستخراج هذا الفحم عسير ونوعيته هزيلة . أما فحم الكوك فيستورد كلياً . أما إنتاج البترول فهزيل ورغ أن حملة كبيرة قامت في اليابان للتنقيب عن النفط ، فهي تضطر لاستيراد كمية سنوية تزيد عن ٩٠ مليون طن ، وتعتبر ثالث دولة مستوردة للنفط بالعالم لأن إنتاجها يزيد قليلاً عن نصف مليون طن ما يكفي استهلاك يوم واحد في السنة مقابل مليارين ونصف متر مكعب من الغاز الطبيعي . وتعتبر ثالث دولة بالعالم في عنية نسبياً بالقوى الكهرمائية بفضل مناخها المطير وخاصة لعنف تباينات ميدان تكرير النفط لأنها تكرر حوالي ٢٧٥ مليون طن بالعام ، ولكن اليابان التضاريس ، ولوجود البحيرات . ويتجاوز إنتاج الكهرباء المائية ٢١٪ من الإنتاج الكلي للكهرباء البالغ ٢١٦ مليار كيلواط ساعي وذلك عام ١٩٨٠ أو ثالث دولة في إنتاج الكهرباء ويقدم النفط المستورد خسي الطاقة الكهربائية ويفوق استهلاك الفرد الياباني ما يستهلكه الفرد السوفياتي ، أو ٢٥٥٠ كيلواط ساعى .

أما بالنسبة للمواد الخام ، فلا تملك اليابان ما يكفيها تقريباً من المعادن سوى النحاس ١٠٠٠ طن ، والرصاص ١٦٠٠ طن ، والزنك ٢٧٥٠٠٠ طن ، أما الباقي فتستورده . فالحديد نادر بالبلاد وإنتاجها من خاماته لا يزيد عن ٢٥٨٠٠٠ طن وكل الحديد المستهلك مستورد تقريباً وخاصة من استراليا كذلك الأمر بالنسبة للقطن والصوف ما عدا الحرير الطبيعي الذي تنتجه البلاد .

ورغم هذا الفقر بالوقود والمواد الخام الأولية ، فإن الصناعة اليابانية حصلت على نجاحات رائعة . فالصناعات الحديدية الثقيلة تجاوزت إنتاج ما قبل الحرب العالمية الثانية بكثير إذ قدمت عام ١٩٨١ أكثر من ١٠٢ مليون طن من الفولاذ و ٨٨ مليون طن من الفونت فأصبحت ثالث دولة بالعالم . وتقع الأفران

العالية خاصة في شال جزيرة كيوسيو التي تقدم ٣٥٪ من الإنتاج وفي أواسط جزيرة هونشو ولا سيا في مدن أوزاكا وكوبه وطوكيو ويوكوهاما . أما أهم الصناعات المعدنية فهي صنع كل أنواع الماكنات والحركات وتجهيزات معامل النسيج والسيارات (تويوتا ، نيسان ، وبرنس وداتسون ومتسوبيشي الخ ... وكانت تنتج سنوياً حوالي ٦ ملايين سيارة إلى أن بلغ ١١,٧ مليون في ١٩٨٢) . هذا وتبدو صناعة بناء السفن في أوج ازدهارها لدرجة أنها احتلت المكانة الأولى ببناء السفن بالعالم عام ١٩٦١ ، وسبقت إنكلترا ، إذ أنتجت ما يعادل حمولة ٩,٩ مليون طنة . وتنتج حالياً ٤٤٪ من سفن العالم .

الصناعة الجوية اليابانية ١٩٧٩ : لم تستطع الصناعة الجوية اليابانية أن تستأنف أنشطتها إلا في عام ١٩٥٢ ولا تمثل حالياً أكثر من ربع مثيلتها الفرنسية ، وتود أن تتلافى تأخراً تكنولوجياً في هذا المضار مقداره ٣٥ سنة كي تصبح ثاني دولة في الصناعة الجوية العالمية لأن حسابات خبرائها تشير إلى أن كغم من الطيارة يساوي ٢ أضعاف ثمن كيلو غرام من التلفزيون الملون و ٥٠٠٠ مرة أكثر من كغم السفينة التجارية . ولا يعمل في هذه الصناعة حتى العام المذكور أعلاه سوى ٢٥٠٠٠ نسمة . وتمارس مؤسساتها الرئيسية المندمجة ضمن الجموعات الصناعية الكبرى ، ميتسوبيشي ، كاوازكي ، ايشي كاواجيا ، هارومافيجي ، وشين ميوا ، تمارس حالياً سياسة تعاون مع شركة بوينغ ، فتارس ماريمي إلى المساهمة بنسبة ٢٧٠ ، ومع شرّكة فوكر ، روكول ، رولس رويس ، وترمي إلى المساهمة بنسبة ٢٠٪ في مشروع طائرة « الباص الجوي » Airbus ، وقد أخرجت في عام ١٩٧٩ أول طائرة تجارية هي طائرة دياموند ١ التي صنعتها مؤسسة ميتسوبيشي ، في مدينة سان آنجلو ، في ولاية تكساس .

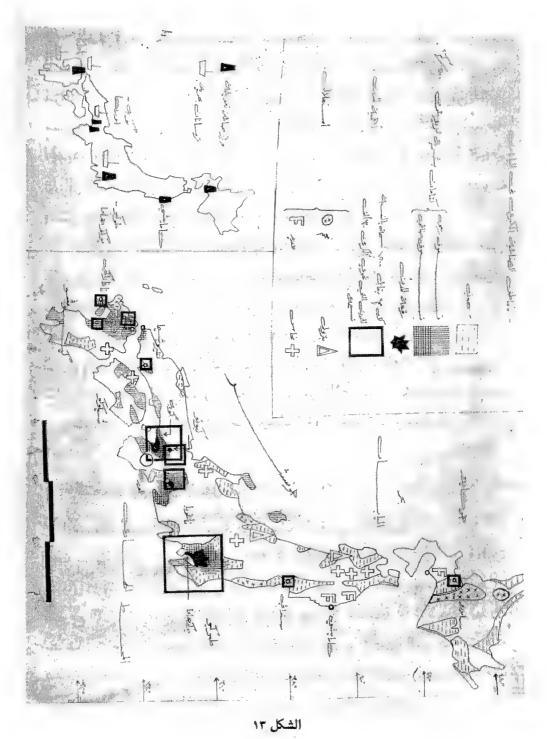
كا توسعت صناعة الأجهزة الكهربائية فبلغت ٢٢ ضغفا عما كانت عليه قبل ١٠ سنوات : وتنتج حالياً أيضاً ٦٠٠ ألف طن من الألمنيوم .

وتظهر في طليعة الصناعات النسيجية: صناعة القطن المتوجهة للتصدير، والشديدة التركز (أوزاكا، ناغويا). أما صناعة الحرير فتتعرض لمزاجمة داخلية قاسية من قبل المنسوجات الاصطناعية، وعلى كل تقدم منسوجات الحرير أقشة من نوعية ممتازة، وقبلت اليابان دخول ميدان الأنسجة الجديدة، فاحتلت المكانة الثانية بالعالم بعد الولايات المتحدة في صناعة خيوط الحرير النباتي، وأول مكانة في خيوط الفيبران والخيوط التركيبية. أما الصوف المستورد من استراليا فيصنع في مدينة ناغويا (شكل ١٣).

هذا وتبدو الصناعات الكياوية في ازدهار سريع ، وخاصة صناعة الحض الكبريتي والأسمدة . كا تتقدم صناعة المطاط المستورد والتركيبي . كا لاتزال صناعة البورسلين والخزف القديمة جداً ، مزدهرة للغاية . كا تزدهر فيها صناعة المصابيح الكهربائية والزجاج المتنوع ، فضلا عن صناعات حرفية عديدة مثل الورق وألعاب الأطفال ، والأشياء البلاستيكية والأمواس والأقلام الخ ، وتنتج ٦ ملايين من حمض الكبريت و ٧ ملايين طن من الإسمنت ... والخلاصة تتقدم صناعتها وتنو بنسبة ١٧٪ في العام وسطياً في السبعينات وهبط إلى ٢٠٥٪ في

التجارة ووسائل النقل:

تستفيد التجارة الداخلية من شبكة طرق برية طولها ٢٠٢٨٠٠ كم، وحديدية ممتازة يبلغ طولها ٢٨٠٠٠ كم . وهكذا تملك اليابان أكبر حظيرة للسيارات وعددها ١٥ مليون سيارة وللقطارات في كل آسيا الموسمية ، فالقطار السريع الياباني يقطع المسافة بين طوكيو وأوزاكا البالغة ١٥٥ كم بمدة ثلاث ساعات . وكان الأسطول التجاري يحتل قبل الحرب الأخيرة الدرجة الثالثة بالعالم ، وحمولته كانت أكثر من ٥ ملايين طنة قبل الحرب . وبعد تخريب معظمه خلال الحرب العالمية الثانية ، استطاعت اليابان أن تعيد بناءه بسرعة ،



وبلغت حمولته اليوم ٤٥ مليون طنة . وعاد العلم الياباني يظهر من جديد فوق كل البحار والحيطات .

أما التجارة الخارجية فتجاوزت مكانتها التي كانت عليها قبيل الحرب العالمية الثانية بكثير ، ولكنها لا تزال في تقدم مستر . وتتألف المواد المستوردة قبل كل شيء من الفحم والبترول والحديد والقطن . وتحتل المواد الغذائية المكانة الثانية ، وتبلغ قية المستوردات ١٩ مليار يَنْ . أما الصادرات فيأتي الفولاذ بالطليعة ثم المنسوجات . إذ تعادل حوالي ٣٠٪ منها وتحتل الأقشة القطنية بينها مكان الصدارة . ولكن الأنسجة الاصطناعية احتلت المكانة الثانية بعد الأقشة الحريرية . وأخذت صادرات المصنوعات المعدنية تؤلف حالياً ثلث الصادرات كالسيارات والساعات وأدوات التصوير والمراوح والمصنوعات الألكترونية وتبلغ كالسيارات والساعات ين ، أي تحقق اليابان فائضاً تجارياً يزيد عن ملياري يَنْ ،

وكان الميزان التجاري عاجزاً ، إذ بلغ عجز عام ١٩٦١ أكثر من مليار دولار إلى أن تفوق التصدير عن الاستيراد بكثير منذ ١٩٦٥ . ولكن التصدير أصبح بالنسبة لليابان قضية حيوية لذا تنتظر بفارغ الصبر انفتاح السوق الصينية أمامها ، التي تمثل زبوناً ممتازاً لليابان ، إذ كانت الصين تبتلع ٢٠٪ من صادرات اليابان قبل الحرب . كا أن تطور الصين الحديثة يتطلب شراء أدوات وآلات ومصانع « مفتاح باليد » تستطيع اليابان أن تقدمها لها وقدمتها فعلاً مقابل البترول الخام .

والمزاحمة اليابانية التي شعر العالم بها قبل الحرب الثانية ، وخاصة في مضار صناعة بعض المصنوعات مثل الدراجات والساعات والأغراض الرخيصة ، عادت للظهور من جديد في الأسواق العالمية (على شكل سيارات ومراوح وترانزستور وتلفزيونات ، راحت تغزو أسواق الولايات المتحدة وأوروبا بشكل مذهل) . وتعمد المؤسسات اليابانية لتوسيع شبكتها من الوكالات حتى في الولايات المتحدة ذاتها وفي أمريكا اللاتينية وفي كل جنوب شرق آسيا حتى أوروبا نفسها .

ملامح المستقبل:

إن الحماس في العمل ، والقناعة ، والعناد ، والواقعية ، والإبداع ، والشعور بالواجب والإحساس بوجوب الاسترار بالحياة الوطنية والقومية ، تؤلف بالطبع كلها ضانات بالنسبة للاقتصاد الياباني . وقد قال أحد مهندسي اليابان : « إن كل ياباني يعمل ضن اختصاصه ولا ينفك عن تحسين اختصاصه » . ولعل هذا هو سرنجاح هذا الشعب المهذب الانضباطي .

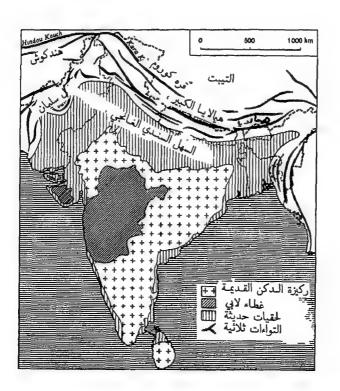
ولقد استفادت اليابان من الازدهار العابر الناتج عن كثرة طلبات الأميركان خلال حربهم في كوريا في فترة ١٩٥٠ ـ ١٩٥٣ ، ولكنها الآن عادت لوضعها الطبيعي .

ولفرط السكان في هذه البلاد نتائج خطيرة . لأن الجزر لا تستطيع أن تؤمن غذاء أكثر من ثمانين بالمئة من غذاء شعبها ، كا لا يبدو من المستطاع توسيع رقعة الأراضي الزراعية كثيراً . أضف إلى ذلك أن اليابانيين لا يهاجرون إلا مكرهين ، لأن كل الامبراطورية الواسعة التي استطاعت حكومة طوكيو أن تكونها على حساب جيرانها ، مثل فورموزا وكوريا ومنشوريا والصين ، لم تستقبل أكثر من ٣ ملايين ياباني بين موظف وتاجر ، عادوا جيعاً بعد هزيمة اليابان . كا أن معظم الأقطار الواقعة على الضفة الشرقية من الحيط الهادي ، والولايات المتحدة اتخذت تدابير قاسية ومنعت هذا النوع من الهجرة . وبعد أن والولايات المتحدة اتخذت تدابير قاسية ومنعت هذا النوع من الهجرة . وبعد أن عدم استقبال أبناء العرق الأصفر ولكن اليابان أثبتت نجاحها في كبح جماح عدم استقبال أبناء العرق الأصفر ولكن اليابان أثبتت نجاحها في كبح جماح الاندفاع الديوغرافي كا سبق ورأينا .

ويبدو الاستمرار بالتصنيع من أجل تشغيل أكبر عدد مكن من اليد

العاملة من جهة ، للتكن من تصدير كيات متزايدة من السلع من أجل تحصيل القطع النادر (العملة الصعبة) اللازم لشراء المواد الغذائية الضرورية ، أقول : يبدو كل ذلك عبارة عن ضرورة حيوية لليابان ، لأن هذه الدولة ستصبح أول دولة في العالم ، إذا ما استر نسق غوها الصناعي الحالي والبالغ ٧٪ بالعام ، من حيث دخل الفرد الذي سيصل إلى ٤٨٥٠ دولاراً في عام ١٩٨٥ . ولكن يظهر هنا أول تناقض ، وهو أن هذه السياسة تستدعي دائما المزيد من المواد الخام مع أننا رأينا أن معظم هذه المواد يجب استيراده وأحياناً من مناطق بعيدة جداً ، مما يزيد كثيراً من سعر الكلفة . والتناقض الثاني هو من أجل صنع سلعة رخيصة السعر لا يمكن تخفيض أجور العال ، المرتفعة بحد ذاتها ، دون التعرض لهبوط خطير في مستوى معيشة العال ، إذن يجب تجديد المعامل للتوصل إلى إنتاجية أفضل ، ولكن ذلك سيؤدي إلى استخدام عدد أقل من العال مما يؤدي لاستفحال البطالة الموجودة حالياً والتي تبلغ ٧٪ من القوة العاملة .

وعلى كل حال يظل التصدير قضية أساسية بالنسبة لليابان وهذا مايقلق كل دول الغرب وعلى رأسها الولايات المتحدة . وتستطيع الأقطار المتخلفة ، في جنوب شرق آسيا ، أن تؤلف بالنسبة لليابان أسواقاً لتصريف منتجاتها بالرغ من أن بعض هذه الدول اتجهت نحو التصنيع . ولكن يجب على الدول العظمى أن تقبل بعودة اليابان كنافسة ليس في الأسواق الآسيوية فحسب ، بل في أسواقها ذاتها ولذلك يجب عليها أن تقبل بتخفيض حواجزها الجمركية . وإذا لم تسلك هذه الدول الكبرى هذا السبيل ، فإن اليابان قد تضطر مكرهة إلى الدخول في أزمة قد تؤدي إلى اضطرابات اجتماعية وسياسية ، قد تدفع لمصاعب وحروب عالمية . لأن المثل يقول « الجوع يطرد الذئب من الغابة » . وقد قال نابليون : « الجيوش تزحف على بطونها » لا سيا إذا كان الجائع يجيد استعال وصنع السلاح كالياباني والمهم أن اليابان فرضت احترامها على كل الدول العظمى وظل امبراطورها هيروهيتو موضع الاحترام سواء كان مغلوباً أو مسالاً.



الشكل ١ بنية العالم الهندي

الفصيب لالرابع

العالم الهندي

يعيش قرابة ٩٠٠ مليون نسمة فوق ٤,٧ ملايين كم مع كثافة تقارب ١٩٢ نسمة في الكيلومتر المربع .

وهكذا يضم العالم الهندي خمس سكان الأرض ، فوق رقعة تقل عن ٣٪ من مساحة كرتنا الأرضية .

وتبدو شبه القارة الهندية مرهقة بالبؤس ، كا يظهر الفكر الهندي مشبعاً بعاطفة لا تؤمن بجدوى العمل .

تعابير

بلاد الهند : كل الأقطار التي كانت تؤلف المبراطورية الهند الإنكليزية حتى ١٩٤٧ .

الهندوسي : هو الذي يعتنق الديانة الغالبة أو الهندوسية .

دول العالم الهندي : الاتحاد الهندي . الباكستان . بنغلادش . سريلانكا . نيبال كشمير وجامّو .

إفراط الطبيعة وقسوتها

وهكذا يؤلف العالم الهندي شبه جزيرة فسيحة ، حيث تبدو الطبيعة وكأنها تسحق الإنسان . فالعالم الهندي يمتد من درجة العرض ٣٧ حتى درجة العرض ٨ شمالاً ، أي من درجة عرض الحدود السورية الشمالية ، أو الساحل الجنوبي لبحر الخزر ، ومدينة إشبيلية في الأندلس ، حتى عرض خليج غينيا في إفريقيا .

وهكذا تبدو الأقطار الهندية أكثر أشباه جزر آسيا الجنوبية اتساعاً ، فتبلغ مساحتها عبد 1,79 ملايين كيلومتر مربع ، أي تزيد مساحتها عن ثلثي مساحة أوروبا . ويتد العالم الهندي من الغرب إلى الشرق ، أي من دلتا نهر الهندوس إلى دلتا نهر براهما بوترا شرقاً ، على مسافة ٣٠٠٠ كم ، مثلاً يتد على ٣٠٠٠ كم من الشمال للجنوب ، أي من قم هيالايا إلى رأس كاموران . وبلاد الهند هي أكثر من شب جريرة ، فهي تكاد تولف قارة وتسمى بالإنكليزية شبه قارة سلمة على عن سائر آسيا بحاجز مؤلف من أضخم وأعلى سلسلة جبلية في العالم ، وتلامس من الغرب بحر عمان ومن الشرق خليج البنغال .

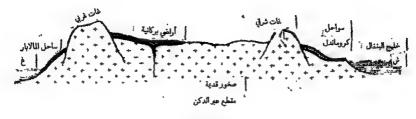
وليست بلاد الهند عالماً مغلقاً ، فقد استقبلت المدنية الهندية روافد غربية قدمت من ممرات الشال الغربي ، أو من المرافئ البحرية . وفي خلال الألف الثاني قبل الميلاد ، ظهر الآريون في الهند ، وهم أعضاء العائلة اللغوية الهندية الأوروبية الكبرى ، وكانت الثيدا هي كتبهم المقدسة ، وأصبحت اللغة السنسكريتية لغة ثقافتهم . ووفدت بعد الآريين عناصر فارسية وإغريقية وعربية وتركية ومغولية ، وساد الإسلام على شطر كبير من العالم الهندي . ولكن بلاد الهند نشرت اثنتين من أكبر الديانات العالمية ، وهما البوذية والبراهمية . وبعد أن تأثرت الحكة الهندية بالفكر الإغريقي ، وصلت إلى عالم البحر الأبيض المتوسط ، مثلما شملت قسماً من الهند الصينية وأندونيسيا . وهكذا هيمنت بلاد الهند على العاطفة الدينية والجالية لدى حوالي نصف البشر .

ولكن الطبيعة تبدو معادية للإنسان ، ذلك أن فترات الجفاف الطويلة ، تتناوب مع الأمطار الطوفانية التي تجلبها الرياح الموسية . وهكذا تتجاور السهول القاسية باتساعها ، والتوجات العارية في هضبانها اللاتيريتية مع العالم النباتي والحيواني البهيج في أدغالها الشمالية ، ومع جسامة التضاريس الهيالائية .

الهند وشبه القارة الهندية

نشكل شبه القارة الهندية ، الملتصقة بجسم أسيا على مساحة ٤,٥ ملايين كيلومتر مربع ، تشكل بحموعة جغرافية ثلاثية العناصر هي : حفرة الهندوس والغانج اللحقية ، وحافة السلاسل الالتوائية ، وشبه جزيرة الدكن المثلثة الشكل . ولكن الاتحاد الهندي يترك للباكستان أكبر قسم من حوض الهندوس ، مثلما تحتفظ بنغلادش بأفضل جزء من دلتا الغانج وبراهما بوترا . ولكن شبه جزيرة الدكن تختص بها الهند لوحدها (شكل ١) .

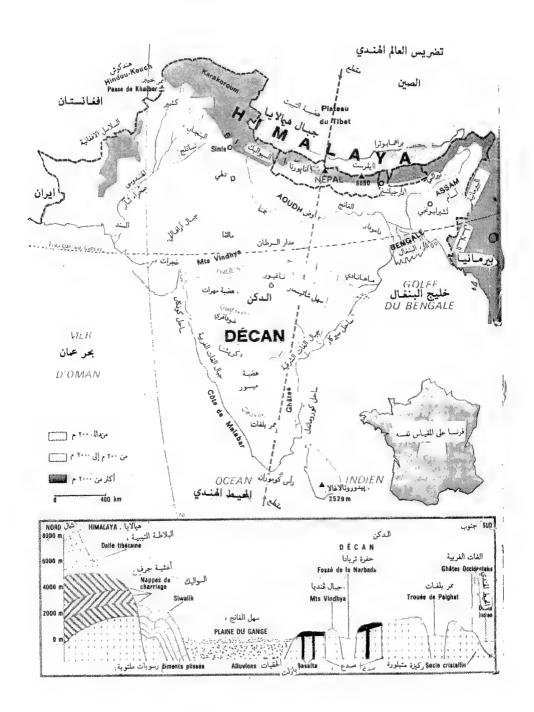
وتتألف الدكن من هضبة غير متناظرة . ففي الغرب أي من جهة بحر عمان ، تشطر عقبة جبال الغات الركيزة القديمة وغطاءها البازلتي . (شكل ٢) وهكذا تجري الأنهار نحو الشرق ، كي تصب على شكل دلتات في خليج البنغال . وقد استطاعت توضعات سميكة حطامية ولحقية أن تردم الحفرة الهندوسية الغانجية ، الواقعة بين شبه جزيرة الدكن وسلسلة هيالايا . وإلى الغرب من عتبة دلمي ، يقع البنجاب ، الذي تمتد أراضي الاتحاد الهندي على جزء منه ، وهو «بلاد الأنهار الخسة » التي ترفد نهر الهندوس من اليسار . وفي الشرق تقوم السيول الهيالائية بدفع نهر الغانج نحو الجنوب ، و يعمل الإطهاء على عرقلة عملية الترافد ، ولهذا يكون السهل مقسوماً إلى فواصل نهرية طويلة ، يدعى الواحد منها دوآب ، كا هو الحال بين نهر الغانج ونهر جمنا . ويعتبر دلتا البنغال الناجم عن العمل المشترك لنهري الغانج وبراهما بوترا أوسع دلتا في العالم . ومنذ القرن السابع عشر أصبحت مياه النهرين تنحرف نحو الشرق ، ولهذا أصبح البنغال الناجم المندى « دلتاميتاً » ردىء الصرف .



الشكل ٢

ولا يملك الاتحاد الهندي سوى قطاع من قوس هيالايا ، والذي تختص مملكته نيبال ، وهي دولة مستقلة ، بقسمه الأوسط . ولكن هيالايا ومعناه « مسكن الثلوج » ، وهو عبارة عن سور يعزل شبه الجزيرة عن الريساح الزمهريرية الشمالية ، ويحرف الموسميات الصيفية نحو الغرب . وبين خوانق نهر الهندوس وبين عكس نهر براهما بوترا ، أي على مسافة ٢٤٠٠ كم لا تقل الارتفاعات مطلقاً عن ٤٥٠٠ م ، وهي كتلة جبلية لا تدين بوجودها لقوة الالتواءات بقدر ما تدين لحركة نهوض إجمالية حديثة . وهذه السلسلة الضيقة التي لا يزيد عرضها عن ٣٠٠ كم ، تكون مسبوقة جنوباً بسلاسل السواليك ، وهي جبال من صخور رملية ، أو ببيونت حطامي ، حيث تتسرب فيه المياه لتؤلف في حضيضه مستنقعات تدعى « تيرائي » . ويضم هيالايا بعض الأحواض (سرينغار) غير أن الأودية العرضانية هي عبارة عن طرق مسدودة تطل عليها مرات شديدة الارتفاع . أما في أسّام تطيف طيات من نمط جوراسي بترس قديم (شكل ٣) .

وتتفاوت الترب بدرجة خصوبتها ، فأحياناً تكون مفتقرة أو نالتها عوامل الانجراف والحت ، لأن النبات الطبيعي تعرض لانحطاط شديد . أما في شبه الجزيرة ، فإن الأرض السوداء « ريغار» ولا سيا فوق صخور البازلت في الشمال الغربي ، تكون هشة ، تحتفظ بالماء بصورة جيدة ، في حين تسيطر الترب الحراء



الشكل ٣

الرملية في المناطق الأخرى ، أو تكون غضارية ، وأحياناً لاتيريتية . أما اللحقيات فهي عبارة عن غضاريات ناعمة (غرين) ، كا في السهول الفيضية ، أو تكون عبارة عن رمال غرينية ، كا في الفواصل النهرية . وقد تحولت الغابة الأصلية إلى بقايا شاهدة ، فنجد الغابة الدائمة الخضرة فوق جبال الغات ، أما غابة الموسميات وأهم أشجارها ، التك ، فتسقط أوراقها خلال الفصل الجاف . وتسيطر غابة عابة عبارة عن نجيليات عالية أو من أدغال البامبو ، وتارة أخرى عبارة عن أحراش السنط الشوكية ، التي تكون هزيلة جداً في صحراء ثار .



يتألف القسم الأعظم من مساحة الاتحاد المندي البالغة ٢,٢ مليون ٢٠ ، من هضبة شبه جزيرة الدكن « الجنوب » ، المؤلفة من رسوبات قديمة ، التوت عدة مرات وتحولت إلى شبه سهل ، ومن صخور متبلورة ، ولكن تظهر في الشمال الغربي أغشية من لابات بازلتيه انساحت في مطلع الحقب الثالث . وتسيطر هنا المساحات المنبسطة ، مؤلفة من أشباه وسهول متبلورة ، ومن موائد بازلتية « ميزا » ، أو من صخور رملية « خرسان » . ولكن حدثت انكسارات كبيرة تمخضت عن عقبة جرف جبال الغات « السلالم » ، التي تظهر فيها حفرة ناربادا في الشمال الغربي والمحروفة نحو بحر عمان ، وحدور آراڤالليس المطل على صحراء ثار . وفي أقصى الجنوب تظهر كتلة جبال نيلجيري التي تسمو لارتفاع ٢٠٠٠ م بين كيرالا وبين تاميل نادو (مدراس) .

وفضلاً عن ذلك تملك جمهورية الاتحاد الهندي سهولاً لحقية فسيحة كالسهول الساحلية ، وهي سهول ضيقة ومتباعدة تطل على بحر عمان ، أو تكون أكثر عرضاً وذات دلتات على خليج البنغال ، وبمر براهما بوترا ، وعلى الخصوص سهول الغانج والبنجاب وذلك فيا وراء عتبة دلهي باتجاه الشرق ، حيث تكون الركيزة غير عميقة تحت العتبة المذكورة .



الموسميات الهندية

يدين الجال الهندي في شخصيته وأصالته المناخية إلى موقعه في القسم المداري من آسيا الموسمية وإلى غلافه الجبلي . فبين كانون الأول وشباط تسود الضغوط العليا على شبه الجزيرة . ذاك هو الفصل الجاف ، باستثناء شال غرب البنجاب ، الذي يتلقّى بعض الأمطار النادرة ذات الطابع الرومي (المتوسطي) مع قليل من أيام الانجاد . وبين آذار وأيار يأخذ الآنتيسيكلون ، أي الضغط العالي ، بالتقهقر نحو نهر الهندوس . ويصبح فصل القيظ خانقاً ، فيبلغ متوسط الحرارة في شهر أيار ٣٦ درجة في صحراء ثار . ويكث الفلاح بجوار حقوله ينتظر قدوم الرياح الموسمية .

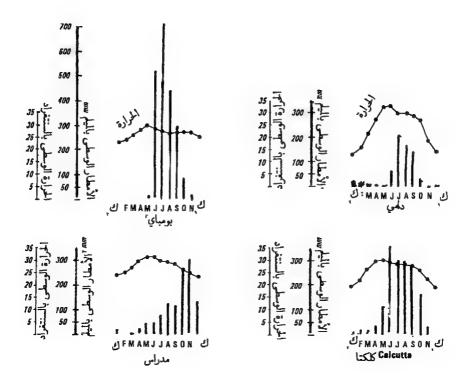
وفي أواخر شهر أيار ، يجتاز تيار الهواء الحار والرطب ، القادم من الحيط الهندي ، جبال الغات ، كي يقتحم بعدئذ خليج البنغال . ذاك هو « انفجار الموسميات » ، وهي أمطار طوفانية تهطل على الجبال المواجهة لهذه الرياح ، في حين تكون السفوح الواقعة في ظل المطر عرضة لفترات صحو متطاولة . وبعد أن تحاذي الرياح الموسمية سلسلة هيالايا لا تصل لنطقة البنجاب إلا في تموز ، بعد أن خسرت معظم رطوبتها .

وابتداءً من أيلول يبدأ تقهقر الموسميات الصيفية . وتنحبس الأمطار الإ باتجاه خليج البنغال ، الذي لا ينزال شديد التسخّن ، وحيث تتشكل سيكلونات هدامة تؤدي لفيضانات ولكوارث . وهكذا يكون شهرا تشرين الأول وتشرين الثاني أكثر الشهور أمطاراً ، على ساحل كوروماندل كافي مدراس .

وتكون السعة الحرارية ضئيلة . ففي جنوب خط يمتد من بومباي إلى كلكتا ، لا نجد شهراً واحداً تكون حرارته الوسطى دون ٢٠ درجة .

وتكون النطاقات المناخية متيزة هنا بغزارة الأمطار ، وبنظامها ، أي بتوقيتها ، وبانتظامها من حيث التفاوت السنوي . وهكذا نجد ، رغم الفارق في درجات العرض بين البنغال وكيرالا الواقعة في أقصى الجنوب الغربي ، انها متشابهان لأنها ينتسبان إلى « هند النخيل » ، مثلما نجد أن أسّام وصحراء ثار عالمان مختلفان ، رغم وقوعها على درجات العرض ذاتها .

و يقطع « و تر الجفاف » شبه الجزيرة الهندية ابتداءً من رأس كاموران إلى البنجاب. فإلى الغرب نجد الشريط الرطيب الضيق ، الذي ينال أكثر من متر من المطر ، أي بين بحر عمان وقفا جبال الغات . أما في الشرق فينتشر الشريط المطرى خلف خليج البنغال ، باستثناء غرب مدراس ، كي يضيق عند الاقتراب من هيالايا باتجاه البنجاب ، ويتخذ شكل قع . وينال مركز تشيرابونجي ، الواقع عند أوائل سفوح جبال أسّام ، ١١,٩ متراً من المطر ، وتشتهر هذه البلدة في أنها أكثر نقاط الأرض أمطاراً . وهكذا تكون الموسميات الصيفية بالنسبة للمجال الهندي طاغية ومنعشة ، ذلك أن المعدلات المطرية تحجب اختلافات كبرى . فقد يتعرض كل من إقليم البنفال أو كيرالا إلى سنوات جفاف . وفي أي مكان آخر ، ابتداءً من مدراس حتى البنجاب ، قد يحدث أن تنحبس الأمطار أو تتأخر كثيراً ما يؤدي لاضطراب مواعيد زراعة الحاصيل ، مما يؤدي إلى تقلب مردودها دون ري . ولكن قد تؤدي الفيضانات إلى إغراق ١٠٠٠٠٠ كيلومتر مربع من السهول اللحقية في البنغال وتلف الحاصيل. ويعتبر استئصال الغابة في سائر أنحاء شبه الجزيرة وإطهاء السرر النهرية ، وعنف فيضانات نهر الغانج وروافده الهيالائية بسبب ذوبان الثلوج والأمطار الموسمية ، والسيكلونات المدارية ، هي المؤولة جيعاً عن الكوارث التي تكون متعددة وقاتلة في دلتات خليج البنغال ، كاحدث في صيف ١٩٧٨ .



الشكل ٤ الأنظمة المطرية في الاتحاد الهندي

شرح الخططات المطرية الحرارية في العالم الهندي

لا تدل الخطوط الحرارية المطرية في المراكز المناخية الهندية على اختلافات كبيرة في الحرارة ، بقدر ما تدل على مفارقات في حجم الأمطار وتوزعها . فتكون الأمطار هزيلة في دلهي حيث تبلغ ٢١٢ مم ، وقليلة نوعاً ما في مدراس ١٢١١ مم ، وتصل أوجها في نهاية فصل الأمطار ، ولكنها تكون أكثر غزارة في كلكتا ، حيث تبلغ ١٦٧٧ مم ولا سيا في بومباي حيث تصل إلى ٢٠٩٨ مم ، حيث تمتد الأمطار على أكثر من أربعة أشهر تتلقى لوحدها ٤٤٪ من الأمطار السنوية .



مناطق الجفاف في الهند

تتباين شطيرة الأمطار الوسطى السنوية من ١ إلى ١٠٠ . ويكون القسم التيبتي من كثمير ، أو لاداخ ، هو الأكثر قحولة ، إذ يتلقى دون ١٠٠ مم . غير أن صحراء ثار لا تنال أكثر من ٢٠٠ إلى ٢٠٠ مم . كا أن هناك نطاقاً واسعاً في داخل شبه الجزيرة ، يقع في ظل جبال الغات لا يتلقى أكثر من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ مم . غير أن التبخر يكون مستفحلاً في هذه المناطق . وبين خط المطر ٥٠٠ و ١٥٠٠ مم من الأمطار السنوية ، تكون الرطوبة عادة كافية لقيام زراعة صيفية غير مروية . ولكن نزوات الرياح الموسمية تستطيع أن تجعل الحصول تافهاً ، مما يؤدي إلى المجاعة ، كا نرى من النص التالي :

« في هذا العام لم تصل الموسميات ، فقد مر أسبوع ، ثم اثنان . وكانت أبصارنا متعلقة بساء شرسة ، هادئة زرقاء غير حساسة بحاجاتنا . وخرجنا لنتفحّص الساء الصاحية والمتصفة بجال قاتل ، دون أن تكون فيها سحابة واحدة تعكر صفوها . وخرج آخرون ليتأملوا الساء وقبوا : ربحا غدا . وجاء الغد ، والكثير بعد الغد ، ولكن دوماً لا مطر. وكان مستوى الماء ينخفض يوماً بعد يوم ، كا كانت رؤوس السنابل تنخفض باسترار . وانكش النهر ، حتى أنه لم يعد أكثر من خيط من الماء . أما الآبار فكانت جافة تماماً . وبعد قليل تحول لون سيقان النباتات إلى اللون الأسمر ، وكانت الاستحالة تجرى تحت أبصارنا كأنها المرض السارى ، ماسحة تلك الخضرة التي كانت بالنسبة لنا هي الحياة » .

عن كامالا مارخندايا « الرز والموسميات . دار نشر لافون »



أولاً - تضاريس الهند

تقسم التضاريس والبنية الرقعة الهندية إلى أربع مناطق طبيعية هي: هيالايا ، والسهل السندي الغانجي ، هضبة الدكن ، وجزيرة سيلان . وللعالم الهندي بنية بسيطة ، فهي تضم سلاسل ملتوية في الشمال ، وسهلاً لحقياً في الوسط ، وأشباه سهول ناهضة وجانحة في الجنوب ، أي تماثل وضع جبال الألب إلى جانب الأخدود الروداني ، والكتلة المركزية في فرنسا الجنوبية الشرقية .

أما جبال هيالايا أو « مقر الثلوج » في اللغة السنسكريتية ، فهي عبارة عن مجموعة سلاسل متقوّسة ، ملتحمة بسلسلة قره كوروم في الشال الغربي ، مثلما تلتصق بها من الشرق السلاسل البرمانية في الجنوب الشرقي ، والسلاسل الأفغانية في الجنوب الغربي ، والتي تقوم جميعاً بالإحاطة بشبه القارة الهندية . وقلك هيالايا تضاريس أكثر مثيلاتها ارتفاعاً على وجه الأرض ، فهي تحوي أربعين قمة تتجاوز كل منها ٧٥٠٠ متراً ، وأكثرها ارتفاعاً هي قمة ايڤرست التي تسمو إلى ٨٨٥٠ متراً ، والتي لم يكن الارتقاء إليها لأول مرة إلا مجهود الكولونيل البريطاني هنت بتاريخ ٢٦ أيار ١٩٥٣ .

وقد نتجت شدة الارتفاع عن شباب الالتواءات التي يشهد عليها تكرار الزلازل ، كتلك التي حدثت في ١٨٩٧ و ١٩٥٠ . وقد تعرضت اللحقيات ذاتها عند حضيض هيالايا إلى الالتواء في نهاية الحقب الثالث ، كي تشكل جبالاً منخفضة هي جبال السيواليك . ويكون مجوع السلاسل الهيالائية من ١٩٠٠ إلى ٢٠٠٠ متراً مؤلفاً من رسوبات ترتبط بعملية انكباس subsidence محلية ، هذا فضلاً عن أغشية جرف معقدة ، مسكوبة نحو الجنوب ، أقول يكون مدفوناً تحت طبقات صخور هضبة التيبت الرسوبية . وتكون التضاريس غير متناظرة ، إذ تنتصب بعنف من الجنوب في حين يكون الانحدار أقل حدة باتجاه هضبة التيبت شالاً . وفي هذه السلسلة جهوديات تقد أحياناً لأكثر من مئة كيلومتر ، تصل نخانة الجليد فيها إلى ٢٠٠ م ، وترفدها عشرات الجوديات الثانوية ، مثلاً تحوي خوانق سحيقة ، كخانق نهر الهندوس أو براهما بوترا ، اللذين يخترقان هذه السلسلة من طرف لآخر ، واللذين تطل عليها قم ذات أشكال ثقيلة ، لأن الحت الحالي لا يزال غير متكامل بعد . ويكون والكستناء والسندر والراتنجيات بين ٢٠٠٠ و ٢٥٠٠ مترا ، والمروج الألبية فوق ذلك ، وأخيراً تظهر والكستناء والسندر عوالي ٢٠٠٠ مترا على السفح الجنوبي . أما عند أقدام السلسلة ، فتقع غابة التيرائي الكثيفة الستنقمية ، حيث تظهر للعيان المياه المتسربة من خلال الحصويات التي تطيف بالجبل من الجنوب .

وهكذا تحمي جبال هيالايا ، باعتبارها حاجزاً مناخياً بلاد الهند من الرياح القارية ، مثلها تعمل على استفحال أمطار الموسميات الصيفية .

أما دور جبال هيالايا كحاجز بشري فقد تجلّى في انكاش العلاقات بين العالم الصيني والعالم الهندي ، حتى أن الطائرات ذاتها تلاقي صعوبة في الطيران فوق هذه السلسلة الجسية .

أما المنخفضات الطولانية فقد ناسبت قيام دول جبلية مثل: بهوتان، ونيپال، ولا سيا كشمير التي تبدو في عيني السائح كجنة أرضية تضم حقول الرز ومزارع الأشجار المثرة والمزروعات المتدرجة، فوق أرض خصيبة في أحضان القمم المعممة بالثلوج.

أما السهل السندي الغانجي ، فهو عبارة عن شدخ كبير في القشرة الأرضية ، يصل عقه إلى بضعة آلاف من الأمتار ، ومردوم بالرسوبات وبالأنقاض الجسية التي تأتي بها الأنهار الهابطة من جبال هيالايا ، وهو يماثل إلى حدّ ما سهل ما بين النهرين بين بغداد والبصرة . ويؤلف هذا السهل الذي يصلح كله للزراعة قلب العالم الهندي ، وهو أكثر السهول اللحقية في العالم المداري اتساعاً ، وهو عقدة الطرق التي نشأت فيها المدنية الهندية . وهناك عتبة لا يزيد ارتفاعها عن ٢٠٠ م تشرف عليها العاصمة دلهي ، تفصل سهل الهندوس في الغرب عن سهل الغانج في الشرق .

ويبتعد نهر الهندوس ، في الغرب ، الذي يبلغ طوله ٣٢٠٠ كم ، والذي ترفده أنهار البنجاب الخسة ، لأن كلمة بنجاب تعني « الأنهار الخسة » ، يبتعد عن الجبل ، ويحفر سريره في حادور Glacis من اللحقيات التي وضعها ، ويصيبه الهزال في منطقة السند شبه الصحراوية ، وذلك قبل أن ينتهي عند دلتا فسيحة ، تتدد في البحر بواسطة حفرة تحتائية سحيقة .

أما في الشرق فإن نهر الغانج الذي يصل طوله إلى ٣٠٠٠ كيلومتر ، فهو على العكس ، يحاذي سلسلة هيالايا ، ويدعمه العديد من الروافد التي تجعل

صبيبه قوياً ، فيصل إلى ١٥٠٠٠ متر مكعب ثانية ، أو أكثر من مياه الفرات بعشرين مرة مثلما تدفع بمجراه باتجاه الجنوب . ويغوص هذا النهر في اللحقيات القديمة التي تؤلف مصاطب فوق سريره . ويقوم أخيراً بردم منخفض تختلط فيه مياهه مع مياه نهر براهما بوترا ، فيشكلان مستنقعاً شاسعاً خصيباً ، هو بلاد البنغال التي تغطي مساحة تبلغ ١٤٠٠٠ كيلومتر مربع . ويؤدي ذوبان ثلوج هيالايا ، مثلما تعمل الأمطار الصيفية ، على التسبّب بفيضانات هدامة يقوم بها كل من نهر الهندوس والغانج .

وقد كتب جواهرلال نهرو في وصيته عام ١٩٦٤ يقول: إن نهر الغائج ، على التحديد ، هو نهر الهند ، الذي يجبه شعبها ، والذي تندمج حوله ذكرياته المشتركة ، وآماله ومخاوفه ، وأناشيد انتصاراته ، وهزائم . ولقد كان الغانج رمز الزراعة والمدنية الهنديتين عبر القرون ، في تغيّر دائم ، وفي جريان دائم ، بيد أنه يظل هو ذاته . ويذكرني الغانج بالقمم المغطاة بالثلج ، وبأودية هيالايا السحيقة التي أحبها كثيراً ، وكذلك بسهوله الغنية الفسيحة التي كانت مسرح حياتي وعملي . ويكون باساً ومتراقصاً تحت شمس الصباح ، وقاتماً ، حزيناً ومليئاً بالأسرار عندما يهبط الليل . ويظهر في الشتاء على شكل شريط ضيق متباطئ ومليء بالجمال في الشتاء ، وعلى شكل كتلة مزجرة ويظهر في الشتاء ، ويكاد يكون في مثل عرض البحر وفي مثل قدرته الهدامة ، ولقد كان الغانج بالنسبة لي رمزاً وذكرى عن ماضي الهند ، يتدفق في الخاض ويجري في محيط المستقبل اللامحدود .

أما شبه جزيرة الدكن أو « بلاد الجنوب » ، فهي عبارة عن هضبة منهضة ومتخلّعة بالكسور ، محفوفة بسهول ساحلية .

ويتألف من ترس قديم متبلور ، تعرض منذ أقدم الدهور الجيولوجية للحت ، ومغطَى بصخور رملية وشيستيه وكلسية أفقية تعود للحقب الأول ، ومن مسكوبات بازلتية تعود للدور الثالث ، والخندت شكل طبقات تدعى طراب trapps ، انساحت على رقعة كبيرة تزيد عن مساحة العراق والخويت معاً . وقد قامت حركات شاقولية بإنهاض هذه الركيزة القديمة . وتؤلف حوافها عقبات شديدة تدعى « جبال الفات » أي « السلالم » أو « الدرجات » . وترتفع جبال الفات الغربية إلى شديدة تدعى « غي الجنوب ، في حين تكون جبال الفات الشرقية أقل ارتفاعاً واستراراً . وتتجاوز الارتفاعات في الهضبة ٥٠٠ متراً وسطياً . وقد تزيد أحياناً عن ١٠٠٠ متراً . وتبدو جانحة باتجاه الشرق ، أي تميل

في اتجاه خليج البنغال . وتتألف أنهارها الرئيسية من نهر ماهانادي ، وغودافري ، وكريشنا ، وكوفيري ، مثلما تكون هذه الهضبة مهشّمة بصدوع ضخمة تتجه نحو الشرق ، تمخضت عن نشوء أغوار وأنجاد (هورستات) كجبال ثيندهيا . ويقوم بمر بلغات في الجنوب بعزل بقية البلاد عن مثلث الهند الجنوبي .

ولقد كشف الحت عن أضلاع من الصخور الرملية وعن منخفضات شيستية وعن أعراف كوارتزيتية تؤلف تضاريس آبالاشية ، مثلما أوجد سهولاً لحقية صغيرة قرب ساحل مالابار على مجر عمان في الغرب ، ودلتات واسعة قرب ساحل كوروماندل ، وعلى ساحل سيركار ، على خليج البنغال .

وهناك نوعان من الترب يقتسان أراضي الهضبة . فهناك اللاتيريت ، وهو نوع من تربة أكثر انتشاراً ، وقليل الخصوبة لأنها تربة مغسولة بفعل الأمطار المدارية ، وتربة الريغور Rigur المتشكلة ، على العكس ، تحت مناخ قاحل ، وتكون بالتالي غنية بالكلسيوم وبالفوسفات . وتشبه تربة الريغور في خصوبتها تربة التشرنوزيوم .

وإلى الجنوب من مضيق بالك ، تؤلف الركيزة المتبلورة ذاتها جزيرة سيلان . وتنهض هنا هضبة الغرانيت والغنايس في جنوب البلاد إلى أكثر من ٢٥٠٠ متراً في جبل آدم . وتكون الجزيرة محفوفة أيضاً بسهول ساحلية .

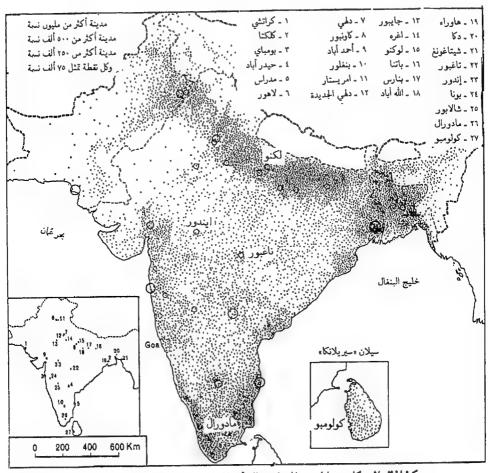
وتحوي عتبة الدكن القديمة ثروات الهند المعدنية ، كالفحم والحديد والمعادن غير الحديدية والثوريوم والأحجار الثينة .

ثانياً ـ كثرة الناس وتنوعهم

تظهر شبه القارة الهندية ، التي تؤلف خلية بشرية هائلة ، وكأنها تضم حوالي خمس البشر أو ٩٠٠ مليون نسمة ، مؤلفين من فسيفساء من عروق ولغات وأديان وطبقات .

وهكذا نجد أن أكثر من سدس سكان الكرة الأرضية قد تجمهروا في

العالم الهندي ، وكان عددهم ٨٨٧ مليوناً في ١٩٨١ . وتبلغ الكثافة الوسطى أكثر من ١٩٠٠ نسمة في الكيلومتر المربع ، ولكنها تتجاوز ١٠٠٠ نسمة في الكيلومتر المربع في البنغال وفي جنوب شرق الدكن وفي ولاية كوشان وتراڤنكور ، حيث تصل الكثافات إلى درجة تعادل الكثافة السكانية في مصر المأهولة (شكل ٥) .



كثافة السكان والمدن الرئيسة في العالم الهندي

الشكل ه

وتقوم المدنية هنا بفرض الانسجام على مجموعات عرقية شديدة الاختلاف: مثل أشباه المنغوليين في هيالايا ، والزنوج الدراڤيديين ذوي القامة المتوسطة ، والقوام الرشيق ، والتقاطيع الدقيقة ، والذين يربو عدده على ١٠٠ مليون نسمة في جنوبي شبه الجزيرة ، والبيض الآريين الذين تربطهم صلات القربي بالفرس من سكان بلاد فارس ، أو إيران الحالية . وقد قدم الآريون عبر عمرات الشال الغربي واحتلوا واستوطنوا السهل السندي الغانجي بين عام ١٧٠٠ والعام ١٠٠٠ قبل الميلاد ، وقد امتزجوا في الجنوب مع الدراڤيديين ، محيث يؤلفون أكثر المجموعات الهندية عدداً .

ويقدر عدد اللغات أو اللهجات في الهند بحوالي ٨٥٥ ، منها ١٨ لغة رئيسة ، بالإضافة إلى العديد من الأبجديات ، و ١١ نوعاً من الكتابة في اللغات الثقافية كالسنسكريتية أو اللغات العامية . وتسود في الجنوب اللغات الدراڤيدية مثل لغة تاميل ، أو تامول ، وتتكلم غالبية الهنود العظمى لغات هندية أوروبية كالهندي ، التي يتكلمها حوالي ٢٧٥ مليون نسمة ، والأوردية التي تكتب بحروف عربية ، والبنغالي .

أما تنوع الأديان فليس بأقل من ذلك أي من تنوع العروق واللغات . وتاريخ العالم الهندي هو تاريخ تفكيره الديني ، شأن الفرنسية في أقطار إفريقية الغربية بسبب تعدد اللغات الحلية .

فالبراهمية ، التي انبثقت منها الهندوسية ، ليست عبارة عن مجموعة عقائد ، بل هي حكمة انتشرت على الهند انطلاقاً من هيالايا حتى سيلان ، وترى أن النفوس المهذبة هي كالأرواح البسيطة . وتضم فكرتين جوهريتين : فكرة هجرة الأرواح ، أي التناسخ ، أو التقمّص ، أي أن الإنسان عر من وضع لآخر حسب العدالة الثابتة المطابقة لثواب أعماله ، وفكرة الخلاص : وهي أن روح كل إنسان عكنها أن تشارك في الألوهية ، وفي المطلق وذلك عن طريق الزهد والتضحية

بالذات . هذا ويعمد الهندوس في مياه نهر الغانج إلى ممارسة الاغتسال المطهر . وتعد الهندوسية الخلود لبعض الناس ، أي الزهاد ، ولكنها تحقر العمل وشخصية الآخرين . وهي تدعو بل تحث على وجود تسلسلات اجتاعية ، هي الطبقات ، كا تحذف المعنى الاجتاعي ذاته ، باعتبار البؤس نتيجة لذنوب سابقة . أما الفرد الذي لابداية له ولا نهاية فهو نقطة ضئيلة تمتصها الروح الشمولية .

أما ديانتا الخلاص ، وهما البوذية والجيئية ، فقد ظهرتا في القرن السادس قبل الميلاد . ويريد البوذيون تحقيق النصر على الذات ، والنجاة من دورة الهجرات والعودة ، وتحقيق خود الأنا ، أي النيرقانا . ولم تحتفظ البوذية في العالم الهندي بأكثر من بضعة ملايين من الأتباع ، وعلى الخصوص في سيلان ، ولكنها انتشرت في آسيا الشرقية ابتداءً من بيرمانيا حتى اليابان .

أما الجائيون وعددهم يربو على المليونين فيعيشون في منطقة بومباي ويندفعون في احترامهم للحياة الحيوانية حتى التطرف ، ويعيشون عراة دون أن يهملوا مع ذلك تعاطى التجارة وعارسة الربا .

والديانة التوحيدية التي استطاعت أن تنجح في الهند ، هي الإسلام الذي دخل العالم الهندي مع الفاتحين العرب منذ أيام محمد بن القاسم في القرن الثامن الهجري ، ثم على أيدي الفاتحين المنغول ، ويبلغ عدد معتنقيه اليوم أكثر من ٢٠٠ مليون نسمة ، وهنا نجد أكبر تكتل إسلامي في العالم ، أو مركز ثقل العالم الإسلامي .

غير أنَّ السيخ وعددهم قرابة ٩ ملايين قـد حـاولوا تحقيق تركيب بين الإسلام التوحيدي وبين الهندوسية التي تقبل بهجرة الأرواح ، ويؤلفون شعباً محارباً استطاع أن يؤلف قوة عسكرية مرهوبة في مطلع القرن العشرين .

ويميش الجوس في منطقة بومباي ، وهم من عبدة النار كقدامى الفرس ، ويطرحون موتاهم في أبراج الصت كي تفترسهم النسور . والمجلوس قبل كل شيء هم أهل تجارة ورجال صناعة ، بحيث لا يتناسب عددهم الضئيل مطلقاً مع دورهم الاقتصادي ويزيد عددهم عن ١٤٠٠٠٠ نسمة .

وتتقدم النصرانية ببطء ولا سيا بين أكثر الناس فقراً عن طريق نشر التعليم التبشيري . وتنتشر هذه الديانة بين ٢ ملايين كاثوليكي يعيشون في الجنوب الغربي حول غوا ، المستعمرة البرتغالية

السابقة ، وقرب ماهيه المستعمرة الفرنسية السابقة ، بالإضافة إلى ٦ ملايين أخرين من البروتستان .

ولا تزال عبادة الأرواح قائمة في أقل المناطق تطوراً ، وهكذا تظل الأقليات من عبدة الأرواح ، التي يقارب تعدادها ٣٥ مليوناً ، مثل جماعات الناغا في أسّام ، رديئة الاندماج في العالم الهندي .

هذا ويكون الانقسام إلى طبقات من صنع البراهمة ، ولكنه تسلّل حتى بين صفوف المسلمين أنفسهم ، ولا يكون أصل الطبقات دينياً فحسب ، بل هو عنصري أيضاً . وهكذا ظهرت الطبقات وكأنها كابح أمام تهجين الآريين بالدراڤيديين ، مثلما يكون لها أيضاً مدلول اقتصادي ، فالطبقة Caste هي زمرة اجتاعية مغلقة ، وراثية ، ترتبط بدرجة محددة من النقاوة بحيث تقيم تضامناً وثيقاً بين أعضائها .

وتؤلف الطبقات أربع مجموعات رئيسة :

البراهان: وهم طبقة كهنوتية محترمة جداً ، تعرف بلون بشرتها الفاتح ، وتتألف من المحاربين ، والمزارعين والتجار وأخيراً من الشقيلة (سودرا). أما الهنود المطرودون من طبقتهم أو الذين يتعاطون بعض المهن التي ينظر إليها على أنها مهن نجسة ، كالحلاقين ، والبرادعية ، والدباغين ، والكناسين ، فهم المنبوذون أو الذين لا تجوز ملامستهم ، والأصح تسميتهم الذين لا يجوز الاقتراب منهم ، ويبلغ تعداده ٥٧ مليونا ، وهم محتقرون ولديهم شعور بانحطاطهم الذاتي ، بحيث لا يجرؤون على الخروج من أكواخهم إلا في الليل ، كا لا يمكن قبول أولادهم على مقاعد الدراسة . وعلى الرغ من تعاليم غاندي وإلغاء نظام الطبقات رسميا ، فلا يزال الاحتقار المتبادل بين طبقة وأخرى قائماً ، ففي طائرات السفر يفضل البراهي أن يتناول العلبات كيلا يأكل من يدي مضيفة جوية من طبقة أدنى ، ويعتبر الانقسام إلى طبقات عائقاً كبيراً أمام وحدة العالم المندي وتقدمه .

هذا وتدمج الديانات والطبقات الأفراد في بيئة اجتاعية ، ولكنها تؤلف بالنسبة للعالم الهندي قوى تمييز عنصري مفككة . فهناك هوة سحيقة بين الهنود من ديانات مختلفة أو من طبقات متباينة ، كا بين الهندوسي والمسلم . فهم لا يستطيعون التزاوج فيا بينهم ، أو أن يتناولوا المآكل ذاتها . وبذلك تكون الرابطة الدينية أقوى من الرابطة الوطنية . وقد نسي أكثر

الهنود ماضيهم ، كنسيان الملك العظيم آسوكا ، الذي وحد الهند في القرن الثالث قبل الميلاد ، مثلما كثيراً ما يكون مفهوم الوطن المادي ، أرض الأجداد ، مفهوماً غريباً عن الهنود .

أما اليوم فإن استخدام الخطوط الحديدية واقتصاد المبادلات ، والنشاط التجاري ، والحياة الحضرية ، تعمل جميعاً على تحطيم الإطارات التقليدية ، وتخلط كل الهنود ببعضهم البعض ، وتهدم بكل تأكيد الطبقات أكثر مما تفعله الإصلاحات التشريعية .

ثالثاً _ تقسيم العالم الهندي

لقد وضع الحكم البريطاني الذي دام قرابة قرنين من الزمن ، أي بين ١٧٥٧ ـ ١٩٤٧ المدنيّة الهندية على قاسّ مع الغرب الحديث .

فقد كتب المؤرخ الروماني بلين القديم (٢٣ - ٧٩ م) وأعرب عن أسفه لذهاب مبلغ ٥٥٠ فلس روماني باتجاه الهند في كل سنة قية مواد مستوردة منها . وقد أعجب الكثير من الرحالة بثراء بلاد الهنود ، وبرخاء سكانها ، وبرواج تجارتها . ولقد شهدت البلاد الهندية فترات طويلة من الازدهار التي تعاقبت مع حقب سادت فيها الفوض والبؤس . وفي القرن الثامن عشر خرج العالم الهندي من العصر الوسيط كي يتجه نحو عصر الصناعة ، وجاء الاستعار البريطاني ليعمل على تجميد العالم الهندي في التقاليد الدينية وفي الحياة الريفية البحتة .

وقد بسطت إنكلترا هينتها على العالم الهندي في نهاية القرن الثامن عشر ، بعد أن قامت بتدمير إمبراطورية الهند الفرنسية . وهكذا فرضت إشرافها على « طرق الهند » وعلى المواضع الساحلية وعلى القواعد البحرية الواقعة على الطريق الرئيسي إلى امبراطوريتها . وقد استطاع بريطانيون قليلو العدد لا يتجاوز عددهم ١٥٠٠٠٠ أن يخضعوا لإرادتهم ولصالحهم مئات الملايين من الهنود ، اعتاداً على انقسام هؤلاء إلى إمارات وإلى طبقات وإلى ديانات متخاصة .

وقد أصبحت ببلاد الهند في القرن الناسع عشر القطعة الجوهرية في الامبراطورية

البريطانية ، وقد برهن الإنكليز على قوتهم التنظيية الرائعة ، فقد احترموا التقاليد أو المدنيات الهندية ، وظلوا بمناى عن العالم الريفي ، وذلك بالإقامة في المدن ، ضمن أحياء منعزلة ، مؤلفة من منازل ريفية أنيقة ومن حدائق ، وأقاموا في الهند شبكة من خطوط حديدية ، هي أفضل شبكة في آسيا ، مثلما أنجزوا مشاريع ري كبيرة أوجدت الحياة في مناطق قاحلة ، وأدخلوا مزروعات تجارية كالقطن والجوت ووسعوا مجال زراعتها إلى حدّ كبير . ونالت الهند حظاً من التعليم ، ولكنه تعليم عصور بالطبقات العليا من الجتمع ، مثلما تمتعت بإدارة ممتازة وبطأنينة وبالسلام البريطاني ، وبذلك وصلت هذه الدولة إلى مفهوم الدولة الحديثة ، وتطورت البلاد باتجاه الوحدة ، مثلما تلقت في الوقت نفسه تجهيزاً اقتصادياً ، وأصبحت تقاوم القهر البريطاني ، وذلك بتطوير شعور وطني على أثر التاس مع الفاتحين .

وكانت بريطانيا تعمل لمصلحتها ، فاستنزفت ثروات العالم الهندي ، ولا سيا الابتزاز والسلب الذي قامت به شركة بلاد الهند ، وأرباح الرساميل التي كانت في بعض الأعوام ، تعادل قيمة الأسهم ذاتها ، بالإضافة إلى السلع الغذائية والمواد الأولية الضرورية للصناعة البريطانية . ولم تكن بلاد الهند تقوم بدور مناطق تصدير فحسب ؛ بل كانت تؤلف أيضاً إحدى أهم أسواق منتجات بريطانيا العظمى . وهكذا انهارت الصناعة التقليدية ، ولا سيا النسيجية ، بسبب ضياع أسواقها ، وبسبب التعرفات الجركية الباهظة ، لأن أقشة مانشستر القطنية حلت عل الأقشة القطنية الهندية في العالم الهندي ذاته . كا أن الثورة الصناعية التي لم تستطع أن تتحقق إبان الحقبة الاستعارية ، عجزت عن أن تتم في الوقت الحاضر . وهكذا كانت بلاد الهند عبارة عن مزرعة كبرى مدارية تعمل لمصلحة بريطانيا ذاتها .

لقد حصل الهنود على استقلالهم في عام ١٩٤٧ ، ولكنهم عجزوا عن تحقيق وحدتهم السياسية : فقد كانت بلاد الهند خاضعة على الدوام تقريباً لسادة أجانب ، ولم تتوحد سياسياً إلا فيا ندر . وفي القرن العشرين حاول الزعم الروحي للحركة الوطنية غاندي أن يحرر الهند وأن يمنحها وحدة معنوية . وهكذا منحت إنكلترا ، التي خرجت مرهقة من الحربين العالميتين ، بلاد الهند الستقلالها في عام ١٩٤٧ .

وقد ظهر عندها أن الصلات الدينية أقوى من الروابط الوطنية . وهكذا

أدت النزاعات الدينية إلى وقوف المسلمين ضد الهندوس، وأصبح من المستحيل قيام أية وحدة سياسية في الهند. وانطلقت الغرائز البدائية لتعمل بكامل طاقتها: فوقعت أعمال نهب ومذابح وحرائق، كانت ضحاياها كثيرة في صفوف المسلمين والهندوس. وقد تمكن وزير هندي أن يتكلم في شهر كانون الثاني من عام ١٩٤٨ عن « ثمار الحرية المرة »، التي أدت إلى وقوع ضحايا أكبر عدداً من عام ١٩٤٨ عن « فقام نائب عهود العبودية الأجنبية. وعجز أبناء البلاد عن صنع كيانهم بأيديهم، فقام نائب الملك اللورد مونتباتن وترأس عملية تقسيم الهند في ١٥ آب من عام ١٩٤٧.

وهكذا أصبحت الرقعة الهندية مؤلفة من ثلاث دول هي : الباكستان والجمهورية الهندية « بهارات » ، وسيلان أو سريلانكا التي ظلت مرتبطة بالمملكة المتحدة كأعضاء في الكومونولث البريطاني .

غير أن الكثير من المشكلات لم يتم حلها بعد تقسيم عام ١٩٤٧ .

فقد تنازلت فرنسا عن موائها الهندية في عام ١٩٥٤ عنوة من البرتفال ، وقام الجيش الهندي بانتزاع ميناء غوا في عام ١٩٦٢ . غير أن كشمير الواقعة في الشمال الغربي والتي تقطنها أكثرية مسلمة ظلت موضع نزاع بين باكستان والاتحاد الهندي ، وأصبح القسم الأعظم من هذا الإقليم تحت حكم الهند التي سارعت لاحتلاله عند التقسيم .

غير أن التقسيم والهجرات ، التي كانت أكبر مثيلاتها في كل العصور التاريخية ، والتي أدت إلى طرد ١٧ مليون نسبة باتجاه الهند أو الباكستان . أقول : لم تستطع أن تحل كل المشكلات الدينية ، فقد ظل في الباكستان في عام ١٩٧٠ حوالي ١٠ ملايين هندوسي ، مثلما ظلت الجهورية الهندية تحوي أكثر من ٥٠ مليون مسلم في العام ذاته ، أي أكثر من سكان مصر والسودان حينذاك . ولهذا تعد الجهورية الهندية من أكبر الدول الإسلامية . هذا ولا تكون الحدود

السياسية دائماً عبارة عن حدود دينية . وكان التعصب الديني ومشكلة كشمير يثيرا توتراً منهكاً لاقتصاد القطرين . وفي ١٩٧٠ كانت النفقات العسكرية تمتص نصف ميزانية الهند وثلثي ميزانية الباكستان ، إلى أن نشبت الحرب بسبب مشكلة باكستان الشرقية في عام ١٩٧٧ ، وتدخلت الهند لمصلحة ظهور بنغلادش مكان باكستان الشرقية .

وتحاول كل دولة أن تحقق نوعاً من وحدة لغوية ، فاعتمدت الهند اللسان الهندي ، مثلها تبنّت الباكستان الغربية اللغة الأوردية ، واتخذت بنغلادش اللغة البنغالية ، ولكن المقاومة الإقليية كانت على الدوام شديدة للغاية . وهكذا لم يستطع أي لسان هندي أن يرقى لمستوى اللغة الرسمية .

وهكذا وبعد نشوء ثلاثة أنظمة اقتصادية في العالم الهندي ، نجد التقسيم قد عمل على تعميق مشكلات التخلف .

رابعاً ـ تخلف شبه القارة المندية

يتألف ثلاثة أرباع سكان شبه القارة ؛ من فلاحين يعيشون في مستوى معاشي منخفض جداً . يبدو جمّع البلاد الهندية غنيا بالمفارقات الاجتاعية . فالطبقة العليا تضم قرابة ٤ ملايين نسمة ، من الهنود الذين يلكون دارات « ڤيللات » أنيقة ، ويتكلمون الإنكليزية بلهجة أهل أوكسفورد . ولا زال في الهند بعض الإقطاعيين الكبار ، وهم المهراجات بين الهندوس ، والناباب بين المسلمين ، الذين كانوا يستحوذون في الماضي على ثروات الدولة ، والذين كانوا يعيشون في بذخ جنوني وأبهي ، هذا فضلاً عن شذوذهم . ولكن طبقة جديدة عن التجارة والصناعة أخذت في الظهور : مثل عائلة تاتا في ميدان حاكمة ناتجة عن التجارة والصناعة أخذت في الظهور : مثل عائلة تاتا في ميدان الصناعة المعدنية ، وبيرلا في صناعة النسيج ، ودالميا في صناعة الإسمنت ، وأما في المدن ، فقد تكونت طبقة وسطى يقدر عددها بحوالي ٦٠ مليون نسمة ،

تعمل وكأنها تستنفذ طاقتها في حل مشكلات السكن والغذاء . أما ٧٥ ٪ من الهنود ، فيؤلفون كتلة هائلة من الفلاحين المتجمعين في ٨٠٠٠٠٠ قرية .

وقد كان المسكن المنضم Groupé هو القاعدة قبل قدوم الآريين. ويقع البازار والهيكل في وسط القرية ، في حين يقوم إلى جانبها خزان الماء ، أو التانك ، وتقوم حول ذلك بيوت منخفضة مبنية بالطين ، دون نوافذ أو مداخن ، وحيث يقطن الحرفيون والفلاحون . ونجد أخصاص المنبوذين في معزل عن القرية ، وقد بنيت من أغصان الأشجار . وتعيش الماشية طليقة ، مما يزيد الازدحام في الأزقة الضيقة . وتنتج القرية تقريباً كل ما هو ضروري لحياتها . ففيها تصنع الأدوات : فتقوم بجوار القرية المزروعات الغذائية فوق أكثر الأراضي عناية ، ثم الحاصيل النقدية ، في حين تنتشر على الأطراف ، الحقول غير المروية ذات الإنتاج غير المضون ، إلى جوار المراعي التي تعيش الماشية فوقها حرة طليقة .

هذا وتكون الطرائق الزراعية لدى الفلاح الهندي ، أقل دقة وعناية بما هي لدى الفلاح الصيغي ، بما يجعل العالم الهندي أكثر قرابة لحضارات إفريقية السوداء . ولا يجهل العالم الهندي قربية الماشية ، ولكن هناك عدد هائل من قطيع الأبقار يبلغ ٢٠٠ مليون رأس ، عدا الخيول والجواميس والأغنام الرديئة التغذية ، لندرة المراعي الحقيقية ، بحيث لا تعطي أكثر من إنتاج زهيد للغاية . هذا كا يتنع معظم الهندوس عن استهلاك اللحم بسبب الورع الديني . أما الحليب الذي تنتجه الأبقار الموجودة في داخل المدن ، فهو أغلى سعراً من الحليب في فرنسا . إذ لا تعطي البقرة خلال العام كله أكثر من ٢٠٠ أو ٢٠٠ ليتر في العام . أما الثيران الضامرة فتقوم بالعمل بشكل رئيسي ، كا أن روثها مرغوب كوقود أو من أجل كسوة حواجز المساكن الداخلية ، وتتتع بالحب « مثلما نحب قططنا من أجل كسوة حواجز المساكن الداخلية ، وتتتع بالحب « مثلما نحب قططنا وكلابنا » وتموت من الهرم . ويبلغ احترام الحيوان درجة تحول بين الناس وبين

مكافحة الحشرات ، أو مكافحة زحف أرجال الجراد . كا يضيع ٧٥ ٪ من مياه أمطار الموسميات سدى ، عوضاً عن استخدامها في الري . وتكون الحقول صغيرة مفتتة تنتظر التجميل والضم ، مثلما تكون البذور من نوعية رديئة ، وفترات البور مفرطة الطول ، كا يجهل أكثر الفلاحين استعمال الأسمدة . أما الأدوات الزراعية فتكون بدائية للغاية ، لا تساعد على اختصار تعب الإنسان .

وهناك أسباب اجتماعية تعتبر مسؤولة عن عدم استقرار وضع الفلاحين الهنود . فالفلاح المغفّل ، الجاهل ، يتلف موارده الهزيلة في الاحتفالات العائلية ، أو لدى الزهاد الفقراء والسحرة ، ومطربي الأفاعي . وهو يرهن أرضه كي يصبح فريسة المالك الكبير والمرابي ، أي البانيا الذي يشتري منه محصوله عندما تكون الأسعار منخفضة ، مثلها يقدم له السلع التي يفتقر إليها بأغلى الأسعار . وكثيراً ما ينوء تحت كاهل الديون ، ويضطر أحياناً إلى التنازل عن ملكيته ، أي عن « الهكتارين من الأرض » . ولم تتوقف أبعاد الملكيات الفلاحية عن الانكاش باسترار خلال القرن العشرين . ولا يؤلف الملاكون من الفلاحين الهنود المستقلين أكثر من ٣٠ ٪ مقابل ٣٠ ٪ من الشركاء الأكارين ، و ٣٥ ٪ من العال الزراعيين .

وتكون العائلة الهندية ، من حيث المبدأ ، غير قابلة للقسمة ، ولنا تستغل الأرض بصورة مشاعة ، ولكن كان للملوك السابقين الحق الاسمي على الأرض ، فكانوا يتقاضون الضريبة العقارية ، مثلما كان بمقدورهم إقطاع الأرض ، للتمويض عن خدمات معينة ، وهكذا أوجدوا إقطاعية حقيقية . أما الإنكليز فكان اهتامهم يتركز على تقاضي الضرائب العقارية ، وليس منح الزراعة الهندية أساساً اقتصادياً واجتاعياً سلياً . ففي القسم الأعظم من الهند ، عهد الإنكليز للزامندار بهمة جباية الضرائب ، واعترفوا بهم كلاكين عقاريين ، فكان هؤلاء بحصلون من الفلاحين على عوائد عقارية ، تعادل أكثر من ٤٠ ٪ من الحصول ، ويؤلفون نوعاً من طبقة نبلاء صفار . أما في المناطق الأخرى مثل البنجاب ومنطقة بومباي ومدراس ، فقد كان كبار الملاكين يقومون بزراعة أراضيهم بأنفسهم مباشرة ، أما البؤس والعوز فيكون شديداً في المدن المتورمة .

لقد تزايد السكان الحضر بشكل مفرط منذ ١٩٣٠ ، ويقدر سكان المدن في العالم الهندي حالياً بحوالي ٢٠٠ مليون نسبة . ففي داخل البلاد نجد مدناً قديمة كدن الحج مثل بنارس ، ومدناً حصينة ، ومدن أمراء ، وعواصم سياسية مثل دلهي وحيدر آباد . أما على الساحل فتقوم مدن تجارية تطورت عن مستودعات تجارية أوروبية : مثل كلكتا ، وبومباي ، ومدراس ، وكراتشي .

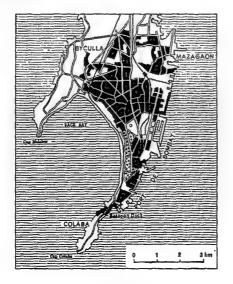
وقد تزايد عدد هذه المدن بشكل جامح ، بفضل تطور الصناعة ، وتدفق اللاجئين بعد التقسيم والفلاحين المعدمين ، ولتكاثر الوظائف العامة في دول حديثة العهد بالاستقلال وتورم الجهاز الإداري . وتضم أكثرية مدن العالم الهندي أحياء تجارية من غط أوروبي ، وقصور ، وهياكل ، وأضرحة أمراء وملوك ، تتاز بثراء تزييني وزخرفي مدهش . وأحياء كريهة هي عبارة عن عيطات من بيوت واطئة متراصة على جوانب أزقة ضيقة ، وهي متاهات من عشش ومن أزقة مسدودة ، مليئة بحفر القادورات والقامات ، ومأهولة « بقطعان بشرية مقتلعة من جذورها » .

أما كلكتا « مدينة الليل المرعب » ، فيكفي أن يتجول الإنسان في شوارعها المركزية كي يغطس في حام من الحسرة ، ويتنى لو لم يكن قد زار ما يسمى bustes ، أي الأحياء البائسة ، حيث تعيش في وسط سواقي المراحيض والجاري ، وضمن الأخصاص ، جماهير من السكان الجياع العراة ، تنهش أجسادهم حمّى البرداء ، والسل ، والبريبري والكوليرا . وهذا ما دعته إحسدى الحكومات الإنكليزية « أوضاع ما تحت الإنسانية » .

أما بومباي (شكل ٦) فلا يوجد في بعض أحيائها أكثر من مرحاض واحد لكل ١٠٠٠٠ نمة ، وحنفية واحدة لكل بضع مئات نسمة ، وغرفة صغيرة لكل ٢٠ نسمة . أما في الليالي القائظة ، فيذهب كل واحد للنوم على الأرصفة ، التي تبدو عند الفجر وقد تبعثرت عليها الأجساد البشرية ، كجثث القتلى بعد معركة شوارع حامية . وتكون الأحياء الفقيرة والأرباض في العديد من المدن في أقصى التعاسة ، حيث يكون مشهد البؤس أكثر بلاغة بما تذكره الإحصائيات ، والتي تمنح الهند الرق القياسي في وفيات الأطفال أو ١٢٩ طفل بالألف (١٩٧٧) . (ولكن الواقع يتفوق عليها الين بشطريه

حيث تبلغ ١٥٥ بالألف في السنة المذكورة) ـ والسل والطاعون ، وفي عـدد الأمهـات اللواتي يهلكن من « التسمم بروث البقر » ، وأسبوع السبعين ساعة عمل في ورشات على شكل أعشاش ، وفي الأمية ...

« روبير غولان »



الشكل ٦ مخطط بومباي

ولكن تكون أزمة السكن أكثر مأساوية من أي مكان آخر في العالم. ففي بومباي لوحدها ٢٠٠٠٠٠ نسبة بلا مسكن ، مثلما تتألف ثلاثة أرباع المساكن من غرفة واحدة تضم عشرة أشخاص وسطياً . أما محطات القطارات فهي مهاجع فسيحة خلال الليل . وعلى كل فإن المدن تمنح سكانها دخلاً أكثر ارتفاعاً من الريف ، وتقوم على مخض الهنود على مختلف طبقاتهم ولا تكون ممتنعة تماماً على التقدم .

لماذا يسيطر مثل هذا البؤس على مثل هذا الجزء الضغم من البشرية ؟

كتب أحد علماء الاقتصاد ما يلى : « لا يكفي الدخل المتوسط للفرد في العالم الهندي ، إلا بصعوبة ، لتأمين غذاء شخصين من ثلاثة ، أو لإطعام كل الناس وجبتين من ثلاث ، هذا على شرط أن يعيشوا في الهواء الطلق طيلة العام ، وألا يتتعوا بأية تسلية ، وألا ينشدوا شيئاً آخر سوى الطعام » .

ويهدّئ الهندي جوعه بمضغ التّنْبول bétel ، ونرى في كل مكان بصقماتـه المائلـة للحمرة . ولكن

لا يشكو العالم الهندي من إنتاج غذائي دون حاجة سكانه ، بل عليه أن يقدم الغذاء لقطيع لا يكاد ينتظر منه أي نفع ، فضلاً عن ١٥٠ مليون من القردة ، التي تتغذى بطريقتها الخاصة ، ونجدها في كل مكان ، وتدنّس كل شيء . أما الجرذان فلا حصر لها . وإذا مرض الهندي فعليه أن يشارك سواه في سرير المستشفى ، هذا إذا أفلح وحصل على قبول في أحد المشافي ، كيلا يقضي نحبه في الشارع . وفي عام ١٩٧٠ كان هناك طبيب واحد لكل ١٩٠٠ هندي ، وفي العام ذاته لم يكن في مملكة نيبال التي كانت تضم ٨ ملايين نسمة أي طبيب . وفي عام ١٩٨١ كان ١٢٠٠٠ طبيب هندي يعملون في خارج وطنهم ، ومعظمهم في بريطانيا والولايات المتحدة ودول الخليج العربي إلخ ..

ونستطيع أن نرد ذلك دون مبالغة إلى قساوة المناخ ، وإلى الماضي الاستعاري لعالم استغله المنغول ، ومن ثم الإنكليز من بعدهم ، وإلى عقلية الهنود ، المكبّلين ضمن طبقاتهم ، أو المفتونين بالنقاوة ، والعديمي الاهتام بإقامة اقتصاد حديث . ويكننا أن نقول بأن الأمية والربا ، واستغلال الشركات الفلاحين والمستأجرين من قبل البورجوازية الريفية ، وبطالة الفلاحين خلال الفصل الجاف ، أقول : إن كل عيوب التخلف هذه ، تجعل أي تقدم في حكم المستحيل .

ويحق لنا أن نتساءل أخيراً: هل يحكم تكاثر السكان على العالم الهندي بالبؤس وبالفوضى ، بالتالي ؟ من المعتقد أن العالم الهندي كان يحوي ١٠٠ مليون نسمة سنة ١٨٠٠ و ٢٥٠ مليون في ١٩٢١ ، ولكن توسعاً ديموغرافياً خارقاً ، جعل العالم الهندي يضم حوالي ٢٠٠ مليون نسمة في ١٩٢٠ ، و ٧٩٠ مليون عام ١٩٧٦ ، و ٩٠٠ مليون في ١٩٨٢ .

وبعد أن ظل الأجل المرتقب قصيراً ، ووفيات الأطفال جسيمة لمدة طويلة ، انخفضت نسبة الوفيات إلى ١٤ مقابل ١٠ في فرنسا التي يعتبر سكانها بالطبع أكثر شيخوخة لكثرة المتقدمين في السن ، لأن الذين تزيد أعارهم عن ٦٥ سنة يؤلفون ١٤ ٪ من السكان ، مقابل ٣ ٪ لا غير في دول العالم الهندي . ولكن ارتفاع نسبة المواليد هي التي سمحت للعالم الهندي بالبقاء على مدى عشرات

القرون ، فضلاً عن شمولية التزاوج ، الذي يعتبر واجباً دينياً يحث على التناسل . ولا تزال نسبة الولادات اليوم تزيد عن ٣٤ بالألف في الهند ، و ٤٤ بالألف في الباكستان ، كي تبلغ ٤٧ بالألف في بنغلادش . وهذا ما يفسر وجود فائض ينوف عن ١٠ ملايين نسبة في كل عام في ١٩٥٠ و ١٥ مليون حالياً . وتشجع حكومة الهند وباكستان على تحديد النسل ، كا تعمد لتعقيم الرجال والنساء بصورة وقتية أو دائمة ، ولكن ذلك يلقى مقاومة جماهيرية يستغلها الدياغوجيون ، ويخضع لمزايدات سياسية تستغل شقاء الشعب .

أما الهجرة الخارجية فقد كانت ضئيلة للغاية دائمًا ، ولكنها أبعد من أن تقدم العلاج الشافي . فهناك قرابة ٥ ملايين من أصل هندي يعيشون في الخارج ، أي في بيرمانيا ، وماليزيا ، وفي جزر الحيط الهادي والهندي ، وفي إفريقية الجنوبية وفي جزر الأنتيل وغويانة .

دول العالم الهندي

لا تزال أوروبا شديدة التجزّؤ السياسي ، مثلها يحتوي « الوطن العربي » على ٢٥ دولة ودويلة ، لهذا لا داعي للاستغراب من انقسام العالم الهندي في الوقت الحاضر. ويتخبط هذا العالم المذكور في عدد من الاختلافات ، مما يبعث على الخشية من يقظة الحساسيات الدينية والعنصرية أو اللغوية في المستقبل.

الجمهورية الهندية: ومساحتها ٣٢٦٨٠٩٠ كيلومتر مربع ، كان يسكنها ٥٠٠ مليون نسبة في ١٩٦٨ و ١٥٠ مليون في ١٩٧٩ ، وأكثر من ٧٠٠ مليون في ١٩٧٨ ، أي تزيد الكثافة فيها عن ٢١٨ نسمة في الكيلومتر المربع . وهي أكثر دول العالم سكاناً بعد الصين ، وهي عالم الهندوسية .

الباكستان: ومساحتها ٨٠٣٩٤٤ كيلومتر مربع. كان عدد سكانها ٧٢,٣٧ مليون نسمة عام ١٩٧٦، وأكثر من ٨٣ مليون في ١٩٨١، أي ذات كثافة تزيد عن ١٠٠ نسمة في الكيلومتر المربع. وهي ثالث دولة إسلامية في العالم بعد أندونيسيا وبنغلادش.

بنغلادش: ومساحتها ١٤٣٠٠٠ كيلومتر مربع ، سكانها ٧٦,٨٢ مليون في ١٩٧٥ و ٨٦,٦٥ مليون في ١٩٧٨ ، وهي ثاني دولة إسلامية من حيث عدد السكان في العالم . وتصل الكثافة فيها إلى أكثر من ٦٣٠ نسمة في الكيلومتر مربع .

سريلانكا: مساحتها ٦٥٦١٠ كيلومتر مربع ، وهي سيلان سابقاً ، وكان عدد سكانها في ١٩٨٦ / ١٤,٢٧ مليوناً ، و ١٥ مليون في ١٩٨٠ ، وتصل الكثافة فيها إلى ٢٣٠ نسمة في الكيلومتر المربع .

نيبال: مساحتها ١٤٠٧٩٧ كيلومتر مربع ، أي تقارب بنغلادش ، وسكانها ١٢,٨٦ مليون في ١٩٨١ و ١٩٧٩ و ١٥ مليون في ١٩٨١ ، وتصل الكثافة فيها إلى ١٠٠ نسمة / كيلومتر مربع .

بهوتان : ومساحتها ٤٧٠٠٠ كيلومتر مربع ، وسكانها ١,٠٣ مليون نسمة سنة ١٩٠١ ، و ١,٠٣ مليون عام ١٩٧٧ ، وتقارب الكثافة الوسطى فيها ٢٥ نسمة في الكيلومتر المربع .

كشميروجامّو: ومساحتها ٢٢٢٨٠٠ كيلومتر مربع ، وسكانها ٤,٦ ملايين في ١٩٧٦ وقرابة ٥ ملايين حالياً والكثافة ٢٣ نسمة كم٢ .

جمهورية الاتحاد الهندي

فسيفساء بشرية

يعتبر الاتحاد الهندي الوريث الرئيسي لامبراط ورية الهند البريطانية ، التي ما إن تخلصت من الاستعار في عام ١٩٤٧ حتى تعرضت للتقسم ، وإذا كان « التقسم » قد حلّ المشكلة الدينية ، بنح الباكستان المناطق ذات الأكثرية المسلمة ، فإنه قد تمخض عن تقسيم منطقتين متجانستين هما البنغال في الشرق ، والبنجاب في الغرب ، مما أدى لهجرة ١٧ مليون نسمة في كلا الاتجاهين وإلى نشوب ثلاثة حروب بين الدولتين . وكان الخوف من الهند ، هو الذي يوحد الباكستان الشرقية أي « بنغلادش الحالية » مع الغربية ، أكثر من الإسلام ، إذ كان شطرا الباكستان السابقة ، ينفصلان عن بعضها بسافة ١٠٠٠ كم الغربية ، أكثر من الطيبة بقدار ١٠٠٠ كم من الصحاري ، وهكذا كان انفصال بنغلادش متوقعاً و عام ١٩٤١ ، والتي أصبحت عبارة عن جيب ضمن أراضي الاتحاد الهندي ، وذات اقتصاد ضعيف ، تتعلق حياتها بحسن نوايا جارتها الكبرى أو بالعكس حيث شقاؤها .

ولكن الاتحاد الهندي صمد أمام التمزقات السياسية والنزاعات اللغوية ، على خلاف ما كان متوقعاً له ، وتبلغ رقعة هذه الجهورية مساحة تعادل مساحة أوروبا الغربية أو ٣٢٦٨٠٩٠ كم ، ولكنها أكثر سكاناً ، وهي عبارة

عن « متاهة اجتماعية » لا تستطيع التناقضات العديدة فيها ، من عرقية وطبقية ولغوية ودينية أن تنفى وجود صلات نسب عميقة .

ويبدو الاتحاد الهندي خليطاً على كل المستويات الثلاثة: العرقي واللغوي والديني وإذا استثنينا الأقوام شبه المنغولية عند تخوم التيبت وبيرمانيا، فإن الهنود ينتسبون إلى مجموعتين عرقيتين. فهناك الزنوج من ذوي التقاطيع الدقيقة، وهم من السكان الأصليين بلا ريب، والدين زحزحوا تدريجياً من السهل السندي الغانجي، فاستوطنوا لوحدهم القسم الجنوبي من شبه الجزيرة، في حين يشكلون الطبقات الدنيا في المناطق الأخرى. أما البيض فقد وفدوا على شكل موجات متعاقبة من الممرات الشمالية الغربية، بحيث أوجدوا استيطاناً نقياً إلى حد كبير في البنجاب، ويتيزون بطول قامتهم، وبلون بشرتهم الفاتح، ولكنهم يتعرضون للتهجين فيا وراء ذلك بدرجات متفاوتة اللهم إلا في الطبقات العليا. وهكذا تصدّى التزاوج وراء ذلك بدرجات متفاوتة اللهم إلا في الطبقات العليا. وهكذا تصدّى التزاوج

ومن المكن العثور على علاقات متبادلة بين العروق واللغات ، فأشباه المنغول ، في الشال الشرقي ، يستعملون في تخاطبهم لهجات تيبيتية بيرمانية . أما الهنود الزنوج في الجنوب فيتكلمون لغات دراڤيدية تكتب بحروف « پالي » . أما الجال اللغوي الهندي الأوروبي فينقسم إلى اثني عشرة لغة متايزة ، يكتب أكثرها بحروف « ناغاري » الموروثة عن السنسكريتية ، ويكون لحكومات الاتحاد عموماً أساس لغوي .

وإذا كان ٨٢ ٪ من سكان الاتحاد ينتسبون إلى الهندوسية ، فإن للهند أقلياتها الدينية . فهناك مذاهب قريبة من الهندوسية ، ولكنها ترفض نظام الطبقات ، مثل الجائيين في الغرب ، أو السيخ في البنجاب الذين يربو عددهم على ١٤ مليون نسمة . أما المسلمون ، على خلاف ماسبق فهم مبعثرون

ويؤلفون رغم التقسيم أقلية هامة عددياً وثقافياً ، ويشكلون ١٢ ٪ من السكان أو ٩٠ مليون نسمة .

غير أن النصرانية التي دخلت جنوب الهند في القرن الثالث ميلادي فقد انتشرت بين العديد من أبناء الطبقات الدنيا ، من فلاحين وصيادي أسماك . أما في العهد الاستعاري البريطاني ، فقد استطاعت البعثات التبشيرية أن تنشر النصرانية بين القبائل القاطنة في أسّام ، في أقصى الشرق وفي داخل شبه الجزيرة . غير أن البوذية التي ولدت في الهند في القرن السادس قبل الميلاد ، فليس لها بين سيلان « سريلانكا » وبين التيبت سوى القليل من الأتباع .



الديانات في الاتحاد المندي

1441	4	بالملايين	أتباعها	عدد
	v	02759	A	

مليون	2,703	المندوسية
مليون	٦١,٤	الإسلام
مليون	18,4	النصرانية
مليون	۱۰,٤	السيخ
مليون	۲,۸	البوذية
مليون	۲,٦	الجينية
مليون	٠,١	المجوس

4 4 4

يمتبر الاتخاد الهندي استناداً إلى دستوره جمهورية علمانية اتحادية ، مؤلفة حالياً من ٢٢ ولاية ، متطابقة تقريباً مع الحدود اللغوية ، ومن مناطق : كالعاصمة دلمي ، والملحقات الجزرية ، مثل جزر لا كديف في الغرب ، وجزر آندامان في الشرق ، والمناطق الحدودية ، والممتلكات البرتغالية القديمة « غوا » أو الفرنسية مثل بونديشيري وماهيه وكاريكال .

ولا زال الاتحاد الهندي يعاني ، ضمن حدوده الاصطناعية من التقسيم الذي وقع في عام ١٩٤٧ ، والذي قسّم قعة جغرافية متاسكة طبيعياً ، وفصل بين مناطق ذات اقتصاد متكامل ، وضاعف من أساب النزاعات .

وعلى أثر نزوح ٦ ملايين هندوسي وسيخ ، عن منطقة البنجاب الغربي ، الذي أصبح تابعاً للباكستان ، فقد تركوا وراءهم ٢,٧ مليون هكتار من الأراضي التي شغلها ٦ ملايين مسلم لجؤوا من البنجاب الشرقي ، تاركين وراءهم ١,٩ مليون هكتار . أما في البنغال فقد نزح مليون مسلم نحو الباكستان الشرقية « بنغلادش » مقابل ٤ ملايين هندوسي تركوا بلاد الباكستان الشرقية كي يتكدسوا في كلكتا . أما البنغال الباكستاني ، أو بنغلادش الحالية ، فقد أصبحت معزولة عن مينائها الوحيد ، أي عن كلكتا .

* * *

هذا وليس هناك من علاقة بين اللغات الدراڤيدية الأربع ، وبين اللغات الهندية الأوروبية : ذلك أن لغة التامول تستعمل كلغة أدبية لدى الدراڤيديين ، الذين حاولوا أحياناً تشكيل دولة « دراڤيدستان » . هذا وتتميز لغة الماراتي والبنجابي ولاسيا البنغالي ، المعدودة من جملة اللغات الهندية الأوروبية ، عن الهندي بشكل صريح ، والذي أصبح اللغة الرسمية للاتحاد الهندي ، علماً بأن الناطقين بهذه اللغة لا تتجاوز نسبتهم ٤٠ ٪ فقط من سكان الاتحاد الهندي . ويستعمل السلمون اللغة الأوردية القريبة من لغة الهندي ، ولكنها تكتب بحروف عربية ، لأن الأوردية هي اللغة الرسمية في الباكستان . أما الإنكليزية التي يجهلها سواد الجماهير فلا تزال ضرورية للغاية في الصفقات التجارية ، أو في الحياة السياسية وفي المبادلات الدولية .

اللغات الرئيسية في الاتحاد الهندي والمتكلمون بها بالملايين الزمرة الهندية الأوروبية

المندي	Y1.	
بنغالي	٤٠	١
ماراتي	٤٠	
بنجابي	١٣	

الزمرة الدرافيدية

٤٥	تيلوغو
٢٦	تامول

الهند في مواجهة المشكلة الديموغرافية

لقد كانت شبه القارة الهندية تحمل داعًا خمس سكان الأرض. ففي خلال الفترة الاستعارية ، كانت الجائحات والجاعات تعمل على تقليص النمو الديموغرافي ، وقد كان في الاتحاد الهندي ضمن حدوده الحالية ٢٣٦ مليون نسمة في عام ١٨٩١ و ٣١٩ مليوناً في ١٩٤١ . ولكن قفز عدد السكان بين ١٩٥١ و ١٩٧١ و دلك بناء على الإحصائيات من ٣٦١ إلى ٨٤٨ مليون . ويقدر عدد السكان في وذلك بناء على الإحصائيات من ٢٦١ إلى ٨٤٨ مليون . ويقدر عدد السكان في ١٩٧٠ بحوالي ٢٦١ مليون و ٧٠٠ في ١٩٨٢ . وليس في نسبة التزايد السنوي وهي ٢ ٪ أي شيء استثنائي لأن نسبة التوالد ٣٤ بالألف ونسبة الوفيات ١٤ بالألف ، ولكنها تترك فائضاً في الولادات على الوفيات مقداره ١٤ مليون نسبة سنوياً ، أي يزيد سكان الهند سنوياً بما يعادل سكان العراق .

ولا تزال نسبة الوفيات شديدة ، وتصل إلى ١٢٩ بالألف ، أي يموت ١٣ ٪ من الأطفال قبل أن يكلوا عامهم الأول ، ولا يزال البؤس الفيزيولوجي عيقاً بسبب الطفيليات وسوء التغذية . ولكن أمكن درء الجائحات بفضل حملات التلقيح ، كا أن ضحايا الأمراض المستوطنة ، أصبحت أقبل من الماضي كالبرداء . وإذا كانت الكثرة من الهنود يشكون من الجوع ، فإن الهنود الذين تصرعهم المسغبة أقل من الماضي . وقد انخفضت نسبة المواليد قليلاً فهبطت في خلال ربع قرن من ٤٥٠٪ إلى ٣٤٤٪ .

وقد أصبحت الكثافة الوسطى في الهند تتجاوز الآن ٢١٤ نسمة بالكيلومتر المربع . وهذا يؤلف اكتظاظاً سكانياً في أرض مدارية ذات ترب غالباً ما تكون ناضبة الخصوبة ، والتي يتألف ٧٠ ٪ من سكانها من فلاحين خاضعين لنزوات المناخ ، وأسرى نظام ملكية زراعية يتيز بعيوبه الاجتاعية وبعناصر التفكك الاقتصادي . وهكذا لا ينمو الإنتاج الغذائي ، مثلا لا يتزايد الدخل القومي بصورة تزيد عن سرعة نمو السكان . أما المناطق المكتظة بسكانها فليس أمامها سوى اللجوء إلى الهجرة . وهكذا يقصد البنغاليون بلاد آسام في الشال الشرقي ، حيث أصبحت الأراضي الصالحة للاستزراع نادرة ، هذا وتجذب المدن ريفيين يبحثون عن عمل محتل ، بيد أن ١٠ ٪ من الهنود يعيشون في مدن ضخمة يزيد سكانها عن ١٠٠٠٠ نسمة ، ولا تؤثر الهجرات يعيشون في مدن ضخمة يزيد سكانها عن ١٠٠٠٠ نسمة ، ولا تؤثر الهجرات بعض المناطق الساحلية .

وابتداءً من عام ١٩٥١ ، ظهرت ضرورة تحديد المواليد ، فتم رفع سنّ الزواج القانوني للفتيات من ١٦ سنة في ١٩٥٦ إلى ١٨٠ سنة في ١٩٧٦ . وابتداءً من عام ١٩٦٥ حاولت وزارة الصحة والتخطيط العائلي أن تفرض بواسطة وسائل الإعلام صورة أسرة سعيدة مع طفلين فقط ، ولكن دوغا طائل .

ويعرقل الفقر والجهل طريقة منع الحمل أكثر من التقاليد ، فعدد القرى التي تحوي على مستوصف لا يزيد عن ٥ ٪ وفي مثل أوضاع كهذه ظهر بأنه من الأفضل من أجل تخفيض الخصوبة ، تعقيم الراغبين من المتطوعين والمتطوعات مع تعويض نقدي ، وهكذا أمكن إجراء العملية الجراحية الصغرى لحوالي ١٢ مليون رجل و ٤ ملايين امرأة ، وكلهم في عر متوسط قدره ٣٦ سنة ، ولكن بعد حدوث العديد من الانحرافات ، والاضطرابات ، صدر الأمر الديماغوجي بإغلاق معسكرات التعقيم السيارة في عام ١٩٧٧ ، ولتحاشي

حدوث قطيعة حتمية بين النمو الديموغرافي ، وبين نمو المصادر الفذائية ، يقتضي الأمر التوصل إلى القضاء على الحواجز النفسية ، فضلاً عن ضرورة تحقيق تقدم في مضار تربية سواد الجاهير ، وتغذيتهم وتحسين حالتهم الاجتاعية .

4 4 4

بعد أن ظل تكاثر سكان الهند لمدة طويلة محدوداً بسبب فرط الوفيات ، لا زال يعتبر معتدلاً بالنسبة لقطر من العالم الثالث ، وحالياً من الخامس بعد التصنيف الجديد . ولكن هذه النسبة تبدو عظية ضمن كتلة بشرية تزيد عن ٢٠٠ مليون نسبة غالباً ، أي بتزايد سنوي يبلغ ١٤ مليون نسبة .

كا يتصف سكان الهند بتفوق نسبة الذكورة ، فهناك ٩٤٠ أنثى مقابل كل ١٠٠٠ ذكر ، بما يؤدي لاغفاض الأجل المرتقب المتوسط ، والذي يبلغ ٥٠ سنة عند الولادة ، وإلى فرط نسبة الوفيات بين النسوة بسبب الزيجات المبكرة . وهكذا يكون هرم الأعمار ، هو هرم قطر فتي جداً لأن ٢٢ ٪ من السكان تقل أعمارهم عن ١٠ سنة تصل إلى ٥١ ٪ ، في السكان تقل أعمارهم عن ١٠ سنة تصل إلى ٥١ ٪ ، في حين تقل نسبة الذين تزيد أعمارهم عن ١٠ سنة عن ٢ ٪ مقابل ١٤ ٪ في اليابان . وفي ١٩٧٩ المخفضت نسبة الأولاد المئوية قليلاً فبلغت نسبة الذين تقل أعمارهم عن ١٥ سنة ٤١ ٪ . ويرى الدكتور جوزيه كاسترو مؤلف كتاب « جغرافية الجوع السياسية » أن الغذاء النباتي هو المسؤول جزئياً عن ارتفاع الخصوبة لدى النسوة ، لأن الكبد يزيد من إفراز مادة الجريبين بما يزيد احتالات الحل لديهن ، بينا بجد ضعف في الخصوبة لدى الشعوب التي تكثر من استهلاك اللحم والبروتينات النبيلة الحيوانية تماماً ، كالحيوانات اللاحمة كالذئاب والنور على خلاف الحيوانات النباتية كالأرانب ، وقدياً قال شاعرنا العربي :

بغاث الطير أكثرها فراخاً وأم الصقر مقالات نزور له له الله

وليست المندوسية ديانة موانيدية على الخصوص . فهناك تقاليد لا تزال محترمة ، وقتثل لها أكثرية الجاهير ، مثل منع زواج الأرامل من النسوة ، تعمل على تخفيض الخصوبة ، وهكذا يكون لدى النصارى ولا سيا المسلين عدد وسطى من الأبناء أكثر من المندوس .

بيد أن ممارسة منع الحمل ، على مختلف طرائقه ، لا يكون معروفاً أبداً أو مقبولاً لدى أكثر من عشر العائلات ، وغالباً ما يكون ذلك بعد حياة خصيبة أي عندما يكون لدى الزوجين أربعة أولاد أو أكثر ؛ ولهذا يقال في الهند : مائدة الفقير فقيرة ، ولكن فراشه خصيب .

وتلاحظ اختلافات كبيرة بين ولاية وأخرى ، بحسبان البنجاب وولاية كيرالا هما أكثر الولايات الهندية تطوراً ، أو بين الأرياف والمدن حيث تكون نسبة الأولاد أقل ، وذلك بالتناسب مع النه الاقتصادي ولا سيا مع درجة التعليم . ورغ كل أبعاد الضغوط والوسائل الموضوعة تحت تصرف الجماهير ، فإن التخطيط العائلي لم ينجح إلا بصورة نسبية جداً . بيد أن انخفاض التوالد في الهند لا يكون بطيئاً إلا بالموازنة مع أهداف غير واقعية ، كتخفيض التوالد إلى ٢٥ بالألف ابتداء من عام ١٩٨٠ ، أو بالنسبة لنتائج حصلت في أقطار أقل اتساعاً وأقل سكاناً .

4 4 4

هذا وتتباين الكثافة الكيلومترية كثيراً من ولاية لأخرى ، ومن منطقة لأخرى ، فولاية كيرالا التي تزيد مساحتها قليلاً عن مساحة بلجيكا ، تحوي ٢٥ مليون نسمة ، وكثافة تزيد عن ١٠٥ نسمة في الكيلومتر المربع . وهكذا تعكس صورة الاستيطان عوماً الثروة الزراعية وإمكاناتها . وعليه تكون الكثافة شديدة جداً في أطراف شبه الجزيرة ، وفي السهل الغانجي ، وتقل عن ذلك في الداخل ، وضعيفة إلى حد ما في الشال الغربي ، اللهم إلا في النطاقات المروية . وتكون ولاية راجستان التي تمتد مع ذلك فوق صحراء ثار ، تكون ذات كثافة تزيد عن ٧٥ نسمة في الكيلومتر المربع .

أما الهجرة للخارج فلا يؤبه لها: فقبل عام ١٩٣٠، وضمن إطار الامبراطورية البريطانية ، هاجر بضعة ملايين من الهنود على شكل أفواج العال الزراعيين coolies ، أو كتجار واستقروا في بلاد المزارع الاستعارية في جنوب شرق آسيا ، وسيلان وماليزيا ، وفي جزر مزارع قصب السكر في الحيط الهندي والحيط الهادئ ، وفي جزر الآنتيل والغويانة وترينيداد ، وفي الناتال وأفريقيا الشرقية ، حيث لا زالت هناك جالية حقيقية من الهنود ، والتي تخلق مشكلات سياسية خطيرة بسبب سياسة التبييز العنصري . غير أن أكثرية البلاد المستقبلة ، والتي أصبحت مستقلة ، أغلقت أبوابها أمام الهجرة بل وراحت تطردهم مثل أوغندا . وقد هاجر العديد من الهنود الختلطين مع الباكستانيين إلى الملكة المتحدة ، وذلك قبل الاضطرابات العرقية فيها بين ١٩٦١ و ١٩٨١ ، وقبل تحديد هجرة أبناء الكومونولث الذي أعقب ذلك . ولا يزال يهاجر بعض الهنود على شكل مهاجرين موقتين إلى الأقطار النفطية في الخليج العربي ، ولكن يهاجر أيضاً الكثيرون من حملة الشهادات العليا من الأطباء المند عارسون علهم في الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا والبلاد النفطية العربية . ويقدر عدد الأطباء الهند عارسون علهم في الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا والبلاد النفطية العربية . ويقدر عدد الأطباء الهند عارسون علهم في الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا والبلاد النفطية العربية . ويقدر عدد الأطباء الهنود في الخارج عام ١٩٨٠ بأكثر من ١٩٨٠ طبيب .



عيوب الجتمع الهندي

تقوم الهوية الهندية على صهر عناصر ثقافية دراڤيدية وهندية آرية في نظام فلسفي ديني ، هي الهنسدوسية ، والتي توثر طرائقها في التفكير والبنى الاجتاعية ، وكذلك على الديانات الواردة إلى البلاد كالإسلام والنصرانية . والهندوسية هي سلوك أكثر منها ديانة أفسدتها الأساطير الشعبية . كا يؤثر احترام الحياة الحيوانية ، القائمة على الاعتقاد بالتقمص ، على العادات الغذائية وعلى التقنيات الزراعية ، مثلما يهين الاهتام بالطهارة الطقوسية على العلاقات الاجتاعية .

وتؤلف الطبقات هيكل المجتمع الهندي ، وعكن تفسيرها بالتمييز العرقي ، لأن لكلمة قارف التي تعني المجموعات الأربع من الطبقات وهي البراهمة ، والنبلاء العسكريين ، والتجار ، والفلاحين ، مدلولاً على اللون . وفي الهند ٢٠٠٠ طبقة (جاتي) ، وهي جماعات متضامنة بواسطة اللهم (تزاوج داخلي) والعمل (مهنة تقليدية) و ٨٠ مليون نسمة خارج الطبقات أو « المنبوذون » الذين يختصون بهن تعتبر مهينة كمنظفي الثياب والدباغين ، أو الأقوام القبلية . وعلى الرغ من بعليات غاندي الذي كان يرى في والدباغين ، أو الأقوام القبلية . وعلى الرغ من بعليات غاندي الذي كان يرى في المنبوذين » «مخلوقات الله » ، ورغ إلغاء الطبقات في المستور ، فإن المنبوذين لا زالوا يعيشون دوماً في أطراف القرى . أما في المدن المزدحة ، الشديدة الاجتاعية تتخلى عن مكانها للحركية المهنية . فهناك العديد من المنبوذين الذين يعملون في التعليم ، أو الذين وصلوا للثراء العريض .

ويعود تشنج البنى الاجتاعية قبل كل شيء إلى الجهل ، لأن ٧٠ ٪ من

السكان لازالوا من الأميين ، وللعراق ، لأن ٨٠ ٪ من الهنود يعيشون في ٥٧٦٠٠٠ قرية ، على صورة مساكن متجمعة ، في السهول اللحقية ، أو فوق الهضاب و بجوار موارد الماء . ويتألف المجتمع من جاعات متسلسلة منطوية على نفسها ، أو منفتحة على التقدم في حالات نادرة ، كا في البنجاب أو كيرالا في أقصى الجنوب الغربي مثلاً .

ويكون التفاوت الاجتاعي صارحاً في أكثر المدن ، التي تلعب دور ملاجئ لأفواج بلا جذور ، وأكبر المدن هي أكثرها جاذبية . وهناك ٢٠ مدينة يتجاوز سكان كل منها ٥٠٠٠٠٠ نسمة ، وهي مدن تقليدية ، أو مدن حج مثل بنارس Vanarasi ، أو عواصم مخلوعة ، غنية بالقصور مثل آغرا ، أو مراكز صناعية ، ولا سيا الموانئ الثلاثة الناشئة عن التجارة الاستعارية وهي : مدراس (٢٠٥ مليون نسمة) ، بومباي (٢ ملايين) وكلكتا وفيها ما لا يقل عن ٧ ملايين مع أرباضها الواقعة على ضفاف نهر هوغلي . أما النمو الأكثر سرعة فقد كان نمو دلهي ، العاصمة التي تضاعف عدد سكانها ثلاث مرات منذ الاستقلال ، وهذا مع تزايد الدوائر الاتحادية ويسكنها قرابة ٣ ملايين نسمة .

ونجد اكتظاظ السكان في كل مكان وفي المدن يسير هذا بصورة متوازية مع عجز الخدمات العامة ، كتوفر المياه . وهكذا تبدو كلكتا حيث تؤدي مصاعب حركة الميناء وصناعة الجوت إلى استفحال البطالة ، وهي عاصمة البؤس نظراً لكثرة « الباستي » فيها ، وهي متاهات من دروب نتنة ، وحيث تكثر العشش الترابية ، أو من الأغصان ، أو من صفائح خشبية عتيقة ، وفي كلكتا « جماهير غفيرة ، تولد على الرصيف وتتزوج على الرصيف وتوت على الرصيف » .

بقرة جوالة في شارع من بومباي :

قد تزعج هذه البقرة التائهة حياة السوق ، ولكن ليس هناك من يجرؤ على طرد هذا الحيوان

المقدس . وقنع التعاليم المندوسية دوماً استهلاك لحم الأبقار وحتى ذبح الحيوانات الهرمة أو المريضة . وكل وتساهم هذه المحظورات الدينية وعلّفات نظام الطبقات جيعاً في كبح تطور الهند الاقتصادي . وكل من يحاول الخروج من الوضع الذي اكتسبه عند ولادته فإنما يعرّض نفسه لمداوة الرأي العام . كا أن التوقير الذي تتمتع به الطبقات التي تتبواً سدّة التسلسل الاجتماعي ، والتي تتألف غالباً من العاطلين عن العمل ، أو من الذين ينفرون من العمل اليدوي ، لا يكون أبداً من عوامل التحريض على التقدم . ويعمل أكثرية البراهمة اليوم في التعليم ، أو كموظفي مكاتب ، وأرباب فنادق أو مطاع . لكن الجزارين هم من المسلمين . أما نجاحات الرأسمالية الهندية فهي من صنع الفئات غير الهندوسية ، فؤسسة بهود أحد الجائيين ، أما شركة تاتا الضخمة فهي ثمرة مبادهة أسرة من مجوس بومباي .

هذا ولا يؤلف البراهمة بالضرورة طبقة مسيطرة ، فهذه تكون عملياً هي الطبقة التي تدمج السلطة الاقتصادية مع درجة عالية نوعاً ما في تسلسل الطبقات . وتتمارض هذه المنظومة من القيم بصورة جذرية مع المدنية الصناعية . كا أن التضامن القائم بين أعضاء طبقة ما يسمح لمؤلاء بفرض إرادتهم على الطبقات الأخرى . فدير مؤسسة ما لا يختار أعوانه من أكثر الناس كفاءة بل أفراداً من طبقته ، وهذا هو إكسير التخلف .

عن شارل بتلهايم « الهند الستقلة » دار . آ . كولان ١٩٦٢

احصائیات المدن الهندیة الکبری حسب إحصاء ۱۹۷۱

اسم المدينه	عدد السكان	اسم المدينه	عدد السمان	امم المدينة	عدد السخان
كلكتا	Y	حيدر آباد	1711	ناغبور	
بومباي	۰۹٦۸۰۰۰	بنغلور	ነገደለ•••	بونا	۲۵۲۰۰۰
دلمي	7774	أحمد آباد	1011	لكنو	
مدراس	7879	كائبور	1777		

يكون موقع دلهي ، حيث تقرر أكثر من مرة مصير المند وفاتحيها المتعاقبين ، عند تلاقي بلاد حوض الهندوس مع بلاد حوض الغانج . ولقد كانت دلهي القديمة عاصمة الأسر المالكة الإسلامية ، وكانت آخرها ، أسرة المغول ، التي حكت بين القرن ١٦ والقرن ١٨ . وفي ١٩١١ قرر البريطانيون أن ينقلوا إليها المقر الإداري لامبراطورية الهند بعد مفادرة كلكتا . وبعد أن أصبحت نيودلهي عاصمة الاتحاد الهندي ظلت عبارة عن شكل مضلع رباعي ذات شوارع عريضة جداً تنفتح على عمارات ضخمة من الصخر الرملي الوردي ، كالقصر الجهوري والبرلمان والوزارات .

مشكلة الأرض الزراعية

لقد كانت الضريبة العقارية في الهند ، الإنكليزية سابقاً ، تدفع مباشرة حسب المناطق ، من قبل مالك الأرض ، صغيراً كان أو كبيراً ، أو تجبى بواسطة « الأكّارين العموميين » أي « الزامندار » الذين كانوا يعمدون لمصادرة أملاك المتلكّئين عن الدفع ، لمصلحتهم . وعند حلول الاستقلال ، كان الملاّكون المتغيّبون يملكون نصف المساحات الزراعية . وكان ثلث الفلاحين من الذين لا يملكون أرضاً ، على شكل عمال زراعيين يشتغلون ما بين ١٦٠ إلى ١٨٠ يـوماً في العام ، وكان الثلث يـزرع الأرض بطريقة المـؤاجرة مساحات صغيرة جداً ، تاركين للمالك نصف الحصول على الأقل . وكانت أكثر ية المالكين المستغلّين ، ذاتها ، لا تملك أكثر من هكتارين ، وهو الحد أكثر ين الحيوي لمعيشة أسرة واحدة ، وبالتالي كانت تضطر للاستقراض من الدائنين أو من بقالية القرية . وكانت مسيرة الافتقار المتزايد هي القدر الحتوم ، كا قال أستاذنا بيير جورج : « لا تسير الشعوب المتخلفة نحو الفقر المتزايد الذي بلغته منذ زمن بعيد ، بل تسير الآن قَدُماً نحو التسول » .

وقد أخذ الاتحاد الهندي بتطبيق الإصلاح الزراعي على مراحل ، غير أن كيفية تطبيق قوانين عام ١٩٥٠ كانت من اختصاص الولاية الحلية وليس من اختصاص السلطة الاتحادية . وهكذا تخلّى « الزامندار » عن الأراضي التي لم يكونوا « يزرعونها » مقابل تعنويض نقدي ، إذ يكفي لأن يعتبر الإنسان « مزارعاً » إذا كان يقيم محلياً دون أن يارس بالضروة زراعة حقوله مباشرة . وهكذا كانت المساحة المصادرة والخاضعة للتوزيع محدودة . كا أن التشريع ، الذي كثيراً ما انحرف عن غرضه ، كان يحدد سقفاً لمساحة

المستغلات ، يختلف باختلاف الولايات ، فكان هذا السقف ٧ هكتارات في كيرالا ، و ١١ في كشير ، و ٢٥ في أسّام . وأصبح المستأجرون أفضل حماية ضد الطرد ، كا أصبح اقتسام المحصول أقل إجحافاً بالمستأجر . غير أن الملاكين انتقلوا إلى مرحلة الاستغلال المباشر بالاستعانة بعال مأجورين . وهكذا تشكلت طبقة من كبار المستغلين التي استفادت من « الشورة الخضراء » في البنجاب وفي تاميلناد ، وفي ماهاراسترا « منطقة بومباي » وذلك باستعال البذور المصطفاة ، والأسمدة الكياوية والري بالتنقيط ، وحتى المكننة . وقد أعقب تمركز الملكيات تمركز في المستغلات وإذا كان ٨٠ ٪ من المساحة الزراعية المفيدة مزروعة الآن مباشرة من قبل نسبة مماثلة من الملاكين المستغلين ، فإن ٧٧ ٪ من هؤلاء لا تصل ملكياتهم إلى هكتارين .

وهكذا تظل مشكلة الأرض الزراعية مطروحة ، ويعمد المزارعون الصغار ، من ضعاف التجهيز ، أحياناً إلى تأجير الثور والحراث . وينوء ثلث هؤلاء تحت نير القروض ، كا أن حقولهم مرهونة . أما العال المياومون فهم عاطلون عن العمل مدة ثمانية أشهر خلال العام ، ويتزايد عددهم يوماً بعد يوم . كا لا يجد نداء « هبة الأرض » الموجّه إلى الأغنياء من طرف حركة « غرامدام » الكثير من الآذان الصاغية .

غير أن الجمع الريفي يتطور مع ذلك . فهناك أكثر من ٤٠٠٠٠٠ قرية تنتسب إلى تجمع التطوير الجاعي . فالتعاضد يسمح بتعبيد الطرق بالإضافة إلى مشاريع الري الصغرى . وهناك مرشدون ، موظفون لدى الدولة ، يعلمون الفلاحين أفضل التقنيّات ، ويوزعون عليهم البذور والخصبات . وهكذا فإن إقامة منظومة ناجعة للإقراض الزراعي ، وإيجاد تعاونيات فلاحية للموين وللتسويق ، فضلاً عن تعاونيات الإنتاج ، ستؤدي جميعاً إلى تحسين أوضاع

المزارعين ، دون أن تحل ، مع ذلك ، مشكلة الملكية النزراعية ، لأن ٤٠ ٪ من الفلاحين في هذا اليوم من الذين لا يملكون أرضاً .

إن نصف مساحة الهند مزروعة بصورة متفاوتة ، وهي نسبة ممتازة تعادل النسبة في فرنسا ، مع أنها لاتزيد عن ٣,٥ ٪ في مصر وعن ٢ ٪ في المملكة العربية السعودية ، والتي تعني أيضاً أن هناك القليل من الأراضي الجديدة القابلة للاستزراع . وللحفاظ على ثروة غابية ضاع منها الكثير وانحطت ، لأن ١٣ ٪ منها عبارة عن غابة حقيقية ، فنإن على قبائل شبه الجزيرة ومنطقة أسّام في الشرق أن يكفوا عن الزراعة المتنقلة فوق الحريق ، وأن ينحصروا في رقعة محدودة . أما المزارع الحديثة ، ولا سيا مزارع الشاي ، والتي لا زال الإنكليز يحتفظون ببعضها ، فلا تغطي سوى مليون هكتار في أسّام وفي كيرالا ، في أقصى الجنوب الغربي ، وإذا كانت المساحة الزراعية المفيدة تمتد على رقعة تبلغ ١٦٥ مليون هكتار ، فإن ٢٣ مليون هكتار من الحقول هي التي تعطي محصولاً مزدوجاً في العام ، ولكن تظل رقعة ذات مساحة عائلة بحالة بور .

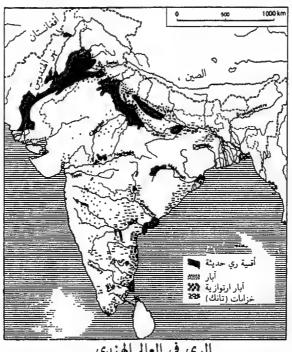
الحيَّز المروي في البنجاب: تتصف الحقول في البنجاب بتقسيم هندسي ، وتتألف من لحقيات خصيبة . ولكن تكون الحقول إجمالاً قليلة المساحة . كا أن المستغلِّين الذين يقطنون في قرى بعيدة ، يزرعون حوالي ٢٠ قطعة شديدة التبعثر شبيه بنظام المشاع الثابت في بلاد الشام . بيد أن البنجاب الهندي أو الباكستاني يؤلف منطقة متيزة . تلك هي المنطقة التي انحازت إلى « الثورة الخضراء » التي حققت نجاحات تقنية ، مثلما شهدت صدمات اجتاعية . وقد كتب رينيه دومون في جريدة لموند الدبلوماسية في ٢٠ حزيران ١٩٧٠ ما يلى : « لقد أصبح المالك ، الذي كان يبتر العائد العقاري من مستأجريه ، راغباً في زراعة أرضه مباشرة ، بعد أن أغرته الأسعار المرتفعة الناتجة عن الجاعة وارتفاع مردود النوعيات الجديدة من الحبوب . وإذا اشترى أدوات حديثة فإنه يكتفي بنصف مستأجريه ، الذين سيعملون كأجراء ، وسيطرد الزائدين ، وهكذا سرعان ما يحتكر المزارع الكبير الأسواق ويعجز الفلاح الصغير عن بيع فوائضه الزهيدة ، كما أن من العسير عليه الوصول إلى المصادر الرسمية للإقراض ، أما المرابي فطالبه باهظة جداً . وهكذا أدت الثورة الخضراء إلى استفحال تمركز الأراض ولاسيا البطالة ، وينصح الخبراء بتركيز وسائل التقدم على المناطق الفنية أي الخصيبة ، أو المروية ، أو الغزيرة الأمطار ، مثلما يرون الاهتام بالمزارع التي تزيد مساحتها عن هكتــارين ، لأنهــا هي الوحيدة القادرة على توظيف الأموال لانطلاق تنية استغلال ذاتي . أما إذا ظل الآخرون راكدين ، ومحرومين من العمل ، أو من القدرة الشرائية ، اللهم إلا إذا كان هناك عون حكومي ، فن سيأكل الإنتاج المتزايد يا ترى ؟ » .

الزراعة: نجاحات متفاوتة

ليس في الهند منطقة تتوقف فيها الحياة النباتية بسبب البرد الشتوي ، حتى ولا في البنجاب ، هذا إذا استثنينا سفوح هيالايا فوق ارتفاع يزيد عن المنجاب ، هذا إذا كانت هذاك مزروعات صيفية ومزروعات شتوية ، فذلك حسب حاجتها للماء . وهكذا تكون الزراعة الصيفية «خريف» عامة : فتبذر الأرض عند هطول أوائل الأمطار الموسمية كي تجنى الحاصيل ابتداء من أيلول حتى كانون الأول . فالذرة البيضاء والقطن والجوت وفستق العبيد « فول سوداني » هي مزروعات « خريف » . أما قصب السكر فيكث في الأرض ما بين ١٢ إلى ١٨ شهراً وتقطع سوقه على دفعتين . ويبذر القمح في أواخر الموسميات الصيفية كي يحصد في شهر آذار أو نيسان . أما البقول كالجمّص والبزاليا والعدس والأعلاف ، فهي مزروعات شتوية أو « ربيع » بعلية وبالتالي غير مضمونة . بيد أن الحصول السنوي المزدوج فوق الحقل ذاته يكون عدوداً إذ لا يتجاوز خس المساحة المزروعة . ويقتضي الجفاف أو الفيضان ،

وتكون جمارسة الري مرغوبة في أي مكان ، حتى ولو كانت كية الأمطار الوسطية لا تستدعي ذلك ، وذلك من أجل زيادة المحاصيل وتنظيم إنتاجها . ولكن كثيراً ما يعتمد هذا الري على تقنيات بالية وبدائية (شكل ٧) . ففي جنوب شرق الدكن ، تقوم البرك الخازنة بالاحتفاظ بمياه فصل الأمطار ، ولكنها سرعان ما تجف أو تردم بالوحول . أما في المناطق الأخرى فيعتمد على الآبار ذات الشادف التي ترفع المياه الباطنية . وفي آخر القرن

التاسع عشر ، أخذ البريطانيون بتنفيذ برنامج مشاريع هيدروليكية تجعل الري ممكناً في كل فصول السنة ، فأقاموا السدود التخزينية التي تحجز مياه الأنهار ومدّدوا الأقنية بين الأنهار التي توزعها بالراحة « على السارح » ضمن منظومة متشعبة من السواقي . ومن الصحيح القول أن « حرب المياه » بين



الري في العالم الهندي

الشكل ٧

الباكستان والهند استدعت فيا بعد حفر أقنية عرضانية تجتاز الفواصل النهرية لتغذية الجالات المروية ، التي توسعت من جهة أخرى بفضل السد الجديد على نهر ستلج ، وهو سدّ بهاكرا ، وبفضل قناة راجستان التي تمتد باتجاه صحراء ثار وطولها ٨٠٠ كم . وعلى كل فقد سمح تنفيذ مشاريع كبرى متعددة الأهداف ، أي أروائية أو كهرمائية ، والمساريع الصغرى ، وحفر الآبار الأنبوبية وإقامة مضخات ديزل أو كهربائية ، أقول : سمح بتنفيذها في كل الأمكنة بزيادة رقعة المساحات القابلة للري ، فقفزت من ٢١ مليون هكتار في عام ١٩٤٧ إلى ٣٤ مليون هكتار حالياً أو أكثر من ٢٠٪ من المساحة الزراعية المفيدة ولا يزال متوسط المردود ضعيفاً فيصل إلى ١٢ كنتال بالنسبة للحبوب ، وذلك بسبب نزوات المناخ والافتقار إلى التسميد ، ونظراً لفقر الفلاح فهو لا يعمد أبداً لشراء الأسمدة الكياوية ، ونظراً لحاجته للوقود فهو يقوم بحرق روث قطيع بقري عديد للغاية فعلاً ، بل هو أكبر قطيع بقري في العالم .

ومع ذلك تتحسن التقنيات . ففي فترة عشرين عاماً ، ارتفع استهلاك الخصبات الكياوية عشرين مرة . ويتألف عشر البذار من نوعيات عالية المردود ، مثل قمح « المعجزة » والرز « الفيليبيني » . بيد أن « الشورة الزراعية » تظل محدودة مع هذا ، ضمن أكثر المناطق تطوراً أو مقتصرة على أقل الفلاحين فقراً .

☆ ☆ ☆

الري : يعتمد الري الذي يسمح بتصحيح نظام مطري شديد التفاوت ، في المكان وفي الزمان ، يعتمد على تقنيات مختلفة :

. أبار لري حقول قريبة ، لا سيا في الفصل الجاف .

- سدود سطحية (تانك) تقوم خلف عصيبة تحجز وادياً صغيراً ، وتمتلئ بمياه الأمطار ، وتستخدم لتنظيم الموارد المائية في فصل الأمطار ، ولكنها تكون جافة على العموم في بقية العام .

_ قنوات الفيضان التي تستمد مياهها من الأنهار خلال الزؤد (الفيضان) دون أن تكون لهـا أيـة فائدة في أوقات الشح (الصيهود ، التحاريق) .

_ قنوات دائمة تتغذّى من سدود خازنة من أجل الري الدائم بالراحة في نطاق مروي منظم (السواقي ، محطات الضخ) . وهنا تستطيع المزارع أن تعطي محصولين في العام مع مردود مضون طيب .

هذا وقد تتجاور هذه التقنيات المتنوعة جنباً إلى جنب . وتفتقر معظم أرجاء الهند لوسائل الري ، وإذا ما وجدت فكثيراً ما يكون أسلوب استخدامها رديئاً . وقد أنجزت الهند بعد استقلالها ، مشاريع أروائية كبرى كتنظيم وادي نهر دامودار المهدد بالفيضانات ، وذلك حسب أسلوب نظام نهر التينيسي في الولايات المتحدة . وهناك مشاريع أخرى قيد التنفيذ . أمّا سد فاراخا ، على نهر الغانج ، فالمنتظر منه إنعاش دلتا البنغال الغربي « الميت » ، وربا كان ذلك على حساب بنغلادش ، التي ترفض استنزاف مياه هذا النهر بصورة مفرطة .



تقنيات ري عتيقة: يضطر معظم الفلاحين الهنود للاعتاد في ري حقولهم على وسائل تقليدية ، لا تكون نجاعتها وفائدتها وجدواها متناسبة مع الجهد المضني ، فلا زالت تستعمل هناك « النصبة » أي « الدلو » المصنوع من جلد ثور والذي يجره زوج من الأبقار الهزيلة من فوق بكرة ، كي ينصب الماء في قناة الري غير أن مضخة ري حديثة تكلف ٢٠٠٠ روبية ، أي ما يعادل الدخل المتوسط لمزرعة متوسطة في الاتحاد الهندي لمدة ٤ سنوات ، وقد بطل هذا الأسلوب في وادي الفرات والخابور في سورية وفي المملكة العربية السعودية منذ أكثر من ٣٠ سنة .



وهناك حقول مروية على شكل مصاطب في كشمير: إذ يحوي حوض سريناغار مشهد حقول رز على شكل مصاطب من غط الشرق الأقصى ، وهي ظاهرة نادرة جداً في الاتحاد الهندي . وهنا يوزّع ماء السيول ، الذي يتم احتباسه بواسطة سكور صغيرة ، على الحقول المتدرجة ، ذات الحواف العشوائية كأنها خطوط كنتورية . غير أن صيانة الجدران الصغيرة والسواقي يتطلب عناية شديدة الدقة .



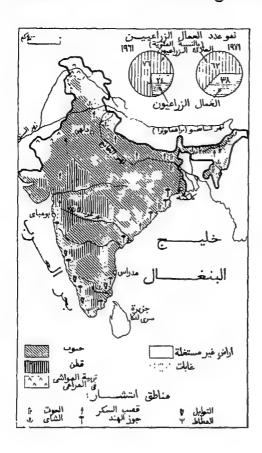
الزراعة الغذائية والتجارية « النقدية »

تستأثر المحاصيل الغذائية بأربعة أخماس المساحات المزروعة ، وتتألف من بقوليات ، ودرنيات ، كالمانيوق في كبرالا ، والبطاط في البنجاب ، ولا سيا الحبوب وهي الغذاء الوحيد تقريباً لدى الفقراء ، إذ يستهلك القمح على شكل أرغفة وأقراص ، مثاما تستهلك الذرة البيضاء على شكل حساء أكثر من الرز الذي بلغ إنتاجه ٥٤ مليون طن في عام ١٩٨١ الذي يبدو غالياً للغاية (شكل ٨) . ولقد تضاعف إنتاج الحبوب خلال ثلاثين عاماً ، ولكن المحصول الدي يبلغ ٢٠٠ مليون طن في ١٩٨١ لا يسوفر أكثر من ٢٠٠ كغم لكل مواطن هندي . ونظراً لعدم توفر وسائل تخزين ، فإن التلف يصيب ما بين الى ٢٠٪ من المحصول بسبب الحشرات والقوارض . وبعد السنوات العجاف التي قد تستدعي شراء كميات كثيفة من القمح ، بلغت ٢ ملايين طن في عام ١٩٧٨ ، فإن المحاصيل تبدو أكثر وفرة وأكثر انتظاماً حالياً . ولكن الجراية الغذائية الوسطى ، لا تبلغ ٢٠٠ حريرة (سعرة) في اليوم للفرد ، مقابل ٣٦٠٠ في الوسطى ، لا تبلغ ٢٠٠٠ حريرة (سعرة) في اليوم للفرد ، مقابل ٣٦٠٠ في الولايات المتحدة .

ولا يزال استهلاك السكر والمواد الدسمة هزيلاً ، مما يسمح بتصدير بعض الفائض . وتتصدر الهند الدول المنتجة لقصب السكر الذي يستخرج منه عصير حلو « غور » . وتزرع الهند أكثر المحاصيل الزيتية تنوعاً مثل السمسم والكولزا . أما السمن النباتي « مارغرين » Vanaspati فيصنع أساساً من النارجيل « جوز الهند » ، ولا سيا من أشجار نارجيل ولاية كيرالا ، أو من فستق العبيد « الفول السوداني » الذي يبلغ إنتاجه ثلث المحصول العالمي

والذي يصدر قسم منه من ميناء مدراس ، وبلغ إنتاج الهند من الزيوت النباتية ١١ مليون طن في ١٩٨١ .

أما المواد النسيجية فتكون ، على خلاف ما سبق ، مخصصة للصناعة الوطنية . فقد توسعت زراعة الجوت لتأمين حاجة مصانع كلكتا في البنغال وفي ولاية أوريسًا ، جنوب غرب كلكتا . ولكن الهند تضطر لاستيراد بقية حاجتها من « الليف الذهبي » من بنغلادش ، ويزرع القطن فوق مساحة تزيد على ٨ ملايين هكتار في ظهير منطقة بومباي ، ولكن زراعته تتراجع القهقرى أمام الحبوب ، وتكون الأنواع المزروعة من الأصناف الرخيصة الرديئة ،



الشكل ۸ زراعة الهند

كما يكون المردود متفاوتاً في الزمان والمكان ، لأن ١٠٪ من الحقول مروية وتشتري الهند الأقطان المتازة من مصر .

وإذا كان ميزان المبادلات التجارية فائضاً نوعاً ما ، فذلك يعود للشاي الذي تنتجه مزارع آسام وكيرالا والذي يصدر نصفه للخارج ، وهو محصول تضاعف إنتاجه بعد أن حصلت البلاد على استقلالها ، إذ تنتج الهند ٢١٪ من إنتاج الشاي العالمي وتقدم ٤٠٪ من الشاي التجاري في العالم . وتعادل أصناف الشاي الهندية الأنواع السيلانية ، ولكنها دونها شهرة . اما المحاصيل الزراعية الأخرى مثل البهار والقهوة ومطاط كيرالا ، فتباع للخارج أيضاً ولكن دورها أقل أهية .

ويتراوح إنتاج الهند من الشاي بين ٢٥٠٠٠٠ طن كا في ١٩٦٠ و ٢٧٥٠٠٠ طن كا في ١٩٦٠ (وقرابة ٢٠٠٠٠٠ طن حالياً . وتعتبر صناعة الشاي هامة جداً للهند لأنها توفر ربع دخلها من العملة الصعبة ، كا أنها أكثر الصناعات استخداماً للأيدي العاملة أو حوالي ١,٥ مليون شخص . وتقدم مقاطعة آسّام نصف الإنتاج ولكن أجود الأنواع هي التي تنهو فوق سفوح هيالايا قرب مدينة دارجيلينغ . وعلى كل تقدم المقاطعات الهندية الشالية لوحدها ٧٥ ٪ من الإنتاج . وتستحوذ مدينة كلكتا على بورص الشاي العالمية . وقد احتفلت هذه المدينة سنة ١٩٦١ برور ١٠٠ عام على تأسيسها ، وخطب رئيس الوزراء حينذاك وهو جواهر لال نهرو قائلاً : « لم يكن الشاي فقط شراباً كالمشروبات الأخرى ، بل لعب دوراً حيوياً إذ ساهم في تكوين تاريخ وحضارة عدد من أقطار جنوب شرق آسيا ، كا عمل القطن في أجزاء أخرى من العالم » . وفي الهند حوالي ٢٠٠٠ مزرعة للشاي مساحتها تقارب ٢٥٠٠٠٠ هكتار ، ويقع ثلثا هذه المساحة في مقاطعتي آسّام والبنغال الغربي والباقي في الجنوب .

وعلى الرغم من أن الهند هي أول دولة تصدّر الجلود والعظام ، فليس لتربية الماشية من أهمية اقتصادية . ومع ذلك تحوي البلاد قرابة ٢٠٠ مليون رأس من الأبقار ، والثيران ذات السنام « زيبو » والجواميس ، وهي حيوانات ملحقة لاغنى عنها لأعمال الحراثة والنقل . غير أن هذه الحيوانات الرديئة التغذية ، والتي تقتات بالقش اليابس فوق الأراضي البور ، أو في الأراضي الحصيد « الفراز » ،

يجعلها حيوانات هزيلة لاتعطي سوى القليل من الحليب ، إذ لاتعطي البقرة الهندية أكثر من ٢٠٠ ليتر بالعام مقابل ٤٥٠٠ ليتر في هولندا .

غير أن لدى الهند مربي ماشية مهرة ، كاتم نقل الثور الهندي المتوائم مع البيئة المدارية إلى ولاية التكساس والبرازيل . وحيثا تكون المزروعات العلفية ممكنة ، كافي البنجاب ، فإن القطيع يتحول إلى ثروة حقيقية ، وعندما تكون الحقول أفضل تسميداً وفيا عدا ذلك لا توجد سوى ثيران مقدسة وبقرات تائهات .

وفي الهند حوالي ٤٥ مليون رأس من الأغنام يقدر إنتاجها السنوي من الصوف بقدار ٣٤٠٠٠ طن سنوياً يستهلك أكثر من نصفه في معامل غزل ونسج الصوف المحلية والباقي يصدر للخارج ، ولديها مثل هذا العدد من الماعز التي ساهمت في تجريد البلاد من غطائها الغابي ، وفي منحها منظرها الكالح الأجرد وفي انجراف التربة .

☆ ☆ ☆

من الممكن أن غيز في المجال الهندي ثلاثة نطاقات زراعية كبرى يتميز كل منها بنوع خاص من الحبوب . فهناك نطاق القمح ، وهو محصول شتوي ، وينطبق على البنجاب وشال غرب الدكن ، وحيث يتناوب مع القطن ، وهو المحصول الصيفي ، وفوق سهول الغانج العليا حيث يشترك مع قصب السكر . أما الرز فيزرع على الخصوص في السهول الساحلية بين بحر عمان وخليج البنغال ويتد فوق كل الهند الرطبة ، أي في شرق شبه الجزيرة وآسام ، وعلى وادي الغانج الأوسط وحتى كشير . أما في البنغال فيتنافس مع الجوت ، وفي المناطق الأخرى مع قصب السكر . أما الذرة البيضاء الصيفية والدخن فينتشران في النصف الغربي من الدكن ، أما دخن « باجرا » ذو المردود الهزيل جدا فيزرع في أكثر الأراضي قحولة أو أقلها خصوبة ، ونجد في المناطق الأخرى الذرة البيضاء « جووار » والتي تتداخل مع محاصيل تجارية ، كالقطن فوق الأراضي السوداء ، ومع فستق العبيد فوق الرمال والتي تتداخل مع محاصيل تجارية ، كالقطن فوق الأراضي السوداء ، ومع فستق العبيد فوق الرمال



منذ ربع قرن تقريباً يستجيب غمو الموارد الوطنية من الحبوب ، وسطياً ، مع الحاجات المتزايدة بفعل النه الديوغرافي . بيد أن الهند ، وعلى الخصوص المناطق الشالية الشرقية كالبنغال الغربي ، وبيهار ، وأوريسا ، شهدت أعواماً عجافاً على أثر انحباس الأمطار . ففي ١٩٦٦ مات نصف مليون هندي من الجوع خلال الصيف ، واضطر ١٠٠ مليون منهم أن يقبوا أودهم بجراية يومية لا تزيد عن ١٥٠ غراماً من الرز . وبالإضافة إلى الكوارث الطبيعية ، فإن نواقص التخزين ، لأن ملايين أطنان الحبوب تتلفها القوارض والحشرات والطيور ، وقلة وسائل النقل ، وضعف القدرة الشرائية لدى جماهير الهنود ، تؤلف جيعاً أسباب الجاعات الحبملة الوقوع دائماً . ومع هذا تتزايد مقادير الحبوب المتوفرة بسبب ارتفاع المردود وتوسع المساحات ، وقد بلغ إنتاج شعير الرز ٨٧ مليون طن في الجبوب المتوفرة بسبب ارتفاع المردود وتوسع المساحات ، وقد بلغ إنتاج شعير الرز ٨٧ مليون طن في طن ، وفضلاً عن الأصناف الحلية من القمح القاسي المتوائمة مع الجفاف في الزراعة الشتوية ذات المردود الضعيف ، فقد حلت في البنجاب أصناف طرية مختارة ، تعطي بعد الري ٢٠ كنتالاً بالهكتار ، وهي أرقام قياسية عالمية .

ል ል ል

تؤمن الزراعة الاستهلاك الذاتي في القسم الأعظم من الهند ، أي من أجل غذاء وكساء العائلات الفلاحية ، والتي يكون الفائض الذي يدخل الدارة التجارية منها هزيلا . ولكن المستغلين في المناطق الأخرى ، ولا سيا أغناهم بالأرض ، يارسون زراعات البيع cach-crops من أجل الصناعة والتصدير . وقد شجع البريطانيون ، أو فرضوا أحيانا ، هذه الزراعات التي تأتي في رأسها زراعة النباتات النسيجية ، كالقطن ، والجوت ، وقصب السكر ، وفستق العبيد ، ولكن لم تكن زراعة وحيدة ، إلا بالنسبة لمزارع آسام (شاي) وكيرالا (هيڤيا وشاي) في مناطق تلال أو جبال .



إحصائيات الحاصيل التجارية (النقدية) في الاتحاد الهندي آلاف الأطنان ١٩٥٧ ١٩٧٧ ١٩٦٧ ١٩٧٧ ٢٠٤٠ ٢٣٢٩ ٢٠٤٠

٧٨٥٥	0779	7777	4.5.	سكر القصب
77	3.45	۱۳۷٥	2779	فستق العبيد
177.	110.	1107	110	قطن (ألياف)
120.	1777	1127	727	جوت (ألياف)
171	1.5	٧٨	77	قهوة
070	٥٦٥	٣٨٣	7.7	شاي
10.	101	77	71	مطاط

أسس الصناعة في الاتحاد الهندي

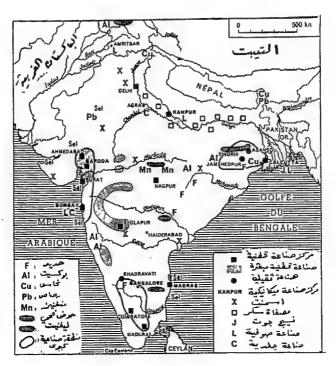
على الرغ من شهرة الهند قدياً بمنسوجاتها الحرفية التقليدية ، مثل أقشة مدراس وكاليكوت والكشميري (الشال) فقد اضطرت البلاد ، بموجب « العقد الاستعاري » إلى تقديم القطن الخام إلى مصانع لانكشاير في بريطانيا . غير أن الهند الإنكليزية ، شهدت مع ذلك بداية تصنيع . فقبل عام ١٨٧٠ كانت مناجم الفحم في دامودار ، ومصانع الجوت في كلكتا ، والتي أنشأها الأيقوسيون ، والصناعة القطنية في بومباي والتي كانت في أيدي أثرياء الجائيين أو المجوس . وقد تمكن الجوسي (تاتا) في ١٩١١ أن ينشئ صناعة الحديد الهندية في مدينة جمشدبور الصناعية قرب كلكتا . ولكن ظلت الصناعة الحديثة بعد الاستقلال محدودة تقريباً بصناعة الغزل والنسيج .

وحصلت بعد ذلك التاريخ نجاحات حقيقية . فقد تضاعف إنتاج الفحم

الحجري ثلاث مرات منذ ١٩٥٠ ، مثلما زاد إنتاج الفولاذ سبع مرات ، هذا رغم ضعف الإنتاجية والتنظيم الهزيل . ويتألف رؤساء المؤسسات الصناعية من رجال المال ، الذين يميلون لاكتناز المال أو توظيفه في المضاربات العقارية أكثر من استثاره في الصناعة . ويجد وكلاؤهم المهندسين الأكفاء ، ولكنهم يستأجرون من المتعهدين « المقاولين » مستخدمين ناقصي التدريب أو كثيري من التعهدين « المقاولين » مستخدمين ناقصي التدريب أو كثيري التغيب ، أو يجلبون شغيلة من أبناء قبائل شبه جزيرة الدكن الذين يقبلون بأجور البؤساء . وإلى جانب الشركات المؤمة ، تفرض التروستات العائلية وجودها مثل شركات بيرلا إخوان التي تملك ٢٩١ مشروعاً صناعياً في قطاعات عاية في التنوع ، ومؤسسات تاتا وأولاده ، والتي يعمل في مصانعها ١٢٠٠٠٠ مستخدم في مدينة جمشدبور ، والتي تهم بالصناعة الحديدية والميكانيكية . وكذلك في المشاريع المتعددة ، الشديدة التبعثر جغرافياً ، كالصناعات الكياوية والمواد الدسمة ، والمنسوجات وصناعة السينا أو الصناعة الفندقية ، أي تقدم صورة مصغرة عن شركة ميتسوييشي « المعينات الثلاثة » اليابانية التي تنتج الشاحنات وصانع تعليب الأساك وسفن الصيد في أعالي البحار الخ (شكل ٩ و ١٠) . . . ومصانع تعليب الأساك وسفن الصيد في أعالي البحار الخ (شكل ٩ و ١٠) . . .

وتقوم وسائط النقل على شبكة خطوط حديدية لا بأس بكثافتها ، يعود ظهورها لأوّل مرة لشهر نيسان ١٨٥٣ تمتد على ١٠٠٠ كيلومتر ، وتحقق ٨٠٪ من نقليات البضائع أو ٢٢٠ مليون / طن و٧٪ من نقل المسافرين أو ٣٦١٢ مليون مسافر في عام ١٩٨١ ويعمل فيها ٣٦٠٠٠ موظف وفني وعامل . وتسير على الطرق عربات تجرها الثيران أكثر من الشاحنات ، ولا تكون الملاحة الداخلية على نهري الغانج وبراهما بوترا نشيطة . وتستغل الخطوط الجوية الهندية خطوطاً دولية أكثر بكثير من نشاطها الداخلي . ولدى الهند

أسطول تجاري جديد حمولته ٥ ملايين طنه (١) يرفع الراية الهندية ، غير أن حركة الموانئ الإجمالية لا تزيد عن ٨٠ مليون طن .



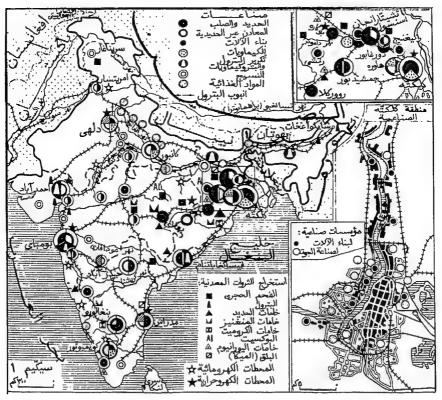
الشكل ٩ الثروات المعدنية والصناعات الرئيسية في الاتحاد الهندي

أما الهند التي تنتج ٩٠ مليون طن معادل بترول «طمب » وتستهلك ١٠٥ فتعتبر فقيرة بمصادر الطاقة . فالفحم فيها من نوعية رديئة ويوجد في الشمال الشرقي من شبه الجزيرة ، ولكن إنتاجه الذي ارتفع إلى ١٠٥ ملايين طن بين فحم وليغنيت في ١٩٧٨ و ١١٤ مليون طن في ١٩٨١ لا يساير ارتفاع الطلب . هذا وتكون احتياطيات النفط والغاز محدودة . فهناك حقول

⁽١) طنة مقياس دولي لسعة السفن يعادل ٢,٨٣ متر مكعب .

نفط آسّام التي تتصل بواسطة أنبوب بمصفاة باروني Barauni على نهر الغانج ، ومكامن كجرات والآبار البحرية تجاه ساحل بومباي ، والتي تبدو واعدة أكثر من سواها . وقد أنتجت الهند في عام ١٩٨١ مقدار ١٥ مليون طن من النفط مما يغطي ٤٠٪ من حاجاتها ، والتي تحاول الهند تقليصها إراديا ، وتمثل مشترياتها من البترول ولا سيا من إيران ٣٠٪ من مجمل استيرادها مقابل ١٠٪ فقط في عام ١٩٧٣ .

وتنتج المراكز الحرارية ٦٠٪ من الكهرباء أو ١٠١ مليارك و س أي أقل من



الشكل ١٠

صناعة الهند

ثلث إنتاج كندا التي يقل سكانها عن سكان الهند ٢٠ مرة . وهناك الكثير من القرى التي تنتظر الكهربة ، ولا يزيد الاستهلاك الفردي في الهند من الكهرباء في العام عن ١٥٠ ك و س مقابل ١٤٣٦٢ ك و س لكل فرد كندي . ولما كان معدل استهلاك الفرد الهندي من الطاقة من معادل الفحم ، يساوي ٢٢٥ كغم فهو يم عن تخلفها الصارخ ، لأن استهلاك الفرد الياباني يبلغ ٤٢٥٠ في العام أو ١٩ ضعفاً .

4 4 4

لقد أورث البريطانيون الاتحاد الهندي شبكة خطوط حديدية ، تعتبر شاذة في قطر مستعمر ، ولا زالت هذه الشبكة بعد تأميها تحوم حول مثلث كلكتا بومباي دلهي . وقد تمت كهربة أكثر الخطوط ازدحاماً (صورة رقم ٦) أو أقلها ربحاً . أما الموافئ البحرية فقليلة العدد ورديئة التجهيز ، ولهذا لا تكون قادرة على تحقيق المبادلات الدولية ضن شروط طيبة ، ولا سيا بالنسبة للواد التي لا يكن نقلها إلا بحراً . وأكبر ميناء وهو بومباي لا يزيد نشاط حركته عن ١٨ مليون طن من البضائع منها ١٢ مليون للاستيراد بين نقط وقم .

쇼 쇼 쇼

وتملك الهند مكامن واسعة من الفحم الدهني والليغنيت على شكل عروق سميكة غير متأثرة كثيراً بالحركات التكتونية ، وعلى عمق قريب . ولكن عيبها هو وقوعها غالباً في الشهال الشرقي من شبه الجزيرة وتقديمها وقوداً رديء النوعية ، كثير الرماد ، وضعيف القيمة الحرارية ، ويصعب تحويله إلى فحم كوك ، باستثناء فحم دامودار ، ولكن يصلح استماله في المراكز الحرارية . ويتألف عمال المناجم من فلاحين يعودون صيفاً إلى حقولهم ، والاستخراج قليل المكننة لأن الإنسان أرخص كلفة من الآلة .

☆ ☆ ☆

هذا ولم يتكشّف التنقيب البترولي عن أكثر من جيوب صغيرة . ولا تكون جيولوجية البلاد مشجعة بسبب شدة اتساع ترس shield الدكن القديم . ولكن البحث في عرض البحر قد يخبئ بعض المفاجآت . ويتناسب التكرير الذي تبلغ طاقته ٢٦ مليون طن ، والذي يمالج خامات نفط الشرق الأوسط ، مع الحاجات الوطنية . وتكون معامل التكرير الساحلية في أيدي مجموعات أجنبية مثل شركة شل وشركة كالتكس . ويعتبر اقتصاد الهند من أكثر أمثاله تأثراً بارتفاع سعر « الفاتورة النفطية» بعد عام ١٩٧٣ .

وتبدو الطاقة الهيدروليكية الكامنة ضخمة ، ولكنها تشكو من عدم انتظام الأمطار الفصلي الذي يجبر على بناء سدود تخزينية عالية الكلفة . وتعمل المراكز الواقعة في جبال الغات ، عند أقدام هذه السلسلة ، اعتاداً على مياه مخزونة إلى الخلف منها . وتقع أكبر المراكز الكهرمائية في الشال الشرق من شبه الجزيرة ، مثل هيراكود ، جنوب غرب كلكتا ، وعند أفواه الخوانق الهيالائية ، كا في بهاكرا نانغال ، وتستخدم كذلك للري . أما المراكز التي تعمل على فحم الليغنيت ، مثل نيڤلي ، قرب مدراس ، وعلى الفحم في دامودار ، أو على الفويل كا في بومباي ، فتعمل بصورة أكثر انتظاماً . وتعتبر الهند أول دولة بين دول العالم الثالث تملك مراكز كهربائية نووية ، شالي بومباي ، ولكن لا تستمد من هذا من الطاقة سوى ٣٪ من كهربائها .



صورة (١)

قطار الحجاج إلى بنارس ، قرب إيندور (وادي ناربادا) ويحب الهندي السفر بالقطار وتتعرض القطارات إلى ازدحام رهيب وفوضي تميز العالم المتخلف

الاتحاد الهندي: دولة صناعية عظمى مستقبلية

إن الهند التي تحوي على هضبة الدكن ، إنما تملك ترساً قديماً جيد التمعدن (١) فهي تضم مليارات من أطنان خامات الحديد العالية المحتوى ، والتي أمكن تقديرها في الشمال الشرقي بين دامودار وناغبور ، وكذلك في غوا ، على الساحل الغربي . ويصدر نصف الفلزات المستخرجة بصورة رئيسية نحو اليابان ، أما الباقي فتستهلكه الصناعة الحديدية الهندية . هذا كا يستخرج من المناطق المذكورة ذاتها المنغنيز والبوكسيت الذي يشكل مخزونات ضخمة . وتستغل الهند أيضاً الإيلينيت ، وهو خام التيتان ، من منطقة كيرالا ، والرصاص والزنك من راجستان .

غير أن مصاعب النقل والافتقار إلى رؤوس الأموال تكبح من تطور الصناعات الاستخراجية مثلما تعيق تطوير الصناعة الحديدية . وهناك مؤسسة قومية تعمل على تسيير مصانع الفولاذ المنضة ، التي قامت منذ حوالي ربع قرن فوق مناجم الفحم الحجري في دامودار أو حول « الحزام الحديدي » ، الذي ير من دورغابور بمعونة بريطانية ، وفي بوركلا بمساعدة ألمانية ، وفي بهيلائي وثم في بوكارو بدع سوڤياتي ، وهناك مصنع ساحلي قيد الإنشاء في ميناء ڤيزاغاباتام يقوم بفضل المال والخبرة اليابانيين . وقد سكبت صناعة الحديد الهندية ١٠٠٥ ملايين طن من الفولاذ في ١٩٨١ ولكن الاستهلاك الفردي من هذا المعدن لا يزيد عن ١٥ كغم مقابل طن واحد للفرد في بلجيكا .

⁽١) كلمة ترس أو مجن تقابل كلمة shield بالإنكليزية و bouclier بالفرنسية ، وهنـ اك خطـ أ دارج وشنيع في الترجة ، لأن ترجمتها بكلمة درع يدل على جهل عميق بالمدلول الأجنبي والعربي .

وتتفوق الصناعة النسيجية دوماً من حيث عدد العاملين فيها ، وتمثل عشر قية الصادارات ، وتحتكر كلكتا صناعة نسج الجوت التي تنتج ، من الصناعة العالمية لمنسوجات الجوت والأكياس والتي تتعرض للمنافسة بفعل ظهور طرائق أخرى للتغليف والتعبئة مثل أكياس « غرارات » خيوط النايلون ؛ المستعملة في تعبئة الدقيق وسواه من السلع . هذا وتتبوأ الحند المرتبة الرابعة العالمية في صناعة الأقطان ، ولا تزال المراكز الكبرى واقعة في بومباي وأحمد آباد . غير أن الصناعة القطنية ولا سيا النسيجية ، التي هي حرفية ، تظل غالباً مبعثرة في مناطق زراعة القطن على الخصوص . وأمام قلة الأقطان المحلية ، فقد اضطرت هذه الصناعة إلى أن تدمج في أقشتها قطناً مستورداً بمقادير متزايدة ، أو خيوطاً اصطناعية . كا أن عليها أن تجابه في الأسواق الخارجية منافسة هونغ كونغ أو منافسة الباكستان .

أما الصناعات الخفيفة الاستهلاكية الأخرى ، فتكون على العكس في عنفوان تطورها : فتصنع الهند الدراجات ، وماكنات الخياطة ، وأجهزة الراديو وتأتي في رأس دول الجنوب في هذا المضار ، ومبيدات الخشرات ، والمضادات للحيويات أو للعطور . أما بالنسبة لسلع التجهيز ؛ فإن شراء براءات الاختراع ، أو الاشتراك مع شركات أخرى منتجة أجنبية ، يكون ضروريا . ولكن الهند تجاوزت مرحلة التجميع بإنشائها صناعة سيارات يقارب إنتاجها ١٠٠٠٠٠ سيارة ، وتبني آلات الخطوط الحديدية ، مثلما تبيع مكائن صانعة ذات تكنولوجية بسيطة .

ولا تزال الصناعة الهندية إلى جانب الصناعة الحرفية ، عاجزة عن تأمين العمل لأكثر من ١٢٪ من الأيدي العاملة . وهي تشكو من مظاهر قصور كقدم آلاتها ، ومن توزع جغرافي غير متوازن . وتقع الصناعات الثقيلة في معظمها في الشمال الشرقي ، حيث يوجد حوض

دامودار الذي يلقب « الرور الهندي » مثلما نجد مشاهد الاكتشافات المنجمية ومعسكرات العال في قلب الغابة الكثيفة في نطاق التيرائي ، أي في السفوح الدنيا لجبال هيالايا . وإذا استثنينا البنجاب ، حيث تقوم بعض الورشات الصناعية الريفية : كصناعة الآلات والأصواف أو راحات كرة المضرب « تينيس » ، فإن المصانع تقع في بعض المدن ذات التقاليد الصناعية مثل كانبور ، أحمد آباد ، بانغالور ، غربي مدراس ، والتي هي مركز الصناعات الدقيقة ، ولا سياحول بومباي وكلكتا .

4 4 4

الصناعة النسيجية : تحتل الصناعات النسيجية الهندية ، التي هي وريثة تقاليد قديمة جداً ، والتي تدعمها دوماً صناعة حرفية نشيطة ، تحتل من حيث حجم إنتاجها المرتبة الرابعة في العالم بعد الصين والاتحاد السوثييتي والولايات المتحدة ، وتتقدم على اليابان ، مثلما تحتل المرتبة الأولى في ميدان الصادرات بلا منازع ، وخاصة الأقشة القطنية وأقشة الجوت . ويكون توزع هذه الصناعات جغرافياً خاضعاً بصورة متفاوتة لاعتبارات قرب المواد الأولية ، مثل الجوت في البنغال ، والقطن في الدكن أو في البنجاب ، والأصواف في هيالايا كا في كشير .

غير أن استرار الصناعة الحرفية يطرح عدداً لا بأس به من المشكلات . وفي مقدمتها مشكلة بقائها على مدى الزمن . ويكن تفسير ذلك بالحاية الجغرافية التي تلعب دورها بالنسبة لبعض السلع الثفيلة الوزن ، كالخزفيات ، وبقاء الأذواق التقليدية ، التي تأخذ الصناعة الحرفية على عاتقها مهمة إرضائها كالمجوهرات والحلي . ويعمل تمثل التقنيات الجديدة ، في بعض الحالات ، على دع الصناعة الحرفية : كاستخدام صناعة الألبسة مكائن الخياطة . غير أن العامل الجوهري في بقائها يبدو كامناً في ظاهرة نقص الاستخدام التي تسمح ببقاء الأجور المنخفضة ، واستغلال الأولاد من جانب البالغين ، وعدم استرارية العمل ، وهكذا ندرك كيف تستطيع الصناعة الحرفية البقاء على قيد الحياة ، وأن تظهر ناجعة جداً أحياناً باعتبارها مؤسسة قائمة . في حين أن العال الحرفيين يشكون أشد أنواع الإملاق .

عن ج دو پوي . « آسيا الجنوبية »

نشر ۱۹۹۹ ، ۱۹۹۹

إحصائيات آلاف الأطنان

غزول الجوت	غزول القطن		
٧X	٧٦٠	1104	المند
118.	A10	1177	بنغلادش
1.00	AEY	1144	باكستان
٥٤٠	**		
	YAA		

☆ ☆ ☆

تتحدد مواقع الصناعة الثقيلة بوجود المواد الأولية ، ومصادر الطاقة ، وتقع كل مركبات صناعة الحديد الكبرى في الشال الشرقي من شبه الجزيرة ، ولمذا يكون نقل الفولاذ نحو بومباي والبنجاب أو الجنوب ، بواسطة قطارات مزدحة بطيئاً وعالي التكلفة .

ولدى الهند صناعة ألمنيوم تنتج حوالي ٢٠٠٠٠٠ طن ، ومركبات صناعية كياوية تنتج الأسمدة الآزوتية فوق مناجم فحم دامودار أو فحم ليغنيت حوض نيڤيلي Neiveli ، وبجوار المراكز الكهرمائية أو مصافي النفط . وإذا قارنا مستوى الصناعات الثقيلة مع الإنتاج الفرنسي وجدناه لا يزال متواضعاً لأن الهند تنتج 20% من إنتاج فرنسا من الفولاذ ، وثلث إنتاج فرنسا من الأسمدة أو ٦ ملايين طن ، وثلث الإسمنت الفرنسي البالغ ٢٠ مليون طن .

إحصائيات ملايين الأطنان

	حام العديد		
الفولاذ	(محتوى من الحديد)	وليغنيت	قحم
٥,,١	1,1	۲۲,۸	110.
٣,٣	٦,٩	٥٢,٧	117-
۲,۲	14,7	٧٧,٨	114
_	77,7	-	1977
_	۲۲,۱	1.0,1	1474

غام الحرين

الاتحاد الهندي: في طريقه إلى التنبية

لقد كان على الاتحاد الهندي ، حسب قول مؤسسه جواهر لال نهرو ، أن يبني اقتصاداً حديثاً ومجتمعاً اشتراكياً « بصورة منسجمة مع عبقرية الشعب الهندي خاصة » . وتشرف الدولة على القطاعات الحساسة : الطاقة ، المواصلات والنقل ، الصناعات الأساسية والتجهيز ، ولكنها تتفاوض على أهداف الخطة مع شركاء اجتاعيين ، أي مع أرباب العمل والنقابات . وترمي المخططات الخسية ، وهي مؤشرات وليست ملزمات ، إلى زيادة الدخل القومي ، وتقليص الفوارق الاجتاعية ، وعلى الخصوص منح البلاد الاستقلال الاقتصادي .

وكان الخطط الأول ١٩٥١ - ١٩٥٥ ، يتحور حول المشاريع الهيدروليكية ، وقد كان عبارة عن نصف نجاح ، أما الثاني ١٩٥٦ - ٦١ فقد عمل على تنية الصناعة الثقيلة ولكن دون أن يحقق أهدافه . وقد سام تعاقب المواسم النزراعية الرديئة ، وعبء النفقات العسكرية ، والتنافس بين الولايات ، والاندفاع الديموغرافي ، على كبح النمو ، الذي كان في حد ذاته بطيئاً وغير منتظم . ومنذ ثلاثين عاماً ارتفع الدخل المتوسط للفرد الهندي بحوالي الثلث ، أو بعدل دولار واحد في السنة ، ليبلغ ١٧٠ دولاراً . في حين تضاعف الدخل الفردي في أقطار أوربا الغربية أكثر من ثلاث مرات في نفس الفترة ليصل وسطياً إلى ٥٠٠٠ دولار ، وهذا على الرغ المساعدات والهبات الغذائية الوافدة من الغرب والشرق ، بحسبان الهند زعية دول العالم الثالث ومن المؤسسين لكتلة دول عدم الاغياز .

ولايزال الناتج القومي الخام PNB ، الذي تقدم الزراعة ٤٦ % منه دون _ ٤٩٣ _

مثيله في اسبانيا! أما بالنسبة للفرد الواحد ، فلا يزيد عن ١٧٠ دولار كا ذكرنا ، ومنذ ١٩٠٠ لايزيد الارتفاع السنوي لهذا المعدل وسطياً عن ٠,٠ ٪ وإذا كان الاتحاد الهندي لا يغطس في مستنقع الفقر أكثر ماهو عليه ، مثل بنغلادش ، أو السودان وسواها من دول العالم الخامس ، فإن الاتحاد الهندي يظل النموذج الأمثل لقطر فقير في طريقه إلى التنمية .

ومع ذلك يعبّر تنوع المبادلات التجارية عن تقدم اقتصادي . فقبل ٢٠ سنة كانت نسبة صادراتها من المنتجات الزراعية ومن تربية الماشية تعادل ٢٠ كانت نسبة صادراتها من المنتجات الجاهزة ٣٥ ٪ . وكان الشاي والجوت والقطن لوحدها والتي كانت تصدر بحالة خام أو مصنّعة تمثل حينذاك ٥٥ ٪ من الصادرات . أما الآن فإن قية المكائن المصدّرة يعادل صادرات المنسوجات ، كا أن الفولاذ أصبح مساوياً لخامات الحديد من حيث القية في ميزان الصادرات . ولاتزال المند تشتري دوماً سلع التجهيز بنسبة ٢٠ ٪ والحبوب ، وكذلك المواد الأولية ، ولاسيا النفط والذي أصبح يعادل ٣٠ ٪ من قية استيرادها رغ التخفيضات التي منحتها إياها الدول العربية المصدرة للنفط . ويعاني ميزان المبادلات عجزاً خفيفاً ، ولكنه يتعوض بمصروفات السواح الأجانب المبادلات عجزاً خفيفاً ، ولكنه يتعوض بمصروفات السواح الأجانب وتحويلات الشغيلة المهاجرين والمعونة الدولية .

وفي خلال المخططين الأوليين كان ٢٠ ٪ من الاستثمارات تأتي من العون الخارجي كا كان الاتحاد السوڤيتي عنح الهند الحيادية أكثر مما كان يعطي للصين الشيوعية . وبعدئذ تشكل « نادي معونة الهند » الذي سمح لها بتخفيف أزمتها الغذائية وبتجهيز نفسها . وفي كل عام تتلقى الهند ما يعادل ٢ ٪ من ناتجها القومي الخام على شكل هبات وقروض ، حتى أن فوائد الدين الخارجي تمتص القومي الخام على شكل هبات وقروض ، حتى أن فوائد الدين الخارجي تمتص ٢٠ ٪ من قية صادراتها ، . وقد كان هذا الدع الخارجي مفيداً لاقتصادها ففي خلال الخطط السادس ١٩٧٨ ـ ١٩٨٣ ، ترمى الهند إلى أن توظف كل سنة ١٦ ٪

من ناتجها القومي الخام ، ولاسيا من أجل تحسين إنتاجيتها الزراعية ولتشجيع صناعاتها الريفية .

상 상 상

منظر من أحد شوارع كلكتا: لقد اجتذبت بداية التصنيع العديد من الريفيين باتجاه المدن بعثاً عن عمل عمل . بيد أن التجهيزات العمرانية تعجز عن الاستجابة لمثل هذا التدفق البشري . ففي كلكتا التي يقدر عدد سكانها بين ٧ أو ١٢ مليوناً ، فإن الأحياء الجهزة بالمياه الجارية ومجاري المياه الوسخة ، لاتحوي أكثر من مليون نسمة . وفي المدن الهندية حوالي ١٠ ملايين رجل بلا عمل منتظم ، في حين يرتفع عدد هؤلاء في الريف إلى ٥٠ مليون . وهكذا ندرك أن الهند لاتتخلص من فقرها المدقع إلا بصورة بطيئة جداً ، كا يبدو أن مسيرتها نحو الحياة الأفضل ستكون طويلة جداً ، وربحا دون منفذ نجاة عمل إذا لم تجد المشكلة الديوغرافية حلاً ناجعاً كا فعلت الصين في ١٩٨١ إذ لم تسمح للأسرة الواحدة بأكثر من مولود واحد .

تم طبيعة المبادلات الخارجية عن قطر يسير في اتجاه التصنيع السريع . فقد أصبح أكثر من نصف الصادرات عبارة عن منتجات مصنعة ، كسلع الاستهلاك ٣٧ ٪ ، وسلع التجهيز ١٧ ٪ مقابل ٢٢ ٪ للمواد الأولية و ٢٢ ٪ للمنتجات الغذائية . وليس بعيداً عن الهند أن تعادل مشترياتها وبين مبيعاتها من المواد التجهيزية ، كأن تبيع مصانع « مفتاح باليد » ، كمصانع السكر مثلاً من بلاد العالم الثالث . وتبدو الهند بالموازنة مع جارتيها المسلمتين ، الباكستان ، وبنغلاد ، والمند في تنويع عملائها التجاريين . فقد أصبحت إنكلترا ، وهي الدولة المستعمرة السابقة ، تأتي بعد اليابان التي تشتري القسم الأعظم من الخامات المعدنية ، والولايات المتحدة وحتى الاتحاد السوڤيتي الذي أصبح أول زبون للشاي الهندي .

الطفل الهندي: يمكن تصنيف الاتحاد الهندي، بين أمم العالم الثالث، على أنه يدخل في الأمم « الطافية émergente » نظراً لنجاح صناعاته ولمستواه التكنولوجي. ولكن إذا أخذنا بعين الاعتبار فقره الجماهيري أو شدة فوارقه الاجتماعية، والأمية المستفحلة، وسوء التغذية، ووضع المرأة المتدني، ووضع الأطفال، فهو يظل دوماً أمة « كادحة » وأكثر الأمم الفقيرة سكاناً.

وفي الهند ١٦,٥ مليون طفل يعملون في شروط وأوضاع لا إنسانية . فهناك مجموعة مصانع عيدان الثقاب(١) تستخدم مابين ٢٠٠٠٠ و ٢٨٠٠٠ طفل ، لاتتجاوز أعمار بعضهم خسة أعوام ، والذين يعملون من الساعة ٣ صباحاً حتى الساعة ١٦ ليلاً .

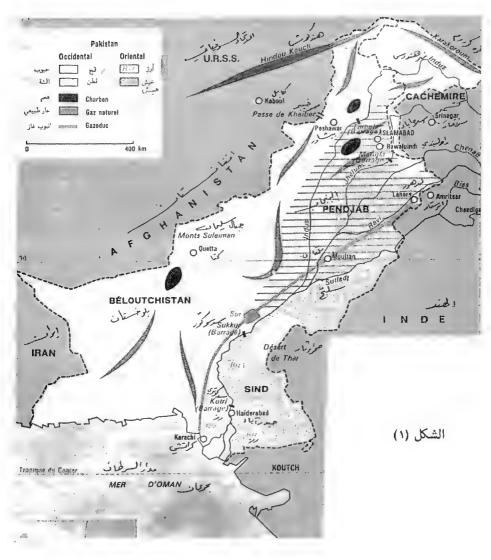
⁽١) أو الكبريت في بلاد الشام ، والشخاط في العراق ، والوقيد في المغرب العربي

الباكستان

إنها دولة قامت على أساس ديني بحت ، فقد تطلّع شاعر كبير هو (محمد إقبال) في عام ١٩٣٠ ، إلى إنشاء دولة إسلامية منفصلة عن الهند ، دولة تتحدى الجغرافيا والاعتبارات الاقتصادية . وقد نشأت باكستان فعلاً نتيجة رغبة عدد قليل من الرجال السياسيين ، فكان أبوها زعم الرابطة الإسلامية (محمد جنّه) . وتكون باكستان التي هي دولة إسلامية ، أي دولة الأطهار ، لأن كلمة باك بالفارسية تعني الطاهر ، شديدة التعلق بالإسلام ، ويذكرنا علمها المؤلف من هلال ونجمة بيضاء ، فوق أرضية خضراء ، بالأصول الدينية وبيقظة الإسلام في آن واحد ، والتي تخصّ جزءاً من عالمنا الحالي ، هذا كا تحتفظ الباكستان بالتقاليد العسكرية الإنكليزية ، مثلما تبقى اللغة الإنكليزية هي اللغة الرسمية تقريباً .

وعاصمة هذه الدولة إسلام آباد ، وهي مدينة حديثة ، قامت في ١٩٦١ في شمال غرب البلاد يسكنها ١٠٠٠٠٠ نسمة ، قرب بلدة راولبندي العسكرية التي تحوي ٧٥٠٠٠٠ نسمة . ولكلمة باكستان مدلول جغرافي وسياسي في الوقت ذاته . فقد اقتبست حروفها من أسماء بعض مناطق ، كان يطمح مؤسسو هذه الدولة الفتية إلى توحدها . فكلمة ب = تعني بنجاب وآ = أفغانستان وك = كشمير ، و س = السند ، و تان = المقطع الأخير من كلمة بلوتشيستان . ولكن أفغانستان وكشمير ، ظلتا في خارج الحدود الحالية لجمهورية باكستان . كا عملت الهند على فصل جناحها الشرقي الذي كان يدعى باكستان الشرقية فظهرت دولة فقيرة جديدة هي بنغلادش .

الباكستان بلاد القمح والقطن: وكان يسكنها ٤٦ مليون نسمة في ١٩٦٨ ، وارتفع عددهم إلى ٧٢,٣٧ مليون في ١٩٧٦ وإلى ٧٦,٨ في ١٩٧٧ . و بالتأكيد أكثر من ٨٤ مليوناً في ١٩٨٢ . وتنتسب مشاهدها الجغرافية إلى الهنيد الغربية الجافة ، أو بالأحرى إلى أقطار الشرق الأدنى مثل إيران والعراق . ويسود فيها كبار الملاكين ، الذي يعيشون على حساب صغار الفلاحين والشركاء . و يجعل تضريسها منها ، ثغراً حدودياً حقيقياً . فتنتصب حيال عالية في الشال وفي الغرب ، تمثل بسلسلة هندكوش ، وجبال سلمان ، وسلاسل ببلوتشبستان (شكل ١) ، والتي تعمل جميعاً على حماية الباكستان . ولكن هناك مرات عديدة ، مثل ممر خيم الذي تحرسه مدينة بيشاور ٣٥٠٠٠٠ نسمة ومركيتا ، تجتازها طرق سحيقة تقود إلى الاتحـاد السوفيتي ، وإلى أفغانستـان وإلى إيران . و يعيش بجوار هذه البوابات الشالية الغربية ، قبائل متنوعة حتى أن بعض القرى الحصينة هناك ، تختص بصناعة الأسلحة الخفيفة . ويؤدى ابتعاد الحيط ، ووجود ضغوط عالية شبه مدارية خلال القسم الأعظم من العام من باكستان منطقة قاحلة ، فالأمطار لا تزيد عن ٥٠٠ مم إلا في بعض المناطق الحدودة وكثيراً ما تقل عن ٢٠٠ مم ، وهكذا لا تنجو الباكستان من الصحراء إلا بفضل الأنهار الوافدة من هيالايا ، إذن هي هبة نهر الهندوس وروافده ، مثلما كانت مصر ولا تزال هبة النيل . ولقد أدمج القسم الأعظم من البنجاب ضمن الدولة الجديدة ، والذي يؤلف أغني أرض زراعية أو « لومبارديا المدارية » ، والبنجاب هو بلاد الأنهار الخسة الرافدة لنهر الهندوس . ولقد شكلت مخاريط انصبابها بيبونت حقيقياً ، نتيجة تلاحها ، عتد إلى الجنوب من هيالايا . ولقد استطاعت منظومة هائلة من قنوات الري ، أنشأها الإنكليز إبّان حكهم ، أن تحوّل مياه الأنهار الجبلية نحو الفواصل النهرية الفسيحة (شكل ٢) ، مما سمح بريّ خسة ملايين هكتار . وينتج البنجاب القمح والدخن والقطن والبذور الزيتية



اقتصاديات الباكستان

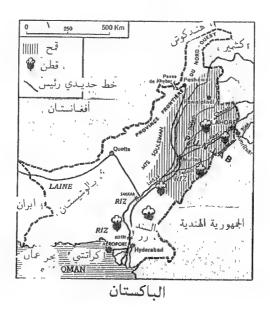
كالسمسم وقصب السكر ، أي ما يكفي لتغذية ٧٠ مليون نسمة من السكان . غير أن مفتاح منظومة الري برغبات الدولة المجاورة .



الشكل ٢

وتضم مدينة لاهور التي أصبحت مدينة حدودية ، قرابة ٢,٥ مليون نسمة ، وهي أكبر سوق في البنجاب الباكستاني ، وهي أكبر مركز ثقافي إسلامي ، وغنية بالأبنية الأثرية التي شيّدها أباطرة المنغول المسلمون . أما في الجنوب فتكون بلوشيستان ، والسند عبارة عن صحارى حقيقية رملية ، تتجول فيها قطعان الجمال والأغنام بحثاً عن كلاً هزيل . وتقوم في بلوشيستان قنوات باطنية ، تجمع مياه الجبال ، وتقوم عليها بعض الواحات . أما في السند ، فقد سمح سد سوكور (شكل ٣) ، الذي أضيف إليه سد كوتري أن يروي مساحة تعادل أرض مصر الزراعية ، تقوم عليها زراعة الرز والقطن . أما دلتا نهر السند فلا زال رقعة خاوية . وقد تحول ميناء الصيد في كراتشي الذي يسكنه ٤ ملايين نسمة ، إلى ميناء كبير لتصدير القمح والقطن في القرن الماضي ، ويقوم فيه حالياً

بازار شرقي كبير فضلا عن مرسى بحري كبير وميناء جوي . وبعد أن كانت هذه المدينة عاصمة موقتة بعد ١٩٤٧ تضخمت بسبب تدفق اللاجئين . ومن المدن الشهيرة في البلاد : ملتان الواقعة في البنجاب ، ويقطنها ٢٠٠٠٠٠ نسمة وحيدر آباد في شمال كراتشي وفيها ٧٥٠٠٠٠ نسمة وليالپور وفيها ١٠٠٠٠٠ نسمة وباوالبور . هذا وتعتبر اللغة الأوردية اللغة القومية ويؤلف المسلمون ٩٧٪ من السكان ، ولا تزيد نسبة النصارى عن ١٠٣٪ .



الشكل ٣

وتعاني الباكستان بصفتها دولة متخلفة من الأمية ، التي بلغت نسبتها ٨٠٪ في ١٩٥١ وتبلغ حالياً ٧٠٪ ، مثلها تعاني من مشكلة السيخ الذين يقارب عددهم ١٩٥١ مليون ، ولا يتحملون حكم دولة الباكستان بسهولة . وهناك الباتان وهم قبائل تنتسب إلى الأفغانيين ، وظلوا حتى عام ١٩٧٧ يحاولون الإنضام إلى أفغانستان المجاورة . ولما كانت الباكستان تتمتع بوضع استراتيجي عند ملتقى

العالم الإسلامي مع آسيا الوسطى السوڤياتية أي التركستان ، وآسيا الصينية ، والعالم الهندي فهي تكابد من حياة عسيرة ، ولا سيا بعد لجوء ٢,٥ مليون أفغاني إليها بعد أحداث عام ١٩٨٠ وتدخل القوات السوفياتية .

وعلى أثر التقسيم في ١٩٤٧ أصبح اقتصاد الباكستان زراعياً صرفاً لأن مصانع القطن والخبراء أصبحوا في الاتحاد الهندي . هذا ويبلغ إنتاج البلاد من القمح ٤ ملايين طن وقرابة ١٩٥٥ مليون طن من الرز . ولما كان إنتاج القطن الطويل التيلة ، يصل إلى ٤٠٠٠٠٠ طن ، فإن الباكستان تحتل مكانة مرموقة بين الدول المصدرة للقطن ، أي تعادل مصر في إنتاجها كا وتخصص مساحات كبيرة من أراضيها لإنتاج البذور الزيتية كالكولزا و الخردل والحمّص والأشجار المثرة كالفستق في الشال وأخيراً قصب السكر في الجنوب .

هذا وقد حققت هذه الدولة رغم خوض الباكستان حربين ضد الهند ، كانت آخرها في ١٩٧١ والتي تمخضت عن ظهور دولة بنغلادش في مكان باكستان الشرقية ، أقول : حققت بعض النجاحات . فنذ ١٩٥٨ سمح تطبيق الإصلاح الزراعي بالقضاء على الملكيات الكبرى مع تعويض كبار الملاكين لمصلحة الفيلاحين المستأجرين أو الشركاء . وتوسعت الأراضي المروية ، كا أصبح الفلاحون يقومون بأنفسهم باتخاذ التدابير المؤدية لتحسين أوضاعهم . غير أن تبديل العقليات والعادات لا يتم بين عشية وضحاها . وقامت الدولة بوظيفة المتعهد المقاول والصناعي والمخطط ، واستدعت رؤوس الأموال الأجنبية ، التي أصبحت تشكل ٤٠٪ من الاستثمارات الموظفة في البلاد ، حتى أن تسديد القروض الأجنبية عتص ١٠٪ من موارد البلاد من العملة الصعبة .

وأخذت باكستان باستغلال مناجم الملح ، ومكامن الكروم . أما إنتاج الفحم الحجري والنفط فلا يكفي حاجة البلاد ، وإن كان قد حقق بعض التقدم ، فتنتج البلاد ١,٥ مليون طن من الفحم ، وقرابة مليون طن من النفط ،

هذا كا يكثر الغاز الطبيعي في إقلم السند في موقع سوي Sui ، حيث ينطلق منه خط أنابيب ، يتفرع نحو لاهور في الشال الشرقي ، ونحو كراتشي في الجنوب الغربي . وهكذا تعتبر الطاقة الكهرمائية إلى جانب الغاز ، أهم مصادر الطاقة في مستقبل البلاد . وقد قامت مراكز لإنتاج الطاقة الكهرمائية ، ومصانع الغزل والنسيج القطني ، والمنتجات الكياوية وترسانات البناء البحري ، مثلما دخلت مصانع الإسمنت مرحلة الإنتاج . مثلما أنتجت البلاد مقدار 1940 .

وتتجاوز حركة ميناء كراتشي ٥ ملايين طن بالعام . ولكن العجز في التجارة الخارجية يظل من أكثر المشكلات مرارة ، لأن ٨٠٪ من الصادرات تتألف من القطن ، في حين أن ٦٠٪ من المستوردات يتألف من منتجات مصنوعة ، وتنال الباكستان معونة لابأس بها من دول الخليج العربي ، ولا سيأ من المملكة العربية السعودية ومن البنك الإسلامي .

ويتعلق اقتصاد الباكستان بعلاقاتها مع الهند . وقد أمكن التوصل لمعاهدة لاقتسام مياه نهر الهندوس في ١٩٦٠ ، تحتفظ الهند بموجبها بمياه الروافد الثلاثة الشرقية ، في حين تتصرف الباكستان بمياه الأنهار الثلاثة الغربية ، وهي الهندوس وجهلام وشناب ، وتنظمها من أجل الري ولإنتاج الطاقة الكهرمائية .

غير أن تزايد السكان العشوائي ، هو الذي يفسّر تدابير تحديد النسل في بلد إسلامي ، أي تماثل تركيا ومصر وتونس وبنغلادش . ويبدو بقاء وتماسك الباكستان رغم كل ما انتابها باعثاً على الدهشة . وتدين بحياتها بلا ريب لوجود نخبة إدارية وعسكرية ، تشكلت على أيدي البريطانيين . ولكن قبل كل شيء إلى شدة التاسك الذي حققه الإسلام .



بنغلادش

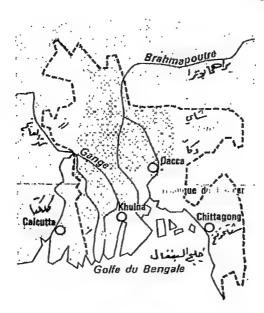
مساحتها ١٤٢٠٠٠ كيلو متر مربع ، وكان عدد سكانها ٥٦ مليون نسمة في ١٩٦٨ و ٨٥ مليون في ١٩٨٧ بحيث تزيد الكثافة عن ١٩٨٨ نسمة في الكيلو متر المربع الواحد .

وهي بلاد رطبة ، ذات أرض منبسطة وخصيبة ، تنتسب في مشاهدها لآسيا الجنوبية الشرقية . وهي تحتل بالواقع القسم الأعظم من أوسع دلتا في العالم ، هو البنغال . وقد قام هنا نهر الغانج وبراهما بوترا بردم منخفض تكتوني بكتلة جسية من لحقيات « طمي وغرين » حديثة وخصيبة . هذا و ينجذب نهر الغانج نحو شرقي الدلتا الأكثر انخفاضاً ، حيث تجنح إلى التلاقي والتلاحم مع براهما بوترا ، بحيث يتخلى في غربي البنغال ، أي في أراضي الاتحاد المندي (شكل ١) ، عن أراض سيئة الصرف ، وحيث تستفحل البرداء « الملاريا » بينما يروي بفيضاناته أراضي بلاد بنغلادش ، التي تخشى اتساع المستنقعات في الشرق ، وتصاعد الملح إلى سطح التربة في الجزء الغربي من البلاد .

هذا وتكون الأمطا غزيرة ومنتظمة ، تبلغ المترين وسطياً في العام ، وتتعرض البلاد لفيضانات الأنهار التي تسمح للفلاحين البنغاليين بالحصول على موسمين من الرز في العام ، وبالقيام بزراعة الجوت في الفصل الرطب ، والذي تستخدم أليافه في صناعة الأكياس والبسط والقلوع .

ولما كان الجوت عثل الزراعة التجارية الكبرى ، فهو الذي يجعل الميزان

التجاري إيجابياً في بنغلادش ، بيد أن جمهورية الهند عمدت بعد تقسيم الهند في التجاري إيجابياً في بنغلادش ، وعلى الجوت في أراضيها وأصبحت منافسة لزراعة الجوت في بنغلادش ، وعلى كل يمثل إنتاج بنغلادش من الجوت ٧٥ ٪ من الحصول العالمي أو أكثر من مليون طن ، وتنتشر مزارع الشاي فوق التلال ، وتبنى البيوت فوق التمر من مليون طن ، وتنتشر مزارع الشاي فوق التلال ، وتبنى البيوت فوق العصيبات اللحقية التي تواكب ضفاف الأنهار ، للتخلص من خاطر الفيضان ، وذلك بين أشجار المانجة والبامبو والأشجار المثرة الأخرى فوق مستوى المستنقع الفسيح المزروع بالرز ، وتمثل الزراعة ٦٠ ٪ من الناتج القومي ويعمل فيها ٧٥ ٪ من السكان العاملين .



الشكل ١

غير أن انطباع الغنى الطبيعي ، يبدو خداعاً ، فالفلاحون شديدو الفقر ويتعلق مصيرهم بأسعار محصول تصديري وحيد هو الجوت .

وتنتج البلاد ما يزيد على ١٢٠٠٠ طن من السكر من القصب .

أما الصناعة الريفية التي كانت مزدهرة في القرن الثامن عشر ، فقد انحطت ويكون محصول الرز أحياناً غير كاف لتغذية سكان تصل كثافتهم في بعض البقاع إلى أكثر من ٧٠٠ نسمة في الكيلو متر المربع ، وتتعرض البلاد للمجاعات بصورة دورية .

هذا ولا تختلف بنغلادش عن شقيقتها الباكستان من حيث ارتفاع نسبة الأميين إذ تصل إلى ٧٥ ٪ كان التقسيم ضاراً جداً بها لأن مصانع غزل الجوت ونسجه كانت تقع في أراضي الجمهورية الهندية ، ولذا يكون مصير زراعته تحت رحمة مصانع كلكتا . وأقامت هذه البلاد خلال وحدتها مع الباكستان مصانع هامة لغزل القطن ونسجه نظراً لرطوبة جو هذه البلاد ، بحيث تغزل من القطن مازنته ٤٠٠٠٠ طن في العام . وقد توسعت المساحات المروية بعد أن قامت شركات تعاونية بتنفيذ مشاريع ضخمة للقطاع العام .

هذا وقد بدأ اكتشاف مكن غاز هام في هذه البلاد ، يقدر احتياطيه بحوالي ٢٠٠ مليار متر مكعب منذ بضعة أعوام ، ودخل مرحلة الاستغلال .

هذا وتعمل الدولة على تحسين تجهيز ميناء شيتا غونغ ، التي يبلغ مقدار سكانها المليونين . أما العاصمة دكّا فيبلغ عدد سكانها ٢,٥ مليون نسمة . كا أقامت بنغلادش ميناء جديداً في خولنا في الغرب ، كي تصبح بنغلادش مستقلة تماماً عن سيطرة كلكتا .

وتصدر البلاد الجوت والشاي والجلود ، وتستورد تجهيزات النقل والحديد والفولاذ والإسمنت . ويؤلف المسلمون ٨٠ ٪ من سكان البلاد ، والهندوس ١٥ ٪ والبوذيون ، والنصارى ٥ ٪ .



أندونيسيا

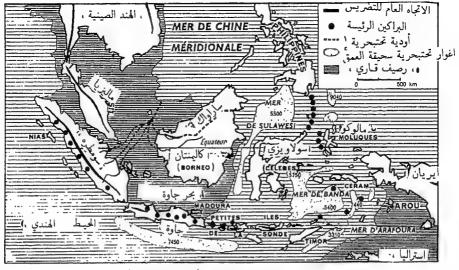
ترتصف على طرفي خط الاستواء ، بين جنوب شرقي آسيا ، وبين القارة الأوسترالية ، وذلك على مسافة تقارب المسافة الواقعة بين نواكشوط ، عاصمة جمهورية موريتانيا الإسلامية ، وبين مسقط ، عاصمة سلطنة بلاد عمان ، أو أكثر من حزر يؤلف مجموعها أوسع أرخبيل من ٥٠٠٠ كيلومتر ، أقول ترتصف قلائد من جزر يؤلف مجموعها أوسع أرخبيل في العالم . وكانت تدعى آنسولند ، أو جزر الصوند . ويقع القسم الأعظم من هذا الأرخبيل تحت سلطة دولة فتية ، ولدت من مستعمرة هولندية شاسعة ، كانت تدعى جزر الهند الشرقية ، والتي حصلت على استقلالها في عام ١٩٤٩ بعد كفاح مرير ، وأصبح اسمها أندونيسيا . وهذه الدولة التي هي أكثر دول آسيا الجنوبية الشرقية اتساعاً ، إذ تمتد مساحتها على قرابة مليوني كيلو متر مربع ، أو الجديدة في عام ١٩٤٦ ، واستردتها من هولندا ، والنصف الغربي من جزيرة تيور الجديدة في عام ١٩٦٣ ، واستردتها من هولندا ، والنصف الشرقي من جزيرة تيور في عام ١٩٦٦ ، وكان يسكنها ٢٠٠٥ مليون (في ١٩٨١) ، بعد أن كانوا ٢٦ مليوناً في عام ١٩٦٢ ، وتعتبر أكبر دولة إسلامية ، لأن أكثر من ٨٠٪ من سكانها مسلمون ، ويؤلفون سدس مسلمي العالم .

أولاً: الملامح الطبيعية الكبرى

الأرخبيل الأندونيسي: ويضم قرابة ٣٠٠٠ جزيرة منها ٣٥٠ جزيرة ، تتجاوز مساحة كل منها ١٠٠ كيلو متر مربع ، وعلى العموم يستفحل تفتت الجزر في الوسط ، ومن الشال إلى الجنوب ، فبعد الأراضي المتكتلة في جزيرة صومطرة غرباً وجزيرة كالمنتان (بورنيو) شالاً ، تتعاقب جزر متوسطة الأبعاد مثل : جاوا و سولاويزي ، أو سيليب سابقاً ، ومن ثم ، وإلى الشرق من جاوا ، يظهر نثير من جزر الصوند ، أهمها بالي ، فلوريس ، تيمور وجزر مالوكو ، أو مولوك سابقاً ، وتنبثق من الشرق من الأرخبيل ، جزيرة غينيا الجديدة التي تدعى إيريان الغربية .

البنية والتضريس

ينتسب القسم الغربي من الأرخبيل ، أي جرر صومطرة ، جاوا ، كالينتان ، إلى قارة آسيا وتتألف من أجزاء عائمة من عتبة تحمّائية ، تدعى الصوند لا يتجاوز عقها المتوسط ٥٥ متراً والتي لا تزيد أعماقها عن ٢٠٠ م إطلاقا (شكل ١) . وترتبط هذه الجزر الكبرى بسلاسل ثلاثية ملتوية ، نذكر منها القوس الممتد من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي في كالينتان ، والممتد من جزيرة مندناءو ، في الفيلييين . أما القوس الماليزي الصرف ، والذي نهض مع سائر السلاسل الألبية ، فينعطف من الشمال الغربي نحو الشرق منطلقاً من بيرمانيا وير من صومطرا ، وجاوا ، ويستمر في جزيرة بالي وفلوريس . وقد عامت هذه العتبة كلياً خلال حقبة الزحف الجمودي ، وشكلت ما يدعى « أرض عالصوند » فكانت امتداداً للقارة الآسيوية ، وبعد ذوبان الجليد في نهاية آخر



مخطط البنية والتضريس في اندونيسيا

الشكل ١

زحف جمودي في شمال أوروبا وأمريكا ، تعرضت هذه العتبة للخفس وتجزأت إلى هذه الجزر الكبرى الحالية .

أما في الجنوع الشرقي الأقصى من الأرخبيل فإن بحر آرافورا يحجب تحت مياهه الرقيقة عتبة أخرى تدعى عتبة ساهول ، والتي تتألف منها جزيرة غينيا الجديدة ، والتي تختص أندونيسيا بنصفها الغربي ، وهو إيريان ، ويتألف نصفها الشرقي من جمهورية پاپوازيا المستقلة ، أو غينيا الجديدة الشرقية ، وثم قارة أوستراليا .

و يمتد بين هاتين العتبتين ، وكذلك على الحافة الجنوبية الشرقية من عتبة الصوند ، أي عند التقاء قطاعين قليلي المقاومة من القشرة الأرضية ، يمتد نطاق كان مسرحاً لزلازل شديدة ، ولانهيارات ولانكسارات . ويكون هذا النطاق كثير الأثلام البحرية السحيقة ، الضيقة تارة ، والعريضة تارة أخرى ، وذات حواف عديمة الانتظام ، وتهبط هذه الحفر إلى حوالي ٧٥٠٠ م . جنوب جزيرة جاوا وفي بحر باندا ، شرقي جزيرة سيلاويزي .

وقد نهضت أطواق الآتول atoll المرجانية كلما هبط قعر البحر ، وغطست التشكلات المرجانية ذات السفوح الشديدة الانحدار ، والتي تتوج تلك « الآتولات » إلى أكثر من ٢٠٠٠ م ، كا يمكن العثور على مرجانيات ميتة على ارتفاعات مختلفة ، مثل تلك المصاطب الساحلية التي تنهض حتى ١٣٠٠ م في وسط جزيرة تيور ، ومن جهة أخرى كانت تلك الكوارث التحتائية مصحوبة بنشاط بركاني كثيف .

البركنة

يتجلّى عدم استقرار أرض أندونيسيا على شكل ظواهر بركانية عديدة ، وبالكثير من الزلازل ، وتشمّل البلاد على ٣٠٠ بركان ، منها حوالي ٥٠ بركاناً ناشطة . وتحوي جزيرة جاوا لوحدها ، فوق ركيزها المؤلفة من الصخور الرسوبية الثلاثية الملتوية ، مقدار ١٣٠ بركاناً ، منها ٣٢ بركاناً ناشطاً . ويعود معظم هذه البراكين للحقب الجيولوجي الرابع ، وتنتسب هذه البراكين إلى غاذج متنوعة جداً : فهناك مخاريط منتظمة تنهض أحياناً حتى ارتفاع يناهز

المظهر، هذا فضلاً عن هياكل بركانية متكتلة تثقبها « كالديرات » واسعة يتجاوز المظهر، هذا فضلاً عن هياكل بركانية متكتلة تثقبها « كالديرات » واسعة يتجاوز قطرها ١٠ كيلو مترات أحياناً ، وناتجة عن انفجارات ، أو عن انهيارات أعقبت ثوراناً عنيفاً ، هنذا عدا عن المداخن البركانية « فوميرول » ، التي تنبثق خواصرها ، أو تملؤها مياه بحيرات ، مثل بحيرة توبا في صومطرة ، وهي أكثر البحيرات البركانية اتساعاً في البلاد ، كا نجد في هذه الجزر براكين ذات فوهة مزدوجة ، أو تحمل على خواصرها براكين إضافية ، هذا فضلاً عن مساحات واسعة منسجمة ، مؤلفة من لابات بركانية ، ومن الطف Tufs . أما بعض الجزر فليست أكثر من براكين بسيطة .

« تكاد تكون كل الثورانات الحالية تقريباً من النهط الانفجاري . وأشهرها هو ثوران بركان كراكاتوا ، الذي أطاح في عام ١٨٨٣ بإحدى جزر مضيق الصوند وفتتها . وقد بلغت أصوات الانفجار ، مسامع كل سكان الأرخبيل وتلوثت طبقات الجو العليا بالرماد فوق كل سطح الكرة الأرضية ، وبلغ عدد الضحايا ٣٦٠٠٠ قتيل ، هلكوا غالباً نتيجة غزو المد razde mareé ، الذي نتجت عن موجة اندفعت نحو كل السهول المجاورة ، فاندفعت الموجة المذكورة نحو الخلجان العميقة في المضيق ، ورفعت مستوى المياه لمقدار ٢٣ متراً فوق المستوى العادي ، وحملت المراكب الراسية في الموانئ لمسافة بعيدة داخل الأراضي . ولا يزال الإنسان يعثر في المنطقة على طبقة من رماد سمكها ١٠ سم تحت لحقيات السفوح .

عن روبكان « العالم الماليزي »

وإذا كانت هذه الكوارث نادرة نوعاً ما ، فإن من المألوف كثيراً رؤية مسكوبات اللابة ، ولا سيا المسكوبات الوحلية ، أو لاهار ، وهي عبارة عن انزلاقات مواد بركانية مشبعة بالمياه الناجمة عن أمطار غزيرة ، أو عن تفريغ فجائي لمياه مجيرات الفوهات « كراتر » .

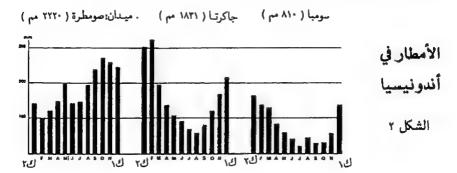
غير أن منافع البركنة تفوق مخاطرها . فالترب ذات الأصل البركاني تمتـد في

أندونيسيا على مساحات واسعة ، وتتمتع بخصوبة فريدة ، كا تؤلف التضاريس بفضل نفاذية معظم صخورها خزانات طبيعية لمياه ثمينة جداً ، من أجل ري المناطق الواقعة في أسفلها ، لأن الماء ، كا قيل : « أرخص موجود وأغلا مفقود »

المناخ والنبات

تقع أربعة أخماس أندونيسيا جنوب خط العرض العاشر شال خط الإستواء وجنوبه . وهكذا يكون المناخ متيزاً بحرارة منتظمة مرتفعة نوعاً ما . وتتراوح متوسطات درجات الحرارة حول ٢٦ درجة ، كا تكون الفروقات ضعيفة جداً خلال العام . ففي جاكرتا لاتزيد السعة عن درجة واحدة بين أكثر الشهور حرارة وهي ٢٦,٤ وبين أقلها حرارة أي ٢٥,٤ . ونظراً للتأثير البحري لا يكون الحر متطرفاً أبداً ، ولا يتجاوز الحد الأقصى للحرارة المطلقة ٣٥ درجة ولكن الحر يظل ثقيلاً مستمراً . وجبال نصف الكرة الجنوبي هي وحدها التي تتعرض للانجاد خلال الفصل الجاف .

أما نظام الأمطار فيحوي على تنوع أكبر وتكون الأمطار على العموم غزيرة ، لأن أندونيسيا لاتقع ضن النطاق الاستوائي الرطيب بحد ذاته فحسب بل تكون محاطة بساحات محيطية شاسعة للغاية . وهكذاتتجاوز شطيرة الأمطار الهاطلة سنوياً في بعض النقاط ٦ أو ٧ أمتار ، كا في مدينة بادانغ على الساحل الغربي من جزيرة صومطرة ، أو في وسط جزيرة جاوا (شكل ٢) .



وفيا عدا الاختلافات الناجمة عن فوارق درجات العرض ، فإن نظام الرياح هو الذي يفتر تفاوت هذه الأمطار . فنظراً لوقوع أندونيسيا ضمن نطاق آسيا الموسمية ، فهي تخضع بالتالي لرياح متناوبة : أي تتعرض لرياح أليزة « تجارية » نصف الكرة الثمالي خلال فصل الشتاء الثمالي وتكون مطيرة ، ولرياح أليزة نصف الكرة الجنوبي خلال الصيف الثمالي . هذا وتكون رياح أليزة نصف الكرة الجنوبي المدعومة بوجود آنتيسيكلون ، مستقر حينئذ فوق أوستراليا ، في فصل الشتاء الجنوبي ، في الشرق ، أقول : تكون بالتالي ، عبارة عن رياح جافة ،

وإذا كانت كمية الأمطار وتوزعها خلال العام متبدلة باختلاف المواقع ، فيكن القول بأنها أكثر انتظاماً في توزعها بجوار خط الاستواء . ونجد في مدينة ميدان الواقعة في شمال صومطرة ، أن كل الأشهر تكون مطيرة ، مع وجود حدين أقصيين عند مرور الشمس في السمت ، أي في الاعتدالين . وتقل هذه الأمطار تدريجياً باتجاه الشرق . وهكذا تنال سومبا ٨١٠ مم مثلما تطول فترة الجفاف . وهكذا تهطل أكثر الأمطار على السفوح المعرضة للرياح ، كا تسقط الحدود القصوى فوق جبال صومطرة وجبال جاوا ، حيث تصل كمية المياه الهاطلة إلى ٧ أمتار ، وكذلك في داخل جزيرة كالمينتان « بورنيو » .

ونظراً إلى كون معظم هذه الأمطار ذات طابع طوفاني ، فإن أكثرية الأنهار تكون غزيرة التغذية ، وبالتالي ذات انحدارات شديدة ، وتنقل نتيجة ذلك مقادير كبيرة من الطمي . وهي ذات فائدة كبيرة للري . مثلاً تكون قطاعاتها السفلى صالحة لللاحة أحياناً . وأخيراً يوائم تحالف الحر مع الرطوبة انتشار الفابات التي لا تزال تغطي ، رغ عمليات الاستزراع ، وبمارسة الزراعة فوق الحريق « لادانغ » ، ثلاثة أرباع مساحة جزيرة كالمينتان ، و ٧٠٪ من جزيرة سولاويزي ، ومالاكو ، و ١٠٪ من جزيرة سوممطرة ، و٢٠٪ من جاوا ، ومعظم إيريان الغربية أو ١٢٠ مليون هكتار ، أو ثلثي من جزيرة صومطرة ، و٢٠٪ ملايين هكتار صالحة للاستغلال الاقتصادي . وتتألف الفابات من أشجار ضخمة ذات خشب ثمين ، ومن الملتفات ، ومن النباتات الراكبة ، ومن أقصاب البامبو التي يصل قطرها إلى ٧٠ سم . وتتقهقر هذه الغابات في المديد من المناطق وتتحول أحياناً إلى الساڤانا التي تسود في جزر الصوند الصغرى ، الأكثر جفافاً ، وعلى كل لا تمثل صادرات الخشب حتى الأن سوى ١٠٨٪ من قيمة الصادرات الكلية في البلاد .

المساحات والسكان والكثافة في الجزر الرئيسية في الأرخبيل الأندونيسي

جزيرة أو أرخبيل	مساحةكم	×	ملايين السكان	%	كثافة نسمة/كم
كالينتان	08	۲۸,٥	٥	٤,٢	•
صومطرة	٤٣٥٠٠٠	14,1	۲۱	١٨	3.3
إيريان بارات	277	77,77	١	۰,۸	۲
سولاويزي	19	1.	٨,٥	٧	٤٥
جاوا	17	٧	77	٦٣	7٧٥
نوزاتنغارا	1	٥,٣	٦,٥	0,0	70
مالوكو	Y0	٤	١	٠,٨	18

ثانياً: السكان والتطور السياسي

لقد ظل عدد السكان راكداً تقريباً أو يتزايد بسرعة بطيئة جداً حتى نهاية الثلث الأخير من القرن الماضي . فكانت نسبة التوالد القريبة من الحدود الطبيعية المفروضة حسب وتيرة الخصوبة ، وهي ٤٥ بالألف ، كانت مصحوبة بنسبة عالية من الوفيات ، الناجمة عن أوضاع معاشية منحطة جداً . وابتداءً من عام ١٩٣٠ ، وبفضل التقدم في الشروط الصحية ولتحسن الغذاء ، حصل هبوط متسارع في نسبة الوفيات دون تعويض مرافق في وتيرة الولادات . وراح عدد السكان يتكاثر ابتداءً من ذلك التاريخ بصورة أكثر تسارعاً ، وتبلغ حالياً نسبة النمو الطبيعي ابتداءً من ذلك التاريخ بصورة أكثر تسارعاً ، وتبلغ حالياً نسبة النمو الطبيعي أكثر من ١٩٨٠ مليون نسمة في ١٩٨١ .

توزعهم:

من الواضح في مثل هذه الأوضاع أن البلاد تتجه نحو أزمة خطيرة جداً ، لا سيا وأن السكان يتمركزون في بعض الجزر مثل جاوا و بالى ، حيث يـزدحم

السكان والموارد محدودة . وربما تصبح حالة هاتين الجزيرتين مأساوية على المدى القريب . ففي عام ١٩٠٠ كانت الكثافة تقل عن ٢٠ نسمة في الكيلو متر المربع ، وفي عام ١٩٨٥ ستصل الكثافة في جاوا إلى أكثر من ٧٠٠ نسمة في كم ، مع أن الكثافة الوسطى في البلاد لن تتجاوز ٨٥ نسمة كم .

ويعتبر الشعب الأندونيسي في أيامنا شعب فلاحين ، لأن نسبة الندين يعيشون في مدن يزيد تعدادها من ٢٠٠٠٠ نسبة لا تزيد عن ٢٠٪ . إذن يبدو من الإنصاف في حالة كهذه أن تحسب كثافة السكان استناداً إلى المساحة المزروعة . ففي عام ١٩٧٠ بلغت في جاوا وفي مادورا وفي بالي وسطياً ٨٣٣ نسبة في الكيلو متر المربع وتقارب الألف حالياً ، ولكنها وصلت في مصر إلى ١٢٢٥ في الكيلو متر المربع وتقارب الألف حالياً ، ولكنها وصلت في مصر إلى ١٢٢٥ في المها عين أن بقية جزر أندونيسيا أقل استيطاناً وبالأحرى ، تبدو وكأنها صحارى خضراء خالية من السكان .

حلول الأزمة الديموغرافية : هجرة ما بين الجزر :

لقد تراءى للمسؤولين أن استيطاناً أكثر انسجاماً لجزر الأرخبيل هو الحل الأمثل . ولكن ذلك يصطدم بمصاعب لم يكن التغلب عليها حتى الآن . وفي الواقع لاشيء يغري جماهير الريفيين الجاويين بالذهاب لإعمار مناطق شحيحة حيث لن يجدوا سوى الغابة العذراء ، أو ساڤانات فقيرة ، نضب معين تربتها بسبب المعاملة القاسية التي خضعت لها بسبب نظام زراعة الحريق « لادانغ » التي تستفحل في كل الجزر باستثناء جاوا . ومن ناحية أخرى ، فإن الفلاح الجاوي الذي اعتاد على زراعة متقنة ، دقيقة للغاية ، تتخذ شكل زراعة بستنة لا يستطيع أن يتواءم مع عمل مرهق ، ومضن ، من أجل الاستزراع ، ومع تقنيات زراعية هي تقنيات الجبهات الطلائعية .

وأخيراً فإن استيطاناً طلائعياً يتطلب غالباً عون الدولة المادي ، هذه محرانية الدول الكبي (٢٢)

الدولة التي لا تبدو حالياً قادرة على أن تقدمها لأن عمليات الهجرة الداخلية فيا بين الجزر لم تعط سوى نتائج هزيلة . ومن ناحية أخرى ، إذا كان هناك ٢٠٠٠٠ عائلة تغادر جاوا وسطياً في العام كي تقيم في الجزر الأخرى ، ولا سيا في صومطرة ، فإن عائلات كثيرة أيضاً تأتي لتجرّب حظها في جاوا . وبين عام ١٩٦٠ و ١٩٦٥ غادر الجزيرة ٢٠٥٣٠٠٠ نسمة ، ولكن في مقابل ذلك وفد عليها مخص ليقيوا فيها ، وأخيراً فإن تهجير أسرة واحدة كي تقيم في جزيرة أخرى يكلف أكثر من ٢٥٠٠٠ دولار على الأقل .

تحديد النسل:

لقد تعرقل تطبيق برنامج تحديد المواليد حتى الآن لأسباب سياسية ، نظراً لسياسة التوسع التي دعا إليها الرئيس سوكارنو لاعتبارات دعاغوجية غير مسؤولة ولا مدروسة ، غير أنه يبدو من الواضح أكثر فأكثر بأن الإتجاه يذهب نحو هذا الحل بعد تلاشي المعارضة الرسمية . بقي على الدولة أن تقوم بتكوين أشخاص مهيئين كي ينشروا التعليم ، وللتغلب على لامبالاة وبلادة جماهير الريفيين الشديدة العزلة . وهكذا ينطلق برنامج مراقبة التوالد ببطء شديد . ولابأس من أن نذكر أن نسبة التوالد ٢٨ بالألف والوفيات ١٤ بالألف ووفيات الأطفال ١٣٧ بالألف مقابل ٩ في اليابان ومتوسط العمر ٤٨ سنة . وتحتل أندونيسيا المرتبة الخامسة في العالم في عدد سكانها .

ثالثاً: الاقتصاد

لاتزال الزراعة هي الفعالية الاقتصادية السائدة . فهي تقدم ٥٦٪ من الناتج القومي الخام ، وتوفر العمل لثلاثة أرباع السكان . ومع ذلك فإن الرقعة المزروعة لا تزيد عن ١١,٦٪ من مساحة البلاد . ويتم استغلال الأرض بواسطة فلاحين من الملاكين الصغار ، وتكون المساحة الإجمالية أكبر بست مرات من المساحة المغطاة بالمزارع الكبرى الرأسالية الحديثة .

المزروعات:

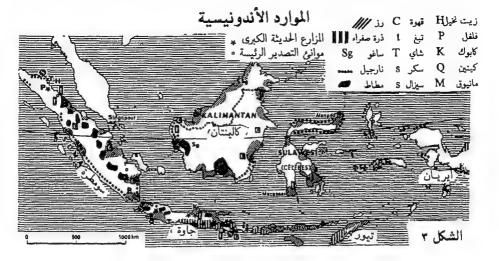
من المنتظر أن يكون للمزروعات الغذائية التي تنتشر على ١٤ مليون هكتار أكبر الأهمية . وتحتل المكانة الأولى بين هذه المزروعات زراعة الرز ، والواقع يكون الرز أساس التغذية . فهو يزرع على مساحة تبلغ ٨ ملايين هكتار ، كا أن معظم الأراضي الخصصة للرز تقع في جاوا ويتراوح الإنتاج بين ١٥ و ٣٣ مليون طن ويكون المردود الذي يصل إلى ٢٠ كنتال بالهكتار من أعلى مثيلاته في الأقطار الآسيوية الأخرى ولا تتفوق عليه سوى اليابان طبعاً . ومع ذلك توجد أحياناً فترات مسغبة ، ولا سيا في بعض أقاليم الأرخبيل (وسط وشرق جاوا ، وجزيرة لومبوك) . ويختلف استهلاك الرز حسب المناطق ، وتقوم عاصيل أخرى غذائية بتكيل دور الرز أو تحل محله أحياناً كالذرة الصفراء ، والمانيوق الذي يبلغ إنتاجه ١٣ مليون طن ، والبطاطا الحلوة ويصل انتاجها الى والصويا وانتاجه ٢٠٠٠٠٠ طن . وهناك عاصيل غذائية أخرى نذكر منها قصب السكر وإنتاجه يفوق ١٩٠٩ مليون طن وزيت النخيل ٢٠٠٠٠٠ طن والشاي السكر وإنتاجه يفوق ١٩٠٩ مليون طن وزيت النخيل ٢٠٠٠٠٠ طن والتبغ ٢٠٠٠٠٠ طن (شكل ٣) .

هذاوعندما تكون المشكلات الغذائية أقل حدة فإن المستغلات الصغيرة تستطيع أن تنصرف لمزروعات نقدية : فهي تنتج على السواحل جوز النارجيل « جوز الهندا أو الكوپرا » ، والكاپوك ، وقدراً كبيراً من المطاط والقهوة . أما المزارع الرأسالية فتر بأزمة طويلة بسبب الانخفاض العام والمستر في الأسعار العالمية . وفضلاً عن ذلك تضررت هذه المزارع ومنشآتها الملحقة نتيجة التخريب الناتج عن معارك الحرب العالمية الثانية وحرب الاستقلال والاحتلال الياباني لأن فترة الكفاح من أجل الاستقلال امتدت حتى ١٩٤٩ .

وقد أدت هذه الاضطرابات إلى إهمال نهائي لمساحة ٣٥٠٠٠٠ هكتار والتي احتلت جزئياً من قبل معمرين جدد لا خبرة كافية لديهم. وتقهقر وضع المزارع الكبرى أيضاً في أعقاب التأميات في ١٩٥٧ والتي اشتملت ٥٤٢ مزرعة كبرى حديثة ، مما أدى لنزوح الأخصائيين الهولنديين والذين هبط عددهم من ٢٠٠٠٠ مهندس إلى حوالي العشر فقط.

هذا ولا يكون الأخصّائيون الأندونيسيون على المستوى التقني ذاته ، مما أدّى للمبوط المردود ، وإلى ما هو أكثر خطورة عن ذلك وهو انخفاض نوعية المنتجات المهيأة للتصدير . وهكذا تضررت أوضاع السلع التصديرية الأندونيسية في الأسواق الخارجية . أما فيا يتعلق بالتبغ فإن وضعه قد هبط بصورة قاضية بسبب المقاطعة المولندية . وفضلاً عن ذلك فإن التضخم قد دفع بالمزارعين إلى تخصيص مزارعهم كلياً أو على الأقل أعطوا الأرجحية للمزروعات المستهلكة محلياً .

غير أن أندونيسيا تظل مع ذلك ثاني منتج عالمي للمطاط الطبيعي أو مدر المعدن ، وتحتفظ بمكانتها بين العشرة الأوائل في إنتاج القهوة أو الشاي وزيت النخيل . وهكذا نستشف أن اقتصاد أندونيسيا يظل زراعياً صرفاً ، ولا



يسد حاجاتها ، كا أن المحاصيل النقدية تبدو عاجزة عن تعديل الميزان التجاري ، كا أن تربية الماشية التي لا يلائمها المناخ تكون قليلة الفائدة .

تربية الماشية:

لا تزال تعتبر نشاطها زهيداً في أندونيسيا لأن عدد الأبقار لايزيد عن ٧ ملايين رأس والأغنام ٣,٣ ملايين والخنازير التي يحول الإسلام السائد دون انتشار تربيتها ، والتي يصل عددها إلى ٤,٤ ملايين ، ويشجع عليها المبشرون الذين استغلوا فقر سكان المناطق المنعزلة وجهلهم وأخرجوا أكثر من مليوني مسلم من دينهم . وهكذا نجد أن وضع تربية الماشية أشبه ما يكون بوضع مصر وبنغلادش بسبب اكتظاظ السكان ، فتغذية الماشية ترمي لإهمال الأراضي الزراعية ، وهنا يدخل الإنسان والحيوان في تنافس ، لأن ما يخصص للحيوان يحرم منه الإنسان ، ولا سيا في الجزر التي تكون الكثافة السكانية فيها عالية حيث لا يكون هناك مكان لتربية الماشية وينجم عن ذلك عوز في استهلاك اللحم ضمن النظام الغذائي لدى الأندونيسيين الذين لا يستهلك الفرد منهم وسطياً سوى ٥ كغ من اللحم في العام ، أو نصف استهلاك الفرد في البلاد العربية غير البترولية او سبع ما يستهلكه الفرد في أمريكا الشمالية وأوربا الغربية .

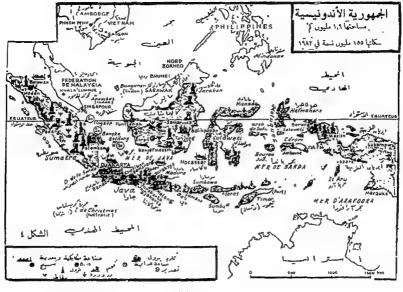
صيد الأسماك:

على الرغ من الموارد الهائلة من الأساك في البحار الأندونيسية ، فإن استهلاك الأساك لا يزال ضعيفاً جداً ، أو ٤,٥ كغم للفرد في العام مقابل ٥٠ كغم للفرد الياباني . ويصل مجمل إنتاج الصيد البحري إلى ١,٢ مليون طن بالعام . ويعود سوء استغلال ثروة البحر إلى حالة أسطول الصيد العتيقة ، والذي لا زال يعمل في المرحلة الحرفية .

الصناعة

قطاع الطاقة والمناجم: لقد اهتم الهولنديون على الخصوص بتنية الصناعة الاستخراجية التي تسمح للبلد المستعمر بالحصول على المواد الخام التي تفتقر إليها صناعاته التحويلية في بلده . وهكذا كانت أندونيسيا لا تملك عند استقلالها سوى صناعة وطنية جنينية . والقطاع البترولي هو الذي كان دوماً يثير أكبر قدر من الاهتام ، والدي استقطب أكبر قدر من الاستثمارات (شكل ٤) .

ولهذا الاهتام ما يبرره نظراً للنجاح العظيم الذي حققته حملات التنقيب التي قامت بها ٢٤ شركة أجنبية . أضف إلى ذلك أن احتياطات أنعشت الكثير من الآمال ، ولا سيا في صومطرة وكالينتان ،كا أن التنقيب في قيعان البحار القارية والذي بدأ منذ فترة وجيزة يسمح بقياس الرقعة الهائلة التي تنتشر عليها الحقول النفطية . والواقع لاتكون عتبة الصوند وهي أكبر عتبة مغمورة في العالم ، مغطاة بأكثر من قشرة مائية رقيقة ، لأن عقها المتوسط ٥٥ م أي تماثل ارضية الخليج العربي وأفضل من وضع حقول بحر الشمال . ويتميز البترول الأندونيسي بأنه

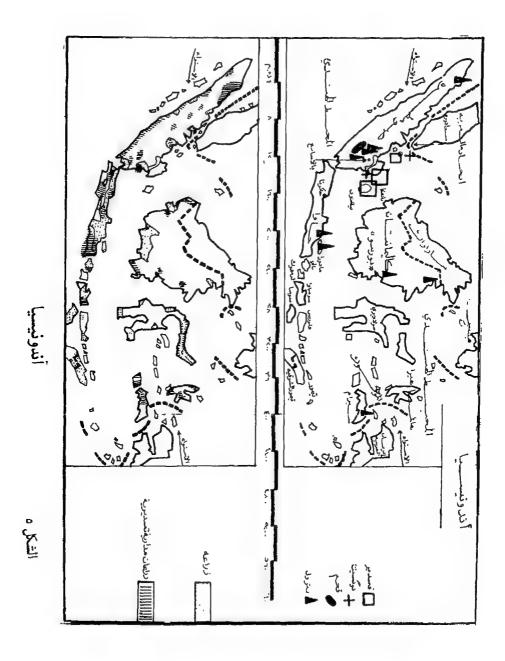


_ 01/ -

أقل تلويثاً من بترول الشرق الأوسط ، لأن محتواه من الكبريت ضئيلاً . وهذه النوعية تستجيب للاهتامات المتزايدة في الأقطار الصناعية ، وأخيراً فإن الإنتاج يستجيب لأهداف سياسية ، ولا سيا رغبة الأقطار المستهلكة بتنويع مصادر تموينها . وبفضل هذه الظروف المشجعة جداً ، فقد أنتجت أندونيسيا في عام ١٩٧٥ مقدار ٦٣ مليون طن نفط وصعد إلى ٩٩ مليون طن عام ١٩٨١ من حقول كالينتان وصومطرة ، في حين لم تنتج البلاد سوى ٣٠٠٠٠٠ طن في عام ١٩٤٦ ، وعلى عكس ذلك تبدو مواردها من الفحم الحجري هزيلاً إذ لايزيد إنتاجها من هذا النوع من الوقود عن ٢٥٠٠٠٠ طن سنوياً وعلى الخصوص من مناجم صومطرة (شكل ٥) .

أما فيا يتعلق بالكهر باء فليس هناك أي أوجه شبه بين الموارد الكامنة وبين الوضع الحالي للاستغلال . فهناك مشاريع كبرى قيد الدراسة لتجهيز الشلالات ولا سيا في صومطرة على نهر آزاهنت Asahant في حين تم تنفيل مشاريع أخرى مثل مركز جاتيلوبور Jati Lubur على مسافة ١٠٠ كم من الماصة جاكرتا بالتعاون مع فرنسا . ولا تتيز هذه المشاريع في أنها تزيد الإنتاج الكهربائي فحسب وهو ٣ مليار ك و س في ١٩٧٣ ، والذي يكن زيادته أيضا باستخدام النفط كوقود بل سيسمح أيضاً بزيادة المردود الزراعي ، عن طريق توسيع رقعة المساحة المروية ، وتأمين تنظيم صبيب الأنهار في سافلة السدود ، مما يخفف بذلك من أثر الفيضانات الهدامة التي تهدد في كل عام السهول الدنيا .

أما بالنسبة للغاز الطبيعي فيزيد إنتاجه عن ٣ مليارات م وكان ٢,٤ مليار عام ١٩٧٧ ويكون إنتاجه على نطاق واسع مشتركاً مع إنتاج الوقود السائل . وتتجاوز مخزوناته ٤٠٠ مليار م .



وفيها عدا المنتجات التقليدية كالقصدير فإن أندونيسيا تملك مخزونات هائلة من فلزات معدنية غير حديدية كالنحاس والنيكل والبوكسيت .

فالقصدير كان معروفاً منذ أمد طويل باعتباره الثروة الرئيسية في البلاد ، و يمثل مكانة لابأس بها في قائمة الصادرات . و يمتركز إنتاجه نسبياً في نطاق يقع إلى الجنوب من سنغافورة أي في جزيرة بانغكا ، وجزيرة بيليتونغ Belitung ، وسنغكب Singkep ، وكذلك في البحار الضحلة التي تنبثق منها هذه الجزر .

وتحوي المكامن التحتائية ثلثي الاحتياطات . وفي عام ١٩٤٠ كان القصدير أحد أوائل صادرات البلاد وظل حتى عام ١٩٥٣ _ ٥٥ وهو التاريخ الذي بلغ فيه الإنتاج ٢٥٠٠٠ طن ، ومن ثم حصل هبوط شديد ، ثم استقر الإنتاج حوالي ٢٠٠٠٠ طن في ١٩٧١ كي يبلغ ٢٥١٠٠ طن في ١٩٧٤ فاحتلت المكانة الرابعة في العالم ، ويعود هذا الانخفاض لنقص الخبرة التقنية لدى الكادرات وصعوبات النقل وتراكب مسؤوليات الإدارة والتسيير بين الدوائر الوطنية الكبرى المكلفة بهذا الاستخراج .

أما البوكسيت فيستغل من جزيرة بانتان Bintan في أرخبيل ريو Riau جنوبي سنغافورة . غير أن التجهيز الآلي يعود رغم شدة العناية به إلى الفترة الاستعارية . وتحتوي الخامات على ٥٥٪ من الآلومين وتتراوح المدخرات بين ٢٠ إلى ٢٥ مليون طن في ١٩٧٤ وارتفع إلى ١,٣ مليون طن في ١٩٧٧ .

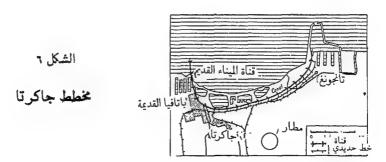
هذا ويستغل النيكل حالياً من منجم واحد في جزيرة پومالو Pomalu جنوب شرق جزيرة سيليب Célèbes . وبلغ إنتاج هذا المنجم المكشوف ٢٠٠٠٠ طن في عام ١٩٧٧ من الخامات مقابل ٢١٠٠٠ طن من المعدن في ١٩٧٧ ، ولكن عثر على مكن آخر شمال پومالو قدرت حدخراته بحوالي ١٠٠ مليون طن من

فلزات غناها بالمعدن ٢٪. وهناك الكثير من الموارد الأخرى التي تنتظر الاستثارات المائية الضرورية للتنقيب عنها ولاستغلالها كالنحاس الذي قدرت مخزوناته بحوالي ٢٥ مليون طن من فلزات تصل نسبة محتواها المعدني إلى ٣٪ في ايريان الغربية ، والذهب والفضة والمنغنيز والألماس والكبريت والاسفلت الخ.

ويذكر استاذنا روبكان Robequain أن إنتاج أندونيسيا من السكر كان في ١٩٦٠ يؤلف ٥٪ من الإنتاج العالمي ، وكانت تصدر ٧٠٪ من ألياف الكاپوك ، و ١٩٦٪ من البهار ، و ٣٨٪ من المطاط و ٣٠٪ من مسحوق النارجيل ومن زيته ، و ٣٢٪ من السيزال ، و ٢٧٪ من الشاي و ٢٠٪ من زيت النخيل و ٢٪ من القهوة العالمة .

الصناعات الخفيفة والمنتجة لسلع الاستهلاك: يعود قيام أوائل المؤسسات الصناعية في أندونيسيا لعام ١٩٢٠ ، وكانت بالأساس عبارة عن صناعات تحويلية لمنتجات زراعية كمضارب الرز ، ومصانع المطاط ، والشاي ومصانع تحميص القهوة ، وصناعة السكر إلخ .. وقامت صناعات أخرى بين عامي ١٩٣٠ و ١٩٤٠ لتكل تلك الصناعات الجنينية ، ولكنها كانت تقوم دامًا على عاتق استثارات أجنبية غالباً . فقد قام مصنع عجلات (إطارات . كفرات) شركة غوديير الأمريكية في بوغور Bogor عام ١٩٣٤ . وجاءت شركة اونيلفر وظلت كل هذه الأنشطة ولازالت متركزة في معظمها في العاصة جاكرتا (شكل وظلت كل هذه الأنشطة ولازالت متركزة في معظمها في العاصة جاكرتا (شكل صناعة الأدوات الكهربائية ببادرة من شركة ايفريدي Eveready وصناعة الأحذية ببادرة من شركة ايفريدي Eveready وصناعة الأحذية ببادرة من شركة المؤسسة والورنيش بواسطة شركة مركة Talens و Gimborn وأنشئت شركة لتجميع الدراجات على يد شركة Bersumij ، كا حصلت أندونيسيا على

ترخيص بصنع القليل من الأدوات الزراعية . أما في مجال الصناعة النسيجية ، فقد أنشئت مجموعة مؤلفة من ٥٠ مؤسسة هولندية عام ١٩٣٣ شركة نسيج جاوا في مدينة تيغال Tegal ، وفي خلال الحرب العالمية الثانية أقامت شركة Leces مصنع ورق في شرق الجزيرة .



و يمكن القول أن الصناعة الأندونيسية الحالية لاتزال تستند في معظمها على هذا الأساس .

المواصلات

الملاحة البحرية: نظراً لشدة اتساع الأرخبيل الذي يمتد على مسافة تعادل امتداد الوطن العربي من الحيط إلى الخليج، ونظراً لشدة تقاطيع الأراضي، تلعب المواصلات دوراً أساسياً في حياة البلاد. وتكون المواصلات البحرية هي المسيطرة لأن ٢٠٪ من النقليات من الأطنان الكيلو مترية تم بواسطة السفن. ولهذا يكون لتجهيز الموانئ، وتنظيم الأنهار، وصيانة وتحديث الأسطول التجاري الأفضلية المطلقة على عناصر البنية التحتية coasting الأخرى. غير أن التجارة بين الجزر، بما في ذلك نقليات المساحلة Coasting التحوي تتم انطلاقاً من نقاط في الجزيرة ذاتها، لم تكن تتجاوز في عام ١٩٦٥ مقداره, ملايين طن. ويدل هذا الرقم على ضعف درجة اندماج عام ١٩٦٥ مقداره, ملايين طن. ويدل هذا الرقم على ضعف درجة اندماج

مختلف الجزر على المستوى الاقتصادي . وتم هذه التجارة بالأساس بواسطة شركتين وطنيتين هما : پلني ، وباخترا عظيفونا ، اللتين قامتا على أنقاض الشركة الهولندية القديمة وهي شركة KPM . و يجب البحث عن الأسباب التي تفسّر هذا الضعف وحتى في قدرة النقل في قلة التجهيزات الخصصة لصيانة الأسطول كالافتقار إلى أحواض إصلاح السفن ، وإلى قطع الغيار ، ونقص الخبرة لدى الموظفين العاملين في مختلف العمليات الضرورية لتشغيل السفن بصورة اعتيادية ، حتى أصبحت أكثرية وحدات الأسطول التجاري الآندونيسي بحاجة لإبدالها بسفن أجنبية ، وقد غرقت إحدى هذه السفن في ١٩٨٧ وذهب معها أكثر من ٢٠٠ ضحية من المسافرين .

وفضلاً عن ذلك فإن أدوات التفريع والنقل والتخزين كالمنجنيقات والرافعات والأرصفة العائمة والأرصفة والمستودعات ، قليلة بشكل رهيب أو أصبحت غير صالحة للاستعال أو لا يمكن بلوغها بسبب الإطهاء الذي تشكو منه غالبية الموانئ . ويفسّر هذا الوضع الكارثي وجود العديد من السفن الشراعية ، ولكن من عمر قديم ، تعيش وتخلّد غط ملاحة غير معاصرة وغير مزامنة ، وتقوم بنصيب لابأس به من التجارة ولاسيا نقل الأخشاب وجوز النارجيل . أما الملاحة الحيطية التي تحقق المواصلات مع الأقطار الأجنبية فتتم أساساً بواسطة علاء أندونيسيا التجاريين ، من سفن إنكليزية ويابانية وأمريكية ونروجية .

وإذا كان عدد موانئ أندونيسيا يناهز ٥٠٠ ميناء موزعة على سواحل الأرخبيل فإن هناك ٦٠ ميناء فقط مجهزة بمياه عيقة بما يسمح لسبعة عشر ميناء منها بأن تكون مفتوحة للتجارة الدولية ، وأخيراً هناك ثلاثة موانئ لها نشاط يتجاوز الأهمية الاقتصادية لظهيرها .

- فهناك ميناء تانجو تغيريوك الذي لا يقوم بخدمة العاصمة فحسب بل محمل القسم الغربي من الأرخبيل .

- وميناء تانجيخ پرساك ، وهو ميناء مدينة سورابايا الذي يلعب الدور نفسه بالنسبة للقسم الأوسط من أندونيسيا ، أي شرقي جاوا ، مادورا ، جزر الصوند ، وجنوب كلينتان .

- ماكاسًار ، وهو الميناء الرئيسي لجزيرة سيليب و يجمع كل تجارة أندونيسيا الشرقية .

وأخيراً هناك بعض الموانئ ذات العلاقات المباشرة مع الخارج ، وذلك إما لقربها من العالم الأجنبي مثل ميناء بيلاوان قرب ميدان Medan الذي يواجه سنغافورة وماليزيا ، أو للنوعية الفريدة للمادة الأولية المصدرة مثل ميناء پالامپانغ وهو ميناء تصدير النفط المستخرج من جنوب جزيرة صومطرة .

الملاحة النهرية: وتلعب دوراً ثانوياً نسبياً ، بسبب ضعف قابلية الأنهار للملاحة ، ولقلة طولها وعمقها ، وكثيراً ما تظهر الجنادل في سررها التي تمنع أي صعود في النهر . ولكن لبعضها أهمية خاصة لفقدان أية وسيلة نقل أخرى كا في كالينتان وفي صومطرة وفي إيريان .

النقل الجوي: ولا يزال في حالة جنينية لأن شركة GIA غارودا أندونيسيان آيرواي، وهي الشركة الوطنية الكبرى، وتملك بضع عشرات من الطائرات، تختلف طاقتها وعرها كثيراً لأن أفضل الطائرات هي الخصصة للخطوط الدولية وهناك شركات أخرى خاصة مثل مير پاتي، زمرود، وتملك كل منها ١٢ طائرة تحقق بالتعاون مع شركة غارودا الاتصالات الداخلية.

وفي عام ۱۹۷۰ قطعت طائرات غارودا ۱۵ مليون كم ونقلت ۳۵۰۰۰۰ مسافر و ۵۰۰۰ طن شحن .

المواصلات الأرضية : وتتصف بدورها الضئيل نسبياً وتقوم بنسبة ٤٠٪

من مجموع حركة النقل . وتقوم السكك الحديدية بقدار ١٥٪ و ٢٥٪ على الطرق وذلك لتفاوت نموها على المستوى الإقليمي .

ويشهد وضع الخطوط الحديدية مثل شبكة الطرق ، بكل أمانة ، على مظاهر الاقتصاد الاستعاري .

وهكذا تحوي صومطرة قرابة ٢٠٠٠ كم من خطوط حديدية متباينة من حيث صفاتها التقنية ومواقع قيامها . والواقع ليس هناك من شبكة حقيقية بل عدد من القطع ذات الوظيفة المحلية أقيمت لخدمة مؤسسات تعدينية أو مزارع رأسالية عصرية . أما جاوا فتملك شبكة حقيقية طولها ١٦٤٠ كم تصل العاصة مع مدينة سورابايا في شرق الجزيرة بواسطة طريقين متيزين : الأول يواكب السهول الساحلية الشمالية والثاني يتلوّى بين البراكين ويحاذي الساحل الجنوبي . ولا تكون الشبكة والعربات وسائر التجهيزات قدية فحسب بل تشكو من تلفها الناجم عن غياب الصيانة .

وعلى الرغم من الجهود المخلصة لصيانة شبكة الطرق فإن ٢٥٪ فقط تعتبر في حالة مرضية ، و ١٥٪ في حالة متوسطة ، والباقي في حالة رديئة جداً . أما عدد السيارات فهو رغم قلته في تزايد ولاسيا بسبب استيراد عدد كبير من السيارات الجيب .

المبادلات الخارجية:

وتشهد مثلما تشهد المواصلات على عدم اكتال الجهاز الاقتصادي في البلاد . وهي تدل على شدة اختلال في طبيعة المواد المتبادلة فالتصدير يقتصر على المواد الخام . ويحتل البترول بينها مكانة سامية والخامات المعدنية ولاسيا القصدير اللذان يقدمان لوحدها نصف العملة الصعبة للبلاد . أما باقي العائدات فتأتي من بيع المحاصيل الزراعية التي تباع بحالة قريبة من الخام ، في حين يكون الاستيراد مؤلفاً من مواد مصنوعة أو منتجات استهلاكية .

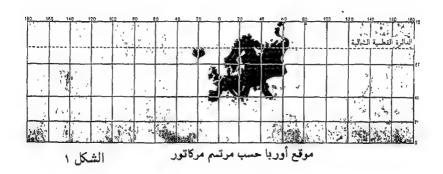
وفي عام ١٩٧٧ بلغت قية الصادرات ١٠,٨ مليارات دولار كان النفط يؤلف ٢٠٪ من قيتها ثم المطاط ، ومسحوق النارجيل (الكوپرا) ، والقصدير والتبغ وزيت النخيل والشاي والقهوة ، أما استيرادات العام ذاته فبلغت ٦,٢ مليارات دولار كانت سلع التجهيز تؤلف ٢٢٪ والمنتجات الغذائية ٨٪ .

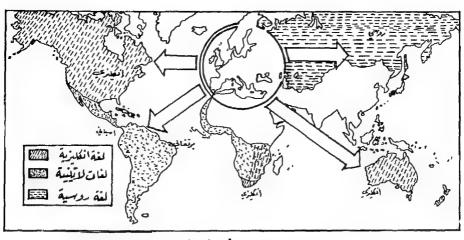
الميزان التجاري لعام ١٩٦٩ بملايين الدولارات

۸۳۱	الواردات	117
۳۱۸	مواد أولية ومنتجات صناعية	
	اساسية	37
١٨٠	سلع تجهيزية	113
٤٧	سلع استهلاكية	1.1
***	متنوعات	Ж
٤٠		
	۲۱۸ ۱۸۰ ٤۷ ۲۲۲	۲۱۸ مواد أولية ومنتجات صناعية أساسية ۱۸۰ سلع تجهيزية ۲۷ سلع استهلاكية ۲۲۳ متنوعات

وفي ١٩٨١ بلغت قية الصادرات ٢٢٢٦٠ مليون دولار والواردات ١٣٢٧٢ مليون دولار .

ولكن المعضلة الكبرى في أندونيسيا لاتختلف كثيراً عن مثيلتها في الكثير من دول العالم المتخلف ؛ وهي الفساد في الجهاز الحكومي ، أو الرشوة التي تتخذ شكل وباء .





النشاراللغائ الأوربية فحني العالم

الفصل الخيامس

أوروبا(١)

الصفات الأصيلة لقارة أوروبا أو البر الكبير عند الجغرافيين العرب

أولاً ـ لقد حظيت أوروبا بدور وموقع لابديل لهما ولا مثيل :

١ ـ تحتل أوروبا في قلب العالم مكانة متميزة (شكل ١) :

آ - إن أوروبا هي عقدة المواصلات الكبرى في « نصف الكرة القاري » : ففي مقابل الواجهة الحيطية للكرة ، والتي تتألف على الخصوص من الحيط الهادي الفسيح ، نجد « نصف الكرة القاري » الذي يجمع كل الأراضي اليابسة تقريباً . ولما كانت أوروبا تقع ، على وجه الدقة ، في وسط نصف الكرة هذا ، لذا تكون أوروبا إذن ، عقدة المواصلات الكبرى ، أو « قطب » العالم الأرضي . وهكذا تتشابك فيها الطرق البحرية والجوية الرئيسية العالمية على شكل شبكة خيوط شديدة الكثافة . وهي في وضع طيب لاستقبال البضائع من سائر الجهات فضلا عن أكثر تيارات الأفكار تنوعاً ، وهي بالتالي المكان المتاز في عالمنا ، حيث تستطيع أن تتخض ، في إثر تماس وتفاعل أكثر المؤثرات تنوعاً ، أقول : أن تتخض وتنطلق بكل سهولة تلك « الشرارات » الخلاقة التي تتولد عنها أنشطة اقتصادية جديدة أو ثقافية (شكل ٢) .

⁽١) أوربا هي كلمة ناتجة عن تحريف لكلمة فينيقية ، أي كنمانية قديمة وهي إيرب Ereb ومعناها مغرب الثمس .

وعلى خلاف ذلك فهي تتتع أيضاً في وضع طيب كي تنشر في سائر أنحاء العالم ابتكاراتها المادية والفكرية . وهكذا يبدو دورها العالمي مسجلاً في الطبيعة ولا يكن انتزاعه منها . ولقد شهد العالم كله ذلك ، فبعد أن تعرضت أوروبا للدمار في أعقاب حربين عالميتين متقاربتين للفاية ، واعتقد الآخرون باحتضارها ، سرعان مانهضت أوروبا وقد تجدد شبابها ، وبكل عنفوانها ، بشكل أثار الإعجاب ، وخرجت من بين الأطلال لتنبعث أكثر قوة وأكثر إيماناً بدورها العالمي .

ب - كا تتمتع أوروبا بأفضل بقاع الأرض من حيث الشروط الطبيعية : فعلى الرغ من صغر مساحتها التي لاتزيد عن ١٠ ملايين كيلو متر مربع ، أو خسة ملايين فقط ، إذا استبعدنا الاتحاد السوڤياتي منها ، أو ما يعادل ٣ ٪ من مساحة اليابسة ، فإن هذا « الرأس المتقدم من قارة آسيا » يحوي مالا يقل عن ١٠٠ مليون نسمة (عدا الاتحاد السوڤيتي) ، أو ما يعادل ١٢ ٪ من سكان العالم . وتكون أوروبا إحدى الأمكنة المتيزة في العالم حيث كانت الطبيعة أكثر كرماً . فهي تقدم لسكانها قائمة طويلة من الموارد ، وهذا على خلاف القارات الأخرى ، إذ تكاد تكون قابلة للسكني في كل أرجائها ، ذلك أن أبعد نقاطها شهالاً ، هو رأس الشهال ، يقع على عرض ٢٠٠،١٠ ، كا أن أبعد نقطة فيها باتجاه الجنوب هو رأس ماروكي (أي المغربي) في إسبانيا ، المطل على مضيق جبل طارق ، أو يجر رأس ماروكي (أي المغربي) في إسبانيا ، المطل على مضيق جبل طارق ، أو يجر رأس الزقاق ، والواقع على درجة عرض ٢٠،٠٥ ، وأبعد النقاط باتجاه الغرب هو رأس روكا في البرتغال على خط طول ٥٠،٥٠ غرب غرينيتش ، وهكذا لاتملك أوروبا أكثر من ثلاث حزم ساعية مقابل ١١ في الاتحاد السوڤياتي . وهكذا تقع كلها في النطاق المعتدل .

ومن ناحية أخرى إذا نظرنا إلى أبعادها ، وتوزع عناصرها الطبيعية وجدناها أفضل بقاع العالم من حيث كونها على « مقياس الإنسان » .

ولعل أحسن أوراقها الرابحة هي أنها أكثر بقاع العالم ساحة للبحر بالتسلل

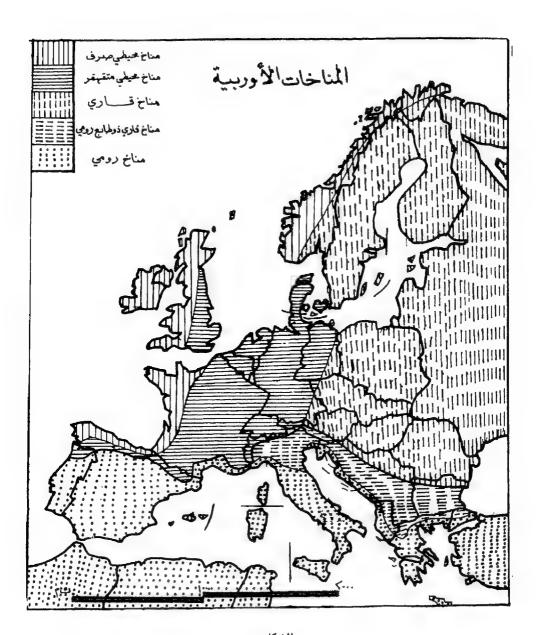
وبالنفاذ إلى داخل أراضيها بعمق . وهكذا نجدها من الشمال ومن الغرب ومن الجنوب ، تعرض ثلاث واجهات تكون تسنّناتها العريضة مواتية للنشاط البحري .

وهكذا يبلغ طول سواحلها ٣٧٩٠٠ كم ، كا أن الحيطات والبحار التي تتوغل في القارة وتنتهي على شكل بحار داخلية وخلجان. عيقة تعمل على تقطيع القارة إلى جزر وإلى أشباه جزر ، عملت منذ أبعد العصور التاريخية السحيقة ، على أن تمنح أوروبا ميزة لامثيل لها .

أما المناخ فهو ميزة أخرى في أوروبا ، فإذا استثنينا الشمال الأقصى أو الجنوب الأقصى ، فإن درجات الحرارة تظل محصورة ضمن قيم وسطى ولا تفرض على الإنسان وعلى أنشطته أي عائق حقيقي . وعلى كل ذلك فإن المناخ الأوروبي يقدم بفضل تنوعه تنوعاً في الإمكانات ، ولاسيا الزراعة منها ، والتي يبدو حشدها في مثل هذه الرقعة المحدودة ظاهرة استثنائية في العالم (شكل ٣) .

لقد تم تسجيل أعلى درجة حرارة مطلقة في اشبيلية وكانت ٥١ درجة ، أما الحرارة الدنيا فقد سجلت في اوست تسياما حوالي - ٥١٠ . أما الحرارة الوسطى المدوية فنجدها بالتالي إلى جانب متوسطات الأمطار :

متتوسط الأمطار	الحرارة الوسطى	اسم	متوسط الأمطار	الحرارة الوسطى	اسم
السنوية (مم)	السنوية	المدينة	السنوية (مم)	السنوية	المدينة
٤٩٠	1,7	براغ	729	٥١٧,٧	أثينا
70-	1,1	صوفيا	۸۰۳	10,2	روما
٥٧٠	1,1	برلين	٨٥٧	10	ئيس
750	٥,٨	أوسلو	VTT	15,7	استانبول
AY•	۲,۹	ريكياڤيك	213	۱۳,۳	مدريد
٥١٣	۲,۹	موسكو	717	11,1	بلغراد
001	۲,۱	هامرفست	AYF	11	بودابست
YAY	٧,٠	أرخانجلسك	٦٨٠	1,7	فيينا

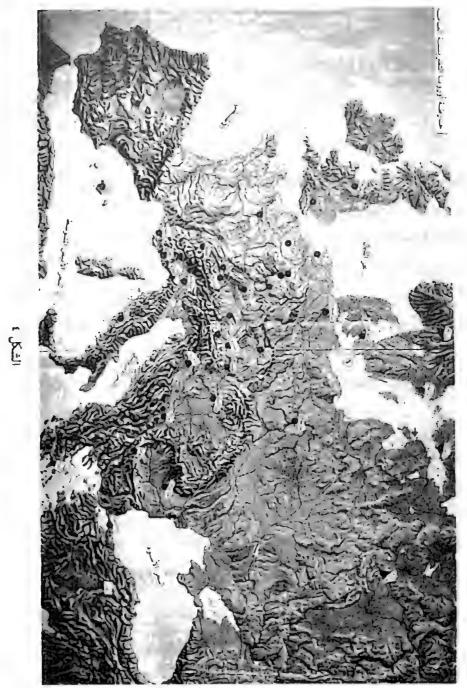


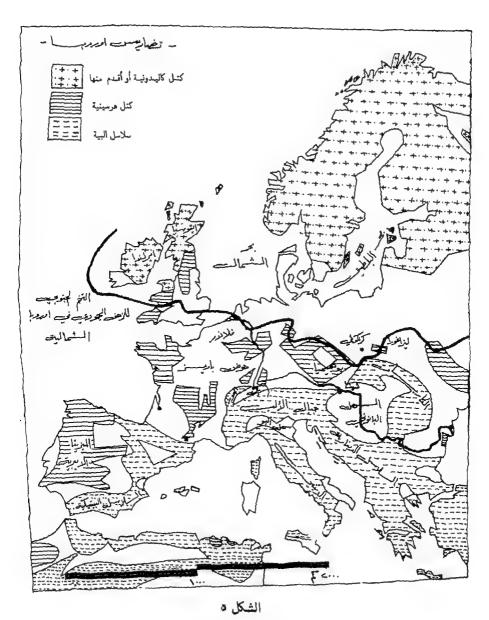
الشكل ٣

كا تبدو أوروبا متتعة بطبيعة تضريسها ذاته . فقد تعرضت جبالها القديمة الشهالية العائدة للالتواءات الكاليدونية ، وجبالها المركزية الناجمة عن الالتواء المرسيني ، تعرضت لحت érosion شديد ، سوّاها أكثر من مرة ، أو تعرضت إلى المرسيني ، تعرضت لحق المعوبات جدّية في وجه المواصلات . ومن ناحية أخرى تنفتح هاتان الزمرتان من الجبال على سهل فسيح يتجه من الغرب نحو الشرق ، يولف طريقاً متازأ بين أوربا الغربية ، وبين أوربا الشرقيسة الشرق ، وبين أوربا الشرقيسة تولف ارتفاعاتها أحيانا عائقاً أمام المواصلات ، فإنها تكون في أكثر الأحيان «مهوّاة » بأودية عريضة وعيقة كيّفتها الجوديات الرباعية ، والتي تستغلها طرق المواصلات بكل سهولة . ونجد أخيراً أن السهول هي المتفوقة على نطاق واسع ، وتتمثل بالحوض الباريسي والسهول الجرمانية البولونية الكبرى حيث تمتد الأراضي الزراعية الغنية المؤلفة من أحواض رسوبية ومن سهول لحقية ، في حين نجد في الجنوب سهول مقدمات السلاسل الألبية والمتددة بين السلاسل الجبلية العالية المالية ، وحتى في الجبال ، كا يكون تنوع المشاهد غير محدود .

وأخيراً إذا كانت أوروبا تفتقر إلى البترول ، باستثناء حوض بحر الشمال ، فإن علاقاتها البحرية قادرة على تلافي ذلك بكل سهولة ، كا أصبحت تستغل منذ القرن التاسع عشر مكامن غزيرة من الفحم ، مثلما تملك قدرة كهرمائية كامنة عظية . وهكذا استطاعت أن تكون رائدة تلك المدنية الميكانيكية ، أم الرخاء والثراء ، والتي يجهد العالم قاطبة سعياً إلى بلوغ مثلها .

٢ ـ هذا كا تكون أوروبا « منفتحة على العالم » من حيث طبيعتها ومن حيث حاجتها : فبينما ظلت المدنيّتان الكبيرتان في العالم الآسيوي ، أي الهندية والصينية ، مقتصرتين على الإطار الأرضي الضيق نسبياً ، الذي نشأتا فيه ولم





، تضاریس اُوروبا۔

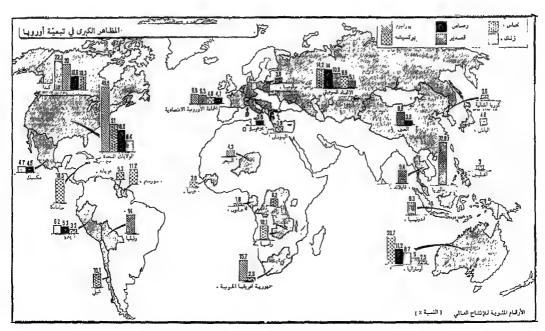
تخرجا منه ، فإن المدنية الأوروبية كانت مدنية فاتحة توطدت دعائمها فوق كل القارات ، وإن كان ذلك بصورة متفاوتة .

فقد عمل الفكر الأوروبي ، وريث العقلانية الإغريقية ، على تجريد قوى الطبيعة من أية صفة خارقة أو سحرية ، فأصبحت خاضعة لقوانين ، وما على الإنسان إلا أن يكتشفها كي يروضها ، وليخضعها وليجعلها في خدمته . ومن هذا نستخلص ثلاثة ملامح نوعية في « العبقرية الأوروبية » وهي :

- حب الإكتشاف .
- ـ الميل إلى العلوم التطبيقية .
 - ـ ذوق التنظيم والانضباط .

وقد كان من جراء تحالف هذه الملامح المذكورة مع النزعة البحرية التي منحتها الطبيعة لقارة أوروبا ، أن حدث ذلك التوسع الاستعاري المذهل بين نهاية القرن الخامس عشر على أيدي البرتغاليين والإسبان ، وحتى فجر القرن العشرين على أيدي الإنكليز والفرنسيين والذي عمل على إخضاع معظم أجزاء العالم لسيطرة أوروبا تدريجياً من الناحية السياسية ، ذلك الاستعار ، الذي لاتزال ذيوله الاقتصادية والفكرية والمادية ماثلة حتى الآن ، ويجنح تقليد أوروبا في أزيائها وأغاط معيشتها ، وقبل كل شيء في سفاسفها ، نحو الاستفحال لدى الشعوب التي خضعت سابقاً لأوروبا ، ولاسيا في الأمور التي لاتتطلب جهداً عقلياً عنيداً ، كوسائل الترفيه والترف والمتعة الرخيصة ؛ إذ يقول (غاستون بوتول) ، العالم الاجتاعي الفرنسي الكبير : « من السهل على الشعوب المتخلفة استيراد ثمار الحضارة الأوربية بكل سهولة ، ولكنها تعجز غالباً عن استيراد بدورها » .

ولكن بعد أن حكمت أوروبا العالم ، أصبحت في حالة تبعيّة له بعد تحرره سياسياً (شكل ٦) .



الشكل ٦

اقتبست الإحصائيات المذكورة أعلاه والمشار إلى كل مادة أولية منها بنسبة إنتاجها المئوي العالمي من «حولية الفلزات والمعادن » لعام ١٩٧٧ ولم نذكر في كل حالة سوى الأقطار المنتجة الرئيسية . وهي تغطي بالنسبة للقصدير ٨٥٠٤٪ من الإنتاج العالمي . ومن الرصاص ٧٤٪ ، ومن البوكسيت ٥١٨٠٪ ، ومن الزنك ٢٨٨٠٪ ، ومن النحاس ٨٢٠٪ . أما فيا يتعلق بالأورانيوم فإن البوكسيت البلدان الاشتراكية غير معروفة لهذا اقتصرت الإحصاءات على إنتاج العالم الغربي . أما مقدار ١٣٨٠ طن في الجماعة الاقتصادية الأوروبية والتي تمثل ٢٠٨٪ فتصدر عن المناجم الفرنسية . وهنا نلاحظ التفوق الذي تتمتع به الأقطار الأربعة التالية في العالم وهي : الولايات المتحدة ، كندا ، استراليا ، والاتحاد السوڤيتي والتي تملك علياً مروحة واسعة من المواد الأولية التي أصبحت نادرة أكثر فأكثر وعلى خلاف ذلك نجد تبعية أوروبا صارخة واضحة .

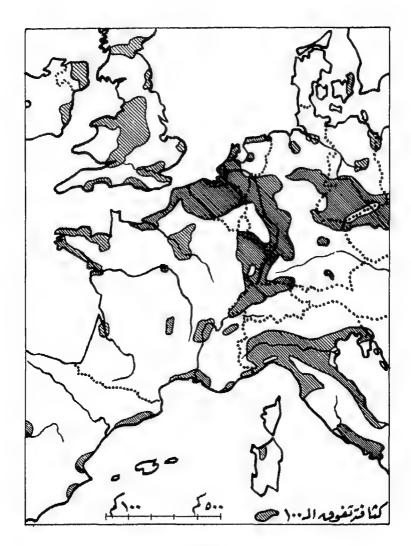
فبعد أن أقامت اقتصادها على أساس من المبادلات بين القارات ، لم تعد قادرة اليوم أن تستغني ، بعد زوال السيطرة الاستعارية المباشرة ، عن المواد الأولية ولا عن أسواق التصدير الواقعة فيا وراء البحار ، ذلك أن خمسي التجارة العالمية العابرة للمحيطات إنما تتم بين أوروبا وبقية العالم . ولكن إذا اقتصرت أوروبا على موارد أرضها فحسب ، فإنها سرعان ماتسقط في وضع ميؤس منه ، ولكنها تستعيض عن فقرها الطبيعي بغناها التكنولوجي وبسمّوها العلمي .

٣ ـ غير أن أوروبا ليست متجانسة : ففي الجنوب والشرق لاتزال تحتفظ بيعض سهات التأخر :

والواقع لم تكن الحيوية الأوروبية لتنفتّح وتنتشر إلا في أوروبا الشمالية الغربية وأوروبا الوسطى ، إذ لم تشترك أوروبا الجنوبية والشرقية أبداً في إبداع هذه المدنية ونشرها ، إلا بصورة غير منتظمة ومحدودة جداً .

آ - وتتركز قدرة أوروبا في أوروبا الوسطى والشمالية والغربية . فعلى طول محور يتد من بريطانيا إلى بوهييا في أوروبا الوسطى ، تتجمّع أكثر الكتل السكانية كثافة (شكل ٧) ، وأكثر الزراعات غنى ، وأكثر الصناعات والموانئ فعالية ونشاطا ، وأكبر عدد من الختبرات والأبحاث والاختراعات . و يتد النشاط العظيم هذا جنوبا ، ليطغى على القسم الأعظم من فرنسا وعلى إيطاليا الشمالية ، وتتطاول نحو الأقطار الاسكنديناڤية حيث يكون الثراء والمدنية الراقية إلى جانب كثافة سكانية ضعيفة .

ب ـ أما أوروبا المتوسطية ، أو الرومية ، التي كانت تؤلف الواجهة النشيطة من أوروبا في العصور القديمة وفي العصر الوسيط ، فقد أصيبت بالركود لمصلحة الواجهة الأطلنطية من أوروبا ، وذلك ابتداءً من الاكتشافات الجغرافية الكبرى في القرن السادس عشر ، ولم تسترد أكثر من فاعلية ضامرة ، حتى بعد فتح



الشكل ٧ أوروبا الفربية نطاق الكثافات الشديدة

قناة السويس . ولما كان هذا القسم من أوروبا يفتقر إلى الفحم ، فهو لم يساهم في الثورة الصناعية الكبرى خلال القرن التاسع عشر . وعلى الرغم من كثرة السكان في أوروبا الجنوبية ، وذلك في الأرياف على الأقل ، فإنها لاتزال تحمل ، كا في

جنوب إيطاليا مثلاً ، بعض الملامح التي تتصف بها الأقطار المتخلفة (·)

ج. أما أوروبا الشرقية فهي أقل أجزاء أوروبا انفتاحاً على البحر . فهي تمتد تدريجياً في هذه الكتلة القارية الكبرى ، أي تتوغل في أوراسيا ، مما جعلها تتعرض في الماضي ، أكثر من مرة ، لغزوات جحافل البرابرة الأشداء ، القادمين من سهوب آسيا الوسطى ، ابتداءً من عصر آتيلا سنة 37٤ م حتى زحف جنكيزخان وتيورلنك في مطلع القرن الخامس عشر . وقد كانت تعيش في بنية اجتاعية شديدة التسلسل حيث كان يهين كبار ملاكي الأراضي ، إلى أن ظهر النظام الشيوعي في أعقاب الثورة البلشفية في ١٩١٧ في روسيا والذي انتشر ليشمل سائر أقطار أوروبا الشرقية بعد عام ١٩٤٥ . أما من وجهة النظر الاقتصادية ، فلم تكن أوروبا الشرقية أكثر من خزان بشري ، ومصدر للمواد الغذائية أو لمواد الخام والتي كانت أوروبا الغربية والوسطى تستمد منها حاجاتها . ولا تنزال تحوي بالتالي ، حتى الآن ، ملامح من تخلف لم تتخلص منها تماماً إلا منذ فترة قريبة جداً .

ثانياً: بعد شرور وأضرار الحربين العالميتين تسير أوروبا نحو الوحدة:

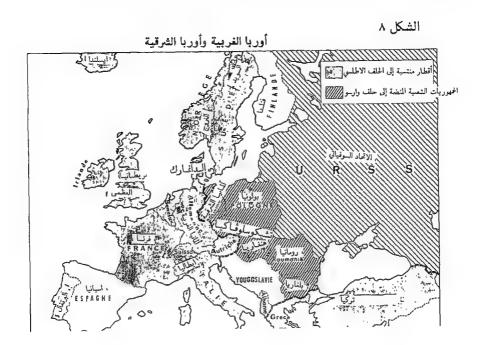
بعد أن ظلت أوروبا ، ولمدة طويلة ، دون منافس في العالم ، خامرها اعتقاد في أنها قادرة على الانهاك ، دون عقاب ، في نزاعات داخلية وانقسامات . فلم تتعرض أية قارة لمثل الحروب التي شنتها أقطار أوروبا على بعضها بعضاً حتى كادت تشرف على المسوت في أعقاب الحربين العالميتين الأخيرتين ، كا فرضت

⁽١) أو الأقطار الناقصة النهو ، أو النامية ، أو السائرة في طريق النهو ، أو دول العالم الشالث ، أو عـالم الجنوب ، أو الأمم الكادحة ، أو الأمم المتأخرة .

الحرب العالمية الثانية عليها « الستار الحديدي » ، وهو أكبر شرخ عميق شهدته في تاريخها كله . وفي هذا العصر الذي أصبحت فيه القوة من نصيب دول ذات أبعاد كبيرة ، فإن تجزئة أوروبا سياسيا جعل منها « محمية » أو أحيانا « تابعة » للولايات المتحدة من ناحية وللاتحاد السوڤييتي من ناحية أخرى . ونتيجة هذا الظرف الفريد نشأت محاولات التجمع .

١ ـ لقد أراد الكوميكون تجميع أقطار « الديموقراطية الشعبية » :

لقد أصبحت كل أقطار أوروبا الشرقية ، فور انتهاء الحرب العالمية الثانية ، عبارة عن « ديموقراطيات شعبية » كان النظام الشيوعي فيها منقولاً حرفياً عن النظام المعمول به في الاتحاد السوڤياتي . وامتدت رقعتها نوعاً ما لتشمل سيليزيا البولونية وألمانيا الشرقية وتشيكوسلوڤاكيا ، أي على أوروبا الوسطى (شكل ٨) ، التي سبق لها أن ازدهرت فيها الصناعة الحديثة . ولكن إذا استثنينا هذه القطاعات الهامشية ، فإن الديموقراطيات الشعبية ورثت الجزء الأكثر تأخراً في أوروبا . وهنا بُذلت جهود كبيرة في سبيل التحديث الاقتصادي .



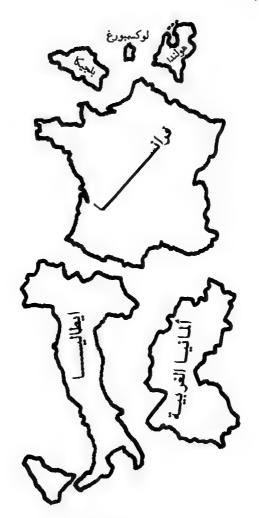
وقد قادت صلة النسب بين هذه الأنظمة أو الأهداف التي تسعى إليها منذ ١٩٤٩ ، إلى أن تشكل ، بتوجيه من الاتحاد السوڤياتي ، مجلس التعاون الاقتصادي المتبادل ، الذي غلبت عليه تسمية الكوميكون اختصاراً . وقد استهدف هذا الكوميكون ، عن طريق التنسيق بين مخططات كل قطر ، ومن خلال تخطيط المبادلات بين سائر أعضائه ، إلى نوع من تخصص في كل قطر من أقطار أوروبا الشرقية حسب قدراته وحسب حاجات الدول الأخرى . غير أن هذه المؤسسة تعرضت إلى محن متنوعة ، وتعرقلت أنشطتها بسبب يقظة القومية مجدداً في أوروبا الشرقية ، وعجزت عن إقامة سلطة فعالة . ولم تستطع أبداً أن تقيمه في الغرب ،

٢ ـ أوروبا الست : محاولة اندماجية :

وعلى خلاف ذلك ترمي الدول السبع وهي : ألمانيا الاتحادية ، وفرنسا ، وإيطاليا ، ودول البينولوكس الثلاث ، إلى انصهار اقتصادياتها بصورة تدريجية وثابتة (شكل ٩) .

آ ـ فنذ ١٩٥١ أقامت الجماعة الأوروبية للفحم والفولاذ: أو « ج . أ . ف . ف . C. E. F. A » نظام حرية الانتقال ، دون أي رسم جركي على مجمل أراضي الدول الست ، وذلك بالنسبة للفحم وخامات الحديد والصهير (فونت) والفولاذ ، والذي تنتج منه قرابة ١٠٠ مليون طن ، أي ما يعادل إنتاج الاتحاد السوڤيتي ذاته . ولأول مرة أصبحت كل دولة تحوّل جزءاً من سيادتها إلى منظمة فوق قومية ، أي إلى السلطة العليا ، التي تتخذ من لوكسبورغ مقراً لها ، وتنطبق حرية الانتقال هذه على الأشخاص أيضاً ، وهذا بين دول كانت متعادية

سابقاً ، فمتى تتوصل الدول العربية « الشقيقة » لمثل هذا المستوى ؟ بل متى تكف عن الاحتراب (١) ؟



الشكل ١ دول السوق الأوروبية المشتركة

(۱) كقول البحتري إذا احتربت يــومـــــاً ففــــاضت دمــــاؤهــــا _ 027 _ ب _ أما الجماعة الاقتصادية الأوروبية : (ج . أ . إ) أو C.E.E والتي تدعى عادة « السوق المشتركة » فقد ظهرت في عام ١٩٥٧ نتيجة لمعاهدة روما ، وامتدت منظومة « ج . أ . ف . ف » لتشمل كل اقتصاد دول أوروبا الست . وألغيت رسوم الجمارك على مراحل ضن منظومة « ج . إ . أ » ، في حين كانت التعرفة الجمركية باتجاه الخارج تقوم تدريجيا ، بيد أن « ج . إ . أ » ليست عبارة عن اتحاد جمري ، بل تحاول التقدم كي تجعل الشروط الاجتاعية والمالية والتشريعية في الإنتاج متاثلة في كل الأقطار المنضة إليها ، ولتحقيق حرية تنقل الأيدي العاملة ورؤوس الأموال . إذن ترمي الجماعة إلى اندماج حقيقي وكلي لاقتصاد الدول الست ، في الوقت الذي تسعى فيه لإقامة سوق يضم ٢٢٥ مليون نسمة .

هذا وتكون «ج. إ. أ » شأن «ج. أ. ف. ف » تحت إدارة منظمة فوق قومية supranational ، هي اللجنة الأوروبية ، ومقرها في بروكسل.

وتمثل السوق الأوروبية ، فوق رقعة أكثر ضيقاً بكثير ، قدرة زراعية وصناعية تقف على قدم المساواة مع قدرة كل من الاتحاد السوڤياتي أو الولايات المتحدة الأمريكية . وقد ظهرت آثاره عن طريق النتائج الناجحة في ميدان المنافسة وعن طريق الاتفاقيات الدولية بين الشركات ، وعن طريق سوق فسيحة متوفرة أمام كل مؤسسة ، هذا بالإضافة إلى نجاحات اقتصادية سريعة .

غير أن السوق المشتركة التي حققت إنجازاً متقدماً جداً على المستوى الصناعي ، تعاني ، على عكس ذلك ، من مصاعب خطيرة في سبيل توحيد زراعة الدول الست ، ذلك أن مزارعي كل قطر يتتعون بدع وتوجيه مختلف عن القطر الآخر وذلك حسب سياسة الدول الوطنية . كا يجب أخيراً التصدي في

يوم قريب لمشكلة العملة المشتركة ، التي ستكون تتويجاً لهذه المساعي ، ولعل الأورودولار هو أحد مظاهر هذا الاتجاه .

جـ - أما الأوراتوم ، ويعني الجماعة الأوروبية للطاقة الذرية ، فقد تأسست بموجب معاهدة « ج . أ . إ » ذاتها . وترمي هذه المؤسسة ، عن طريق المشاركة في البحث النووي ، وفي الموارد من المواد المشعة ، إلى تسهيل ازدهار إنتاج الطاقة النووية ، التي لا يزال استخدامها في الطاقة بعيداً عن متناول الأمم الصغرى ، ولتوفير تسهيلات لأوروبا الست مماثلة لتلك التي يتمتع بها كل من الاتحاد السوڤيتي والولايات المتحدة ، ولتحسين حصيلتها الطاقية التي جعلها فقر حقولها النفطية تشكو من العجز ومن التبعية .

د ـ انصهار المنظمات الثلاث : وقد ظهر ذلك أمراً محتوماً منذ نهاية الستينات ، وكان ذلك تجسيداً لنجاح مجمل عملية الاندماج الاقتصادي الذي سبق لنا ذكره .

٣ _ من أوروبا « الست » إلى أوروبا « التسع » في ١٩٧٣

لما كانت السوق المشتركة عبارة عن خير وبركة على أعضائها ، وشوكة في حلق الدول التي لم تشترك فيها ، فقد دفعت الضرورة إلى توسيع مجاله عن طريق انتسابات جديدة ، حتى لقد انضت إليه اليونان وتركيا ومختلف أقطار أفريقيا السوداء . غير أن إمكانات توسيعه تتعلق قبل كل شيء ببريطانيا العظمى ، التي تظل الدولة الأوروبية الكبيرة التي ظلت بعيدة عنه .

فبعد أن كانت إنكلترا مرتابة بل ومعادية ، وذلك بسبب تقاليدها و « جزريتها » وبقوة مصالحها غير الأوروبية ، ردّت على تشكيل « ج . أ . إ » بأن شكّلت في ١٩٥٩ « التجمع الأوروبي للتجارة الحرة » ولم يكن ذلك

أكثر من رد فاتر ومحدود ، بشكل ضيق في الجال التجاري ، على نشاط «ج. أ. إ» .

ولكن قررت المملكة المتحدة وإيرلندا والداغارك في ١٩٧١ العزوف عن سياستها السابقة والتفاوض في سبيل الانتساب إلى « ج . أ . إ » وانتسبت فعلاً في الأول من كانون الثاني ١٩٧٣ .

وتؤلف هذه الكتلة الأوروبية « التسع » قوة تزيد عن ٣٢٥ مليون نسبة ، تنتج ٤٢ مليون طن من القمح وتملك ٧٥ مليون رأس من الأبقار ، و ٢٧٥ مليون طن من الفحم ، و ٨٠٠ مليون طن من القدرة على تكرير النفط ، وتنتج أكثر من ١٢٠٠ مليارك وس من الكهرباء وتنتج حوالي ١٥٠ مليون طن من الفولاذ ، فضلاً عن ١٣ مليون سيارة في العام .

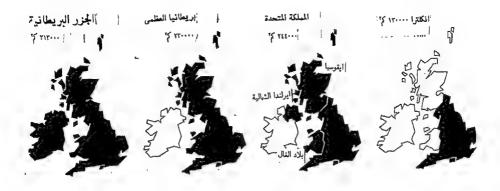
وهكذا تبدو قدرة أوروبا « التسع » معادلة إحصائياً بصورة محسوسة للأرقام الماثلة في الولايات المتحدة ، وبل وتتجاوزها أحياناً ، غير أن قوة أوروبا « التسع » تتعلق بالواقع بدرجة تآخذها ، بما يجعل الحفاظ عليها ودعمها ، بالتالي أكثر صعوبة ، كلما كان عدد الأعضاء المنتسبين أكبر عدداً . ومنذ ١٩٧٤ أخذت بريطانيا تعيد النظر في قضية انتسابها لاعتبارات سياستها الزراعية ، كا أن المصاعب الاقتصادية العالمية لا تعمل على تقوية اتحاد التسع ، بقدر ما تدفع بالأحرى نحو « ليعمل كل حسب مصلحته » .



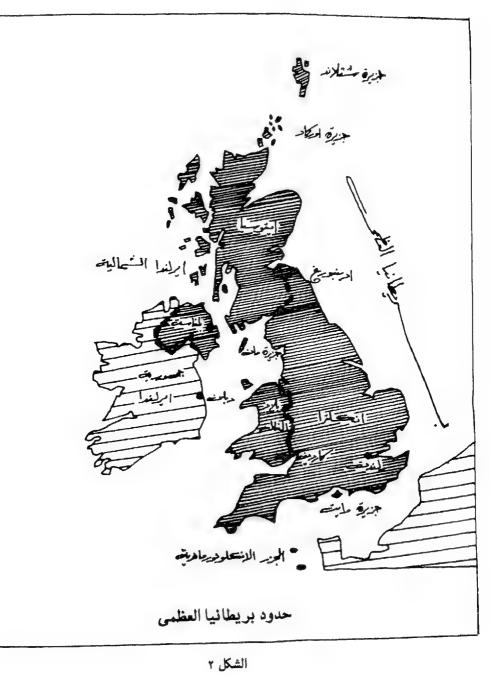
الجزر البريطانية

تبلغ المساحة الكلية للجزر البريطانية ٢١٣٠٠٠ كيلومتر مربع ، وتضم جزيرتين رئيسيتين : جزيرة بريطانيا العظمى ، ذات الشكل المثلثي الكثير التعاريج ، والتي ينفصل عنها عدة أرخبيلات : في الشمال جزر شتلاند ، وجزر أوركاد ، وجزر هبريد ، وفي الغرب جزر مان وجزر آنكلسي ، وفي الجنوب جزر سيللي ، وجزيزة وايت ، والجزر الأنكلو النورماندية ، وأهما جيرسي وغيرنيسي القريبة جداً من سواحل فرنسا . وتبلغ مساحة هذه المجموعة ٢٣٠٠٠٠ كم ، أما جزيرة إيرلندا ذات الشكل الرباعي ، فلا تزيد مساحتها عن ٨٣٠٠٠ كم (شكل ١ وشكل ٢) .

وتتجمع الجزر البريطانية فوق عتبة قارية تغمرها مياه البحر على عمق



الشكل ١



لا يزيد عن ٢٠٠ م ، وتنفصل عن القارة بمضيق بادوكاليه ، الذي لا يزيد عرضه عن ثلاثين كيلومتراً ، غرته المياه في مطلع الدور الرابع . ولا زالت هذه الجزر تحتفظ بأهم الصفات الطبيعية الأوروبية ، كا تتيز بتعقيدها الأثنوغرافي الناجم عن تعاقب الفتوحات عليها ، فقد سكنها السلتيون والجرمان بالإضافة إلى التجزؤ السياسي الناجم عن تاريخها المعقد .

فالمملكة المتحدة ومساحتها ٢٤٤ ألف كم ، تضم إنكلترا ومساحتها ١٢٠٠٠ كم ، وإيقوسيا ومساحتها ٧٩٠٠٠ كم ، وبلاد الغال ٢١٠٠٠ كم ، وجزيرة مان والجزر الإنكلو النورماندية ، ويؤلف المجموع ما يسمى بريطانيا العظمى ، كا تحتفظ بإيرلندا الشالية أو أولستر ومساحتها ١٤٠٠٠ كم ، أما تبقى من جزيرة إيرلندا ، فيؤلف جهورية إيرلندا ومساحتها ٧٠٢٨٠ كم ، وقد انفصلت عن المملكة البريطانية عام ١٩٢١ .

وبعد أن كانت المملكة المتحدة أول دولة عالمية في القرن التاسع عشر ، أصبحت في القرن العشرين إحدى كبريات الدول المغلوبة اقتصادياً أمام الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي واليابان ، ولكنها تقاوم هذا التقهقر بعناد وبشكل ناجع ، وفي عام ١٩٧٦ كان الدخل الفردي في إنكلترا ٤٠٧٠ دولاراً مقابل ١٣٥٠ في فرنسا و ١٨٧٠ في ألمانيا الغربية .



أسس القوة البريطانية

نستطيع أن غير من خلال تعقيد التقنية والتجارية والرأسالية في هذه الدولة ، التي تعتبر أقدم قلاع الحضارة الغربية ، ثلاثة عناصر تؤلف أسس هذه الدولة ، التي لا تزال تحتل المكانة الثالثة بالعالم وهذه الأسس هي : علاقاتها ومواصلاتها ، غنى إنتاج الطاقة ، وأخيراً البنية المهنية والتوزع الجغرافي لسكانها المتكاثفين .

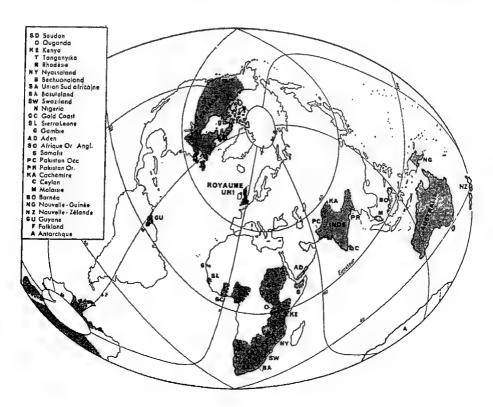
أهمية علاقاتها ومواصلاتها:

فهي تملك أسطولاً تجارياً ، يؤلف أداة المبادلات المتناسبة مع الامبراطورية البريطانية ، ومع تماسك منطقة الاسترليني ، مما يجعله ذا مقياس عالمي لأنه يحتل المرتبة الثالثة .

أ ـ الامبراطورية البريطانية : إن الاكتشافات الجغرافية الكبرى في القرن السادس عشر ، وتطور وسائل المواصلات في القرن الماضي ، هي التي تفسر سبب كون الامبراطورية البريطانية أكبر إمبراطورية عرفها تاريخ العالم . فهي تغطي مساحة قدرها ٢٧ مليون كيلومتر مربع ، أو خس مساحة اليابسة ، وتضم أكثر من ٩٢٥ مليون نسمة ، أو ربع سكان الأرض ، في حين لا تؤلف مساحة الجزر البريطانية سوى ٩٠٠ ٪ من مجموع مساحة هذه الامبراطورية ، كا أن عدد سكان بريطانيا يؤلفون أقل من عشر سكان هذه الامبراطورية .

هذا وتكون الكيانات السياسية متنوعة جداً في هذه الامبراطورية

(شكل ٣). فأكثر الأقطار تطوراً ، تؤلف دولاً مستقلة أو دول الدومينيون ، والتي تقف على قدم المساواة مع المملكة المتحدة ، كي تشكل الكومونولث



الشكل ٣ الامبراطورية البريطانية في ١٩٤٥

البريطاني الذي ظهر للوجود عام ١٩٢٦ ، والذي كان مقتصراً على دول ذات سكان من أصل أوروبي وذوي حضارة أوروبية أيضاً ، مثل كندا وأستراليا ونيوزيلندا واتحاد جنوب أفريقيا (الذي انفصل عن الكومونولث في عام ١٩٦٠) وبعد الحرب العالمية الثانية ، انضت إلى رابطة الشعوب البريطانية دول جديدة وهي : الجهورية الهندية والباكستان التي انفصلت في مطلع السبعينات

وسيلان ، ثم تلاها اتحاد ماليزيا وغانا ونيجيريا وسيراليون وقبرص وجامائيك وغويانا البريطانية (١) .

وهكذا تتناثر الأقطار المتضامنة حول المملكة المتحدة من المحيط الأطلسي ، حيث ترتصف على طول السواحل الأمريكية حتى المحيط الهادي ، وبذلك تحصر في داخلها المحيط الهندي . وكانت تحرس طريق السويس قواعد بحرية وجوية تمتد من جبل طارق إلى مالطة وقبرص وعدن وعمان والبحرين ، وتمتد هذه القواعد إلى الشرق الأقصى ، بواسطة قاعدتي سنغافورة وهونغ كونغ . والواقع هو أن تماسك هذه الامبراطورية المبعثرة ، يبدو على الصعيد المالي والمعنوي أكثر منه على الصعيد الإداري . ومع أن سكان الكومونولث فقدوا صفة المواطنين البريطانيين ، فإن السكان من ذوي الأصل البريطاني البحت ـ لأن حوالي ١٠ ملايين ، غادروا خلال القرن الماضي والحالي جزيرتهم ليستوطنوا ما يسمى اليوم بالكومونولث ، بالإضافة إلى النخبة المحلية التي تعلمت في الكليات البريطانية ـ من عبادة العظمة البريطانية ، التي تلت « العصر الفيكتوري » . وقد أثبتت من عبادة العظمة البريطانية ، التي تلت « العصر الفيكتوري » . وقد أثبتت الحربان العالميتان ، مدى الولاء للتاج من كندا إلى أواسط أفريقيا . وإذا كانت المراطورية لا تعوض تماماً فقدان البرلان الامبراطوري ، فإن كل الدول التي كانت تحت حكم بريطانيا ونالت استقلالها ، انضت إلى رابطة الدول التي كانت تحت حكم بريطانيا ونالت استقلالها ، انضت إلى رابطة الدول التي كانت تحت حكم بريطانيا ونالت استقلالها ، انضت إلى رابطة الدول التي كانت تحت حكم بريطانيا ونالت استقلالها ، انضت إلى رابطة

⁽١) يتألف الكومونولث البريطاني من الدول الآتية :

أ ـ في أوربا : المملكة المتحدة . مالطة . قبرص .

ب ـ في أمريكا : باهاما . بليز . برمودة . كندا . جامايكا . ترينيداد وتوباغو . برباد . غويانا . غرناطة . جـ ـ في إفريقيـا : بوتسوانـا . غانـا . زامبيـا . غـامبيـا . كينيـا . لوسوتو . نيجيريـا . سيراليون . أوغنــدا . تانزانيا . مالاوي . موريس . سوازيلاند أو (نغوانا) .

د ـ في آسيا وأوقيانوسيا : أستراليا . نيوزيلندا . فيجي . الهند . بنغلادش . ماليزيا . نورو . پاپوازيا . غينيا الجديدة . ساموا الغربية . سيشل . سنغافورة . سيريلانكا . تونغا .

الشعوب البريطانية ، باستثناء جمهورية إيرلندا ، وفلسطين ، وبورما ، وجمهورية السودان والباكستان ، وعمدت بريطانيا إلى متابعة سياسة التنازلات البنّاءة في أقطار أفريقيا الجنوبية الشرقية ، تاركة السياسة الاستعارية التقليدية لأشكال أخرى من الهينة الاقتصادية ، حتى انها ألغت وزارة المستعمرات في ٣١ تموز عام ١٩٣٣ ودمجتها في وزارة الكومونولث .

ب منطقة الإسترليني: إن سياسة الأفضلية الامبراطورية على الصعيد الجركي ، واتباع منهج الحماية ابتداء من عام ١٩٣٢ بالنسبة لسائر مناطق العالم ، وهي من أشكال الانطواء الاقتصادي البريطاني ، أقول إن هذه السياسة قد زادت في المبادلات في داخل الامبراطورية ، التي تمتص ٤٤ ٪ من قية صادرات المملكة المتحدة ، والتي تغذي ٣٩ ٪ من استيراد الدولة المدكورة . وفي عام ١٩٣٩ ، أوجدت بريطانيا تدبيراً مالياً لمقابلة التفوق الأمريكي بالاستعانة بمراقبة النقد ، بحيث أصبحت الدولارات الناتجة عن تجارة رابحة ، كتجارة ماليزيا المصدرة للمطاط إلى الولايات المتحدة ، تحت تصرف الجميع ضن منطقة الإسترليني (١) ، التي كانت تضم الامبراطورية البريطانية باستثناء كندا ، الداخلة في منطقة الدولار ، وإيراندا وبورما ومصر .

وإذا كانت منطقة الإسترليني تضطر لأن تشتري: القمح والقطن الخام والسكر، والتبغ، وفلزات الحديد، والمواد التجهيزية، فإنها تنتج بالمقابل، وذلك على مقياس تجاري عالمي، كل مادة الجوت (من بنغلادش) وتسعة أعشار الشاي (الهند وسيريلانكا) وحوالي ثلث المنغنيز (غانا) وأكثر من ثلث صوف العالم (أستراليا) والكاكاو (غانا ونيجيريا) وحوالي نصف المطاط والقصدير

⁽۱) لقد اقتبست عبارة الجنيم الإسترليني من كلمة إسترلين ، وهي وحدة نقدية كانت مستعملة في القرن الشاني عشر .

(ماليزيا) والكروم (زيمبابويه) وسدس رصاص العالم وعشر التوتياء ، والبذور الزيتية المدارية ، والبوكسيت (غويانا) كا يعتبر الذهب (غانا وأستراليا) من أهم ثروات رابطة الشعوب البريطانية . وإجمالاً تهين منطقة الإسترليني على ربع التجارة العالمية .

جـ ـ الأسطول التجاري: يلعب الأسطول التجاري البريطاني دوراً رئيسياً في اقتصاد المملكة المتحدة ، سواء عن طريق تخفيض ثمن الكلفة أو عن طريق « الصادرات اللامرئية » التي تنتج عن استخدامه بواسطة الأقطار الأخرى .

وقد نشأ الأسطول التجاري على أثر صدور صك الملاحة الأول عام ١٦٥٥ والصك الثاني في عام ١٦٥١ وأخذ ينه بسرعة منذ القرن الثامن عشر مع غو التجارة الاستعارية . غير أن تطوره وهينته الحقيقيتين يعودان للثورة الصناعية في القرن الماضي ، فقفزت حمولته من ٢,٢ مليون طنة (الطنّة uonneau في مقياس السفن يعادل حجم ٢,٨٣ م٣) في عام ١٨١٠ إلى ٢,٦ مليون طنة عام مقياس السفن يعادل حجم ١٩٨٣ م٣) في عام ١٨٠٠ مليون في ١٩١٤ . ولكن زال هذا التفوق على أثر الأزمة الأوروبية في القرن العشرين . وهكذا بعد أن كان الأسطول التجاري البريطاني يمثل في عام ١٩٠٠ (٢٥ ٪) من الأسطول التجاري العالمي عام العالمي أصبح يمثل في عام ١٩١٠ (٢٥ ٪) منه ، وثلث الأسطول العالمي عام العالمي أصبح يمثل في عام ١٩١٠ (٤٤ ٪) منه ، وثلث الأسطول العالمي عام العالمية الثانية . أعيد بناؤه مجدداً فبلغت حولته في عام ١٩٧٩ مقدار ٣٣ مليون طنة ، ولم يكن يفوقه سوى أسطول اليابان ، وحولتهه ٤٠ مليون طنة ولكن من حيث النوعية ومن حيث فعاليته يعتبر أول أسطول تجاري بالعالم .

ويدل على أهمية الأسطول التجاري الإقليبي البريطاني ، ويعادل عشر حولة الأسطول الكلي ، امتداد السواحل البريطانية ذاتها وارتباط الموانئ

بالنقليات الداخلية ، سواء أكانت بالسكك الحديدية أو بالطرق . ولا تؤلف سفن الترامب Tramps التي قائل سيارات الشحن العامة من حيث نشاطها ، أكثر من عشر الأسطول التجاري ، وتبدو كأنها شكل غير متناسب مع عصر السرعة والتخطيط في القرن العشرين . ولكن تشكل سفن اللينرز Liners وهي بواخر تسير على خطوط منتظمة ، نصف الأسطول وتخص أهم الشركات الملاحية العالمية مثل « شركة أشباه الجزر الشرقية » ، التي تشرف على ٣٠٠ باخرة تسير على خطوط آسيا وكندا وشركة « كونارد » التي تملك السفن الجبارة أمثال « كوين ماري » و « كوين إليزابيت » وشركة « رويال ميل » . كا أن غو الأسطول البترولي بسرعة بفضل شركة الناقلات البريطانية B.P. وشركة البترول الأنكلوسكسونية أو « شل » ، جعل هذا الأسطول عثل ثلث الأسطول البترولي العالمي ، ويحتل المكانة الأولى ، بعد ليبريا والنرويج من حيث الحمولة الصافية أو ١٠ ملايين طنة . وهكذا يؤمن الأسطول البريطاني ٦٠ ٪ من النقليات بين موانئ الملكة المتحدة و ٥٠ ٪ من النقليات مع موانئ الكومونولث و ٣٠ ٪ من النقليات بين بريطانيا العظمى والأقطار الأجنبية ، وتأتى ١٥ ٪ من أرباح هذا الأسطول من قيامه بالمبادلات بين الأقطار الأجنبية . وهكذا يظل الاقتصاد البريطاني مستنداً على الهينة على البحر أو « الثالوقراطية » .

قوة الإنتاج الطاقي :

يتصرف المواطن في المملكة المتحدة بنسبة من الطاقة ، تعد من أكبر أمثالها في العالم .

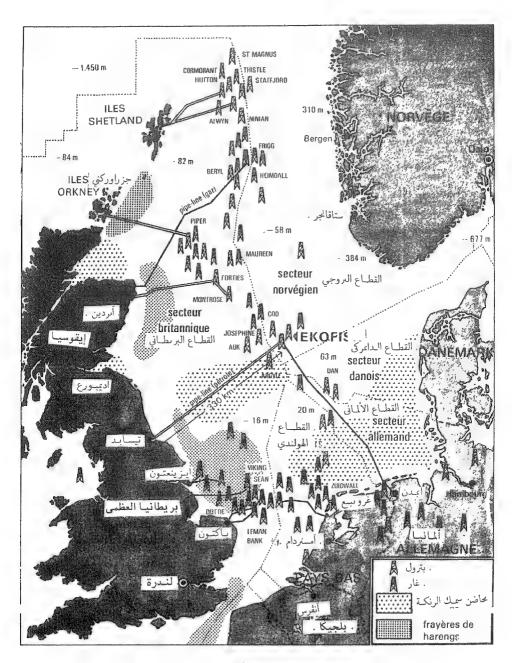
فالنسبة الفردية للطاقة تبلغ ٤,٦٥ طناً من الفحم أو ما يعادلها من حيث القية الحرورية من المنتجات البترولية ، أو من القوة الكهرمائية أي يقف خلف المواطن الهولندي الذي يستهلك ٢,١٥ أطنان ، وهي أكبر نسبة في أوروبا الغربية . ولكن أكثر من النسبة السويدية وهي ٣,٨٤ أطنان أو البلجيكية

البالغة ٣,٧٥ أطنان ، والألمانية وهي ٣,٢٨ أطنان ، والفرنسية وتقدر بـ ٣,٣٤ من الأطنان . كانت مشكلة الطاقة تعتبر من أخطر المشاكل التي تواجه المملكة المتحدة ، التي سبقتها الولايات المتحدة ، والتي يستهلك الفرد فيها ٨ أطنان أو في كندا ٨,٨ طن وذلك قبل دخول حقول نفط بحر الشال مرحلة الإنتاج في ١٩٦٧ (شكل ٤) .

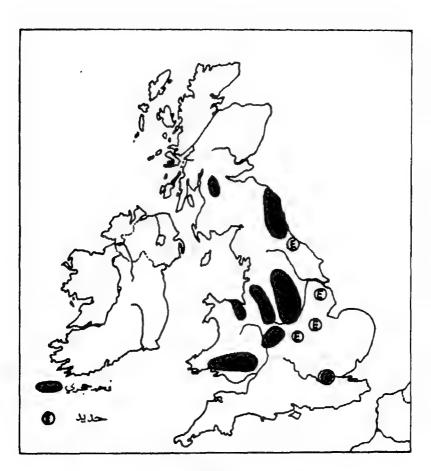
أ ـ أهمية وتطور الثروة الفحمية : يقدم الفحم الحجري حالياً ٨٧ ٪ من الطاقة البريطانية ، وبفضل استخدام الفحم لوحده في بريطانيا في المراكز الحرورية ذات المردود العالي ، والتي حلت مكان المكائن البخارية ذات المردود الفالي ، والتي حلت مكان المكائن البخارية ذات المردود الفالي ، ارتفع إنتاج الكهرباء في هذه البلاد إلى حوالي ٣٠٠ مليار كيلواط ساعي أو ستة أمثال إنتاجها عام ١٩٤٦ رغم إهمالها التام تقريباً لثرواتها من الفحم الأبيض ، ولكن عشرها من أصل نووي .

ولكن مشكلة الفحم لا تزال حادة جداً . فالإنتاج الذي ضرب الرقم القياسي عام ١٩١٣ حيث بلغ ٢٨٧ مليوناً من الأطنان ، والذي كان يسمح بتصدير ٩٣ مليون ، انخفض إلى ١٨٠ مليون طن في عام ١٩٤٥ ، وإلى ١٢٨ مليون طن عام ١٩٨١ ، حتى ان بريطانيا أصبحت مستوردة للفحم منذ عام ١٩٧٤ (شكل ٥) . ورغم تزايد الإنتاج بعد الحرب العالمية الثانية ، فلا يزال الإنتاج غير كاف ليس فقط لوجود تصدير مرغوب جداً من أجل دعم التوازن المالي بل وحتى لسد حاجات الاقتصاد البريطاني من هذه المادة لأن الإنتاج الصناعي زاد بحوالي ٦٠ ٪ بالنسبة لعام ١٩٧٨ .

ومع أن الطبقات الفحمية القريبة من سطح الأرض ، وأكثرها ثخانة والتي المجهت إليها صناعة استخراج الفحم بالبدء ، قد نضب معينها نوعاً ما ، فإن المصاعب نجمت أيضاً عن تأخر تجهيز وتناقص اليد العاملة . فحتى الحرب العالمية كان القانون الإنكليزي الذي يعطي لمالك الأرض ملكية ما تحتها ،



الشكل ٤



الشكل ه حقول الفحم والحديد في بريطانيا

قد أوجد عدداً كبيراً من المناجم الصغيرة العاجزة عن تحسين وسائلها وزيادة إنتاجيتها . ومن جهة أخرى ظلت أجرة العاملين في المناجم في مستوى منخفض جداً ، فكانت تقل بحوالي الثلث عن أجرة العال في الصناعات الأخرى . لهذا انخفض عدد العاملين في المناجم والراغبين في ذلك حتى ضمن العائلات التي يعمل أبناؤها في المناجم منذ أجيال . وأصبح الوضع خطيراً بعد الحرب العالمية الثانية ، لأن عدد العاملين في المناجم لم يزد عن ٧٠٠٠٠ مقابل ١١٠٠٠٠ في عام ١٩١٣،

وكانت أعمار ٤٤ ٪ من هؤلاء تزيد عن ٤٠ سنة ، كا كانت الآلات قديمة وسيئة الصيانة كا كان مردود العامل دون مستوى قبل الحرب الثانية .

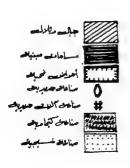
وقد أدت ضرورة إعادة تنظيم الصناعة المنجمية ، وتوظيف رساميل ضخمة إلى تأميم يخالف التقاليد البريطانية . وهكذا قامت هيئة الفحم القومية في عام ١٩٤٧ فارتفع الإنتاج إلى ١٩٣ مليون طن أو ١٠٪ من إنتاج العالم من الفحم . وقد أمكن الحصول على ذلك بفضل جعل العمل ميكانيكيا إلى حد كبير ، ولكن دون مستوى مناجم فرنسا أو ألمانيا ، ولكن هذا الجهد يدل على أن الإدارة المالية رديئة في معظم أحواض الفحم ، فلا يزال التصدير في تناقص (٥ ملايين طن) والاستيراد (١٠ ملايين طن) في تزايد . ومع أن هناك إمكانية لاسترار صناعة استخراج الفحم حسب النسق الحالي خلال مدة تتراوح بين ٥ و ٦ قرون قادمة ، فإن هذا الفحم خسر دوره العالمي إلى الأبد . كا أن دوره الداخلي المتفوق في اقتصاد الملكة المتحدة يتناقص بالنسبة لمصادر القدرة الأخرى .

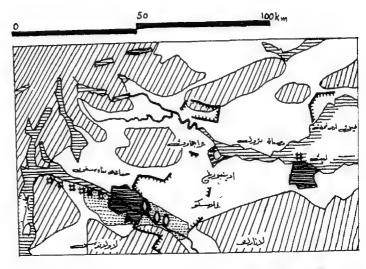
ب - حصة المملكة المتحدة في الإنتاج العالمي للبترول: لم تكن المنتجات البترولية تشل حتى قبل ١٥ سنة أكثر من ٢٤ ٪ من الطاقة البريطانية ، كا لم تكن الامبراطورية تنتج الكثير من البترول . لهذا كانت تدين المملكة المتحدة إلى أسطولها وإلى رساميلها ، التي تلعب دوراً هاماً جداً بالنسبة لهذه المادة الحيوية . فهناك شركتان كبيرتان تستخرج من مختلف حقول النفط بالعالم ١٧ ٪ من الإنتاج العالمي في الأقطار غير الاشتراكية . وهما شركة رويال دوتش شل (وهي شركة إنكليزية هولندية تشكل الرساميل البريطانية ٤٠ ٪ فيها) ، التي تستحوذ على ١١ ٪ من الإنتاج العالمي ، وشركة البترول البريطانية ٩٠ ٪ من الإنتاج العالمي .

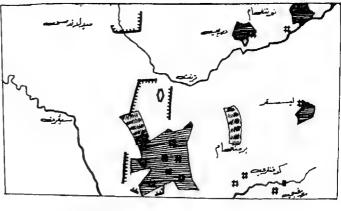
فشركة رويــال دوتش شــل وهي أكبر تروست أوروبي ، تضم ٤٠٠ فرع في ____

ختلف المدول ، وتستخمدم ٢٥٠٠٠٠ شخص في أقطمار مختلفة حيث تستخرج وتشتري وتصفى البترول . ففي عمام ١٩٦١ حصلت على ٥٠ مليون طن تقريباً من أقطار أمريكا الجنوبية وخاصة من فنزويلا وكولومبيا وعلى ١٥ مليون طن من أندونيسيا (من جزيرتي كالمنتان وسومطرا) وعلى ٣٠ مليون طن من الشرق الأوسط ، حيث كانت تحصل على ٢٣,٧٥ ٪ من إنتاج شركة بترول العراق قبل ١٩٧٠ و ١٤ ٪ من إنتاج إيران الذي كانت تشرف عليه مجموعة شركات عالمية . كا تستخدم شركة شل أسطولاً من الناقلات حمولتها ٨,٦ ملايين طن ـ منها سفن حمولتها ٣ ملايين طن تعتبر ضمن ملكيتها الخاصة _ من أساس أسطول عالمي من الناقلات البترولية حمولته ٤٨ مليون طن ، كا تملك أيضاً حوالي ٢٨٠٠٠ كيلومتر من الأنابيب الناقلة للنفط . كا أن مصافيها البالغ عددها ٤٨ مصفاة ، عالجت في عام ١٩٧٩ مقىدار ١٤٨ مليون طن من البترول أو حوالي ١٤٪ من بترول الأقطار الرأسالية مثلها تزداد مكانتها أكثر فأكثر في مضار الصناعة الكياوية . أما شركة البترول البريطانية فهي محدودة بالأساس في الشرق الأوسط ، فهي علل ٤٠ ٪ من إنتاج مجموعة الشركات العالمية التي حلت محل شركة الأنكلو إيرانيان عام ١٩٥٤ بعد تأميم البترول الإيراني على يد الدكتور (محمد مصدق) ، كما كانت تملك ٥٠ ٪ من إنتاج الكويت و ٢٣,٧٥ ٪ من إنتاج شركة البترول العراقية قبل تأميها . وتبلغ حمولة أسطول ناقلات البترول الخاص بهذه الشركة ٢ مليون طن أو ٤ ٪ من الأسطول البترولي العالمي كا تملك ميناءين في غرانجاوث وفي جزيرة غرين Grains Ile de هما الوحيدان في بريطانيا والقادران على استقبال أضخم ناقلات النفط (شكل ٦).

ولكن الوضع تغير تماماً منذ ١٣ سنة إذ أصبحت حقول نفط بحر الشال تغطي حاجة بريطانيا من الغاز بل وأصبحت هذه الدولة تصدر النفط بعد أن أصبحت تنتج ٤٥ مليار متر مكعب من الغاز و ١٠٠ مليون طن في ١٩٨١ من البترول .







الشكل ٦

وهكذا تظهر شركة شل وشركة البترول البريطانية أهم الشركات الإنكليزية إلى جانب شركة الصناعة الكيياوية Imperial Chemical والشركة الإنكليزية الهولندية للزيوت النباتية Unilever والتي تلعب جيعاً دوراً جوهرياً في الاقتصاد البريطاني . فمن ناحية ، تقدم شركة شل وشركة البترول البريطانية ، البترول مع حق الأفضلية ، بالجنيهات الاسترلينية . ومن ناحية أخرى فإن المبيعات التي تقوم بها هاتان الشركتان بالعالم ـ لأن العائدات الصافية لشركة شل ارتفعت في عام ١٩٨٠ إلى عشرة مليارات من الجنيهات ـ تؤلف واردات مالية تزداد قيتها لأنها تدفع بالدولارات ، كا أنها أوجدتا في بريطانيا صناعة بترولية هامة .

فقدرة المصافي البريطانية البالغة ١٤٨ مليون طن بالعام ، والتي تضاعفت ثلاثين مرة منذ عام ١٩٣٨ ، والواقعة خاصة في ميناء فاولي Fawley حيث توجد أكبر مصفاة بترول في أوروبا وفي ميناء غرانجاوث ، تجعل بريطانيا تحتل المكانة الثالثة بالعالم خلف الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وقبل فنزويلا وكندا . هذا وتستهلك بريطانيا حوالي ٣٥ مليون طن من البترول وتعيد تصدير حوالي ١٣ مليون ، ثلثها من أجل استهلاك السفن . وقد شيدت مصفاة في ميلفورد هافن Milford- Haven في بلاد الغال فضلاً عن ميناء يستطيع استقبال الناقلات الجبارة التي تأتي عن طريق الكاب .

جـ ملامح الطاقة الذرية: تحاول بريطانيا أكثر من أية دولة أخرى ، تنظيم إنتاج ذري لأغراض صناعية ، فهناك برنامج كبير يقضي إنجاز بناء « نطاق ذري » ، يشتمل على ١٩ مركزاً تقع عند مصبات الأنهار الرئيسية ، تمثل طاقة إجالية تتراوح بين ١٤٠٠٠ ميغاواط ، أي ضعف البرنامج الأمريكي ، وهذه الطاقة ستمثل ربع الإنتاج الكهربائي البريطاني في عام ٢٠٠٠ .

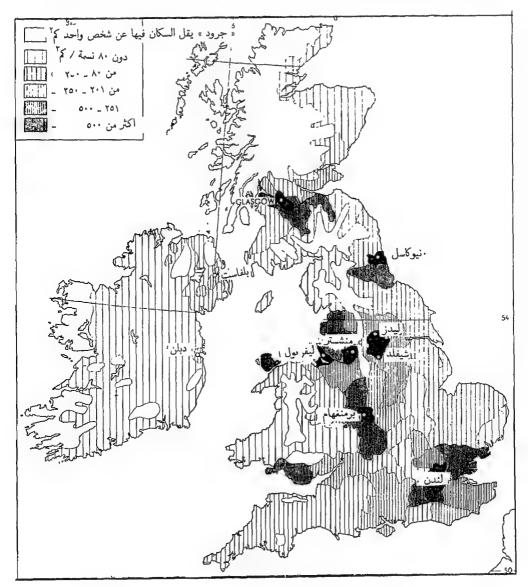
وتتم في الوقت الحاضر معالجة فلزات الأورانيوم المستوردة من اتحاد جنوب

أفريقيا ، استناداً إلى الدراسات التي تمت في هارويل ، قرب مدينة ريدينغ ، وفي مدينة سبرينغفيلد في مقاطعة لانكاشاير . كا يصنع البلوتونيوم في ويندسكايل في مقاطعة كبرلاند ، كا يحول (أورانيوم ٢٣٨) إلى (أورانيوم ٢٣٥) في كابنهورست ، وسيعقب بناء أول مركز في كالدرهول في مقاطعة كبرلاند وقدرته ٥٠ ميغاواط بناء مركز آنان Annan في إيقوسيا . وهكذا تتطلب أكثر دول أوروبا تمسكاً بالتقاليد من هذه الثورة بالطاقة مستقبلاً أكثر مجداً وازدهاراً .

الشعب البريطاني:

لا يمكن فصل النهضة الديوغرافية البريطانية عن الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر . فبعد أن كانت التقديرات تشير إلى أن عدد سكان بريطانيا عام ١٧٥١ لم يتجاوز ٢٥ ملايين ، ارتفع هذا العدد إلى ٢١ مليون بعد قرن من هذا التاريخ ، وإلى ٣٠ مليون عام ١٩٨١ ، وإلى أكثر من ٥٤ مليون عام ١٩٦٦ ، وإلى ١٩٥ مليون في ١٩٨٢ . ورغ أن بريطانيا قدمت خلال هذه الفترة حوالي ٢٠ مليوناً من المهاجرين فقد تضاعف عدد سكانها ٤ مرات في مدة ١٥٠ سنة بينما لم يزد عدد سكان فرنسا في هذه الفترة أكثر من ٢٠ ٪ واستقبلت ٣ ملايين مهاجر . ويبلغ عدد سكان المملكة المتحدة حالياً ٥٦ مليون نسمة ، أي كثافة تقارب ٢٣٠ نسمة في الكيلومتر المربع ، أو ثلاثة أمثال الكثافة في فرنسا . أما في إنكلترا التي يبلغ عدد سكانها ٤٧ مليون نسمة فترتفع الكثافة إلى ٣٢٥ نسمة في الكيلومتر المربع ، أو أربعة أمثال الكثافة في فرنسا (شكل ٧) . غير أن نسق التزايد المديوغرافي الذي بلغ أقصاه عام ١٨٨٠ ، قد أخذ بالانخفاض تدريجياً حتى الحرب العالمية الأولى ، ثم بسرعة بعدئذ . ولكن الحرب العالمية الثانية أدت إلى توقف هذا التناقص وهكذا كان التزايد الطبيعي في المملكة المتحدة دون ٤ بالألف ، أي من أخفض أمثاله بالعالم شأن نسبة التوالد فيها . ويبدو أن نظرية الاقتصادي

الإنكليزي مالتوس ، الذي نادى في عام ١٧٩٨ بخطر تزايد النوع البشري ، قد لاقت في بريطانيا ، أكثر من أية منطقة أخرى في أوروبا الشالية الغربية ، أهمية



الكثافة السكانية الحالية في الجزر البريطانية

الشكل ٧

جديدة . وتبلغ نسبة التوالد حالياً ١٢ بالألف والوفيات ١٢ بالألف ، أي هناك توقف ديموغرافي ، وتهبط نسبة وفيات الأطفال الذين هم دون العام إلى ١٤ بالألف ، والأجل المرتقب ٧٢ سنة .

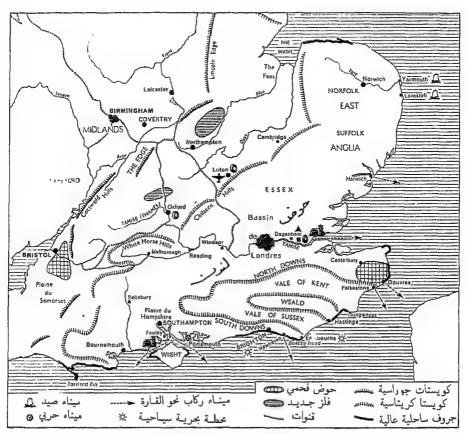
أ ـ تمركز سكان المدن : يبدو تمركز السكان في المملكة المتحدة أشد أمثاله بالعالم فتضم المدن ٥٠ ٪ من السكان ، بينا لا تزيد النسبة في فرنسا عن ٦٠ ٪ من سكان ولا تحتوي المدن التي تضم أقل من ١٠٠٠٠ نسمة ، على أكثر من ١٦ ٪ من سكان المدن مقابل ٤٨ ٪ في فرنسا . بينا تضم المدن التي تحوي أكثر من ١٠٠٠٠ نسمة المدن مقابل ٢٧ ٪ في فرنسا . وتحاط كل مدينة كبيرة بنثير من المراكز الصغرى التي تتعلق بها اقتصادياً . وتؤلف المدينة مع هذه المجموعة مناطق عرانية حقيقية تسمى في بريطانيا Conurbations أو المدن الجسيمة . ويعيش عرانية حقيقية تسمى في بريطانيا على ٢٠ ٪ من البريطانيين في ٧ مدن جسيمة ، تضم كل منها أكثر من مليون نسمة . فدينة لندن الكبرى لوحدها تحوي على ٨,٤ ملايين نسمة أي أن سكانها يفوق عن عدد سكان الريف البريطاني كله . وتعتبر ثامن مدينة في العالم من حيث عدد السكان .

وتحتوي بريطانيا على بنية اجتاعية فريدة جداً لا تترك أكثر من ٥ % من مجموع السكان للقطاع الزراعي المسمى « القطاع الأولي » مقابل ٢٠ ٪ في فرنسا و ٥٠ ٪ في سورية و ٧٠ ٪ في تركيا ، ويشتغل في « القطاع الثاني » أي المنجمي والصناعي ٤٧ ٪ من السكان مقابل ٣٨,٨ ٪ من السكان في فرنسا و ١١,٨ ٪ في سوريا . ويشتغل الباقي أي ٤٧ ٪ من السكان في « القطاع الثالث » ، أي القطاع غير المنتج مباشرة مقابل ٣٥,٧ ٪ في فرنسا و ٣٦ ٪ في سوريا . ويعمل في هذا القطاع الأخير في بريطانيا ٧ ٪ منهم في النقل و ١٣ ٪ في التجارة . وبالإضافة إلى هذه الصفات المذكورة يبدو هذا الاختلال في التوازن بين مختلف القطاعات كنوذج مثالي للحضارة الصناعية والتجارية « الغربية » .

ب ـ الفروق البشرية في هذا القطر القديم: عتوي الجزر البريط انية على تباينات كبرى على الصعيد البشري . فقد اجتاحتها بالماض موجتان رئيسيتان من السلتيين (بروتون وغايل Gaëls) قدموا إليها في الفترة الواقعة بين القرن الرابع والأول قبل الميلاد ، والذين طردوا فيا بعد نحو الغرب على يد الجرمان (انكلوسكسون واسكاندينافيين) ، وجاء الفتح الروماني في عهد يوليوس قيصر ، فشمل إنكلترا الحالية حتى جدار هادمريان ، وتلاه الفتح النورماندي في عام ١٠٦٦ فعملا على خلق الحضارة البريطانية الأولى وأدخلا تعديلاً طفيفاً على الأساس البشري الذي تمخضت عنه ثلاثة شعوب متيزة هي : الإيرلنديون وهم من أصل سلتي بحت ، والإيقوسيون ويغلب عليهم الطابع السلتي أكثر من الطابع السكسوني ، والإنكليز وهم من أصل أنكلوسكسوني . وإذا كان العنصران الأوليان قد قدما أكثر الشخصيات لمعاناً في تاريخ هذه الجزر ، فإن الشعب الإنكليزي ، المتصف بهدوئه ، ولكن بعناده وواقعيته ، هو الذي ضرب للعالم المثل عن الحرية الخالية من الفوض ، وأوجد غوذج الرجل الراقي « الجنتامان » المتصف بروح دينية محترمة للتقاليد ، تحتفظ منذ تخرجها من المدرسة بعادة ضبط النفس. وذلك الرجل الذي يقاوم المناخ القاسي بمارسة ضروب الرياضة الوطنية بالإضافة إلى حب « المنزل » والذي لا يتأثر كثيراً بأشكال الحضارات الأخرى الحيطة به بالخارج فيحمل معه إلى أي مكان « العظمة البريطانية » .

كا تشير تباينات الكثافة السكانية إلى هذا التفوق الإنكليزي . فالكثافة في جمهورية إيرلندا تبلغ ٣٣ نسمة بالكيلومتر المربع ، وتصل إلى ٦٧ في إيقوسيا وإلى ٩٨ في أولستر ، أي إيرلندا الشالية الشرقية ، و ١٢٥ في بلاد الغال ، ولكنها تقفز إلى ٣١٥ في إنكلترا ، ولا تفسر هذه الكثافة المتفاوتة بالصفات العرقية بقدر ما تفسر بالتفوق الاقتصادي المتعلق بالإطار الطبيعي . فالأراضي المرتفعة الغربية والسهول الإيرلندية المتصفة جميعاً بالترب الفقيرة

المعرضة للرياح الرطبة والبعيدة عن المنطقة الحية الجاورة لبحر الشال ، تحتفظ بسكان من أصل سلتي ، يعيشون في أغاط معيشة أقل تطوراً فلا تزيد الكثافة عندهم عن ١٠ أشخاص في الكيلومتر المربع . أما السهول الإنكليزية ، وإلى حد ما شريط الأراضي المنخفضة الإيقوسية ، فتتتع بمناخ أكثر تشمساً وبأراض أكثر خصباً تشرف من الشرق على بحر الشال ، وتطيف بها من الغرب المناطق الفحمية لذا ترتفع الكثافة فيها إلى ٤٠٠ شخص في الكيلومتر المربع ، وتضم بالإضافة إلى أكثرية السكان مجموع الثروة والقوة البريطانيتين (شكل ٨) .



سهول جنوب شرق انكلترا

الشكل ٨

المناطق الناقصة النمو

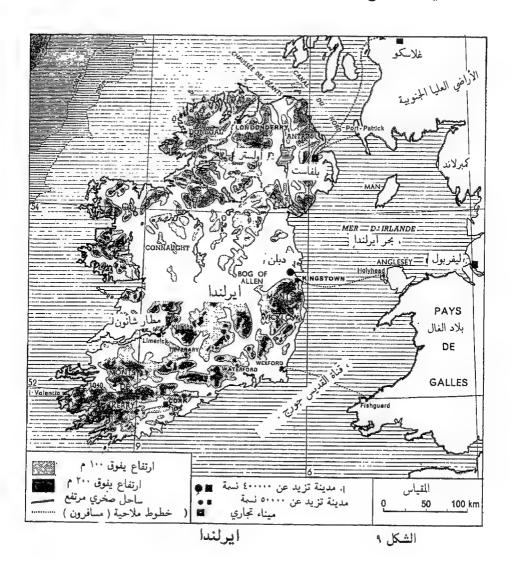
على خلاف جزيرة بريطانيا العظمى التي يتنافر فيها فقر الكتل الجبلية مع غنى الأحواض الصناعية التي تطيف بها في أغلب الأحيان ، فإن إيرلندا جميعها من جبال وسهول ، تنتسب إلى أقل المناطق البريطانية تطوراً .

إيرلندا:

أ. أسباب التأخر الإيرلندي: هناك شريطان من الأراضي المتبلورة يطيفان من الشمال ومن الجنوب بالسهل الأوسط المفتوح نحو بحر إيرلندا ، أكثر من انفتاحه نحو الحيط الأطلسي ، فالكتل الجبلية الشمالية ، التي اختلطت بها التدفقات البازلتية والتي تشتمل على أعمدة غريبة تدعى درب الجبابرة ، سبق لها أن تعرضت للتأثير الجليدي . بينا كتل الجنوب وهي أكثر ارتفاعاً (إذ تنهض في جبال كيرى إلى ١٠٤٠ م) (شكل ١) ، تحتوي على وديان أكثر جمالاً ، مثل وادي تيبراري Tipperary في السهل ، والمؤلف من قاعدة من الصخور الكلسية وادي تيبراري Tipperary في السهل ، والمؤلف من قاعدة من الصخور الكلسية التي تغطيها تلال مورينية ، كا يؤلف نهر شانون ، وهو نهر غزير ، سلسلة من البحيرات . وتعمل الرياح والرطوبة الحيطة على جعل المراعي والأراضي البور زينة إيرلندا الخضراء نظراً لفقرها بالغابات ، وإذا كانت البحيرات ، وهي فتنة المناظر الإيرلندية ، تغطي ٢ ٪ من المساحة العامة فإن ١٣ ٪ من المساحة تشغلها مستنقعات الطورب ، حيث يكون كل شيء قاتماً ، من أرض ، ومياه ، وبيوت ، والتي تعطي وقوداً غليظاً ، يحلق دخانه الحاد دائماً فوق الأمكنة المأهولة . والخلاصة : أن إيرلندا هي قطر فقير .

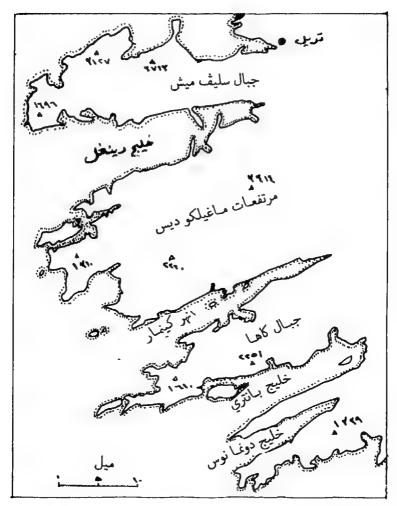
غير أن التاريخ هو المسؤول الرئيسي عن التأخر الإيرلندي . فبعد أن أخضعهم كرومويل في القرن السابع عشر ، لم يستطع السلتيون الكاثوليك الإيرلنديون أن يتحرروا من سيطرة إنكلترا الأنكلوسكسونية والبروتستانية إلا في

القرن العشرين . ففي عام ١٩٢١ أصبحت إيرلندا المحرومة من مقاطعة أولستر ، دولة حرة ضمن إطار الكومنولث ، وفي عام ١٩٣٨ أصبحت دولة مستقلة . وفي عام ١٩٤٨ جمهورية منفصلة عن الكومنولث . وقد نتج عن هذا الاحتلال الإنكليزي من النهوذج الاستعاري ، والذي استمر ثلاثة قرون ، أن وجدت إيرلندا



نفسها في عام ١٩٢١ في أوضاع متردية ، كضعف التصنيع المقصود ، الذي كان يسمح بتصريف منتجات الصناعة الإنكليزية ، وبنية زراعية تفتت المنطقة الفقيرة بالغرب إلى ملكيات صغيرة تقل عن ١٠ هكتارات ، بينا كانت الأراضي الأكثر خصباً بالجنوب وبالشرق على شكل ملكيات كبرى متخصصة منصرفة إلى تربية الماشية أكثر من زراعة الحبوب ، فبعد أن كان عدد سكان الجزيرة قد ارتفع إلى ٥,٨ ملايين نسمة قبل قرن من الزمن ، انخفض إلى النصف بعد المجاعة القاتلة ، التي نجمت في عام ١٨٤٦ عن مرض أصاب البطاطا والتي أعقبتها هجرة اتجهت نحو الولايات المتحدة . بيد أن منطقة أولستر التي يقطنها معمرون من أصل إيقوسي وبروتستان لم تتعرض لمأساة المسألة الإيرلندية إلا مؤخراً .

ب - جمهورية إيرلندا: دولة مستقلة ، ولكنها ريفية بنسبة ٦٠ % ومحرومة من الرساميل ومن كل حياة بحرية ، رغم أن سواحلها كثيرة التعاريج إذا نظرنا إليها بالتفصيل (شكل ١٠) . ولم تتكن هذه الجمهورية بعد من خلق اقتصاد مستقل عن اقتصاد المملكة المتحدة . فتحتل البراري والمراعي ٥٥ ٪ من الساحة ، أما الأراضي القابلة للزراعة فلا تزيد عن ١٨ ٪ مخصص نصفها لزراعة الشوفان وربعها للبطاطا . وتحتوي إيرلندا على قطيع من الأبقار يبلغ تعداده أربعة ملايين ، مخصص بشكل رئيسي لإنتاج اللحم ، لأن التسمين النهائي يتم في بريطانيا (شكل ١١) ، بينا تربى الأبقار في المنطقة الجنوبية الشرقية من أجل إنتاج الزبدة ، التي تسمح فضلاتها بتربية الخنازير . كا تتم تربية الأغنام في الجبال والخيول الصغيرة من نوع بوني Poney في السهول لوحة التخصص الرعوي المعد لتموين السوق الإنكليزية . وتتم التجارة الخارجية كلها تقريباً بواسطة ميناء دون لوغهير توجه نحو المملكة المتحدة أربعة أخاس صادراتها ، وتتلقى منها بريطانية حيث توجه نحو المملكة المتحدة أربعة أخاس صادراتها ، وتتلقى منها نصف استيرادها على شكل منتجات مصنوعة وبترول وفحم ، ويكون ميزانها نصف استيرادها على شكل منتجات مصنوعة وبترول وفحم ، ويكون ميزانها



المياس معادي البنية على السامل المعترض - ع غ املينه الرياس الإيرلندي . الارتفاعات بالأقدام (٣٣ سم)

الشكل ١٠

التجاري خاسراً بمقدار النصف . ويؤدي وجود مليون إيرلندي في المملكة المتحدة يتتعون فعلاً بحقوق المواطنين البريط انيين ، وهيئة اللغة الإنكليزية ، رغم أن اللغة الغاليَّة أصبحت من ناحية المبدأ لغة قومية ، تؤدي جميع هذه العوامل إلى

تقوية العلاقات الإجبارية بين هاتين الدولتين المتكاملتين اقتصادياً ، والداخلتين في كتلة الجنيه الاسترليني .

ومما لا ريب فيه أن تطوراً مواعًا يحدث في هذه البلاد ، فقد قامت مراكز كهربائية تستخدم فحم الطورب ، كا قام مركز كهربائي في موقع كيللالو



المناعلة على نهر شانون ، تقدم إجمالاً طاقة قدرها ١٩٥٥ مليار كيلواط ساعي كا تم بناء مصفاة بترول في (وايت ـ غايت) قرب مدينة كورك . وإذا كانت بعض الصناعات غير الحليبية تحول منتجات الأرض مثل معامل الجعة والتقطير ، لا تزال تنحصر في العاصة دوبلن ، وهي المدينة الكبرى الوحيدة التي تضم ١٩٠٠٠٠ نسمة ، فإن صناعات أخرى أضيفت إليها مثل صناعة الأسمدة الكياوية ، ومختلف أدوات الاستهلاك . كا قامت في مدينة كورك مؤسسة لتركيب سيارات فورد ، ومعمل آخر في جزيرة فالانسيا بالغرب لصناعة الكابلات تحت البحرية . ويستخدم مطار شانون موقع إيرلندا في النهاية الشالية الغربية لقارة أوروبا . وقد قام في إيرلندا مركز للصناعات الكياوية لإنتاج ١٥٠ ألف طن من الأسمدة سنوياً ، يعمل فيه ٢٠٠ عامل في بلدة (شلتون ـ آبي) بجوار مدينة آركلو . ولكن عدد سكان جهورية إيرلندا البالغ ١٩٠٠ مليون ، أي كثافة تبلغ ٢٤ نسمة في الكيلومتر المربع ، لم يزد عما كان عليه عام ١٩٢٨ ، لأن التزايد السنوي البالغ ٢٥٠٠٠ نسمة يغذي بالفعل هجرة تحرم البلاد من عناصرها الشابة وتجعل نسبة الوفيات مرتفعة نسبياً . وتظل البلاد كالمهاوزة عن قطر متخلف .

جمد أولستر: تعادل مساحة هذه المنطقة خمس مساحة الجزيرة ، ولكن عدد سكانها يعادل نصف سكان إيرلندا ، فتبلغ الكثافة فيها ١٠٠ نسمة في الكيلومتر المربع ، وهي كثافة ضعيفة بالنسبة لبقية الملكة المتحدة ، ولكنها تعادل ضعف الكثافة في بقية الجزيرة . وتكون الزراعة فيها أكثر توازنا وصناعتها أكثر أهمية ، غير أن مدينة بلفاست التي يبلغ عدد سكانها ٤٥٠٠٠٠ نسمة تضم صناعة الكتان وهو تخصص إقليمي ، وصناعة بناء السفن وطائرات كوميت الناتجتين عن علاقاتها مع مدينة غلاسقو . وهكذا يبدو ازدهار منطقة أولستر غريباً عن جزيرة إيرلندا .

وبما أن جهورية إيرلندا عني بنفس الوقت كل الجزيرة ، لذلك تطالب حكومة إيرلندا بمنطقة أولستر ، وذلك لأسباب اقتصادية ومعنوية . كا أن الدع الذي يقدمه المهاجرون لهذه القضية ، حيث تضم نيويورك أكبر مجموعة إيرلندية بالعالم ، يدل على الوفاء العميق الذي يكنه لوطنه الصغير هذا الشعب المرح والمحارب ، والذي يتميز بحبه للأساطير الروائية أو المجيدة العائدة لماضيه ، وبحبه للحرية . والواقع هناك هوة من سوء التفاهم تفصل الروح السلتية عن النفسية الأنكلوسكسونية ، أدت إلى حوادث دامية واغتيالات سياسية وإضرابات عن الطعام حتى الموت ، وهذا منذ أواخر السبعينات حتى الآن .

الكتل الجبلية في بريطانيا العظمى

تتابع الأراضي المرتفعة التي تشرف بعنف على الساحل الأطلسي، وتنحدر بهدوء نحو السهول المطلة على بحر الشمال، من الشمال نحو الجنوب في القسم الغربي من جزيرة بريطانيا العظمى. ولها صفات مشتركة هي : استدارة تضاريسها ورداءة تربها السيليسية المتشكلة محلياً، أو الناتجة عن مورينات الجوديات الرباعية، وتؤدي قساوة المناخ إلى حصر المزروعات في الأراضي التي يقل ارتفاعها عن ٣٠٠ م، كا أن فقر الغطاء النباتي الغابي حرم هذه المنطقة بالماضي من قيام صناعة مستندة على الخشب كصناعة أوروبا القارية. ولا زالت ثروتها من الفحم الأبيض غير مستغلة، نظراً لأن اقتصاد بريطانيا لا يزال يقوم على الفحم والنفط مجدداً. وتكون الكثافة السكانية الريفية بالأساس ضعيفة جداً في هذه المنطقة .

أ ـ الكتل الإيقوسية:

تعتبر الأراضي المرتفعة التي تشغل أربعة أخماس إيقوسيا فقيرة بشكل خاص . فهي كتل متاسكة واقعة في شال خط العرض ٥٥ وتنتسب إلى السلاسل _ ٥٧٤ _

الكاليدونية التي عامت في مطلع الدور الأول ، مما يجعل توضعات الطبقات الفحمية للزمن الكاربونيفيري محصورة في الأراضي المنخفضة الانهدامية في القسم الأوسط من المنطقة .

وإلى الشال من منطقة الأراضي المنخفضة ، تقع الأراضي العالية (الهايلاند) ، التي تضم الهايلاند الشالية وجبال غرامبيان المنفصلة عن بعضها عمر غليني مور الانهدامي ، الذي تحول حديثاً إلى قناة تسمى القناة الكاليدونية الصالحة للملاحة .

وتقوم في هذه المنطقة قرى صغيرة جداً ، يعيش فيها فلاحون يـزرعون البطاطا والشوفان وهو أساس الوجبة الإيقوسية الوطنية المساة « بوريـدج » ، ويربون الأغنام في المراعي المشاع ولكنهم يتركـون معظم الأراضي على شكل أراضي بور ، يمتلكها ملاكون كبار أقوياء . ويمثل هذا التسلسل الاجتماعي ، إلى جانب تماسك « العشير » ، واستخدام اللغة الغالية من قبل حوالي خمس سكان الأراضي المرتفعة ، والعقيدة البربسبيترية ، واحترام تقاليد الأجداد ، طابع الماضي العميق .

ويبعث صيد سمك الهارانغ « الرنجة » النشاط في الموانئ حتى جزر أوركاد وشتلاند ، وكل الساحل المشرف على بحر الشمال ، وأهم هذه الموانئ هو آبردين ١٨٠٠٠٠ نسمة الذي يملك أيضاً أكبر معمل للسوبرفوسفات في إيقوسيا (شكل ١٢) . وهناك نوع من تحسين ينفذ إلى القسم الشرقي من الهايلاند الذي دخلته حيازة زراعية أقل فقراً كا تنشط السياحة التي يجذبها فولكلور دائم الحيوية .

وإلى الجنوب من الأراضي المنخفضة « لاولاند » تقع منطقة الآبلاند الجنوبية وجبال شيفيوت التي بنى عليها الامبراطور هادريان أسواره . وهنا تتقدم تربية الأبقار الحلوبة ابتداء من الأراضي المنخفضة نحو الخاصرة الشمالية للآبلاند

الجنوبية . كا ساعدت تربية الغنم على غو الصناعة الصوفية وأجواخ شفيوت ، كا تنتج جزر هبريد أجواخ تويد ، التي تغزل وتنسج في القرى بحيث يحافظ قدم هذه البنية الصناعية الحرفية على نوعية هذه المصنوعات .

ب ـ الكتل الجبلية الإنكليزية:

إذا كانت منطقة كمبرلاند ومنطقة بلاد الغال تؤلفان كتلتين جبليتين ثقيلتين ، فإن سلسلة البنين ، الضيقة والمهتدة على مسافة ٢٤٠ كم ، ومجموعة كورنوايل الشديدة التجزؤ واليسيرة المواصلات ، تقع بين هذه الكتل الجبلية الختلفة . وهناك منخفضات غضارية مثل ميدلاند ، توجه أنهاراً هادئة ـ مثل نهري ميرسي وسيفرن ـ نحو مصبات عميقة مثل قنال بريستول .



الشكل ١٢

وتربية الأغنام تمارس في الكتل الإنكليزية ، كا هو الحال في كتل إيقوسيا ، ذات الأصواف الجيدة ، كا تربى العجول بفضل وجود المراعي الدائمة حيث تسمن _ ٥٧٦ _

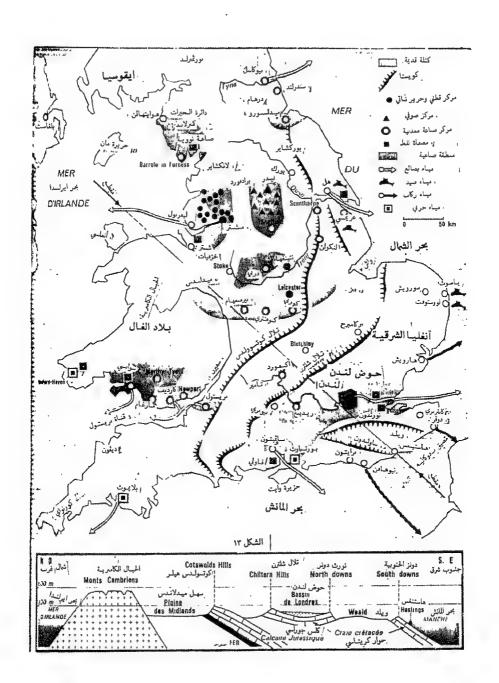
فيا بعد بالسهول القريبة . وتجري في منطقة كورنوايل تربية الثيران المعدة للذبح . كا يقصد السواح العديدون منطقة كبرلاند الغنية بالبحيرات . وتقع الثروات الحقيقية للمنطقة الجبلية في هوامشها . فالساحل الجنوبي لمنطقة كورنواي يؤلف « إطاراً ذهبياً » مؤلفاً من مزارع الأشجار المثرة كالتفاحيات والباكوريات ، والزهور (في جزر Scilly) وترسل حاصلاتها إلى العاصمة ، كا ترسل جزر الأنكلونورماندية حاصلاتها أيضاً ، فضلاً عن وجود موانئ صيد تختص بصيد سمك الأسقمري أو الماكرو ، وميناء حربي شهير هو ميناء بلايوث (شكل ١٢) .

الزراعة البريطانية ومناطق الزراعة الحثيثة

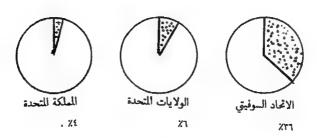
لا تقدم زراعة المملكة أكثر من ٣ ٪ من الدخل القومي ولا يعمل بها سوى ٢,٧ ٪ مقابل ٤٪ في ١٩٧٠ (شكل ١٤) أو ١٦٠٠٠٠ نسبة من السكان العاملين ومع أن الزراعة قد دفعت إلى المؤخرة ظاهرياً لمصلحة النشاط الصناعي والتجاري ، فإنها تؤلف مع ذلك في هذا القطر ذي الإمكانيات الزراعية المحدودة ، نوعاً من نجاح تقني رائع لأنها تقدم ٤٠ ٪ من السعرات الحرارية و ٥٠ ٪ من قية الاستهلاك الوطني من منتجات الأرض .

الشروط العامة :

تؤلف الزراعة البريطانية خاتمة مطاف لتطوير ريفي طويل . فبعد نظام الحقول المفتوحة الذي كان سائداً في العصر الوسيط حيث كانت الدورة الزراعية ثلاثية مع حرية الرعي فوق الأراضي البور ، جاء نظام تسييج الأراضي التي حصل عليها كبار الملاكين ، الذين استعاضوا عن البور ، بزراعات علفية ومراع اصطناعية من أجل تغذية الماشية الكبيرة . وقد نتج عن « الثورة الصناعية » في القرن الثامن عشر ، اشتداد الهجرة الريفية التي استرت حتى القرن التاسع عشر على أثر إلغاء قوانين الجماية الجمركية على الحبوب في عام ١٨٤٦ ، وبسبب التوسع على أثر إلغاء قوانين الجماية الجمركية على الحبوب في عام ١٨٤٦ ، وبسبب التوسع



في تربية الماشية المتمشية مع قابلية طبيعة هذه البلاد للتوسع في المراعي ، ولتزايد استهلاك سكان المدن من اللحم والحليب ، وتناقصت المساحة المزروعة قمحاً بنسبة ٤٠ ٪ بين ١٨٨٠ و ١٩٣٨ .



الزراعة المريطانية ونسبة العاملين في الزراعة لبقية السكان

الشكل ١٤

وقد نتج عن الحرب العالمية الثانية وعلى أثر تناقص استيراد المواد الغذائية بفعل حرب الغواصات ، أن توسعت زراعة الحبوب من جديد . ولكن هذا الاتجاه تباطأ بمجرد انتهاء الحرب . وعلى كل تشغل زراعة الحبوب حوالي ربع الساحة الزراعية في حين تجنح تربية الماشية للتوسع .

والقاعدة هي الملكية الكبرى في حين أن الملكية الصغرى والاستغلال المباشر هو الشذوذ ، فحوالي ثلث مساحة بريطانيا يتألف من ٩٠٠ مزرعة كبرى فقط و٥٠٪ من المزارع تتجاوز مساحتها ٥٠ هكتار مقابل ٣٠٪ في فرنسا . وينطبق الاستغلال غير المباشر على ٧٠٪ من المساحات المزروعة لأن هناك متعهدين زراعيين أو Farmers ذوي مستوى معيشة وصنف اجتاعي عاليين يشرفون على العال الزراعيين الذين يؤلفون ثلثي السكان الريفيين العاملين ، بينا لا يمثل العال الزراعيون في فرنسا وفي الولايات المتحدة سوى خس العاملين

بالزراعة . وبعد أن كان المسكن الريفي مبعثراً منذ القرن ١٨ يجنح الآن نحو التجمع ، بحيث يتجه الريف البريطاني الآن نحو التحضر .

وإذا تركنا جانباً المناطق ذات الاقتصاد التقليدي العتيق التي تكلمنا عنها آنفاً ، فإن الصفة العلمية للزراعة البريطانية تبدو رائعة كا أن الآلة تدخل على نطاق واسع فيها .

وهناك دورات زراعية على غاية من التعقيد تمارس في هذه البلاد بإرشاد المراكز التجريبية في روتمستد Rothmsted وتمنح الحكومة علاوات للذين يحصلون على أفضل مردود . وتعتبر كثافة الجرارات ، وهي جرار واحد لكل ٢٠ هكتار محروث ، تعتبر أعلى كثافة بالعالم بينا تكون النسبة جرار واحد لكل ٥٠ هكتار في فرنسا . كا أن تربية الماشية تخضع لاصطفاء متقدم جداً . فعروق الغنم البريطانية انتشرت في بقاع كثيرة من العالم وخاصة في أستراليا ، كا ساهمت في تحسين عروق الغنم الأرجنتينية . كا أن لأبقار درهام ولخنازير يوركشاير شهرة عالمية .

و إجمالاً يمكن القول أن السياسة الزراعية الإنكليزية ، هي أذكى سياسة من نوعها بالعالم .

المناطق الزراعية الكبرى:

على عكس إيرلندا القطر الزراعي القليل التطور، وعلى خلاف اقتصاد الكتل الجبلية، وهي منطقة زراعات فقيرة وتربية عجول، نجد أن سهول بريطانيا العظمى تستقطب أهم الثروات الزراعية في البلاد (شكل ١٥).

ففي الشمال تكون منطقة اللاولاند الأيقوسية عبارة عن حفرة ردمتها لحقيات خصيبة ، تتناثر فيها بعض التلاع البركانية . ويؤدي وجود مدينة غلاسقو إلى التخصص في تربية الماشية في غرب هذه المنطقة الرطيبة ، بينا تميز الحبوب ،

التي يسود بينها الشوفان ، السهول الشرقية الغنية في منطقة فايف ولوثيان وفي السهل الشالي الشرقي الأكثر جفافاً .



الشكل ١٥

وتؤلف السهول الإنكليزية الجال الرئيسي للزراعة في المملكة المتحدة ، لأن المراعي الفقيرة لا تشغل سوى عشر المساحة في إنكلترا مقابل ثلثي مساحة أيقوسيا وثلث بلاد الغال .

وتنحصر تربية الماشية خاصة في السهول الغضارية ولا سيا في المنخفضات الحيطة بجبال البنين ، الغنية بالمروج الخضراء الدائمة والقريبة من الكتل الجبلية ، التي تربي العجول ، ومن مراكز الاستهلاك في المناطق السوداء أي الصناعية .

وتحتل الأراضي المحروثة ذات الترب الحوارية بالشرق ، ذات المناخ الأكثر جفافاً ، حوالي ٢٧٪ من الأراضي الزراعية الإنكليزية . فنجد زراعة الحبوب في مناطق داونز Downs إلى جانب تربية واسعة للأغنام على الذرى الجافة وتربية الأبقار في حوض لندن ، لتأمين استهلاك العاصمة كا تهين زراعة الحبوب في منطقة آيست آنغليا (شال شرق لندن) وفي يوركشاير ، كا تتسع زراعة الخضار حول لندن وفي منطقة فنس Fens وعلى الساحل الجنوبي .

الإنتاج:

تشغل كل من زراعة القمح والشوفان ، وهما زراعات غذائية ، وزراعة الشعير الخصص لتغذية الماشية ولإنتاج الجعة والويسكي ، تشغل حوالي مليون هكتار لكل من هذه الأنواع الثلاثة ويصل إنتاج القمح في بريطانيا إلى ٢٠٥ مليون طن والشعير إلى ١٠ ملايين طن والشوفان إلى ٢٠٠٠ طن . ويبلغ تعداد قطيع الأغنام حوالي ٢٩ مليون رأس ، وقد تناقص عدد الأغنام قليلاً منذ حوالي ٧٥ سنة ، بينما ازداد عدد الأبقار بمقدار الضعف فيبلغ ١٤ مليون رأس . كا ساعد ازدهار الصناعة الحليبية على تزايد عدد قطيع الخنازير فبلغ ٢٠٦ ملايين .

كا تتوسع زراعة الشوندر السكري والبطاطا ٥ ملايين طن ، وهما من الزراعات الصناعية مثلما تزدهر أيضاً زراعة الخضار والفواكه .

ولا يكفي هذا الإنتاج لتغذية سكان البلاد . وهكذا تستورد المملكة المتحدة حوالي ثلثي القمح الذي تستهلكه وثلث اللحم وثلثي الجبن وأربعة أخماس السكر والزيوت النباتية وتسعة أعشار الزبدة المستهلكة . وتؤلف مشترياتها الغذائية خمسى قية استيرادها .

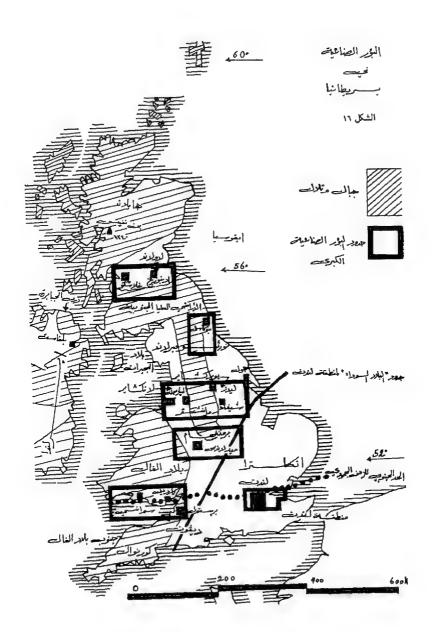
الصناعة والمراكز الصناعية

تحتل المملكة المتحدة المكانة الخامسة بالعالم بين الدول الصناعية بينا تحتل المكانة الثانية بين دول أوروبا الغربية . فيشتغل بالصناعة أكثر من نصف سكانها العاملين وتقدم 20% من الدخل القومي . وقد ارتفعت قدرتها الصناعية بنسبة الثلثين منذ عام ١٩٣٨ ، كا يمثل تصدير المنتجات المصنوعة خمس الصادرات العالمية من السلع الصناعية .

تطور الصناعة ومواطنها:

تدين المملكة المتحدة بأسبقيتها في الميدان الصناعي ، التي حصلت عليها في القرن الثامن عشر ، والتي حافظت عليها حتى مطلع القرن العشرين ، إلى الفحم الحجري . كا تدين بذلك أيضاً إلى اختراعات خبرائها التقنيين ، كاكتشاف الفرن العالي العامل بفحم الكوك في عام ١٧٠٩ ، والماكنة البخارية عام ١٧٦٩ ، ونول النسيج وآلة الغزل .

وقبيل الحرب العالمية الأولى ، كان معظم المراكز الصناعية البريطانية متركزاً في البلاد السوداء أو « بلاك كانتري » وهو اسم يدل بآن واحد على الفحم الحجري ، وإلى اللون الأسود والوسخ الذي يميز كل المدن الصناعية الإنكليزية (شكل ١٦) .



وبعد الحرب العالمية الأولى نتج عن أزمة الصناعات التقليدية وتزايد إنتاج الكهرباء ، التي هي عامل تبعثر القوة الحركة ، أن تناقص سكان بعض المناطق الفحمية مثل جنوب بلاد الغال ونور ثبرلاند . في حين أدى نشوء صناعات جديدة كياوية وميكانيكية إلى توسع واضح في مدينة لندن وفي مدن السهل أي البلاد الخضراء . غير أنه على أثر الحرب العالمية الثانية منحت الصناعات الحربية الحياة للمناطق القديمة التي تناقص سكانها وقد استرت حيوية هذه المناطق بعد عام ١٩٤٦ على أثر انصراف المعامل الحربية نحو فعاليات السلم (شكل ١٧) .

وحالياً عيز في بريطانيا العظمى غوذجان للمناطق الصناعية : من جهة عند قدم الكتل الجبلية أو « البلاد السوداء » التي لا تطمس فعاليتها الجديدة تفوق الصناعات التقليدية ومن جهة أخرى المنطقة اللندنية التي قامت فيها صناعات حديثة انتشرت في سهول الجنوب الشرقي الخضراء .

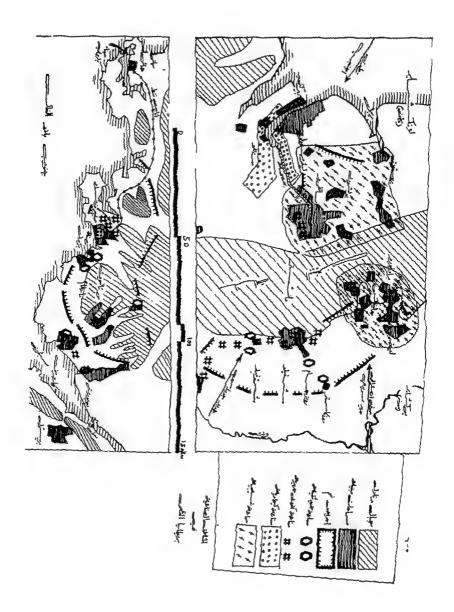
الآحواض الفحمية:

ينتج حوض يوركشاير حوالي ٨٠ مليون طن فحم ، أو ما يقارب ٤٠٪ من مجموع الإنتاج ، ويفسر توضع طبقات الفحم المنتظمة في مقعر عند أسفل جبال البنين وحداثة توسع استغلال الحوض نسبياً تفوق الاستخراج الميكانيكي ، وارتفاع إنتاجية العامل ، بحيث يكون ثمن كلفة طون الفحم المستخرج أخفض من أي منطقة أخرى .

أما باقي الأحواض ، فتتصف على العموم بقدم استغلالها مع كلفة استخراج عالية جداً .

وفي منطقة ثمبرلاند ، عتد حالياً استخراج الفحم باتجاه الشرق من طبقات أكثر عمقاً تقع أحياناً تحت مياه البحر . وينتج هذا الحوض ٤٥ مليون طن أو ٢٠٪ من المجموع البريطاني . كا لاتنتج المنطقة الغالية الجنوبية التي كانت منطقة





تصدير كبرى حالياً أكثر من ٢٥ مليون طن مقابل ٥٧ مليون عام ١٩١٣ ، مثلما لا تقدم أحواض الفحم الثلاثة في ميدلاند سوى ٢٥ مليون طن شأن الأحواض الايقوسية التي كانت تنتج ٢٤ مليون طن في عام ١٩١٣ ، ولا ينتج حوض لانكشاير سوى ٢٠ مليون طن .

الغاز الطبيعي:

هناك ١٦ شركة تبحث حالياً عن الغاز الطبيعي في بحر الشمال ، واكتشفت بضع مكامن بجوار الساحل الشمالي الشرقي البريطاني . ففي ١٦ / ٥ / ١٩٦٦ اكتشفت شركة « كانسيل » الإنكليزية حقلاً قابلاً للاستغلال من الغاز الطبيعي .

ويقع هذا الحوض على بعد حوالي ١١ كم من مدينة سكاربورو في مقاطعة يوركشاير . وتقدر إمكانيات هذا الحوض الإنتاجية بين ٥ ـ ١٠ ملايين قدم مكعب باليوم .

وحتى عام ١٩٧٠ لم يكن في بريطانيا سوى مكنين للغاز ، أحدها يستثمر في Eskdale في يوركشاير والآخر قرب أديبورغ في ايقوسيا . ومع هذا الاكتشاف الجديد في بحر الشمال ستقدر الطاقة التي سيقدمها الغاز بما بعادل ١٦ مليون طن فحم . وسيستغل قسم من الغاز لإنتاج الطاقة الكهربائية وأهم حقول الغاز هو حقل فريغ Frigg وأهم حقول النفط هي حقل ايكوفيسك وحقل ستانفيورد في شال شرق جزر شتلاند .

الصناعة الحديدية البريطانية:

يعمل في هذه الصناعة ٤,٧ ملايين عامل أو حوالي نصف اليد العاملة في الصناعات التحويلية مقابل ٣٠٪ في سنة ١٩٣٨ ، وتغذي من حيث القية نصف الصادرات تقريباً مقابل الثلث عام ١٩٣٨ .

أ ـ فالصناعة الحديدية البحتة تنح الملكة المتحدة المقام الثامن في العالم بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وألمانيا الغربية واليابان والصين وإيطاليا وبولونيا .

فقد ظلت مناطق الميدلاند وايقوسيا وبلاد الغال تستغل حتى أواسط القرن الماضي « البلاك باند » ، وهي طبقات غنية بالفحم وبفلز الحديد المتطبق خلالها . ولكن نضب معين هذه الطبقات . فانتقلت الصناعة الحديدية عندها نحو الأحواض الفحمية الساحلية التي تستطيع استيراد الفلزات المستوردة بحراً ، من جهة أخرى نحو الكويستا الجوراسية ، الغنية بالفلزات الفوسفورية الماثلة لفلزات اللورين الفرنسية ، والتي أصبح استغلالها ممكناً ابتداء من عام ١٨٧٨ بفضل اكتشاف (توماس وغيلكريست) لوسائل نزع الفوسفور من جهة أخرى .

وتقدم منطقة الكويستا الجوراسية حالياً معظم الإنتاج البريطاني من فلزات الحديد البالغ ١٥ مليون طن من الحديد البريطاني ، وخاصة حول مدينة نورثامبتون .

وتستورد الأحواض الفحمية الساحلية ١٠ ملايين طن من النلزات العالية النسبة من السويد ، ومن أقطار المغرب ، ومن إسبانيا ، وفرنسا ، وسيراليون ، وكندا . ويتفوق إنتاج الفونت على الفولاذ في منطقة النور ثمبرلاند ، والفولاذ على الفونت في جنوب الغال وايقوسيا . ويعادل هذا الإنتاج الساحلي بالإضافة إلى إنتاج المراكز الثانوية في جنوب بلاد الغال وكمبرلاند والمنطقة اللندنية حوالي ٥٠٪ من الفونت و٢٠٪ من الفولاذ البريطانيين .

وتختص الأحواض الفحمية الداخلية في إنتاج أنواع الفولاذ المتازة كا في منطقة ميدلاند ويوركشاير الوسطى وبعد أن كانت بريطانيا تنتج نصف الفولاذ العالمي قبل ٨٠ عاماً إذ بها لا تنتج حالياً أكثر من ٧٪ منه غير أن إنتاجها ارتفع بين عام ١٩٣٨ وعام ١٩٧٣ من ٧ ملايين طن فونت إلى ١٥ ومن ١٠ ملايين طن فونت الى ١٥ ومن ١٠ ملايين طن فونت طن فولاذ إلى ٢٦,٧ . وقد بلغ الإنتاج عام ١٩٧٣ / ١٦,٦ مليون طن من الفونت وإلى ٢٦,٧ مليون طن من الفولاذ .

المعادن غير الحديدية: بعد أن نضبت المناجم الإنكليزية أصبحت المملكة المتحدة تستورد هذه الفلزات وتصفيها بجوار الموانئ ، كا في ليفربول ولندن وسوانسي فاحتلت بذلك الدرجة الثانية في مضار تصفية القصدير والثامنة في تصفية النحاس في منطقة الميدلاند وخاصة في بيرمنغهام وفي منطقة يوركشاير (في مدينة شيفلد) وفي جنوب بلاد الغال (مدينة سوانسي). وتكون صناعة الألنيوم أكثر أهمية لأنها تنتج حالياً ٢٠٠٠٠٠ طون من الألمنيوم اعتاداً على الآلومين المستورد في معامل متفرقة في منطقة الهايلاند.

ب للصناعات الحديدية التحويلية أهية تمنح الملكة المتحدة مكانة عالية من حيث بعض الاختصاصات التقليدية ، ومن ناحية تنوع المنتجات الحالية . فصناعة بناء السفن تكون ناشطة خاصة في ترسانات نهر الكلايد حول مدينة غلاسقو ، حيث تبني عادة أضخم السفن مثل كوين ماري وكوين اليزاييت ، وفي مصبات أنهار النور ثمرلاند ومصب التاين (نيوكاسل) ونهر قي (ميدلسبورو) ونهر وير (سندرلاند) حيث تبني سفن الشحن وناقلات النفط . غير أن التفوق البريطاني يبدو في هذا المضار مهدداً ، لأن الملكة المتحدة لم تنزل إلى البحر سوى ١٥٪ من السفن العالمية التي تم بناؤها عام ١٩٦١ مقابل ١٠٪ من السفن المبنية في عام ١٩٦١ / ٣٢٪ من السفن المبنية في عام ١٩٦١ / ٣٢٪ من السفن المبنية في تلك السنة ، وأنزلت إلى البحر في عام ١٩٨١ سفناً بلغت حولتها ٢٣٩٠٠٠ مليون طنة في اليابان في حين تفوقت تايوان على بريطانيا في هذا المضار .

هذا وتحتل صناعة السيارات المكانة الرابعة بالعالم وراء اليابان والولايات المتحدة وألمانيا الغربية ، ويعمل في هذه الصناعة ٢٠٠٠٠٠ عامل . وتنتج وسطياً ٢ مليون سيارة بالسنة يصدر منها للخارج حوالي ٤٠٪ من الإنتاج . ولكن هذه الصناعة تقع تحت التهديد الياباني والألماني والأميركي ، لأن شركات السيارات الأميركية أقامت فروعاً لها في ضواحي لندن ، وقد بنت في ١٩٧٧ مقدار ١٩٣٢ مليون سيارة سياحية (في برمنغهام وكوڤنتري) مقابل ٣٨٧٠٠٠ سيارة نفعية للاستخدام العام .

ونذكر من بين الصناعات الميكانيكية التقليدية ، صناعة بناء قاطرات وعربات السكك الحديدية التي تحتل المكانة الثالثة بالعالم ، وتصدر نصف إنتاجها ، وصناعة المكائن الزراعية (في سهل الجنوب الشرقي) وصناعات ماكينات النسيج في منطقة لانكاشاير ووست ريدينغ .

هذا وتتقدم الصناعات الحديثة : مثل صناعة الطائرات التي تمثل الدرجة الثالثة بالعالم ، ويأتي نصف إنتاجها من منطقة سهول الجنوب الشرقي . وصناعة آلات الضبط مثل الأجهزة الكهربائية وخاصة في منطقة لندن .

جـ ـ الماذج الختلفة لمناطق الصناعات المعدنية:

وقد نتجت عن توسع صناعة راقية جداً في بريطانيا مع مشاهد حضرية فريدة وهي :

مناطق الصناعات المعدنية الساحلية: أي في غور ثبرلاند ، وجنوب للاد الغال و بجوار نهر الكلايد ، وتختص بالصناعات المعدنية نصف الجاهزة ، وفي صناعة بناء السفن وقاطرات السكة الحديدية وفي المعادن غير الحديدية . واستقر عدد سكان بعض المدن الكبرى القديمة في القرن ١٩ أمثال كارديف ونيوكاسل ، بحدود ٣٠٠,٠٠٠ نسمة . أما غلاسقو فتتوسع قليلاً وعدد سكانها ١,٧ مليون نسمة

ما عدا برستول ذات الصناعات المتنوعة والتي ارتفع عدد سكانها بحدود الثلثين منذ عام ١٩٢١ فوصل إلى ٤٥٠,٠٠٠ نسمة .

ومن المناطق الصناعية المعدنية الداخلية نذكر الميدلاند ، التي انحطت فيها الصناعة المعدنية الحلية ، فاختصت منذ مطلع القرن ١٩ بصناعة معدنية شديدة التنوع كالأنابيب والبراغي وأسلاك النحاس والسيارات والأدوات المنزلية والآلات الصانعة والأدوات الكهربائية . فتحتوي بيرمنغهام وسكانها ١,١ مليون نسمة ، على مركز تجاري وإداري تقوم حوله أحياء تضم مؤسسات صناعية وأحياء عمالية تسود فيها كآبة المندسة خلف منطقة منجمية ذات أرض مقلوبة ، تكثر فيها برك الماء ، وتهين عليها تلال أتربة المناجم وفضلات صناعة المعادن ، وأبنية المعامل المهجورة الواقعة بين أحياء العال والمعامل والحطات . وتلحق بها مدن تابعة بحيث يربو سكان المجموع على المليونين . ونجد نفس الفعالية الاقتصادية في شيشاير (Crewe) وفي يوركشاير الجنوبية كا في مدينة ذربي ذات الصناعات الميكانيكية العديدة التي تتراوح بين حصادة المرج وسيارة رولزرويس الفخمة .

وبقابل ذلك نجد الصناعة المعدنية في البلاد الخضراء في الجنوب الشرقي حيث تتبعثر الصناعات الشديدة التخصص ، مثل صناعة السيارات والطائرات والصناعات الكهربائية بين مدن السهل الصغرى ، وأهمها معامل سيارات موريس في أوكسفورد .

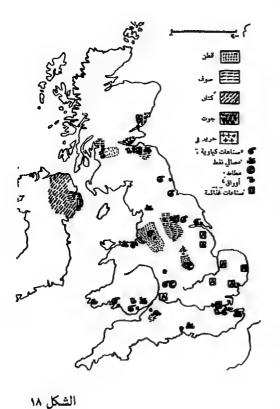
الصناعة النسيجية ومناطقها:

تتعرض الصناعات النسيجية ، التي كان دورها أساسياً في الاقتصاد البريطاني ، إلى أزمة خطيرة . فهي لم تعد تؤمن العمل لأكثر من ٨٪ من الأيدي العاملة ، ولا تحتل في التجارة أكثر من ٩٪ .

وتتركز الصناعة القطنية في لانكاشاير بسبب رطوبة المناخ الموائمة لغزل الألياف ، ولنقاوة مياه نهر ميرسي ، ولوجود حوض فحمي ومنجم ملح صخري

شيشاير (وهي مادة ثمينة للصباغ) ولسهولة الاستيراد بواسطة ميناء ليفربول وبواسطة قناة مانشستر . وتؤلف منطقة الكلايد المركز البريطاني الثاني لهذه الصناعة (شكل ۱۸) .

ويغزل القطن في جنوب شرق لانكاشاير (في مدينتي بولتون وأولدهام) وينسج في الشمال الشرقي (في مدينتي بلاكبون وبريستون) . ولكن لا تزال الآلات قديمة . وهكذا لم تصدر مانشستر ، التي هي المركز الكبير لتوزيع المنسوجات المنتهية ، أكثر من ربع الإنتاج الذي انحدر إلى المكانة السابعة في العالم بعد أن كانت تصدر ٨٠٪ في عام ١٩١٣



الإنتاج الصناعي الخفيف في بريطانيا

وتتركز الصناعية الصوفية خاصة في الويست ریدینغ (یورکشایر الشالية) ، وتنسج قسماً من الصوف الذي تستورده لندن، بينا تنسج مدينة وكيفيلد الصوف الذي يستورد بواسطنة ميناء هل (Hull) . وينسج الصوف المشط وهو اختصاص بريطاني بحت في مدينة برادفورد وعدد سكانها ٣٠٠,٠٠٠ نسمة بينما ينسج الصوف المندوف والخشن في مدينة ليدز وسكانها ٥٠٠,٠٠٠ نسمة . وهكذا يحتل إنتاج منطقة ويست ريدينغ المكانة الثانية بالعالم.

ويصنع الجوت في دندي Dundee ، والكتان والقنب في بلفاست ، والحرير في دربي ، وهي صناعات نسيجية ذات أهمية ثانوية ، ولكن تزدهر المنسوجات الاصطناعية كصناعة الفيبران التي تحتل المكانة الرابعة بالعالم ، وصناعة الحرير الاصطناعي ، والنايلون التي تحتل المكانة العالمية الثالثة .

الصناعات الأخرى:

تجتوي بريطانيا على كل الصناعات المعروفة تقريباً .

فالصناعات الكيماوية التي ظلت بالمقام الثاني مدة طويلة تضاعفت قدرتها ثلاث مرات منذ عام ١٩٣٨ تحت إشراف شركة « الصناعات الكيمائية الامبراطورية المحدودة » وقد قامت هذه الصناعات بالبدء قرب مانشستر فوق ملح منطقة شيشاير ، ثم توسعت في مناطق الصناعات الحديدية مستفيدة من فضلات صناعة فحم الكوك كا في نور ثمبرلاند ومن جوار مصافي البترول بعدئذ . وتشرف شركة (أونيلفر) على صناعة الزيوت النباتية والصابون والمطاحن كا تقوم مصانع الاسمنت قرب التاميز ، المكانة الثانية في التصدير العالمي . وتتوزع الصناعات الغذائية في السهول الزراعية والموانئ . وتصنع مدينة ليسستر الصناعات الأحذية ولندن الألبسة .

الموانئ البريطانية

لا يفوق نشاط الموانئ البريطانية إلا موانئ الولايات المتحدة واليابان . ولكن الملكة المتحدة تأتي بعد هولندا وبلجيكا من وجهة النظر إلى نسبة هذا النشاط إلى عدد السكان .

العوامل الملاعمة:

إنها قبل كل شيء شروط الموضع الناجمة عن كثرة تعرجات السواحل وكثرة النهاد الكبرى (٢٨)

المصبات بحيث لا توجد في بريطانيا نقطة تبعد عن موجة المد البحري أكثر من ١٢٠ كم .

أما شروط الموقع فهي أكثر مناسبة أيضاً ، نظراً لغنى الأقطار الأوروبية والأميركية التي تتوسط الموانئ البريطانية بينها ، بالإضافة إلى الاقتصاد الحثيث السائد في ظهير هذه الموانئ والذي يتصل معها بسهولة ويسر.

وتتم المواصلات بواسطة الأقنية النهرية ، التي حفرت في القرن ١٨ والتي تؤلف منطقة ميدلاند عقدتها الوسطى ، ولكن تتفوق على الأقنية المواصلات بواسطة الخطوط الحديدية ، التي يعادل نشاطها ضعف نشاط مثيلتها في فرنسا . وتحتل كثافتها المكانة الثالثة بالعالم بعد بلجيكا وهولندا ؛ وتلعب الطرق المعبدة دورها رغ كثرة تعرجاتها ، وتم تنفيذ مشروع لبناء شلائة طرق كبرى (أوتوروت) بين لندن ويوركشاير ولانكاشاير من جهة ، وبين موانئ بحر المانش . كا ترتبط الموانئ ببعضها بواسطة السفن الساحلية التي يؤلف نشاطها ١٨ من نشاط الأسطول التجاري البريطاني .

النماذج المختلفة للموانئ :

إن الموانئ المتخصصة هي موانئ الفحم الحجري ، والموانئ العسكرية مثل بروتساوث وبلايوث وموانئ سفر الركاب .

وهكذا نجد أن موانئ الصيد تتناثر على طول بحر الشمال . فالموانئ الايقوسية العديدة تمارس صبداً حرفياً كصيد القشريات والقواقع وصيد سمك الهارانغ في عرض البحر ، وتبلغ ما تصيده ثلث الإنتاج البريطاني من الأسماك . أما الموانئ الإنكليزية وموانئ منطقة بلاد الغال ، فتمارس صيد الأسماك في بحر الشمال عدا موانئ غريسبي وهول وفليتوود التي يتجه صيادوها نحو الحيط

الأطلسي . وتقع في موانئ الصيد المذكورة شركات الصيد الكبرى مثل ميناء غريسبي الذي يحتل المكانة الأولى بالعالم .

وتؤمن بعض موانئ المسافرين العلاقات بين الجزر ومع القارة الأوروبية ، وتقع أكثر هذه الموانئ على بحر المانش ومنطقة بادوكاليه كميناء دوفر ، ولا تتلقى هذه الموانئ ، عدا المسافرين ، سوى البضائع الخفيفة أو السلع القابلة للفساد المرسلة إلى لندن . غير أن الموانئ ذات الفعاليات المتنوعة هي التي تؤمن المواصلات عبر الحيطات ، فمن ميناء ليفربول تنطلق السفن الكبرى باتجاه الولايات المتحدة ، كا أصبح ميناء ساوثامبتون ميناءً كبيراً لتوقف السفن العابرة للمحبط .

أما الموانئ ذات الفعاليات المتنوعة ، فهي موانئ إقليية تخدم مدينة معينة أو منطقة اقتصادية فيفوق نشاط مينائي هل وغلاسقو من حيث القيمة أو الوزن نشاط مينائي كارديف أو نيوكاسل ، وهما يعملان لخدمة مناطق صناعات حديدية فقط .

ويؤمن ميناء ليفربول العلاقات مع إيرلندا ، مثلما كان ميناء استعارياً خسر دوره كستودع دولي للمنتجات المدارية ، ويرتبط ميناء مانشستر مباشرة بنهر ميرسي بواسطة قنال شيب ويقوم باستيراد القطن المصري وبتصدير الأقشة القطنية . ويظل ميناء ليفربول المصرف الوحيد لمقاطعة لانكاشاير ، فيستورد القطن الأميركي والمواد الغذائية والمواد الأولية المتنوعة ويصدر المنتجات المصنوعة بفضل ارتباطاته مع منطقة الميدلاند واليوركشاير .

ويعتبر ميناء ليفربول ثاني ميناء بريطاني من ناحية وزن البضائع المنقولة ١٧ مليون طون ومن ناحية النظر إلى قيمة السلع ، ولعلاقات مع القارة الأميركية . ولهذا الميناء علاقات متفرعة تعادل علاقات ميناء لندن .

لندن الميناء والمدينة:

ميناء لندن: لقد نتج موقع ميناء لندن عن وجود مخاضة ويستينستر التي كانت تسمح للطريق الذاهب من الجنوب للشمال باجتياز نهر التاميز في مكان كانت تصعد إليه موجة المد. وبعد أن كان أول ميناء بالعالم في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، أصبح الآن في المكانة الخامسة بعد نيويورك وروتردام وهامبتون رود والكويت.

وقد أمكن تنظيم مجرى التاميز محيث أصبح عمقه في وسط النهر ٩,١٥ م في حالة الجزر، كا تم حفر أحواض أو « دوك » تدريجياً باتجاه سافلة النهر، ضن اللحقيات، وذلك على مسافة تقارب ٤٠ كيلو متر. وتستقبل الأحواض الواقعة قرب نواة المدينة القديمة « السيتي » الحاصلات التقليدية التي تعتبر لندن سوقاً عالمياً لها مثل الصوف ومشروب الروم والسكر، وباتجاه السافلة، تتلقى اللحوم والحبوب وقرب المصب الإسمنت والأخشاب والبترول الخام، الدي يصفى في مصافي شل هافن وفي « ثامسهافن » .

- نشاط الميناء: تبلغ الحمولة الصافية ٥٨ مليون طن ، مما يجعل هذا الميناء أول ميناء بريطاني ، إذ يقوم بربع التجارة الخارجية البريطانية وبسدس التجارة الساحلية في المملكة المتحدة . ويكون حجم الاستيراد ضعف التصدير .

وتستقبل لندن من مجموع استيراد المملكة المتحدة من المواد الغذائية ما يعادل : ثلثي الشاي ونصف السكر والكاكاو واللحم والزبدة . أما بالنسبة للمواد الخام فتستقبل نصف المطاط ، وثلثي الصوف ومعجونة الورق .

وإذا كانت لندن قد خسرت دورها كعنبر عالمي للبضائع الثينة ، وإذا كان دورها كيناء وطني للتوزيع في تقهقر ، فإن لندن أصبحت على الخصوص ميناء

يعمل لخدمة كتلة بشرية تزيد عن ثمانية ملايين نسمة وميناء إقليماً للسهول الجنوبية الشرقية .

لندن الكبرى: كانت لندن تضم في القرن السابع عشر ٢٠٠٠٠٠ نسمة ، في الوقت الذي كانت فيه بريستول وهي ثاني مدينة في المملكة حيناك ، لا تحوي سوى ٣٠٠٠٠ نسمة . أما اليوم فإن كونتية لندن تضم ٣٠٤ ملايين نسمة فوق مساحة قدرها ٣٠٠٠ كيلومتر مربع ، بينا تضم لندن الكبرى أكثر من ٨,٤ ملايين نسمة .

- وظائفها العمرانية: وأم هذه الوظائف الوظيفة التجارية ، والوظيفة المالية ، ومقرها السيتي التي تتفرغ ليلاً ويوم الأحد من محتواها البشري . بينا تضم في أوقات العمل ، نصف مليون نسمة ، وفيها نجد سلطة الميناء ، وأسواق البورصة والسمسرة على عينات البضائع ، والبنوك وشركات التأمين وهنا يقع قلب منطقة الاسترليني والقوة البريطانية . أما في عالية السيتي فنجد المركز الإداري والمركز السياسي . حيث يقع قصر بكنغهام الملكي ، وقصر البرلمان . ويكون للمركز الشقافي (الجامعة) الواقع في شالي المدينة ، أهمية تقل نسبياً عن أهمية جامعة باريس . أما على الضفة اليني فيقع الحي السكني الذي تقطنه الطبقات الوسطى من مستخدمين وموظفين ، وعلى الضفة اليسرى يقع حي الوبست آند ، وهو حي الطبقات الغنية و يمتد تدريجياً نحو الجنوب والغرب .

-أما الوظيفة الصناعية: فتقوم في شرق المدينة. قرب الميناء حيث تقطن طبقة عاملة كثيفة مزدحة في الساكن الرديئة أو Slums في أحياء إيست آند. وتقع الصناعات التقليدية مثل صناعة الألبسة والموبيليا والطباعة، وصناعة الفراشي، والمحفوظات قرب مركز لندن. وتتمركز صناعة الورق والإسمنت قرب كريفزاند Gravesend ، بينا تقوم الصناعات الميكانيكية مثل صناعة الطائرات والسيارات والأدوات الكهربائية، والصناعات الكييساوية، في الجهة الجنوبية

الشرقية والشمال الشرقي ومجدداً في شمال غرب لندن . وتقوم خلف لندن الكبرى الصناعات في المدن المجاورة مثل ريدينغ ، كا تتحول القرى إلى (مدن مهاجع) ، ينتقل سكانها يومياً إلى أعمالهم بواسطة السيارات والقطارات أكثر من القطارات الأرضية (المتروبوليتان) .

ويضيف جو لندن ذو الساء الرمادية ، وذو البيوت المصنوعة من القرميد ، الذي تحوله الرطوبة نحو اللون الأسود مع الزمن ، تأثيره إلى رتابة مناظر المدينة ولكن إذا افتقرت لندن من الجال فهي تملك جوها الخاص الذي هو عبارة عن خليط يعسر وصفه ، مؤلف من الضباب والدخان ورائحة تبغ فرجينيا ، ومن سخام تخترقه بعض النفحات البحرية .

التجارة البريطانية

قثل المبادلات التجارية التي يستند عليها كل اقتصاد المملكة المتحدة من حيث القيمة ١٢٪ من صادرات العالم و١٠٪ من استيراده .

الدور الحيوي لهذه المبادلات:

ففي مجال الاستيراد تمثل الحاصلات الغذائية: كاللحوم والحبوب والشاي ، والقهوة ، ومنتجات الألبان ، والسكر والتبغ حوالي ٢٦٪ مقابل ٤٩٪ في عام ١٩٣٨ والمواد الأولية: كالفلزات المعدنية والصوف والخشب والقطن بنسبة ٣٠٪ والمنتجات المصنوعة (وثلثها من المعادن المنتهية) بنسبة ٣٣٪ والوقود بنسبة ١٨٪ لأن استيرادها من الفحم الحجري في تزايد ، وأصبحت من الدول المصدرة للبترول . ويلاحظ في قائمة الصادرات ضعف الدور الذي تلعبه المنتجات الغذائية التي لا تمثل سوى ٢٥٪ والمواد الأولية ٣٪ منذ أن انحطت فعالية إعادة التصدير والتوزيع ، وضعف صادرات الوقود وهي ٥٪ منذ أن

توقفت بريطانيا عن تصدير الفحم للخارج ، مما سمح بارتفاع نسبة تصدير المنتجات المصنوعة التي أصبحت تمثل ٤٠٪ وتتألف هذه بنسبة النصف من آلات ميكانيكية فصادرات المكائن الكهربائية ، التي تتجاوز صادرات المنتجات التعدينية ، وتعادل تسعة أعشار المنتجات الكياوية وثلث المصنوعات النسيجية .

وإذا كانت الملكة المتحدة لم تعد بعد اليوم مستودع سلع العالم ، لأن المواد التي تصدرها ثانية لا تمثل أكثر من ٥٪ من مبيعاتها ، فإن تجارتها تقدم لها ثلاثة أخماس غذائها ، و٣٦٪ من وقودها ، و٥٠٪ من فلزات حديدها ، وكل معادنها غير الحديدية تقريباً ، وخشبها وصوفها ، وكل قطنها . إذن فتجارتها هي التي تمون صناعتها إلى حد بعيد والتي يذهب ربع إنتاجها للتصدير .

والعجز التجاري البارز، سواء من ناحية الوزن أو القية، وهو من ظواهر الأزمة الأوروبية في القرن العشرين، أصبح من نصيب بريطانيا منذ عام ١٩٣٥، إذ بلغ عجزها ٤ مليارات جنيه استرليني في عام ١٩٧٧، وفي الوقت الحاضر، يبدو العجز خفيفاً بالنسبة لمنطقه الاسترليني وبالنسبة لأقطار أوروبا الغربية. ولكن عدم التوازن التجاري يكون أكثر وضوحاً تجاه الأقطار غير الاسترلينية مثل أمريكا الجنوبية، التي تصدر اللحم لبريطانيا، وأقطار البحر المتوسط التي تصدر الفواكه، والكتلة الاشتراكية. ولكن نصف العجز الكلي ينتج عن علاقات بريطانيا مع أقطار منطقة الدولار حيث تستورد الملكة المتحدة منها القمح والقطن والسكر والتبغ.

بيد أن ميزان المدفوعات يمثل في السنين الأخيرة ، فائضاً محترماً جداً ، أي أن العجز التجاري يتسدد وزيادة بفضل مختلف « الصادرات اللامرئية » التي أخذت تلعب دورها منذ القرن الماضي ، (وأهمها أرباح الأموال الموظفة بالخارج وأرباح الأسطول الخ) . غير أن هذه الصادرات تناقصت خلال الحرب العالمية

الثانية ، لأن المملكة المتحدة التي بذلت جهداً خارقاً خلال الحرب المذكورة قسرتها الحرب على سحب ربع أموالها في الخارج .

هذا وقد اضطرت المملكة المتحدة من أجل إعادة بناء مدنها المتهدمة وبناء أسطولها إلى الاستدانة ، حتى ان احتياطيها أقل بكثير من مطاليب دائنيها . وهكذا يظل التوازن المالي البريطاني متقلقلاً .

ملامح اتجاه الاقتصاد البريطاني

لقد عمدت المملكة المتحدة إلى تخفيض استيرادها الذي بلغ ١٨٪ من استيراد دول العالم ، و١٢٪ في عام ١٩٥٦ ، كا انخفضت صادرات التي بلغت ١٠٪ من صادرات العالم عام ١٩٣٧ وظلت كذلك في ١٩٥٦ . ويفسر هذا النجاح النسبي بتوسع صناعاتها وبسياسة التقشف التي سلكتها .

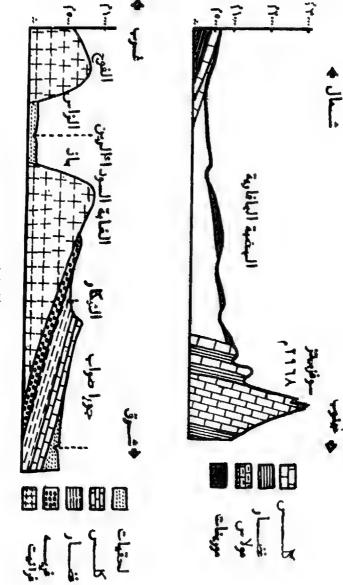
غير أن التوازن البريطاني يتعلق بهاسك منطقة الاسترايني . فالملكة المتحدة تجد في هذه المنطقة ٥٤٪ من وزن صادراتها واستيرادها . كا تستورد منها ٢٣٪ من استيرادها ، وترسل إليها ٤٤٪ من صادراتها . فهي تستد من هذه المنطقة كل الفائض الغذائي كا تشترك مع كندا في شراء كل الفائض المعدني ، كا تصدر لهذه المنطقة ، وخاصة نحو أفريقيا ، أكثر شطر من منتجاتها الصناعية . كا تستفيد بريطانيا من أن منطقة الاسترليني التي يتوازن ميزانها بصعوبة ، تملك فائضاً من الدولارات ، على خلاف المملكة المتحدة . وقد أصبح الهم الرئيسي للعاصمة البريطانية ، لا سيا وأن تصنيع الدومنيون صار أمراً لا يمكن مقاومته ، هو حماية المنطقة الاسترلينية من دخول رؤوس الأموال الأميركية ، وهذا ما يفترض ثبات التوظيفات الإنكليزية وكفايتها .

كا يظهر التنافس بين الجنيه والنقد النادر ، وخاصة الدولار ، بشكل أوضح في بقية أنحاء العالم . وتتجه لندن نحو توسيع علاقاتها التجارية مع الأقطار

الاشتراكية ولا سيا الصين والبلدان النفطية العربية . كا يخلق نشاط السوق المشتركة الأوروبية مشكلة خطيرة بالنسبة للمملكة المتحدة ، كا تثير مسألة انتساب المملكة المتحدة للسوق المشتركة هياجاً في الرأي العام البريطاني ، ولدى الدول الأوروبية إلى أن انتسبت إلى هذه السوق في السبعينات على مضض . فتجارة هذه السوق أصبحت تعادل تجارة منطقة الدولار أو تجارة منطقة الاسترليني ، فالتجارة الآلمانية التي كانت تعادل نصف التجارة البريطانية في عام الاسترليني ، فالتجارة الآلمانية التي كانت تعادل نصف المحارات الألمانية تقدم ١٦٠ من الصادرات العالمية من المنتجات المصنوعة مقابل ١٩٠٪ لبريطانيا و٢٥٪ للولايات المتحدة .

غير أن العلاقات تتجه نحو الانسجام بين المملكة المتحدة والقارة الأوروبية . فترابط الشبكة الكهربائية الإنكليزية الفرنسية ، الذي ابتداً في عام ١٩٦٠ ، يفيد من تأخير ساعة بين حدي الاستهلاك الشديدين ، كا يبدو أن النفق الذي سير منه الخط الحديدي تحت بحر المانش سيتحقق قريباً . وهكذا نجد أن المملكة المتحدة التي توثق علاقاتها مع منطقة الاسترليني والكومنولث ، تتخلى تدريجياً عن عزلتها بالنسبة لباقي أوروبا وتعمل جاهدة لدعم كيانها الاقتصادي في منظمة السوق الأوروبية .





الشكل (١)

ألمانيا

تعتبر أوروبا الوسطى منطقة « ضغط ديموغرافي » واقتصادي مرتفع .

فهي مكان تلاقي شعوب ، يمثل السلاف والجرمان بينها أكثر الجموعات ، اللغوية أهمية . ويؤلف الألمان شعباً في حالة مسيرة ، شعباً غني بالتناقضات ، يبحث بصورة دائبة عن وحدته مثلما يبحث عن حدوده .

١ - مقدمة عن أوروبا الوسطى الجرمانية

تشتمل أوروبـا الـوسطى على ثـلاث منـاطـق طبيعيـة هي : النطـاق الألبي بالجنوب ، النطـاق الهرسيني في الوسط ، وأخيراً السهل الجرماني البولوني الكبير .

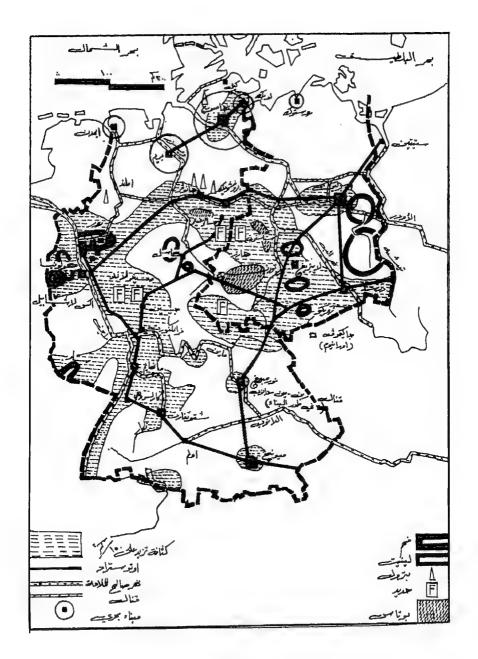
وتؤلف أوروبا الوسطى ، التي تعتبر إقلياً انتقالياً ، امتداداً ملطفاً للمناطق المجاورة . فهي أقل تجزؤاً - على شكل جزر وأشباه جزر - من أوربا الغربية . وهي أقل قارية من الاتحاد السوفييتي المتلاحم الأجزاء . كا أن طبوغرافيتها تبدو ذات مظاهر أقل تنوعاً من الأقطار المطلة على البحر المتوسط . غير أن تضاريس أوربا الوسطى تحوي عدة مجموعات طبيعية كبرى .

أولاً _ ففي الجنوب تؤلف كل من جبال الألب والكاربات قوساً جبلياً ، مؤلفاً من كتلة هائلة من الصخور الرسوبية ، التي نهضت والتوت خلال الدور الثالث ، وتعرضت بعدئذ للحت الجودي والنهري فضلاً عن العوامل الجوية الأخرى .

هذا و يمتد القوس الألبي على مسافة ١٣٠٠ كيلومتر ، ابتداء من خليج جنوا إلى حوض فيينا ، ففي الغرب تكون جبال الألب أقبل عرضاً ولكنها أكثر ارتفاعاً ، فيرتفع جبل مون بلان M. Blanc إلى ٤٨٠٧ م وهو أعلى جبل في أوروبا كلها ، وجبل سيرفان Cervin إلى ٤٤٨١ م . وتظهر جبال الألب الشرقية أكثر عرضاً وأقل ارتفاعاً إذ يتجاوز عرضها ٣٠٠ كم ، ولكن ارتفاعها يقل عن ٣٠٠٠ م .

ثانياً - وتتألف أوربا الوسطى ، في قسمها الأوسط ، من أشباه سهول ناهضة ومتصابية (الله بفعل الحركات المولدة للجبال التي حدثت في الحقب الثالث . وقد أدت الحركات الشاقولية ، أي التخلعات ، إلى تشكيل فسيفساء حقيقية من جبال تفصلها الحفر الانهدامية عن بعضها . وهكذا غيز من الغرب إلى الشرق الكتل التالية : الكتلة الشيستية الرينانية ، الغابة السوداء (شكل ۱) ، هارز ، جبال تورنج ، الكتلة البوهيية ، كتلة الصليب Lysa Gora . ويندر أن يتجاوز ارتفاع هذه الكتل الجبلية المذكورة مقدار ١٥٠٠ م . وتتجه خطوط تضاريسها وتخلعاتها تارة من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي (اتجاه الكتلة الشيستية الرينانية) وتارة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي (اتجاه هارز) . ويتازج هذان الاتجاهان الرباعيان كي يؤلفا حصناً جبلياً في قلب أوروبا الوسطى ، هذان الاتجاهان الرباعيان كي يؤلفا حصناً جبلياً في قلب أوروبا الوسطى ، يدعى الرباعي البوهيمي ، الذي يعتبر موطن الشعب التشيكي . وقد نتج عن النبات الكثيف الذي كان يغطي الكتل الجبلية هنا خلال العصر الفحمي (الدور الأول) ، نشوء أحواض رسوبية فحمية ، تفسر قيام النهضة الصناعية في منطقة السار ، ورينانيا ، وساكس ، وسيليزيا في الشرق (شكل ٢) .

ا) جبال متصابية : هي جبال أتى عليها الحت فسواها تقريباً ثم تعرضت لحركات أنهضتها مما سمح للحت من جديد بأن يوجد فيها تضاريس من نوع جديد ، وتعتبر جبال الأبار ش نموذجاً عنها .



الشكل ٢ أسس اقتصاد ألمانيا

وبين هذه الجبال تشكلت حوضات رسوبية بفعل الرسوبات التي خلفتها البحار الطاغية على الركيزة القديمة خلال الدور الثاني والثالث . وأوسع هذه الأحواض هو حوض صوآب فرانكونيا الذي عاثل الحوض الباريسي في تكوينه ، ويقع هذا الحوض شرقى الغابة السوداء ، وشالى الدانوب وغرب كتلة بوهميا .

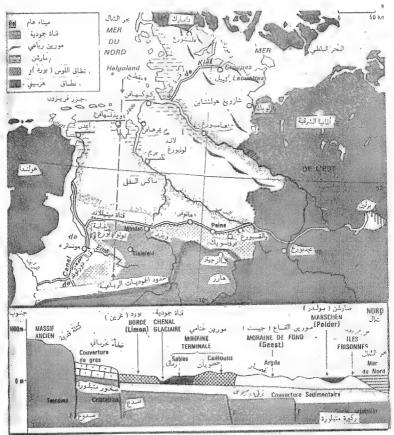
وقد أضفى الحت النهري على الكتل المتصابية تقاطيع مدورة تكثر فيها الوديان العريضة . كا تكيفت الجبال والحوضات الهرسينية أيضاً بنظام الحت الجو جودي Périglaciaire خلال مطلع الدور الرباعي . فقد أدى الانجاد إلى تفلق الصخور . كا عمل الريح في ذلك العصر على تركيم العناصر الناعمة المورينية التي شكلت تربة اللوس الخصيبة . وبذلك تشكل نطاق البورد Borde الغني الذي يمتد من وستفاليا (شرقي بلجيكا) حتى غاليسيا الواقعة قرب حدود أوكرانيا . كا عملت حوادث جريان التربة على حجب السفوح وقيعان الوديان ، وتقطعت هذه الركامات فيا بعد على شكل مصاطب .

ثالثاً ـ ونجد في الشال السهل الجرماني البولوني الكبير ، الذي لا يتجاوز ارتفاعه ٢٠٠ م ، وهو سهل نجم عن التركيم الجودي . فقد حجبت المورينات التي خلفتها الجوديات الاسكندينافية الواسعة (قبعات جودية المورينات التي خلفتها الجوديات الأول وغطاءها الرسوبي ، تلك الجوديات التي زحفت خلال الدور الرابع حتى جوار الكتل الجبلية في أوروبا الوسطى ، على شكل ثلاثة زحوف متعاقبة ، كانت الأخيرة أهمها . وتكون التضاريس مشوشة جداً ، مؤلفة من تلاع غضارية وحصوية يندر أن تسمو لأكثر من ١٧٠ م في ألمانيا الشرقية . وتنفصل هذه التلال عن بعضها بمساحات شاسعة منبسطة تتناثر فوقها مئات البحيرات الضحلة . وتؤلف مورينات القاع ، القليلة الساكة ، والغضارية التركيب ، أفضل المناطق الزراعية . وقد شكلت عصيبات المورين الختامي تلالاً مقوسة ذات سفح شديد باتجاد الشال ، كان الجليد يشغلها بالماضي

(شكل ٣) . وتدل الخطوط المتعرجة لهذه التلال على ألسنة الجموديات القديمة الكبرى . وقد عملت الأنهار التي كانت تنساب من تحت الجموديات ، على رسم سبحات البحيرات المتطاولة من الشال للجنوب مثلما عملت على غسل وفرز الأنقاض المورينية ، فنشرت أغشية رملية وحصوية . ولما كانت مياه ذوب الجموديات عاجزة عن أن تجد لنفسها مصرفاً نحو الشال ، بسبب إقامة القبعات الجمودية ، فقد حفرت أخاديد عريضة تدعى « الوديان البدائية » ، التي كانت تصب باتجاه الغرب . وقد سلكت الأنهار الحالية هذه الأقنية التي تركتها الجموديات ، مثل نهر الإلب ، والأودر ، والفستولا مما ساعد على إقامة شبكة من القنوات الملاحية .

وتغلب على السهل الجرماني البولوني الترب الرملية والحصوية ، عملت ظاهرة غسل التربة على تحويلها إلى تربة بودزول غير ملائمة للحياة الزراعية . كا أن تصريف المياه لا يزال هنا عسيراً . ويكون المناخ هنا قاسياً . فالثلج يقيم فوق الأرض أكثر من شهرين بالعام ، ولا تظهر التربة إلا في نيسان . ولكن الأمطار تكون وفيرة نسبياً إذ تتراوح بين ٧٠٠ و ٨٠٠ مم . ولهذا يكون النبات هزيلاً ، مؤلفاً من غابات شاسعة من الراتنجيات والسندر . كا أن فقر التربة لا يسمح إلا بقيام زراعات فقيرة الأنواع مثل : الجاودار ، والشعير ، والشوفان والأعلاف والبطاطا ، ولكن هذه المزروعات تطورت بشكل علمي وتعطي عاصيل عظية ، شأن تربية الماشية كالخيول والأبقار والغنم .

وبينا كانت ألمانيا الوسطى والجنوبية مجزأة بفعل التضاريس ، فقد كان السهل الشالي مواعًا لنشوء وتطور دولة كبيرة الرقعة ، عملت كنقطة ارتكاز لنشوء دولة عظمى ، ونقصد بها الدولة البروسية . كا أن الصخور الرسوبية العميقة ، تحوي على احتياطات هامة من الحديد ، والبوتاس والملح ، وفحم الليغنيت ، والنفط .



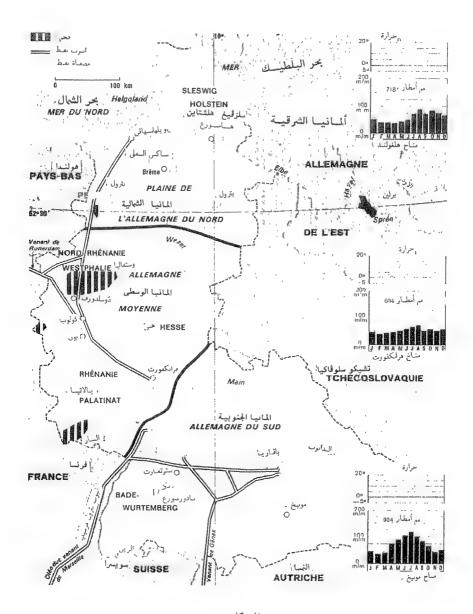
المانيها الثمالية : مقطع من الجنوب إلى الشمال

الشكل ٣

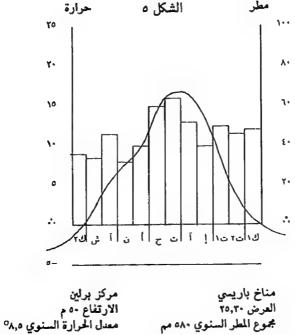
وإن لأوروبا الوسطى مناخاً قارياً يزداد شدة باتجاه الشرق ، كا تحوي على مساحات كبيرة من الغابات ، فضلاً عن طرق ملاحية ممتازة مثل : نهر الراين ، والإلب ، والدانوب .

وهكذا يحوي مناخ أوروبا الوسطى على كل المناخات الانتقالية بين المناخ المحيطي لأوروبا الغربية وبين مناخ روسيا القاري . والحقيقة هي أن عدة تيارات هوائية تتجابه في أواسط أوربا : مثل الهواء شبه المداري ، وكتلة الهواء القطبية البحرية القادمة من الحيط الأطلسي ، وكتلة الهواء القاري المندفعة من انتيسيكلون سيبريا . ولهذا تكون فصول الشتاء طويلة ، وقاسية ، رطيبة . ويحدث الانجاد خلال ٧٧ يوماً سنوياً في برلين . ويصبح الصيف حاراً بالجنوب ، بينا يكون الربيع والخريف جافين (شكل ٤ و ٥) .

وقد عملت التضاريس على خلق العديد من الاختلافات الإقليمية . فالسعة الحرارية تستفحل في الأحواض الداخلية ، بينما تتلطف على الجبال . وتتجاوز الأمطار مقدار ٨٠٠ مم على الكتل الهرسينية وعلى السلاسل الألبية . ولهذا تكون هذه المرتفعات بجالاً ممتازاً للغابات . ولهذا تحمل هذه الجبال بالإضافة إلى أسائها عبارة « Wald » أي « غابة » ، مثل شفارزفالد = الغابة السوداء ، وتورنجفالد = أي غابة تورنج ، وتختلط هنا أشجار الزان مع البلوط والخروطيات . كا عمل الألمان على تحريج الكثير من المناطق المرتفعة ، بحيث تهين الغابة على كل الجبال والأحواض في النطاق الهرسيني ، وقد انتزع السكان قسماً من أراضيهم الزراعية على حساب الغابة . كا تحتل غابة الراتنجيات وذات الأوراق النفضية مكاناً فسيحاً في السهل الجرماني البولوني . وهكذا يكون ربع أوروبا الوسطى مستوراً بالغابة في الوقت الحاضر . والأمر الذي يلفت النظر والفريد من نوعه هو تواجد كثافات سكانية عالية مع نسبة عالية من المساحات الغابة .



الشكل ٤



مجموع المطر السنوي ٥٨٠ مم

٢ - ألمانيا الوسطى

تطلق عبارة ألمانيا الوسطى على مجموع الكتل الجبلية القديمة المرسينية ، المؤلفة من هضاب فسيحة ، فقيرة دوماً ، ومن وديان ذات أكواع متعمقة تجتازها وتغوص فيها ، وفي هذه الأودية تتركز طرق المواصلات والمدن . وتحوي الكتل القديمة في ألمانيا الوسطى على ثلاثة مشاهد مختلفة :

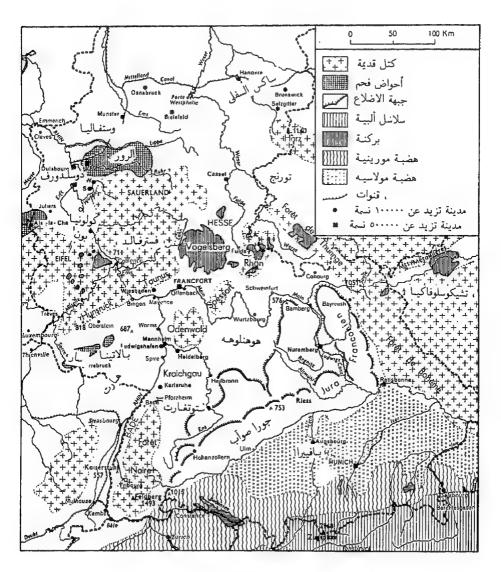
ففي الكتلة الشيستية الرينانية ، تحتل المضاب كل المساحة تقريباً ، وتكون الأودية نادرة ومتعرجة . أما في منطقة هس فالهضاب تكون أكثر تجزؤاً ، والوديان أكثر عدداً وعرضاً . وأخيراً نجد منطقة تورنج التي تصبح فيها الهضاب أكثر تفتتاً ، وتعرض الوديان كثيراً ، وتصبح عبارة عن أحواض كبيرة مزدهرة . ١ ـ الكتلة الشيستية الرينانية ـ تبلغ الهضاب ، في هذه الكتلة التي يجتازها نهر الراين ، ارتفاعات تتجاوز ٢٠٠ م (أعلى قـة تقع في تاونوس م ٨٠ م ٨) . ويكون المناخ هنا قاسياً جبلياً ، ويكون سطح الهضبة غنيا بستنقعات فحم الطورب ، رتيباً وعارياً . أما الوديان فتكون مناطق مواغمة لاستيطان السكان ، فقد أوجد عمقها مواقع عمية من الرياح الباردة ، كا أن السفوح المتجهة نحو الشمس في الأكواع المتعمقة تكون مستورة بالكروم . في حين تكون الزراعة نادرة فوق الهضاب والسكان قليلي العدد رغم وجود صناعة قليلة الأهمية تقوم على صناعة الجلود والورق واستغلال الحديد في وادي سيغ Sieg .

ونجد ضن الأكواع المتعمقة سهولاً حوضة الشكل وعميقة ، كثيفة السكان ، وحاوية على مدن كثيرة ، بعضها قديم . كا اعترى المنطقة حوادث خسف في الدور الثالث فأوجدت سهولاً جميلة غنية جداً ، ومأهولة بسكان كثيرين . وقد أدت هذه الانهدامات لوجود عديد من الينابيع المعدنية مثل ايمس Ems قرب مصب نهر لاهن Lahn ، ومدينة ويسبادن Wiesbaden في أسفل جبل تاونوس قرب فرانكفورت (شكل ٦) .

وتقع منطقة السار Sarre في جنوب غرب إقليم هنسروك ، وغرب هاردت ، وهنا يقع حوض فحمي هام يقدم الوقود لصناعة حديدية ثقيلة ولمعامل الزجاج والخزف ، فضلاً عن معامل البيرة والأحذية والألبسة ، مما يجعل من إقليم السار منطقة كثيفة السكان جداً ، تصل إلى ٥٠٠ نسمة في الكيلومتر المربع .

٢ ـ وتكون كتل منطقة هيس Hesse أكثر تنوعاً وثروة من المنطقة السابقة ، لأنها أقل ارتفاعاً (غابة هيس ، وبركان فوجلسبرغ القديم) وأكثر تخلعاً بكثير ، مما جعل محاور المواصلات تخترقها على نطاق واسع . وتكون ترب الهضاب رديئة ، رطبة ، ومستنقعية وبالتالي عقية . وتغطي الغابة أكثر من

ثلث سطح الجبال والزراعة الموجودة فقيرة تقوم على الشوفان والجاودار والبطاطا .



الشكل (٦) ألمانية الرينانية

ولكن الوديان تسمح لخطوط المواصلات بأن تسلكها . وتأخذ هذه الوديان اتجاهين ينفتحان على نهر الراين بواسطة نهر لاهن ، ونهر الماين Main وكينزيغ الله ين يقودان إلى نهر فولدا ونحو نهر الوينزر . وبذلك ينفتح نوع من باب طبيعي نحو سهل الشمال عن طريق مدينة غوتنجن ، وباب أخر نحو تورنج والساكس بواسطة مدينة آيزناخ Eisenach .

وتحتوي هذه الوديان أيضاً على عدد من الأحواض الخصبة الصغيرة ، فصناعة الحديد تكون هنا قدية . كا قامت حالياً في المنطقة الصناعة الكماوية ، والحديدية ، والخزف ، واستخراج حجارة البناء ، ولكن الدور الرئيسي للمنطقة هو أنها منطقة عبور . فهنا نجد أقدم الطرق وأهها في ألمانيا ، ومن هنا مر الرومان ومن هنا نفذت المسيحية إلى ألمانيا . وظلت المدن القديمة الواقعة على هذه الطرق ضئيلة باستثناء مدينة كاسل Cassel التي تعتبر مدينة كبرى إذ تضم أكثر من ٣٥٠٠٠٠ نسمة وتزدهر فيها صناعة القاطرات والمكائن .

٣ ـ إقليم تورنج ويقع إلى الشرق من كتلة هيس ، ويتألف من أحواض زراعية مزدهرة ، تطيف بها جبال غنية بالمناجم ، وهذا الازدواج بالغنى جعل من هذه المنطقة أغنى مناطق ألمانيا .

وتؤلف هذه الجبال أربعة خطوط متوازية تتجه من الشال للجنوب ، وتتألف جيعاً من صخور قديمة ، هي من بقايا الجبال الهرسينية القديمة التي براها الحت ، والتي نهضت بفعل الحركة الألبية . ففي الشال ترتفع التلال شبه الهرسينية إلى علو لا يزيد كثيراً عن السهل الواقع بين برونسويك وماغدبورغ . وإلى الجنوب من ذلك تظهر منطقة هارز ، التي تؤلف تضريساً بارزاً يرتفع في جبل بروكن إلى ١١٤١ م . فهذا الارتفاع والانعزال جعلا منه أكثر مناطق ألمانيا الوسطى رطوبة . فالجبهة المتجهة إلى البحر تنال أكثر من متر من التهطال . وتؤدي كثرة الثلوج إلى جعل الأنهار غزيرة المياه مما ساعد على بناء سدود لتوليد

الطاقة الكهرمائية . وتغطي الغابة ثلاثة أرباع مساحة المنطقة وتكون الفعالية الرئيسية هي الصناعة . وتملك الحافة الشالية والشرقية من إقليم هارز أغنى مكامن غاس ألمانيا ، في إيزليبن ، ومكامن بوتاس غنية جداً كانت الأولى في العالم قبل اكتشاف البوتاس في كندا ، وتتوزع المدن على حواف كتلة هارز .

وإلى الجنوب من ذلك تقع غابة تورنج التي تؤلف ظهرة من جبال أكثر طولاً ، ولكن أقل ارتفاعاً ٩٨٣ م وهي عبارة عن جبال قدية براها الحت على شكل هضاب رتيبة جداً ، ويخترقها طريق يسلك عودها الفقري . وتظهر هذه المنطقة مستورة بالغابات لدرجة تنعدم فيها الزراعة ، وتقل أهمية تربية الماشية ، وتكون الفعالية الرئيسية للسكان هي الصناعة : كاستخراج الحديد ، وصناعة الزجاج بفضل الرمال وخاصة صناعة الأشياء الخشبية ، ومع ذلك تبدو المنطقة مأهولة جداً بالسكان ، إذ تقارب الكثافة هنا ١٥٠ نسمة في الكيلومتر المربع .

وفي النهاية الجنوبية لإقلم تورنج تظهر كتلة غرانيتية تنبشق منها قمة فيختل جيبرج ١٠٥٣ م Fichtel Gebirge ، تطيف بها هضاب فقيرة تتناثر عليها المستنقعات التوربية ، وتحتل الغابة نصف المساحة . ولكن هذه المنطقة هي مفترق طرق قديمة بين الثمال والجنوب مثل مدينة هوف على نهر سال Saale وبايروت على نهر الماين Main ، كا أن طريقاً يساير نهر ايجر Eger يؤدي إلى شمال بوهيها .

وتظهر في الأحواض المتبعثرة بين جبال تورنج توضعات جمودية وتربة لوس مما ينح المنطقة خصوبة ممتازة (حبوب وخضار)، يضاف إلى ذلك عذوبة المناخ الناجمة عن الحماية من الرياح. وأغنى هذه الأحواض الوادي الذهبي أو غولدنه آويه Goldne Aue.

كا تأخذ الصناعة هنا أهمية كبيرة بفضل جوار المناجم الجبلية ، فتشتهر

المنطقة بالصناعة الكياوية القائمة على بوتاس ستاسفورت ، والحديدية في ارفورت ، والزجاج الذي نتجت عنه صناعة البصريات (معامل يينا الشهيرة iéna) ، وتهين عليها جميعاً الصناعة النسيجية .

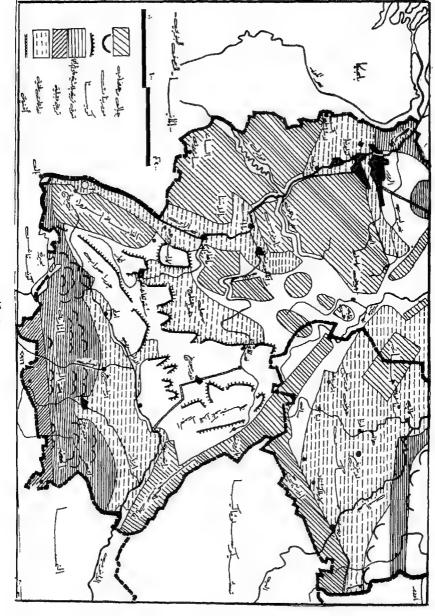
كا أن الوديان الخصبة والصناعية ، تعتبر محاور مرور لاسيا الجنوبية منها ، حيث يمر طريق هام جداً من الغرب للشرق أدى لقيام مدن عند كل تقاطع مع واد آخر بين مدينتي آيزناخ Eisenach وشمسنيتز ، كارل ماركس شتاد حالياً ، ومدينة آرفورت وفيار Weimar ويينا وآلتنبورغ إلخ ..

٣ ـ ألمانيا الجنوبية

١ ـ حافة سهل الراين:

لقد نتج سهل الراين عن انهدام ، معاصر تقريباً لنهوض جبال الألب ، بين أربع كتل بارزة قليلاً هي جبال الفوج ١٤٢٦ م والغابة السوداء ١٤٩٥ م في الجنوب ، وجبل الرعد Mont Tonnère م واودنلفلد ٢٥٩ م في الشمال .

وقد أدى الانهدام إلى تمييز هضاب خرسانية Sandstone يكون ارتفاعها دون الجبال السالفة الذكر ، تعرضت لخفس في أواسطها ، مما جعل منها مناطق مرور عرضانية مثل ممر سافرن Saverne على الجانب الفرنسي في شمال الألزاس ، والذي يقابل تماماً ممر كريشغاو Kraichgau في إقليم باد الألماني المقابل شرقاً . كا حدثت انكسارات جانبية أدت إلى ظهور خلجان حقيقية في خواصر الجبال المذكورة تشكل استطالات لسهل الراين . وهكذا ظهر في الاتجاه الهرسيني نفسه ، أي من الجنوب الغربي للشال الشرقي ، حوض ماينس Mayence و وتراو Nahe والراين حيث تتلاقى الأنهار التالية ، كينزيغ ، ماين ، ناهمه Nahe والراين .



الشكل ٧

وتوجه الغابة السوداء نحو الغرب سفحاً شديداً ناجماً عن الصدوع ، غزير الأمطار ، وجيد التعرض للشمس مما يسمح للكرمة ولمزارع الكرز أن تصعد نحو المرتفعات . وعلى العكس نجد السفح الضعيف الميل الذي يتجه نحو الشرق ، والذي ينحدر عنه نهر الدانوب ونهر النكار ، عبارة عن منطقة قاسية ، كثيرة الغابات ، يعتاش سكانه من صناعة ريفية تقوم على الخشب وصناعة الساعات وأدوات الموسيقى ، ومن صناعة نسيجية قديمة ومن سياحة نشيطة . ولكن منطقة أودنفالد Odenwald الشمالية تبدو أكثر فقراً وشبه خالية ، ويستغل سكانها القلائل غابات البلوط والشوح ، فضلاً عن قطع الصخور .

۲ _ صوآب Souabe وفرانکونیا:

وتمتد في شرق هذه المناطق السابقة الذكر ، وحتى الدانوب ، هضاب يخترقها نهر النكار ونهر الماين . وهي عبارة عن حوض رسوبي تتنضد فيه طبقات مائلة نحو الخارج (نحو الجنوب الشرقي) تعود للدور الثاني ، وتكون هذه الطبقات أحدث كلما ابتعدنا شرقاً عن نهر الراين .

وتعطي المقاطع القاسية لهذه الصخور جروفاً مرتصفة خلف بعضها البعض ، أي كويستات « ضلوع » متوازية تقريباً ، ومعقوفة ، مع سفح شديد يتجه نحو الغرب ، تتقدمه تلاع شاهدة ، وسفحاً ضعيف الميل يلتفت نحو الشرق . وقد اتجهت الوديان نحو الشمال الغربي بسبب نهوض جبال الألب من جهة ، وبسبب خفس سهل الراين من جهة أخرى .

وأجمل كويستا هي التي تتألف من الصخر الجوراسي ، والتي ترسم جرفاً يزيد ارتفاعه عن ٤٠٠ م أحياناً ، وتبلغ ١٠٠٠ م فوق سطح البحر ، تمتد على طول مقداره ٤٢٠ كيلو متر . وتبدأ هذه الكويستا من جوار هضبة الغابة السوداء عند مدينة بال السويسرية . ويجتاز نهر الدانوب هذه الكويستا عند مدينة

دونو شنغن ، ثم تؤلف هذه الكويستا مرتفعات راوهه ألب Rauhe Alb الرتيبة المسترة ، والجافة الكئيبة ، ولكن تتوجها قصور تاريخية عند حافتها وفوق التلاع الشاهدة التي تتقدمها .

وقد تعرضت هذه الكويست الصدوع عديدة ، أدت لوجود براكين صغيرة خامدة فضلاً عن ظهور حوض انهدامي ، هو حوض ريس Ries ، الذي استطاع بواسطته وادي فورنيتز Womitz أن يخترق الكويستا كي يلتحق بنهر الدانوب .

وإلى الشال من ذلك ترسم حافة الكويستا زاوية قائمة باتجاه الشال فتشكل جبال الجورا الفرانكونية ، والتي تؤلف حافتها الشالية شرفة عريضة تطل على مدينة كوبورغ Cobourg ، والتي يفصلها عن كتلة بوهبية القديمة حوض بايروث ، الذي يسلكه نهر الماين .

وتكون الوديان والأحواض الحتية في هذه الهضاب والكويستات (الأضلاع) هي المناطق المفيدة ، ففي الهضاب التي يجتازها نهراالنكار والدانوب ، تظهر بعض السهول الغنية بتوضعات اللوس الخصيبة ، وحيث تكثر القرى الواقعة في أواسط حقولها ، وحيث تجود زراعة القمح ، والكروم ، والأشجار المثرة ، وحشيشة الدينار . وتكون الملكية صغيرة في هذه المنطقة ويجعل المناخ العذب ، الذي يتتع مجاية المرتفعات ، من هذه المنطقة إقلياً دافئاً بالنسبة للألمان . ولكن الأهمية الأولى تنتج عن طرق المواصلات التي تخترق المنطقة ، مما أدى لازدهار المدن منذ القديم .

وأهم الطرق هنا تقع في وادي الماين والنكار . فالأول ينفتح مباشرة على الدانوب بواسطة مدينة فورث Furth ونورمبورغ وراتيزبون ، والذي تدين له مدينة نورمبورغ بأهميتها التاريخية ، وبرونقها الذي تحتفظ به ، وبتقدمها الاقتصادي الحديث ، إذ تقوم فيها صناعات مثل : صناعة البيرة ، والألعاب ، وصناعة المعادن ، وأدوات الكهرباء .

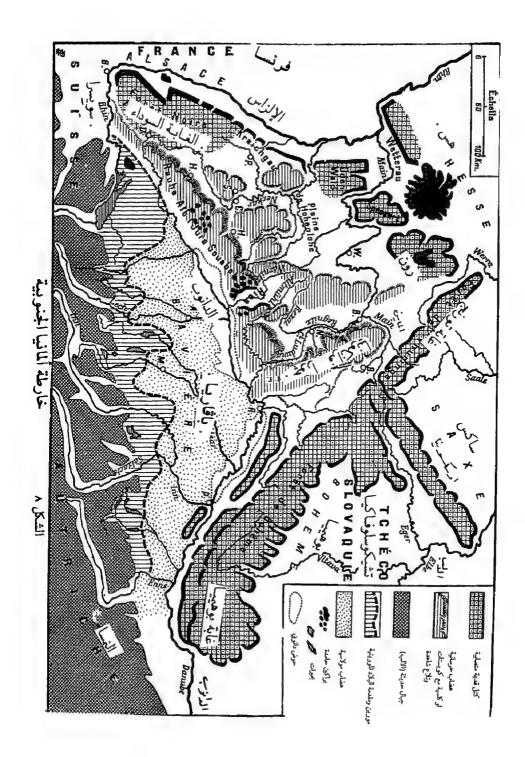
هذا ولا يسلك طريق النكار الوادي ذاته ، بل يصل مباشرة منطقة كريشغاو الانهدامية ، ماراً بمدينة كارلسروهه ، وبمنطقة ريس Ries الانهدامية أيضاً . و يجتاز الطريق نهر النكار قرب مدينة شتوتغارت Stuttgart التي تعتبر مدينة صناعية تضم ٧٥٠ ألف نسمة ، وتقوم فيها صناعة نسيج ، وورق وجلود ، وسيارات فضلاً عن دورها الثقافي .

٣ ـ بافاريا:

و يكون العنصر التضاريسي البارز هو السلسلة الألبية رغم أن إقليم بافاريا لا يضم سوى الحافة الشمالية القصوى (قمة زوغز بيتزه ٢٩٦٠ م). وهذه المنطقة الألبية الوحيدة في ألمانيا عبارة عن بلاد غابات ومراع وسط الأشكال المورفولوجية الجودية (حلبات ، معالف ، بحيرات) (شكل ٨) .

وقد نتج عن ذلك قيام صناعة خشبية ريفية ، كا امتدت إلى هذه المنطقة الصناعة السويسرية القائمة على نسج القطن والتطريز . وتتجه الطرق نحو الجنوب بواسطة نهر إين Inn وتتألف من طرق معبدة ومن خطوط حديدية .

وتمتد هضاب فسيحة ، عند أقدام جبال الألب ، يظل ارتفاعها كبيراً نوعاً ما ، تتراوح بين ٢٠٠ و ٢٠٠ ، ، فتقع مدينة مونيخ عاصة باڤاريا على ارتفاع ٥٣٠ م . والمنطقة الألمانية المحمية بواسطة التضاريس ، والجميلة ، هي الضفة الشمالية لبحيرة كونستانس . أما الهضاب فتتألف من مورينات ومن توضعات نهرية جمودية خلفتها جموديات الألب الرباعية ، مما أدى لوجود عدد من البحيرات الجميلة المتطاولة في الحوضات الختامية terminaux . وقد عملت لحقيات الوديان العنيفة على حجز الوديان الضعيفة مما أوجد مستنقعات يقع أهمها في سافلة مدينة مونيخ « مونشن » . ويبدو سطح الهضبة خصباً نسبياً ولكن الارتفاع يجعل مناخها قاسياً جداً . تلك هي إذن منطقة رطبة ومخضوضرة ،



غنية بالمراعى ، ومحقول الجاودار والبطاطا ، وقليلة السكان نسبياً .

وأخيراً تنحدر من أسفل الركامات المورينية ، باتجاه الدانوب ، شرطان من هضاب مؤلفة من أغطية حصوية وخرسانية (المولاس) ، وهي عبارة عن أنقاض لأول علية تهديم لجبال الألب ، وتكون هذه الشرطان محززة بعدد كبير من الوديان المروحية التي تتصل مباشرة بنهر الدانوب ، مثل : وادي لش Lech ، وإيزار Isar ، وإين Inn قرب الحدود . وتكون هذه الوديان عريضة ، رطبة ، غنية بالتورب ، أما الهضاب فرتيبة وجافة . ولكن المجموع كثير الأحراج ، ويزرع سكان القرى القليلة المراعي الاصطناعية من أجل الماشية . كا يحوي باطن الأرض فحم اللينغيت .

ويسمح سطح الهضاب بقيام مواصلات سهلة من الغرب للشرق فوق هوامش المورينات . وقامت مدن كبرى على الطرق القديمة التي تسمح باختصار الطريق الدانوبي ، مثل مونيخ التي زادت أهميتها بعد مد الخط الحديدي باتجاه نهر nn ومر برنر Brenner الذي يخترق الألب . ومونيخ مقر ملكي قديم ومركز حياة ثقافية وصناعية (بيرة ، صناعات متنوعة) ومن مدن ألمانيا الكبيرة ، فيها ١,٣ مليون نسمة .

وأخيراً يؤلف وادي الدانوب ، مع عقفته الشالية ، هامشاً لكل المناطق البافارية وأداة الاتصال بين هضاب صوآب وفرانكونيا ، ومع وادي الراين ، مثلما يصل باتجاه آخر مع النسا والسهل الهنغاري .

وقد قام هذا الوادي بين السفح اللطيف الصاعد شالاً والعائد للهضاب الكلسية البافارية ، وبين السفح الهادئ الجنوبي الهابط من الجنوب والمؤلف من أنقاض جبال الألب . فتارة يغوص الوادي في خوانق عميقة حفرها في صخور المولاس الرخوة أو في الصخور القاسية (مثل عمر باسو Bassau) والمر الذي يقع

في عالية راتيزبون Ratisbonne ، وتارة يسير في حوضات عريضة كا في المنطقة الواقعة بين أولم Ulm واينغولشتاد .

وتكون هذه الحوضات الدانوبية مستنقعية ، حاوية على التورب ، ولكن عندما تقوم فيها مشاريع تجفيف وصرف ، فإنها تعطي ترباً غنية ، تتألف أحياناً من اللوس وتنجح فيها زراعة القمح والتبغ وحشيشة الدينار والكتان والقنب .

٤ ـ إقليم ساكس:

وتتيز جغرافية هذه المنطقة بتجاور مشهدين مختلفين هما المناجم ومياه أنهار الكتل الجبلية القديمة ، مما أدى لنشوء صناعة كبرى ، كا نتج عن التوضعات الحديثة في السهول الكبرى ، والمؤلفة من ترب خصبة لوسية ومن تربة سوداء تقع إلى الجنوب من التوضعات المورينية الشالية . كا يضيف القسم الأعلى ، من الأنهار الرئيسية ، إلى هذين العاملين عنصر ازدهار آخر هو سهولة المواصلات .

هذا ويتألف السفح الجنوبي من إقليم ساكس من جبال المعادن Erzgebirge التي تسمو إلى ١٢٤٠ م . وتخترق هذه التضاريس المتصابية المسواة عند قمها والمدورة عند سفوحها ، أنهار مفروضة ، رائعة الجمال ، كا في منطقة سويسرا السكسونية حول نهر إلب Elbe عند مخرجه من كتلة بوهيها .

وتحوي هذه الجبال على حوض فحمي صغير (حوض زويكاو Zwickau) وثروة كبيرة من الغابات ، مما أوجد صناعة تعدينية قديمة ، وصناعة زجاج ، وخزف وبورسلان ، بالإضافة إلى صناعة معادن موزعة في سائر المدن . كا اتسعت صناعة النسيج القديمة ، المعتمدة على القوى الكهربائية كثيراً لا سيا صناعة القطن والصوف لا سيا في مدينة كارل ماركس شتاد (قديماً شمينتز) التي تضم ٣٠٠٠٠٠ نسمة .

هكذا تكون الزراعة هامة على الحافة الجبلية فقد دعمت التربة بالأسمدة كي

تعطي محاصيل غذائية للسكان العاملين في الصناعة : جاودار ، شوفان ، بطاطا ، بقر حلوب . كا كانت المواصلات ولا زالت كثيفة عند هذه الحافة الجبلية ، وخاصة عند تقاطع طرق تورنج ، مثل (هاله ٢٥٠٠٠٠ نسمة) ، وطريق بوهيها . وعلى هذا الطريق الأخير ، المفتوح على وادي نهر الإلب Eibe . تقع العاصمة الفنية والثقافية درسدن ، التي يرتفع عدد سكانها إلى نصف مليون .



الشكل ٩

وأخيراً نجد في قلب هذه المنطقة الجبلية ، مدينة تستفيد من ميزاتها الجغرافية ، عند أحد أكبر عقد المواصلات الألمانية الوسطى ، وهي مدينة لايبزيغ (١٠٠ ألف نسمة) ، إذ تتلاقى فيها الطرق البرية والحديدية ، فضلاً عن كونها مركزاً ثقافياً وصناعياً (صناعة معدنية ، نسيج ، طباعة) ومقراً لمعرض سنوي قديم .

وإلى الشال من ذلك ، أي في السهل السكسوني (نسبة إلى إقلم ساكس) تظهر الحصويات النهرية الجمودية الفقيرة ، من جديد ، حيث تغطيها النباتات القصبية . ولكنها تكون مستورة في بعض المناطق بغشاء رقيق من اللوس ، مما ينحها خصوبة رائعة . ونظراً لقلة ساكة الرسوبيات الحديثة فإن باطن الأرض لا يكون بعيداً مما سمح باكتشاف ثروات معدنية مثل : بوتاس ستاسفورت وفحم الليغنيت . ولهذا تكون الصناعة متنوعة من حيث التفاصيل (قاطرات ، مصافي نقط ، معامل جعة) . وتتجاوز الكثافة الكيلومترية ١٥٠ نسمة ، كا تندم فعالية المنطقة بتقاطع طرق المواصلات التي تفسر وجود مدن كبيرة عديدة مثل : ماغدبورغ (٣٠٥ ألف نسمة) . وتقوم هذه المنطقة بتحقيق الاتصال بين السهل البحري الشالي الكبير مع الكتل الجبلية الصناعية في الوسط والجنوب ، ومع المنطقة التعدينية الكبرى في وستفاليا ، التي يجتازها نهر الراين الذي يقوم بربط ألمانيا الجنوبية مع بحر الشال .

الطرق الملاحية:

هذا وتنحدر أنهار أوروبا الوسطى نحو بحر الشمال بواسطة نهر الراين ، والمويزر والإلب Elbe ونحو البطيك بواسطة نهر الأودر ، ونحو البحر الأسود بواسطة نهر الدانوب .

فنهر الراين الذي يبلغ طوله ١٣٢٠ كم عبارة عن نهر جبلي في مجراه الألبي حيث تفيض مياهه صيفاً . ثم لا يلبث أن يتحول تدريجياً إلى نهر محيطي ، مع زود شتوي ، ولكنه يحتفظ على مدى العام بصبيب ثابت ، ويؤلف أحد أجود

الطرق الملاحية في العالم ، إذ يعتبر الشريان الكبير في اقتصاد أوروبا الغربية .

أما الدانوب الذي يفوق نهر الراين طولاً ، ٢٩٠٠ كم ، فهو أقل فائدة ، لأنه يتعرض للافتقار المائي عبر سهول أوروبا الشرقية حيث يستفحل الشح (١) في فصل الصيف ، وينتهي عند مصبه بدلتا مستنقعية في بحر شبه مغلق هو البحر الأسود . أما أنهار السهل الألماني مثل ويزر وإلب وأودر ، فهي تسلك قنوات خلفتها الجموديات قبل أن تدرك بحر الشال ، أو بحر البلطي . وتفيض هذه الأنهار في الربيع في أعقاب ذوبان الثلوج فوق الجبال الوسطى . وتتجمد خلال فصل الشتاء .

شعب ألمانيا والدول الألمانية

ا ـ تضم أوروبا الوسطى فسيفساء حقيقية من الشعوب: وقد بلغ حب التوسع الجرماني حداً جعل الألمان ، في مناسبات عديدة ، يدفعون بحدودهم لما وراء أراضي الأمم المجاورة .

كا كانت أوروبا الوسطى أيضاً ، عبارة عن نطاق اجتياح لشعوب انتشرت بعدئذ فوق أجزاء أخرى من أوروبا . فالسلتيون مثلاً قدموا من الشرق باتجاه الغرب مخترقين الفسحات الغابية الطبيعية . وكانت طرق الهجرات الكبرى هي التالية :

_ في الوسط ، نطاق الأراضي الليونية بين الكتل الهرسينية والسهل الشمالي المستور بالغابات .

_ في الجنوب ، طريق الدانوب الذي يؤدي إلى الحفرة الرينانية .

⁽١) الشح وتقابل التحاريق في مصر والصيهود في العراق أي étiage بالفرنسية و Low water mark بالإنكليزية .

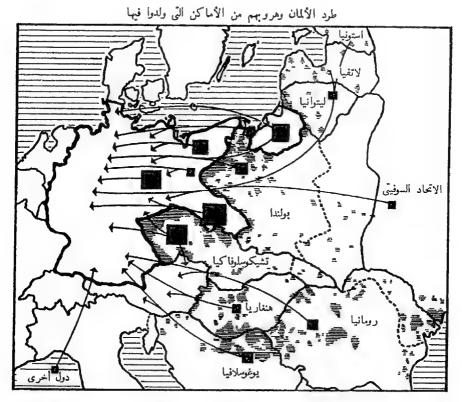
_ في الشمال ، قرب بحر الشمال ، حيث يوجد نطاق اللحقيات alluvions الساحلية أومارشن . وتؤلف المجموعة اللغوية الجرمانية ٩٥ مليون أهم مجموعة في أوروبا الوسطى ، التي تضم ١٦٢ مليون نسمة . ويأتي بعدهم السلاف (بولونيون ، تشيك ، سلوفاك في الشمال والكروات والسلوفين والصرب في الجنوب) والجر والرومانيون . وقد تبدلت مواقع هذه الشعوب وحدودها باسترار خلال التاريخ . وقد كان تكوين الأمم متأخراً جداً بالموازنة مع أوروبا الغربية . كا كان مصحوباً مجروب نشبت بين الجرمان والسلاف والمنغاريين والرومانيين . وكان التوسع الجرماني أكثر الظواهر التاريخية الحديثة أهمية .

فقد زحف الجرمان الذين يعود أصلهم ، كا يعتقد ، للمناطق الدافركية والفنلندية ، ببطء باتجاه الغرب . وكان السلتيون ، جيرانهم ، عبارة عن مدربين لهم على مدنية أكثر رقياً ، إذ كان الجرمان من الشعوب البرابرة التي كانت تقطن في خارج تخوم الامبراطورية الرومانية الحصنة Iimes . فقد كانوا يقيون بين نهر الإلب والراين قبل أن ينفذوا في القرن الرابع الميلادي على شكل غزاة أو رعايا إلى داخل الامبراطورية . وهكذا خلفوا وراءهم فراغات سرعان ما شغلها السلاف . وباشر الجرمان في القرن العاشر عملية استرداد طويلة استعادوا على إثرها الأقطار التي احتلها السلاف في شرق نهر الإلب . فاستعمر المنقبون عن المعادن الكتل الجبلية الهرسينية . كا سلك المعمرون colons والجنود مجاري الأنهار ، فأقاموا المدن التجارية والقلاع الحصينة عند مفترق الطرق الهامة . وهكذا نتجت الدولة البروسية عن زلق حدود إقليم براندبورغ (منطقة برلين) ، وتوسعت على شكل دولة استعارية حقيقية أصبحت فيها الروح العسكرية والوظيفية الطابع الميز للعقلية الجرمانية .

وبين ١٨٧٠ و ١٩٤٥ انهمك الألمان في البحث عن الغزو الاقتصادي أو الهينة السياسية على حساب شعوب أوروبا الوسطى .

بيد أن الهزيمة الألمانية في آخر الحرب العالمية الشانية قد أدت إلى تغيير الجغرافيا البشرية في أوروبا الوسطى إلى حد كبير:

١ ـ فقد قام السلاف بطرد الألمان باتجاه الغرب . فانكمشت الرقعة الألمانية
 إلى ٣٥٧٠٠٠ كيلو متر مربع (شكل ١٠) .



الشكل ١٠ أراضي المستوطنين الألمانية في شرق أوروبا الوسطى الحدود التومية ١٩٢٧ الحدود التومية في ١٩٤٥

٢ _ كا تم إبعاد ملايين الألمان من الأقطار السلافية ، أو هربوا باتجاه ألمانيا كلاجئين .

وهكذا تلاشت تقريباً كل الأقليات القومية المتسربة من ماض بعيد إلى داخل شعوب أخرى . وهكذا جعلت هذه الحركة السكانية الواسعة جداً من القوميات المختلفة شعوباً أكثر تجانساً ، بحيث تظهر الحدود اللغوية اليوم غير مختلفة كثيراً عن الحدود السياسية في ألمانيا ، والنسا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وبولونيا وهنغاريا ويوغوسلافيا ورومانيا (شكل ١١) .



وهكذا خرج بين عامي ١٩٤٤ و ١٩٤٦ ما يقرب من ٩ ملايين ألماني ، بحيث أصبح السكان الألمان في المناطق الألمانية القديمة قلة نادرة لا يزيد عددهم اليوم عن ٧٨٠ ألف شخص .

٢ ـ ولا يمثل الشعب الألماني عرقاً بل جماعة قومية تبحث عن حدودها:

فليس هناك من عرق ألماني ، إذ كانت أوروبا الوسطى دائماً عبارة عن ملتقى شعوب امتزجت ببعضها خلال التاريخ . فالألماني الجنوبي يختلف عن الألماني الشمالي . فهو أقصر قامة ، ويميل للسمرة ، ويعتبر الجرمان أكثر العناصر تفوقاً بين الألمان ، فلهم نموذج شمالي اسكاندينافي ، كا يوجد ألمان من أصل لاتيني في المناطق الراينانية ، أو على الأقل من الغاليين الجرمان . أما البروسيون الذين يعتبرون من أعرق الألمان فيعودون لأصل اختلط فيه الجرمان والروس البيض .

هذا ويؤلف الألمان مجموعة ذات ملامح نفسية وخلقية شديدة الوضوح. ولكن شخصية الألماني كفرد ، تبدو أحياناً عسيرة التبيز ، لأنها تتثل بالشعر والغناء والموسيقى . ولكنها تتخذ صورة دقيقة بالتجمع وفي الإطارات الاجتاعية والقومية . فالألمان يميلون نحو التعاون والتجمع ، واحترام التسلسل الاجتاعي والسياسي ، وحب التنظيم ، والعلم ، والبحث . وقد أظهر الألمان بعد أن اندمجوا في جماعة قومية ، أي في امبراطورية (الرايخ) ، أسلوباً موحداً في العاطفة والإحساس بنوع من سمو صاحبه ميل للمبالغة والإفراط . غير أن ألمانيا أعطت للعالم حكة غوته وشمولية كانت Kant .

ويظهر الشعب الألماني فوق الخارطة وكأنه مستقبل مستديم . فليس لألمانيا مركز مثل باريس بالنسبة لفرنسا أو موسكو بالنسبة للروس . فهي دولة قارية أكثر منها بحرية ، إذ لم تستطع أن تحصل في يوم من الأيام على منفذ يطل على

موانئ بحر الشمال الكبرى ، مشل آنفرس وروتردام التي تعتبر رئة المناطق الرينانية . ونظراً لوقوعها على محاور المواصلات الكبرى التي تصل أوروبا الشرقية بالغربية فهي تبدو وكأنها تبحث عن حدودها ، سواء في الغرب أم في الشرق ، أي على حساب السلاف أو سكان الأقطار الدانوبية .

- ومن وجهة النظر التاريخية ، فقد حقق الألمان قيام ثلاث امبراطوريات ، هي الامبراطورية الجرمانية في العصر الوسيط ، والريخ البسماري الذي تكون في النصف الثاني من القرن الماضي ، وأخيراً الرايخ المتلري الدي كانت تحرضه نظريات عرقية ، والذي كان نها في تحقيق « الجال الحيوي » والهينة ، مما أدى بألمانيا لكارثة ١٩٤٥ .

" ـ وقد عانت ألمانيا من تنازع الحلفاء فتمزقت . فهناك اليوم دولتان ألمانيتان ، أو « نسران بلا رأس » :

- فقد أدت هزيمة عام ١٩٤٥ إلى انكاش ألمانيا على مساحة قدرها ٢٥٧٠٠ كم أي خسرت مساحة قدرها ١١٤٠٠٠ كيلو متر مربع . فأصبحت مدينة كونيغسبرغ (كالينيغراد) والأراضي المجاورة ١٢٠٠٠ كم ملحقة بالاتحاد السوفييتي ، كا خسرت مناطق شرقية أخرى مثل سيليزيا وبوميرانيا وجنوبي بروسيا الشرقية التي اندمجت في بولونيا . وأصبح نهر الأودر ورافده نهر نييسه بروسيا الخالية ، أي حرمت من المناطق التي استعمرتها بعد القرن الرابع عشر .

- كا أن الوحدة السياسية ، التي حققتها متأخرة ، بعد ١٨٧١ ، قد تلاشت . فقد جزئت ألمانيا اعتباطياً إلى عدة مناطق في أعقاب النزاع الكبير بين الحلفاء (مؤتمر موسكو ١٩٤٧) .

- فهناك ألمانيا الغربية أو الاتحادية ، ومساحتها ٢٤٨٤٥٤ كم (٦٢

مليون نسمة) وعاصمتها بون الواقعة على نهر الراين ، وهي منطقة سكنها الجرمان منذ عهد طويل ، وذات اقتصاد ليبيرالي أو رأسالي ، ضمت إليها منطقة السار سنة ١٩٥٧ في أعقاب استفتاء .

- ألمانيا الشرقية ، أو الجهورية الديوقراطية ١٠٨٠٠ كم (١٧,٥ مليون نسمة) ، وهي منطقة سلافية قديمة ، استعمرها الجرمان بين العهد الكارولنجي والقرن السادس عشر ، وتتمتع ببنية اشتراكية على غرار الديوقراطيات الشعبية في أوروبا الشرقية .

- مدينة برلين الغربية ٤٨٠ كم وفيها ٢,٤ ملايين نسبة ، وتنقسم إلى جزئين هما صورة مصغرة من ألمانيا الغربية والشرقية . فالقسم الغربي عبارة عن جيب من ألمانيا الاتحادية ، في حين أن القسم الشرقي يشكل عاصمة جمهورية ألمانيا الديموراطية حيث تبلغ الكشافة فيها ٤٥٠ نسمة في الكيلو متر مربع .

ولم تحصل ألمانيا حتى اليوم على معاهدة صلح يمنحها كياناً نهائياً . فلا زال الحلفاء من وجهة النظر القانونية سادة في هذا البلد المغلوب والممزق .

٤ ـ تضم دولتا ألمانيا ، فوق أرضها الصغيرة الرقعة ، سكاناً متكاثفين ، فضلاً عن اللاجئين العديدين .

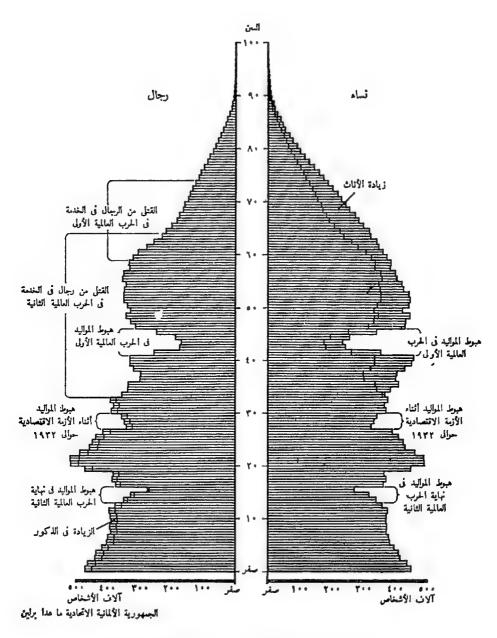
فقد ازداد تعداد الشعب الألماني بسرعة بعد تحقيق الوحدة سنة ١٨٧١. وتدين ألمانيا المعاصرة ، في قوتها الاقتصادية وفي قوتها العسكرية ، ولحد كبير ، لاتصاف شعبها بالخصب الديموغرافي . ولنضف إلى ذلك أن هناك أقليات ألمانية قوية في البرازيل الجنوبية ، وفي الأرجنتين والشيلي كا أن الألمان ساهم لحد كبير في تكوين الشعب الأميركي . ففي أمريكا ٢٥ مليون ينحدرون من أصل ألماني منهم ٢٠ مليون في الولايات المتحدة .

فقد كانت ألمانيا تضم عام ١٨٧١ (بما فيها الألزاس واللورين) ٤٠ مليون نسبة بينا كانت فرنسا تحتوي حينذاك على ٢٨ مليون . وفي ١٩١٣ كان عدد السكان ٦٥ مليونا ، أي أكثر من عدد سكان فرنسا بمرة ونصف . وبعد تقليص مساحتها إلى ٤٧٠٠٠٠ كم بعد معاهدة فرساي عام ١٩١٩ كان لايزال فيها ٦٧ مليون نسبة في عام ١٩٢٧ . وإذا كان انكسار عام ١٩٤٥ قد أدى لانكاش رقعة مساحتها مرة أخرى فإن عدد السكان في دولتي ألمانيا كان كبيراً أي ٨٠ مليون ، والكشافة تزيد عن ٢٠٠ شخص في الكم .

من الصحيح القول أن ألمانيا خسرت أكثر من ٦ ملايين نسمة خلال الحرب العالمية الثانية ، منهم ٤ ملايين من العسكريين . وبذلك فقدت جزءاً كبيراً من فئات القادرين على العمل .

وأصبح العنصر النسائي أكبر بكثير من فئات الذكور . ففي ألمانيا الغربية لوحدها فائض من النساء مقداره مليونان . كا أصبحت نسبة المواليد ضعيفة لاتتجاوز ١٨ بالألف في ١٩٦٥ وهبطت إلى ١٠ بالألف مقابل ١٢ بالألف للوفيات أي أن الشعب الألماني في تناقص غير أن هذه الخائر المريعة قد تعوضت بتدفق ١٢ مليون لاجئ تقريباً طردوا من المناطق الشرقية التي ضمت إلى بولونيا ، وبوهيياً ، وهنفاريا ويوغوسلافيا ورومانيا . فقد كان الألمان يؤلفون في أوروبا الشرقية والدانوبية جاليات احتفظت بطابعها القومي ، وبعودتهم إلى وطنهم ، أوجدوا مشاكل عسيرة ، بسبب عددهم ، لاسيا قضايا السكن ، والتشغيل ، استطاع الألمان حلها بنجاح ، وهناك مجال للتساؤل فيا إذا كان طرد هؤلاء الألمان قد سبب لأوروبا الوسطى أضراراً قائل تلك التي عانتها فرنسا بعد نفي البروتستان منها أو التي أصبت بها إسبانيا بعد طرد العرب قسراً (شكل ١٢) .

هذا وقد أصبح السان متكاثفين في كل المناطق ، وحتى في المناطق الجبلية مثل الغابة السوداء ، وهارز ، وغابة تورنج . وحيثما عجزت الزراعة عن التغلب على الأراضي الفقيرة ، فإن الصناعة قامت كي تجتذب السكان . وأقل المناطق سكاناً هي الأراضي المستنقعية ، وميادين التورب الواقعة في سهل الشال الكبير . وتصل الكثافة إلى أكثر من ٢٥٠ نسمة في الكيلو متر المربع في حوض نهر الراين وفي المنطقة الممتدة من وستفاليا في الغرب حتى إقليم الساكس بالشرق ، وفي نطاق الهامش الساحلى .



هرم أعمار السكان في ألمانيا الاتحادية في ١٩٦٥ الشكل ١٢

ه _ الحياة الريفية والحضارة العمرانية

تشتل ألمانيا على عدة نماذج من القرى نتجت عن عدة مراحل من إعمار الأرض. ويعتقد الباحثون أن الفلاحين قد أخذوا في البداية ، بزراعة السهوب والغابات المفتوحة . فتيز القرى المتكتلة ذات الحقول الشريطية مناطق تربة اللوس المتجانسة التي خضعت للزراعة قبل سواها ، أما في المناطق الدانوبية وفي بافاريا والغابة السوداء فتكون الدساكر ذات بيوت منعزلة مما يدل على إعمار أقل قدما . وتصبح المساكن مبعثرة تماماً فوق ترب البودزول في السهل الشمالي الكبير الواقع غرب نهر إلب ، وهذه تشهد على استيطان فردي فوق الأرض ، وإلى الشرق من نهر الإلب تصبح القرى التي تعود لما قبل القرن الثاني عشر نادرة ، وتخذ القرى شكلاً خطياً ممتدة على طول الطرق التي تمت حولها عملية كسر الأرض (أي استزراعها لأول مرة) ، فنجد قرى بجوار المستنقعات ، وقرى دفاعية ذات شكل دائري . كا تدل قرى كبار الإقطاعيين البروسيين على مناطق أعرت حديثاً .

هذا كا تبدو شبكة المدن قدية جداً ، فنذ العصر الروماني ، ولاسيا منذ مطلع العصر الوسيط ، كانت أوروبا الوسطى تشتل على مدن محصنة ومدن تجارة ، وخاصة مدن الجسور المرتبطة بالملاحة النهرية أو الطرق البرية ، أي مدن نجمت عن إعمار أوروبا واستيطانها باتجاه الشرق ، وقد تحول بعضها إلى مدن حرة كانت عبارة عن دويلات مستقلة حقيقية . كا أن مدنا أخرى مثل كالسروهة وفايار أو بون حازت على أهمية خاصة بصفتها عواصم أمارات ، أو نواب أو كمدن جامعية . هذا كا حافظ التصنيع على حيوية شبكة من مدن صغرى ووسطى خلال النصف الثاني من القرن الماضي . غير أنه عمل على تورم مراكز تجارية قدية مثل كولونيا ، وبعض العواصم الإقليية شأن درسدن ومونيخ

(مونشن بالألماني) . كا بعث مدناً منجمية ، لم تكن معروفة ، ومراكز نشيطة بالصناعات الكياوية المعدنية مثل ايَّسن Essen . وبعد أن كانت مدينة دورتموند ولودفيغهافن ، ودوسلدروف ، لاتضم كل منها سوى ١٠٠٠٠ نسمة في سنة ١٨٠٠ ، أصبحت كل منها تحوي أكثر من المليون من السكان .

وقد تهدمت مدن عديدة خلال الحرب العالمية الثانية بفعل القنابل ، ولكن أعيد بناء الأحياء المتخربة بسرعة ، سواء بإعادة طابعها السابق ، أو عن طريق اتباع هندسة عرانية وظيفية . وهكذا حلت عمارات واسعة مكعبة ، تض مكاتب الشركات الكبرى ومخازن التجارة ، مكان أحياء تعود للعصر الوسيط في فرانكفورت حول الكاتدرائية وقصر رومر حيث كان يتم انتخاب الأباطرة . كا قامت عمارات شاهقة جعلت من قلب مدينة دوسلدورف مدينة تماثل مدن الولايات المتحدة . أما بناء مدينة هانوفر فقد أصبح أكثر تواضعاً واعتدالاً .

ويقطن تسعة أعشار الألمان في المدن . و يمكننا اعتبار إقليم الرور كنطقة حضرية بحتة ، إذ تضم ٧ ملايين نسمة فوق مساحة تقل عن مساحة لبنان ، لأن مساحة الرور لاتتعدى ٨٢٠٠ كم٢ ، أي أن الكثافة تزيد هنا عن ٨٤٣ شخص في كل كيلو متر مربع ، ويقطنون جيعاً في مدن متقاربة يزيد تعداد كل منها عن كل كيلو متر مربع ، وتحوي ألمانيا على ثلاث مدن يزيد سكان كل منها عن المليون ونصف وهي برلين وهامبورغ ومونيخ . وفي ألمانيا ٢٠ مدينة تحوي كل منها على أكثر من ٣٠٠٠٠٠ نسمة تعتبر كل منها ، من وجهة النظر الاقتصادية ، عاصمة إقلمية .

وإجمالاً كان في ألمانيا الغربية عام ١٩٨٢ (٣) مدن فيها أكثر من مليون و ٨ مدن يتراوح سكانها بين نصف مليون ومليون و ٤٥ مدينة تضم بين ١٠٠ ألف ونصف مليون ، أي أن مجموع المدن التي يتجاوز سكانها ١٠٠ ألف نسمة بلغ ٥٦ مدينة .

المدن الألمانية التي يزيد سكانها عن ٤٠٠ ألف نسمة

برلين الغربية	۲ ۰۰۰۰۰	شتوغارت	• • • • • • • • • • • • • • • • • • • •
برلين الشرقية	1111	لايبزيغ	••• 577
هامبورغ	١٧٠٠٠٠	هانوفر	730
ميونيخ	1718	برين	*** 370
كولونيا	٠٨٠ ٠٠٠	دويسبورغ	٠٠٠ ١٧٥
ايُّسن	770	درسدن	017
دوسلدورف	٠٠٠ ٨٠٢	نورمبورغ	٤٩٠٠٠٠
فرنكفورت نهرا	777	ووبرتال	٤٩٠٠٠٠
دورتموند	***************************************		

٦ - حيوية الدولتين الألمانيتين :

لقد أصبحت دولتا ألمانيا ، بعد بضعة أعوام من انتهاء الحرب ، قوتين اقتصاديتين ، تحرضها ديناميكية رائعة ، قل أن نجد بالتاريخ أمثلة مشابهة لها .

فبعد أن كانت ألمانيا دولة مقهورة ، ومقسمة ، وبعد أن انضم شطر منها إلى « المنظومة الغربية » من جهة ، واندمج الثاني في « المنظومة الاشتراكية » من ناحية أخرى ، إذ بها تنهض بسرعة مثل الكرة التي لاترتظم بالأرض إلا لترتفع لأكثر من مستواها الأولي .

ففي عام ١٩٤٥ احتل الحلفاء ألمانيا واقتطعت منها مناطق واسعة في الشرق ، كا فقدت موقتاً والميا السار بالغرب ، وبذلك خسرت ألمانيا حوضي الفحم الشهيرين أي حوض سيليزيا العليا والسار ، فضلا عن أقاليم زراعة كانت توفر الفذاء للمناطق الصناعية ، وظهر الألمان وكأنهم لايتألفون إلا من الأطفال والنساء والكهول فكان في ألمانيا عام ١٩٦١ (١١١٧) إمرأة مقابل كل ١٠٠٠ رجل ، كا أن عدد اللاجئين الضخم قد رفع من تعداد العاطلين عن العمل . وكان التهديم الذي لحق بالمتلكات مذهلاً . فقد تهدم ٥٦ ٪ من مساكن مدينة هامبورغ مثلا . وتخرب ٦،٤ ملايين مسكن من مجموع ١٦ مليون . وكان الدين العام هائلا والرصيد النقدي منعدما . غير أن التدمير بفعل الطائرات لم ينل القدرة وكان الدين العام هائلا والرصيد النقدي منعدما . غير أن التدمير بفعل الطائرات لم ينل القدرة

الصناعية بشكل خطير ، إد لم يتخرب سوى ١٠ ٪ من المؤسسات الصناعية و ٢٠ ٪ من المعامل النسيجية . ونصت اتفاقيات بوتسدام عام ١٩٤٥ على معاملة ألمانيا « كوحدة اقتصادية » بشرط نزع السلاح منها ، كا حرمت من إنتاج الصناعات ذات الهدف الستراتيجي كصناعة الفولاذ التي تقنن إنتاجها . كا تم تفكيك معامل السلاح التي استحوذ عليها الحلفاء . كا نصت اتفاقيات بوتسدام على تدمير القدرة الصناعية الألمانية وفرض غرامات تدفعها للحلفاء . أي بكلمة موجزة أصبحت ألمانيا معدمة .

ولكن أصبح العالم اليوم يعجب « بمعجزة » دولتي ألمانيا الاقتصادية ، أي معجزة في الغرب ، وأخرى في الشرق .

- فألمانيا الغربية الرأسمالية تبدو اليوم أكثر أقطار أوروبا الغربية ازدهاراً ، وأول دولة في السوق الأوروبية المشتركة ، لدرجة أصبحت تلقب « بأوروبا العمليات الاقتصادية والتروستات » . وهكذا نجد أن استثاراتها الاقتصادية التي تبلغ ٧٤٠ دولار للفرد بالعام (مقابل ٣٨٠ في فرنسا و ٣٠٠ في بريطانيا) تسمح لها بأن تسارع في تقدمها السنوي . كا ازداد الدخل القومي بقدار ٥١ ٪ بين ١٩٥٨ و ١٩٦٣ . ويتراكم فيها القطع النادر نتيجة صادراتها الهائلة ، فبلغت موجودات البنوك من الذهب والعملة الصعبة أكثر من ٤٠ مليار مارك في ١٩٦٨ . وأصبحت سوية المعيشة فيها مرتفعة عما زاد الطلب على السلع مارك في ١٩٦٨ . وأصبحت سوية المعيشة فيها مرتفعة عما زاد الطلب على السلع الاستهلاكية ، إذ زاد استهلاك الورق فيها بين ١٩٥٠ و ١٩٥٩ من ١,٦ مليون طن إلى ٣٠٨ مليون . وفي ١٩٦١ كان الدخل القومي يزداد سنوياً بمعدل ٣٠٨ ٪ مقابل إلى ٣٠٨ في الولايات المتحدة مع أن تزايد السكان فيها كان لايزيد عن ١ ٪ بالسنة . وبين عام ١٩٥٠ وعام ١٩٦١ ارتفع الاستهلاك فيها بحوالي ٣ أمثال . ويزيد عدد البيوت الجديدة في كل القرى والمدن عن عدد المساكن التي تعود لما قبل الحرب .

ما ألمانيا الشرقية الاشتراكية فقد راحت تنشر في معرض لايبزيغ أنواعاً عديدة من المنتجات الاستهلاكية والصناعية بحيث أصبحت أكبر الدول المصدرة لمثل هذه المصنوعات بين الديموقراطيات الشعبية ، وقامت فيها صناعة ثقيلة من

العدم ، لدرجة أن دول أوروبا الغربية أصبحت تعتبر ألمانيا الشرقية الحصن الطليعي أو « حربة الرمح » الشيوعية الموجهة نحو الغرب . كا أن ازدياد الإنتاج أخذ يسمح بنوع من تحسين في سوية معيشة الألمان الشرقيين .

بيد أن الطموح للوحدة لازال قائمًا على طرفي حدود ١٩٤٥ . فالمشاهد الجغرافية التي كيّفها الإعمار القديم للأرض ، لاتزال كا هي سواء في ألمانيا الوسطى أو الشمالية والتي توزعت بين دولتي ألمانيا .

كا يبدو تقسيم برلين غريباً كا لو جزئت دمشق حسب خط يمر من شارع الميدان حتى نهاية المهاجرين ماراً بجادة الصالحية .

بيد أن أكثر الحدود اعتباطية قد تجعل من شعب واحد أمّتين غير متجانستين بسبب اختلاف التربية والمناخ السياسي والاقتصادي والاجتاعي فيها . فالتخم الذي يفصل ألمانيا الغربية عن شقيقتها الشرقية يشهد على تفوق الإنسان على الطبيعة وعلى التاريخ .

ألمانيا الاتحادية

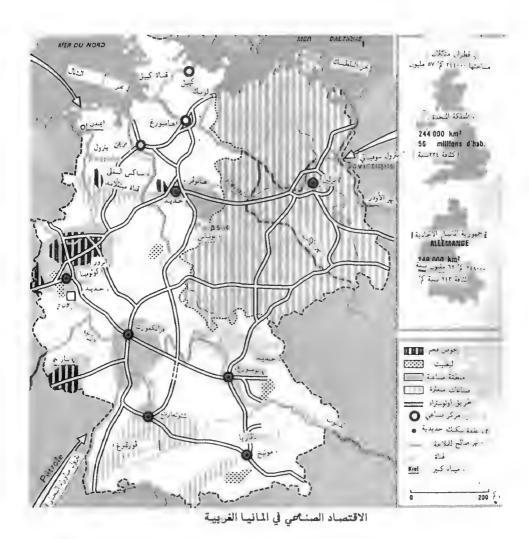
تعتبر ألمانيا الاتحادية أكثر أهمية من سائر النواحي من أختها الشرقية . إذ تبلغ مساحتها ، مع برلين الغربية ، ٢٤٨٥٢٨ كم ، وارتفع عدد سكانها إلى ٦١,٣ مليوناً في أواسط ١٩٧٩ وتبلغ كثافة السكان فيها ٢٤٦ نسمة . ونظراً لوقوعها غربي نهر الإلب ، فهي تملك في المناطق الرينانية مركز الثقل الاقتصادي والديوغرافي والثقافي للمجموعة الجرمانية .

وتماثل ألمانيا الاتحادية ، من حيث النظر إلى مساحتها وعدد سكانها ، المملكة المتحدة (شكل ١٣) ، غير أن حيويتها الاقتصادية أكبر بكثير . فقد استطاعت اعادة بناء الاقتصاد الألماني وتوفر لسكانها ، فوق مساحة متقلصة جداً ، رخاء لم يعهدوه في تاريخهم .

أولاً - كيان ألمانيا الغربية

تتألف ألمانيا الغربية من اتحاد أقاليم تتخذ بون عاصة لها .

فقد ولدت ألمانيا الغربية من اندماج مناطق الاحتلال الأميركية والإنكليزية ، والفرنسية ، وكان تفكير الحتلين ولاسيا الأميركان يرمي إلى جعل المناطق الغربية الثلاث سداً في وجه السوفيات ، وهكذا تخلى الحلفاء تدريجياً عن تفكيك المعامل ونقلها لبلادهم . فسمحوا لمناطق احتلالهم بأن تؤلف دولة ذات سيادة تقريباً ، ثم اعتبروها شريكاً وأخيراً حليفاً .



الشكل ١٣

وقد جعل دستور ١٩٤٩ من ألمانيا الغربية اتحاداً من مناطق :

بادن _ فورتمبورغ ، راينانيا _ بالاتينا ، راينانيا _ فستفاليا ، هس ، ساكس السفلى ، شلزفيلغ هولشتاين ، برين ، هامبورغ ، التي ضمت إليها ولاية السار في عام ١٩٥٧ في أعقاب استفتاء . ولكل من هذه الأقاليم برلمانه ، ووزراؤه المكلفون بالشؤون الحلية . وتمنح ألمانيا الاتحادية المركزية التقاليد الاتحادية العزيزة على بعض الولايات مثل باقاريا ، ولمدن حرة مثل برين وهامبورغ ، وقد اختارت عاصمة لها مدينة سكنية وجامعية صغيرة واقعة على حافة نهر الراين الغربية هي بون (٢٥٠٠٠٠ نسمة) .

- هذا وتحتل ألمانيا الغربية مساحة تعادل نصف مساحة ألمانيا عام ١٩٣٨ . وبعد أن تجزأت بشكل غريب اتخذت شكلا متطاولاً بين الجنوب والشمال يمتد على ٨٠٠ كم ، أي من جبال الألب حتى بحر الشمال ، وتضيق حتى لايزيد عرضها أحياناً من الشرق للغرب عن ٣٠٠ كم بين فرنسا وإقليم تورنج . وبينها تكون حدودها الشمالية على عرض مدينة موسكو ، إذ بحدودها الجنوبية تهبط لعرض ماثل لضفاف البحر الأسود الشمالية . وهكذا تجمع ألمانيا الاتحادية كل مشاهد أوروبا الوسطى ، فتضم جبال الألب العليا إلى جبال وأحواض العالم الهرسيني ، وإلى السهل الشمالي الكبير المفتوح على بحر الشمال والبلطي . وبينها يكون المناخ تحت تأثير الحيط الأطلسي بالشمال ، يصبح قارياً بالجنوب ، وأكثر قساوة شتاء ، وأكثر تشمساً صيفاً . ويوجه كل من نهر الراين والإلب محاور المواصلات الكبرى باتجاه الشمال ، بذلك يكون كل من ميناءي هامبورغ وروتردام المولندي المنفذ باتجاه الشمال ، بذلك يكون كل من ميناءي هامبورغ وروتردام المولندي المنفذ على البحر البلطي أهمية الطبيعي لألمانيا الغربية ، لأن للواجهة الضيقة المشرفة على البحر البلطي أهمية تمارية ضئيلة .

مشكلة اللاجئين واندماجهم: لقد نجحت ألمانيا الغربية في دمج ١٣ مليون لاجئ أو مبعد ، منهم ٣ ملايين قدموا من ألمانيا الشرقية ، ويؤلف هؤلاء

قرابة ربع الشعب الألماني في دولة كانت غاصة بالسكان قبل قدومهم . فقد تألم هؤلاء كثيراً بعد مغادرتهم أوروبا الدانوبية وبولونيا أو ألمانيا الشرقية . وقد تم إسكانهم بالبدء في الخيمات ، وفي القرى القديمة أو في بيوت ريفية شيدت خصيصاً لهم . وأخذت الدولة على عاتقها أمر معيشة الذين كانوا عاجزين عن العمل . ولم ينجح أكثر الفلاحين في أن يصبحوا ملاكين لمزارع جديدة . ونزح الكثير من اللاجئين نحو المدن أو نحو المصانع التي كانت في أمس الحاجة للأيدي العاملة . وبعد وقت وجيز أصبح كلهم تقريباً يقيون في منازل لائقة واندمجوا في مجتمع الجديد ، ضمن قطر خربته الحرب ، كان يتكفل بمعيشة ٢ ملايين عاطل عن العمل سنة ١٩٥٧ .

وقد كانت هذه المعجزة الأولى ممكنة بفضل تضامن الشعب الألماني ، الذي ارتضى باقتسام الأعباء ، وأيضاً بفضل التكوين الثقافي والمهني لدى اللاجئين ومرونتهم . وهكذا شكلت هذه الطبقة الكادحة الضخمة المؤلفة من الوافدين ثروة اقتصادية أكثر منها عبئاً ثقيلاً .

وبذلك ازدادت قدرة ألمانيا الاتحادية اقتصادياً ، لأنها تضم اليوم عمالاً أكثر مما كان لجموع ألمانيا سنة ١٩٣٩ . إذ أمكن إيجاد مجالات عمل جديدة لستة ملايين شخص منذ ١٩٥٠ رغم تناقص عدد العاملين في القطاع الزراعي ، مجيث يكن القول أن الاندماج قد أصبح ناجزاً بعد ٢٠ عاماً من النزوح ، فتلاشي حزب اللاجئين ، كا كثرت أعداد الزيجات بين السكان القدامي وبين الوافدين الجدد أو بين أبنائهم . كا أدى ذلك الاختلاط إلى محض في المذاهب لدرجة أن الحواجز بين البروتستان والكاثوليك قد غدت أقل وضوحاً من الماضي . كا أن كثيراً من الألمان الشرقيين الذين سبق لهم أن حصلوا على تعليم مهني طيب ، قد وفروا لألمانيا الشرقية أيد عاملة جاهزة تنال أجراً عالياً ، إلى أن تم بناء جدار برلين فتوقفت عليات الهروب تقريباً ولا سيا بسبب ارتفاع الأجور ذاتها في ألمانيا الشرقية .

- ألمانيا الغربية تصبح امبراطورية صناعية جرمانية: لقد كان ١٠٠٠٠ شخص يعالجون ، سنة ١٩٤٦ ، في مستشفى مدينة دوسلدورف بسبب أمراض ناجمة عن الجوع ، كا أصيب ١٠٠٠٠ نسمة في مدينة هامبورغ بمرض أوديا Oedéme الجوع . ولكن في سنة ١٩٥١ اضطر المسؤولون الإداريون في عبلس دوسلدورف التشريعي ، إلى استبدال الكراسي بمقاعد أكثر عرضاً . . . إذ ارتفعت نسبة الإنتاج الصناعي بعدل ٢٠٣ بالمئة بين ١٩٥٠ و ١٩٦٤ (مقابل ١٤٧٪ في فرنسا ، و٧٧٪ في الولايات المتحدة و٥٥٪ في بريطانيا) وتعتبر هذه النسبة من أكبر مثيلاتها في العالم . وأصبحت ألمانيا الغربية في عدد قليل من السنين أول دولة اقتصادية ومالية في أوروبا ، وثالث قوة اقتصادية بالعالم ، بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ، وقبل بريطانيا إلى أن حلت اليابان مكانها . وقد أفلحت جمهورية بون في بعث القوة الاقتصادية والألمانية لدى الطبقات الثرية ، أي أن ألمانيا الغربية هي دولة بورجوازية وامتداد لألمانيا السابقة .

ويمكن تفسير هذه المعجزة الألمانية الثانية بالعوامل التالية :

- ـ حيوية الرأسالية فيها .
 - ـ العون الأجنبي .
- ـ السياسة الاقتصادية التي اتبعتها الحكومة الاتحادية .

- وقد تمت النهضة أولاً بتأثير الإصلاح النقدي في ١٩ حزيران ١٩٤٩ ، الذي خصم ٩٣٠٥٪ من قيمة الأوراق النقدية وحسابات المصارف . وأوجدت ماركاً جديداً سرعان ما وثق به الجهور . وخرجت المخزونات سريعاً من عنابرها وظهرت في مخازن البيع وفرة مفاجئة في السلع . وعاد الجهور لشراء البضائع من جديد . وبعد أن كان الناس يصطفون أمام الخابز على شكل طوابير منتظمة في جديد . وبعد أن كان الناس يصطفون أهام الخباز للمتاز لمنازل زبائنهم . وتبدل

المناخ المعنوي فقد احتفظت ألمانيا بثرواتها الفحمية ، وبتنظيها التجاري والمصرفي الرائع ، وبشبكة مواصلاتها البديعة .

واستطاع جهازها الإنتاجي الذي لم يتضرر كثيراً من الحرب، أن يحقق أرباحاً مرتفعة في سوق لا يزال بعيداً عن الإشباع . وانكب الألمان على العمل كي يخرجوا من المحنة . وعاد أرباب العمل الانضباطيون لتكوين الشركات الكبرى (كارتل) ، كا أن العال ، الذين لا يقلون انضباطاً أيضاً ، أجلوا مطالبهم الاجتماعية . وهكذا أظهر الجميع تنظيماً في الجهود جعل المراقبين يقولون : إن الألمان يعيشون لكي يعملوا ، وأنهم يحبون الغمل للعمل .

كانوا يأملون في أن يروا منطقتي احتلالهم قادرتين على تصدير المواد المصنوعة كي كانوا يأملون في أن يروا منطقتي احتلالهم قادرتين على تصدير المواد المصنوعة كي تستطيع استيراد المواد الغذائية التي كانت بحاجة إليها ، وعوضاً عن أن يقدم الإنكليز ، ولا سيا الأميركان ، الغذاء للألمان بالمجان فقد عملوا على مساعدتهم كي يخرجوا من البؤس . فألغوا الأوامر التي كانت تحد من الإنتاج الصناعي ، وردوا أخيراً المناجم والمصانع لأصحابها السابقين . كا ساعد العون المالي الأميركي الألمان على شراء وتجديد معاملهم . هذا ودخل الرأسال الأجنبي في كثير من الشركات الكبرى وأقيت فروع لشركات (فورد ، جنرال موتورز تحت أساء سيارات وطنية مثل أو بل وتاونوس) . وظهرت ألمانيا كبلد أمين بالنسبة لرؤوس الأموال منذ أن ظهر الإصلاح السياسي مصحوباً بنهضة اقتصادية .

- وتفسر المعجزة الألمانية أخيراً بالاستقرار السياسي والاجتاعي ، وبالسياسة الاقتصادية التي اتبعتها الحكومة الاتحادية ، وكان الاقتصاد الاجتاعي للسوق الذي تبناه المستشار (ارهارد) عبارة عن ليبيرالية جديدة تؤمن الرخاء للجميع . وكان همّ الحكام خلق سوق متنافس ، متحرر من المراقبة ومن الاحتكارات الخاصة أيضاً ، بحيث تتولد الوثبة الاقتصادية من المنافسة الحرة ومن حب الكسب .

وقد سمح تكدس رؤوس الأموال بتحقيق توظيفات (استثمارات) منتجة ، استفاد منها كل عناصر المجتمع . وهكذا أعقب اقتصاد الاستهلاك اقتصاد الإنتاج . ونشأت رأسمالية شعبية ، وألغي تأميم بعض الشركات ، مثل فولغسفاغن ، وبيعت أسهمها للجمهور وللعمال الذين راحوا يهتمون بحسن سير العمل ونجاعته .

ولم تقف الدولة موقفاً سلبياً فقد كفلت استقرار العملة . وشجعت أيضاً على توظيف الأموال ، والاستقراض ، وتحديث المؤسسات الصناعية . فانضت برغبة إلى الجموعة الأوروبية للفحم والفولاذ ، وبعدئذ انضت إلى السوق المشتركة . واستفاد الألمان من حرمانهم من الجيش خلال بضعة أعوام ، إذ لم يكونوا ينؤون تحت وطأة ضرائب ثقيلة ، فاستطاعوا تمويل المؤسسات الصناعية ذاتياً . وشجعت الدولة أيضاً عملية فتح أسواق خارجية .

واستغل الألمان ببراعة تخفيض الحواجز الجمركية في أوروبا الغربية وسرعان مااكتسبوا نفسية ميالة للتصدير ، وهم يعرفون بصورة عجيبة دراسة الأسواق وظهروا متاسكين أمام المنافسة . وهكذا أصبحت ألمانيا الغربية مخبراً واسعاً يطرح فيه الصانع سلع الاستهلاك والتجهيز على العالم أجمع ، كي يؤمن معيشة ٦٠ مليون ألماني ، معيشة تتحسن باستمرار وبصورة متسارعة . وأصبحت الصادرات تمثل الماني ، معيشة تتحسن باستمرار وبصورة متسارعة . وأصبحت الصادرات تمثل التصدير أساس القوة الصناعية الجديدة .

وعندما يسأل أحد الألمان عن أسباب نهضتهم المذهلة ، فإنهم يجيبون على العموم قائلين : « نحن لانعرف الاضرابات ولاتوجيهية الدولة » ولكن النقابات العمالية ترغب بإلحاح أن يكون تزايد الإنتاجية مصحوباً بتحسن مواز في مستوى معيشة العمال .

ـ الألمان والرخاء : وعلى أثر النهضة الاقتصادية ، أصبح الدخل القومي

الألماني مرتفعاً لدرجة تجاوز معها الدخل القومي الفرنسي (١). وأصبحت ألمانيا أكبر دولة دائنة في أوروبا بسبب تكديسها الذهب والقطع النادر. ونظراً لضانة المارك باحتياطي الذهب ، وبفضل أرباح التجارة الخارجية ، فقد صارت العملة الألمانية صلبة مثل الفرنك السويسري : ويعتبر المارك من أوائل العملات في العالم . واستطاعت ألمانيا أن تستحوذ على نوع من هينة في سوق الرساميل بالعالم . فهي توظف الأموال في معظم أرجاء الأرض . واحتلت فرانكفورت مكانة سامية كسوق مالي أوروبي .

- ونتيجة لذلك فقد لحقت سوية معاش الألماني بالفرنسي وثم تجاوزته ، وأصبح أجر العامل الألماني يعادل زميله الأمريكي في ١٩٨٠ رغ ضعف العلاوات العائلية ورخص أجور النساء . وشجع تكاثر عدد سكان المدن وانتظام خدمات التوزيع فيها على زيادة الاستهلاك الذي ارتفع بنسبة ٨٠٪ خلال عشرة أعوام (مقابل ٨٤٪ في فرنسا) . وإذا كانت حظيرة السيارات السياحية الألمانية تضم قرابة ١٥ مليون سيارة فإن ٦ ملايين سيارة منها تخص العال ، ويقضي ٥ ملايين ألماني سنوياً عطلتهم الصيفية في الخارج . وتملك ٢٠٪ الأسر الألمانية جهاز تلفزيون وتملك ألمانيا عشر محطات للبث التلفزيوني . ويعتبر الألماني أكبر مستهلك للتبغ بين شعوب أوروبا الغربية .

ا) على الرغ من أن الأمم الصناعية والدول المنتجة للنفط لاتؤلف سوى ثلث سكان العالم فهي تستحوذ على أكبر شطر من الثروة العالمية . وفي ٥٠ بلداً يقل الناتج القومي الخام عن ٥٠٠ دولار للفرد بالعام . وكان الدخل الفردي عام ١٩٧٨ كا يلي في الدول الآتية : الولايات المتحدة ١٩٦٧ دولار ، الإمارات العربية ٢٠٠٠ الكويت ١٩٠٠ ، السويد ١٠٥٠ ، كندا ١٩٢٥ ، سويسرا ١٣٢٣ ، فرنسا ١٨٥٨ ، ألمانيا الغربية ١٠٤١ ، بريطانيا ٥٥٤٥ ، ليبيا ٢٧٢٧ ، لبنان ١٥٠ ، تركيا ١٠٥٩ ، السعودية ٢٩١٩ ، العراق ١٩٢٠ ، الأردن ٢٠٨ إيران ١٩٨٨ ، البرازيل ١٩٨٥ ، البرازيل ١٩٥٠ ، الغرب ١٥٥ ، مصر ١٩٥٥ ، باكستان ٢٠٥ ، السودان ٢٠٧ ، أندونيسيا ٣٤٠ ، الهند ١٥٥ ، أثيوبيا ١٠٠ ، نيجريا ٢٧٧ ، موريشانيا ٢٥٣ ، ملاوي ١٨٤ ، المتراليا ١٨١٠ ، اللابان ١٨٤٦ ، الجزائر ١٩٠٠ ، كوريا الجنوبية ١٩٥٩ ، الفيليبين ٢٠٠ ، الصين ٢٠٠ ، أفغانستان ١٥٠ ، فنلندا ٢٧٢٧ ، سوريا ١٥٠ .

ثانياً ـ المناطق الاقتصادية الكبرى

نجد في الغرب نطاقاً يتراكم فيه السكان والثروات ، يكون محوره نهر الراين ، نطاقاً يتناقض مع نطاق ذي اقتصاد ضعيف يمتد بمحاذاة ألمانيا الشرقية ، ابتداء من شلزويغ Sleswig حتى الحدود التشيكية .

وتشتمل ألمانيا الاتحادية من الشمال للجنوب ثلاث مناطق ألمانية تقليدية هي : ألمانيا الشمالية ، ألمانيا الوسطى ، وألمانيا الجنوبية .

١ ـ المناطق الصناعية في ألمانيا الوسطى

لقد سبق أن رأينا أن ألمانيا الوسطى هي عبارة عن فسيفساء من كتل هرسينية ، ومن أحواض ووديان ، ولكنها تؤلف الحور الصناعي في الجمهورية الاتحادية ، فألمانيا الوسطى تضم « بلاد » راينانيا والبالاتينات ، وراينانيا ـ فستفاليا ، وهيس Hesse وتبدو مجزأة بكتل جبلية هرسينية .

ففي الغرب تظهر الكتلة الشيستية الراينانية وهي عبارة عن هضبة مؤلفة من صخور الشيست والكوارتزيت ، ذات ارتفاع يتراوح بين ٤٠٠ و ٨٠٠ م ، وهي امتداد لهضبة الأردين الفرنسية البلجيكية ، وتبرز فيها مسكوبات من اللابة ومن فوهات البراكين الانفجارية Maare التي ترقد فيها البحيرات أحياناً . ويشق نهر الراين فيها مراً عميقاً كانت تكثر عليه الجنادل في المساضي

وإلى الشرق ، تظهر جبال هس كالجزر وهي جبال فيزر Weser وغابة توتوبورغ Teutoborg حيث تجابه الجرمان والرومان ، وجبال هارز ، وهي منطقة المناجم ، وأخيراً مرتفعات فوجلسبرغ Vogelsberg البركانية ورون Rhon .

وهناك مرات تتسلل بين هذه الجبال مثل حوض الماين Main الأعلى ،

وحوض هيَّس ، وحوض مونستر . ونجد في ألمانيا الوسطى المناطق الصناعية الرئيسية الثلاث في ألمانيا الاتحادية :

- حوض السار ومنطقة فرانكفورت ، إلى الجنوب من الكتلة الشيستية الراينانية .

المنطقة الراينانية الوستفالية ، إلى الشال من الكتلة الشيستية الراينانية .

أ ـ إقليم السار : ومساحته لاتزيد عن ربع مساحة لبنان أو ٢٥٦٧ كم ، وهي منطقة غنية بمناجم الفحم وبالصناعة الحديدية . ويتألف مظهر السار من تلال شيشستية ، تغطيها المراعي ، وغابات الزان والراتنجيات . ويقع الحوض الفحمي في مقعر Synclinal موجّه من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي . ويحوي هذا الحوض على ذخر من الفحم مقداره ١٢ مليار طن . ويترواح الإنتاج حول ١٦ مليون طن بالعام ، ونوعية الفحم تسمح بتحويله إلى فحم الكوك الذي يعتبر أساسياً في صناعة الحديد .

ويستخدم في ثلاث صناعات قديمة وقوية جداً: هي الصناعة الحديدية ، صناعة الزجاج ، وصناعة الخزف الصيني . وتهين على الصناعة الحديدية بضع شركات كبرى مثل روشلنغ Roechling ، التي تنتج قرابة ٥ ملايين طن من الفولاذ . أما الصناعات الكياوية فتعالج نفايات الفحم . كا تؤمن صناعة الألبسة والأحذية ، والتبغ ، والجعة حاجات هذه المنطقة الغاصة بالسكان ، والتي تذم قرابة مليون نسمة . بحيث تصل الكثافة إلى ٤٠٠ نسمة .

ولا يحوي إقليم السار سوى مدينة كبيرة هي ساربروك ١٥٠٠٠٠ نسمة . وتتناثر المناجم والمعامل في الغابة . وكثيراً ما يظل عامل المنجم أو العامل في الصناعة فلاحاً ، فقسم من الأسرة يزرع حقلاً صغيراً ويربي الخنازير .

ب _ إقليم فرانكفورت : وكانت الصناعة هنا بنت التجارة . فقد كانت

منطقة فرانكفورت وماينس Mayence إقلياً ذا طابع أصيل في ألمانيا الوسطى . ولا يدين بنشاطه لوجود حوض فحمي ، بل لموقعه المتاز ولسهولة المواصلات ، ولحركية الأيدي العاملة ، وأخيراً لكثرة الرساميل ، لأن أسرة روتشيلد اليهودية وصاحبة المصارف العالمية تعود أصلاً لهذه المدينة . وتقع منطقة فرانكفورت عند أقدام جبال تاونوس Taunus وعند تقاطع طريق الراين الأوسط مع واديي نهر الماين والنكار ، في سهل غني بإنتاج القمح ، والشوندر السكري (البنجر) ، والتبغ ، فضلاً عن قطعان ماشية هامة . وتلعب المدن الصناعية هنا دور مراكز استقطاب للأيدي العاملة العديدة التي تأتي كل يوم بالقطار أو بالباصات من الأرياف المجاورة . وتستمد المنطقة مصادر القدرة من الفحم ، ومن الغاز (القادم من إقليم الرور) ومن البترول . وتكون الصناعات هنا ، القائمة على صنع المكائن ، والكيياء ، والبصريات ، وصناعة الجلود ، والنسيج ، والمطاط ، مختصة جداً ومعتمدة على التصدير للغاية . وستزداد أهمية المنطقة بعد تحسين الاتصال بين نهر الدانوب ونهر الراين بواسطة نهر الماين الذي يحدد قناة الارتباط .

مدينة فرانكفورت: وفيها ٧٠٠ ألف نسبة ، كانت في الماضي عاصمة اتحاد جرماني . وتلعب اليوم دور العنكبوت في وسط شبكتها لكثرة تشعب السكك الحديدية منها ، كا تحوي أحد أكبر مطارات أوروبا ، وهي مكان التقاء طرق سيارات عديدة ، كا انها مركز عمليات تجارية وصفقات ، ومصارف ، ومعارض مشهورة . وهي في الوقت نفسه بؤرة تحوي الكثير من المصانع الصغيرة لصناعة الثياب ، مثلما تحوي مقر معامل كبرى مثل سيارات أوبل Opel ، التي بلغ إنتاجها ٨٥٠ ألف سيارة عام ١٩٧٩ . وكانت الأحياء القديمة في فرانكفورت ، والتي عاش فيها غوته ، عبارة عن متحف لفن العصور الوسطى ، وذلك قبل تدميرها أثناء الحرب العالمية الثانية . هذا وأصبحت دارمشتاد Darmstadt التي كانت مقر حاكم إقليم هيس ، مدينة صناعية ، مثل مدينة فيسبادن الشهيرة

عياهها المعدينة وهيدلبرغ ذات الشهرة الجامعية القدعة . أما مدينتا مانهايم ولودفيغهافن فها مدينتان توأمان تشتهران بالصناعة الكياوية الكبرى ، ويبلغ عدد سكانها ٤٠٠ ألف نسبة ، وبذلك تتفوقان على مدينة ماينس الواقعة على نهر سپير Spire ومدينة فورمس Worms الفخورتين بكنائسها الرومانية وحيث كانت تعقد الجامع الدينية .

ج _ إقليم راينانيا _ وستفاليا : ويضم هذا الإقليم ١٦ مليون نسمة أو ٣٠٪ من سكان ألمانيا الغربية ، فوق مساحة لاتزيد عن ٣٠ ألف كم أو أقل من عافظة دير الزور في سورية التي تزيد عن ٣٣ ألف كم . ويضم هذا الإقليم العاصمة بون كا يستحوذ على الشطر الأعظم من صناعة ألمانيا كلها .

ويستند الدور المهين الذي يقوم به الإقليم الرايناني الوستفالي في الاقتصاد الألماني على الأسس التالية : وجود سهول توفر الغذاء ، وجود شريان نهري كبير هو نهر الراين الذي خلق إمكانات تجارية رائعة ، وأخيراً على غنى باطن الأرض بمصادر القدرة .

- فإلى الشال من خوانق الراين تنفتح السهول اللحقية في حوض كولونيا وحوض مونستر . فالسهول الفسيحة التي تطيف بمدينة كولونيا التي تضم ١٠٠٠٠٠ نسبة . تشتهر بزراعة الحبوب . أما مدينة مونستر فهي مركز منطقة تهتم بالمراعي وتربي الأبقار والخنازير . ومع ذلك لا يكفي إنتاج هذين السهلين لتغذية المدن المنجمية والصناعية المجاورة كا تجود صناعة الخور مثلما تنجح زراعة الفواكه في جنوب المناطق الراينانية مثلما تقدم الكتلة الشيستية الراينانية الأخشاب الضرورية لمناجم الفحم .

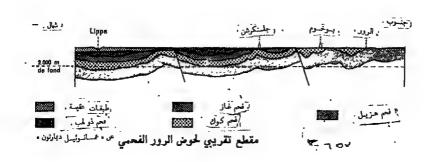
وقد مهد لقيام الصناعة قدم المواصلات هنا وكثافتها ، على طول وادي الراين . كا كانت الصناعة أحياناً وليدة التجارة في هذه المنطقة . فهذا النهر هو

أحد أهم عناصر اقتصاد أوروبا الغربية ، وهو يعود لأصل ألى ، ويحتفظ في الكتلة الشيستية الراينانية بجرى عيق تكثر فيه العتبات الصخرية . ويصبح في وستفاليا نهراً قوياً وهادئاً . ينتج ارتفاع مياهه في الخريف والشتاء ، عن أمطار تجلبها السيكلونات الحيطية والتي تنضاف لمياه الفيض الربيعي والصيفى ، الناجمة عن ذوب ثلوج وجموديات جبال الألب والكتل الجبلية الهرسينية . ويظل صبيبه قو ياً على مدى العام ، فيبلغ ٢٢٠٠ متر مكعب / ثانية عند دخوله هولنـدا (أو ٣ أمثال صبيب الفرات عند اليوكال) . وفضلاً عن جودة هذا النهر الطبيعية فقيد روَّضه الإنسان . فقد اغتنت شبكته بقنوات وبأنهار نظمت مجاريها ، كنهر الموزيل . وتمخر عباب مياه هذا النهر سفن أسطول تبلغ حمولته السنوية ٨,٥ مليون طن ، تحمل أعلاماً هولندية وألمانية وفرنسية وبلجيكيه وسويسرية . ويبلغ وزن المواد التي تنقل فوق مياهه ١٤٠ مليون طن من البضائع : كالحديد ، والحبوب ، والقطن ، والبترول والتي تذهب للمناطق المطلة على هذا النهر ، والفحم وفحم الكوك ، ومنتجات الصناعة الحديدية التي يقدمها إقليم الرور والتي تصدر للخارج لدرجة تصبح معها ضفاف النهر في إقلم الرور عبارة عن ميناء متصل . فمدينة دويسبورغ هي أول ميناء نهري في أوروبا وتعادل حركة البضائع فيه نشاط ميناء مرسيليا الفرنسي .

_ وفضلاً عن ذلك فإن الثروات الكامنة في المحروقات هي التي تجعل من راينانيا _ وستفاليا قلب الاقتصاد الألماني . فحوض آخن Aix-la-Chapelle راينانيا وستفاليا قلب الاقتصاد الألماني . فحوض المتداداً لحوض لياج الصغير الواقع قرب الحدود الفرنسية البلجيكية والذي يعتبر امتداداً لحوض لياج Liège البلجيكي ، يقدم ٧ ملايين طن من الفحم بالعام . هذا ويستعمل فحم الليغنيت ، الذي يقدمه حوض كولونيا الغني ، بشكل خاص ، في مراكز توليد الكهرباء .

هـذا وينتج مكمن الرور لوحـده ١٢٠ مليـون طن من فحم ينتجــه ٤٠٠٠٠٠

عامل منجم . وقد بدأ استغلال الفحم في هذه المنطقة في القرن الثالث عشر ، في الجنوب ، حيث تتكشف طبقات الانتراسيت والفحم الهزيل بجوار نهر الرور الجنوب ، ثم امتد الاستثمار شمالاً باتجاه ليبًه حيث تهبط الآبار إلى أعماق تزيد عن ١٠٠٠ م ، كي تدرك طبقات الفحم الدهني ، وفحم الغاز ، والفحم الملتهب (شكل ١٤) وتكون طبقات الفحم سميكة دوماً والتجهيز ممتازاً . ويبدو الذخر غير قابل للنفاذ . وهكذا يستخرج حالياً من الفحم الدهني مقدار ٤٣ مليون طن من الكوك المتاز ، مثلما يستخرج ما مليارات متر مكعب من الغاز الذي يوزع بالأنابيب على كل ألمانيا .



الشكل ١٤

بيد أن أهمية الفحم في تناقص ، فبعض المناجم قد أغلقت ، والإنتاج راكد بلا زيادة ، فالبترول يستورد بالسفن النهرية أو بالأنابيب كي يتم تكريره في معامل ضخمة في جوار نهر الراين (كولونيا جيلسن كيرشن) وبذلك أصبح الرور أكثر فأكثر مستورداً للطاقة .

- أهمية إقليم الرايناني الوستفالي: تعتبر هذه المنطقة أكبر تجمع صناعي في أوروبا ، إذ يقدم ٨٠٪ من الفحم و ٧٥٪ من الفولاذ ، وأكثر من نصف المنتجات الكياوية والمنسوجات في كل ألمانيا الاتحادية . أو بعبارة أخرى يقع في هذه

المنطقة أكبر تراكم للصناعات والسكان في كل أوروبا . وهنا تقع بون ، العاصمة .

ولا تكون الصناعات متركزة في حوض الرور الفحمي ، بل تتناثر في كل الإقليم مما يسمح بالتعرف على عدة مناطق أساسية .

- فالقسم الشمالي من الحوض الفحمي ، أي في منطقة ليبّه Lippe عبارة عن إقليم جديد لاستثمار الفحم . فقد حفرت الآبار العميقة في إقليم لا يزال ريفياً ، ويطيف بالآبار المذكورة معامل تحويل الفحم الدهني إلى فحم الكوك ، والمراكز الكهربائية التي ترسل تيارها نحو المنطقة الوسطى . ويطغى المظهر الصناعي تدريجياً على منطقة مونستر ، التي لا تزال تحتفظ بطابع فلاحي . وتكون المدن الكبرى نادرة هنا وأهمها : ريكلنهاوزن ، وهام Hamm التي تعتبر أكبر محطة جديدة لتوزيع السلع واستقبالها .

- في الوسط نجد منطقة الفحم الدهني ، الذي بدأ استغلاله في وقت أسبق ، لذا تعتبر منطقة سوداء بكل معنى الكلمة ، لكثرة دخان المعامل . وهنا تجمعت أكبر المعامل الكياوية التي تستمد مادتها الأولية من الفحم Carbochimie وأقدر مجموعات معامل الحديد والفولاذ التي تنتج ٤٤ مليون طن فولاذ (أي أكثر من فرنسا) (١٠ . ولكن تتجه هذه المنطقة أكثر فأكثر نحو صناعة أنواع فولاذ بطريقة الأوكسجين ، وفي الفرن الكهربائي ، ونحو صناعة المعادن غير الحديدية (وخاصة الألمنيوم) ، ونحو صناعة المكائن الثقيلة . وقد صاحب تكاثر الصناعات تمركز السكان بشدة في المدن .

⁽۱) كان إنتاج الفولاذ في العام عام ۱۹۸۱ كا يلي حسب أهمية الدول: الولايات المتحدة ۱۰۸.۸ مليون طن ، الاتحاد السوفييتي ۱۱۹، اليابان ۱۰۱، مألمانيا الغربية ۲۱،۷ ، بريطانيا ۱۰٫۵ ، أوروبا الشرقية ۱۰ ، فرنسا ۲۰٫۲ ، إيطاليا ۲۶٫۰ ، المانيد ۲۶٫۰ ، لوكسمبورغ ۲۰٫۷ ، الصين ۲۰٫۰ ، تركيا ۱۰٫۸ ، الهند ۱۰٫۵ ، هولندا ۵.۵ ، وجموع الإنتاج العالمي ۲۶۲ ، وإنتاج الوطن العربي من هذه المادة لا يتجاوز حاليا ٥ ملايين طن في جمهورية مصر العربية والجزائر وتونس وقطر .

فكثافة السكان تزيد هنا عن ١٠٠٠ نسبة بالكيلو متر المربع . وتندر هنا الحقول والمراعي . فعلى مسافة ١٠٠٠ كم من الغرب إلى الشرق لا نجند سوى غابة من المداخن والمصانع التي تنتج الغاز ، ومن خطوط حديدية تمر فوق الجسور ، ومحيطا من المنازل ونثيراً من الاحياء العالية . فقد التأمت كل جراح الحرب ، بعد أن قامت معامل جديدة تماما كان مقرها برلين سابقا ، أو بواسطة شركات أمريكية مثل فورد . وبالاختصار نجد مشهد مدن صغيرة عصرية للغاية ، تنتشر فيها الحدائق العامة ، وملاعب الرياضة ، التي منحت الجال لمنطقة صناعية سوداء كانت كثيبة جدا .

وترتصف المسدن الكبرى على محسور يمتسد من الغرب للشرق ، أي من نهر الراين حتى دورتموند . فيتجاوز عدد سكان كل من ايسًن ودورتموند . الراين حتى دورتموند . فيتجاوز عدد سكان كل من دويسبورغ ، وجلسن كيرشن وبوشوم عن نسمة ، مثلما يزيد عدد سكان كل من دويسبورغ ، وجلسن كيرشن وبوشوم عن ١٨٧١ ولم يكن في أي من هذه المدن المذكورة أكثر من ١٠٠٠٠ نسمة عام ١٨٧١ أي قبل قرن كامل من الزمن .

- وفي جنوب الرور ، تكون الصناعات أقل ارتباطاً بالفحم . فقد كانت الأيدي العاملة العديدة والخبيرة تعمل منذ القديم هنا في صناعة الخشب وحديد سيغرلاند Siegerland أو كانت تنصرف لصناعة الغزل والنسيج . وقد ازدهرت صناعة سلع الاستهلاك من جديد خلال القرن التاسع عشر والعشرين بفضل وجود سوق هامة وطرق مواصلات كبرئ . فتشتهر مدينة ووبرتال في غزل القطن ونسجه ، كا تنصرف مدينة آخن لصناعة الصوف . أما مدينة كريفلد ومدينة مونشن غلاباخ فتعرفان بصناعة المنسوجات الاصطناعية مثلما تصنع أنوال النسيج ، وصناعات الألبسة والجلد ، كا أن الصناعات الكياوية تكون أيضاً هنا ذات أهمية ، أما مدينة سولنجن ، ورمشيد Remscheid فتصنعان الأدوات المنزلية ، والأدوات الميكانيكية ، والمكائن الصانعة . وتقع في قلب هذه المنطقة الصناعية القديمة والمتجددة مدينة دوسلدورف (٧٠٠٠٠٠ نسمة) ، وهي مدينة

صناعية ، أو عاصمة اقتصادية حقيقية ، استقرت فيها الشركات الكبرى ، والخازن الضخمة ، والبنوك الجبارة .

- وتقع منطقة كولونيا إلى الجنوب من المنطقة السابقة ، التي نمت على ضفة الراين . فتعتبر مدينة ليفركوزن عاصمة الصناعات الكياوية ، ولا سيا معامل باير Bayer ، التي تنتج لوحدها ربع إنتاج خيوط النسيج الاصطناعي .

وتضم مدينة كولونيا ٢٥٠٠٠٠ نسمة ، وهي مدينة أخذت أهيتها من الجسر الذي يمر فوقه الطريق الذي يصل فرنسا بالسهل الأوروبي الشمالي ، فضلا عن وظيفتها كميناء نشيط على نهر الراين ، ومركز مالي ، ومقر صناعات غذائية وميكانيكية لا سيا صناعة سيارات تاونس Taunus التي أنتجت ٦١٣٥٧٩ سيارة عام ١٩٦٩ ولها علاقة وثيقة بشركة فورد الأمريكية .

غير أن ألمانيا الوسطى ليست الركيزة الصناعية الوحيدة في ألمانيا الاتحادية . فقد تسلَّل التصنيع نحو الجنوب ، أي إلى منطقة بادن وورتمبورغ ، إلى الشمال ، وضفاف بحر الشمال .

٢ ـ المناطق الريفية في ألمانيا الجنوبية

ألمانيا الجنوبية الجبلية: لقد ظلت هذه المنطقة ريفية خلال أمد طويل ، ولكنها أخذت تتجه الآن نحو الصناعة . هذا وتمتد ألمانيا الجنوبية من نهر الراين حتى جبال بوهييا التشيكية ، وتضم إقلمين هما بافاريا في الشرق وبادن فورتمبرغ في الغرب .

وتنصرف مياه ألمانيا الجنوبية بواسطة نهر الدانوب الذي ينبع من منطقة الغابة السوداء ، وبواسطة روافده المنحدرة من جبال الألب التي تؤلف حاجزاً في الجنوب ، أما الغابة السوداء وجبال بوهيما فهي أكثر الكتل الهرسينية الألمانية ارتفاعاً .

وقد تأثرت ألمانيا الجنوبية كثيراً بالنفوذ الروماني فظلت كاثوليكية رغ حركة الإصلاح. ولا يختلف التخم الشالي للكاثوليكية كثيراً عن تخوم الامبراطورية الرومانية في القرن الميلادي الثاني. وتتصف هذه المنطقة بطابعها الريفي ، حيث تهين الملكية الصغيرة . « فالإنسان البافاري متفتح القلب مرح ، فلا نجد في أي منطقة من ألمانيا نفس الذوق العفوي لبساطة الحياة ، ونفس الحيوية المرحة . فالفن ليس احتكاراً لطبقة معينة ، بل هو من اهتام الشعب كله . فقد كان للرقص وللموسيقي الريفية ، ولمسرح القرية ، وللنحت ، وللرسم ، وللأدب الشعبي تقاليد راسخة هنا منذ القديم » .

عير أن الصناعة تزحف اليوم نحو الجنوب في ألمانيا الاتحادية لتجنب الحتناق منطقة الرور والاستفادة من الأيدي العاملة الوفيرة المؤلفة غالباً من اللاجئين . كا تجد الصناعة محلياً طاقة وفيرة تتألف من الفحم الأبيض ، والفحم الذي ينقل بواسطة نهر الراين ، والبترول الذي يصل مدينة كارلسروهه ومدينة انجولشتات (على الدانوب) بواسطة الأنابيب الأوروبية الجنوبية ، والذي يتم تكريره محلياً . ويكون هذا الإقليم الذي تكثر فيه المراعي والغابات ناشطاً سياحياً بالصيف ، وبالمتزلقين على الثلوج (سكي) في الشتاء . وقد دخلت المنطقة الصناعات التحويلية الحديثة ، ليس إلى المدن القديمة أولم وريجنسبوغ ونورمبورغ ٤٨٥٠٠٠ ، ومونيخ ١٩٤٤ مليون فحسب بل في كل ثنايا الوديان . فكل قرية من إقليم فرتنبرغ أصبحت صناعية . وهكذا يتزايد سكان إقليم بادن فرتنبرغ بسرعة تفوق تزايدهم في الإقليم الرايناني الوستفالي .

وتحوي ألمانيا الجنوبية على مشاهد أكثر تنوعاً من سائر المناطق الألمانية و يكننا أن نميز فيها ثلاث مناطق هي :

⁻ الغابة السوداء وسهل بادن .

- حوض صوآب فرانكونيا (شرق الغابة السوداء وشمال الدانوب الأعلى) . - حبال الألب والهضبة البافارية .

إقليم بادن - ويقع في شرقي مرتفعات الغابة السوداء ، وهي منطقة غنية . ففي جنوب غرب ألمانيا تهين الغابة السوداء على سهل بادن . وتكون الغابة السوداء عبارة عن كتلة متبلورة غير متناظرة ، تنتشر عليها غابات الشوح القاتمة . وإلى الشال من ذلك يعود الغطاء الخرساني للظهور في تلال اودنفاليد Odenwald . ويكون السكان قليلي الكثافة ولكن السياحة نشيطة . وتنتشر القرى مصطفة فوق درجات ترتفع قليلاً عن سهل الراين . وقد نفذت الصناعة إلى هوامش هذه الكتلة ، وفي الوديان الجنوبية التي تنحدر نحو مدينة بال السويسرية ، وعلى طول نهر الدانوب الأعلى ونهر النكار (صناعة الساعات ، السيج ، كيياكهربائية) .

ويتألف سهل بادن الواقع بين نهر اين والغابة السوداء من جزء من الخفرة الكبيرة ، التي تمتد على مسافة ٢٠٠ كم من فتحة بورغونيا في فرنسا حتى الكتلة الشيستية الراينانية . وهنا تجود زراعة الحبوب والتبغ وحشيشة الدينار ، التي تدخل في صناعة الجعة ، والأشجار المثرة فوق مصاطب تربة اللوس . كا تؤلف الغابات والمراعي شرطانا بجوار نهر الراين . كا تغطي الكروم الأراضي الواقعة فوق التلال وفوق كتلة كايزرتوهل البركانية . وأهم مدينة هنا هي فرايبورغ الواقعة عند تماس السهل بالجبل . وبعد أن كانت كارلسروهه مقر محكة العدل الفيديرالية ، أصبحت ميناء على نهر الراين ، بفضل قناة طولها ٢ كم ، ومدينة صناعية (تكرير نفط ، أجهزة كهربائية) ومركزاً للأبحاث النووية . وبلغت صناعة إقليم بادن درجة من الحيوية جعلتها تجذب يومياً أكثر من ٦٠٠٠ عامل الزاسي فرنسي .

- حوض صوآب فرانكونيا: ويحوي على منخفضات خصيبة وعلى مركزين صناعيين هامين هما شتوتغارت ونورمبورغ . فقد استطاع الحت أن يكشف في حوض صوآب فرانكونيا الرسوبي تضاريس الكويستا الكلسية والخرسانية . ويكون ظهر الكويستات عبارة عن هضاب قاحلة وغابية . وتتكاثف الحياة البشرية في المنخفضات ذات التربة اللوسية ، عند أقدام جبهات الكويستات وفي الوديان حيث يزرع القمح وحشيشة الدينار والتبغ والأشجار المثرة والكرمة ، وتتناثر القرى الكبيرة في الأرياف المفتوحة ، وحيث تكون الملكيات صغيرة .

هذا ويفتح كل من وادي الماين والنكار طرقاً تجارية كبرى بين بلاد الراين والنطقة الدانوبية أو الألبية . فقد كانت هذه الطرق موائمة لازدهار المدن التجارية ، التي تحولت اليوم نحو الصناعة . فتض مدينة شتوتغارت (١٥٠ ألف نسمة) ، عاصمة إقليم فورتمبورغ ، صناعات متنوعة جداً ، نذكر منها صناعة السيارات من ماركة بورش Porsche ومعامل مرسيدس الضخمة ، التي أنتجت السيارات من ماركة بورش وأجهزة تصوير من ماركة زايس Zeiss . وتختص أولم بصناعة السيارات الشاحنة والتلفزيونات . أما مدينة نورمبورغ ، التي تؤوي بصناعة السيارات الشاحنة والتلفزيونات . أما مدينة نورمبورغ ، التي تؤوي ١٩٠٠٠ نسمة ، والواقعة على قناة تصل الدانوب بنهر الماين فتشتهر بمدينتها القديمة ، التي ظلت سليمة حتى نهاية الحرب الماضية وبصناعة لعب الأطفال . وتقوم فيها معامل كثيرة للجعة ، فضلاً عن صناعات ميكانيكية (كيونات ، أوتوبوس) وكهربائية ، وصناعات الكترونية .

- بافاريا: وقد ظل هذا الإقليم ريفياً ، غير أن مونيخ مدينة صناعية هامة ، وثالث مدينة ألمانية لأنها تضم أكثر من ١,٣٥ مليون نسمة .

فبين وادي الدانوب وجبال الألب تظهر الهضبة البافيارية وكأنها بمونت Piémont حقيقي يعود لأصل نهري جمودي . كا أن جبال الألب البافارية وهي

عبارة عن مقدمة كلسية لجبال الألب ، تكون أحياناً جافة قاحلة ، تحزّزها الجموديات وتزدان ببحيرات تجتذب شاليهاتها Chalets (بيوت خشبية جبلية) العديد من السواح . ويلعب مركز غارميش Garmisch دور محطة لرياضة الشتاء واقع تحت أعلى قمة في كل ألمانيا هي قمة زوغتبيتزة ٢٩٦٣م .

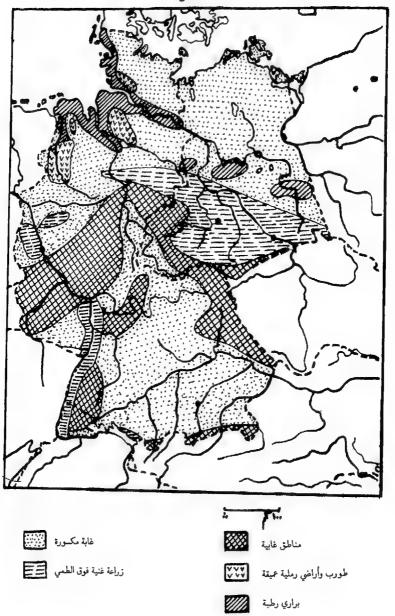
ولا تزال المنخفضات التوربية ، والأراضي البائرة والغابات (شكل ١٥) ، تحتل مساحات كبيرة ومع ذلك تربى الخنازير والأبقار ، لأن المنطقة أكبر منتج للألبان ومشتقاتها في ألمانيا الاتحادية ، كا يزرع القمح والجاودار في فسحات الغابات . وقد نجح الفلاحون البافاريون على أرضهم العقيمة بفضل جدهم ، وبتكنيك متقدم . أما المصاطب اللوسية التي تواكب مجرى الدانوب وروافده فتجود فيها الأشجار المثرة وحقول التبغ وحشيشة الدينار .

وتعود مدن بافاريا أحياناً ، في القدم ، للاحتلال الروماني . فهي تحرس مرات الطرق التي تعبر جبال الألب (برنر Brenner) أو طريق الدانوب الذي يؤدي إلى فيينا . وقد توسعت هذه المدن بفضل التجارة ، والأعمال المصرفية ، وفي العصر الحديث بواسطة الصناعة . فقد كانت مدينة اوغسبورغ Augsburg في القرن السادس عشر ، مدينة صيارفة الامبراطور شارلكان ، ويظهر نشاطها اليوم بالصناعة النسيجية وصنع المكائن .

أما مونيخ (مونش عند الألمان) والتي تحوي ١,٣٥ مليون نسبة فهي عاصمة بافاريا ، وبؤرة ثقافية وفنية . وتقوم فيها معامل جعة شهيرة وصناعات تحويلية متنوعة جداً (تجهيزات السكك الحديدية ، أحذية ، بصريات ، مطاط تركيبي ، مصنوعات كهربائية) .

ألمانيا الشرقية والغربية

الشكل ١٥



٣ ـ المناطق الصناعية والموانىء في السهل الشمالي

السهل الشمالي : وهو سهل رتيب واسع دخلته الصناعة في منطقة سكسونيا السفلي . إذ تتألف ألمانيا الشمالية من منطقتي سكسونيا السفلي (مقاطعتي هانوفر واولدنبورغ) ومن إقلم شلزفيغ هولشتاين (شكل ١٦) .

تلك هي أكثر مناطق ألمانيا فقراً وشحّاً . فبين حدود هولندا وألمانيا



الشرقية ، لانجد أي تضريس يلفت النظر في هذه الفيافي الرتيبة التي تشغلها نباتات الخلنج Bruyére التي ترقد فوق ترب سيليسية ، والمستنقعات ، والغابات الراتنجية . غير أننا نعثر في ولاية شلزفيغ هولشتاين الواقعة جنوب الداغارك مباشرة ، والتي زارتها الجوديات قبل فترة تقع قبل ١٥٠٠٠ إلى ٢٠٠٠٠ سنة ، تلالاً بحيرية تنم عن مشاهد ألمانيا الشرقية . وقام الإنسان بحرق الغابة وقطع كل التورب واستصلح التربة للسيطرة على تربة عقية بحيث نجح في زراعة الجاودار وتربية الماشية ، والشوفان والبطاطا . وتعتبر تربية النحل المصدر التقليدي للرزق في فيافي لونيبورغ Luncbourg الواقعة بين برين وهامبورغ .

ما الكثافات البشرية الريفية الشديدة ، فنجدها إلى الجنوب من هذا الإقليم أي في نطاق البورده Borde الغني بتربة اللوس ، والذي يمتد على عرض مدينة هانوفر على مسافة ٢٠٠ كم وبعرض يتراوح بين ١٠٥٠٠ كم . ويقوم الملاكون الصغار ، المجتعون في قرى ، بزراعة القمح والشمندر السكري . وفي هذا النطاق المتيز ظهرت المراكز الصناعية . فالطبقات الرسوبية الباطنية تحوي على ثروات معدنية كبيرة ، إذ يستثمر النفيط والغاز الطبيعي في منطقة إيمس Ems ، والبوتاس في منطقة هانوفر ، والحديد ، الفقير في نسبته ، والمعادن غير الحديدية بجوار منطقة هارز Harz (جنوب هانوفر) ، كا يكثر هنا فحم الليغنيت إلى جانب قليل من الفحم الحجري . وتبعث الصناعة النشاط في سبحة من المدن الكبرى مثل هانوفر "لتي تضم ١٠٠ ألف نسمة ، وبرونشفايغ prunswick وبتناة ميتلند وتتصل هذه المدن بالخطوط الحديدية وبالطرق العريضة وبتناة ميتلند والسيارات حيث تقوم معامل فولغسفاغن ، في مدينة فولفسبورغ قرب برونشفايغ ، والتي تنتج قرابة ثلاثة ملايين سيارة بالعام ومعامل المنتجات بالكياوية ، والمنبوجات الصوفية ، والصناعات الغذائية المتنوعة . وتحتوي الكياوية ، والمنبوجات الصوفية ، والصناعات الغذائية المتنوعة . وتحتوي

مدينتا سالزغيتر Salzgitter وبينه Peine الواقعتين جنوب شرق هانوفر ، وقرب مناجم حديد هارز ، على معامل صناعة الحديد الكبيرة .

وهكذا حققت منطقة سكسونيا السفلى ، نجاحات رائعة فصناعاتها أصبحت تماثل الآن صناعات الرور .

- سواحل بحر الشمال: وتحتوي هذه السواحل على حقول بولدر غنية ومصبات أنهار عميقة تؤوي مينائي برين وهامبورغ الكبيرين. والواقع لاتملك ألمانيا الاتحادية سوى واجهة ضيقة من سواحل تنقسم إلى جزأين لوجود شبه جزيرة جوتلند الداغاركية.

- فسواحل بحر الشال هي امتداد للسواحل الهولندية . وتكون منبسطة . وقد قطعها طغيان البحر على شكل خلجان (دولارت ، جاد) وإلى مصاب خليجية (مصب الويزر والإلب) . كا عمل البحر على عزل جزر تشكل سلسلة تكاد تكون مسترة موازية للساحل ، هي الجزر الفريزونية . وقد عمل الإنسان هنا على تحويل مساحات واسعة من الوحول التي تتكشف أثناء الجزر إلى حقول غنية خصيبة ، تدعى هنا مارشن تماماً كا فعل ويفعل الهولنديون (١) . وتخصص هذه الحقول ، أو البولدر ، لتربية الماشية الكبيرة ، وتكون كثافة السكان هنا كبيرة ويقطن السكان في بيوت مرصوفة على طول الحواجز الاصطناعية أو في قرى باتجاه الداخل .

- أما ساحل بحر الشال فهو ساحل غري حديث . فنجد هنا جروفاً حوارية ، تنتشر فيها الخلجان من نوع رياس Rias كا في سواحل هولشتاين . غير أن البحر البلطي لا يعرف الحركة التجارية الكبيرة المعهودة في أوروبا الغربية . فوانئ البلطي ، التي تكون أحياناً ذات ماض مجيد ، مثل كييل

⁽١) هناك مثل هولندي يقول لقد صنع الله البحر وعلى الهولندي صنع سواحله .

ولوبك ، لا تتمتع بأهمية تماثل موانئ المصبات النهرية والتي تتعرض لحركة المد والجزر الشديدة في بحر الشمال .

- وترتبط مدينة إمدن الواقعة عند مصب نهر إيس، قرب الحدود الهولندية الشالية ، بحوض الرور بقناة وتصرف بعض الإنتاج الألماني القادم من وستفاليا . هذا وتتلقى مدينة ولهمز هافن البترول الخام الذي يضخ إلى بلاد الراين بواسطة الأنابيب . ولا زالت مدينة برين (٢٠٠,٠٠٠ نسمة) على نهر الويزر Weser ميناء ركاب وبضائع فضلاً عن مركب كامل في الصناعة الحديدية ، يعتد على استيراد فلزات الحديد من الخارج .

وتعتبر هامبورغ أول ميناء وثاني مدينة في كل ألمانيا وفيها ١,٨٥٠,٠٠٠ نسمة ، ويقع الميناء على ذراع من نهر الإلب على مسافة ٨٠ كم من البحر . وبعد أن دمرتها الحرب استعادت نشاطها ، ولكن بعنفوان أكبر ، وتقوم بتأمين تصريف تجارة ظهيرها التشيكي وتتاجر مع أقطار الشرق والغرب . وقد نشأت الصناعة فيها عن التجارة الكبرى وعن الرساميل المتكدسة لدى بورجوازية قدية (أهم ترسانات بناء السفن الألمانية ، معامل تكرير بترول ، مصاهر نحاس ، صناعات ميكانيكية ، وكياوية وغذائية متنوعة) . وتتم الاتصالات مع غيرها بواسطة نهر الإلب وبقنوات تنطلق من النهر المذكور وبالعديد من السكك الحديدية .

ثالثاً _ ديناميكية ألمانيا الاقتصادية

تتلخص عوامل قدرة ألمانيا الصناعية في أوروبا الغربية في عاملين :

- ـ عن تنظيم اقتصادي ناجع .
- عن غناها بمصادر الطاقة .

فالنشاط الصناعي ، الذي يشمل كل أرجاء ألمانيا ، يهين على الحياة

الألمانية . فعدد السكان العاملين الذي يبلغ ٢٨ مليون نسمة ، يعمل منهم ٢٠٥ مليون فقط في القطاع الأولى ، أي في الصيد والزراعة والمناجم ، في حين أن ١٢,٣ مليون يعملون في القطاع الثاني أي في الصناعة ، و ١١,٢ ملايين في القطاع الثلاثي ، أي يزيد عدد العاملين في الصناعة أربع مرات عن العاملين في ميدان الزراعة . وبذلك يكن مقارنة ألمانيا بكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي اللذين يملكان ثروات أكثر بكثير .

وتروي معظم الأساطير الألمانية قصص أقزام حاذقين يستوطنون الجبال . وقد ورثت الصناعة الألمانية التقاليد الصناعية القديمة : مثل صناعة الحياكة في وستفاليا ، واستثمار مناجم الهارز . بيد أن الثورة الصناعية تفجرت هنا متأخرة عن بريطانيا وفرنسا . وكان على ألمانيا أن تنتظر نشوء سوق داخلي وحيد عن بريطانيا وفرنسا . وكان على ألمانيا أن تنتظر نشوء سوق داخلي وحيد عن بريطانية التي تلت تحقيق الامبراطورية الألمانية كي تنشأ في سنوات قليلة صناعة كبيرة تتمتع بديناميكية فريدة .

وقد كان لدى الصناعة الألمانية دوماً هيئة أركان مؤلفة من التقنيين والعلماء . فلم تستند الصناعة في أي مكان في العالم مثلما استندت هنا على العلم التطبيقي ولم تستخدم بصورة أكثر دقة أبحاث الخابر الجيدة التجهيز . وقد كان التركز الصناعي مبكراً جداً ، واتخذ اتساعاً مدهشاً . فما يسمى كونزرن التركز الصناعي عبارة عن مجموعات من مؤسسات ترتبط بالمشاركة المالية . فهي تضم إنتاج المواد الخام وصنع المنتجات المصنوعة . وبذلك تختكر عملياً إنتاج الصناعات الرئيسية ، كا تؤمن لها قدرتها الإشراف على الأسواق . ولم يكن منع التركز بعد الحرب العالمية الثانية أكثر من حادث عابر ، إذ لم تتبدل بنى الصناعة الألمانية الكبرى بالواقع . فقد عادت امبراطورية كروب Krupp مع هيئتها الرئاسية ، مثلما عادت سيطرة رجال الصناعة في إقليم الرور ، مجيث يعمل في مصانع كروب وملحقاتها ١٠٠٠٠٠ عامل أو ما يعادل كل الطبقة العاملة في الملكة

المغربية . ففي مجال الصناعة الثقيلة نجد أن ثمانية شركات ضخمة ، منها كروب ، تنتج ثلاثة أرباع إنتاج الفولاذ . وتحتل شركة مروب على مؤسسات صناعة الفحم ، ومعامل ملايين طن فولاذ) . وتهين شركة كروب على مؤسسات صناعة الفحم ، ومعامل فولاذ راينهاوزن ، والصناعة المعدنية المتنوعة في مدينة إيسن . وتهين شركة سينس و A. E. G. على الصناعات الكهربائية ، مثاما تسيطر شركة باير وباديش آنيلين على الصناعات الكهاوية . فتملك شركة باديش آنيلين في مدينة لودفيغهافن أكبر معمل في العالم ، معمل يتألف من ١٥٠٠ بناية صناعية و ٢٠٠٠ كم من الخطوط الحديدية ، و٢ مليون طن من المواد الأولية ، و ٤٦٠٠٠ عامل ومستخدم ، وتصنع هذه الشركة ٢٠٠٠ مادة (أصبغة ، أسمدة ، لدائن . . .) وتصدر أكثر من ثلث منتجابها الكهاوية ، البالغة مليون طن ، إلى الأسواق وتصدر أكثر من ثلث منتجابها الكهاوية ، البالغة مليون طن ، إلى الأسواق

أما شركة فولكسفاغن فتنتج ثلاثة أمثال إنتاج رينو الفرنسية . وهكذا تجنح المؤسسات الصناعية الألمانية لاتخاذ أبعاد أميركية .

- ويعتبر اقتصاد ألمانيا الغربية قائماً على الفحم . بيد أن إنتاج الفحم الذي بلغ ١٤٠ مليون طن بالإضافة إلى ١٠ ملايين طن من الليغنيت في ١٩٦٥ ، يجنح الآن للتدني فهبط إلى ٨٨,٥ مليون طن فحم و ١٢٣ مليون طن ليغنيت في ١٩٨١ ، لكننا لانجد فوق القارة الأوروبية ثروات مماثلة من الوقود الصلب إلا في بريطانيا وأوكرانيا . وتطيف مكامن الفحم بالكتل الهرسينية فيقع حوض السار والرور جنوب وشمال الكتلة الشيستية الراينانية ، أما حوض سكسونيا السفلى الصغير فيقع في السهل الشمالي . وإذا كانت القدرة الحرورية للليغنيت تعادل ثلث قدرة الفحم الحجري (١) فيان توضعات هذه المسادة ، وهي

⁽١) تعني عبارة TEC (طمف) طن معادل فحم حجري . وهي وحدة لقياس الطباقة التي تسمح بموازنة مختلف مصادر الطاقة بين بعضها حسب المعادلة التالية :

١ طن فحم = ١ TEC أي طمف أو ط م ف .

بقايا غابات واسعة تعود للدور الجيولوجي الثالث ، مدفونة تحت الرمال والوحول البحيرية ، واللاغونات أو في المصبات النهرية الواسعة ، تظهر هذه التوضعات على شكل طبقات ثخينة تتراوح بين ١٠ و ٩٠ م ، تستغل أحياناً تحت السماء في السهول الرسوبية .

ولم تهمل ألمانيا موارد القدرة الأخرى كالفحم الأبيض والنفط ، فقد بنيت سدود في جبال الألب البافارية وفي شال الكتلة الشيستية الراينانية . وأنتجت ألمانيا الغربية من الكهرباء في ١٩٦٥ ما يعادل إنتاج بريطانيا تقريباً أي ١٧٠ مليار كيلو واط ساعي منها ١٢ مليار من أصل كهرمائي كي يرتفع إلى ٢٦٨,٧ مليارك و س في ١٩٨١ . كاتم التنقيب في باطن الأرض بشكل نشيط بحيث أصبحت منطقة هانوفر وحوض نهر إيس Ems وجوار الحدود الهولندية ، تقدم قرابة ٥,٥ ملايين طن من البترول في ١٩٨١ . وتستورد ألمانيا النفط بواسطة موانئ بحر الشال (روتردام الهولندي ، ولهلمزهافن وهامبورغ) وعن طريق موانئ البحر الأبيض المتوسط (مرسيليا ، جنوا) حيث يضخ النفط بواسطة الأنابيب الطويلة نحو معامل التكرير التي تواكب مجرى نهر الراين ، مثلما تمتد من حدود هولندا حتى كارلسروهه .

وتكرر ألمانيا الغربية ١٥٢,٩ مليون طن من النفط بالعام والذي يؤلف ٥٠٪ من الطاقة التي تستهلكها مقابل ٤٠٪ للفحم . وتبدو احتياطات ألمانيا من الغاز الطبيعي عظية ، ويقدر الإنتاج بجوالي ١,٩ مليار متر مكعب بالعام . وهكذا يبدو الفحم عرضة لمنافسة قاسية لدرجة تدعو لضرورة دعم إنتاجه بشكل اصطناعي والرض بشرائه بسعر عال .

⁼ ۱ طن ليغنيت = TEC ٠,٦ (طمف) .

۱ طن منتجات نفطية = ۱٫٥ TEC (طمف) .

۱۰۰۰ م^۲ غاز طبیعی = ۱۰۲ TEC (طمف) .

١٠٠٠ ك وس = ٦٠٠ TEC (طمف) .

ويتكشف باطن الأرض في سكسونيا السفلى عن مقادير ضخمة من البوتاس والملح الصخري . كا تعتبر ألمانيا بلداً منتجاً للمعادن المتنوعة منذ القديم ، غير أن مكامن الرصاص والتوتياء والفضة في إقليم هارز ، وفي الكتلة الشيستية الراينانية التي استغلت منذ أمد طويل ، قد شارفت على النفاد . كا يعتبر إنتاج فلزات الحديد في منطقة هارز وسيغرلاند وبافاريا (٣ ملايين من المعدن الصافي) غير كاف بأي حال من الأحوال . لذا تلجأ ألمانيا إلى صهر الخردة التي تشتريها وإلى استيراد فلزات السويد الغنية ، وفلزات لابرادور ، وأمريكا الجنوبية وموريتانيا بقادير ضخمة لسد حاجة الصناعة الحديدية الألمانية .

ألمانيا الغربية رابع دولة صناعية في العالم:

تنتج ألمانيا الاتحادية ١٢٪ من الإنتاج الصناعي في العالم مقابل ٣٠٪ في الولايات المتحدة و ٢٢٪ في الاتحاد السوفياتي و ١٨٪ في اليابان . فقد ولدت صناعة المعادن في ألمانيا في العصر الوسيط في الجبال الهرسينية الغنية بالمعادن والتي كانت تقدم غاباتها الوقود اللازم . ثم انزلقت في القرن الماضي نحو الأحواض الفحمية ، كي تنتشر في القرن العشرين في سائر أرجاء البلاد . وهكذا تستطيع ألمانيا أن تنتج قائمة طويلة من المنتجات المعدنية ، بدءاً من الصهير والفولاذ حتى أكثر الأدوات تعقيداً (الكترونيك بشكل خاص) ومكائن صانعة ، وأكثر المكائن الصناعية تنوعاً (رولمانات ، سيارات مثل أوبل ، وديملربنز ، وهانوماغ وهنشل ، ومان) ، بحيث صدرت في عام ١٩٦٩ (٢٠٠٠،٠٠٠) سيارة أي ٥٠٪ من إنتاجها من السيارات فأصبحت أول دولة مصدرة للسيارات في العالم إلى أن وفولغسفاغن ، مثلما تصدر قسماً كبيراً للأسواق الخارجية فضلاً عن سوق داخلي وفولغسفاغن ، مثلما تصدر قسماً كبيراً للأسواق الخارجية فضلاً عن سوق داخلي قدير ، لأن في ألمانيا سيارة لكل ٣ أشخاص مقابل ١٣٢ مليون سيارة في الولايات للتحدة عام ١٩٨١ مقابل ١٣٠ مليون نسمة . ويبلغ مجمل إنتاجها من أنواع المتحدة عام ١٩٨١ مقابل ١٣٠ مليون نسمة . ويبلغ مجمل إنتاجها من أنواع

السيارات السياحية ٤ ملايين سيارة و ٣١٣٠٠٠ سيارة نفعية في عام ١٩٧٧ . وتنتج ألمانيا ٤٦ مليون طن فولاذ ، كا أن ترسانات بناء السفن فيها دون مثيلاتها في اليابان وبريطانيا . وهكذا تبدو المنافسة الألمانية قوية في كل الاختصاصات .

منا في ميدان الصناعة الكيماوية فقد ظلت مدة طويلة بلا مثيل وتحفظ بالمكانة الأولى في أوروبا . وتدين بمكانتها هذه إلى علمائها الكيماويين الذين عرفوا أن يستخرجوا من الفحم عدداً من المنتجات الثانوية ، وأن يوفروا لألمانيا منتجات تعويضية Ersatz عديدة . وتخرج من معامل البترو كيمياء والفحميكيياء منتجات عديدة مثل الأصبغة والدهانات ، ومواد التصوير والصيدلة ، والمواد البلاستيكية ، والمذيبات ، والأسمدة والمطاط التركيبي .

- أما الصناعات الأخرى ، فلا تتعلق كثيراً بالثروة الفحمية . فعلى صناعة النسيج أن تستورد موادها الأولية من قطن وصوف ، ولهذا تستعمل ألمانيا الألياف الاصطناعية والتركيبية أكثر فأكثر . ولاتكون شهرتها بالنسيج كبيرة . فير أن الغابات التي تغطي ٢٨٪ من رقعة ألمانيا الغربية تغذي العديد من الصناعات الخشبية ، كصناعة الألعاب ، وعجينة الورق . كا ساعد إنتاج السيللوز على تطوير الأنسجة الاصطناعية مثل الرايون ولاسيا الفيبران . وتقوم صناعة البناء بإعادة تشييد المساكن حسب نسق سريع ، فهي تقيم شقة في كل دقيقة . وقد بنت ألمانيا ١٣ مليون شقة منذ ١٩٤٥ . كا تحتفظ صناعة الزجاج والبصريات والطباعة بشهرتها القدية .

- ولا تزال المعامل متجمعة في منطقة الرور التي تحتفظ بتفوق لا ينازعها عليه منازع ، غير أن اللامركزية الصناعية أصبحت شعاراً ، لأن الصناعة راحت تنتشر في منطقة الراين الأوسط ووادي الماين ، وسكسونيا السفلي والسار ، مثلما أصبحت تستقر في المدن ، ذلك لأن بعثرة المؤسسات الصناعية ، والأيدي العاملة في الأرياف يطبع مجموع البلاد بطابع الاقتصاد الصناعي .

الزراعة:

تتخذ الزراعة طابعاً علمياً ، فرغ فقر الترب ، فهي تكفي لتغذية الشعب الألماني مدة ٨ شهور بالعام . والواقع لم يضح الألمان بزراعتهم كا فعل الإنكليز في القرن الماضي . فقد حاولوا أن ينتجوا من أرضهم القسم الأعظم من تموينهم رغ جدب تربهم الحامضة غالباً أو من غوذج بودزولي . غير أن كثافة السكان تفرض الحصول على إنتاجية زراعية عالية ومردود مرتفع وتغطي الأراضي الزراعية الدراعية مساحة البلاد ، والأراضي العقية ١٤٠٧٪ .

وللزراعة الألمانية طابعاً تقدمياً بسبب شدة استخدام الأسمدة الكياوية وباستعال العديد من المكائن الزراعية (مليون جرار)، ويزيد على ذلك من حيث الأهمية التعليم الزراعي . ففوق مساحة واحدة تستعمل ألمانيا ضعف ماتستعمله فرنسا من أسمدة وجرارات . كا تكثر معاهد الأبحاث الزراعية والتعليم الزراعي . ففي إقليم بافاريا مستشار زراعي واحد لكل ١٠٠ مزارع كا يتم اصطفاء الماشية بدقة حسب القواعد المتبعة في الداغارك وهولندا(۱) .

هذا ويسيطر الاستغلال المباشر والملكية الوسطى والصغرى في بلاد الراين وفي بافاريا . ولا تزال حيازات كبرى في السهل الشالي . ولكن اللاجئين حصلوا على قطع من الأرض ومن أملاك الدولة ومن غابات الدولة . وهنا بقيت الحيازات الكبرى كي تستطيع إنتاج مواد غذائية بقادير كبيرة . ويؤان اللاجئون واحد من ١٢ من جملة المزارعين . وهكذا تبدو الأرياف الألمانية اليوم مفرطة بسكانها . وفي ألمانيا ١,٦ مليون مزرعة تمتد كل منها على رقعة مساحتها ٨ هكتارات فقط . وعلى هذه المساحات الصغيرة تؤدي المكننة وتكثيف الزراعة

انتج البقرة الحلوب مقدار ٥٠٠٠ لتر بالعام في الداغرك مقابل ٤٥٠٠ لتر في هولنـدا ، و ٢٩٠٠ لتر في الولايـات المتحدة و ٢٩٠٠ لتر في بريطانيا و ٢٩٠٠ لتر في فرنـا و ٢٠٠ لتر فقط في الهند .

أحياناً ، إلى استدانة المزارعين الذين يلجؤون للقروض أو يتركون الأرض (١) .

_ وتنطبق الأقاليم الزراعية على الصفات الطبيعية للتربة . فلا زالت الغابة والأراضي الرديئة البور تغطي مساحات كبيرة على الجبال وفوق السهول الرملية الشالية . ويسود القمح والشوندر السكري على ترب اللوس في ألمانيا الوسطى (نطاق البورد) ، ويبلغ مردود القمح الوسطي ٤٠ كنتالاً بالمكتار مقابل ٨ في البلدان العربية . وتكون زراعة الجاودار والبطاطا مصحوبة بتربية الخنازير في السهل الشالي . أما أراضي الجنوب الطيبة ، ذات المناخ الأكثر لطفاً ، فتجود فيها زراعة القمح والبرسيم وخاصة حشيشة الدينار والتبغ والأشجار المثرة ، كا تكثر الكروم على سفوح الوديان المعرضة للشمس .

ويؤمن الإنتاج الحيواني للمزارعين ثلاثة أرباع دخلهم ، ويخصص ثلثا إنتاج الحبوب (شعير ، شوفان) لتغذية الماشية الكبيرة . كا تغطى المراعي حقول البولدر والمستنقعات المجففة عند هامش بحر الشمال ، والمناطق الجبلية كالألب والغابة السوداء والسفوح البافارية .

أما زراعة الخضار والثار فتيز المناطق المحيطة بالمدن الكبرى .

- هذا ويستد الألماني غذاءه بالدرجة الأولى من البطاطا التي يبلغ إنتاجها ١٢ مليون طن ، وبالدرجة الثانية من لحم الخنزير ودهنه ، وبالدرجة الثالثة من الحبوب ، إذ يبلغ إنتاج الجاودار ٣,٦ مليون طن والقمح ٧,٢ مليون طن ، وأخيراً من سكر الشوندر ٢,٩ مليون طن . وقد ازداد استهلاك لحوم الأبقار والأغنام والحليب والبيض والطيور والثار (تفاح وهي أول دولة أوروبية منتجة ، كرز ، خوخ) بشكل يلفت النظر : ويحاول المزارع الصغير إرضاء حاجات سكان المدن

دان منتج كل فلاح أمريكي ما يكفي لإطعام ٤٦ شخصاً ، والفرنسي ٢٥ شخصاً . والسوفياتي ١٥ شخصاً والأفريقي
 شخصين .

المتزايدة . هذا ويؤمن الصيد البحري ، الذي يمارس من أساطيل تنطلق من كوكسهافن ومن التونا ومن فيزرمونده ، غذاء أضافياً ذا قيمة عالية .

- هذا وتدعم الدولة المزارعين بتحديد أسعار بيع عالية ، مما يجعل المنتجات الزراعية الألمانية غير منافسة في الأسواق الخارجية . وهناك « الخطط الأخضر » الرامي إلى تشجيع إنتاج اللحم والألبان . ويؤدي تجميل الأراضي إلى القضاء على الخفاض مداخيل الفلاحين بالنسبة للتي توفرها الصناعة . فالزراعة التي يعمل فيها ٨٪ من السكان العاملين لا تقدم سوى ٦٪ من الدخل القومي في ألمانيا الغربية . وهي تؤمن ثلثي الحاجات الغذائية للبلاد في حين يحصل البريطانيون على نتائج مماثلة بنصف العدد من المزارعين .

المواصلات:

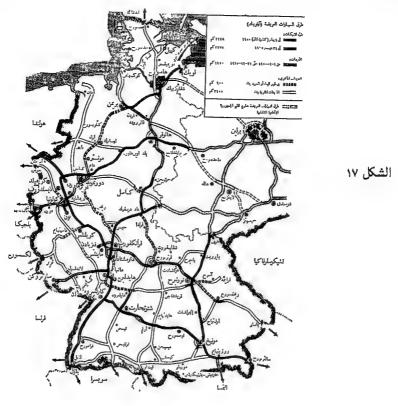
لقد تحقق توازن رائع بين مختلف وسائل النقل: من خطوط حديدية وطرق مائية وبرية. فالشروط الطبيعية موائمة لإقامة شبكة مواصلات. فالعتبات والسهول الانهدامية قد هيأت نقاط التقاطع في ألمانيا الوسطى والجنوبية. أما السهل الشالي فلا يحوي على عائق ذي بال. وتكون مجاري الأنهار هادئة وغالباً صالحة للملاحة، وتتلاق الطرق الدانوبية الجنوبية مع محور الراين مثلما تتصل به طرق السهل الكبير الجودي في الشمال. ولكن الإنسان هو الذي نظم ونسق هذا التجهيز البديع.

فليس للملاحة النهرية أهمية بالعالم كالأهمية التي تكسبها هنا ، اللهم إلا في هولندا . فهي تقوم بثلث نقليات البضائع ، وتتصرف بطرق ملاحية طولها ٤٦٠٠ كم تكون أحياناً قابلة لتحمل سفن نهرية حمولتها ١٥٠٠ طن . وقد تم تنظيم معظم الأنهار تقريباً على يد الإنسان فقد قطعت أذرع نهر الراين كا نسفت العتبات الصخرية الضحلة . وتصعد في هذا النهر سفن تتراوح حمولتها بين ٢٠٠٠ و وحدته السفن فيه الحركة في البحيرات الكبرى الأمريكية . جنرانية الدول الكبرى (٢١٠ عندا الكبرى)

وتعتبر مدينة كارلسروهه ومانهايم وكولونيا ودوسلدورف ودويسبورغ من أكبر الموانئ النهرية في العالم .

وتربط قناة ميتلاند سهل ألمانيا الشمالي بنهر الراين والإلب لمصلحة ميناءي برين وهامبورغ ، كا يربط نهر الموزيل بعد تنظيم مجراه منطقة الرور بنطقة اللورين الفرنسية . كا ساعد تنظيم مجرى نهر النكار على نهضة مدينة شتوتغارت . هذا وقد أصلحت الاتصالات المائية بين الراين والدانوب بواسطة نهر الماين فأصبحت فرانكفورت وريجنسبورغ عبارة عن ميناءين نهريين .

_ وتملك ألمانيا نصف طرق السيارات العريضة في أوروبا « اوتوبان » (شكل ١٧) ومحور الشبكة هو طريق هامبورغ _ فرانكفورت _ بال . وبعد أن



_ 378 _

تم بناؤه لأغراض استراتيجية في العهد المتلري ، لم يعد الآن كافياً لحركة السيارات الكثيفة عليه ولا سما بالنسبة للشاحنات الثقيلة .

_ ولا تفوق الشبكة الحديدية الألمانية التي يبلغ طولها ٣٥٠٠٠ كم من ناحية الكثافة إلا الشبكة البلجيكية . ولكنها أقل مركزية من الشبكة الفرنسية . وتعتبر كولونيا وهانوفر ومونيخ عقدة طرق حديدية مثل برلين . وإذا كانت سرعة القطارات أقل من فرنسا واليابان فإن الخطوط الحديدية الألمانية تؤمن نقليات عظية للركاب وللمنتجات الثقيلة كالفحم ، ولا سيا على مسافات قصيرة . وتبدو كهربة الخطوط متقدمة جداً .

- ويكون النشاط الملاحي البحري متركزاً ، على الواجهة البحرية الضيقة ، في بضعة موانئ كبيرة على بحر الشمال مشل : ايمدن وفيلهامزهافن وبريمن (١٦ مليون طن منقولة سنوياً) وهامبورغ (٣٦ مليون طن) . وتحتكر هامبورغ لوحدها نصف التجارة البحرية الألمانية فأصبحت أحد أكبر موانئ أوروبا . وقد تم حفر قناة كييل سنة ١٨٩٥ لتحاشي المرور بالمضائق الداغركية ، وتمر فيها كل سنة سفن يبلغ مجموع حمولتها ٦٠ مليون طن . وتبلغ حمولة الأسطول التجاري الألماني الغربي ٨ ملايين طنة وعاد للظهور على كل بحار العالم . أما شبكة خطوط الطيران الألمانية (لوفتهانزا) فتشع من فرانكفورت ودوسلدورف على مختلف أرجاء العالم .

هـــذا ولا تتـوقف طرق المـواصـلات عن التحسين . فتةــدد طرق « الأوتوستراد » دوماً وبكثافة أكبر من الشال للجنوب ومن الغرب نحو الشرق . كا أن قناة كييل التي غطيت جزئياً لم تعد تشكل عائقاً أمام المواصلات البرية بين ألمانيا والأقطار الأسكندينافية . كا تتصل ألمانيا بالدانمارك بواسطة السفن الناقلة للقطارات والسيارات .

التجارة الألمانية:

لقد احتلت ألمانيا الغربية المكانة الثانية بالعالم في ميدان التجارة . فهي بحاجة إلى استيراد مقادير عظية من المواد الغذائية ومن المواد الأولية (معادن ، بترول ، منسوجات) . وتعرض إنتاجها الوطني في معارض هانوفر وكولونيا وفرانكفورت ، وتسهل رخص أسعار منتجاتها المصنوعة ، وتميز وسائلها التجارية ، والمهارة التي يظهرها الساسرة الألمان ، فتح أسواق عديدة لمنتجاتها ، وحتى في أوروبا الشرقية .

وهكذا تصدر ألمانيا ٥٥ ٪ من إنتاجها من السيارات ، وثلث ماكنات الخياطة ، وأكثر من نصف الألعاب ، ونصف إنتاجها الكيماوي ومكائنها الصانعة . وتظهر سياراتها الشعبية (فولغسفاكن) في كل طرق العالم . وتصدر ألمانيا الغربية لوحدها ١٣ ٪ من الصادرات العالمية .

وقد خسرت قسماً من زبائنها في أوروبا الشرقية والدانوبية ، ولكنها تزيد في تجارتها . أولاً : مع فرنسا التي أصبحت أهم زبائنها ومع باقي أقطار السوق المشتركة (٣٠ ٪ من مجموع تجارتها) . ثانياً : مع الولايات المتحدة . ثالثاً : مع البلدان المتخلفة في أمريكا اللاتينية وأفريقيا والشرق العربي وتركيا والشرق الأقصى عا في ذلك الصين ، حيث تقوم الشركات الألمانية بعد استعانتها بحكومتها بتنفيذ مشاريع كبرى وتقدم أدوات تجهيزية . ويدخل عملاؤها إلى مكاتب المهندسين والدوائر التي تنكب على تنفيذ الخططات الحكومية . ويكون بحثها عن الأسواق من مقياس عالمي كا أن ميزانها التجاري رابح دوماً .

المشكلات الألمانية:

لقد أوجدت ألمانيا الاتحادية مجتمعاً يتصف بقوة الاستهلاك تماماً كا فعلت الولايات المتحدة . فتعاقبت على البلاد بضع « موجات » من التهافت على

الاستهلاك: غذاء ، مسكن ، كساء ، أدوات منزلية ، سيارات ، أسفار ورحلات . وهكذا خلقت ألمانيا الغربية مجتمعاً مستقراً متمتعاً بالرخاء قبل توحيد دولتي ألمانيا . ولا يتعلق مصير برلين الغربية بها بقدر ما يتعلق بالدولتين الجبارتين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي .

وبلغت « المعجزة الألمانية » درجة جعلت من العال الألمان الذين كانوا بالواقع محققي الانتعاش الاقتصادي ، يشتركون هم أيضاً في الازدهار والرخاء العام ، ويجنحون اليوم لتأليف طبقة وسطى . وترتفع الأجور بسرعة تفوق زيادة الأسعار ، بحيث تستحوذ الأجور على ٦٠ ٪ من الدخل القومي ، وأصبح الفقر نادراً . كا أدى توقف الهجرة من الشرق إلى استنفاذ كل احتياط الأيدي العاملة . وقد يؤدي انكماش أرباح العمل إلى تحديد الاستثمارات وكبح جماح التوسع الاقتصادي .

وللاقتصاد الألماني أساس زراعي ضيق . فليس لألمانيما سوق داخلي مماثل لسوق الولايات المتحدة لتصريف إنتاجها الصناعي لأن أمريكا لا تصدر أكثر من عشر إنتاجهها . كا لا تماثل إنكلترا التي تعتبر قلب امبراطبورية كبرى هي الكومونولث . وهكذا يبدو الازدهار الاقتصادي الألماني تحت رحمة التجارة مع العالم الأجنبي ، لأنها بحاجة ماسة إلى التصدير . وقد نجحت في ترسيخ أقدامها في أسواق بعيدة في أمريكا وآسيا ، وتنتظر الكثير من السوق المشتركة الذي تؤلف أحد أركانه . ولكن هبنة الصادرات على الواردات يؤدي لتراكم رؤوس الأموال لديها ، مما يؤدي لافتقار زبائنها للمال السائل مما يدفعهم لعقد اتفاقات تجارية مع دول أخرى . وهكذا يبدو الاستقرار الاقتصادي الألماني قابلاً للزعزعة ويعرف الألمان ذلك جيداً وفي مطلع الثانينات أخذت ألمانيا تعاني من البطالة التي تصيب عشر الطبقة العاملة تقريباً .

وإذا ما تناقصت الصادرات ، فيكن مع ذلك الحفاظ على الرخاء بفعل __ ٦٧٧ _

فعالية صناعة البناء والصناعات الملحقة بها ، أو عن طريق زيادة نفقات الدفاع واستهلاك الأفراد .

والخلاصة يكن القول: ان ألمانيا الغربية دولة كبرى تعتمد على التصدير الصناعي بالدرجة الأولى شأنها شأن بقية الدول المتقدمة العالية التصنيع.

وهذا على خلاف الدول المتخلفة التي تعتمد على تصدير المواد الخام لضعف التصنيع فيها أو انعدامه مثل:

قيمتها بالنسبة للصادرات الكلية	المنتجات	الدولة
7 <i>r</i> x	كاكاو	غانا
% Yo	البترول	إيران
<i>χ</i> ٦٠	قطن	السودان
% 1 •	خامات الاورانيوم	النيجر
% A·	خام الحديد	موريتانيا

ألمانيا الشرقية

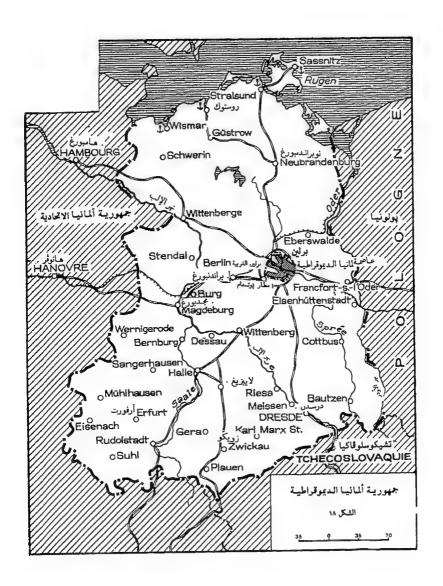
أو (جمهورية ألمانيا الديموقراطية)

١ ـ تعريف

لقد أصبحت منطقة الاحتلال السوفياتية السابقة جمهورية ديموقراطية شعبية . وتبلغ مساحتها ١٠٩٠٠٠ كيلو متر مربع يقطنها ١٧ مليون نسمة (كثافة ١٥٥ نسمة في كم٢) . وتقل مساحة هذه الجمهورية عن نصف مساحة ألمانيا الاتحادية ، ولا يزيد تعداد سكانها عن سكان ولاية راينانيا ـ وستفاليا ، ولكنها تعتبر ثاني دولة صناعية في العالم الشيوعي . وتبلغ نسبة التوالد فيها ١٤ ٪ مقابل ١٢ ٪ للوفيات ، والعمر المتوسط ٢٧ سنة ويعيش ٧٧ ٪ من السكان في المدن .

دولة قامت لتبقى:

لقد كانت الجمهورية الديموقراطية الألمانية عبارة عن كيان عرضي ولكنها استطاعت أن تبني لها كياناً صلباً قابلاً للبقاء . فبعد القطيعة التي وقعت بين الحلفاء في عام ١٩٤٧ اتخذت السياسة السوفياتية اتجاهاً آخر في منطقة احتلالها . فبعد أن كانت عمليات تفكيك المصانع ناشطة في فترة ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦ مثلما كانت المؤسسات الصناعية الألمانية تتحول إلى شركات سوفياتية (حتى عام كانت المؤسسات الصناعية الألمانية تتحول إلى شركات سوفياتية (حتى عام ١٩٥٣) ، سرعان ما عزفت روسيا عن هذه السياسة تماماً . وهكذا شكلت المناطق الواقعة تحت الاحتلال السوفييتي جمهورية ألمانيا الديموقراطية في ٧ تشرين الأول ١٩٤٩ (شكل ١٨) .



- وتمتد الجمهورية الديموقراطية من بوهييا جنوباً حتى بحر البلطي . وفي الغرب الشرق يفصلها نهر الأودر ورافده نهر نييسه عن الأقطار السلافية . وفي الغرب يفصلها خط طوله ١٤٠٠ كم عن ألمانيا الفيديرالية . وتحتوي هذه الدولة الجديدة على قسم كبير من حوض نهر الإلب وروافده ، مثل : نهر ساله Saale وهافل Havel ، غير أن مصب نهر الإلب الذي تقع عليه هامبورغ لا يخصها ، وكذلك مصب نهر الأودر حيث خسرت مدينة ستيتن Stettin المواقعة غربي النهر المذكور ، وتبلغ مساحتها ضعف مساحة سويسرا ، ولكن لا تزيد عن ربع مساحة دولة ألمانيا عام ١٩٣٩ . ويمكن مقارنتها مع جارتها تشيكوسلوفاكيا ، من ناحية أبعادها ، وقدرتها الاقتصادية ، ومن وجهة النظر إلى بنيتها الاقتصادية والاجتاعية .

وقد كان الاستيطان الجرماني في هذه المنطقة الألمانية حديثاً نسبياً ، فالاستيطان الألماني الذي أعقب القرن العاشر ، لم يستطع أن يطغى تماماً على السكان السلاف السابقين ، ففي إقليم لوزاس Lusace ، الواقع في الزاوية الجنوبية الشرقية من البلاد ، لا زال السوراب يحتفظون بلسانهم السلافي ، كا أن إقليم فلامينغ المجاور يوحي دائماً بإعمار الأرض من قبل الفلمنك Flamands أقرباء المولنديين . وتسود الديانة البروتستانتية على ألمانيا الشرقية لحد كبير ، رغم قدوم ألمان كاثوليك نزحوا من إقليم سيليزيا الذي ألحق ببولونيا ، بينما يتوازن الكاثوليك والبروتستانت في ألمانيا الغربية . ولا زالت مدينة فيتنبرغ الكاثوليك والبروتستانت في ألمانيا الغربية . ولا زالت مدينة فيتنبرغ الإنجيلي . ورغم فصل الكنيسة عن الدولة لا تزال البروتستانتية تؤلف إحدى القوى المعنوية في الدولة الجديدة .

- وقد اتخذت ألمانيا الشرقية شكل دولة موحدة ، فقد حل مكان الولايات القديمة ، وهي : براندبورغ ، مكلبورغ ، تورنجيا ، ساكسونيا ، سكسونيا

اينهالت ، خمس عشرة محافظة دون تقاليد سياسية . وبعد أن كانت السلطة المركزية تقيم بالبدء في ضاحية بانكاو Pankow ، أصبحت تستقر الآن في برلين نفسها .

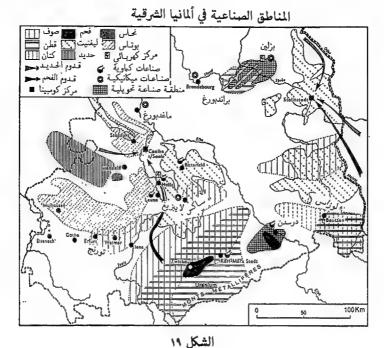
- هذا وقد اندمجت ألمانيا الشرقية في أسرة الديموقراطيات الشعبية . وتعتبر أكثر الدول الاشتراكية تصنيعاً بعد الاتحاد السوفييتي ، فهي التي تملك أكبر نسبة من العمال الصناعيين بين السكان ، وتتفوق في تجارتها الخارجية على بولونيا . وإذا كانت ألمانيا الغربية تبني في أعين الأميركان دولة نموذجية من الأسلوب الرأسالي ، فإن ألمانيا الشرقية تظهر في عيون السوفيات كدولة اشتراكية غوذجية .

فوق مساحة مقدارها ١٠٩٠٠ كم ، لا يتجاوز عدد السكان ١٧ مليون نسمة عافي ذلك برلين الشرقية . وبذلك تبلغ الكثافة في ألمانيا الشرقية ١٥٥ نسمة ، أي أقل من الكثافة في ألمانيا الغربية . رغم قدوم بضعة ملايين من اللاجئين أو المبعدين ، الذي غادروا المناطق المنضة إلى بولونيا أو منطقة السوديت التشيكية . وتماثل ألمانيا الشرقية وضع إيرلندا في أنها خسرت مادتها الحيوية عن طريق الهجرة ، فمنذ عام ١٩٥٠ غادر ٢٥٠٠٠ ألمانيا الاتحادية باتجاه ألمانيا الشرقية ، مقابل ٢,٦ مليون شخص لاجئ من ألمانيا الشرقية باتجاه الاتحادية ، وتيار هذه الهجرة معروف قبل ١٩٣٩ ، ولكن التقسيم السياسي لألمانيا بعد الحرب ، أدى إلى استفحال هذه الظاهرة التي جعلت وجود وكيان ألمانيا الشرقية كله في خطر . وقد لعبت أمريكا عن طريق الإذاعة والإغراء ، دوراً كبيراً في هذه العملية الاستنزافية . ومنذ ١٩٦١ وبعد بناء جدار برلين ورفع الأجور في ألمانيا الشرقية ، توقفت هذه الهجرة التي كانت تنال الأيدي العاملة والخبراء ، ولكن الشكلة هي أن تزايد السكان السنوي لا يزال ضعيفاً .

٢ - القسم الجنوبي من ألمانيا الديموقراطية

تضم ألمانيا الشرقية في الجنوب نطاقاً هرسينياً مؤلفاً من كتل ومن أحواض . وتعتبر منطقة تورنجيا وسكسونيا مناطق صناعية تقليدية تنصرف للصناعة التحويلية (شكل ١٩) .

وهكذا تشتل ألمانيا الديوقراطية على إقليين طبيعيين: أي جزء من العالم المرسيني في الجنوب ، وجزء من السهل الأوروبي الشالي الكبير . ويكون المناخ قارياً في جميع أنحاء البلاد بالشال ، وأكثر تشمساً في الجنوب . فيتألف النطاق المرسيني الجنوبي من منطقة هارز ، ومن حوض تورنجيا ، ومن كتل تورنجيا وسكسونيا ، والسهل السكسوني . وقد أدت ترب اللوس في السهل ، وموارد الغابة والمعادن غير الحديدية في الجبل ، إلى تثبيت عدد كبير من السكان منذ القديم في هذه المنطقة ، كانوا يتألفون من مزارعين ومن نساجين ومن معدّنين .



الشكل ١٦

وعلى الرغم من إقامة مراكز صناعية ثقيلة إلى الشمال من هذه المنطقة ، فإن إقليمي تورنجيا وسكسونيا لا يزالان المنطقة الاقتصادية الأساسية في ألمانيا الديوقراطية .

- ويتألف إقليم تورنجيا أو تورنج من حوض رسوبي يخترقه نهر ساله بين غابة تورنج وبين هارز .

- أما غابة تورنجيا فهي عبارة عن ظهرة من صخور متبلورة ممتدة من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي ، وتغطيها الغابة في كل مكان . وقد جذبت الثروات المعدنية الأقوام الجرمانية في الماضي والتي نضبت مناجمها اليوم . غير أننا نجد في منطقة سوهل Suhl (الواقعة في أقصى الجنوب الغربي من الجمهورية) أن هناك أكثر من ٥٠,٠٠٠ عامل مختص في الصناعات الدقيقة جداً كالأسلحة النارية ، والدراجات النارية ، والساعات والأدوات الكهربائية . ويرتفع جبل هارز ١١٤٢ م عند حدود ألمانيا الغربية ، ويعتبر آخر جبـل هرسيني باتجـاه الشمال ، ولا تزال غابات الشوح المظلمة تخفى فيه الأنفاق القديمة التي هجرها عمال التعدين . وبين هذه الجبال التي تصفعها الرياح ، والتي استغلها الإنسان ، نجد حوض تورنجيا المؤلف من هضاب كلسية وخرسانية ، ولكنها لا تخلو من سهول اللوس المزروعة منذ القديم والتي تدعى حقل الذهب Goldene Aue . وتنتشر في هذه المنطقة القرى الكبيرة ، وكانت المدن القديمة هنا عبارة عن أسواق ، ومقر قصور الأمراء ، وذلك قبل أن تظهر فيها الصناعات الحديثة . وهكذا ترتصف هنا مدن غوتا وارفورت ٢٢٥٠٠٠ نسمة فيار ويينا Iéna من الغرب باتجاه الشرق ، وقد حصلت هذه المدن على شهرة قديمة في الصناعات المكانيكية . وقد ولدت صناعة الزجاج وصناعة البصريات في مدينة بينا (شركة زايس) من استغلال الرمال والملح الصخري . وأكبر مدينة هنا هي هاله Halle ، التي تضم ٢٨٠ ألف نسمة ، تقع عند التاس مع السهل الشمالي . - ويؤلف إقليم سكسونيا المنطقة الصناعية الرئيسية في ألمانيا الشرقية . ولكنه لا يستطيع أن يلعب دوراً مماثلاً للدور الذي يلعبه الرور في ألمانيا الغربية . فبينا يتميز الرور فعلاً بهينة الصناعات الثقيلة ، نجد أن سكسونيا هي منطقة الورشات ateliers ، حيث تسود الصناعة الخفيفة بتأثير بيئة بشرية قديمة التكوين .

ويتاخم إقليم سكسونيا بلاد بوهييا ، أي تخترقه مياه نهر الإلب . فإلى جانب وجود جبل فقير هو جبل المعادن ١٢٤٤ Erzgebirge م بالجنوب ، تمدده شرقاً هضاب الخرسان في سويسرا السكسونية ، نجد أن إقليم سكسونيا يضم أيضاً سهلاً لوسياً غنياً (۱) في الشمال يشتهر بالزراعة الحثيثة . ولكن كثافة السكان تكون عالية في جميع الأنحاء ، إذ تزيد عن ١٥٠ نسمة في الكيلو متر المربع ، وهذا يعود لشدة انتشار الصناعة . فلا نجد أي جبل بالعالم كثيف السكان مثل جبل ارزجبرغه .

وتقوم الحياة الصناعية على وفرة الأيدي العاملة المترسة الماهرة من قديم أكثر مما تقوم على الثروات المعدنية أو على موارد الطاقة . فحوض زويكو الصغير لا ينتج أكثر من بضعة ملايين الأطنان من الفحم . كا أن مناجم الرصاص الفضية في منطقة فريبيرغ قد شارفت على النضوب . ولا تتركز الصناعة في المدن الكبيرة فحسب ، بل تتناثر في المدن الصغرى وفي وديان الجبال . ولا پزال الكثير من المؤسسات يحتفظ بطسابع حرفي . كا أن الصناعة المنزلية لا تزال باقية بفضل انتشار الكهرباء . ويشتهر إقليم سكسونيا بصناعة المنزلية لا تزال باقية بفضل انتشار الكهرباء . ويشتهر إقليم سكسونيا بصناعة الخشب (أثاث وألعاب) وبغزل القطن ونسجه ، وبصناعة الألياف الاصطناعية والتركيبية (بيرلون) ، وذلك حول منطقة كارل ماركس شتاد (٢٠) ، التي تضم ٢٠٥

⁽١) تربة اللوس Loess هي تربة من أصل ريحي وخصيبة جداً ، وتوجد في الصين الثمالية وأوكرانيا وبصورة متفرقة في آلمانيا وفورنسا ، وبولونيا .

کان اسمها شمینتز وتغیر اسمها عام ۱۹۵۲ .

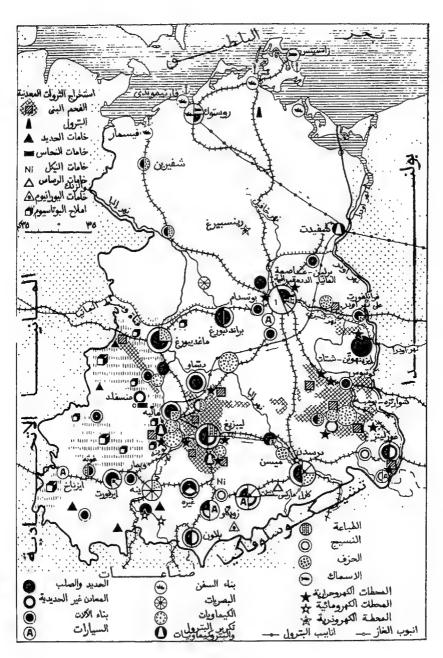
آلاف نسمة وتشتهر بالدانتيل مثلما تشتهر مدينة بلاون Plauen بالتطريز وبالدانتيل وبالأقشة المزركشة . كا تقوم هنا صناعة المكائن الدقيقة والمكائن الصانعة والأصبغة اللازمة لصناعة النسيج . وتحوي مدينة ميسن Meissen (قرب درسدن) على معامل بورسلان وخزف صيني مشهورة . وراحت الصناعة تزحف نحو الشال ، أي نحو مناجم الليغنيت ، الذي يستخرج من بين حقول القمح والشوندر السكري في السهل السكسوني . وقد قامت معامل لاستخراج البنزين التركيبي والمنتجات الكياوية قبل ١٩٣٩ في مدينتي لونا (غرب لايبزيغ) وفي بوهلن (شكل ٢٠) .

هذا ويضم إقلم سكسونيا مدينتين كبيرتين واقعتين عن مفرق طرق أوروبا الوسطى : وهما درسدن ٢٢٥,٠٠٠ نسمة ، على نهر الإلب ولايبزيغ على نهر إلستر Elster . فدينة درسدن التي تحوي أكثر من نصف مليون نسمة ، هي عاصمة مملكة سكسونيا القديمة ، تحتوي على صناعات تتطلب خبرة تقنية عالية (أجهزة تصويرية ، وسيغائية ، وتلفزيونات ، ومكائن مكتبية) .

أما لايبزيغ ٦٠٠,٠٠٠ نسمة فهي شهيرة بمعارضها التجارية ذات النشاط الكبير والتي تعود للقرن الثاني عشر. وقد نتجت الصناعة التي تنتشر في ضواحي المدينة عن وظيفة لايبزيغ التجارية: كصناعة الورق والطباعة، والألبسة، والصناعات الميكانيكية، وعلى كل ليس لمدن سكسونيا بهجة مدن ألمانيا الجنوبية ولا الطابع الفني البارز في مدن حوض الراين.

٣ ـ السهل الشمالي

وتتألف منه معظم أراضي جمهورية ألمانيا الديموقراطية ، إذ يقع فيه إقليا براندبورغ ومكلبورغ . فإلى الشال من سكسونيا وتورنجيا يتد ، بين نهر الإلب والأودر ، سهل رتيب تحتفظ أرضه السيئة الصرف بكثير من ملامح الزحوف الجمودية الرباعية . ويتخذ هذا السهل في ألمانيا الديموقراطية مظاهر خاصة . فبعد أن يكون ضيقاً في غرب نهر الإلب بفعل تقدم الكتل الهرسينية نحو الشال ،



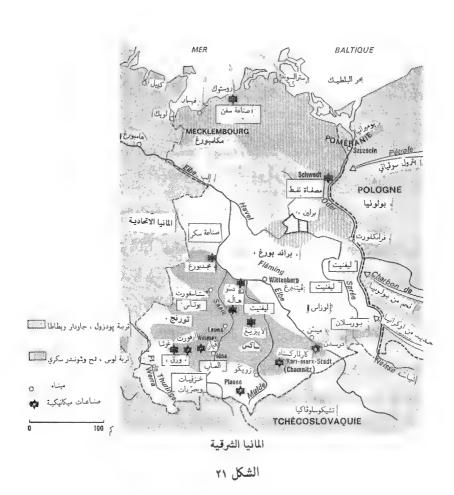
الشكل ٢٠ صناعة جمهورية ألمانيا الديمقراطية

يأخذ بالاتساع عرضاً في شرق النهر المذكور ، ولا تزال الأشكال المورفولوجية الجودية محتفظة بكثير من مظاهرها الأصيلة . بيد أن المناخ يصبح أكثر قساوة وجفافاً بسبب الحاجز التضريسي المؤلف من جبال هارز وسلاسل الفيزر Wezer . لهذا تكون القرى في الشرق أقل عدداً من الغرب . وكان كبار الملاكين النبلاء يؤلفون ، حتى الحرب العالمية الثانية ، نوعاً من طبقة استغلالية ، حيث كان العال المياومون والعال الزراعيون يزرعون حقول النبلاء . غير أن طبيعة التربة تخلق مع ذلك بعض التنوع .

- فنطاق البورده الواقع في الجنوب ، في منطقة ماغدبورغ ، ينتج القمح والشوندر السكري بصورة تكاد تكون صناعية ، فوق تربة اللوس . لكن استغلال الليغنيت والبوتاس سمح بإقامة معامل كياوية . وبعد أن كانت مدينة ماغدبورغ ٣٠٠,٠٠٠ نسمة تقوم بحراسة ممر على الإلب وبالاحتفاظ بسوق تجاري هام ، أصبحت بؤرة حديثة للصناعات الميكانيكية الثقيلة .

وقد أوجدت منطقة براندبورغ ، الواقعة في قلب الجمهورية الديموقراطية ، بالماضي ، دولة متاسكة حققت الوحدة الألمانية ، هي الدولة الپروسية . وقد تكونت دولة براندبورغ بين الوديان البدائية التي كانت تجري فيها مياه ذوب الجموديات الرباعية ، في منخفض مركزي يقترب فيه نهر الإلب ونهر الأودر من بعضها . وكان إقليم براندبورغ « بلاد الرمال » في ألمانيا أيام فريديريك الثاني . فكانت المستنقعات والمراعي الرطبة وغابات الصنوبر لا تزال تغطي مساحات كبيرة . وكان نمو الدولة الحديثة مصحوباً بإخضاع تربة عقية تدعى جيست ، تحوي على أفق قاس وكتيم كا في ترب البودزول . واستدعى الأمر استدعاء معمرين أجانب ، وقلع التورب وحرقه ، وتصريف المياه ، وقطع الغابات ، وجلب كيات هائلة من الأسمدة المتنوعة . وتنتج منطقة براندبورغ الجاودار والبطاطا ، كا تربي الأبقار الحلوبة والخنازير ، وتزرع الخضار في ضواحي

برلين . وقد كان غو برلين بركة على الاقتصاد الريفي ، ولكن العاصمة حالت دون غو أية مدينة هامة بجوارها (شكل ٢١) .



جغرافية الدول الكبري (٤٤)

- وإلى الشال من ذلك كانت تراكات مورينات القاع عظيمة في مكلمبورغ وبوميرانيا ، التي تحتفظ ألمانيا الشرقيمة بجزء منها . وتتبعثر بين التلال المورينية بحيرات عديدة هي زينة المساحات الغابية . وقام الإعمار الجرماني باستصلاح الترب الغضارية التي تنجح فيها زراعة الحبوب التي تغذي الخنازير والأغنام .

- وقد نجم ساحل البحر البلطي عن تغريق حديث نسبياً: فهو عبارة عن ساحل مسنن لكثرة المصبات النهرية ، والبروزات الصخرية والخلجان العميقة . وتظهر أمام الساحل جزيرة حوارية تدعى روغن Rugen ، وعلى هذا الساحل المجزأ بالحدود السياسية لم تقم موانئ هامة ، لأن ميناءي فيسار وسترالسوند أقل أهية من ميناء روستوك ٢١٠,٠٠٠ نسمة ، الذي تم بناؤه عام ١٩٥٨ .

٤ _ اقتصاد ألمانيا الديموقراطية

الثروات المعدنية :

تعتبر ألمانيا الشرقية أول دولة منتجة لفحم الليغنيت بالعالم أو ٢٥٨ مليون طن في ١٩٨٠ و ٥٠٠,٠٠٠ طن من الفحم فقط ، أي تتقدم على الاتحاد السوفييتي وعلى ألمانيا الغربية . فهي تنتج أكثر من ثلث الإنتاج العالمي من هذه المادة . وتنتج منطقة لوزاس (الزاوية الجنوبية الشرقية من الجمهورية) ٢٥,٣ ٪ من الليغنيت الألماني (إحصاء ١٩٦٤) . ويقدم الليغنيت ٨٦ ٪ من الطاقة ، كا أصبح وبصورة متزايدة مادة أولية في الصناعة الكياوية . أما بالنسبة للبوتاس ١٣,١ ملايين طن ، فتحتل ألمانيا الشرقية الدرجة الثالثة بالعالم في إنتاجه بعد الولايات المتحدة وألمانيا الغربية . وبعد أن كانت أهم مناجمه تقع في شمال المارز ، ورب مدينة ستاسفورت ، أصبح معظم الإنتاج اليوم يأتي من حوض تورنج ومن وادي ويرا Werra جنوب غرب تورنج . هذا وتنتج ألمانيا الشرقية النحاس في شرقي الهارز ، والرصاص والزنك والفضة من منطقة ارزغبرغه ، فضلاً عن استغلال النيكل والمغنيز والولفرام من عهد قريب .

الصناعة:

تعتبر الصناعة أهم عامل في الثورة الاجتاعية ، لهذا تقوم ألمانيا الشرقية ببناء صناعة ثقيلة جديدة بكل ما في الكلمة من معنى . لأنها تريد أن تكون « دولة العال والفلاحين » . وينتسب الجهاز السياسي في البلاد إلى الحزب الاشتراكية ، الموحد ، وهو حزب الطبقة العاملة حصراً . وهدف الدولة هو بناء الاشتراكية ، أي الانتقال « من الفردية الأنانية إلى التفكير الجماعي أي نحن » ، عن طريق التخطيط ، وهو القانون الرسمي للنظام القائم . وتشرف على تنظيم الاقتصاد برامج خسية أعقبتها برامج سباعية ، وتحدد منحني النو في الإنتاج الزراعي والصناعي ، وتحاول أن ترفع المستوى التقني والعلمي عند المنتجين .

لقد كان للصناعة قواعد راسخة في برلين ، وفي تورنجيا وسكسونيا ، قلعة الصناعة في ألمانيا الشرقية . وكانت تتصرف بوسائل مواصلات حديدية وبرية متازة ، ولكن هذه الصناعة كانت تحويلية بالأساس . وكانت المؤسسات الصغيرة والوسطى ذات الطابع العائلي هي السائدة ، وكان التمركز الصناعي أقل وضوحاً من سائر أنحاء ألمانيا . وقد تقلص التجهيز الصناعي كثيراً بفعل الحرب ، لأن القسم الأعظم من درسدن قد تخرب عام ١٩٤٥ خلال بضع دقائق بسبب الغارات الجوية البريطانية الأمريكية ، ثم بسبب تفكيك المصانع لمصلحة السوفيات . وأخيراً عملت الحدود الجديدة على قطع ألمانيا الديموقراطية عن حوضي الفحم في سيليزيا وفي الرور مثلما حرمتها من فلزات الحديد ومن المواد الأولية .

تحويل بنية الصناعة جذرياً:

أولاً : إن كل المصانع الهامة هي « ملك للشعب » . فالدولة تعيّن مدير المصنع . كما أن التنظيم النقابي يحتوي العمال الذين يتجمعون في فرق الإنتاج .

ثانياً: ونظراً لاندماج ألمانيا الدعوقراطية في عالم اشتراكي يجهد في تقسيم العمل ، فقد أخذت على عاتقها تقديم آلات التجهيز التي يحتاجها الاتحاد السوفييتي والديقراطيات الشعبية ، وذلك بفضل الأيدي العاملة الخبيرة المتوفرة لديها . واستطاعت هذه الجهورية الديقراطية خلال بضعة أعوام ، وبعد جهود جبارة وتضحيات عظية ، أن تحصل لنفسها على تجهيز أساسي رائع (إنتاج الطاقة ، الصناعة الحديدية الثقيلة ، وتجهيز الموانئ) ، بحيث أصبح إنتاجها الصناعي الحالي يعادل إنتاج الصناعة الألمانية أيام هتلر .

_ وقد أصبح الليغنيت « الذهب الأسمر » في قطر فقير بالفحم ومحروم من النفط ، ركنا اقتصادياً وتعوم رائحته المعهودة في الهواء فوق كل البلاد تقريباً . فهذا الفحم الفج ، المشبع بالمياه ، يكثر في السهل السكسوني ، وفي براندبورغ ، ولاسيا في منطقة لوزاس السفلى . وتستخرج ألمانيا الشرقية منه ٢٥٨ مليون طن أو ٢٥٨ ٪ من الإنتاج العالمي . وبعد كبسه في قوالب يباع هذا الفحم من أجل التدفئة المنزلية ، كا يؤلف وقود المراكز الكهربائية الحرورية ، بحيث يوفر القسم الأعظم من إنتاج الكهرباء البالغ ٩٢ مليار كيلواط ساعي . كا أصبح المادة الأولى في الصناعات الحديدية والكياوية . وبالفعل وبعد بحوث صعبة وعسيرة في الصناعات الحديدية والكياوية . وبالفعل وبعد بحوث صعبة وعسيرة في منطقة لوزاس ، أن تنتج فحم كوك يستخدم في الأفران المنخفضة (وليس في العالية) لتحاشي الضغط المفرط . وتنتج هذه المعامل زيوت وقود تركيبية من الليغنيت ، فضلاً عن زيوت التشجيم ، وكل المادة الأولية لصناعة الكاربوكيياء ، وأدى لقيام مدينة جديدة حديثة يبلغ عدد سكانها ١٠٠ ألف نسمة تدعى ومهبنوار .

- وراح البترول المستورد يزاحم الليغنيت ، بعد أن قام « أنبوب الصداقة » بنقل ه ملايين طن من النفط إلى مدينة شويدت Schwedt على ضفة الأودر ،

وهو نفط قادم من منطقة باكو الثانية في الاتحاد السوفييتي . وتقدم معامل البتروكيياء القائمة في المدينة المذكورة المواد الأولية لشبكة واسعة من المعامل الكياوية وتبلغ طاقة المصافي في ألمانيا الشرقية ٢٠ مليون طن .

ـ غير أن ألمانيا الشرقية أقامت أساساً من الصناعة الحديدية . فقد انبثقت كومبينات لصناعة الحديد ، مصحوبة بمدن جديدة يزيد سكان كل منها عن ٢٠ ألف نسمة قرب الأنهار . فتتلقى مدينة آيزنهو تنشتاد « مدينة المعاهر » الحديد الأوكراني والكوك من سيليزيا البولونية . كا تستخدم مدينة كالبه Calbe الواقعة على نهر السال ، كوك الليغنيت وفلزات الحديد الفقيرة والحامضة (كثيرة الرمل السيليسي) القادمة من هارز . كا قامت معامل لإنتاج الفولاذ في مدينة رييزا Riesa في سكسونيا وفي براندبورغ قرب برلين ، بعد أن أعيد بناؤها وتوسعت . غير أن هذه الصناعة الحديدية ، التي قامت فوق قواعد سريعة العطب ، أو بعيدة ، لا تكفى أبداً للحاجات الحلية ، ولا يكون تطورها يسيراً ، لذا لا تنتج ألمانيا الشرقية حالياً سوى ٧ ملايين طن من الفولاذ ، أو أقل من نصف إنتاج بلجيكا . غير أن صناعة المعادن غير الحديدية ، الموروثة من تقاليد تعود للعصر الوسيط ، والتي يشجعها وجود فلزات منطقتي هارز وارزغبرغه ، تتعرف على ازدهار ملحوظ . كا تعتبر مناجم اليورانيوم في ارزغبرغه والتي تستثرها شركة سوفياتية ألمانية وهي شركة ويزموت ، أكبر مثيلاتها في أوروبا وأكثرها إنتاجاً . أضف إلى ذلك أن مناجم النحاس في هارز تتطور بسرعة تثير الاهتام.

- وأخيراً عملت ألمانيا الشرقية على تجهيز واجهتها البحرية بالموانئ ، وبنت أسطولاً تجارياً حولته ١,٥ مليون طن . وبعد أن كان ميناء روستوك عبارة عن ميناء صيد صغير عام ١٩٣٩ ، أصبح ميناء عالمياً يتصل بالبحر البلطي بقناة عميقة ويبلغ نشاطه السنوي ١٠ ملايين طن .

وقد استحوذت هذه الأعمال الإنشائية الكبيرة على طاقة ورساميل ألمانيا الشرقية .

الصادرات الألمانية الشرقية:

تجري ألمانيا الديمقراطية مبادلات تجارية عظيمة ولا سيا مع الاتحاد السوفييتي الذي يتص نصف تجارتها الخارجية ، كا تزود العالم الاشتراكي بنتجات صناعاتها المتنوعة .

هذا وتقدم الصناعات الميكانيكية أكثر من ٥٥٪ من الصادرات . هذا وقد اتخذت صناعة المكائن الثقيلة والخفيفة ، والقاطرات ، والشاحنات ، وأجهزة البصريات ، وتجهيزات المكاتب ، والراديو ، والتصوير ، المتتعة جميعاً بمستوى تقني عال ، اتخذت أهمية كبيرة في برلين الشرقية وماغدبورغ وفي سكسونيا (إقليم لايبزيغ ، كارل ماركس شتاد) ، وفي تورنجيا (هاله ، ارفورت) . كا تتميز موانئ البلطي بورشات بناء السفن .

وتؤلف الصناعات الكهاوية العمود الثاني في هيكل الصناعة الجديد في المانيا الشرقية . وقد ساعد على ذلك ثروات باطن الأرض الهائلة في مادة الليغنيت ، والملح الصخري ، والبوتاس (ثالث منتج عالمي) والتي بدأ استغلالها منذ ١٨٥٢ في منطقة ستاسفورت . وتقوم الصناعات المذكورة بجوار هذه المكامن في السهل السكسوني عند مدينة لونا وشكوباو Schkopau وفي منطقة لايبزيغ (في مدن بيترفلد ، وولفن ، بوهلن) ، حيث نجد كومبينات ضخمة تنتج مواد أساسية من ناحية (حمض الكبريت ، كربور الكلسيوم ، بنزين تركيبي ، مواد أولية بلاستيكية) ومنتجات متنوعة لا حصر لها ، مثل أفلام التصوير ، آلفا ، والمطاط الاصطناعي (بونا ١٥٠,٠٠٠ طن) والألياف التركيبية (أول دولة في الطاط الاصطناعي (بونا ١٥٠,٠٠٠ طن) والألياف التركيبية (أول دولة في انتاج هذه المادة وفي استهلاكها بالنسبة للفرد) من جهة أخرى ، وأنتجت في إنتاج هذه المادة وفي استهلاكها بالنسبة للفرد) من جهة أخرى ، وأنتجت في

ـ أما الصناعات التقليدية الخشبية ، والجلدية ، والزجاجية ، والطباعة ، والمنسوجات فتحتفظ بأهميتها القديمة بمنطقة ارزغبرغه ، وفي سكسونيا تورنجيا ، ولكنها لا تتقدم بسرعة .

الإنتاج الزراعي:

وهو لا يكفي لسد الحاجات الحلية ، وتظهر الاشتراكية على المشاهد الريفية في ألمانيا الشرقية ، فبينا تكون الأراضي الزراعية مجزأة إلى قطع صغيرة ، هي ملكية المزارعين المستقلين ، فإن الحقول تظهر بالشرق متكتلة وتمتد بلا حدود حول القرى التعاونية .

- فالإصلاح الزراعي الذي جرى في فترة ١٩٤٥ - ١٩٤٨ ، قد قضى على اللكيات التي تزيد مساحتها عن ١٠٠٠ هكتار ، التي كانت تغطي ربع الرقعة الزروعة . فقد زالت الأريستوقراطية الأرضية ، التي كانت تتألف من ١٢٠٠٠ أسرة ، كانت عماد الدولة الپروسية ، زالت من الوجود . فقد تجزأت مزارعها الفسيحة وتوزعت على ٢٠٠٠٠٥ أسرة من فلاحين فقراء ، ومن لاجئين ، ومن عال زراعيين . وهكذا تم الانتقال من الديوقراطية الزراعية إلى النظام التعاوني بين ١٩٥٢ و ١٩٦٠ . وبذلك أصبح الفلاحون أعضاء في تعاونيات الإنتاج اللزراعي ، من مختلف الناذج ، بحيث جمعت أراضيهم في مستفلات شاسعة تعاونية ، تتراوح مساحتها بين ٢٠٠٠ هكتار وأكثر . وتم الأعمال على أيدي فرق الإنتاج مثلما يخضع الانتاج لتعليات الخطة . غير أن الفلاح التعاوني يحتفظ بخرعة صغيرة خاصة به تؤمن شطراً كبيراً من الاستهلاك العائلي ، ولكن النظام القائم يعمل على تطوير التربية السياسية والتكوين المهني للقضاء على كل مظهر من مظاهر الاختلاف في سوية الحياة بين المدينة والريف ولتحقيق « النهضة الريفية » . غير أن مزارع الدولة لا تغطي أكثر من ٢٪ من المساحة المزروعة .

بيد أن إقبال الفلاحين على النظام السائد يبدو عسيراً . فبعضهم يشكو من

ثقل مطاليب الدولة ، كا يكثر التغيب عن العمل ، كا تبدو الأيدي العاملة الريفية قليلة ، ذلك لأن النظام التعاوني سبق المكننة ، ومع هذا يتزايد عدد الجرارات بسرعة .

وتملك ألمانيا الشرقية في الجنوب أراضي طيبة لوسية ، أما الأراضي الفقيرة المتوسطة الخصب في الشمال ، والأراضي الفقيرة فقد تشبعت منذ زمن طويل بالأسمدة البوتاسية والآزوتية التركيبية . غير أن كمية المحاصيل تبدو مستقرة ، وإذا حذفنا مفعول التقلبات المناخية فإن الإنتاج الزراعي يتراوح بين ٢ مليون طن من القمح و ٢ مليون و ١٠٦ مليون طن من الجاودار ، و ٧ مليون من البطاطا و ٧٠٠ مليون طن من السكر أو ٩ ملايين طن من الشوندر . وعلى الرغم من التقدم الحاصل في ميدان تربية الماشية ، فإن الإنتاج الزراعي بالنسبة لكل فرد يقارب إنتاج ١٩٣٨ . فالبلاد لا تكفي نفسها من الفواكه فتستورد الحبوب والبذور الزيتية واللحم ومنتجات الألبان .

المشكلات الاقتصادية:

مما لا شك فيه هو أن فكرة القادة في ألمانيا الشرقية هي أن الاقتصاد الاشتراكي سيؤدي للحياة الأفضل . فسيقطف العامل غرة جهوده في أعقاب تطوير الجهاز الإنتاجي . فستوى حياة الفرد في جمهورية ألمانيا الديمقراطية كان سيعادل أو سيتجاوز مثيله في ألمانيا الاتحادية قبل ١٩٦٥ . وقد كانت النتائج المادية مثيرة للإعجاب فعلا . فقد تضاعف الإنتاج الصناعي الإجمالي ثلاث مرات منذ ١٩٥٠ . وكان التقدم الصناعي متعادلاً في الدولتين الألمانيتين . وبذلك أصبحت ألمانيا الديمقراطية خامس دولة صناعية في أوروبا . فالمستوى التقني فيها عال ، كا يرتفع مستوى الاستهلاك الفردي .

هذا وتصب أنهار ألمانيا الشرقية الكبرى ، أي نهر الألب والأودر ، تصب

خارج حدود الدولة ، أي في ميناءي هامبورغ التابع لألمانيا الغربية وفي ميناء ستيتن التابع لبولونيا . كا أن كثيراً من المواد الخام يجب استيرادها من الخارج ، كالبترول والحديد والكوك والقطن . غير أن ثمن كلفة الفولاذ الناتج من المواد المحلية كالليغنيت والحديد الرديء النوعية يبدو عالياً ، وهكذا تحتاج الصناعة الحديدية ، التي أقيت بصورة اصطناعية ، لعون الدولة ولأسواق تقبل بالمراعاة . هذا كا أن إنتاجية العمل ونوعية الإنتاج لا تزالان دون المرغوب فيه ، مما دعا المسؤولين إلى تشجيع المبادهة الفردية ، والتخفيف من مركزية البيروقراطية .

وينصب الاهتام على إنتاج الآلات التجهيزية التي تصدر في معظمها إلى الأقطار الاشتراكية وإلى الأقطار النامية . وتكون حركة البناء أقل أهمية من ألمانيا الغربية باستثناء العمران في مدينة برلين العاصة . وحالياً يتم بناء قرابة مسكن بالعام . كا أن صناعة السلع الاستهلاكية كالسيارات السياحية التي يبلغ إنتاجها ١٦٧٠٠٠ سيارة بالعام ، لا تحظى باهتام كبير ، بحيث يظهر فارق محسوس بين تقدم الإنتاج الكلي وبين تطور الأجور والاستهلاك الفردي ، ولكن يعوض ذلك أهمية النفقات الاجتاعية كنوعية التعليم وديموقراطيته ، والكن يعوض ذلك أهمية النفقات الاجتاعية كنوعية التعليم وديموقراطيته ، والضان الصحى والرياضة .

- وتساعد المصاعب الاقتصادية على فهم المشكلات البشرية . وقد اعترف المسؤولون بأن تزايد معدلات الإنتاج دون ارتفاع مواز في الأجور كان أحد أسباب تمرد العال سنة ١٩٥٣ ، الذي استغلته دول الغرب أسوأ استغلال . وتشكو ألمانيا الشرقية اليوم من قلة الأيدي العاملة والخبراء ، نظراً للنهضة الصناعية . والواقع فإن فائض الولادات على الوفيات يبدو قليلاً لمعالجة مشكلة نقص السكان . وقبل ١٩٦١ كانت العناصر المناوئة لقيام الاشتراكية (أطباء ، مهندسون ، جامعيون ، خبراء) تلجأ بتشجيع من الدعاية الغربية إلى برلين الغربية ، ومنها إلى ألمانيا الاتحادية . وقد أدت هذه الهجرة والهروب إلى الاعتاد

على الأيدي العاملة النسائية ، بحيث أصبح عدد النساء العاملات معادلاً للرجال العاملين .

هذا ولا تستطيع رؤوس الأموال الألمانية الشرقية أن تمول لوحدها المنجزات الصناعية الكبرى . ولكن لما كانت الصناعة الكياوية الكبيرة في ألمانيا الشرقية ، تعمل لتقدم خدمة جليلة لاقتصاد الاتحاد السوفييتي ، فإن السوفييت لم يقصروا في تقديم المعونة الاقتصادية لألمانيا الديمقراطية لمساعدتها في بناء الاشتراكية .

ه ـ برلين

لقد أصبحت برلين ، التي قامت بين المستنقعات والمورينات والغابات ، إحدى أكبر العواصم ، ولكنها إحدى أكبر النقاط الانفجارية في العالم . وتبلغ مساحتها ٨٨٤ كم ، ويسكنها ٣,٣ مليون نسمة منها ٤٨١ كم ، تخص برلين الغربية ، التي تضم ٢,٢ مليون نسمة بكثافة تبلغ ٤٤٤٦ نسمة كم ، وهي جيب غربي واقع في قلب الجمهورية الديموقراطية ، ويحكمها مجلس شيوخ . وبعد مصاعب سياسية معقدة بين الاتحاد السوفييتي ودول الاحتلال الثلاث أي أمريكا وبريطانيا وفرنسا ، أمكن التوصل لاتفاقية ٣ إيلول ١٩٧١ لأول مرة منذ نهاية الحرب ، بعد مفاوضات استرت ثمانية عشر شهراً ، وهي حدث تاريخي هام . هذا وتعجز الجغرافية الطبيعية عن فهم اختيار موقع برلين ، مثلما لا تفسر ازدهار هذه المدينة . فليس هناك أي مرتفع يستحق الذكر ، كا لا يمر فيها نهر صالح للملاحة مثل نهر التايز أو السين . وهكذا يزحف نهر سبريه Sprée بين البحيرات الصغرى والسهول الرملية والغابة التي تعتني السلطات بها ، كي تكون حدائق طبيعية للسكان (شكل ٢٢) .

والواقع لقد كانت برلين عبارة عن تكوين سياسي . فقد ولدت المدينة في القرن الخامس عشر فوق جزيرة في نهر سبريه بين نهر الإلب والأدور . وظلت

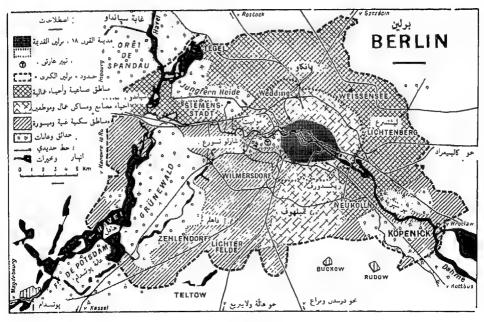
مدة طويلة عبارة عن سوق وحصن . ونالت بعض الأهية في القرن السابع عشر والشامن عشر على أثر ظهور نفوذ نواب إقليم براندبورغ وتدفق البروتستانت الفرنسيين اللاجئين ، بعد اضطهادهم ببلادهم ، وأسسوا حياً خاصاً بهم هو حي موآبيت . وبلغ عدد سكان برلين ١٧٠٠،٠٠٠ نسمة سنة ١٨٠٠ ، ولم تصبح مدينة كبيرة إلا في القرن التاسع عشر ، كعاصمة لدولة بروسيا ، ثم لألمانيا الموحدة سنة ١٨٧١ . وتوسعت المدينة بشكل خاص في اتجاه الغرب عند ظهور الأحياء الصناعية والسكنية . وأصبحت مساحتها أكبر رقعة من باريس بثاني مرات ، وكان سكانها سنة ١٩٣٩ قد بلغوا ٤٠٣ ملايين .

وتعتبر برلين ذات أهية تجارية ومالية وصناعية . فهذه المدينة هي عقدة طرق حديدية وطرق برية ومائية وخطوط جوية ، ففيها مطار تمبلهوف في الغرب وشوينفلد في الشرق . وتشتمل منطقتها على أربع قنوات جعلت منها ميناء نهرياً نشيطاً. وتملك برلين العديد من الصناعات التحويلية ، التي ساعد على قيامها وجود أيد عاملة غديدة وسوق استهلاكية ضخمة (صناعة الأدوات الكهربائية ، صناعة كهربائية كياوية ، ميكانيكية ، غذائية ، وصناعة الألبسة) . وتكون الدوائر الإدارية ، والفعاليات الثقافية والفنية نامية فيها أكثر من أية مدينة ألمانية أخرى .

وقد ظهرت هذه المدينة الضخمة الحرومة من الفن ، ومن الماضي ، وكأنها قـد حكمت بـالإعـدام عندمـا أصبح سكانهـا متكـدسين في ملاجئ تحت الأرض ، بين أطلال العمارات الكبرى العـائـدة للعهـد الهتلري (وزارات . دوائر حكومية) ، أو بين عمارات القرن الثامن عشر .

ولكن برلين عادت اليوم بؤرة حياة ثقافبة وفنية واستعادت حيويتها الاقتصادية ، وكانت عليه البناء سريعة جداً ، وخاصة في القطاع الغربي حيث وضع الغربيون ، ولا سيا الأمريكان ، كل ثقلهم على شكل مساعدات مالية .

أما في القطاع الشرقي ، فقد أعيد البناء حسب طراز حديث يماثل مدن الاتحـاد السوفييتي ، ولا



الشكل ٢٢

سيا شارع كارل ماركس الشهير . ويحاول القطاع الغربي أن يتخذ هندسة بناء أميركية الطراز ، مع واجهات لماعة ، ومخازن ذات واجهات مغرية تنم عن كل الملامح الرأسمالية . ففيها مخازن ضخمة وتلمع شوارعها ليلاً بإعلانات النيون الدعائية .

غير أن الصناعة الثقيلة لا تستطيع أن تنبو فيها لأن المواد الأولية تحتاج لنفقات عالية جدا بسبب تكاليف النقل من بعيد . ولكن تظهر الصناعات التحويلية ، التي تقدم لها حكومة بون العون المالي ، والتي تستفيد من جودة الأيدي العاملة ، مزدهرة بشكل اصطناعي . أما في القطاع الشرقي فتقوم صناعة الأجهزة الكهربائية والألكترونية ، والعنفات ، كا تزدهر صناعة الملبوسات ، كا قامت صناعة الفولاذ والتصفيح في براندنبورغ أي إلى الغرب من برلين قليلاً .

غير أن المدينة تشكو من تقسيها إلى أربعة قطاعات. وقد حرمت من نافذتها البحرية وهي ميناء ستيتن الذي أصبح تابعاً لبولونيا. ولم تستعد برلين مكانتها السامية في ألمانيا، بحيث تظهر كمدينة لا معقولة، أو صورة مصغرة عن ألمانيا، تنم عن روح الشقاق الأوروبية والعالمية. وتمتد حدودها على مسافة ٤٥ كم

من الشمال للجنوب . هذا ولا تتصل برلين الغربية مع ألمانيا الاتحادية إلا بواسطة ثلاثة طرق سيارات وأربعة خطوط حديدية ، وثلاثة ممرات جوية وتنفصل عن برلين الشرقية . والخلاصة تظهر برلين اليوم كظاهرة سياسية ، ويأمل العالم والألمان تحسن الوضع السياسي والاقتصادي بعد اتفاق أيلول ١٩٧١ الذي سبق ذكره .

مدينة برلين بالأرقام:

برلين الغربية : مساحتها ٤٧٩ كيلو متر مربع .

السكان : ٢,٤ مليون منهم ٧٣٪ بروتستانت ١١,٤٢٪ ، كاثوليك ، ٢,٠٪ يهود نسبة الولادات ١٠ بالألف ، الصادرات ٨٣٪ نحو ألمانيا الاتحادية ، ١٤٪ نحو ألمانيا الشرقية .

الاستيراد : ٨٨٪ من ألمانيا الاتحادية ، ٩,٦٪ من الخارج ، ٢,٤٪ من ألمانيا الشرقية ميزانيتها : ٧,٤ مليار مارك ١٩٧١ .

عدد الذين زاروا برلين الشرقية ٩٤,٢٦٧ نسمة .

برلين الشرقية : مساحتها ٤٠٣ كم ٢ ، سكانها ١٠,٨ مليون نسمة (منهم ٧٠٪ منهم بروتستانت و ١٠٪ من الكاثوليك . نسبة الولادات ١٤,٥ بالألف ، ونسبة الوفيات ١٦,٤ بالألف) .



الطبغرافية الإيطالية الشكل ١

إيطاليا

البيئة والناس الإطار الطبيعي

تنقسم الرقعة الإيطالية البالغة مساحتها ٣٠١٠٠٠ كيلومتر مربع ، إلى جموعتين شديدتي الاختلاف . فإيطاليا القارية عبارة عن سهل فسيح تحاصره جبال الألب ، أما إيطاليا الرومية ، أي المتدة في البحر الأبيض المتوسط ، والتي تكون مصحوبة بجزيرتين كبيرتين ، هما سردينيا وصقلية ، فتتألف من شبه جزيرة طويلة تشكل سلسلة جبال الأپنين عودها الفقري (شكل ١) . ويقوم المناخ بدع هذا التناقض القاسي الذي يخلقه التضريس في جغرافية إيطاليا الطبيعية .

وهكذا تقوم جبال الألب والقسم الشالي من السلسلة الأپينينية بحصر سهل الهو من جهاته الثلاث ، والذي يدين بوجوده للعمل الإطهائي ، الذي قام به نهر الهو وروافده . وقد أدت أرجحية الروافد الألبية على الأنهار الهابطة من جبال الأپينين ، على زحزحة الجذع الرئيسي لنهر الهو باتجاه الجنوب . وتتعاقب بين حضيض جبال الألب وبين نهر الهو ثلاثة نطاقات متوازية هي :

ـ تلال مقدمة الألب ، وهي مؤلفة من مورينات جمودية .

- مصاطب تتألف من أنقاض خشنة ، قليلة الخصوبة ، ولكن تنبجس منها باتجاه السافلة مياه باطنية ، على شكل خط من العيون يدعى فونتانيلي .

- السهل الإطهائي أو « اللحقي » ، وهو خصيب ولكنه يتعرض للفيضان في أكثر أجزائه انخفاضاً (شكل ٢) .

ويزداد عرض السهل باتجاه الشرق ، ويجري نهر الآديج بموازاة نهر الهو ، بحيث تختلط لحقيات ه alluvions مع لحقيات نهر الهو ، كي يؤلف دلتا فسيحة محفوفة بلاغونات . أما جبال الألب الإيطالية ، فتلعب دوراً هاماً بما تقدمه من مياه غزيرة ، وبما تحويه من دخلات مؤلفة من سهول لحقية ، تقود إلى فجوج تشكل ممرات تنشط بها حركة المرور الكثيفة .

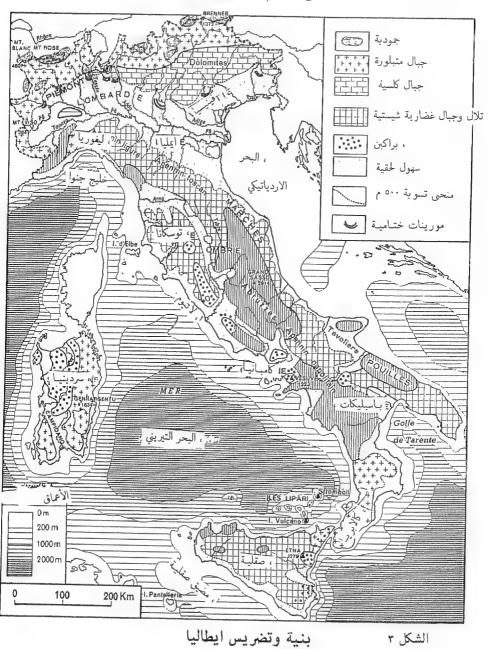
ايطاليا الشمالية:مقطع من الحدود السويسرية إلى خليج جنوا

الشكل ٢





وتؤلف جبال الأپينين هيكل شبه الجزيرة الإيطالية . ولكن مرتسم السلسلة لا يكون متوازياً مع مرتسم السواحل . فبينما ترسم الجبال منحني محدباً

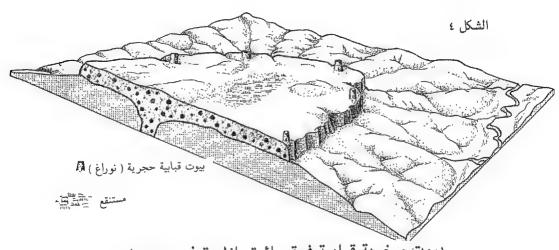


جغرافية الدول الكبري (٤٥)

_ V.O _

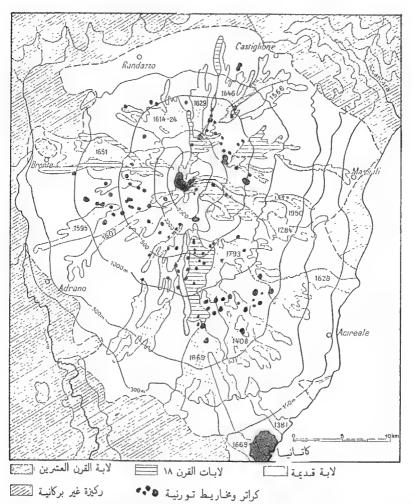
نحو الشال الشرقي ، نجد السواحل تتحدّب نحو الجنوب الغربي ، بحيث تقوم جبال الأبنين بحصر ساحل الأدرياتيكي في الشال ، في إقليم المارش Marches ، وساحل البحر التيريني في الجنوب ، وفي إقليم كالابريا . وهكذا تتسع السهول الغربية من توسكانيا حتى كامپانيا ، في حين تتسع سهول الشرق في الجنوب فقط ، أي في منطقتي پويليا ولوكانيا . ولكن كل هذه السهول الإيطالية المطلة على البحر الأبيض المتوسط ، بما في ذلك سهول صقلية الساحلية وسهل كامپيدانو السردينية ، لا تمثل جميعاً من حيث المساحة ثلث سهل البو . وهكذا يكون لشبه الجزيرة الإيطالية تضريساً شديد الاضطراب ، مثل صقلية ، التي هي عبارة عن امتداد لشبه الجزيرة ، ما عدا سردينيا التي يتألف معظمها من كتلة قدية ، المتداد لشبه الجزيرة والمتقطعة بوديان عمية ، على درجة لا بأس بها من الارتفاع ، والمتدرجة والمتقطعة بوديان عمية .

وتلعب الصخور البركانية إلى جانب الصخور الكلسية والغضاريات ، دوراً هاماً في الجنوب الإيطالي ، وهي شواهد عن نشاط تكتوني كان شديداً جداً في الماضي . وتحوي سردينيا موائد بازلتية واسعة (شكل ٤) ، وبراكين صغيرة



بيوت صخرية قبابية فوق مائدة بازلتية في سردينيا

خامدة . وترتصف بعض البراكين الناشطة بين فيزوف وإتنا (شكل ٥) ، كا لا تزال فوهات الميادين الفليغرية ، إلى الغرب من ناپولي ، تنفث دخانها وتستغل الأبخرة الحرارية الأرضية في إقليم توسكانا ، لتشغيل مراكز كهربائية في موقع لارديرللو Larderello . وهناك براكين تبدو اليوم خامدة ، سبق لها أن نفثت رماداً استطاع أن يحزز فيها تلال روما السبعة .

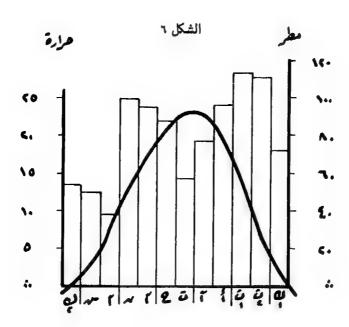


الشكل ه بركان إتنا وسكوبات اللابة خلال التاريخ

وبما أن شبه الجزيرة الإيطالية هي أرض فتية ، فهي غير مستقرة ، وبالتالي عرضة للزلازل . وقد أدى زلزال مسينا في عام ١٩٠٨ إلى هلاك ١٠٠,٠٠٠ نسمة ، مثلما تعرض القسم الشرقي من شبه الجزيرة إلى التخريب في عام ١٩٦٨ ، مثلما يتعرض إقليم فريول لزلازل متواصلة منذ بضعة أعوام .

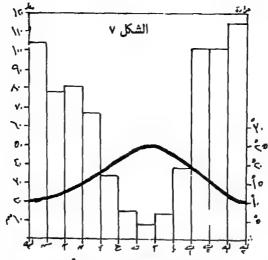
هذا كا يعمل المناخ بدوره على تقسيم شبه الجزيرة إلى شطرين :

فسهل اليو يتتع بمناخ قاري ، رغ بعض المؤثرات الرومية « المتوسطية » . ففي الشتاء تكون درجات الحرارة في ميلانو (شكل ٦) وفي تورينو أشد قساوة



مناخ دانوبی - بایسی مَرَیز میلانو ا معرصہ ۵۰،۵۸ الدرْتفاع ۵۰ م مجمع المطرالسنوی ۱۵،۵۸ معدل الحراق السنوی حر،۱۰ مما هي في باريس ، مثلما تكثر فيها حوادث الانجاد . غير أن التسخّن الربيعي يكون سريعاً ، كا تكون حرارة أشهر الصيف مماثلة لصيف الجنوب الإيطالي . هذا ويكون فصل الصيف رطيباً لوقوعه بين فصلي ربيع وخريف مطيرين جداً ، في حين يكون الشتاء قليل الأمطار ، كثير الضباب .

هذا وتكون الفوارق الحرارية أقل من ذلك في المناخ الرومي السائد على شبه الجزيرة والجزر الإيطالية . فإذا كان الصيف حاراً جداً في كل الأمكنة ، فإن الشتاء يكون أكثر عذوبة كلما تقدمنا من توسكانيا باتجاه صقلية (شكل ٧) . وعلى عكس ذلك تكون الفصول متباينة جداً من حيث نظامها الحراري . فجفاف الصيف شامل ، حتى لقد يبلغ الأمر به أن يمتد على الشطر الأخير من الربيع والأول من الخريف ، لاسيا وأن الأمطار غالباً ما تهطل على شكل وابل



المركز، بالرمو (مبقلية) العرصه: ٣٨٨٨ بوتفاع: ٧٠ م موذج لمناخ: برتفالي هيليني معدل الحرارة إسسنوي: ١٧٣ معدل قص الحارة: ٥ره عمدل ادف الحرارة: -١٠١ إلطالسنوي: ٧٥٦

كارثي ، يضفي على الأنهار سمة سيلية ، ويؤدي إلى انزلاقات أرضية في الصخور الغضارية وانهيالات كتلية تدعى فران Frane .

ويؤدي هذا التضاد المناخي بين الشمال الإيطالي والجنوب إلى تنوع في نسق الحياة الزراعية الفصلي . ففي الشمال يعمل الحر والرطوبة خلال الصيف على تكثيف الأنشطة الزراعية . أما في الجنوب ، فتنتهي الحياة الزراعية في نهاية الربيع ، بعد مرور شتاء عذب يساعد على نمو المحاصيل وقبل اليبوسة الصيفية .

البراكين والزلازل

يحتوي بركان أتنا الواقع في شرقي صقلية ، على ثـلاث بيئـات متبـاينـة كلمـا ازداد الارتفـاع . وهكذا غيز بكل وطوح ما يلي :

- جزء مزروع يمتد من مستوى سطح البحر حتى ارتفاع ١٣٠٠ م ، حيث ينبت الزيتون والقطن وكل الأشجار المثرة المميزة لجزيرة صقلية كالبرتقال والليون والرمان .

ـ وفوق ذلك نجد قسمًا حراجيًا حتى ارتفاع ٢٠٠٠ م .

- وأخيراً وفيا فوق ذلك نجد الصخر العاري ، الذي يؤلف جدراناً عالية ، ومخاريط ، وفوهات جانبية تنبئق منها معظم الثورانات ، والفوهة المركزية التي ترتفع حتى ٣٣١٣ م . ويغطي الثلج الخروط خلال بضعة أشهر . ولهذا قامت هناك محطة سياحية كبرى ورياضة شتوية . ورغم تحذيرات الأدلاء والمرشدين فقد أدّى تهوّر البعض إلى وقوع عدد من الضحايا على أثر ثوران بركان أتنا خلال صيف ١٩٧٩ .

وعندما تقع الزلازل في مناطق فقيرة ، كا حدث في تراپاني في صقلية أو فريول في إقليم البندقية ، فإن الدولة تضطر لأن تأخذ على عاتقها أمور الإسعاف وإعادة البناء . ورغ مرور بضعة أعوام على وقوع كارثة إقليم فريول ، فلا زال الآلاف من المتضررين يعيشون تحت الخيام .

البيئة والسكان

الديموغرافيا

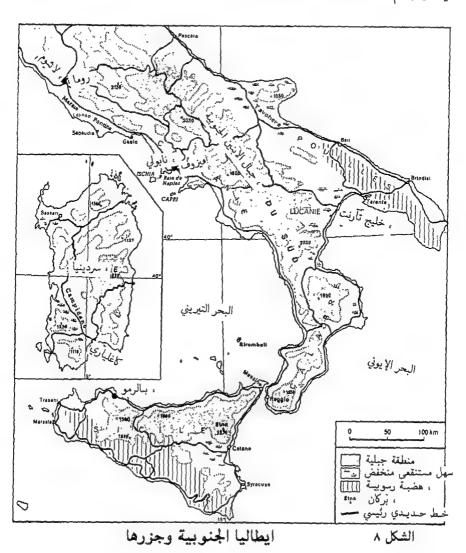
إيطاليا بلد وفير السكان ، فقد تضاعف سكانها تقريباً منذ قرن واحد ، كي يبلغ ٥٨ مليوناً من الأفراد (٥٦,٢ في ١٩٧٦) و (٥٧,٢ في ١٩٨١) . وهذا التقدم العددي ، الناجم عن المواليد ، كان أكبر من ذلك ، بل ومخيفاً ، لو لم تقم الهجرة النهائية ، في الوقت ذاته ، بانتزاع قرابة ٧ ملايين من الوطن الأم ، غادروا وطنهم كي يستقروا في الخارج .

وبعد أن ظل النمو الطبيعي مرتفعاً لمدة طويلة ، أخذ بالتباطؤ حالياً . ولما كانت نسبة التوالد تبلغ ١٤ بالألف ، والوفيات ١٠ بالألف ، أي كثيلتيها في فرنسا ، فإن الفائض السنوي لا يتجاوز ٣٠٠,٠٠٠ نسمة أو ٤ بالألف . ولكن الفوارق الإقليمية تكون كبيرة بالنسبة لهذا المعدل . فبعض المناطق الشمالية أصبحت عاجزة عن أن تعوض الوفيات بالمواليد ، في حين نجد في الجنوب مناطق يرتفع فيها النو السكاني الطبيعي إلى ١٥ بالألف ، لأن للعائلات النباپوليتانية أو الكالابرية أولاداً ؛ يبلغ ضعف أو ثلاثة أضعاف أبناء العائلات في ميلانو أو توريخ .

و يمثل عدد السكان بالنسبة لسائر أرجاء البلاد كثافة تبلغ ١٨٢ نسمة في الكيلومتر المربع ، مع اختلافات تتراوح بين ٦٢ في سردينيا و ٣٨٨ في كامپانيا في جنوب شرق ناپولي .

غير أن رقعة البلاد الإيطالية تمثل مسرحاً لهجرات عديدة داخلية ، وهي هجرات يتعرض لها كل قطر آخذ بأسباب التصنيع ، وتتخذ شكل هجرة ريفية

نحو المدن الكبرى . ولكن تحدث في هذه البلاد ذات الطابع الجبلي الشديد ، حركة هبوط عامة نحو الوديان والسهول والسواحل ، أي تتفرغ الجبال من محتواها البشري . وأخيراً ولما كان التزايد الطبيعي على أشده كلما كانت المنطقة قليلة الحيوية الاقتصادية ، فإن هجرة تنطلق من الجنوب الفقير (شكل ٨) ، أي من إقليم ميزوجيورنو Mezzogiorno نحو الشمال .



- Y1Y -

وقد تكون هذه الهجرات فصلية ، لأن موسم الحصاد في إقليم تاقولييره Tavoliere ، أو موسم جني العنب في منطقة پويي Pouilles ، يؤدي لاجدذاب سكان المناطق المجاورة ، في حين أن أعمال زراعة الشوندر السكري في إيميليا Emilïe وشتل الرز وحصاده في سهل اليو ، تؤدي لانتقال أيد عاملة من مناطق بعيدة ، ولكن أكثر الهجرات كثافة هي الهجرات النهائية ، التي يقوم بها الجنوبيون بحثاً عن الوظائف والأعمال الحضرية في روما وفي ليغوريا أو لومبارديا أو منطقة الپيونت المؤلفة من السفوح الدنيا لجبال الألب ، ويتكون هؤلاء من عائلات فقيرة تحتاج للمسكن وللتربية وللتدريب على أشغال جديدة ، ويتألف ثلث العال في معامل شركة فيات في تورينو من الجنوبيين (۱) .

ولقد نتج عن اكتظاظ السكان هجرة ظلت ، ولمدة طويلة ، أمراً لابد منه للحفاظ على توازن البلاد الاقتصادي . وبعد أن ظلت هذه الهجرة متواضعة حتى عام ١٨٨٥ ، ومتجهة على الخصوص نحو المناطق الصناعية في أوروبا ، أخذت أبعاداً كبيرة لدى انفتاح الأقطار الجديدة بين ١٩٠٠ و ١٩١٤ ، وهكذا يعيش ٢٥٠ ملايين إيطالي في الخارج . غير أن هذه الحركة تقلصت في الفترة الفاشيستية أيام حكم موسوليني والحرب العالمية الثانية ، أي بين ١٩٢٥ و ١٩٤٥ ، كي تعيد سيرتها بشكل معتدل ولكن منتظم ابتداء من سنة ١٩٤٥ . وإذا كانت لا تزال ناپولي نقطة انبعاث هجرة نحو الأمريكتين وأوستراليا ، فإن الأقطار الأوروبية عادت فأصبحت مناطق الجذب الرئيسية . وهكذا راح الكالابريون ، والصقليون ، وأيضاً البينتيون ، والبنادقة ، يقصدون سويسرا ربلدان الجماعة الاقتصادية الأوروبية ، حيث يكون دخول الطلميان حراً . وهم يتواءمون بشكل طيب ، ويستقرون نهائياً بعد استقدام أسره . وهكذا تؤدي الهجرة الموقتة الناجحة إلى هجرة نهائية .

⁽١) تتألف كلمة فيات من أول حرف الأربعة كلمات هي : فابريكا ، إيطاليانو ، أوتوموبيله ، تورينو . أي المصنع الإيطالي للسيارات في مدينة تورينو .

هذا وقد. فضت نسبة العاملين المتوية من السكان ، فهبطت من ٥٩ ٪ في عام ١١ : ٣٥ في الوقت الحاضر وفي ذلك إشارة إلى التقدم والتنية . ولكن هذه الأعداد في مزايد . وتجري عملية إعادة تكوين البنية الاجتاعية المهنية بصورة جذرية . فقد كانت الزراعة حتى عام ١٩٥١ تتصدر الأنشطة إذ كان يعمل فيها ٤٢ ٪ من الطليان مقابل ٣٢ ٪ في الصناعة . وفي عام ١٩٧٨ هبطت نسبة العاملين في الجال الزراعي إلى أقل من ١٥ ٪ . ولكن نسبة العاملين في الصناعة كانت ضعف هذه النسبة أو ٣٠ ٪ ، في حين يظل للقطاع الثلاثي الأكثرية المطلقة ، أو ٢٥ ٪ .

إحصائيات مجالات العمل في ١٩٧٨ بالآلاف الجموع ٢٠٥٠٠

يعمل منهم في الزراعة التي تقدم ٩,١ ٪ من الدخل القومي ٢٩٥٠ ألف يعمل منهم في الصناعة ٥٨٣٩ ألف يعمل منهم في البناء ١٧٠٥ ألف يعمل منهم في التجارة ٢٧٢٢ ألف يعمل منهم في خدمات غير تجارية ٢٨٣٤ ألف

مواقع المساكن المعلقة :

تشتهر إيطاليا بكثرة المواقع السامقة ، المتشبشة فوق قم الروابي ، أو التلال ، أو فوق خطوط ذرا التضاريس الوعرة ، ويكن تفسير هذا الاختيار عادة في أن الاهتامات الدفاعية هي الدافعة لاتخاذ مواقع كهذه ، ولكن الأكثر صحة هو رد ذلك إلى سهولة السيطرة على المساحات المزروعة ، المقدة على منحدرات التلال ، تلك الرقع الزراعية التي تندر في المنخفضات الرطبة الكثيرة الأحراش أو الموخية لتفشي البرداء ، ولا سيا في قيمان الأودية ، التي تحتلها سرر الأنهار الفضفاضة أو السيول الأبينينية .

وفي عصر قريب منا ، وعلى أثر عمليات استصلاح الأراضي ، وقيام الصناعات في المناطق المنخفضة ، أو على أثر تحسين شبكة المواصلات ، فقد ازدوجت المواقع المعلقة نوعاً ما ، بعد أن دفعت بأحياء جديدة باتجاه الأسفل . وهكذا ظهر الكثير من المدن الساحلية الناشئة عن استطالة مواقع داخلية ، أو بعبارة أخرى لظهور مواقع « بحرية » .

د . غريبودي . جغرافية إيطاليا الاقتصادية . دار بورداس

الحياة الزراعية

تتألف رقعة الأرض الإيطالية من سهول تشغل نسبة تقل عن الربع ، أو ٢٣ ٪ ومن تلال ٤٢ ٪ والباقي هو ٣٥ ٪ عبارة عن جبال . ولكن هذا لا يمنع من أن تبلغ المساحة الزراعية المفيدة امتداداً يصل إلى ١٧,٥ مليون هكتار أو ١٧٥ ألف كيلومتر مربع ، أو نسبة تقارب ٥٨ ٪ من مساحة البلاد . وهكذا يتجلى الجهد المبذول خلال القرون العديدة الماضية ، للتغلب على الشرائط يتجلى الجهد المبذول خلال القرون العديدة الماضية ، للتغلب على الشرائط الطبيعية العسيرة ، كتطرف المناخ وفقر الترب الزراعية (شكل ٩) .

وهكذا يتخلّى الجبل عن سكانه تدريجياً ، فتترك الزراعة مكانها للأحراش التي تبلغ مساحتها ٦,٣ ملايين هكتار أو ٢٠٪ ، كالم تعد المراعي الجبلية التي تؤلف ١٣٪ من مساحة البلاد ، تستقبل القطعان المنتجعة صيفاً . وعلى خلاف ذلك فإن استغلال السهول يزداد إتقاناً فيكون الاستصلاح منهاجياً . فتتم علية التجفيف أولاً ، ثم يجري صرف مياه المستنقعات ، ثم تبنى الحواجز النهرية الجانبية للوقاية من الفيضانات ، وأخيراً يتم تحسين الأوضاع الصحية في المناطق الوبيئة . وقد شرع بتنفيذ هذه المشاريع في أيام جمهورية البندقية في القرن الثامن عشر ، كي يستأنفها كاڤور في نطاق الپيونت ، والبابوية في كامپانيا المجاورة لروما ، ومن ثم تعمّمت هذه العمليات الاستصلاحية . أما استصلاح الأحواض الجبلية ، فيرمي للوقاية من أضرار انجراف التربة ، وذلك بكسر حدة السيول . أما الاستصلاح المتكامل فهو عبارة عن تمازج الأسلوبين السابقين ، السيول . أما الاستصلاح أيضاً تنفيذ كل أشغال شبكة الطرق ، وبناء العالية . ويشتمل الاستصلاح أيضاً تنفيذ كل أشغال شبكة الطرق ، وبناء

القرى ، وجر المياه النقية ، والكهرباء ، الضرورية جميعها ، لاستغلال الأرض بصورة حثيثة عقلانية .

ويتوج الري عملية الاستصلاح ، ومع أنه يكون لزوماً في الجنوب ، حيث



_ Y17 _

تكون فترات الجفاف الصيفي أكثر طولاً ، فإننا نجده وقد اتسع نطاقه في الشال مثل قناة ناڤيغليوغرانده في لومبارديا ، التي حفرت في القرن الثاني عشر ، وقناة كاڤور التي ظهرت بين عام ١٨٦٣ و ١٨٦٦ ، اعتاداً على نهر تيسّان الهابط من جبال الألب السويسرية ، وقناة ڤيرجيل ، وقنوات مينشيو ، ومياه شريط فونتانيلي ، التي تروي مساحة ١٠٠,٠٠٠ هكتار ، مما يحصر ثلاثة أرباع الأراضي المروية في سهل يادو ، جنوب غرب البندقية ، غير أن أشغال الري تتوسع مع ذلك في الجزء الواقع في نطاق البحر الأبيض المتوسط .

وإلى جانب ذلك يتسارع التقدم التقني . فقد أصبحت الزراعة عصرية أكثر ، لأن كل ١٠٠ هكتار من المساحة الزراعية المفيدة ، تتصرف بمقدار ٥٤٥ جرارات ، كا تعمل في إيطاليا ٢٦٠٠٠ حصّادة درّاسة ، و ٢٠٠٠٠ محطة للحلب الآلي ، كا يكون استهلاك الأسمدة في تقدم مضطرد لأن كل هكتار من المساحة الزراعية المفيدة أصبح ينال ٨٥ كيلوغرام . ونتج عن ذلك ارتفاع تظاهري في مردود المكتار ، فبين ١٩٥٠ و ١٩٧٥ ، ارتفع هاذا المردود من ١٦٠٥ كنتال / هكتار إلى ٢٦،١ كنتال ، في حين زاد مردود الذرة الصفراء من ١٥٠٥ كنتال إلى ٥٦,٠ ، على أثر انتشار الأنواع المجينة . وقفز مردود البطاطا من ٢٣ إلى ٢٠٠ ، بينا ارتفع مردود الشوندر السكري من ٢٥٧ إلى ٣١٤ .

وهكذا تمكنت إيطاليا من تحسين درجة استقلالها في مضار المواد الغذائية . فإذا كان إنتاج الرز الذي يصل إلى ٧٠٠ ألف طن ، يفيض عن حاجة الاستهلاك بنسبة ٢٢٨ ٪ ، فإن القمح الذي يصل إنتاجه إلى ٩,٣ ملايين طن لا يغطي سوى ٨١ ٪ من الاستهلاك الحلي والذرة الصفراء ٥٠ ٪ ، مع أن إنتاجها يبلغ ٥,٥ ملايين طن في العام من يبلغ ٥,٥ ملايين طن في العام من الذرة ، لتكيل حاجاتها الاستهلاكية . غير أن تربية الماشية في حالة تقدم مدهش ، ويبلغ تعداد القطيع البقري ٨,٢ ملايين رأس ، والأغنام ٨ ملايين ،

والخنازير ٩ ملايين رأس ، بحيث تتغطى الحاجات الحلية من الحليب بعدل ٩٦ ٪ و ٧٤ ٪ في مجال اللحوم . أما إنتاج الخضار ، كالبندورة ٢,٨ مليون طن ، وسكر الشوندر ١١ مليون طن ، والثار ، والخور التي يصل إنتاجها إلى ٦٤ مليون هكتولتر ، كي تحتل المرتبة الثانية في العالم ، وزيت الزيتون ٣٣١٠ طن ، حيث تحتل الدرجة الأولى في العالم ، فيزيد عن الحاجة ، وتحسنت أسواقها الخارجية بفضل السوق المشتركة الزراعية .

ويكون كل ذلك مصحوباً بتحولات اجتاعية كبيرة . ولكن أبعاد الحيازات لا تزال صغيرة ، لأن ثلثيها يقل عن خمسة هكتارات . ولكن ثلث المساحة الزراعية المفيدة (م زم) ، يستغل حالياً بواسطة مؤسسات تزيد مساحة الواحدة منها عن ٥٠ هكتاراً . وهكذا تتناقص أعداد الأيدي العاملة الزراعية ، كا أن نظام مؤاجرة الأرض آخذ بالتلاشي ، كا تتحسن أوضاع العال الزراعيين المأجورين . وعلى العموم أدت تدابير الإصلاح الزراعي إلى تحول عميق في بعض مناطق البلاد على الصعيدين الاجتاعي والتقني .

11/1	إحصائيات ١٩٧٨	
۸۹۲۱۰۰ طن	۸,۷٦٤,۰۰۰ طن	القمح
۷۰۷۱۰۰۰ طن	٦,٠٤٠,٠٠٠ طن	ذرة صفراء
۷٦٥٠٠ مليون هكتولتر	٦٥,٠٠٠ مليون هكتولتر	ځمر
	۳,۰۰۰,۰۰۰ طن	خضار
۸۷۳٤۰۰۰ رأس	۸٫۸۰۰,۰۰۰ رأس	أبقار
۹۲۷۷۰۰۰ رأس	۸٫۷۰۰,۰۰۰ رأس	أغنام

الإصلاح الزراعي : لا تكون عمليات الإصلاح الزراعي محصورة في الجنوب . ولكن ٦٩ ٪ من عمليات توزيع الأراضي تمت في منطقة ميزّوجيورنو ، أو المناطق الفقيرة الواقعة جنوب خط عرض روما ، وفي هذه المنطقة جرت أوائل عمليات الإصلاح الزراعي ، والنص الأصلي للإصلاح هو قانون سيغني الصادر في عام ١٩٥٠ .

وفي بعض المناطق التي تسود فيها الملكية الكبرى أو latifundia ، حدثت مصادرة أراضي كبار الملاكين التي تزيد عن ٣٠٠ هـ أو عن ٢٠٠ هـ في صقلية . أما الملاكون من أصحاب المزارع المنوذجية ، أو الذين تعهدوا بتحسين أساليب استغلال أراضيهم ، فقد نجوا جزئياً أو كلياً من مصادرة أراضيهم . وقد جرى التعويض على الملاكين السابقين بسندات على الدولة لمدة ٢٥ سنة ، استناداً لقية أراضيهم في عام ١٩٤٧ .

وقد أخذت تسع دوائر إقليبة على عاتقها إعادة توزيع الأراضي . وكان المقصود من هذا التوزيع تكوين مستغلات صغيرة تؤمن معيشة أسرة متوسطة مؤلفة من ستة أشخاص . ومعنى هذا أن الرقعة تتعلق بخصوبة الأرض ، بحيث تتفاوت المساحة الموزعة بين ١,٤٤ هكتار فوق أراضي البولدر المستصلحة فوق أراضي بحيرة فوسينو Fucino السابقة ، والتي صودرت من مزرعة أمير تورلونيا البالفة المستصلحة عكتار ، وبين ١٢ هكتاراً في جزيرة سردينيا .

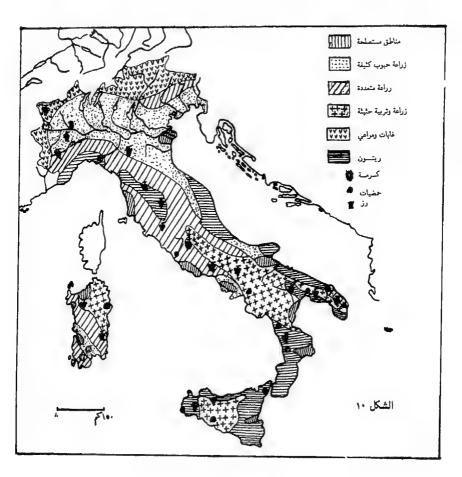
وعلى كل منتفع أن يسدد قيمة المزرعة المبدئية خلال ٣٠ عاماً ، هذا فضلاً عن ثاثي قيمة التحديث . ولضان نجاح عملية الإصلاح ، قامت مؤسسات إقليية بتنظيم الرقعة الزراعية بأكلها ، كافحة الحت (انجراف التربة) وإنشاء مزارع جيدة التجهيز ، وجر المياه النقية والكهرباء ، ومد الطرقات وإنشاء الأبنية التعاونية . وهكذا أصبح على كل مستفيد أن يخضع لانضباط دقيق ، وعليه أن يبرهن عن مقدراته خلال ثلاثة أعوام ، قبل أن يتسلم سند تمليكه ، مثلها يجب عليه أن يخضع للأنظمة التعاونية . وعليه أن يتعهد بالامتناع عن بيع أرضه أو تقسيها خلال ثلاثين عاماً . وكان نجاح هذا المشروع هو توطين ١٠٠,٠٠٠ عائلة فوق ٧٠٠,٠٠٠ هكتار . ولكن « الجوع إلى الأرض » يتناقص مع المجرة الريفية ، لأن الإلحاح ينصب الآن على التحديث .

تنوع الأرياف الزراعية:

تتفوق المزروعات الحقلية الوحيدة في إيطاليا الشمالية والاستثناء هو حدائق الزهور في ليغوريا ، وكروم العنب في مونتفيرًا ، ومزارع الأشجار المثرة في منطقة ترانتان . هذا وتكون الذرة الصفراء « الشامية » قاعدة الدورة في منطقة ترانتان . هذا وتكون الذرة الصفراء « الشامية » قاعدة الدورة الزراعية في شالي نهر اليو ، في حين يلعب القمح الدورة الزراعية الثلاثية تتعاقب إييليا ورومانيه nomagne . وعلى أساس الدورة الزراعية الثلاثية تتعاقب مزروعات تربية الماشية ، أي الأعلاف ، ثم النباتات المعزوقة كالشوندر السكري ، وأخيراً الذرة والحنطة . بيد أن الحقول تكون مزروعة بالأشجار ، وعلى الخصوص فوق الترب الجافة الواقعة حول السهل . حيث تنتشر مزارع التفاح والدراق ، ابتداء من بولونيا إلى تورينو وحتى برغامه ، إلى جانب صفوف دوالي الكرمة العالية . وتتفوق زراعة الرز والمروج الطبيعية فوق الأراضي الثقيلة والرطبة في قلب سهل پادو . كا تهين زراعة الرز عند تخوم البيونت ولومبارديا ، في حين تسود المروج كلما اقتربنا من البحر الآدرياتيكي . ويستأثر السهل بثلثي قطيع الأبقار ، والتي تجد في المروج الجبلية الألبية الحاورة أجود المراعي الصيفية (شكل ١٠) .

أما إيطاليا الجنوبية فتحوي على اختلافات أكبر في طرائق استغلال الأرض ففي المناطق الأقل تطوراً يعيش السكان المتجمّعون في قرى ضخمة من زراعة القمح ، ومن تربية الآغنام الواسعة التي ترعى الحصيد في السهل وفي مراعي المرتفعات ، وفي سردينيا لا تزال تربية الأغنام بقصد صنع الجبن هي التي لا تزال سائدة رغ التوسع في الري مؤخراً ، والذي يوائم الزراعة الكثيفة .

وتجعل الزراعة المتعددة في السهول ، والتي تكون شديدة التنوع ، وحثيثة أكثر ، تجعل المنطقة الممتدة من توسكانيا حتى كامپانيا ، عبارة عن مشهد زراعي نكاد نعثر فيه على كل أغاط الزراعة . فتوفر محاصيل الخضار والفواكه والحبوب والماشية والخر وزيت الزيتون المداخيل لعالم ريفي شديد التكاثف . وتظهر المزروعات الصناعية في سهل لاتيوم ولا سيا الشوندر السكري ، وفي كامپانيا



حيث تسود زراعة التبغ والقنب ، وفي صقلية حيث القطن ، مثلما نجد زراعة الخمضيات المتسعة في صقلية وفي كالابريا ، عدا الكروم الشاسعة في بويليا ، وحول الباكوريات في كامپانيا ، والتي تكون أكثر مناظرها حداثة وأكثرها تسويقاً هي الواقعة في الجنوب .

مزرعة كبيرة لإنتاج الألبان

تلك هي مزرعة سانتا مارياديل كامپو ، الواقعة على مسافة ١٠ كم من كريونا (على نهر الپو شرق ميلانو) ، والتي تبلغ مساحتها ١٠٠ هـ منها ٧ هكتارات تشغلها الأبنية القديمة والحديثة . وفي ١٩٥٠ كان نصف أراضيها عبارة عن مراع ، وربع مخصص لزراعة الحنطة والربع الأخير لزراعة الذرة الصفراء . وكانت تمارس فيها تربية دودة القز . وكانت تعمل فيها ٣٠ عائلة ، منها ٢٧ أسرة كعال زراعيين . وحدث انقلاب كامل بين ١٩٥٠ و ١٩٧٠ ، فقد حلت المكائن محل الإنسان وتغيرت طبيعة الإنتاج . وفي ١٩٧٨ لم يبق سوى ٦ عائلات و ٨ عمال زراعيين ، ولكن كان هناك ٩ جرارات وعشرة اليات . وأصبح ثمانون هكتاراً مخصصة للذرة الصفراء ، المشتركة مع السلجم والشعير (محصولان اليات . وأصبح ثمانون هكتاراً مخصصة للذرة الصفراء ، المشتركة مع السلجم والشعير (محصولان المنويان) ، أما الباقي فيخصص للعلف الأخضر السنوي . وزاد عدد القطيع ليبلغ ٤٠٠ رأس ، ويكون المردود عالياً جداً . وتخصص كل المحاصيل لإطعام الماشية . ومهمة المستغلة الأولى هني إنتاج الحليب الدي يباع لشركة صناعية ويؤلف ٧٥ ٪ من دخل المزارع الذي يبيع من ناحية أخرى ، الثيران الصغار وعشرين بقرة في كل عام .

وقد تم مؤخراً تجميل المقاسم الزراعية ، وقد جرى تكيل الأبنية القديمة بزرائب كبيرة عصرية ، وبقاعة يكن حلب ١٥٠ بقرة فيها خلال ثلاث ساعات ، وعنابر لتخزين العلف ، وخزان للاحتفاظ بالحليب إلخ .. ولكن معونات الدولة وقروضها هي التي سمحت بإنجاز هذه الإنجازات .

ويتنـاول العمال أجورهم شهريـاً ، والني تتراوح بين ٢٥٠ ٠٠٠ و ١ مليون لير ، ويتمتـع كل منهم بمكن مجاني وبجديقة .

عن ل . تيرون

شروط الحياة الصناعية

كانت إيطاليا تعاني ، خلال الفترة التي كانت تحقق فيها وحدتها ، من تأخر صناعي كبير ، بالموازنة مع الأقطار الأوروبية الأخرى . ولم تكن الصناعة تمارس أي جاذبية على الرساميل كي تستثمر في الصناعة ، كا يمكن تفسير ذلك بفقدان الحديد والفحم .

وقد تم الإقلاع في عام ١٩٤٥ ، كا تمخضت الحربان العالميتان عن جهد كبير في هذا المضار . ولكن بعد عام ١٩٤٥ بشكل خاص ، ساهمت المساعدة الأمريكية والانضام للجهاعات الاقتصادية الأوروبية الختلفة ، والنهضة في إنتاج الطاقة على أثر تجهيز القوى الكهرمائية واكتشاف الغاز الطبيعي ، وحيوية المؤسسات الحكومية الكبرى الخاصة ، أقول ساهمت في تحقيق ما أمكن تسميته المعجزة الإيطالية . وقد وفرت الصناعة فرص العمل لثلث القادرين عليه ، وساهمت بنسبة ٥٠ بالمئة من الدخل القومي الخام P.N.B ولكن سرعان ما مرت فترة الرخاء والازدهار ، ففي السيعينات أخذت الأوضاع الاجتاعية بالانحطاط ، وضاعت بعض الأسواق الخارجية ، سواء بسبب العدوانية الاقتصادية أو بنوعية المنتجات ، وأصبحت التبعية البترولية عائقاً ينوء بكل ثقله أكثر فأكثر .

وأدى الوضع الصناعي إلى ظهور ما يلي :

ـ أيد عاملة وفيرة ، هي أكثر من عرض مجالات الاستخدام ، لأن إيطاليا تحوي حالياً أكثر من مليوني عاطل عن العمل ، وأكثرهم من الشبان . ويؤثر هذا الوضع على مستوى الأجور ، غير أن « كيان الشغيلة » ، يتحدد بموجب القانون رقم ٣٠٠ الصادر في ٢٠ أيار ١٩٧٠ ، وذلك في كل المؤسسات التي تستخدم أكثر من

١٥ عاملاً ، أقول يحدد نواظم التوظيف بصورة دقيقة جداً ، وتجعل من المستحيل تسريح العامل أو تطبيق الساعات الإضافية .

- المؤسسات الكبرى ، وهي رائدة في فروعها ، وإذا كانت شركة فيات هي الأكثر شهرة ، ولا سيا في مجال سياراتها ، فإن هناك مؤسسات ذات وضع مسيطر أيضاً في ميادينها الخاصة بها ، مثل شركة مونتيديسون Montedison في ميدان الصناعة الكياوية والكهرمعدنية ، وشركة سنيا ڤيسكوزا في حقل المنسوجات الكياوية ، وپيريللي في صناعة المطاط ، واوليڤيتي في صناعة المكائن الكتيبة .

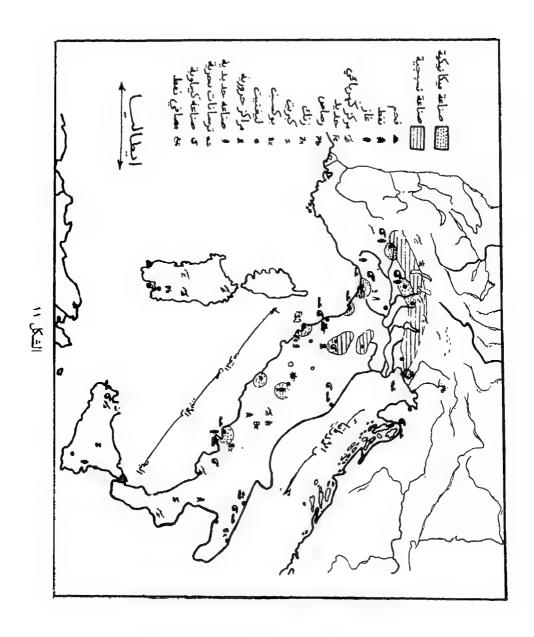
- قطاع حكومي أساسي: إذا استثنينا الدوائر الحكومية الخاصة بالدولة ، والتي تنتسب إلى القطاع الثلاثي ، كالخدمات العامة والخطوط الحديدية ، فإن الدولة الإيطالية تشرف على شطر كبير من الصناعة . فهناك مؤسسات عامة تستغل المعادن والفحم في جزيرة سردينيا . ويتعلق البحث عن النفط واستخراجه بمؤسسة ايني Eni وتفرعاتها . هذا ويكون لمؤسسة أ. ر. ي (معهد التعمير الصناعي) ، التي أنشئت في عام ١٩٣٣ ، بعد أن أخذت الدولة على عاتقها إدارة رؤوس أموال المشاريع الصناعية ، التي كانت تشرف عليها بنوك على شفير الإفلاس ، والتي أصبح وضعها الحالي منتظاً بقانون عام ١٩٤٨ ، لتنية الاقتصاد القومي ولإنعاش الجنوب ، أقول يكون لهذه المؤسسة فروع عديدة تضم المؤسسة صناعية ، يعمل فيها . ٢٠٠٠ عاملاً . ويؤلف هذا القطاع سلاحاً قديراً ، فعالاً ، في يد الدولة ، ولكنه يؤلف عبئاً ثقيلاً عليها .

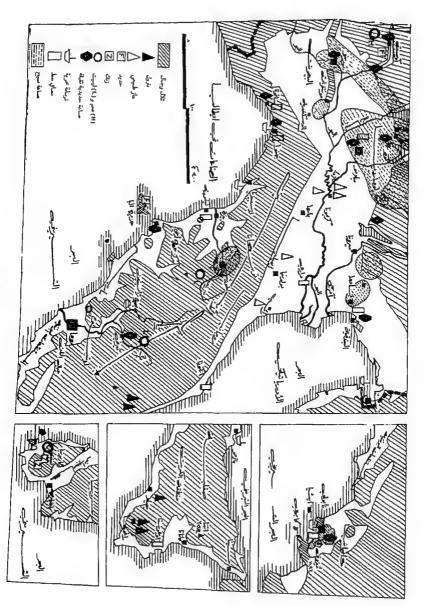
- وتلعب المؤسسات الصناعية الصغرى دوراً هاماً ، لأنها تقدم ٩٠٪ من إنتاج الأثاث و ٧٠٪ من الألبسة والأحدية . وتكون الإدارة هنا حرة والأيدي العاملة غير مصرّح عنها تماماً ، بما يجعل الأعباء الاجتاعية خفيفة ، لأنها تعيش على هامش القانون رقم ٣٠٠ ، وتكون هذه المؤسسات فضلاً عن ذلك منضة

إلى ٢٥٠ رابطة توفر لها محاسن المركزية دون عوائقها .

أما فيا يتعلق بالتموين بالمواد الأولية ، فإن لإيطاليا موارد معدنية متنوعة ولكنها قليلة المقادير (شكل ١١ و ١٢) . وهكذا لا تقدم فلزات الحديد المستخرجة من جزيرة إلبه سوى ٢٪ من الحاجات الحلية . ويأتي الزنك والرصاص من سردينية والبوكسيت من غارغانو والزئبق من توسكانيا وكذلك الميريت . وكا هو الحال بالنسبة للطاقة فإن هناك حاجة ماسة للاعتاد على الاستيراد بصورة كثيفة ، كى تستطيع تأمين المواد الأولية للصناعة .

هولدنغ الدولة : لقد كانت هذه المؤسسات إحدى دوافع التوسع الصناعي الإيطالي خلال الخسينات ، فقد أنشئت الأولى العملاقة ، وهي « آ. ر. ي » و « ايني » بعد الحرب ، فوق أسس تجارية بحتة كشركتين بقصد الربح . وقد كانتا بالنسبة للدولة ، التي تعتبر في بلد آخذ بأسباب النو ، أول مصدر لرؤوس الأموال ، وسيلة عملية لتحويل الأموال نحو الصناعات الأساسية ، دون التعرض لظاهرة الإخفاق التي كثيراً ما تصاحب المؤسسات الحكومية . وكان امبراطور شركة « أ. ر. ي » في فترة ما بعد الحرب ، هو غيزيب يتريللي ، وفي شركة « ايني » هانريكو ماتّى ، اللذان كانا يديران شركتين كأميرين مستقلين ، ولم يكونا عرضة لأي تدخل من طرف الحكومة ، باستثناء الإيعاز بخصوص الاستثمار الصناعي في اتجاه الجنوب الإيطالي . وقد بدأت الهموم تظهر عندما أصبح الاقتصاد الإيطالي هدفاً للمصاعب والأزمات خلال الستينات. فأنشأت الحكومة شركتين جديدتين من نوع « هولدنغ » ، هما « ايفام » Egam ، من أجل ضان الشركات النسيجية والتعدينية التي تعانى من الماعب ، وشركة « ايفم » Efim ، لذ يد المونة للشركات الخاسرة في مجالات عديدة من القطاعات الصناعية . وكانت الفكرة هي جعل هذه الشركات مزدهرة من جديد ، كي تحصل بعدئذ على إدارة خاصة بها . ولكن ظهر ذلك مستحيلاً ، لأن الأزمة الاقتصادية لم تتوقف عن التفاقم ، لهـذا جرى التوسل بإلحام إلى « آ. ر. ي » رايني » أن تتحاشى تصفية القطاعات التي تعاني من الأزمة ، والذي كان ذلك سيؤدي لا محالة إلى تسريحات في صفوف العال ، ولكن أدى إبقاؤها على قيد الحياة إلى تحويل أرباح صادرة من قطاعات أخرى ، وهكذا بادرت شركة « آ. ر. ي » لنجدة أكبر شركة كياوية إيطالية ، تعاني من المصاعب وهي شركة مونتيديزون . وقد أدى تفاة الأزمة الاقتصادية مع التدخل السياسي ، إلى خسارة شركة « آ. ر. ي » مبلغ ٥,٨ ملايين دولار ، وارتفع مجل ديونها إلى ١٥,٥ مليار في أواخر عام ١٩٧٦ ، في حين كانت ديون شركة « ايني » ٤,٧ مليارات ، كا صعدت ديون شركة علة المسائل الاقتصادية _ ٥ تموز ١٩٧٨ مونتيديز ون إلى أكثر من ٣ مليارات .





الطاقة والصناعة:

لإيطاليا حصيلة طاقية قليلة أصلاً. وبماأن إيطاليا دولة فقيرة بالفحم، لأن إنتاج الانتراسيت من قال داوست ، وفحم كاربونيا الايوسيني لا يزيد عن مليون طن ، فإنها تضطر لاستيراد أنواع لا غنى عنها للصناعة الحديدية فيها . وعلى كل لا توفر أنواع الوقود الصلب أكثر من ٤٠٪ من الطاقة . وتقدم الكهرباء الأولية ما يزيد قليلاً عن ٨٠٪ . وتعتبر المراكز الكهرمائية المصدر الرئيسي ، ويقع ٧٠٪ منها في جبال الألب ، التي تقدم على الخصوص الإنتاج الصيفي ، وتقدم شبه الجزيرة ٨٨٪ ذات الإنتاج الشتوي . ويتحقق ترابط هذه الشبكة أيضاً بواسطة المراكز الحرارية ، والطاقة الحرارية الأرضية في الارديرللو في توسكانيا والمراكز النووية الأربعة . غير أن الوقود السائل هو الذي يوفر القسم الأعظم من الستهلاك الطاقة ، حيث يقدم النفط ٥٨٥٪ والغاز الطبيعي ٥٥٥٪ ، وبالرغ من إنتاج غاز الميتان وطنياً ، فإن التبعية تظل كبيرة ، كا أن صعود أسعار النفط في أواسط السبعينات كان شديد التأثير وتستورد شطراً كبيراً من الغاز الجزائري بواسطة أنبوب بحري ينطلق من ميناء الصخيرة التونسي .

أما الفروع الرئيسية الصناعية فهى:

- وتأتي المنسوجات والألبسة في رأس القاعّة ، نظراً لرسوخ قدم هذه الصناعة في التاريخ ولعدد العاملين فيها . وتكون صناعة القطن هي الأكثر غوا ، ويقع ٩٥٪ منها في الشال . أما الصناعة الصوفية ، فتعتد جزئياً على تربية الماشية المحلية ، وتكون أكثر تبعثراً ، فنجدها في البيونت وفي إقليم البندقية وفي توسكانيا . ولقد كان الحرير الطبيعي أحد أكبر الاهتامات في مدن الحافة

الألبية . أما المنسوجات الكياوية التي لحقت بالحرير ، بتأثير الشركات الكبرى مثل سنيافسكوزا بالنسبة للحرير النباتي ، ومونتيديزون بالنسبة للنايلون ، فقد انضت في مصانع ضخمة حول ميلانو .

- أما الصناعة الحديدية ، فهي حديثة النشأة ، فإيطاليا المحرومة من فحم وطني ، والفقيرة بالحديد ، لم تستطع أن تصب أول سكيبة من الفونت إلا في ١٨٩٩ . ولقد ساهم دخولها في الجماعة الأوروبية للحديد والفولاذ وتمركز شركاتها الصناعية ، وعلى الخصوص مؤسسة فينسيدر Finsider والموقع الساحلي ، أقول ساهمت جميعاً في رفع الإنتاج الحالي إلى ١٣ مليون طن من الفونت (الصهير أو الحديد الزهر) ، و ٢٤,٦ مليون طن من الفولاذ في ١٩٨١ . وتعمل الأزمة الحالية على الحيلولة دون استخدام مصانع الحديد في الجنوب ، في إقليم تارنت ، بكامل طاقتها .

ما الصناعة الميكانيكية فهي أحسن تواؤماً في قطر غني بالأيدي العاملة ، والذي يستطيع تصنيع منتجات الصناعة الحديدية . وهكذا نجد أن صناعة السفن ، تخلق حيوية ترسانات جنوا وتريستا ولاسپيزيا . غير أن فرع صناعة السيارات ، يظل أكثر شهرة على المستوى العالمي . وإذا كان إنتاج السيارات يبلغ وسطياً ١,٨ مليون سيارة ، فإن شركة فيات تقدم ٩٠٪ من هذا الإنتاج ، وتأخذ شركة آلفاروميئو على عاتقها إنتاج قسم من الباقي ، ولا سيا تجميع سيارات رينو الفرنسية . وتتدخل صناعة المركبات ذات العجلتين ، والصناعات الجوية والمكائن الزراعية والأدوات المكتبية ، والكهربائية المنزلية ، أو المنتجات الألكترونية في توفير العمل أيضاً لأكثر من ٢٠٠,٠٠٠ نمة .

ما الصناعات الكياوية ، فتكون منضة لمجموعات قوية ، تكون البتروكيياء هي الأصل أحياناً . وعلى خلاف ذلك تكون الصناعات الغذائية شديدة التنوع والتبعثر ، فهناك ١٥٠٠ معمل للمعجنات الغذائية ، ولتصبير

الخضار والفواكه ، ومصانع السكر ، ومعاصر زيت الزيتون، وصناعة الأجبان في الشمال . ولم يعد لصناعة البناء والأشغال العامة تلك الحيوية التي كانت لها خلال الخسينات والستينات ، لأن صناعة البناء لا تقدم أكثر من ١٦٠,٠٠٠ مسكن في العام ، كا أن عصر بناء طرق السيارات العريضة Autoroutes قد مضى .

	إحصائيات ١٩٧٨	1441
الكهرباء	١٦٧ مليار كيلواط	۱۸۱ ملیار کیلواط
غاز طبيعي	۱۳٫۳ ملیارم۳	۱۶ملیار م
فونت	١١,٤ مليون طن	١٢,٤ مليون طن
فولاذ	۲٤,۲ مليون طن	٢٤,٦ مليون طن
السيــارات		
السياحية	۱٫۵۱۰٫۰۰۰ سیارة	١,٢٥ مليون سيارة
السيارات		
النفعية	۱٤٧,۰۰۰ سيارة	١٦٤٩٠٠ سيارة

فيات لقد تأسس المعمل الصناعي للسيارات في تورينو FIAT في عام ١٨٩٩ ، على يد تسعة من مواطني تورينو ، منهم السنيور آنييللي التي لا تزال عائلته تدير المؤسسة ، مع ٥٠ عاملاً في ذلك الوقت . أما اليوم فتلك الشركة ٣٠ مصنعاً منها ١٨ في تورينو ، وفي منطقة البيونت ، والتي توفر العمل لقرابة ٢٠٠,٠٠٠ نسمة ، وأكثر من ٣٧ مصنعاً آخر في خارج إيطاليا . وتنتج شركة فيات ، التي تحتل المكانة الثانية بين منتجي السيارات في أوروبا ، بعد « سيارة الشعب « فولكسفاغن » والخامسة في العالم ، مقدار ٤٥٠٠٪ من السيارات العالمية ، أو ١,٦ مليون سيارة في العام ، إلى جانب ٤٥٠٠٠ جرار « تراكتور » وعربات السكك الحديدية ، ومحركات السفن ، وعركات طائرات ، ومكائن صانعة .

و يمكن تفسير مثل هذا النجاح بأساليب صناعية مؤتمتة للغاية . فيلك مصنع ميرافيوري في البيونت مثلاً مصاهر حديد خاصة به ، وتكون كل سلسلة تجميع متخصصة في نوع من السيارات . ولتجميع ٢١٦ كيلو متر من الناقلات الموائية ، و ٢٥ كيلو متر من الخطوط الحديدية ، و ٢٥ من الأنفاق الباطنية والعديد من الطرق .

ويتحقق التكوين المهني للعال منذ عام ١٩٢٢ في مدرسة مركزية لتدريب عمال فيات ، حيث

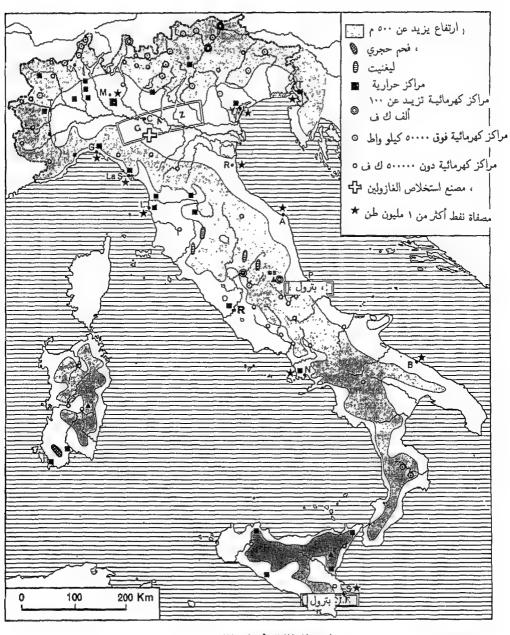
يضطلع بمهمة التدريس ١٢٠ مهندساً . وينصرف الكثير من الكوادر أيضاً إلى البحث الذي يمتص ما بين ٣ إلى ٤٪ من ميزانية الشركة .

ويتحقق الشطر الأعظم من التنية عن طريق التويل الذاتي ، بحيث لا يمثل الاستقراض أكثر من ٦ إلى ٧٪ من ميزانية الشركة ، وقد اتبعت فيات في الوقت ذاته سياسة تكامل عمودي ، ففي العالية لديها معامل فولاذ خاصة ومصانع التصفيح منذ ١٩١٧ ، وفي السافلة تقوم بتنية وبتوسيع شبكة مبيعاتها وورشة التصليح والصيانة ، سواء في إيطاليا ، حيث يبلغ عدد مراكز التصليح ١٥٠٠ ، أو في الخارج حيث تملك ٥٣٠٠ مركز صيانة موزعة على ١٥٢ قطراً ، كا عقدت اتفاقات مع الاتحاد السوڤييتي البلاد لإنتاج طراز لادا الروسية ، ومع پولونيا ، وراحت اعتباراً من ١٩٧٧ تنشر مصانع التجميع في البلاد الأجنبية . وأخيراً تعطي الإدارة اللامركزية المرونة التي لا غنى عنها ، بفضل ست إدارات مختصة بالإنتاج ، وتتتع باستقلال ذاتي واسع .

أهمية الوقود السائل

يتجاوز استهلاك إيطاليا من النفط المئة مليون طن ، ولكن الإنتاج الوطني لا يعطي أكثر من مليون طن ، يستمد على الخصوص من آبار صقلية ، من حقلي جيلا Gcla و راقوزة ، أي في وضع عائل وضع اليابان تقريباً بالنسبة للطاقة . ولقد حصلت شراييني على امتيازات استغلال في أقطار الشرق الأوسط وفي المغرب ، وتقدم لبلادها النفط السوثياتي المكرر مقابل الأنابيب . ولتأمين حاجاتها المحلية وللتصدير ، تملك إيطاليا طاقة تكرير تبلغ ٢١٢ مليون طن ، تتوزع مصانعها على الخصوص على السواحل ، وأصبحت ذات فائض تصديري كبير منذ الأزمة النفطية في ١٩٧٣ .

وصعد إنتاج الغاز الطبيعي ـ بتحريض من شركة يني ـ منذ الحرب العالمية الثانية . وهكذا تنطلق من مكامن كورتيا عجيوره وكافياغه قرب مدينة بولونيا أنابيب طولها ١٠٠٠ كم ، توزع غاز الميتان على سائر إيطاليا الشمالية . وقد اكتشفت مكامن جديدة في الجنوب وفي المياه الإقليمية على ساحل الآدرياتيكي تجاه راڤين . ولكن إيطاليا تعتمد أكثر فأكثر على استيراد غاز الصحراء الكبرى ، بواسطة ناقلات الغاز الميع ، وبعد قليل ستتد أنابيب تنقل الغاز من تونس وصقلية والغاز السوئياتي والمولندي بواسطة قنوات ضخمة .



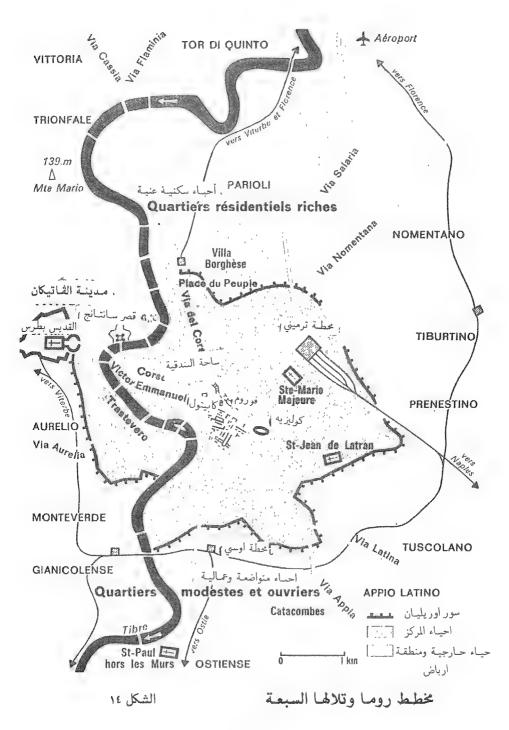
مصادر الطاقة في إيطاليا

الشكل ١٣

مدنية حضرية

بعد أن كانت المدنية العمرانية نامية على نطاق واسع منذ العصر القديم، راحت تزدهر في العصر الوسيط. وهناك القليل من الأقطار التي تحتفظ مثل إيطاليا بطابع المدن القديمة ، ذات الأحياء الحاوية على شوارع ضيقة محفوفة بحوانيت الباعة العتيقة والتي تتلاقى في ساحة مركزية ، حيث تقوم الكاتدرائية والقصر اللذان يجسدان ثراء العارات الهندسي . وتكون هذه المدن عديدة ، لأن تجزّؤ البلاد الطبغرافي ، قد ساعد على الاحتفاظ بالتجزؤ السياسي لمدة طويلة : وكثيراً ما نجد الأسوار ماثلة ، أو تتخلى أحياناً عن مكانها لشوارع عريضة دائرية. فلا تزال في إيطاليا « نفسية التحزبات الحلية » والتنافس بين الأحياء حتى أيامنا هذه (الياليو في مدينة سيّان Sienne) الواقعة بين روما وفلورنسا .

هذا وقد كانت الطفرة الديموغرافية متأخرة في المدن: فقبل قرنين من الزمن لم يكن في ناپولي سوى ٢٥٠,٠٠٠ نسبة ، وروما ١٦٠,٠٠٠ نسبة ، وكل من پالرمو والبندقية ١٤٠,٠٠٠ نسبة وميلانو ١٣٠,٠٠٠ نسبة . وقد منحت الوحدة الإيطالية مدن العواصم القديمة حيوية جديدة مثل تورينو ، وبعدها فلورنسا وأخيراً روما . أما الدعم الصناعي للمدن فلم يظهر مفعوله إلا منذ ٩٠ سنة . ويعيش ثلثا الشعب الإيطالي في أيامنا في ١٧٥ بلدة ، يزيد عدد سكانها عن ويعيش ثلثا الشعب الإيطالي في أيامنا في ١٠٥ بلدة ، يزيد عدد سكانها عن المردن نسبة . وقدم المدن التي تحوي أكثر من ١٠٠,٠٠٠ نسبة ، وعددها ٤٧ ، أكثر من ١٦ مليون نسبة . وهناك أربع مدن مليونية هي روما (شكل ١٤) وميلانو ونابولي وتورينو . هذا ولا تبدو المدن الشديدة الحيوية قادرة على ضبط غوها .



_ YTE _

وهناك « عائلات حضرية » تتفرّد بشكل صريح :

- فتحوي إيطاليا الشمالية نثيراً كثيفاً جداً من المدن ، مع هيكل عمراني جيد التسلسل ، حيث تهين المدينة العملاقة ميلانو ١,٨ مليون نسمة ، والمدينة الصناعية تورينو ١,٢٥ مليون ، والمدينتان الهامشيتان وهما جنوا ١٠٠,٠٠٠ والبندقية تدرينو ١٠٠,٠٠٠ نسمة . وتتضافر كل العوامل هنا لتحقق شرائط التفتح العمراني ؛ كسهولة المواصلات في نطاق سهلي فسيح ، واتصالات ميسورة مع العالم الخارجي ، سواء عن طريق البحر أو عن طريق البر لوجود المرات الألبية ، وتماس مناطق متكاملة نظراً لوجود مدن حضيض الجبل على الهوامش ، والأسواق الزراعية في قلب السهل ، والثروات الطاقية الجديدة لوجود الطاقة الكهرمائية في الألب ، والغاز الطبيعي في المناطق المنخفضة ، ولوجود تقاليد اريستوقراطية عريقة ومن ثم بورجوازية ، وغني المنطقة بذوي المبادهات والرساميل ، ووجود وضع اقتصادي مسيطر منذ مدة قرن من الزمن .

- وليس لإيطاليا الوسطى صناعات حديثة مماثلة . فالمدن هنا تتخذ بالأحرى سياء مدن متاحف ، مما يزيد جاذبيتها السياحية ، وتشذ فلورنسا عن هذه القاعدة ، ٥٠٠,٠٠٠ نسمة ، نظراً لأن إشعاعها يتجاوز إقليم توسكانيا ، وكذلك شأن العاصة روما ، التي تضم أكثر من ٣ ملايين نسمة بفضل وظائفها اليومية .

- هذا وتكون مدن الجنوب عبارة عن بؤر فقر . فهي عبارة عن جزر عافظة اجتاعياً ، ومقر بؤس الجنوب أو الميزوجيورنو ، ولا تؤمن صيانة عمائرها الا بصعوبة كبيرة ، كا لا توفر المسكن لسكانها إلا بصعوبة ، بعد أن تعرضت لتدمير الحرب العالمية الثانية ، تواجه جميعاً ، حتى أكبرها وهي نابولي ، ١,٣ مليون نسمة ، وبالرمو ، ٧٥٠,٠٠٠ نسمة ، مشكلات خطيرة على الصعيد الاجتاعي والاقتصادي .

ميلانو: مدينة عملاقة (متروپول)

ميلانو هي أكثر من مدينة ، إنها منطقة حضرية مؤلفة من ١٧٠ ناحية ، تضم قرابة ٤ ملايين نسمة . وهي عاصة إيطاليا الاقتصادية . ففيها تستقر شركات صناعة الحديد الكبرى مثل بريدا ، فالك ، والميكانيكبة مثل آلفا روميئو ، واوتوبياتشي ، والكهرمعدنية والكياوية مثل مونتيديزون ، پيريللي ، سنيافيسكوزا ، والغذائية مثل مدتا وآليانتا ، حيث تضم ميلانو إداراتها المركزية ومصانعها ، شأن شركة « ايني » في حي ميتانو ، ضمن تلك العارات الشائقة ، التي تعتبر تجسيداً لمجد إيطاليا الحديثة في المضار الهندسي . وهنا أيضاً يقع أول مركز تجاري في البلاد مع معرضها الدولي حيث تعقد فيها ٣٠٪ من الصفقات التجارية ، وكذلك السلاسل الكبرى لتجارة التجزئة ، مثل شركة ستاندا ويناشنته ، وأكبر مركز مالي مع مصارفه وبورصة الأسهم . وهي أول بؤرة ثقافية : من لم يسمع بسرح سكالا ، وبالجامعات وبدور النشر ، التي تشكل الإشعاع الدولي لهذه المدينة الكبرى ؟

غير أن تنظيم هذه المدينة لم يزل دون المرغوب ، إذ لم يكن بعد السيطرة على نموها العمراني . فهناك نطاق عراني جرى تنظيه قبل الحرب العالمية الثانية ، والذي كان محصوراً ضمن شارع عريض دائري ، وهو يغطي ٢٠٠٠ هكتار ، ويضم ٢٠٠٠،٠٠ نسمة . ويميز في داخله « المركز التاريخي » ، الذي يسكنه ٢٨٩ نسمة ، والمحدود بشارع يواكب مجرى القنوات القديمة . ذاك هو قلب المدينة مع الكنيسة الكبرى وقصر البلدية ومسرح سكالو . ويتحول هذا الحي إلى « سيتي » ، وتمتد حول المركز التاريخي وحتى الشارع الدائري الثاني ، أي شارع باستيوني ، أو الجدار الإسباني ، أحياء سكنية أو الخدمات الحضرية . ونجد فيا وراء ذلك مجموع كبير من مساكن تكاد تكون متاثلة مع بعض الأحياء المتخصصة مثل : « مركز الإدارة » قرب المحطة المركزية ، ناطحة سحاب شركة پيريللي ، ونجد بعدئذ حى « أطراف » ميلانو ومساحته ١٩٢١٢ هكتاراً ويضم ١١,١٢٦٠٠٠ نسمة .

وقد نشأت مشكلات عديدة عن هذا التقدم العمراني ، كاختناق المواصلات رغم وجود المترو ، وتلوث الهواء والماء ، والمضاربة العقارية الشديدة . وقد ظهر مخطط عمراني بين النواحي المجاورة ولكن تنفيذه بطىء .

دلماسو وزملاؤه . المدن الإيطالية . دار نشر لاروس ١٩٧٧

روما: يبدو أن روما التي تعتبر رأس إيطاليا ، ورأس النصرانية ، والتي تضم قرابة ثلاثة ملايين نسمة ، يبدو أنها استفادت فائدة ضخمة من وضعها المركزي ، سواء في شبه الجزيرة ، أو في مجمل البحر الأبيض المتوسط . ولكنها لم تستفد أحياناً وفي الوقت ذاته من هاتين الميزتين . فقد كادت هذه العاصمة

القديمة التي كان عدد سكانها يتجاوز المليون في العصر الذهبي للإمبراطورية الرومانية ، أقول كادت أن تتلاشى ، وأن تتعرض لحكم الفناء لولا استرارية وظيفتها الدينية . ففي عام ١٨٧٢ لم تكن آكثر من مدينة متواضعة ، يسكنها حوالي ٢٤٠٠٠٠ نسمة ، وكانت شبه ضائعة في ريف روماني معزول ووخيم ، على مسافة ٥٠ كيلو متراً من مصب نهر التيبر المستنقمي . وكان عليها الانتظار حتى إنجاز الوحدة الإيطالية ، كي تسترد من جديد دورها كماصمة سياسية . وهكذا عادت روما ، ببطء في البداية ، وبسرعة أكبر منذ نهاية الحرب العالمية الشانية ، عادت مدينة كبيرة جداً . وتعتبر وظيفتها السياسية والإدارية جوهر وجودها . فلم تفلح هذه المدينة في أن تصبح بؤرة صناعية مرموقة ، ولمسات السياسية والإدارية عبورة عن مؤسسات نهي لا تستخدم أكثر من ٨٪ من سكانها العاملين في مصانعها وفي النقل ، بل هي عبارة عن مؤسسات ترتبط بركز استهلاكي كبير ، وبذلك تتألف صناعاتها من صناعة الأجهزة التلفونية ، والأدوات المتعلقة بالأشغال العامة وبصناعة البناء ، وبصناعة النسيج التركيبي والمنتجات الصيدلانية ، وصناعة السياسية بالأشغال العامة وبصناعة البناء ، وبصناعة النسيج التركيبي والمنتجات الصيدلانية ، وصناعة السياسية بالمشاهد الهندسية العمرانية فحسب ، بل بتكوين وظائف عمل جديدة وعديدة : ففي كل شهر يفد بالمشاهد الهندسية العمرانية فحسب ، بل بتكوين وظائف عمل جديدة وعديدة : ففي كل شهر يفد الاف من أهل جنوب شبه الجزيرة إلى العاصمة التي لا تتوقف عن التوسع .

أما الوظيفة الدينية ، التي لا تنحصر في دولة الفاتيكان ، فإنها تساهم في دع هذه العاصمة المهيبة . فلدى الفاتيكان الكثير من السفراء المعتدين من قبل العديد من الدول الأجنبية ، وحتى من قبل الجمهورية الإيطالية ذاتها . وتعتبر كنيسة القديس بطرس قطب جذب للحجاج والسياح ، الذين يكونون شديدي التأثر بتكاثف الأبنية والمواقع التاريخية ، فوق أرخبيل عمراني مؤلف من سبعة تلال من صخر الطف البركاني ، التي تشرف من علو لا يتجاوز بضعة أمتار ، فوق سطح البرية الرومانية المنبسطة ، وتتحكم من قرب في المنخفضات التي يقوم فيها الفوروم وميدان مارس . غير أن هذه المدينة التي لم يكن لها ربض حقيقي أبداً ، عتد اليوم لما وراء سور الامبراطور أوريليان القديمة ، أي فوق السهل الواقع إلى الجنوب من المدينة ، وعلى الهضاب الشالية والشالية الشرقية على ضفتي نهر التيبر .

المدن والمناطق وحدة ومفارقات

نظراً لتأخر إيطاليا في تحقيق وحدتها السياسية ، فقد اتخذت لنفسها بنى متركزة ، وجعلت من روما عاصمة رمزية منذ عام ١٨٧٠ .

فهناك وحدة لغوية شبه شاملة ، لأن الإيطالية هي لهجة توسكانية قديمة ، ولكن اللغة الإيطالية تتجاوز الحدود إلى سويسرا ، لأنها هي السائدة في كانتون تيسّان Tessin ، هذا بينها يتكلم سكان إقليم قال داوست Val d'Aoste الفرنسية ، في الوقت الذي يتكلم سكان التيرول الجنوبي الألمانية . ولا يزال في قلب البلاد جيبان صغيرا الأبعاد هما جمهورية سان ماران (۱) ، التي تعود إلى القرون الوسطى ، ومدينة القاتيكان التي تؤلف كياناً رمزياً بعد اتفاقيات لاتران عام ١٩٢٩ ، التي تحد من سيادة البابوية الأرضية . هذا ويكون للجزيرتين الكبيرتين ، سردينية وصقلية ، أكثر من طابع خاص ، ولا سيا على الصعيد الاجتاعى ، مثل جماعة المافيا الرهيبة ، والناجمة عن بنى إقطاعية قديمة .

وقد كرّس الدستور الجمهوري لعام ١٨٤٨ ما يلي :

- البنى الوحدوية مع مستويات إدارية مختلفة وحياة سياسية : ٨٠٠٠ ناحية (كومّون) ، ٩٢ إقليم ، ٢٠ منطقة والسلطة المركزية .

⁽۱) أو سان مارينو : جمهورية صغيرة ضن شبه الجزيرة الإيطالية ، مساحتها ١٤ كيلو متر مربع وسكانها ٢٠٠٠ نسمة ، أرضها نسمة ، وتقع إلى الشرق من فلورنسا قرب ساحل الآدرياتيكي ، عاصتها سان ماران ٢٢٠٠ نسمة ، أرضها خصيبة ، يقال : انها تأسست في القرن الرابع عشر على يد سان مارينو ، وقد احتفظت دائماً باستقلالها . ويمارس السلطة التنفيذية فيها قائدين وصيّين يتم اختيارهما لمدة ٦ شهور ، بواسطة المجلس الكبير العام الذي يتم انتخابه مباشرة لمدة ٩ سنوات ، وقابل للتجديد بنسبة الثلث في كل ٢ أعوام .

- الإقليمية : فبين المناطق العشرين ، توجد خمس مناطق ذات كيان ذي استقلال ذاتي .

والحقيقة هناك القليل من الدول الأوروبية التي تحوي مثل إيطاليا من مفارقات جوهرية إقليمية .

فهناك مفارقات اقتصادية عظية بين الشال والجنوب . فالجنوب يحتوي على الخصوص مجالات عمل زراعية ، في حين يضم الشال لوحده ثلثي العمال الطليان من ذوي الأجور الصناعية ، وحتى لو صرفنا النظر عن عدد مجالات العمل ، فإن إنتاجية العمل ذاته تكون أشد قوة بكثير في الشال مما هي في الجنوب . وهكذا تكون الزراعة عصرية جداً في الشال ، كاستعمال الأسمدة والميثكنة ، في حين نرى في الجنوب مواكب العمال الزراعيين البؤساء ، مما يشكل دليلاً على نظام ريفي عتيق .

هذا ويتباين مستوى المعيشة لدى السكان بنسبة واحد إلى أربعة . فبعد المنطقة اللومباردية البيونتية حيث تمخض التصنيع عن رخاء عام ، نلاحظ أن الوضع يأخذ في التقهقر باتجاه البحر الآدرياتيكي ونحو وسط شبه الجزيرة والجنوب . ولا تزال إيطاليا الوسطى حاوية على مدن نشيطة وأرياف بهيجة ، توفر مصادر رزق عائلية على مستوى لائق . ولكن إلى الجنوب من روما تبدأ بالظهور مناطق يكون الفقر العام فيها هو القاعدة ، وتبلغ حدها الأقصى في بازيليكات (لوكانيا) ، أي عند بطن قدم الجزمة الإيطالية ، وفي مرتفعات كالابريا وفي غربي صقلية .

ويزيد من حدة هذه الاختلافات الوضع الديموغرافي والبطالة . ففي منطقة الميزّوجيورنو Mezzogiorno ، أي جنوب خط عرض روما تقريباً ، يكون النو الديموغرافي هو الأكثر سرعة ، وهو طابع مميز للأقطار الناقصة النو

وذات اقتصاد تغلب عليه الصفة الريفية ، وهذه المناطق هي التي تتعرض لأشد المصاعب . وفي الوقت الذي تتقهقر فيه البطالة كثيراً في الشال ، لا يـزال الجنوب يحتفظ بشكلين مألوفين من البطالة هما : البطالة الكلية التي تصيب أكثر من مليون نسمة ، والبطالة المقنعة ذات المشاهد العديدة ، مثل العال الزراعيين الذين لا يعملون أكثر من ١٠٠ أو ١٥٠ يوماً في العام ، وصغار الفلاحين الحرومين من الأرض ، وصغار الحرفيين ، والباعة المتجولين في الأرياف ، أو في الشوارع من ذوي الكسب غير المنتظم ، وهكذا يكون الميزوجيورنو هو الجال الكبير للذين يتلقون العون الاجتاعي .

المشكلات الإقليية:

لقد كان الكفاح ضد الاختلافات الإقليمية ، هو الاهتام الأول لدى السلطات العامة الإيطالية ، منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، ولا سيا العمل المستر لفائدة الميزوجيورنو .

والواقع لقد كانت قوانين الإصلاح الزراعي لعام ١٩٥٠ ، تتخذ أبعاداً وتنوعات متوائمة بشكل خاص مع أوضاع الجنوب . ولكن جاء إنشاء صندوق الجنوب في عام ١٩٥٠ على الخصوص ، وهي مؤسسة ذات استقلال ذاتي قامت لمدة ١٠ سنوات ، ولكنه استقلال أصبح دائماً بصورة عملية ، ويستفيد من حصص في الميزانية الخسية ، أقول : جاء ليضيف لتوظيفات الوزارات قوة تدخّل اقتصادي أصيل .

وقد استطاع هذا الصندوق أن يحصل على مصادر تمويل خارجية على شكل قروض من البنك الدولي ، ومن البنك الأوروبي للاستثمارات ، ولا سيا منح من اعتادات عون التنبية الإقلينية ، التي تساعد المناطق الأخرى ، ضمن الجماعية الاقتصادية الأوروبية .

وقد اتجه عمل الصندوق في البداية نحو البرامج العقارية ، والتحديث الزراعي ، والبنى الأساسية في زمن كان الاهتام فيه منصرفاً نحو ترجيح الكفاح ضد بطالة الريفيين ، والعزلة بالنسبة لبقية البلاد . وابتداءً من عام ١٩٥٧ انصرف الاهتام نحو التصنيع ، ولا سيا إقامة وحدات كبيرة في بؤر التصنيع ، فأصبح لزاماً على هولدنغ الدولة أن يحقق ٤٠ بالمئة من استثاراته الجديدة في الجنوب . ففي تلك الفترة قامت مصانع مونتيكاتيني في برنديزي ، وشركة ايتالسيدر في تارنت ، وفيات في باري Bari ، وآلفار وميئو واوليڤتي في نابولي ، وآنيك في جيلا Gela في جنوب صقلية . وقد أصبح التنظيم الإقليمي منذ عشرة أعوام أكثر اتساعاً ، فأصبحت السياحة تلعب دوراً أكثر أهمية ، وأصبح على الجنوب أن ينو بصورة مستقلة أكثر من أن يحاول تقليد الشال كي يلحق به .

وقد كانت النتائج مشجعة ، فقد أمكن استصلاح وريّ ٥٠٠,٠٠٠ هكتار في القطاعات المستصلحة بدع الصندوق خلال ٢٠ سنة ، ولا سيا في سهول كاتان في صقلية ، وفي فلومندوزه في سردينيا ، وفي فولتورنو قرب ناپولي ، وفي فورتوره قرب فوغجيا . وإذا حسبنا التقدم بالعملة الثابتة ، وجدنا أن قية الإنتاج الزراعي قد تضاعفت في الجنوب ، ولكن النجاحات كانت متفاوتة ، فقد كانت أكثر من ٧ ٪ في العام في السهول المستصلحة و ٢ ٪ في الماطق الأخرى .

وقد سمح قيام شبكة طاقيّة جديدة من غاز طبيعي وخطوط كهربائية ، فضلاً عن ٢٠٠٠ كيلو متر من الطرق الرئيسية والخطوط الحديدية ، والموانئ العصرية ، أقول : سمح للجنوب بتحقيق ١٧ بالمئة من الناتج الصناعي الإيطالي ، وكانت حصيلة التوظيف / التسريح في مجال الاستخدام إيجابية ، إذ زادت مجالات العمل بمقدار ٢٠٠,٠٠٠ بين ١٩٥١ و ١٩٧١ ، هذا على الرغم من أن الشركات الكبرى الصناعية لم تستطع أن تخلق مجالات عمل جديدة بسبب الأقتة

عند المتعدد ا

كيف يمكن تفسير تأخر إقليم الميزّوجيورنو ؟

لا تفسّر العوامل الطبيعية كل شيء ، وإن كان من الصحيح القول بأن الجنوب ظل يحتفظ بسهول مرزغية وخية لأمد طويل ، وبجبال شديدة التخديد ، كا كانت المواصلات فيه عسيرة ، ولا تقل موارد باطن الأرض فقراً عن موارد سطحها . ولكن للشال أيضاً نطاقاته المعرضة للفيضان ، ومناطقه الوخية الوبيئة وتُربه الهزيلة . هذا كا لا يتوزع حظ الجنوب التعيس في كل شبه الجزيرة الممتدة في البحر الأبيض المتوسط ، رغ وحدتها الطبيعية التي لا جدال فيها ، لا يتوزع بشكل منسجم ، كا لا يتع الشال في سائر مناطقه بنفس المستوى من الرخاء .

هذا مثلما لا يعود ذلك لعاهة موروثة ، ففي خلال العصور القديمة كانت صقلية وسردينيا من عنابر قمح القرطاجيين ، ومن ثم الرومان من بعدهم ، وكانت كل من نابولي وبالرمو في مطلع القرن العشرين ، أكثر أهمية وازدهاراً من روما وميلانو .

ويلعب ثقل البنى الزراعية دوراً كبيراً ، فقد عملت القرون العشرون التي سبقت من التاريخ على جعل الجنوب بلاد الملكيات الواسعة . فنذ العصور القديمة الرومانية ، كان تملّك الأراضي العامة من قبل أعضاء مجلس الشيوخ ، قد أوجد بية الأملاك العقارية الواسعة المستغلة بصورة واسعة وداعناه . وقد عمل النظام الإقطاعي في فترة الحكم النورماندي والنظام "روتيني الإسباني على توطيد هذه الأوضاع . وجاءت أوائل محاولات الإصلاح الزراعي لتؤدي إلى استفحال الوضع ، وذلك بالقضاء على حقوق الاستغلال . وجاء إلغاء أملاك رجال الكنيسة ، ليزيد من ثراء بعض أغنياء أبناء المدن أو بعض المضاربين العقاريين اليقظين . أما في المناطق التي كانت الملكية الواسعة لا تسيطر لوحدها ، فإن

الملكيات الفلاّحية المتفتتة بفعل تقسيم الإرث قد أصبحت من الصغر بحيث لا تؤمن معيشة أسرة عديدة بشكل لائق . ويستثنى من ذلك منطقة كامپانيا حول نابولي ، حيث كانت الملكيات الصغرى مستغلة بصورة حثيثة .

وجاءت أسرة الساقوا الملكية ، التي ألفت الجمارك الداخلية وجعلت من إيطاليا دولة متركزة على النبط الفرنسي ، لتعمل من حيث لا تدري على اختلال التوازن الإقليمي . وهكذا انطلق الشال الذي كان في أوج التحويل الاقتصادي ، والذي تميز ببورجوازية نشيطة وجيدة التسليح برؤوس الأموال ، انطلق لفتح الجنوب ولتوسيع أسواقه مستفيداً من حماية جمركية قوية (تعريفة ١٨٨٧) ، والتي كانت تعارض بالمقابل تصريف محاصيل الجنوب الزراعية في الأقطار الأوروبية الأخرى .

وأخيراً لم يكن التاريخ الحديث موامًا أبداً لإقليم الميزّوجيورنو ، فعلى الرغ من بعض الإنجازات الكبرى والتي لم تكن ذات تأثير كبير على الصعيد الاجتاعي ، فإن الحكومة الفاشيستية لم تعمل الكثير لتحسين مصير الجنوب بصورة جذرية . وقد كان البؤس الذي يطرد الرجال دافعاً طيباً للمرشحين لاستعار أفريقية ، والذي كان يدعو إليه نظام الحكم القائم . وكانت الحرب العالمية الثانية شديدة الضرر على الجنوب . يا لها من بقعة تتلقى شق ضروب المصائب بما في ذلك المافيا التي تزدهر على حساب بؤس وترويع الصقليين ! .

حياة الاتصالات وسائل المواصلات والتجارة الخارجية

تنح الشرائط ، التي يفرضها التضريس والمناخ على وسائل المواصلات الإيطالية ، مشاهد ذات أصالة .

فهذه البلاد لا تملك طرقاً مائية صالحة للملاحة باستثناء سهل الهو ، ويبلغ طول الشبكة المائية ٢٠٠٠ كيلومتر من المقياس الصغير ، ولا تنقل أكثر من ثلاثة ملايين طن . ويكون بناء الخطوط الحديدية مرتفع الكلفة ، لكثرة الأشغال الفنية من أنفاق وجسور ، وهذا ما يحد من استغلال الخطوط الحديدية ذات الحاور العريضة . وقد كان غو الشبكة الحديدية متأخراً ، فزاد طولها من ٢٠٠٠

كيلومتر عند تحقيق الوحدة الإيطالية إلى ٢٠,٠٠٠ كيلومتر حالياً . وتستغل الدولة مباشرة أربعة أخماس هذه الخطوط . وإذا استثنينا بعض الخطوط الكبرى التي جرى تصحيح مسارها ، فإن التحديث ينال أسلوب الجرعلى الخصوص ، ذلك لأن ثلاثة أرباع النقل يتم فوق خطوط مكهربة .

وهكذا يكون الطريق البري إذن أكثر وسائل النقل الداخلي شمولاً. فقد أضيفت إلى الطرق القومية ، منذ افتتاح وصلة ميلانو ڤاريزه ، مجموعة من طرق سيارات عريضة امتدت على ٥٠٠٠ كيلومتر ولاسيا باتجاه الجنوب . وهناك منظمة عامة هي آناس A.N.A.S ، التي تقوم ببناء محاور الطرق العريضة المجانية في منطقة الميزوجيورنو ، في حين تقوم شركات حكومية بحد طرق دولية «أوتوستراد » أو شركات خاصة تتقاضي عليها رسم المرور .

وتترابط الخطوط الحديدية وطرق السيارات العريضة بالشبكات الأوروبية ، بواسطة إنجازات هندسية رائعة هي الممرات الألبية ، وفي سبيل تيسير مرور القطارات ، تم في البداية فتح المحاور الكبرى نحو فرنسا ، انطلاقاً من تورينو وميلانو (نفق جنيس) ، أو نحو سويسرا وألمانيا من خلال ممر سمبلون وسان غوتار . ولقد استدعى اتساع واسترار النقل البري بالشاحنات بعد الحرب العالمية الثانية فتح ممرات خاصة بها ، مثل ممر مونبلان وممر سانبرنار الكبير . وتكون الطرق المتجهة غرباً هي الأكثر حركة . وكذلك يعتبر ممر البرينر الطريق المباشر من ألمانيا إلى إيطاليا عبر التيرول النساوي ، وهو عبارة البرينر الطريق للسيارات وللخطوط الحديدية . وهذاك أنابيب تجتاز الجبل عن شارع عريض للسيارات وللخطوط الحديدية . وهذاك أنابيب العابرة لجبال لتوزّع النفط المفرّغ في الموانئ الإيطالية ، وهكذا تنقل الأنابيب العابرة لجبال الألب T.A.L مقدار ٣٥ مليون طن من الوقود السائل من تريستا إلى ألمانيا .

وتجعل سيماء البلاد الجغرافية من الضرورة بمكان الاعتماد على المواصلات الجوية الداخلية بين الشمال والجنوب ، كا أن اتساع انتشار خط الساحل يهيئ

البلاد لحياة بحرية . وهكذا تملك إيطاليا أسطولاً تجارياً تزيد حمولته عن عشرة ملايين طن حمولة خام tjb ، وحسن التجهيز بناقلات النفط والغاز الحديثة ، والتي تخص مجموعة فيناره Finmere المدولنة فtatique أو تتبع شركات خاصة . وهناك العديد من الموانئ الإيطالية ، غير أن عشرة منها ، تستأثر معظم الحركة البحرية نذكر منها جنوا وتريستا وأوغوستا ، والتي تقوم فيا بينها مواصلات بحرية ساحلية هامة . وتسمح الاتصالات فيا بين الجزر ، والاتصالات مع اليونان وتونس ، أو الاتجاهات الأخرى الأكثر بعداً ، والتي يقصدها السياح أو المهاجرون ، أقول تسمح بقيام مجال فسيح لسفن الركاب أو البواخر المختلطة .

أما في مجال التجارة الخارجية ، فإن إيطاليا تبيع على الخصوص منتجات صناعاتها الميكانيكية والنسيجية فضلاً عن السلع الغذائية من باكوريات وخور وفواكه . أما في مجال الاستيراد فتكون المواد الأولية الضرورية للحياة الصناعية هي الغالبة ، مثل النفط وخامات المعادن وخردة الحديد Ferrailles والألياف النسيجية ، ولكنها تترك مع ذلك مجالاً واسعاً للمنتجات الغذائية أو المصنوعة . وتتعامل بصورة رئيسية مع بلاد السوق المشتركة على الصعيد التجاري . وبينا تترك المبادلات مع بلاد الجماعة الاقتصادية الأوروبية رصيداً إيجابياً ، نجد أن نسبة التغطية مع الأقطار المصدرة للنفط لا تتجاوز ٦٤ بالمئة . ويكاد يكون الميزان التجاري خامراً باستمرار ، ولكن يبدو أن العجز ويكاد على حجم ثابت .

إحصائيات النقل والتجارة ١٩٧٨ و ١٩٨١ الأسطول ١٠,٥ مليون طنة حولة خام الأسطول ١٠,٥ مليون طنة حولة خام الاستيراد بمليارات الليرات ٢٧٤٨٤ (١٠٣١٥ مليار ليرة التصدير بمليارات الليرات ٤٧٤٨٨ مليار ليرة نسبة التجارة الخارجية إلى الناتج القومي الخام ٢٣،٤٤ ٪

السياحة وميزان المدفوعات

تةتع إيطاليا بجاذبية سياحية كبيرة ، كعذوبة المناخ وطول مدة التشمس ، وروعة جمال المشاهد الساحلية أو الجبلية ، ولا سيا الحمية منها في أربعة منتزهات قومية ، وذكريات لاتحصى من التاريخ ، والأوابد ، ومرح الطبع الإيطالي ، والثروة الحرفية ، وجودة وتنوع مطاعها . وقد بذل الطليان كل جهد ممكن ، وتفننوا في استغلال هذه الهبات الطبيعية والفنية . وظهرت مؤسسات خاصة في البداية ، مثل نادي السياحة الإيطالي منذ عام ١٨٩٤ ، ونادي السيارات الإيطالي في ١٨٩٨ ، والتي تشرف عليها مؤسسات الدولة مثل اينيت E.N.I.T وفروعها الإقليية . هذا كا لجأت الحكومة إلى دعم ازدهار بنى الاستقبال بالتجهيزات والتمويل ، وهكذا تحوي إيطاليا ٤٠٠٠٠٠ فندق ، فضلاً عن الموتيلات على طول المحاور الكبرى للطرق ، هذا عدا عن السلاسل الفندقية .

وتكون الثروات السياحية الإيطالية متنوعة ، وتجد تحت تصرفها إمكانات استقبال في كل الفصول .

- ففي محطات جبال الألب ، وبالدرجة الثانية محطات جبال الأبينين ، فصل رياضة شتوية غاية في النشاط ، كا في سستريار Sestrières ، وفي كورمايور ، وكويتنا دامپيزو ، وفصل صيف تختلط خلاله جماهير الطليان المصطافين مع السفّار الأجانب المشتركين في رحلات جماعية ، عند انطلاقهم من بولزانو وميرانو باتجاه جبال دولوميت .

- وتضم السياحة الساحلية فصلاً ثانوياً شتوياً في الريڤييرا الليغورية ، وإلى الجنوب من ناپولي ، وفي تارومين أو في البندقية ، وفصلاً صيفياً رئيسياً حيث تتخذ بلاجات توسكانيا الفسيحة viareggio ، أو على سواحل الآدرياتيكي

(رييني) كل فتنتها وسحرها ، وكذلك الحال على ضفاف البحيرات اللومباردية .

- محطات الحمامات المعدنية والاستشفاء ، والتي تتخذ أحياناً شهرة دولية مثل (آبانو ، سالسوماجيوره ، ومونتكانتيني) .

- هذا وتؤلف المدن الفنيّة أخيراً ، إلى جانب المعابد القديمة والكنائس والقصور والمتاحف الحديثة ، مجموعة أثرية قلما تفتقر منطقة إيطالية إليها .

وكانت إيطاليا تستقبل قبل ١٩٣٩ سنوياً حوالي ٣ ملايين زائر أجنبي ، ولكن هذا الرقم أصبح يتجاوز الآن ٤٠ مليوناً . وإذا استثنينا أولئك الذين تقل مدة إقامتهم عن ٢٤ ساعة ، أي أتباع الرحلات ، والطليان المقيين في الحارج ، والذين يأتون لقضاء العطلة مع أسرهم ، فيبقى هناك حوالي ٢٧,٥ مليون سائح يقيم لفترة ما ، كا لوحظ ذلك في عام ١٩٧٧ . ويأتي هؤلاء غالباً بواسطة السيارة ، وتبلغ نسبتهم ٣٧ ٪ في حين تقل نسبة الذين يأتون بالباخرة يوماً بعد يوم ، ويؤلفون ١٩٢ ٪ والطائرة ١٠,٣ ٪ . ولكن القطار يتفوق بنسبة تبلغ يوم ، ويأتي الألمان في المقدمة من حيث العدد ، فبلغ عدده في السنة المذكورة ٥,٥ ملايين ، مثلما يتفوقون من حيث عدد ليالي البيت ، ويليهم الفرنسيون والسويسريون الذين يقارب عددهم ٦ ملايين ، ويأتي بعدهم النساويون ٧,٥ ملايين ، وسكان البيينلوكس ٣,٢ ملايين والبريطانيون ٧,١ مليون . وعلى الرغم من بعد الشقة على الأمريكيين ، فإن عددهم يصل إلى ٣,٢ مليون من الذين يمكثون في إيطاليا ، من خلال تجوالهم في أوروبا ، مدة ٣ أيام مليون من الذين يمكثون في إيطاليا ، من خلال تجوالهم في أوروبا ، مدة ٣ أيام مليون من الذين يمكثون في إيطاليا ، من خلال تجوالهم في أوروبا ، مدة ٣ أيام وسطياً .

وتأتي إيطاليا في الدرجة الأولى بين الأقطار الأوروبية من حيث العائدات السياحية ، التي بلغت في ١٩٧٧ مقدار ٤٧٦٢ مليون دولار مقابل

٤٣٧٧ مليون في فرنسا . ويعتبر فائض مداخيل السياحة البالغ ٣٨٦٨ مليون دولار في العام المذكور ، وسيلة جوهرية لتوازن ميزان المدفوعات في البلاد . أما في السنوات العجاف ، كا بين ١٩٧٤ و ١٩٧٦ ، فقد ساعد هذا الفائض مع مدخرات العمال الطليان العاملين في الخارج على تلافي شطر من العجز . كا ساعد منذ عام ١٩٧٧ بالإضافة للعون المالي الأجنبي على تثبيت وضع اللير الإيطالي بفضل تدفق العملة الصعبة .

البندقية : وهي بلا ريب أكثر المدن الإيطالية الكبرى إثارة للعجب ، ولكنها أكثرها عرضة للتهديد في الوقت ذاته . فهي تتميز بنشأتها ذاتها . فعلى أثر زحوف البرابرة ، التي عملت على سقوط الامبراطورية الرومانية ، وجدت الأقوام الثينيتية ، ومنهم اشتق اسم ثينيسيا ، أي البندقية ، ملجأ لها في الجزيرات التي تتناثر تجاه ساحل البحر الآدرياتيكي ذي اللاغونات lagunes . وكان أحد أكثر هذه النويات أهمية هو أرخبيل ريالتو ، الذي حكمه في عام ١٥٧ حاكم أو dux وهو جد الدوج . وفي ٨٢٨ سرق البنادقة بقايا جثان القديس مرقص من الإسكندرية (١١) ، ومن ثم أصبحت البندقية دولة عظمى بحرية في البحر الأبيض المتوسط ، وفي كل عام ، خلال الفترة الواقعة بين ١١٧٢ وحتى ١٢٧١ ، كان يجري مهرجان كونوبيو ، عند حلول عيد الصعود ، فيصعد الدوج متن طراد حربي اسمه بوسنتور يجري مهرجان كونوبيو ، عند حلول عيد الصعود ، فيصعد الدوج متن طراد حربي اسمه بوسنتور Bucentaure ويرمي بخاتمه في البحر ، وهو رمز زواج مدينة البندقية مع الماء .

ولقد أغنى هذا التاريخ الطويل مدينة البندقية بروائع فنية ، وبالكنائس وبالقصور وبالمتاحف وبالعارات شأن أقل منزل فيها ، والتي قامت فوق غابة من الأعدة الخشبية المغروسة في الوحول . وتتلاحم ١١٧ جزيرة بواسطة ٤٠٠ قنطرة التي تتخلّلها القنوات ، إذ يتم كل انتقال من مكان لآخر بواسطة المراكب ذات الحرك ، وحتى جمع القامة ، ونقل المرضى والموتى ، وكذلك تكون حركة تدخل رجال الشرطة والإطفاء بواسطة مركب الجندول . ويظل أهم طريق في المدينة هو الطريق المائي المسمى القناة الكبرى . غير أن هذا الموقع الجزيري يعتبر اليوم مصدر قلق ، فالمياه تتلوث بسرعة أكبر من سرعة تجددها ، مثلها فسد جو المدينة بسبب الدخان المتصاعد من المعامل الواقعة في الربض القاري في حي مسترو و يورتومرغيرا . ويؤلف انكباس subsidence القيمان البحرية تهديدا خطيراً للمدينة ، لأن ساحة القديس مرقص تتعرض أحياناً في حالة المد الأعظم إلى التغريق ، أي أن العنصر الذي يؤلف سحر البندقية قد يكون سبب فنائها .

⁽١) انظر وسف أفريقية تأليف الحسن الوزان « ليون الأفريقي » ، الذي صدر في الرياض في عام ١٩٧٩ وترجمه عبد الرحمن حيده .

فرنسا

جمهورية أوروبية تمتد على مساحة ٥٥١٠٠٠ كيلو متر مربع بما في ذلك البحيرات التي تشغل رقعة ٧٠٠٠ كيلو متر مربع ، يسكنها ٥٣,٢ مليون نسمة في ١٩٣٧ ، بعد أن كانوا ٤٦ مليون في ١٩٣٦ .

الموقع:

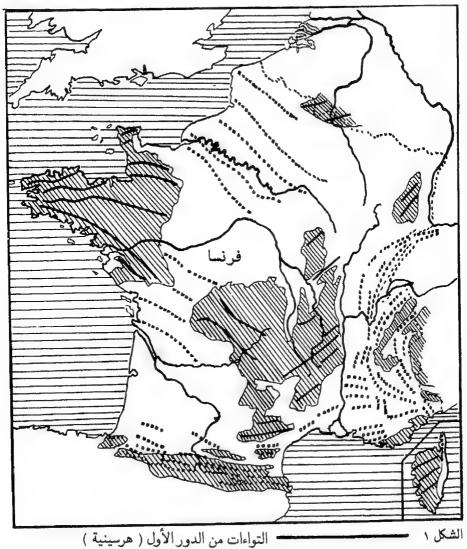
بما أنها تؤلف إحدى دول أوروبا الغربية ، فهي تقع بين درجة العرض ٢٦,٢ درجة و ٥١,٠٥ درجة شالاً ، وتتخذ شكل سداسي الأضلاع ، ثلاثة أضلاع بحرية ، وثلاثة قارية ، بحيث لا تتعدى أية نقطة فيها مسافة ٥٠٠ كم عن البحر . وتطيف مياه بحر المانش ، وبحر الشال ، والحيط الأطلنطي والبحر الأبيض المتوسط بسواحل تمتد على ٣٢٠٠ كم ، كا تمتد حدودها البرية ، التي تلامس بلجيكا ولوكسمبورغ وألمانيا من الشال الشرقي ، وألمانيا وسويسرا وإيطاليا من الشرق ، وإسبانيا من الجنوب الغربي على مسافة ٢١٠٠ كم . فهي دولة قارية وبحرية ، أطلنطية ومتوسطية « رومية »(١) في آن واحد .

كا تقع على مسافة واحدة بين القطب وخط الاستواء ، لأن خط العرض ٤٥ يمر من بوردو ومن قالنس ، أي تقع في قلب النطاق المعتدل ، مثلما تحتل من جهة أخرى أكثر البرازخ الأوروبية ضيقاً التي تفصل بين البحر الأبيض المتوسط وبين الحيط الأطلنطي . وبفضل هذا الموقع الفريد ، فقد كانت خلال التاريخ طريق مرور في السلم وفي الحرب ، ومكان التقاء مدنيات قادمة من البحر الأبيض المتوسط ومن الشال .

⁽١) أي على بحر الروم وهو اسم البحر الأبيض المتوسط عند الجغرافيين العرب.

تشكل الأرض:

لقد تمخض الالتواء الهرسيني في نهاية الحقب الأول ، عن ظهور كتل جبلية فوق الموقع الحالي لفرنسا ، والتي كانت حتى ذلك العصر مغمورة بمياه البحار ، كتل كانت طياتها متجهة في الغرب من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي ، ومن



التواءات من الدور الاول (هرسينيه) التواءات أو تموجات من الدور الثالث (ألبية)

الجنوب الغربي نحـو الشمال الشرقي في الشرق ، أي كانت تتخـذ شكل رقم ٧ ضخم . وقيد هاجم الحت erosion هذه السلاسل ، بعد أن ظهرت للوجود وحوِّلها مع الزمن إلى شبه سهل . أما في الحقب الثاني ، فقد دخل البحر في منخفضات هذه السلسلة ولم يترك منها سوى أجزاء منعزلة ، هي الكتلة المركزية « الماسيف سنترال » ، والكتلة الأرموريكية في شبه جزيرة بريتانيا ، والأردين قرب حدود بلجيكا ، وجبال القوج ، والتيرينيد في أقصى الجنوب الشرقي ، وتشكلت حوضات كبيرة تكدست فيها طبقات رسوبية سميكة . واستمر الترسب خلال الحقب الشالث ، ومن ثم وعلى أثر تقهقر البحر ، عامت هذه الأحواض ، التي تؤلف الحوض الباريسي والحوض الأكيتاني ، والفلاندر . وقد عمل الالتواء الألي في نهاية الحقب الثالث على انبثاق سلسلة جبال البيرينيه وسلسلة جبال الألب من أحد هذه الأحواض ، وهو مقعر حوض البحر الأبيض المتوسط ، الذي كان أحد أجزاء بحر التيتيس. وكان رد فعل الالتواء أن نهضت الكتلة المركزية وهضبة الآردين ، كا انفصلت جبال الڤوچ عن الغابة السوداء بانهدام وادي الراين . أما التيرينيد فقد انهار وخلف كتلة جبال المور ، أي « جبال المسلمين المغاربة » في جنوب شرق فرنسا ، وجبال ايسترل ، وجزيرة كورسيكا ، وتشكل ممر نهر الرون والساؤون . أما في الحقب الرابع فقد استقرت الجموديات في جبال الألب والبيرينيك والماسيف سنترال والقوج ، حيث عملت على تكييف التضاريس.

التضريس:

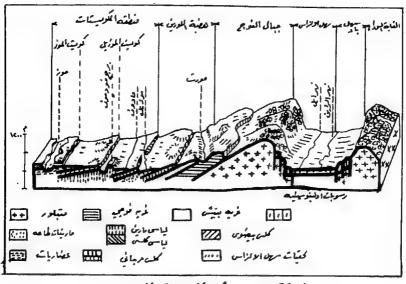
تضم فرنسا تضاريس شديدة التنوع ، ففيها الجبال والتلال والهضاب والسهول إلى يتجاوز ٤٣٢ متراً ونستطيع أن نميز فيها ما يلي :

أولاً: الكتل القديمة: وهي عبارة عن أجزاء من السلسلة الهرسينية ٢٥١ -



(شكل ٢). وتتخذ الكتلة الآرموريكية شكل مثلث ، ترتكز قاعدته على الحوض الباريسي ، ويتجه رأسه نحو الحيط . وقد تحولت إلى حالة شبه سهل ، فلا تحوي بالتالي سوى مرتفعات متواضعة في ارتفاعها مثل جبال آريه Arrée فلا تحوي بالتالي سوى مرتفعات متواضعة في ارتفاعها مثل جبال آريه والجبل الأسود ، ولاند مينيه Méné ، والتي تطيف بمنخفضات مثل حوض شاتولان وحوض رين Rennes . أما الماسيف سنترال فتتألف في الغرب من هضاب مثل جبل ليوزان ، كومبراي ، مارش ، ليوزان الأدنى ، والتي تخترقها أودية عيقة . ونجد في الوسط وفي الشرق جبالاً ضئيلة الارتفاع ، مثل مورقان ، شاروليه ، بوجوليه ، ليونيه وڤيڤاريه على الحافة الشرقية ، ومرتفعات فوريز ، ڤيليه ، مارجريد ، جيڤودان ، وجبال اوڤيرنيه البركانية ،

إلى جانب أحواض مثل ليانيه ، پوي ، فوريز ، وروان ، التي تفصل بين هذه الكتل . وإلى الجنوب نجد هضاباً كلسية مرتفعة تدعى « القوص » تفصل ما بين كتل سيڤين وهضاب رويرغ المؤلفة من صخور متبلورة ، وسيغالا ، ولاكون ، واسپينوز والجبل الأسود . أما جبال الڤوچ في الشرق ، فتتيز بأشكالها الثقيلة والمدورة ، وبسفوحها غير المتناظرة حيث تكون الشرقية شديدة الانحدار . وتنقسم إلى جبال ڤوچ عليا متبلورة في الجنوب وفي الشرق (شكل ٣) ، وإلى جبال ڤوچ سفلى ، ذات صخور رملية في الشمال وفي الغرب . أما الآردين فهي هضبة قليلة الارتفاع ، تخترقها أودية ضيقة ومتعرّجة . أما جبال المور وإيسترل فهي من بقايا كتلة التيرينيد التي غاصت تحت مياه البحر الأبيض المتوسط .

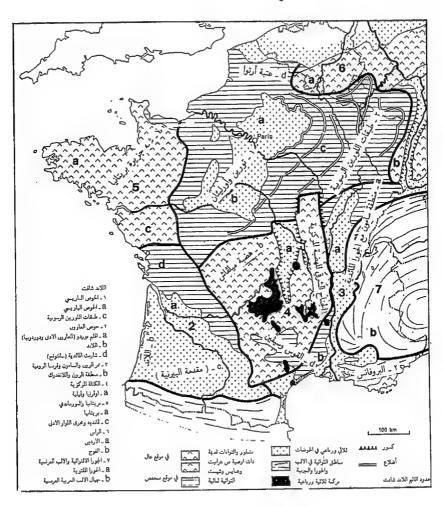


مقطع تقريبي من نهر الموز متى الريث الشكل ٣

ثانياً: الكتل الشابة: وهي بقية الالتواء الألبي، ولجبال البيرينيه تضريس مثلم، وتتألف من زمرة من أرتال جبلية تتجه من شرق الجنوب الشرقي عضريس مثلم، وتتألف من زمرة من أرتال حبلية تتجه من شرق الجنوب الشرقي ٢٥٧ __ ٧٥٣ __

نحو غرب الجنوب الغربي . وتبلغ ارتفاع ٣٢٩٨ م في قمة ڤينيومال ، وتتقدمها سلسلة طلائعية بيرينية تتألف من البيرينيه الصغرى ، وبلانتوريل وكوربيير (شكل ٤) .

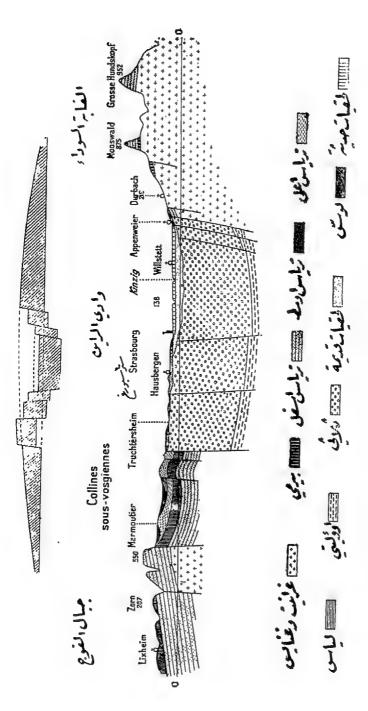
لاند شافت فرنسا



أما جبال الألب ، فتؤلف أكثر مناطق فرنسا ارتفاعاً . ويكون التضريس جريئاً رشيقاً بارزاً ، كا يكون وضع ارتصافها منتظاً . وغيز جبال الألب الشالية الواضحة التجزئة ، وهي مقدمة الألب « البريئالب » والأخدود الألبي والكتل المركزية ونطاق ما بين الألب . أما جبال الألب الجنوبية فتكون ذات تضريس أكثر غوضاً . أما جبال الجورا فتضم قسماً التوائياً وأكثر ارتفاعاً ، يدعى الجبل في الشرق والهضبة في الغرب .

ثالثاً: وتحتل السهول والهضاب أكثر من نصف مساحة فرنسا ، ويتد الحوض الباريسي بين بقايا السلسلة الهرسينية ، ويشكل حوضاً واسعاً تكون طبقات الصخور الرسوبية فيه مرتفعة على شكل هالات متوحدة المركز . ويميز فيه من الشرق تضريس أضلاع «كويستا » ، مثل أضلاع اللورين وأضلاع إيل دوفرانس وسهول ، مثل سهل شيانيا ، مثلها يتألف الشال من هضاب مثل بيكارديا ونورمانديا . أما من الجنوب فيظهر تأثير الماسيف سنترال ، كا في بلاد اللوار ، ويتميز إقليم الوسط بسهوله الواسعة مثل سهل بري ، وسهل بوس Beauce ، وبتلاله وبأوديته . هذا ويميل حوض أكيتانيا باتجاه الحيط الأطلنطي ، وهو منطقة تلال تتصل مع الحوض الباريسي بواسطة عتبة بواتو . ويض هضاباً في الشال و بقايا بيرينيه في الجنوب وميزاباً أوسط . ويجب أن نضيف إلى السهول منطقة الألزاس ، وهي حفرة انهدامية (شكل ه) بين جبال القوچ وبين الغابة السوداء في ألمانيا ، وسهول الساؤون ، والرون ، وسهل الشال ، وسهول الجنوب المطلة على البحر الأبيض المتوسط .

السواحل: وتحوي أكثر الناذج تنوعاً. فيكون الساحل على بحر الشال منخفضاً ، منبسطاً ومحفوفاً بكثبان . أما على بحر المانش ، فتسود الجروف الساحلية الحوارية حتى نهر السين . ثم يصبح الساحل أكثر تنوعاً بين بلادكو



مقطع جيئولوجي عرضاني « غربي ـ شرقي » لخفرة وادي الألزاس « مقياس المسافات ـــــــــ » ويظهر فيمه الأطراف التي ارتفعت على شكل ضهور « هورست » والوسط الـذي خسف فشكل غوراً « غراين » المقطح الرمزي في الأعلى يظهر الخسف التفاوت الذي أصاب طرفي الخفرة

« عن قان فيرفيك »

Caux وشبه جزيرة كوتنتان . أما بين كوتنتان ونهاية فينيستير فيتميز الساحل على بكثرة التسنّنات ، وبتعدد الرؤوس والخلجان والجزر . ويكون الساحل على الحيط الأطلنطي شديد التقطع حتى نهر اللوار ، ثم يصبح منبسطاً ومحفوفاً بالكثبان في إقليم قانديه Vendée ، ثم يتحول إلى سهل منخفض ، ورملي حتى مصب نهر الآدور ، حيث يعود صخرياً . ويكون الساحل البيريني على البحر الأبيض المتوسط متقطعاً ، ثم يكون ساحل الروسيّون واللانغدوك منخفضاً ومحفوفاً باللاغونات . ويتصف ساحل الپروڤانس بشدة التضرّس ومسنّناً بجونات عميقة . ويكون ساحل كورسيكا الغربي مرتفعاً ومتقطعاً ، بينما يكون الساحل الشرقي منخفضاً رملياً .

الشبكة الهيدروغرافية: وهنا أيضاً يسود تنوع كبير، بدءاً من النهر الهادئ المنتظم حتى السيل الهدار على ساحل البحر الأبيض المتوسط. وتنحدر الأنهار من جبال البيرينيه ومن الألب ومن القوح ومن هضبة لانغر ومن الماسيف سنترال ، ومن مرتفعات فرنسا الغربية لتتلاقى في الحوض الباريسي، وفي الحوض الأكيتاني، وفي الأجزاء المنخفضة في الغرب. وأنهار فرنسا الرئيسية هي: نهر السين وهو طريق مائي كبير صالح لله لاحة ذو نظام منتظم ويصل صبيبه المتوسط إلى ٢٥ م ٢ / ثا. أما نهر اللوار فهو أطول أنهار فرنسا وأقلها انتظاماً، ويصلح للملاحة في مجراه الأدنى، ويكون مصحوباً بقناة في مجراه الأعلى، ويصلح للملاحة في مجراه الأدنى، ويكون مصحوباً بقناة في مجراه الأعلى، ويصلح للملاحة في محراه الأدنى، ويكون تمود المبيرون عبارة عن سيل بيريني، ثم يصبح نهر سهل أكيتانيا، ويتخذ اسم الجيروند بعد مقرنه مع نهر دوردوني، وهو صالح للملاحة في القسم الذي تصعد فيه موجة المد، وهو أغزر أنهار فرنسا، لأن صبيبه يصل إلى ٧٠٠ م ٢ / ثا، أي يقارب صبيب نهر الفرات في سورية. وينتهي نهر الرون على شكل دلتا، والملاحة عليه عسيرة ويصل صبيبه إلى ١٧٠٠ م ٢ / ثا، أي يقارب صبيب نهر الفرات في سورية . وينتهي نهر الرون على شكل دلتا، والملاحة عليه عسيرة ويصل صبيبه إلى ١٧٠٠ م ٢ / ثا، ثا يعادل تقريباً ، والنيل تقريباً ،







المسبيبات المقارنة للاخارجة أفجرته الكبري لفرنسية

الشكل ٦

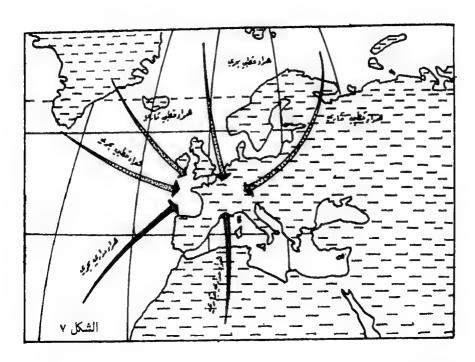
، ليت

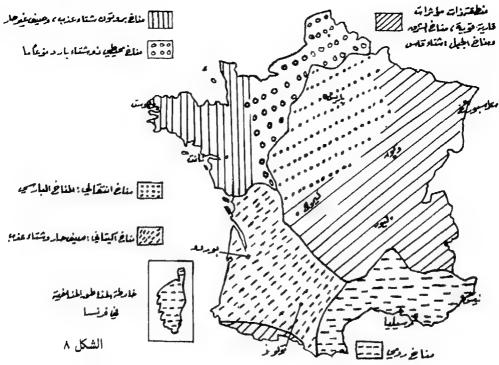
الجرباي بالليمات وبالمثانية فيالدنهارالاربعة الكرى فخانسا (النزارة إنسية في الكمم)

ولكن نهر الراين يشكل حدود فرنسا على مسافسة ١٨١ كم ، ويشكل طريقـــأ ملاحياً ممتازاً ، وصبيبه الوسطى ٢٢٠٠ م٢ / ثا ، أي يزيد عن نهر الرون (شكل ٢).

المناخ: تتمتع فرنسا بناخ معتدل، تدين به لموقعها على درجات العرض، أي على مسافة متعادلة بين خط الاستواء والقطب الشالي (شكل ٧) ، ولتأثير البحار التي تخفف درجات الحرارة المتطرفة ، ولوضع وتوجّه تضاريسها التي تسمح للرياح الغربية أن تمارس تأثيرها بعمق في داخل البلاد .

ويميز في فرنسا المناخ البريتاني ، الحيطى ، الرطب ، والعدب (شكل ٨)، ونموذجه مدينة برست (شكل ٩)، التي يكون متوسط حرارتها في كانون الثاني (يناير) ٧ درجات، أي تعادل مدينة حلب في الشهر ذاته، مع أنها واقعة على عرض يقل عن عرض مدينة برست بحوالي ١٢ درجة عرض ،





ومتوسط الصيف ١٧ درجة . وتصل أمطارها إلى ١١٥٠ مم ، ويبلغ عدد أيام المطر ١٥٠ يوماً في العام مقابل ٣٧٥ مم في حلب موزعة على ٤٥ يوماً .

وهناك المناخ الأكيتاني المتيز بشتائه اللطيف وبصيفه الحار العاصفي الكثير الأمطار ، والمناخ الباريسي المعتدل البرودة والرطب خلال الشتاء والحار نوعاً ما في الصيف (شكل ١٠) . ومناخ الأوڤيرنيه ، وهو قاس ورطب ، كثير الضباب . والمناخ القاري وشتاؤه قاس وثلجي ، وصيفه حار وجاف ، ففي ستراسبورغ يكون متوسط كانون الثاني ـ ٢ ، ومتوسط تموز ٢٠ درجة ، ويصل عدد أيام الانجاد إلى ٩٥ يوماً ، ويتساقط الثلج مدة ٢٠ يوماً ، ويبلغ مجمل التهطال السنوي ٢٠٠ ملم (شكل ١١) . هذا ويكون المناخ الرومي ذا صيف حار جاف ، وشتاء عذب رغ هبوب الرياح العنيفة والباردة ، مثلما يتيز بفروق الحرارة . ففي مدينة ايكس آنبروڤانس أو مرسيليا يكون متوسط كانون الثاني ٢ درجات ويصل إلى ٣٢ في تموز ، وتكون الأمطار فجائية عنيفة في الحريف والربيع ، ومجموع المطر ٥٠٠ مم ، ويصل عدد ساعات التشمس إلى ٢٥٠٠ وربا إلى والربيع ، ومجموع المطر ٥٠٠ مم ، ويصل عدد ساعات التشمس إلى ٢٥٠٠ وربا إلى قلوجه في الشتاء ، مم اختلافات شديدة في الحرارة بين الليل والنهار .

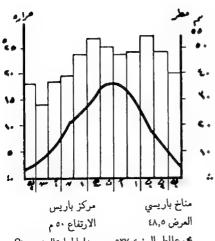
السكان:

بلغ عدد سكان الجهورية الفرنسية ٤٤،٥ مليون عام ١٩٨٣ ، بعد أن كان ٤٦ مليون عام ١٩٦٠ و ١٩٦٠ و أصبحت الكثافة العامة ٩٩ نسمة في الكيلومتر المربع مقابل ٨١ نسمة ١٩٦٠ . ويتصف الشعب الفرنسي بضعف التوالد لأن هذه النسبة تبلغ ١٤ بالألف والوفيات ١٠ بالألف ، أي أن نسبة النمو تبلغ ٤٠٠٪ في العام ، أي يحتاج الفرنسيون إلى ١٥٠ سنة كي يتضاعف عدد السكان ، في حين يكتفي العرب بمدة ربع قرن فقط كي يتضاعف عددهم ، وتبلغ نسبة وفيات الأطفال ١٣ بالألف مقابل ١٤٠ في الجزائر . ويصل العمر المتوسط

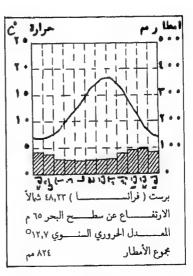
إلى ٧٧ سنة مقابل ٥٧ سنة في سورية . أما نسبة الذين تقل أعمارهم عن ١٥ سنة فتكون ٢٤٪ مقابل ٤٨٪ في الجزائر ويؤلف الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و ٦٤ سنة ٢٢٪ مقابل ٤٩٪ في سورية ، ويشكل الذين تزيد أعمارهم عن ٦٥ سنة ١٤٪ مقابل ٣٪ في الجزائر . وأكثر المناطق سكاناً هي المنطقة الباريسية ، والمراكز الصناعية في اللورين والماسيف سنترال ، والسهول الزراعية في الشال وفي الإلزاس ، وعلى سواحل بريتانيا ، والبروقانس جنوباً ، وأودية الأنهار الكبرى ، ومناطق الزراعة المتخصصة مثل اللانغدوك وكونتا الخ . . وفي مقابل ذلك تكون الكثافة ضعيفة في الجبال ، كالماسيف سنترال وجبال البيرينيه وكورسيكا والسلاسل الألبية ، وفي المناطق ذات الترب الفقيرة ، كناطق القوس الكلسية ، وشمبانيا البويّوز ، وبورغونيا العليا ، وسولوني الخ . .

وقد أخذ عدد سكان الأرياف بالتناقص باسترار منذ أواسط القرن التاسع عشر لفائدة سكان المدن . فبعد أن كان ثلاثة أرباع سكان فرنسا من الريفيين قبل قرن من الزمن ، أصبح هؤلاء عثلون الثلث في ١٩٦٠ وحالياً ٣٠٪ فقط .

وبعد أن كان عدد المدن ، التي يتجاوز عدد سكان كل منها ١٠٠,٠٠٠ نسبة ، ٢٥ مدينة في ١٩٦٠ أصبح عددها في ١٩٨٠ ، ٥٦ مدينة ، وأهمها باريس العاصمة وسكانها مع ضواحيها ٨ ملايين نسبة ، ومرسيليا ١ مليون ، وليون ١٠٢ مليون ، بوردو ٢٢٢,٠٠٠ ، نيس ٤٠٠,٠٠٠ ، طولوز ٤٤٥,٠٠٠ ، ليل ٢٧٢,٠٠٠ ، نانت ٤٦٠,٠٠٠ ، ستراسبورغ ٢٠٠,٠٠٠ ، سانتتيان ٣٤٠,٠٠٠ ، الهاڤر ٢٠٠,٠٠٠ ، روبيه تولوز ٣٤٠,٠٠٠ ، روان ٣٩٠,٠٠٠ ، نانسي ٢٦٥,٠٠٠ ، رانس ٢٠٠,٠٠٠ ، روبيه ليرمون فيرّان ٢٠٠,٠٠٠ ، ديچون ٢١٥,٠٠٠ ، غرينوبل ٤٠٠,٠٠٠ . ليروج ١٥٠ ألف ، رين ٢٠٠ ألف ، لومان ١٧٠ ألف ، نيم ١٣٠ ألف ، برست

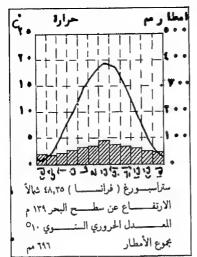


مجموع المطر السنوي ٥٢٧ مم معدل الحرارة السنوي ٥١٠



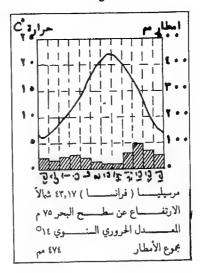
الشكل ١٠





الشكل ٩

الشكل ١١



الاقتصاد

تبدو التقنيات الزراعية والصناعية ، وهي وريثة تقاليد طويلة ، تحققت خلالها نوعيات الأيدي العاملة ، تبدو الآن هدفاً لتحويلات عيقة . وإذا كانت مصادر الطاقة أو المواد الأولية متنوعة ، فإنها تظل ، باستثناء الحديد والبوكسيت ، دون حاجة البلاد . بيد أن المنظورات المتوفرة بعد تنية الطاقة النووية والبتروكياء ، تكاد تقلب المعطيات التقليدية رأساً على عقب ، وتضع حركة التركزات الكبرى ، في المؤسسات ، فرنسا في عداد الجّلين بين الأمم الصناعية .

هذا ويتوزع السكان العاملون ، وعددهم ٢١,٣ مليون فضلاً عن مليون عاطل عن العمل ، يتوزعون كا يلي :

١ ـ القطاع الأولى = الزراعة ، الغابات ، الصيد البري والبحري ، ويعمل فيه ٢,١ مليون أو ٩,٩٪ .

٢ ـ القطاع الثنائي = أي العاملون في الصناعة التحويلية وعددهم ٧,٩
 ملايين أو ٢٧,٢٪ .

٣ ـ القطاع الثلاثي = أي قطاع الخدمات ويعمل فيه ١١,٢ مليون أو ٥٢,٧٪

الزراعة:

تعتبر نسبة ٩,٣٪ من أراضي فرنسا أراضي عقيمة . وتقدم الزراعة بفضل تنوع الترب والمناخات ، وبفضل البنية الاجتاعية وبسبب تفوق الملكية الصغرى ، تقدم منتجات متنوعة جداً . وعلى كل تتوزع نسبة الأراضي كا يلي : أراض قابلة للحراثة ١٧ مليون هـ أو ٣٦٪ ، والمساحة المغطاة دوماً بالأعشاب (مراع) ١٣,٣ مليون هـ أو ٣٤٪ ، مزروعات غرية ٣٠٠,٠٠٠ هـ أو ٥٠٠٪ ، الكرمة ١٠,٢ مليون هـ أو ٢٠٠٪ ، وغابات وأحراش ١٤ مليون هـ أو ٢٠٠٪ ،

مزروعات الخضار والزهور والحدائق العائلية ٣١٧,٠٠٠ هـ أو ٠,٥٪ ، مزروعات متنوعة وأراض زراعية غير مزروعة ٢,٧ مليون هـ أو ٠,٠٪ ، مستنقعات مستغلبة ١٣٠,٠٠٠ هـ أو ٢٠,٢٪ ، أراض غير زراعية ٥ ملايين هـ أو ٩,٣٪ .

ويزرع القمح في سائر الأمكنة ، حتى أن حقوله تغطى ١٠٪ من رقعة البلاد ، ولكنه يتفوق خاصة في سهول الشمال وفي الحوض الباريسي ، والحوض الأكيتاني ، وتحتل فرنسا المكانة السادسة في العالم في إنتاجه ، ولكن ليس لـدى فرنسا فائض كبير للتصدير ، ويزرع الجاودار في بريتانيا وفي الماسيف سنترال ، والشوفان في كل مكان تقريباً ، والشعير في الشال وفي الشرق ، والذرة في الجنوب الغربي ، واختصاراً تحتل الحبوب ٩,٢ ملايين هـ أو ٥٤,١٪ من المساحات المزروعة . وتنو البطاطا في كل مناطق فرنسا وحتى في المناطق الفقيرة . وتنتشر زراعة الخضار قرب المدن ، وفي الجنوب ، وفي منطقة تور وفي بريتانيا الخ . .

أما الكرمة فتنتشر في اللانغـدوك ، وفي منطقـة بـوردو ، وفي بـلاد اللـوار وشمبانيا ، وبورغانيا والألزاس ، حتى أن فرنسا تنتج ثلث إنتاج العالم من الخمر . أما الحاصيل الزراعية فتتمثل بزراعة الشوندر التي تسود في إقليم الشمال ، بيكاردي ، وجنوب باريس . وتنتشر زراعة حشيشة الدينار التي تدخل في صناعة الجعة في الألزاس واللورين ، والتبغ في أكيتانيا ، والكتان في الشمال وبيكاردي ، والقنب الخ . .

وعلى كل تنتشر النباتات المعزوقة على ١,٣ مليون هـ أو ٧,٧٪ من المساحة ، والبقول الجافة ٧٤,٠٠٠ هـ أو ٠٠٤٪ ، والمزروعات البقولية الحقلية ٢٠٠,٠٠٠ هـ أو ١,٢٪ ، والزروعات العلفية ٥٢ مليون هـ أو ٣١٪ ، والبور ٢٣٣٠٠٠ أو ١,٤٪ ، والمزروعات الأخرى ٤٨٧٠٠٠ هـ أو ٢,٨٪ .

وتكون مقادير الإنتاج الزراعي بملايين الأطنان كا يلي : القمح ١٧ ، الشعير ١٠,٢ ، الشوفان ١,٩ ، الجاودار ٠,٣٧ ، الـذرة الصفراء ٨,٦ . الرز ١٨٠٠٠ طن ، والشمندر السكري « البنجر » ٢٤,٥ مليون طن ، والسكر ٤ ملايين طن ، والبطاطا ٦,٤ مليون طن ، والجر ٥٢ مليون هكتوليتر ، والجعة ٢٢ مليون هكتوليتر ، والكتان ٤٢٠٠٠ طن ، والتبغ ٥٣٠٠٠ طن .

تربية الماشية:

وتكون متطورة جداً ، فتربّى الخيول في بريتانيا ، وفي بولونّيه ، و پرش ، ومنطقة تارب ويقارب عددها ٤٠٠,٠٠٠ رأس ، والأبقار في منطقة شاروليه ، أوكسوا ، ليوزان ، اڤيرنييه ، نورساندي ، شارنت و پواتو . و يبلغ عددها ٢٣,٨ مليون رأس . أما الأغنام فتربّى في اللانغدوك ، الپروفانس ، القوص ، شمانيا ، پيّري ، و يبلغ عددها ١١,٢ مليون رأس ، والخنازير ١١,٥ مليون رأس . وتنتج البلاد حوالي ٢٩ مليون طن من الحليب و ٥٦٠٠٠٠ طن من الزبدة ، ومليون طن من الأجبان ، و ٣,٥ مليون طن من اللحوم . وتربّى الطيور الأهلية على الخصوص في منطقة بريس Bresse .

الغابة:

وتستغل الغابات في منطقة اللاند قرب مصب الغارون ، وفي الجبال ، وتنتج البلاد ٢٨ مليون م٢ من الخشب الجنوع ، و ١١ مليون م٢ من الخشب المنشور .

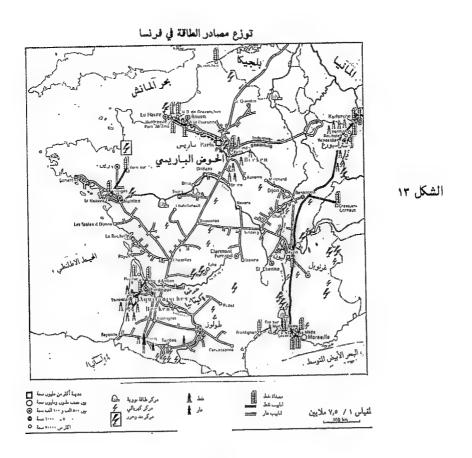
الصيد البحري:

ويكون هذا نشيطاً قرب السواحل وفي عرض البحر . ويبلغ إنتاج البلاد ٧١٢,٢٢٧ طن في سنة ١٩٧٧ ، وأهم موانئه بولونية ، لوريان ، كونكارنو ، فريكان ، لاروشيل ، دييپ .

الطاقة:

لا يكون إنتاج الفحم الفرنسي ، الندي تقع مناجمه في منطقه الشمال _ ٧٦٥ _

والكتلة المركزية ، واللورين كافياً . وقد بلغ إنتاجه ١٨ مليون طن عام ١٩٧٧ . وتنتج منطقة الشمال ومنطقة پادوكاليه ٢٧٪ واللورين ٤١٪ . وتستورد البلاد مقدار ٢٣,٧ مليون طن ، منها ٥ ملايين من ألمانيا الغربية ومثلها من بولونيا ، و ١٩٨٨ مليون طن من الولايات المتحدة ، وتصدر منه مقدار ٥٠٠ مليون طن . أما إنتاج البترول فضعيف ، ويصل إنتاجه إلى مليون طن ، ويستغل من حوض أكيتانيا ، والحوض الباريسي والألزاس . ولكن حوض أكيتانيا يقدم مقادير متزايدة من الغاز ، فقد أنتجت البلاد مقدار ٢٤,٨ مليار وحدة حرارية من حوض لاك وسان مارسيه (شكل ١٣) .



هذا وتستورد فرنسا مقدار ١٢٠ مليون طن من النفط ، منها ٨٩ مليون طن من أقطار الشرق الأوسط ، وتقدم ليبيا ٢,٣٪ ، والجزائر ٤,١٪ ونيجيريا ٢,٧٪ ، والاتحاد السوڤييتي ١,٢٪ وفنزيلا وبحر الشال . ويصدر من منتجات البترول بعد تصنيعها ١٣,٦ مليون طن .

وتقع المصافي الكبرى في السين الأدنى ، وطاقتها ٥٦,٣ مليون طن ، (غونفرفيل) ، ومرسيليا بيّر ٤٣,٥ مليون طن ، والألزاس ٨,٨ مليون طن ، وجيروند ، وغرانپوي ، ودونج ، وتبلغ الطاقة العامة للتكرير ١١٩ مليون طن .

الكهرباء:

وبلغ إنتاجها الكلي ٢٦٥,٩ مليارك و س ، وتؤلف الطاقة الحرارية في الشمال والمنطقة الباريسية ٥٥٪ . ولكن إمكانات فرنسا من الفحم الأبيض كبيرة في جبال الألب والپيرينيه والماسيف سنترال والألزاس . وقد تم بناء سدود كبيرة في جينيسيا ، ودونزير ، وشامبون ، وسوتيه ، لاترويير ، ماريج ، ليغل ، بور ، شاستانغ ، بروما ، ايغوزون ، وكمب . وتتجه البلاد لاستغلال المزيد من الطاقة الكهربائية ، وعلى كل تقدم جبال الألب ٥٥٪ من الفحم الأبيض ، والماسيف سنترال والپيرينيه ٢٦٪ . وهناك المراكز النووية التي تقدم حالياً قرابة والماسيف من مركز شينون ، ماركول ، مونداريه ، سان لوران ديزو أو مايعادل ٢٨٨٪ من انتاج الكهرباء الفرنسية .

الصناعة:

تحتل فرنسا المكانة الأولى بين الدول الأوروبية في استخراج خامات الحديد بفضل مناجم اللورين (شكل ١٤) . فقد استخرجت في ١٩٧٧ مقدار ١١ مليون طن من المعدن الصافي . وهي أول بلد في العالم في إنتاج البوكسيت الذي تقدمه مناجم الجنوب ، ويبلغ إنتاجه مليوني طن . أما إنتاج المعادن الأخرى فهو

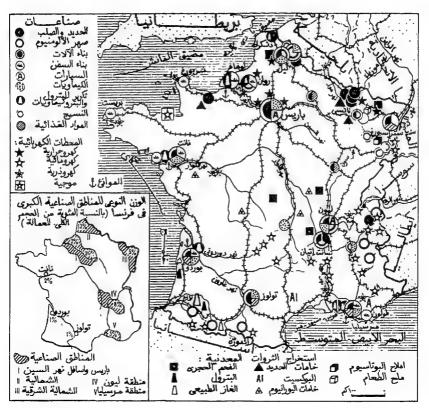
ضعيف ، باستثناء مكامن البوتاس في الألزاس ، وهكذا تنتج البلاد مقدار ٤٢,٠٠٠ طن من معدن الزنك و ٣٢,٠٠٠ طن من الرصاص ، و ١,٩ مليون طن من البوتاس ، و ١,٩ مليون طن كبريت ، و ١٣٠,٠٠٠ طن من الملح .

وتتركز الصناعة الحديدية في الشال ، وفي اللورين ، والماسيف سنترال والنورماندي . أما الصناعة الكهرمعدنية فتتركز مع الكهركيياء في جبال الألب والپيرينيه . وعلى كل تملك فرنسا ٣٩ فرنا عاليا و ١١ مقلب توماس وثمانية أفران مارتان ، و ٢١ فرن كهربائي ، و ٢٦ منشأة لصنع الفولاذ على الأوكسجين . وقد أصابت أزمة عام ١٩٧٩ الصناعة الحديدية بقساوة . وتستخرج فرنسا ٢٦ مليون طن من خامات الحديد تحوي ١١ مليون طن من المعدن ، وتصدر ١١,٨ مليون طن من خامات الحديد نحو دول البينيلوكس وألمانيا الاتحادية ، وتستورد مليون طن من خامات الحديد من أفريقية . وكان إنتاجها في عام ١٩٨١ يتألف من ١٩٨٢ مليون طن من الصهير (الفونات) و ٢١,٢ مليون طن من الفولاذ (شكل ١٥) .

أما المعادن غير الحديدية فقد كان إنتاجها عام ١٩٨١ يتألف من ١,٨ مليون طن من الألمنيوم ، و ٢٣٨٠٠٠ طن من الرياص الخالص .

الشكل ١٤ اللودين مقطع عن مناجم حديد اللودين وادي الموري موري الموري مبر مبر مبر الموري الموري

_ \7\ _



الشكل ١٥ صناعة فرنسا	1141	الإنتاج ١٩٧٤	197-	مصادر الطاقة الأولية
	١٨,٥	۲٥,٧	٥٨,٣	الفحم (ملايين الأطنان)
	1,1	١	۲	النفط الخام (ملايين الأطنان)
	1,0	١,٤	۲,۸	ملايين تيك(١)
	_	_		تكرير المنتجات النفطية (مليون طن)
	Ą	٧	Y	غازطبيعي (مليون م٢)
	777	۱۸۰	٧٢,١	كهرباء هيدروليكية وحرارية (ملياركوس)

 ⁽۱) تكون معامل التحويل المتعارف عليها كا يلي : طن واحد من النفط الخام = ١,٤ تيك (طن معادل فحم) .
 منتجات نفطية : ١ طن = ١,٥ تيك ، غاز : كل ١٠٠٠ وحدة حرارية = ١,٠٠ تيك . كهرباء : كل ١٠٠٠ ك و س = ١٠٠٠ تيك .

أما الصناعات الميكانيكية ، فكانت تتألف من إنتاج السيارات الذي بلغ ٢,٩ مليون سيارة سياحية عام ١٩٨١ ، وبذلك تحتل المرتبة الرابعة في العالم . وتقع مصانعها في باريس « رينو » ، لومان ، رين ، فلان ، سوشو ، هذا إلى جانب ٤١٤,٤٢١ سيارة نفعية في مدينتي ليون وڤينيسيو .

أما صناعة السفن فقيد قيدمت منا حولتيه ١٫١٩٥٫٣٠٠ طبيَّة في موانئ اللوار الأدنى ، دنكرك ، لوسيوتا . وتقع الصناعات الجوية في باريس وطولوز . وهناك صناعة البناء الكهربائي والألكتروني والمكائن الزراعية في فييرزون ، بوقيه ، سأن ديزييه ، وصناعة المكائن النسيجية في الشال ، بلفور ،مولهوز ، ومكائن السكك الحديدية في كروزو ، ليل ، والمكائن الصانعة والأدوات المطبخية والساعات في الجورا ، والسكاكين في تييه ، لانغر .

أما الصناعات النسيجية فتقع في الشرق والشمال ووادي السين الأدنى والأوسط . وتعدّ هذه الصناعة من أقدم صناعات فرنسا ، وتشكو من عتق آلاتها الموروثة من العصر الحرفي: كتبعثر المؤسسات وصغر أبعادها. ويجرى تجديد بني هذه الصناعة مثلما تجري محاولات محو التمركز . أما الصناعات الغذائية فتقوم في المناطق الزراعية . وبلغ إنتاج فرنسا من الصوف المشّط ٧٢,٢٠٠ طن ، ومن الألياف الاصطناعية والتركيبية ٥٠,٠٠٠ طن ، ومن غزول الصوف ١٤١,٥٠٠ طن ، ومن منسوجات الصوف ٦٢,١٠٠ طن . هـذا كا أنتجت في ١٩٧٧ مقدار ۲۲۹٫۲۰۰ طن من غزل القطن و ۱۸۵٫۸۰۰ طن من أقشة القطن والكتان والخليط ، مثلما أنتجت ٢٤,٧٠٠ طن من خيوط الجوت ، و ١٣,٦٠٠ طن من منسوجاته ، و ٣٣,٧٠٠ طن من السيزال .

وتتوطِّن الصناعات الكهاوية الأساسية ، أي الصناعة الكماوية الثقيلة ، بجوار مصادر التموين أو في الموانئ . وتوفر الحاجر الصخور الكلسية والجص من المنطقة الباريسية ، ومن وادي الرون ، والصودا من اللورين ، والملح من ممالح _ ٧٧٠ _

الساحل كا في كامارغ وسواحل الأطلسي ، والبوتاس من الألزاس ، والكبريت من منطقة لاك قرب آبار الغاز . هذا وتنبو إلى جانب الأحواض الفحمية في الشمال و بجوار معامل تكرير النفط الصناعات الجديدة ، أي الكربوكيياء ، والبتروكيياء . أما الصناعات الكياوية المتنوعة فهي أكثر تبعثراً .

وقد أنتجت فرنسا في ١٩٧٧ مقدار ٢٤٥,٠٠٠ طن من البوليڤينيل، وقد أنتجت فرنسا في ١٩٧٧ مقدار ١٩٧٨,٠٠٠ طن ، والأسمدة و ٣٧٦,٠٠٠ طن ، والحامض النتريكي ١٨٢,٠٠٠ طن ، ومن الآزوتية التركيبية ٨٧٥,٠٠٠ طن والحامض الكبريتي ٥,٥ مليون طن ، والحامض الكبريتي الكلوهيدريكي ٢٧٤,٠٠٠ طن ، والحامض الكبريتي ١,٣٦٥,٠٠٠ طن ، والصودا الكلوهيدريكي ١,٣٦٥,٠٠٠ طن ، وكربونات الصود ١,٣٦٥,٠٠٠ طن ، والصودا الكاوية ١,٢٠ مليون طن .

المواصلات:

في مطلع عام ١٩٧٧ كانت فرنسا قلك ٣١,١٩٩ كم من الطرق البريسة القومية ، و ٤٢٨٣ كم من طرق السيارات العريضة ، وحوالي ٣٨٠,٠٠٠ كم من طرق المحافظات و ٤٢٤,٠٠٠ كم من الدروب القروية . ويصيب كل ثلاثة مواطنين سيارة واحدة ، إذ كان في العام المذكور ٢,٤ مليون سيارة شحن و ١٦,٣٥ مليون سيارة والنسبة ذاتها من الدراجات النارية والعادية . وتعتبر فرنسا من أكثر أقطار أوروبا حركية بالمواصلات الآلية motorisé .

وفي البلاد 7010 كم من الخطوط الحديدية منها 700 كم مكهربة ، وتصل الحركة إلى 01,0 مليار مسافر / كم ، و 70,0 مليار طن / كم .

وبلغت حمولة أسطول البحرية التجارية ١٩٧٦ مقدار ١١ مليون طنة . أما حركة الموانئ فبلغت ٢٩٨ مليون طن بضائع ، منها ٨١ ٪ للمستوردات ، ويمثل البترول ٢٠٢ مليون طن ، والمسافرون ١١,٣ مليون . وأهم الموانئ حركة في ١٩٧٦

کانت مرسیلیا ۱۰۶ ملیون طن ، الهاڤر ۸۰ ملیون طن ، دنکرك ۳۳٫۵ ملیون طن ، روان ۱۰٫۳ ملیون ، بوردو ۱۲ ملیون ، بوردو ۲۲ ملیون ، سات ۲۰٫۳ ملیون ، سات ۷٫۶ Sète ، لاروشیل ۳٫۷ ملیون طن .

أما الملاحة النهرية فتمتد على ٣٢٠٠ كم على الأنهار و ٤٤٠٠ كم على الأقنية ، التي لا تستعمل كثيراً لأن المراكب من المقياس الأوروبي من حمولة ١٣٠٠ طن لا تجري إلا على نهر الراين والموزيل والسين في سافلة باريس .

هذا وقد بلغت حركة الطيران في ۱۹۷۷ مليار مسافر / كم ، وحمولة ١٩٧٧ مليار طن / كم و ١٠٧,٢٠٠ طن / كم من البريد . وأهم مطارات فرنسا هي أورلي ، لوبورجيه ، رواسي آن فرانس ، مرسيليا ، ونيس .

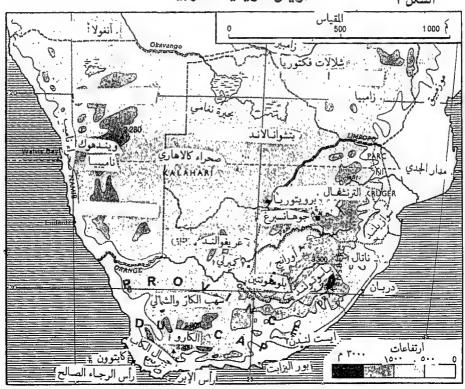
وتؤلف السياحة إحدى أوائل الأنشطة الاقتصادية الفرنسية وتوفر للبلاد في كل عام أكثر من ٢٠٠٠ مليون دولار من عائدات السواح الأجانب ، الذين بلغ عددهم ١٣,٤ مليون سائحاً عام ١٩٧٦ . ويقضي ٥٢ ٪ من الفرنسيين ٢٢ يـوماً وسطياً عطلة في خارج منازلهم .

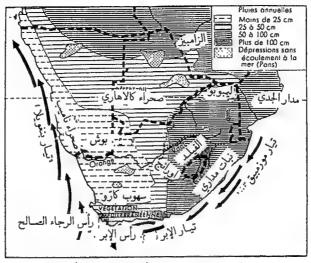
في عام ١٩٧١ كان ٥٩٪ من العائلات الفرنسية تملك سيارة واحدة على الأقل ، و٨٠٪ تملك ثلاجة ، و٧١٪ منها تملك جهاز تلفزيون و٥٤٪ تستعمل غسالة كهربائية و٤٠٪ تملك مسجّلة وكان هناك ١,٢ مليون أسرة تملك مسكناً ثانوياً في الريف أو على ساحل البحر أو في الجبل .

وتصدر فرنسا منتجات الترف والمنتجات الكياوية والحديد الخام والبوكسيت ، والخور العالية النوعية ، والفواكه ، ومنتجات الألبان ، والسلع المصنّعة من أقشة ومكائن ، وتستورد المواد الأولية كالفحم الحجري والنفط والقطن والحرير والكتان والفلزات والمطاط والبذور الزيتية ، والمنتجات الغذائية كالحبوب واللحوم وبعض السلع المصنوعة .

وقد بلغت صادراتها في عام ١٩٨١ مقدار ٥٥٣ مليار فرنك ، كانت المنتجات المنتهية تؤلف ٢٦,٣ ٪ منها ، والمكائن ومعدات الخطوط الحديدية ، والطائرات « كاراڤيل وميستير » ، وسيارات ومنتجات خام ٢٨,٨ ٪ منها خامات الحديد والألياف النسيجية ، والمنتجات الزراعية ١٤ ٪ .

أما زبائنها فهي ألمانيا الاتحادية ، بلجيكا ، لوكسبورغ ، إيطاليا ، إنكلترا ، هولندا ، والولايات المتحدة . أما استيرادها فقد بلغت قيته ٢٥٨ مليار فرنك ، وتؤلف مستوردات الطاقة ٢١,٤ ٪ من حيث القيمة ، ولكن أربعة أخماس الوزن ، وهي البترول والخام والفحم ، ومنتجات منتهية ، وسلع تجهيز ١٧,٦ ٪ (كطائرات البوينغ وسلع من كل صنف) والزراعية ١٢,٥ ٪ ، كالخور والثار والباكوريات والمنتجات المدارية ومنتجات خام ٢٨,٨ ٪ ، وتتألف من قطن ومعجونة ورق ، ومطاط وفلزات غير حديدية . أما الدول المصدرة لفرنسا فهي : ألمانيا الاتحادية ، بلجيكا ، لوكسبورغ ، إيطاليا ، الولايات المتحدة ، هولندا ، وبريطانيا .





المناخ والنبات في افريقيا الجنوبية

الشكل ٢

الفصل الساديس جهورية جنوب أفريقية

تشير عبارة أفريقية الجنوبية ، في المعنى الجغرافي البحت ، إلى كل الجزء الجنوبي من القارة الأفريقية الواقع جنوب خط العرض ١٠ جنوب خط الاستواء . وهكذا يكن اعتبار جمهورية زيبابوه ، وناميبيا ، وزامبيا ، وموزمبيق ، وبوتسوانا ، وسوازيلاند ، ولوسوتو ، وحتى آنغولا كأجزاء من أفريقية الجنوبية . غيرأن من المألوف أن يخلط الكتّاب بين عبارة أفريقية الجنوبية وبين اتحاد جنوبي أفريقية ، لأن أهمية هذا الاتحاد تتجاوز إلى حد بعيد أهمية الدول المجاورة ، والواقع علينا أن غيز ما يلي :

الحرة ، الترانسقال ، والتي تبلغ مساحتها جميعاً ١,٢ مليون كيلومتر مربع أو ما يعادل مساحة مصر وسورية وفلسطين . وقد ظلت هذه الدولة المستقلة ، حتى عهد قريب ، عضواً في رابطة الشعوب البريطانية .

٢ ـ جنوب غرب أفريقية أو ناميبيا ، ومساحتها ٨٣٥,٠٠٠ كيلومتر مربع ، وهي مستعمرة المانية سابقة ، وعهدت جمعية الأمم في عام ١٩٢٠ لجهورية جنوب أفريقية بإدارتها ، فاعتبرتها جزءاً لا يتجزأ من أرضها ، وتعارض استقلالها بضراوة .

ويحدّ جمهورية جنوب أفريقية من الشمال الشرقي سوازيلانـد ، وموزمبيق ، وزيمبابوه ، ومن الشمال بتسوانا وناميبيا . وتتصف هذه الجمهورية بأهمية مزدوجة: فتقدم هذا القطر وغوه يجعل منه أقوى دولة اقتصادية في القارة الأفريقية ، مثلها تختلف عن سائر دول أفريقية السوداء بارتفاع نسبة السكان البيض ، كا تتخذ العلاقات بين البيض والسود وغيرهم من الأقوام الملوّنة كالهنود ، في هذه الدولة ، مدلولاً لا يخفى على إنسان في عالمنا الحالي ، وهو ما يدعى بالتمييز العنصري الذي تحتل مشكلته حيّزاً هاماً من مناقشات أروقة هيئة الأمم المتحدة ، ويتجلّى من حين لآخر على شكل مصادمات دامية بين السود من أبناء البلاد وبين المستوطنين البيض .

أولاً _ الصفات العامة لأفريقية الجنوبية

التضريس:

تؤلف العتبات الأفريقية ، المنخفضة في أواسط القارة ، والمنهضة باتجاه السواحل ، الهيكل الجوهري لتضريس المنطقة .

ففي إقلم الكاپ نجد عدة سلاسل جبلية تتجه من الغرب إلى الشرق ، وتتجاوز في بعض الأمكنة ٢٠٠٠ م ارتفاعاً . وقد نتجت عن سلسلة نشات تدريجياً خلال الحقب الجيولوجي الأول ، فكثيراً ما نجد طبقات رسوبية قديمة جداً لا زالت أفقية ، كجبل المائدة Table ، الذي يطل على مدينة الكاپ . وتتدد بين جبال الكاپ هذه هضاب الكارّو Karros ، التي تزداد عرضاً باتجاه الداخل حتى ضفاف نهر الأورانج (شكل ١) .

وإلى الشرق من جمهورية جنوب أفريقية يظهر غط من تضريس تشترك فيه كل أقطار أفريقية الشرقية . وهي أن الترس Shield القديم ، الشديد النموض ، قد اعترته كسور تتخذ اتجاها شمالياً جنوبياً ، ويطل على شكل شفا ، أو جروف هائلة escarpements على سهول المحيط الهندي الساحلية .

وهكذا ترتفع جبال دراكنسبرغ إلى ٣٣٠٠ م، والتي تَنْصِبُ فوق سهل _ ٧٧٠ -

الناتال جروفاً تثير الدّوار ، في حين تقوم أودية نهر الأورانج العليا وروافده ، في إقليم لوسوتو ، الرائع الجمال ، بتقطيع شرفات corniches وتلاع شاهدة من المسكوبات البركانية ، وهي دفقات بركانية لابيّة معاصرة لالتواءات الكاپ .

أما الهضاب العليبا في إقليم الأورانج والترانسڤال فلا تحوي على أكثر من سطوح هادئة ، تتراوح ارتفاعاتها بين ١٢٠٠ و ١٥٠٠ م ، لا تهين عليها سوى أرومات من تضريس أطلالي تدعى كو بجس Kopis ، أو رائد Rand ، وهي صفوف من ارتفاعات ناتجة عن سلسلة متتابعة مؤلفة من صخور قاسية .

ولا تنهض عتبات Plate formes جنوب أفريقية المائلة من كل جانب باتجاه حوض كالاهاري الأوسط إلا في حافة الحيط الأطلنطي في إقليم ناميبيا (جنوب غرب أفريقية سابقاً) .

الأوضاع المناخية والمشاهد النباتية

تحتل جمهورية جنوب أفريقية في نصف الكرة الجنوبي درجات عرض مماثلة لأقطار المغرب العربي والصحراء الكبرى في النصف الشالي من الكرة الأرضية .

هذا ويكون للهامش الجنوبي من إقليم الكاپ ، مناخ مماثل لمناخ المرتفعات الساحلية أو « التل » في كل أقطار المغرب العربي (شكل ٢) ، أي ذات صيف حار جاف وشتاء عذب مع زخات مطر تجلبها الرياح الغربية . وهنا يكن لمزروعات البحر الأبيض المتوسط التقليدية أن تزدهر .

ولكن ما ان نجتاز أوائل الحواجز الجبلية ، حتى تفرض القحولة نفسها في هضاب الكارّو تماماً ، كا نجد في الهضاب الجزائرية المرتفعة ، إذ لا نجد هنا سوى نباتاً سهبياً ، وتتحول مجاري المياه إلى أودية حقيقية ، لا تجري إلا بصورة عَرَضية كي تصب في منخفضات هي مستنقعات ملحية تماثل الشطوط في المغرب العربي أو السبخات في المشرق .

أما ناميبيا فتخضع لجفاف يماثل جفاف سواحل موريتانيا ، وهكذا يكون الساحل الأطلنطي أسوأ حظاً أيضاً حيث نجد صحراء ناميب . ففوق تيار مياه بنغويللا البارد ، يكون التبخر ضعيفاً للغاية ، كا تتكاثف رطوبة الهواء القادمة من عرض البحر على شكل ضباب ، ولهذا تقتحم الرياح الغربية إقليم ناميبيا على شكل هواء مجفّف . وتمتد صحراء كالاهاري على مساحة تبلغ نصف مليون كيلومتر مربع ، وهي حوضة داخلية تسير نحو التجفف .

لا نجد هنا أشجاراً منعزلة في هذه السهول ، حيث تقوم الرياح بزيادة القحولة استفحالاً ، وكذلك بسبب قساوة الشتاء وشدة قيظ الصيف . كا أن النبات العشبي ذاته يشكو من ذلك ، فلا نجد سوى باقات من أعشاب جافة سرعان ما تتحول إلى اللون الرمادي ، الذي عاثل لون التربة الهزيلة التي تحملها . والنباتات الوحيدة التي تبدو متوائمة مع هذه الأوضاع هي الفريبونيات ، والنباتات الشحمية الأخرى ، والتي تقبع في ظل الحجارة والقشرات crusts ، لتحمي نفسها من التبخر بدرعها الشوكي . ولم ندخل بعد في الصحراء ، بل ما زلنا في هضاب الكارو ، وهي عبارة زنجية تحولت إلى اسم مميز لهذه المناطق .

ويؤلف نهر أوكاڤانغو القادم من مرتفعات آنغولا ، هنا دلتا ، داخلية . وكان يغذّي في القديم بحيرة نغامي التي كانت أكثر اتساعاً لدى اكتشافها على يد ليفنفستون في ١٨٤٩ ، مما هي عليه الآن ، إذ أصبحت بقية باقية من بحيرة تعادل بحيرة تشاد . ويؤلف المجرى الأدنى لنهر اوكاڤانغو متاهة معقدة من أذرع ومن أذرع كاذبة ، وتكون حافاتها بعد موسم الأمطار مأهولة بالزرافات والنعام ، ولكن الجفاف يحولها إلى غدران نتنة ، تحوم حولها سحب من البعوض تنشر الحيّات الرهيبة . ويجر المجرى الرئيسي مياهها لتغيض في مستنقعات مالحة ذات سراب خداع .

ج. ويلرس

أما على المناطق الشرقية من جمهورية جنوب أفريقية فتتغير الأوضاع المناخية بشكل جذري ، إذ تحمل إليها رياح الشمال الشرقي ، وهي موسميات الصيف الجنوبي ، ورياح الأليزة (التجارية) الجنوبية الشرقية ، المستفحلة بالشتاء ، تحمل إليها هواءً مدارياً مشحوناً بالرطوبة بفصل التيارين الدافئين وها تيار موزمبيق في الشمال الشرقي وتيار الإبر في الجنوب . وهكذا يكون

لسهول الناتال الغزيرة الأمطار نبات مداري وغابات كثيفة ، تصعد لتتسلّق مرتفعات دراكنسبرغ المؤلفة من عقبات abrupts حادة .

أما على هضاب الأورانج والترانسڤال المرتفعة فتقوم الفوارق الحرارية ، بالإضافة إلى قلة الأمطار ، على جعل الأحراج عبارة عن دغلات غابية صغيرة تطوق المرتفعات الصغيرة المساة كوبجس Kopies ، أو تستقر في قيعان الراند Rands . أما في المناطق الأخرى فينتشر القلد Veld الرتيب ، وهي المروج الخضراء أو الرمادية حسب الفصل . غير أن القلد يتحول في المناطق المنخفضة الأكثر حرارة ، والواقع على تخوم الترانسڤال الشمالية الشرقية ، إلى سافانة مشجرة . وهنا تقع حديقة كروجر الوطنية الشهيرة .

ويتد هذا الپارك Parc على طول الحدود بين الترانسقال وموزمبيق على مسافة ٢٢٠ كم ، ويغطي مساحة ٢٠٨٠ كم او ضعف مساحة لبنان . ويمكن للإنسان أن يتجول فوق شبكة الطرق المتدة على مسافة ١٤٠٠٠ كيلومتر بالسيارة ، وأن يرى على مسافة بضعة أمتار من سيارته الأسود واللبوات التي لا تبدي أي اكتراث بالإنسان ولا بالماكنة التي تحمله . ويقصد هذه الحديقة ٤٠٠,٠٠٠ زائر في كل عام ، كي يأخذوا صوراً لمناظرها ، وكي يمنحوا أنفسهم وهماً بأنهم كادوا يلامسون ملسك الحيوانات .

ج. أ . لوسور ١٩٥١

ثانياً: التطور الاقتصادي في جمهورية جنوب أفريقية

لقد احتلت جهورية أفريقية الجنوبية مكانها بين الدول العصرية منذ مطلع القرن العشرين . وتدين بالكثير من نهضتها المدهشة إلى اكتشاف المذهب ، وكذلك أيضاً إلى استقرار البيض فيها منذ زمن قديم نسبياً وبوصولهم إلى القيلد .

ففي القرن السابع عشر والثامن عشر ، قدم معمّرون هولنديون انضم إليهم فيا بعد الهوغنوت الفرنسيون Huguenots ، وهم من أتباع مذهب بروتستانتي كالثني ، وألمان استوطنوا منطقة الكاپ ، التي أصبحت تابعة لإنكلترا في عام

١٨١٥ . غير أن الكثير من الموارعين ومن مربّي الماشية البوير Boers ، وهم بروتستان من أتباع مذهب كالقن المتشددين والمتيزين بحياة قاسية أبويّة ، رفضوا قبول الوصاية البريطانية ، وفي خلال القرن التاسع عشر ، انتشروا في الناتال ، الذي ضمته إنكلترا إليها في عام ١٨٤٣ ، وفي الأورانج الذي أصبح دولة حرة منذ ١٨٣٦ ، ثم الترانسقال الذي تأسس عام ١٨٤٤ . وقد أدت هجرات البوير إذن إلى استيطان أبيض في قلب القيلد ، أي شال نهر الأورانج ، وذلك قبل أن تحاول دول أوروبا الاستيلاء على داخل القارة السوداء .

وقد عمل البوير على مضايقة السكان الوطنيين ، أو طرده كي يقيوا في أجود الأراضي ، إلى أن اعتبروا أنفسهم أهل جنوب أفريقية الحقيقيين ، كشعب أفريقي آفريكانر Afrikaner ، بينا كان المهاجرون البريطانيون في نظرهم عبارة عن دخلاء .

وقد أدّت حرب البوير التي استرت من عام ١٨٩٩ و ١٩٠٢ إلى دخول الأورانج والترانسقال مع إقليي الكاپ والناتال في اتحاد جنوب أفريقية ، الذي نشر دستوره في عام ١٩٠٠ وأصبح عبارة عن دومينيون بريطاني .

الاستيطان الأبيض وتجاور أغاط الحياة:

لقد كان التطور الاقتصادي من صنع البيض وكان يتم لمصلحتهم وهم الذين لا يسزيد عدده عن ٥,٣ مسلايين أو ١٧,٨ ٪ من مجموع السكان . وإذا كان الأفريكانر يسيطرون على أكثر الأنشطة الزراعية وتربية الماشية ، فإن الإنكليز يشرفون غالباً على التجارة والمناجم والصناعة . أما الزنوج وعددهم يقارب ٢٤ مليون ، والآسيويون من هنود وباكستانيين وسيلانيين ، وعددهم قرابة المليون ، فلا يحتلون سوى الوظائف الدنيا ، كخدم ، أو كعبال زراعيين ، وفي المناجم ، أو عال في المصانع ، أو أصحاب حوانيت أو كموظفين من الدرجة الثانية .

ولا يزال الكثيرون من الزنوج يعيشون ضمن قبائلهم حياة شبه بدائية ضمن محتجزات خاصة réserves ، أو حظائر بشرية .

وقد كتب جاك ويلرس ، الجغرافي الفرنسي الشهير ، في عام ١٩٣٤ يقلول : تكاد تكون جغرافيتنا التقليدية هي جغرافية بيضاء فنجد أن أصغر قرية ، لا تضم أكثر من بضع مئات من المعمرين ، قد ذكرت بعناية على أطالسنا ، ولكننا نجهل حتى اسم القبائل التي تضم بضع مئات الآلاف من الأنفس . ومع هذا فإن الجغرافيا السوداء هي التي تقفز أكثر من سواها إلى عيون السواح والسفار .

فهنا في أراضي البيض ، نجد قرية أوروبية ، مؤلفة من مزارع قد تكون إنكليزية أو هولندية ، أو تقدم لنا التناظر المألوف وللميز في الأقطار الجديدة . فنجد الكنيسة وبرج جرسها ، والبلدية وساعتها ، والعنابر ومزارع الأشجار المثرة ، والكروم والمكائن الزراعية .

وعلى مسافة بضعة كيلومترات من ذلك نسقط في قلب بلاد قبائل الكافر Cafres ، ويكون تبدل اللوحة على غير انتظار ، حتى لتتصور أنفسنا في مشهد زنجي تم تشكيله بناء على رغبة أحد استوديوهات هوليود . فنرى حول أكواخ الطين البائسة ، ذات السقف الخروطي المصنوع من القش ، الأطفال ذوي البطون المنتفخة يلعبون في جو من النبار والعراء ، أما النسوة المؤتزرات بالأقشة الملونة فيذهبن إلى الينبوع ، وهن يحملن على رؤوسهن القرعات ، اليقطين » التقليدية ، أو نراهن قابعات على الأرض وهن يجرش بعناد حبات الذرة البيضاء القاسية بين ألواح حجرية منبسطة وخشنة .

الاستغلال الزراعي

لا تغطي الأراضي الزراعية أكثر من رقعة محدودة ، أو ٥ % من رقعة البلاد ، بسبب الجفاف وضآلة إمكانات الري .

فالنطاق الساحلي الضيق الواقع إلى الجنوب من إقليم الكاب ، يكون مقراً لزراعة متعددة غنية . فتنتج أكبر المزارع الأوروبية القمح المزروع بعلاً ، كا تسمح حقول البرسيم بقيام تربية ماشية حثيثة ، كحيوانات المذبح والأبقار الحلوبة . وقد بلغ إنتاج البلاد من القمح في عام ١٩٧٧ مليون طن ، كا بلغ

عدد الأبقار فيها ١٣ مليون رأس . غير أن كروم العنب ومزارع الأشجار المثمرة هي التي تمنح جمهورية جنوب أفريقية دوراً هاماً كدولة مصدرة للخمر ، لأن إنتاجها من الحمر بلغ ٦,٣ ملايين هكتولتر ، فضلاً عن الحمضيات والفواكه الأخرى ، والشوفان ١١٢٠٠٠ طن .

أما في الناتال فقد نظم البيض مزارع قصب السكر والتبغ وأنواع الثار المستوردة كالآناناس ، كا نجحت زراعة الشاي فوق التلال ، ولما عجز هؤلاء عن تعبئة ما يكفي من الأيدي العاملة الزنجية الحلية ، استقدموا أيد عاملة هندية خلال النصف الثاني من القرن العشرين .

أما هضاب الداخل المؤهلة لتربية واسعة للماشية ، فوق مساحات شاسعة ، فنجد فيها غوذجين من أغاط الاستغلال الريفي :

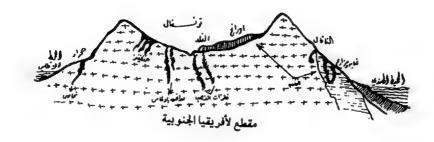
يقوم الزنوج ضن محتجزاتهم ، من كافريين وزولو بزراعات غذائية إلى جانب تربية ماشية واسعة . ولا يملكون سوى وسائل بسيطة ، وتتألف قراهم ، أي كرال Kraal ، من حلقة أكواخ ذات جدران مشيدة بالحجر الغشيم ، ومتوّجة بسقوف من قش ، بحيث تشكل رقعة مسوّرة يمني القطيع الليل في داخلها . أما المزارع الأوروبية فتتصرف بمساحات واسعة ، في إقليم الكارّو على الأخص . وتربي كل مزرعة منها بضعة آلاف من رؤوس الأغنام الجيدة الأصواف والتي ترعى في السهب ، ويحتاج كل رأس من الأغنام لمساحة نصف هكتار من المرعى . ويستخدم أصحاب المزارع رعاة من الزنوج ، أو كخدم ، أو كمال زراعيين مع عائلاتهم . ويقيم هؤلاء الزنوج في معزل ضمن معسكر يتألف من بضعة بيوت صغيرة غالباً ، أو على شكل دشرة hameau في حالة المستغلات الواسعة جداً . أما في السهب فتتباعد المزارع بمسافة بضعة كيلومترات عن بعضها البعض . أما المدن الصغرى أو dorps أما في السهب فتتباعد المزارع بحافة بضعة كيلومترات عن بعضها البعض . أما المدن الصغرى أو وإدارية وثقافية ، وهي عبارة عن واحات صغيرة لأن الري يتخذ فيها بعض الأهمية .

وهكذا نجد أن تربية الأغنام من عرق مرينوس تؤلف ٨٠ ٪ من القطيع الذي يقارب تعداده ٣٢ مليون رأس ، مما يجعل من أفريقية الجنوبية دولة عالمية كبرى في تصدير الأصواف الناعمة التي يبلغ إنتاجها ١٥٠,٠٠٠ طن بالعام .

أما في القلد في أورانج ، ولاسيا في قلد الترانسقال ، فإن المزارع الأوروبية تكون قادرة على تخصيص مساحات أكبر من الأراضي للزراعة ، فهناك تنتج الذرة الصفراء التي يصل إنتاجها إلى ١٠ ملايين طن ، بالإضافة إلى القمح والتبغ والقواكه ، مثلاً نجد المراعى الاصطناعية بما يسمح بظهور تربية أبقار كثيفة .

الثروات المعدنية:

لقد كان اكتشاف الألماس، ثم الذهب خلال أواخر عقود القرن التاسع عشر، واستغلال اليورانيوم حالياً، عبارة عن أحداث حاسمة بالنسبة لاقتصاد جنوب أفريقية، لأن هذه الثروات التعدينية تقدم للبلاد الشطر الأعظم من العوائد، وتجذب إليها الرساميل وتعجّل عملية تجهيز البلاد، وتقع مناجم ألماس قرب كيبرلي في إقليم الكاپ، وفي بريتوريا وفي الترانسقال، حيث يستخرج من الصخر الحيلي وحتى أعماق كبيرة، مقادير جسية من الفلزات التي تخضع للعديد من العمليات الصناعية (شكل ٣). ويتطلب استغلال هذه المناجم توظيفات مالية جسية أكثر مما هو الحال في زائير، حيث لاتعمل الورشات أكثر من جرف سماكات قليلة من اللحقيات. وهناك شركة بريطانية قوية هي شركة دوبيرز De Beers تشرف على سوق الألماس العالمية بفضل إنتاج جنوب أفريقية الذي



الشكل ٣٠

يغلب عليه ألماس المجوهرات ، ويشكل ٦٥٪ من الاستهلاك العالمي ، وقـد بلغ الإنتاج في عام ١٩٨٠ مقدار ٧,٥ ملايين قيراط و٧,٧ ملايين في ١٩٨٠ .

ولمناجم المذهب في الترنسڤال دور أكثر أهمية . فهي تتطلب إنشاءات صناعية عظيمة وتستخدم جماهير غفيرة من العمال . وقد استطاعت أن تجعل من ويتواترستراند Witwaterstrand المشهورة باسم راند اختصاراً ، أول منطقة صناعية ، مثلما جعلت من مدينة جوهانسبرغ التي يسكنها ١,٧٠٠,٠٠٠ نسمة ، العاصة الاقتصادية لكل جنوب أفريقية . وتتشكل خامات الـذهب من نوع من خرسانة « صخر رملي » ذات حصباء مغلّفة بملاط كوارتـزي قاس جداً يضم وريقات وتبر تزن مابين ٥ غرامات و ١٠ غرامات بـالطـن الواحـد ، و ٢٥ غرامـاً في أحسن الحالات . وترتصف هذه الكونغلوميرا على شكل عدة طبقات محصورة بين طبقات الحقب الأول ، والملتوية على شكل مقعر يتجه من الشرق إلى الغرب . ولما كان الأمر يستدعى استخراج الكونغلوميرا أو banket كان لابد من حفر آبار وأنفاق مناجم تهبط إلى عمق يزيد مرتين أو ثلاث عن أعماق مناجم الفحم في شمالي فرنسا . ويجب رفع خامات تزن ملايين الأطنان كل عام ، وتهشيها ، ثم طحنها ، واللجوء إلى عملية الغسل للتوصل إلى تمركز الذهب أو تثبيتُ بعمليات إرجاع كياوية ، ومن ثم تصفية المعدن الثمين في مصنع جرميستون الشهير ، قرب جوهانسبرغ والذي يعالج نصف إنتاج ذهب العالم . ويمكن تصور قدرة مثل هذه الصناعة والمشكلات التي يقتض الأمر حلها ، وقد أنتجت جمهورية جنوب أفريقية في عام ١٩٧٦ ٧٠٠,٠٠٠ كغم من الـذهب ، أو ٧٠٠ طن مقابل ٢٥٥,٧ طن في عام ١٩٨١ .

أما مشكلة الأيدي العاملة فقد أصبحت حادة ذلك أن مناجم الراند تستخدم حالياً قرابة المناجم المناجم الراند تستخدم حالياً قرابة المناجم عاملاً منهم ٣٠٠,٠٠٠ زنجي . وقد أنشأت إدارة المناجم مؤسسة مشتركة تقوم بتجميع الشغيلة السود وتوزيعهم . وتوظف المؤسسة العال بموجب عقد يمتد على ١٨ شهراً وسطياً ، وتوفر لهم الغذاء والمسكن في مجمّعات compounds لاتكون بالضرورة عبارة عن ثكنات شنيعة . ويتمتع الزنوج

بكل حريتهم في هذه الجمّعات ، ولكن عليهم أن يخضعوا لنظام منم التجول ليلاً . ويأتي عمال المناجم السود من السافانا ومن أنحاء الجمهورية ، مثلما يأتون من الأقطار المجاورة ، ويتكلمون لغمات شديدة الاختلاف. وفي منتصف ١٩٨٢ طردت حكومة جنوب أفريقية أكثر من ١٧٠٠٠ عامل موزمبيقي دخلوا البلاد بصورة غير شرعية للعمل فيها ، وغالباً ما يكون المنجم بالنسبة لهم أول فرصة للتماس مع المدنية البيضاء ، وبجرد وصولهم تبدأ تيئتهم لحياتهم الجديدة ، ويدربون على تعلم لهجة مساعدة ، ولكن أصبح تطويع العال أكثر صعوبة ، لأن الأجور لازالت منخفضة ، ولا تزيد عن ٥ دولارات باليوم أو ٢٠ ليرة سورية تقريباً ، هذا عاماً بأن أجرة العامل الختص في اليابان والولايات المتحدة تتجاوز ٢٥ دولاراً بالساعة الواحدة . كا أن الصناعات التحويلية أصبحت توظف عمالاً من الزنوج بأعداد متزايدة ، فضلاً عن أن استقلال الدول الجاورة مثل أنغولا وموزمبيق جعل التعاقم مع العال الأحانب أكثر صعوبة ومشقة ،

كا أن مشكلات المردود تزداد استفحالاً ، هذا فضلاً عن أن نفقات التجهيز والاستغلال بلغت حداً جعلت تناقص نسبة محتوى الخامات تقود أحياناً لإغلاق بعض المناجم. وفي هذا الوقت أصبحت منطقة الرائد القديمة ، الشرقية ، والوسطى والغربية ، تعطى أمارات النضوب ، وأصبح المردود في تناقص ويقتضي استخراج مقادير متزايدة ، وصلت إلى ٣ ملايين طن ، وكان محتوى الطن في حـالتين يتراوح بين ٥ إلى ٦ غرامات بالطن .

غير أن فتح مناجم ذهب جديدة ، ذات مردود أفضل ، ولاسيا بعد أن جاء إنتاج اليورانيوم المستخرج من شوائب خامات الذهب ، ليفتح أمام شركات الراند منظورات وآفاقاً جديدة .

أما مناجم الفاروست راند وأورانج ، فقد بدأ التعرف عليها عشية الحرب العالمية الشانية أو فيما بعد . ويكون الحتوى من الذهب في خاصاتها مرتفعة ، كا أن استخراج اليورانيوم يزيد أيضاً من الأرباح التي يكن أن تحققها .

وقد كتب مراسل جريدة لمونـد الفرنسيـة بتـاريخ ١٩٥٣/١١/٢٧ وهو نيـدرغنغ يقول : « قمت بزيارة أحد هذه المناجم التي يستخرج منها الذهب واليورانيوم ، ويطلق على المستغلَّـة التعـدينيـة اسم (المنظور المرح) ، والتي لاتختلف عن كثير من مثيلاتها في منطقة الراند ، وتتميز بثيلاّتها الباسمة التي يقطنها المهندسون و (بقريتها) الزنجية التي يعيش فيها ١٥٠,٠٠٠ عـامل زنجي ، ومنشــأتهــا السطحيـــة التي لاتختلف كثيرًا عن كثير من منشآت مناجم الفحم ، وعلى عمق ٢,٠٠٠ م يصبح الاختـلاف على العكس محسوساً . فالحرارة تكون خانقة والرطوبة كبيرة جداً . وهناك ثلاث ورديّات تتناوب العمل جغرافية الدول الكبرى (٥٠)

كل ٨ ساعات في أنفاق الاستخراج ، حيث تلمع المصابيح الجبهية التي يحملها العال ، والتي تثير بريق الكوارتز الحاوي على الذهب . وهناك أنفاق أكثر عمقاً من ذلك حيث يعمل العال في أعماق تصل إلى ٣,٠٠٠ م تحت الأرض .

وتنح شدة الطلب على اليورانيوم أفريقيا الجنوبية مكانة جديدة في القضايا العالمية . ويبدو أن صادراتها من اليورانيوم أصبحت تعادل صادراتها من النهب من حيث القية ، إذ بلغت مبيعاتها من هذه المادة ٤٠ مليون جنيه استرليني خلال عام ١٩٥٦ . والولايات المتحدة وكندا هما الدولتان الوحيدتان اللتان تنافسان أفريقية الجنوبية في هذا الإنتاج ، وكذلك جهورية النيجر ، ولكن على مقياس أصغر بكثير . وبفضل العون المالي الذي قدمته الدولتان المشتريتان الرئيستان وهما الولايات المتحدة وبريطانيا استطاعت أفريقية الجنوبية بالفعل أن تجهز وتقيم المصانع التي تسمح لها باستخراج اليورانيوم في الوقت ذاته الذي تستخرج فيه الذهب وبلغ إنتاجها من اليورانيوم ٢٧٠٠ طن في المهاد .

ولما كان الإنتاج العادي المصحوب بإنتاج الذهب لا يسدّ الطلب ، فقد عمدت الشركات أيضاً للبحث عن اليورانيوم في أكداس تلال النفايات التعدينية المساة دامبس Dumps ، والتي اندمجت مع تقادم الزمن في طبيعة المشهد الجغرافي ، ويعطي « استغلال البقايا » هذا فكرة عن المكانة التي احتلها إنتاج اليورانيوم إلى جانب استغلال الذهب .

وهناك مستغلات أخرى تنتج الذهب بكيات زهيدة ، كا في الترنسفال الشمالية ، والألماس من ناميبيا ، وتحتل جمهورية جنوب أفريقية الدرجة الثانية في العالم في إنتاج البلاتين بفضل مناجم الترنسقال .

وإلى جانب ذلك أنتجت جنوب أفريقية في عام ١٩٨٠ قرابة المردق طن من النحاس ، و٢٥٨٥ طن النحاس ، و٢٥٨٥ طن من المنغنيز ، وكمية من المانيزيت ، و ٣٨٠ طن من الأميانت و ٢٩٠٠ طن من القصدير .

هذا وتملك جنوب أفريقية شبكة خطوط حديدية تعتبر أكثف وأنشط شبكة في القارة السوداء . كا أن موانئها مؤهلة لحركة تجارية واسعة . ويخدم ميناء دربن الذي يخم ٥٠٠,٠٠٠ نسمة إقليم الترنسقال ، الذي يجد مصرفاً لسلعه

في ميناء لورنزوماركيز في موزمبيق . أما ميناء پوراليزابت وفيه ٤٥٠ ألف نسمة ، فيقوم بتصريف أصواف منطقة الكارّو . وتحتل مدينة الكاپ وفيها ٢,٥ مليون نسمة موضعاً ممتازاً لتوقف السفن التي قر من رأس الرجاء الصالح ، وكذلك بالنسبة لكل تجارة أفريقية الجنوبية ، وقد استفادت كثيراً من أزمة إغلاق قناة السويس بعد حرب ١٩٥٧ وحرب ١٩٦٧ بين العرب والكيان الصهيوني .

وتبدو النهضة الصناعية في جهورية جنوب أفريقية سريعة جداً ، ذلك أن إنتاجها من الفحم الحجري الذي يناهز ١١٥ مليون طن يؤمن شطراً لابأس به من إنتاج الكهرباء ، أو ١٩٥٧ مليارك و س في ١٩٨١ ، لأنه يتعذر تنية مواردها من الطاقة الكهرمائية في الناتال وفي إقليم القال الاله التي تؤلف ٢٪ لاغير . وإذا كانت البلاد تفتقر للنفط فإن صناعة الحديد في تقدم ، إذ تقع مناجم حديد قرب بريتوريا وتؤمن حاجات مصانعها الحديدية التي تنتج ٨,٨ ملايين طن من الفولاذ ، مقابل ٢,٤ مليون طن فقط عام ١٩٦٠ . هذا وتعالج خامات النحاس التي تستخرج من إقليم الكاپ ومن ناميبيا والذي يبلغ انتاجه ١٩٠٠ طن وتحتل بذلك المرتبة الثانية في العالم ، والمنغنيز من منطقة إنتاجه ١٠٦٠ طن وتحتل بذلك المرتبة الثانية في العالم ، والمنغنيز من منطقة الكاپ وتعالجه في مصاهر محلية . ولدى هذه الدولة صناعات نسيجية ، وصناعة إسمنت تقدم ٢٨٠ ملايين طن بالعام .

هذا وتصنع جنوب أفريقية حالياً قاطرات ومكائن وسيارات ، فضلاً عن الصناعات الغذائية والكياوية التي تتطور بسرعة . وتشتل الصادرات الصوفية على نسبة متزايدة من أصواف ممسطة أو مغسولة ، وتقوم مصانع پوراليزابت بغزل ونسج أصواف تسد حاجات السوق الحلية من الأقشة ومن الملبوسات الصوفية .

هذا ولدى جمهورية جنوب أفريقية صناعة صيد بحري متقدمة لاسياعلى

سواحل إقليم الكاپ وسواحل ناميبيا حيث التيار البارد والهائمات « الپلانكتون » ، وتصل كية صيدها إلى ٦١١,٠٠٠ (١٩٨١) طن من الأسماك ، مثلما صادت ١٨١٧ حوت بالين في موسم ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤ .

غوالمدن:

تقع مدينة جوهانسبرغ في الترانسقال ، وهي أكبر مدينة في جمهورية جنوب أفريقية ويسكنها حوالي ١,٧ مليون نسمة ، وهي عاصمة البلاد الاقتصادية ، ورابع مدينة في قارة أفريقية بعد القاهرة والاسكندرية والدار البيضاء . أما بريتوريا : فهي العاصمة الإدارية ويربو عدد سكانها على ٦٠٠ ألف نسمة . وهي أكثر هدوءاً وتتركز فيها معظم الهيئات السياسية والإدارية في الجهورية .

لقد كانت جوهانسبرغ معسكراً تعدينياً تحول إلى مدينة عملاقة حديثة . فحول ناطحات السحاب الناصعة البياض في الوسط ، تقوم تلال نفايات المناجم terrils ، التي لاتتوقف عن التضخم والتعاظم . وتثور في أواخر الفصل الجاف ، أي في آب وايلول ، عواصف رملية حقيقية تجتاح الشوارع المستقية . وقد قال أحد الظرفاء اللاذعين يوماً ما : « إن جوهانسبرغ هي المدينة الوحيدة في العالم التي يمكن للإنسان أن يصاب فيها عرض الرئة الصواني دون أن يهبط إلى قعر منجم » . والواقع يعني هذا بالطبع نكتة مفرطة ، ولكن من الصحيح القول ان هذه التلال العالية المؤلفة من فضلات خامات الذهب المعالجة ، تطرح منذ فترة طويلة مشكلات عسيرة الحل أمام مهندسي المدن .

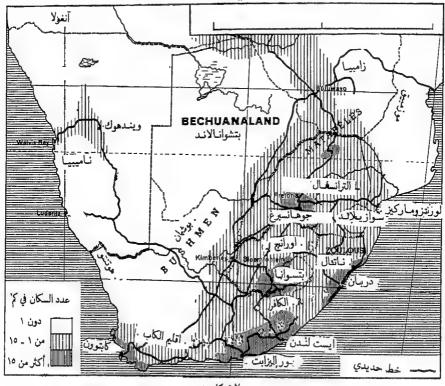
لموند : نيدرغنغ ١٢/٣/١١٥٣٠

أما في إقليم الناتال فتضم دربن قرابة ثلاثة أرباع المليون من البيض والسود والمنود . وتحوي مدينة الكاپ ، وهي المدينة القديمة الاستعارية التي تحتل موقعاً بديعاً ، حوالي ١,٢٥ مليون نسبة ، وهي العاصمة التشريعية ، ويسكنها البيض والزنوج والماليزيون ونسبة عالية من الهجناء . أما بقية مدن جمهورية جنوب أفريقية مثل پوراليزابت وسكانها ٤٥٠ ألف نسمة ، وايست لندن وفيها

١٥٠ ألف نسمة في إقليم الكاپ ، ومدينة كيبرلي وبلومفونتين ويسكنها ١٥٠ ألف نسمة وهي عاصمة إقليم أورانج ، فتتوسع أيضاً رغم وظائفها الاقتصادية المحدودة نسبياً .

وتقسم البلاد إدارياً إلى أربعة أقالم هي : الكاپ ، ناتال ، ولاية أورانج الحرة ، والترانسقال (شكل ٤) .

الاستيطان والمواصلات في اتحاد جنوب افريقيا



الشكل ٤

ثالثاً: المآسي الإنسانية في جمهورية أفريقية الجنوبية

يبدوأن قوم البوشمان وقوم الهوتنتوت ، الذين ينتسبون نوعاً ما إلى أقرام أفريقية الوسطى ، هم أقدم الذين استوطنوا أفريقية الجنوبية ، كا يعمل

اختلاط الهوتنتوت مع بيض منطقة الكاپ ، في الماضي ، ومع الزنوج فيا بعد ، وعمق بؤس البوشان البدائيين ، على تلاشي هذين العرقين تدريجياً .

يعيش البوشان في سافانا بتشوانالاند بصورة بائسة ويتغذون بنوع من بطيخ صغير وبعض الدرنيات التي يقتلعونها من الأرض مع عدد قليل من رؤوس الماعز ويصطادون بالاستعانة بكلابهم بعض الحيوانات . ولا يعرفون الأكواخ بل يقطنون في كهوف كانت تسكنها الوحوش . ومع ذلك كان أجدادهم يعرفون فن الرسم على جدران المغاور ، وأصبح بعضهم رعاة ممتازين وحتى صيادي بحر مهرة . ولكن المدنية التي يتحاشونها والتي تغلفهم ستقضى قريباً على الآلاف القليلة الباقية منهم .

« جاك ويلرس » .

أما البانتو الذين استوطنوا تدريجياً شرقي أفريقية الشرقية ، فقد طردوا البوشان والهوتنتوت نحو صحراءي كالاهاري وكارو . وجاءت أقوام شديدة المراس من البانتو ، مثل الكافريين ، والزولو ، والماتابيليه ، وقاوموا تقدم البوير ، الذي يؤلفون اليوم ثلثي البيض من سكان جنوب أفريقية أو أكثر من ثلاثة ملايين ، مثلما تصدوا للتقدم البريطاني فيا بعد . ولا زال الكثير من هؤلاء الزنوج يعيشون في المحتجزات ، ويؤلفون قرى « كرال » أو قبائل . ولكن أكثرهم يعيشون في تماس مع البيض وفي أوضاع متدنية .

ويظهر هذا الوضع الأدنى بشكل صارخ في قضايا المسكن والمواصلات . وهكذا يقسر التمييز العنصري آلاف زنوج مدينة جوهانسبرغ على الانتظار خلال ساعة أو ساعتين عند « مواقف باصات الوطنيين » ، ريثا يصل الأوتوبوس الذي سينقلهم إلى حيّهم البعيد ، في المدن أو المساكن التي تقيها البلدية لهم خصيصاً أو إلى أحياء القصدير ، التي تدعى مدن شانتي Shanty حيث تتنابع الأكواخ الكئيبة حتى مسافة ٢٥ كم عن المدينة الكبرى فوق الأراضي الجرداء .

هذا ويتقاض الزنوج الذي يقارب عددهم المليون ، من الذين يعملون في الصناعة ، أجوراً أفضل نوعاً ما من ٥٠٠,٠٠٠ عامل منجم ، بيد أنهم لا يتمتعون بالمسكن ولا بوسائل النقل . ولكنهم جميعاً ينالون أجوراً تقل عن زملائهم البيض . ويعمل الزنوج كعال زراعيين أو كخدم ، ويبدو أن عدد الخدم الملوّنين في أفريقية الجنوبية مدهشاً ، ويعيشون في أوضاع لا تختلف في شيء عن أوضاع الرقيق .

ويؤلف الآسيويون والهجناء أقلية لا تشعر بأنها أقل من الزنوج قهراً وإذلالاً . ويجتع الهنود في الناتال ، ويقارب عددهم النصف مليون ويشكلون ٣٪ والصينيون ٣٠ ألفاً ، وماليزيو الكاپ ١٢٠,٠٠٠ نسمة ، كا لا يستطيع هجناء الكاپ الذين يقارب عددهم المليون ونصف أن يحتلوا أكثر من وظائف ثانوية . ولما كان الآسيويون عبارة عن منافسين للأوروبيين في الجال التجاري ، فقد صدر قرار في عام ١٩١٥ يحول بينهم وبين دخول البلاد .

انقسام البيض:

لا تزال الخصومة بين الأفريكانر وبين بريطاني جنوب أفريقية قضية قائمة وإن كان الطرفان متحدين في عدائهم وازدرائهم للملونين . ولقد استطاعت حكومة الجمهورية أن تضع على قدم المساواة اللغة الأفريكانية المشتقة من الهولندية ، واللغة الإنكليزية ، وذلك في عام ١٩١٠ ، كا استطاعت أن توجد راية وطنية ترفرق إلى جانب العلم البريطاني في ١٩٢٧ ، مثلما تمكنت من التصرف بذهبها بحرية ، دون أن تتعلق بلندن في ١٩٤٧ ، ومع ذلك استرت المطالب « القومية » ، وذلك قبل أن تنفصل نهائياً عن رابطة الكومونولت البريطاني بسبب مشكلة التمييز العنصري .

ويحتل الأفريكانيون مكانة متزايدة الأهية في الدولة دون التخلّي عن نفسيتهم المتفرّدة .

وإذا كان لايزال الناس الأصل الإنكليزي يلعبون دوراً مسيطراً في الاقتصاد ويستحوذون على ٨٠٪ من الثروة القومية في أفريقية الجنوبية ، فإن تفوق الأفريكانر العددي هو البارز ، لأنهم يؤلفون ثلثي البيض . كا يتتعون بشدة توالد تزيد دوماً في نسبتهم المئوية في مجل السكان ، مثلما يتيزون باستمال اللغتين الإنكليزية والأفريكانية ، في حين أن الإنكليز لا يرتضون لأنفسهم تعلم الأفريكانية التي لا تصلح للاستمال في خارج البلاد ، كا أن لهم ثقة شبه صوفية بأن لهم الحق على هذه الأرض التي كانوا أول من استقر بها ، ويتوافدون في كل يوم بأعداد متزايدة للاستقرار في المدن وشغل الوظائف الإدارية والتوصل إلى المراكز العليا . غير أن المطالب التي ينادي بها أكثر الأفريكانر تطرفاً

تثير قلق إنكليز جنوب أفريقية ، وتشوش دوماً العلاقات السياسية في داخل الجمهورية . كا يكون لهاتين الجماعتين المتيزتين من البيض موقفاً مختلقاً تجاه الهجرة الأوروبية ، فالبيض يحبذون قدوم الإنكليز ، بينما يرجح الأفريكانر بجيء الألمان والهولنديين .

هذا كا لاتخلو الرغبة في التوسع الأرضي من ضغوط خارجية معاكسة ، ذلك أن أفريقية الجنوبية لا تعترف بحق الأمم المتحدة في إدارة شؤون ناميبيا ، لأن جمهورية جنوب أفريقية تفضل إلحاقها تماماً بأراضيها ، حتى أنها لاحقت ثوار ناميبيا لداخل أراضي آنغولا في عام ١٩٨٨ .

أما اليوم فقد أصبحت أفريقية الجنوبية جمهورية مستقلة تماماً ، حرة من أية علاقة سياسية مع المملكة المتحدة والكومونولث ، كا تبنّت عملتها الوطنية وهي الراند ويزيد سعره قليلاً عن الدولار ، والذي حل محل الجنيه البريطاني .

التمييز العنصري:

لا يزال حاجز اللون ينوء بكلكله على حياة أفريقية الجنوبية . ففيا عدا الاحتكاكات التي لا غنى عنها بين البيض وأتباعهم الملونين ، فإن الأوروبيين يتجاهلون ويريدون تجاهل السود .

ويخشى الأفريكانر أكثر مما يخشى البريطانيون ، من نتائج الاندفاع الديموغرافي السريع جداً ، والذي يميز الجماعات الملونة . وإذا كان عدد البيض يناهز الخسة ملايين تجاه خسة وعشرين مليوناً من الزنوج ، ومليونين من المجناء ، و ٢٠٠,٠٠٠ آسيوي ، ففي نهاية القرن قد يصل عدد البيض إلى ٢ ملايين ، مقابل ٣٥ مليوناً من الزنوج و ٤ ملايين من الهجناء ومليوني آسيوي .

ترى هل سيتكن المد الملون من إغرات المدنية الأوروبية في أفريقية الجنوبية ، كا يفكر البيض المتعصّبون ؟ ولا يرى هؤلاء إلاّ حلاً واحداً لمشكلة تعايش العروق ، وهو التييز الصريح ، أو نظام العزل apartheid .

وإليكم فكرة أحد أعضاء الحكومة ، الذي كان في السلطة بين ١٩٤٨ و ١٩٦٠ : « ستقول لي انه ما از يتمدّن الملونون حتى يهرعون إلى رفض البقاء تحت وصاية البيض طبعاً ، ولكن لا يعني هذا أن علينا أن نتخلى عن حكم أفريقية الجنوبية أمام الملونين . أليس من الطبيعي أن يتمسك البيض بالحقاظ على هو يتهم ، وثقافتهم وعلى مكانتهم في هذه القارة ، وألا يتصوروا احتال طردهم أو تهجينهم ؟ »

وترمي سياسة العزل إلى إسكان كل عرق في منساطق متيزة ، حيث يمكنهم التطور حسب حركيتهم الخاصة بحيث تكون المدن مقسومة إلى أحياء موزعة حسب المجموعات العرقية المختلفة .

ولكن سياسة العزل التي تدخل حيّز التطبيق ستؤدي وتؤدي حالياً إلى تسميم العلاقات المتوترة بحد ذاتها بين العروق القاطنة في أفريقية الجنوبية ، وستظهر بالضرورة ، في أعين الملونين ، كتعبير تعسّفي عن سيطرة البيض .

ففي جوهانسبرغ مثلاً اضطر ١٠٠,٠٠٠ نسمة من المليونين إلى النزوح عن مساكنهم تطبيقاً لقوانين التييز . كا أن ستة مناطق حضرية مخصصة للبيض أصبح واجباً على السود أن يخلوها ، كا أن على ٢٠٠٠ هندي أن يتركوا دكاكينهم ومساكنهم لسكنى الحي المخصص لهم على مسافة ٣٠ كم عن قلب المدينة .

وهكذا تنوء مأساة العروق ، مأساة هذين « العالمين اللذين يتقابلان في الشوارع دون أن ينظر أحدهما في عيني الآخر » تنوء بثقلها أكثر فأكثر على مصير أفريقية الجنوبية أكثر مما تنوء على نجاحاتها المادية .

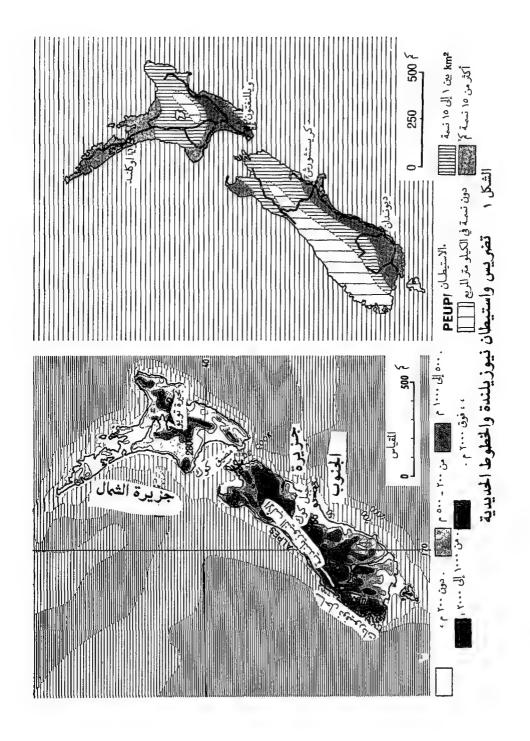
جهورية جنوب أفريقيا في مطلع الثانينات

يبدو وضعها عسيراً ، فبعد اضطرابات سويتو في ١٩٧٦ جاءت المشكلة العرقية الجديدة لتثير العنف والترد . بيد أن مستوى معاش السكان البيض لم يكن في أي يوم مضى بمثل هذه السوية من الارتفاع . فقد المخفضت الضرائب ، وخفضت الضرائب على الأرباح من ٤٦ ٪ إلى ٤٢ ٪ ، وتوزع شركات تعدين الذهب أرباحاً سنوية تبلغ ٢٠ أو ٢٢ ٪ من قية الأسهم ، مثلاً زادت الرواتب والمعاشات التقاعدية . ويتصف الميزان التجاري بفائض كبير بفضل ارتفاع سعر الذهب ولتحسن وضع الصادرات الأخرى كالفحم والكروم والمنغنيز . غير أن الوضع لا يخلو من الغيوم ، فيزانية عام ١٩٨٠ خصصت ١٢ ٪ زيادة على مصروفات الدفاع الوطني أو ما يعادل سدس الميزانية ، مثلاً أدخلت زيادة على نفقات النقل والمناجم بحوالي ٢٢ ٪ في حين خفضت القروض الخصصة للصناعة بقدار ٢٢ ٪ . هذا

ويزيد قلق الأوساط الدولية بسبب مصاعب التمييز العنصري ، وراحت الاستثمارات المباشرة تنكش كا أصبح الحصول على القروض الخارجية أكثر صعوبة ، مثاما راحت الهجرة البيضاء من البلاد تتفوق على الهجرة إليها . كا أوقفت إيران صادراتها من النفط إلى جنوب أفريقياً تماماً بعد أن كانت أكبر دولة مصدرة للنفط لهذه الجمهورية . وقد انخفض المستوى المعاشي الإجمالي بصورة خفيفة خلال السنوات الأربع الأخيرة ويستقر التضخم فوق ١٢ ٪ سنوياً ولا سيا وأن البطالة أصبحت مأساوية بين الجماهير السوداء ويبلغ عددهم المليون أو ٢٠٠,٠٠٠ في مناطق سكني البيض ويتقدم في كل عام ٢٠٠,٠٠٠ شخص جديد لسوق العمل .

هذا كما يلاحظ وجود بطالة وافتقار إلى الأيدي العاملة الماهرة بين ظهراني البيض. وتبدو تبعية الطاقة خطيرة رغم العثور على بدائل ثانوية إذ لم يعد النفط عثل سوى خس الحاجات إلى الطاقة نظراً لتوفر الطاقة الكهرمائية والفحم في مكامن هامة . وهناك برنامج ضخم للتوسع في إنتاج الكهرباء فقد قامت ثلاثة مراكز طاقة حرارية وتمّ بناء سد في غرب مقاطعة الكاب. بيد أن النفط يظل مادة لاغني عنها في مجال النقل والمواصلات والدفاع والزراعة . وعلى الرغم من التنقيب المكثف عن النفط لم يمكن العثور على أي بئر منتجة . وهكذا اضطرت البلاد إلى اللجوء لبعض التدابير كشراء النفط من السوق الحرة بأسعار أكر ارتفاعاً وإقامة مخزونات استراتيجية تكفى لمدة ثلاثة أعوام على الأقل وربما لخسة وتقنين شديد في الا متهلاك اعتباراً من حزيران ١٩٧٩ واستعال الفحم المسيّل في مصانع ساسول Sasol لأن مصانع ساسول رقم ١ لاتنتج ٥ ٪ من الحاجة إلى الوقود السائل وقدّم ساسول رقم ٢ ٢٥ ٪ في عام ١٩٨٠ لولا أنه تعرض لعملية تخريب ، ويتم بنا، مصنعين مماثلين من النمط نفسه ، وأفريقيا الجنوبية هي القطر الوحيد في العالم الذي عارس بانتظام إمامة هذا النوع من المؤسسات ، وتفكر البلاد في استعال الإيتانول éthanol انطلاقاً من منتجات نباتية كالذرة الصفراء والخشب والشوندر السكري . وهناك تفكير بالحصول على مايين ١٥ و ٢٠ ٪ من الوقود السائل من إنتاج الميتانول والإيتانول مقابل ٤٧ ٪ انطلاقاً من محروقات سائلة مستمدة من الفحم . وقد بلغ الإنتماج التعديني مستويات قياسية من الأسعار أو ١٢ مليار دولار (+ ٢٧,٥ ٪ عن ١٩٧٨) . ويعود هذا في معظمه للارتفاع المذهل في أسعار الذهب وهو المادة الرئيسة في صادرات جنوب أفريقيا . وقد بلغت المبيعات ٧ مليارات مقابل ٤,٥ في ١٩٧٨ وزادت أيضاً أثمان مبيعات الفحم ، الذي شهد ازدهاراً كبيراً منذ ظهور أزمة الطاقة ، وتصديرها إلى أوروبا والشرق الأقصى بحيث أصبحت جنوب أفريقيا ثاني دولة تصدر الفحم إلى فرنسا (٦٠٠ مليون دولار) ، وصادرات النحاس بقيمة ٢٣٣,٧ ملايين دولار ، ومبيعات ضخمة من الألماس على يد شركة دوبير De Beers بلغت ٦٧٠ مليون دولار . وتعتبر أفريقيا الجنوبية أكبر بلد مصدر للأقطار الغربية بالنسبة للمديد من المواد الاستراتيجية كالمنفنيز والكروم والأورانيوم . ويتركز أربعة أخماس الإنتاج الصناعي في أربعة مراكز عرانية هي : جوهانسبورغ _

بريتوريا ، الكاب ، دربان ، بور اليزابت . أما الزنوج القاطنون بين ظهراني البيض home lands والذين يؤلفون ثلث مجموع السكان فلا يقدمون أكثر من ٢٥٥ إلى ٣ ٪ من الناتج القومي الخام . ويبذل جهد كبير في سبيل التخلص من مركزية الفعاليات الاقتصادية ولكن دون نجاح يذكر . وهناك رغبة لدى الحكومة في توسيع دور الدولة ولكن ذلك لايحظى بالإجماع . وتعاني أفريقيا الجنوبية من تبعية كبرى في التجارة الدولية التي تمثل ٥٠ ٪ من الناتج القومي الخام (٢٥ ٪ مع اليابان ، ٤١ ٪ مع المانيا الاتحادية و ١٤ ٪ مع الولايات المتحدة) . وتبلغ نسبة التجارة الخارجية مع سنة أقطار أكثر من الثلثين وهي : المملكة المتحدة والولايات المتحدة والمانيا الغربية واليابان وفرنسا وإيطاليا . وتتقدم المانيا بشكل مدهش في هذا الجال . وتصدر أفريقيا الجنوبية بالأساس الذهب والمنتجات الزراعية والمواد الأولية التعدينية والمنتجات نصف المصنوعة ، وتستورد سلع الاستهلاك بنسبة ٢٠ ٪ والمواد التجهيزية وزراعية منها ١٢٠٠ بريطانية أي النصف و ٤٥٠ ألمانية و ٢٥٠ أمريكية ولا تتجاوز نسبة واستخراجية وزراعية منها ١٢٠٠ بريطانية أي النصف و ٤٥٠ ألمانية و ٢٥٠ أمريكية ولا تتجاوز نسبة مبادلاتها مع الأقطار الأفريقية ٢٠ ٪ .



أستراليا ونيوزيلندة

لقد جرى إعمار قارة أستراليا وجزيرتي نيوزيلندة ، المنفصلتين عن بعضها بسافات محيطية يتراوح عرضها بين ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ كيلومتر ، والتائهة في قلب البحار الجنوبية ، والمتقاطرة antipodes مع قارة أوروبا ، على أيدي البريطانيين ، وذلك مند مطلع القرن التاسع عشر .

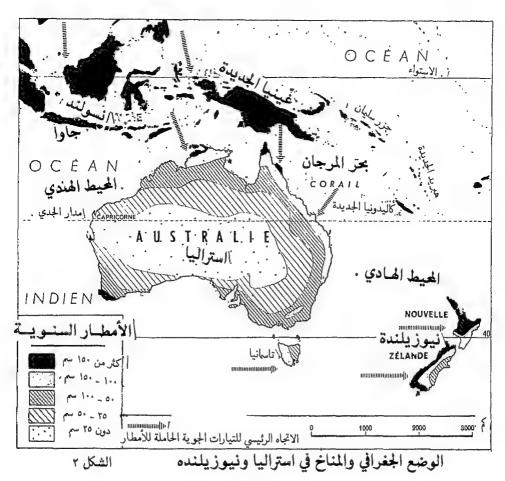
فعلى الرغ من الاستقلال الكامل لهاتين الدولتين ، فإن كلاً منها يؤلف دومينيون ناء ومنعزل ، ولا زالا أكثر أعضاء الكومونولث تشبثاً به ، ويؤلفان أكثر قواعد النفوذ البريطاني متانة فيا وراء البحار ، ذلك أن كلاً من أستراليا ونيوزيلندة يحتفظان بالسمة البريطانية بكل حذافيرها . وقد ساعد على ذلك عزلة السكان وطبيعتهم . غير أن الأستراليين والنيوزيلنديين يتيزون جميعاً بتعلقهم الغيور بالمدنية البريطانية ما داموا يخشون مغبة جوار الجماهير الآسيوية الكثيفة .

لقد اتخذت نيوزيلندة كل ملامح بريطانيا العظمى ، فتبنّت كل تقاليدها ، حق تلك العقلية التي أصبحت متراخية في إنكلترا القديمة ذاتها . ففي يوم الأحد يشاهد السائح فوق مروج الساحات البلدية ، وذلك في كل أرجاء الجزيرتين ، كيف ينهمك اتباع لعبة البولنغ ، ولاعبي الكروكيت ، وهم بلباسهم الأبيض ، ويقبعاتهم العريضة ، في هذين النوعين من الرياضة التقليدية ، المريحة ، بجوار المنابع المنابع المنابع المنابع المنابع تتدد بجوار المدن ، مثل مدينة أوكلاند ، لمسافة ٥٠ كيلومترا ، وذلك ضن ديكور بريطاني بحت .

أولاً: الشروط الطبيعية

أستراليا ذات القلب اليابس

الكتلة القارية الأسترالية: تكاد أستراليا بمساحتها البالغة ٧,٦٨٦،٨١٠ كيلومتر مربع تعادل مساحة أوروبا ، فهي أصغر القارات وأكبر جزيرة في العالم . فهي تمثل في نصف الكرة الجنوبي ، بين الحيط الهندي والحيط الهادي ، كتلة قارية حقيقية ذات حواف صلدة ، ذلك أن السواحل فيها تكون فعلاً نادرة الفجوات الساحلية : (شكل ١ و ٢)



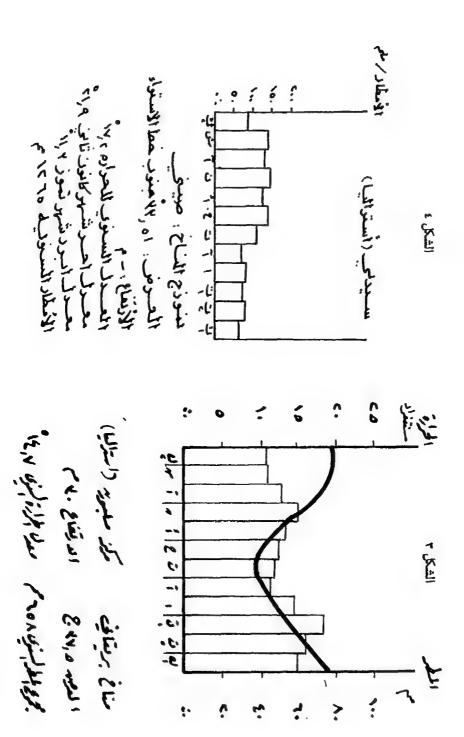
_ Y9A _

ففي الشال الشرقي تؤلف أرصفة الحاجز الكبير المرجانية « جداراً » يمتد على طول ١٦٠٠ كيلومتر ، ويبتعد عن الساحل مسافة تتراوح بين ١٠ و ٢٠٠ كيلومتر ، ويتوسط خليج كاربنتري بين شبه جزيرة يورك شرقاً وشبه جزيرة آرنهم غرباً .

وفي الجنوب يظل الخليج الأسترالي الكبير شديد الانفتاح في حين يتسلّل خليج سپنسر ، وخليج سان فنسان بعمق أكبر في داخل الأرض . هذا ويقوم مضيق پاس بفصل أستراليا عن جزيرة تاسمانيا .

المناخ وقحولته: نظراً لوقوع القارة الأسترالية بين خطي العرض ١٠ و ٤٠ جنوباً فإن المدار يخترقها تقريباً من وسطها، مثل وضع الصحراء الكبرى في نصف الكرة الشهالي . وهكذا تخضع لتأثير الضغوط العليا شبه المدارية والتي تفرض الجفاف على مثل هذه العروض، ولا ينجو من هذه القحولة المهينة سوى المناطق الهامشية ، فتجلب الرياح الموسمية على شهال القارة وشرقها خلال الصيف الجنوبي هواء صادراً من جزر آنسولندة ومن بحر المرجان ، والحيط الهادي . وهكذا يستفيد المناخ الحار ، من النمط المداري ، من فصل أمطار غزيرة . ولكن المناخ يصبح معتدلاً في النهايتين الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية ، وكذلك جزيرة تاسمانيا ، ذلك أن درجات العرض المحصورة بين ٣٥ و٣٤ جنوباً ، بالإضافة إلى تأثير الرياح الغربية الكبرى Westerlies هي التي تفسّر وجود فصل لطيف شتاءً ، وهطول أمطار محيطية (شكل ١٤٣)

ولكن يظل ثلاثة أرباع مساحة أستراليا في الداخل قاحلاً. فهنا يسجل الترمومتر درجات حرارة شديدة الاختلاف. فبينا يكون النهار شديد الحر تتعرض الليالي لبرد قارس وتكون الأمطار عبارة عن زوابع قصيرة تتصف بعدم وجود أي نظام لها.



ارتصاف التضاريس

هناك تاج من الأراضي المرتفعة يطيف بالمنخفض الأوسط ، ذاك هو شكل التضريس الأسترالي ، مما يساهم في استفحال جفاف الداخل .

وتتألف أستراليا من ركيزة قديمة ، تسترها غالباً صخور رملية ظلّت تؤلف طبقات أفقية ، ولم تتأثر بأكثر من انعطافات خلال الحقب الجيولوجية ، فهي عبارة عن عتبة متفاوتة في ارتفاعاتها ، وهكذا لا تحوي أستراليا أية سلسلة جبلية حقيقية .

وتنبثق من هضبة أستراليا الغربية الفسيحة التي يتراوح ارتفاعها بين وحده م ، بعض سلاسل من مرتفعات تتجاوز الألف متر ، مثل جبال ماكدونل وموسغريڤ في قلب القارة الأسترالية . وفي الوسط تظهر سهول ركامية تحتل أطراف خليج كاربنتاريا في الشال ، ومنطقة بحيرة آيره ، التي تهبط عن سوية البحار بمقدار ١٢ م ، وعلى أطراف حوض دارلنغ . وقد عملت بعض المدوع في هذا المنخفض المركزي على انبشاق الركيزة القديمة في بعض الأمكنة ، مثل جبال فليندرز ، الواقعة في شال مصب نهر مورّاي .

وتظهر في الشرق سلسلة الكورديللير الأسترالية ، المؤلفة من قبة من الصخور القديمة ، ذات خاصرة شديدة الانحدار من طرف السهول الساحلية ، ولا يتخذ تضريسها بعض العنف إلا في الجنوب ، كا في الجبال الزرقاء ، وجبال سنووي حيث ترتفع إلى ٢٢٤٠ م في قمة كوسيوسكو ، وذلك بتأثير كسور حدثت في الحقب الثالث والتي تحكمت في توجيه جبل غامبيه ، ومضيق پاس وجبال تاسمانيا التي تسمو إلى ١٥٤٥ م ، من الغرب نحو الشرق .

المشاهد النباتية والهيدروغرافيا

يعمل المناخ والتضريس في أستراليا على حصر المناطق الرطبة والخضوضرة في جنرانية الدول الكبرى (٥١)

هامش ضيق . ففي هذه المناطق الواقعة في الشال وفي الشال الشرقي تنتشر غابات مدارية وساقانات ، أما في الجنوب الشرقي وفي الجنوب الغربي فتنتشر مروج فوق السهول ، وغابات متدرجة فوق المرتفعات الغزيرة الأمطار . وهكذا تنحدر من الجبال الزرقاء ، ومن جبال سنووي أنهار جيدة التغذية أهمها نهر مورّاي وطوله ١٩٥٠ كم ، ونهر مورمبيدجي ، رافد مورّاي ، ونهر دارلنغ رافد مورّاي .

ولكن سرعان ما يأخذ النبات في الانحطاط والهزال باتجاه الداخل . وهنا ندخل عجال البوش busch ذي الشجيرات العقدية والقميئة ، مبعثرة فوق أرض متجففة ، دون عشب . وقد نصادف أيضاً مناطق أشد فقراً عندما يتفوق السكروب Scrub ، وهي دغيلات متراصة لا يمكن التوغل فيها ، مؤلفة من شوكيات عديمة الأوراق ، ولكنها مسلّحة بأشواك تكون أحياناً سامة .

وإذا كانت البقاع المحرومة من أي نبات لا تحتل سوى القليل من الأمكنة فإن قلب أستراليا « الميت » يضم صحاري لا تقل رهبة عن أسوأ فيافي الصحراء الكبرى .

ويؤدي التبخر وتجفف الترب إلى الحيلولة دون وجود أي جريان مائي في الأودية . وهكذا تظل سرر الأودية تحديدة الحصوية جافة على الدوام تقريباً ، ولكن نجد على ضفافها نباتات شحمية تشهد على وجود الماء المتسرب نحو أعماق اللحقيات alluvions . وهكذا تنهمر على أثر العواصف المطرية كيات كبيرة من المياه الوحلية في هذه الأودية الجافة وتجري لمسافة ١٠ أو ٢٠ كم وأحياناً أكثر من ذلك ، ولكن سرعان ما ينضب معين هذه الموجة العارمة . كا أن نهر دارلتغ نفسه ، الذي يتحدر من سلسلة الكورديللير « السراة » الشرقية ، يفقد صبيبه الأصلي عند اختراقه المنخفض الأوسط ، وعند النصف الأدنى من مجراه لا يكون أكثر من واد سيلي هزيل . وتنتهي الأودية الوقتية ، أو كريك ، في سهول تحجب تربتها الغضارية أوحال خطرة والتي تكون منخفضاتها مشغولة بسبخات ذات ضفاف متعدلة .

بدونه . وهكذا تم حفر ٤٠٠٠ بئر عميقة في الحوض الأرتوازي الكبير ، والتي تنتج ماء شديد المتعدن لا تستسيغ شربه سوى الحيوانات ، ولكن من أجل سقي الزروعات يجب الاعتاد على أغشية مياه أقرب من سطح الأرض ، والتي تكون بالتالي ذات مخزونات محدودة ، لأنها عبارة عن احتياطات جيولوجية لا تتجدد على المدى القصير .

أرض غير مضيافة

لقد ظلت أستراليا المعزولة ، والخاضعة لشروط طبيعية غير موائحة ، ظلت حتى القرن التاسع عشر أرضاً بدائية لا تملك سوى القليل من الجاذبية أمام الإعمار والاستيطان .

وإذا كانت بعض النباتات الحلية مثل الأوكاليبتوس^(۱) والسنط تقدم بعض الموارد ، فإن الكثير منها كان ضاراً بالإنسان وبالتربة ، لهذا كان من الضروري أقلمة كل النباتات المزروعة تقريباً .

أما العالم الحيواني ، الوحيش ، الأسترالي الذي كان مقطوعاً عن بقية العالم ، فقد كان يحوي على بعض أنواع الثدييات الدنيا التي تلاشت منذ بضع عشرات الملايين من السنين من القارات الأخرى ، كالكنغر مثلاً . وهكذا اضطر أوائل المعمرين البريطانيين إلى استقدام الحيوانات الأهلية . غير أن هذه المبادرات لم تكن دائماً موفقة ، وهكذا تكاثرت الأرانب والكلاب بأعداد مذهلة في مناطق الدغيلات « بوش » حتى أصبحت تؤلف محنة مخيفة أمام تربي الأغنام .

إذن كانت أستراليا ، أكثر من أية بقعة في العالم ، بلداً جديداً وكان على الإنسان أن يصنع فيه كل شيء .

لقـد ظلت جزيرة الكنغر التي تمتد على طـول ١٧٠ كم ، والتي تمتد في مـواجهـة خليـج سـان فنسان ، ظلت حتى أواسط القرن العشرين عبارة عن منطقـة عـاجزة عن توفير معيشـة أكثر من ١٠٠٠

⁽١) ويسمى خطأ الكينا في سورية والكافور في مصر.

نسمة . فلم تكن تنتج سوى القليل من الشمير ، والقليل من صمغ الهشاب ، والقليل أيضاً من دهن الأوكاليبتوس . أما باقي نباتها فكان يماثل النجيل الذي تصنع منه المكانس . وظل المزارعون قابعين في سهول الطرف الشرقي من الجزيرة ، وهو الوحيد الخصيب تقريباً . وكانت كل محاولاتهم لاستزراع المناطق الأخرى عرضة للفشل .

وعندما فكرت الحكومة ابتداءً من عام ١٩٤٥ في منح قطع من الأراضي للجنود السرّحين ، قررت أن تقيم مزارع جديدة فوق المناطق الشاغرة من الجزيرة ، ولكن العملية لم تكن ميسورة فقد اضطرت إلى اقتلاع أشواك العليق بواسطة سلاسل ضخمة تسحبها الجرارات ، وقامت الجرافات بتسوية الأراضي ، وأعقبتها الحاريث التي غرست فيها سككها لعمق نصف متر ، ثم تلتها علية تمشيط الأرض لصنع الأثلام التي تلقت بذار نبات المراعي المقبلة ، وقامت طيارات عديدة بنثر أطنان الأسمدة فوق الأرض .

وهكذا أمكن استصلاح ٥٠,٠٠٠ هكتار وتم تمديد ٤٠٠ كيلومتر من السياجات لتحديد الحيازات الجديدة الممنوحة للمعمرين الجدد ، ولبناء حوالي ١٠٠ مزرعة نموذجية بكامل تجهيزاتها . وفي عام ١٩٤٦ أصبحت الجزيرة تؤمن المرعى لقطعان بلغ تعدادها ٨٥,٠٠٠ رأس ، وفي ١٩٥٢ أصبحت أعدادها ١٥٠,٠٠٠ رأس ولكن البرامج تستهدف رفع عدد القطيع إلى مقدار ٥٠٠,٠٠٠ رأس .

نيوزيلندة

وتتألف الجزيرتان من قوس جبلي في الحيط الهادي الجنوبي ، ولا تزيد مساحتها عن ٢٧٠,٠٠٠ كيلومتر مربع ، أي ما يعادل مساحة سورية والأردن . ولهذا لا يكون لها الطابع القاري الذي رأينا في أستراليا ، التي تزيد مساحتها أكثر من ٣٠ مرة عن نيوزيلندة . وتنفصل جنيرة الشمال عن جنيرة المجنوب بضيق كوك ، فتتدان على شكل قوس طوله ١٥٠٠ كم ولا يتجاوز ٣٠٠ كم عرضاً في حده الأقصى . ويكون التضريس عنيفاً والمناخ رطباً مما يجعل الشروط الطبيعية أفضل بكثير مما هي في أستراليا .

وهكذا تنتصب في جزيرة الجنوب جبال الألب النيوزيلندية وهي سلاسل من أعراف ومن جموديات عند حافة الساحل الغربي الذي يبدو مفرّضاً بالفيوردات ، ويصل ارتفاع هذه السلسلة ذات التكوين الحديث إلى ٣٧٦٥ متراً

في جبل كوك . وتطل سفوحها الشرقية على بحيرات قابعة في قعر الأودية الجودية السابقة ، هذا فضلاً عن سهول ساحلية تتفاوت في اتساعها .

أما جزيرة الشمال ، أو الجزيرة « المدخّنة » كا يسميها السكان الوطنيون من الماؤوري Maoris فقد انتابتها انكسارات حديثة جداً ، لا تزال قادرة على الحركة في أعقاب الزلازل . ونجد بين الحافتين الجبليتين ، في الشرق وفي الغرب ، حفرة متوسطة تحتلها بحيرة تو يو ، وتضم عدداً من البراكين الناشطة ، وبراكين وحل ، ونافورات مياه حارة geysers .

هذا وتسكب الرياح الغربية على الجزيرتين مقادير ضخمة من التهطالات الغزيرة مع حد أقصى شتوي نظراً لهينة المناخ المعتدل الحيطي . غير أن الجزيرة الشمالية التي تقع على درجة عرض تماثل البرتغال في نصف الكرة الشمالي تتصف بصيف حار وبشتاء عذب وتختلط في نبات غاباتها عناصر رومية « متوسطية » كالسنديان مع نباتات مدارية كالنخيل .

أما جزيرة الجنوب ، ذات الصيف اللطيف الحرارة ، والشتاء الواضح ، فتكون ذات جبال مستورة بالخروطيات ، في حين تتلقى السهول الشرقية ، الواقعة خلف حاجز جبال الألب النيوزيلندية المكثفة للأمطار ، أقل من متر واحد من المطر السنوي ، وتنتشر فيها المروج العديمة الأشجار .

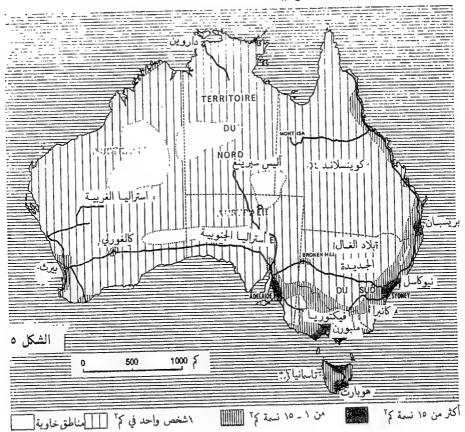
ثانياً: السكان والاستيطان

يتجاوز عدد سكان أستراليا حالياً ١٥ مليون نسمة ، وكانوا حسب تقديرات ١٩٧٧ ، ١٤ مليوناً و ١٢,٩ مليوناً بعد إحصاء شهر آذار ١٩٦٢ ، في حين يبلغ عدد سكان نيوزيلندة ٣,٥ ملايين نسمة ، وكانوا ٣,٢ ملايين في عام ١٩٧٧ و ٢,٤ مليون في ١٩٦١ .

وتكون ندرة الناس فوق هذه الأراضي ، حيث لا تزيد الكثافة الأسترالية

عن شخصين في الكيلومتر المربع ، مقابل ١٢ نسمة في نيوزيلندة ، تكون محسوسة أكثر لشدة التناقض القائم بين سكان الأرياف المتخلخلين والمبعثرين ووجود مدن كبرى في أقصى توسعها وازدهارها (شكل ٥) .

استيطان استزاليا عوالخطوط الحديدية الرئيسية



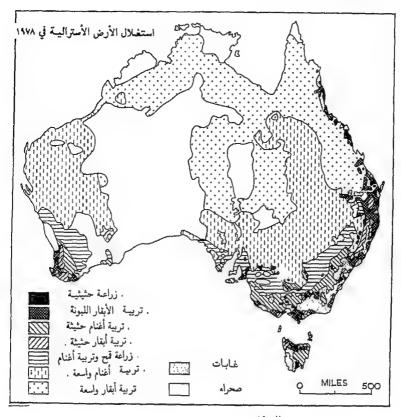
ففي أستراليا لا تزال مساحات شاسعة في قلب القارة خاوية من السكان . أما مناطق تربية الماشية الواسعة extensif التي تغطي معظم مساحة البلاد فلا تتجاوز الكثافة فيها شخص واحد في الكيلومتر المربع . بيد أن سيدني تضم أكثر من ٣ ملايين نسمة مقابل ٢,١ مليون قبل عشرين عاماً ، وملبورن ٢,٢ مليون ، بريسبان ٧٠٠,٠٠٠ ، وآديللئيد ٩٥٠,٠٠٠ نسمة ، وپرت

۸۰۰,۰۰۰ ، وهو بارت ۱۷۵,۰۰۰ . وهكذا تستأثر عواصم الولايات الأسترالية بحوالي نصف سكان القارة (شكل ٦) .

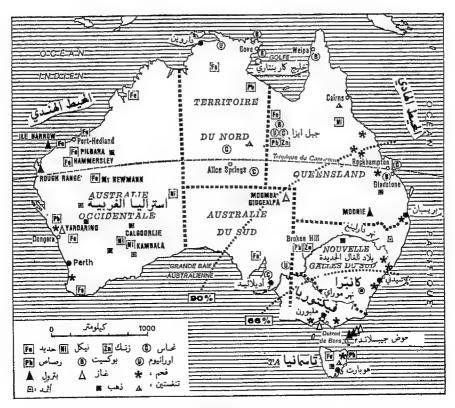
هذا ويحوي جنوب شرق الجزيرة مع العاصمتين المتنافستين ، أي سيدني وملبورن وفيها ٢٥٠,٠٠٠ نسمة ، مع أكثر المناطق الزراعية استغلالاً ، ثلثي سكان البلاد (شكل ٧) .

وعلى كل تقسم البلاد إلى ست ولايات ومنطقة واحدة ودائرة واحدة .

1 - أستراليا الغربية : ومساحتها ٢٥٥ مليون كم ، سكانها ١,٢ مليون ، عاصمتها پرث ، ومن المدن الهامة فيها فريمانتل ٢٥٠٠٠ نسمة ، وكالغورلي ٢٢٠٠٠ نسمة ، وبونبورغ ١٦٠٠٠ نسمة .



الشكل ٦



الشكل ٧

نجد فوق هذه الخارطة مواقع أم الثروات المعدنية . وإذا كانت المناجم مبعثرة فوق مجمل رقعة البلاد فإن السكان ، على العكس ، شديسدو التركز . لأن ٢٦٪ من الأستراليين يعيشون في مسدن الجنوب الشرقي الأقصى و٧٠٪ في « القرن » المؤلف من ولاية فيكتوريا ، وبلاد الغال الجديدة وجزء من كويسلاند ومن أستراليا الجنوبية

٢ - أستراليا الجنوبية : ومساحتها ٨٠١,٤٠٠ كم٢ ، سكانها ٤,٥ ملايين ، عاصمتها سيدني ، ومن مدنها الهامة نيوكاسل ٢٦٠,٠٠٠ ، ولونغونغ ٢٥٠,٠٠٠ ، سسنوك ٣٧,٠٠٠ .

- ۳ کوینسلاند: ۱,۷ ملیون ک^۲ ، یسکنها ۲,۳ ملیون نسمة ، عاصمتها بریسبان ، ومن مدنها الهامة تونسڤیل ۲۰,۰۰۰ ، تووومبا ۵۵,۰۰۰ ، وایبسویش ۵۶,۰۰۰ وروکهامبتون ۷۷,۰۰۰ .
- ع ـ فكتوريا : ٢٢٧,٦٠٠ كم ، وفيها ٣,٧٥ ملايين ، وعاصمتها ملبورن ومن مدنها الشهيرة جيلونغ ١٢٠,٠٠٠ ، وبالأرال ٢٠,٠٠٠ ، وينديغو ٤٤,٠٠٠ .
- ٥ ـ منطقة الشمال: ومساحتها ١,٣ مليون كم٢، وسكانها ١٠٠,٠٠٠ نسمة، عاصمتها داروين.

هذا وتصل نسبة التوالد الأسترالية إلى ١٧ بالألف والوفيات ٨ بالألف، ونسبة وفيات الأطفال ١٤ بالألف ويصل العمر المتوسط إلى ٧٧ سنة ، وترتفع نسبة سكان المدن إلى ٨٦ ٪ .

أما في زيلندة الجديدة فتكون الكثافات السكانية الوسطى أعلى مما هي في أوستراليا ، غير أن جبال الجنوب ووسط جزيرة الشمال يظلآن خاليين من السكان تقريباً ، ويعيش في مدينة أوكلاند ٨٥٠,٠٠٠ نسمة مقابل ٤٠٠ ألف قبل عشرين عاماً أو ٢٠٠,٠٠٠ في ويللنغتون العاصمة ، و ٣٥٠,٠٠٠ في كريستشورش ، و ١٣٥,٠٠٠ في دوندين ، أي يعيش في المدن ٨١ ٪ من السكان ، ولكن نصف السكان يتركزون في هذه المدن الأربع الكبرى .

وتبلغ نسبة توالد سكان نيوزيلندة ١٨ بالألف ، مقابل ٨ بالألف للوفيات أي بزيادة سنوية تعادل ١ ٪ أي يحتاج السكان لمدة سبعين سنة لكي يتضاعف عددهم ، ولكن يصل العمر المتوسط عندهم إلى ٧٢ سنة مثل الأوستراليين مقابل ٥٥ سنة وسطياً في الأقطار العربية .

ولقد ظلت أستراليا ونيوزيلندة حتى مطلع القرن التاسع عشر منعزلتين عن الطرق البحرية الكبرى وخاليتين من السكان فعلاً .

أما الأستراليون الأصليون ، فكان عددهم لا يتجاوز بضع عشرات الآلاف ، وظلوا في مستوى العصر الحجري ، ولا يحسب لهم حساب في تعداد سكان أستراليا ، ويقدر عددهم حالياً بحوالي ٢٠,٠٠٠ نسمة . ولا تزال تعيش في أراضي الشمال بعض بجموعاتهم حياة بدائية ضمن الأحراش ، أما في باقي المناطق فقد أمكن استخدامهم رعاة غنم . وقد وفدوا إلى هذه الجزيرة منذ ٤٠,٠٠٠ سنة من قارة آسيا نتيجة طردهم من قبل أقوام أقوى شكية أو نتيجة ضغط ديموغرافي . أما جماعات الماؤوري في نيوزيلندة فقد كانوا يقطنون الجزيرة الشمالية فقط ، وهؤلاء الوطنيون الذين ينتسبون إلى العرق الپولينيزي قاوموا في البداية استيطان المعمرين البيض الإنكليز . أما الآن فيشكلون أقلية صغيرة يبلغ تعدادها المحديثة بسرعة . أو أقل من عشر السكان وأصبحوا يتثلون المدنية الأوروبية الحديثة بسرعة .

أما العنصر الأنكلوسكسوني: فقد وصل البيض الإنكليز لأول مرة لهذه البلاد بتاريخ ٢٦ كانون الثاني ١٧٨٨ بعد رحلة محفوفة بالأخطار استغرقت تسعة أشهر، وعلى متن السفينة ١٠٣٠ شخصاً، يتألفون من بعض الإداريين والجنود والباقي من الحكومين من رجال ونساء نتيجة جرائم صغرى أو جرائم سياسية، حكم عليهم بالنفي لمسافة تزيد عن ٢٠,٠٠٠ كم عن وطنهم كي يقضوا في المنفى مدة تتراوح بين ٧ و ١٤ سنة أو مدى الحياة، ثم تلاهم الباحثون عن النهب الذين تدفقوا على البلاد حتى نهاية القرن التاسع عشر، ثم سار على خطاهم المعمرون الذين اعتمدوا على تربية الماشية فوق الأراضي التي منحتهم الدولة دون سند تمليك أو squatters ، أو المزارعون الذين استأجروا أو اشتروا مزارعهم .

أما في نيوزيلندة فكان التشريع العقاري يشجع على إنشاء مزارع ذات مساحة متوسطة .

أما في أستراليا فلم يكن الكادسترو يغطي سوى رقعة صغيرة من مساحة

البلاد . ولكن يسمح لحطات تربية الماشية أن تقوم فوق أو أراضي التاج » وأن تقد على مساحات تعادل مساحتها إحدى المحافظات السورية الصغرى .

وظل التطور الديوغرافي حتى عام ١٩٤٠ ناتجاً عن التزايد الطبيعي لدى السكان الأستراليين والنيوزيلنديين ، حيث كانت نسبة التوالد عالية نسبياً مع نسبة وفيات منخفضة ، بالإضافة إلى نسبة محددة من المهاجرين الذين لا يمكن أن يكونوا إلا من البيض . ولكن الأفضلية كانت للبريطانيين . ولما كانت رغبة الأستراليين والنيوزيلنديين في أن يظلوا من الشعوب البيضاء ذات المدنية البريطانية فقد منعوا أي هجرة آسيوية قد تؤدي إلى نشوء أقلية تعتبر غير قابلة للتثيل وإلى تدهور الأجور ، وإلى انخفاض مستوى المعيشة . وقد استقدم الأستراليون بضع مئات من الأفغان عملوا في تربية الإبل التي كانوا بحاجة إليها لارتياد مناطق أستراليا الداخلية ، ولكن هؤلاء جاؤوا بدون نسائهم ، وتزوجوا من النساء الإنكليزيات فانصهروا ولم يعد لهم أثر حالياً .

وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية ، وبدأ خطر الاجتياح الياباني تراءى للعيان خطر قلة الاستيطان . وهكذا لجأت الحكومتان إلى تشجيع الهجرة إلى البلاد ، مع منح الأفضلية دوماً للأنكلوسكسون ، فاستقبلوا بترحاب أكبر الأوربيين من كل جانب مثل الهولنديين والألمان والطليان مع التشديد على تحقيق التمثل السريع .

لقد استقبلت الحكومة الأسترالية منذ فترة ١٩٤٧ ـ ١٩٦٠ ما بين ١٥٠,٠٠٠ و ٢٠٠,٠٠٠ مهاجر في كل عام مما تجاوز وتيرة الهجرة بين ١٩٢٤ إلى ١٩٢٩ حيث كان معدل الهجرة السنوية يتراوح بين ٤٠,٠٠٠ و ٥٠,٠٠٠ نسمة ، مثلما تجاوزت نسبة السنوات السابقة التي كانت أكثر ضعفاً ونسبة فترة ١٩٢٩ حتى ١٩٤٦ حيث كانت الهجرة متوقفة تماماً .

وهكذا تبدو الهجرة إلى أستراليا أكثر سرعة بمرتين بما كأنت عليه الهجرة إلى الولايات المتحدة ، هذا إذا أخذنا نسبة السكان المقيين بعين الاعتبار . فبعد أن كان عدد سكان أستراليا ٧,٦ ملايين في ١٩٤٧ قررت الحكومة رفع عدد السكان إلى ١٤ مليون نسمة صوالي العام ١٩٧٥ ، أو بمعني آخر مضاعفة

سكان البلاد في خلال جيل واحد وهذا ما أنجزته بالتام . والواقع أن مثل هذا البرنامج الجريء كان أمراً مفروضاً لأن أستراليا تفتقر للأيدي العاملة وتخشى نتائج اكتظاظ سكان قارة أسيا القريبة . ولقد صرّح وزير أسترالي في الخسينات قائلاً : « إن الهجرة على المستوى الذي اخترناه تبدو مخاطرة عظيمة ومغامرة كبرى ، ولكنها مخاطرة يجب التسليم بها إذا أردنا لأنفسنا البقاء » .

وفي ١٩٦١ كان عدد سكان أستراليا قد تجاوز ١٠٠٥ ملايين . وراحت الهجرة إلى أستراليا تتزايد خلال الستينات بمعدل قدوم ١٠٠،٠٠٠ نسبة في العام مع حد أقصى بلغ ١٨٥٠٠٠ نسبة في موسم ١٩٦٩ . ولكن كانت غالبية القادمين في هذه المرة من البريطانيين بسبب تعرض بلادهم لأزسات اقتصادية .

أما الهجرة الآسيوية ، التي كانت تمثل ٢,٥ ٪ من المهاجرين في ١٩٦٨ ـ ٦٩ ، فقد بلغت ٢٩ ٪ في عام ١٩٧٨ بعد تبني سياسة عدم التمييز في العرق واللون والقومية في ١٩٧٣ . وكانت هذه الظاهرة تشكل انقلاباً كاملاً في السياسة الرامية إلى قيام (أستراليا بيضاء) . ومنذ ١٩٧٠ أصبح الآسيويون يؤلفون أكبر زمرة من المهاجرين . وفي ١٩٦٩ طرح تدفق المهاجرين التساؤل التالي :

هل تستطيع أستراليا إدماج كل هذه الجاهير الوافدة ؟ هل يوجد ما يكفي من فرص العمل والمساكن ؟

وظهر الاهتمام بإمكانات النمو المستمر ، وباختناق المدن ، وبالتلوث ، وبنوعية المعيشة كا ظهرت الدعوة إلى تطبيق « قرائن » في اصطفاء المهاجرين .

وفي عام ١٩٧٥ ـ ٧٦ أذى رد فعل الحكومة تجاه الرأي العام وأمام تناقص في وتائر النمو الاقتصادية ومجالات العمل إلى هبوط عدد الوافدين إلى ٥٢٠٠٠ نسمة وهو أدنى رقم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .

بيد أن أستراليا تحولت مرة أخرى إلى أرض استقبال اللاجئين من آسيا ومن لبنان . ففي عام ١٩٧٩ وفد ٢٢,٠٠٠ لاجئ قدموا من معسكرات اللاجئين في تايلاند ، كا جاء ١٣,٠٠٠ نسمة من الذين هربوا من جحيم الحرب الأهلية في لبنان ، كا رحبت أستراليا بدخول اللاجئين من الآنغوليين ومن الأحباش ، ومن السوريين ومن يهود الاتحاد السوڤياتي .

غير أن بعض الذين وفدوا على أستراليا لم يستقروا فيها نهائياً . فعاد بعضهم إلى بلادهم الأصلية لمسائل عائلية ، أو لتألمهم من الغربة ، أو لصعوبة تواؤمهم مع البيئة الجديدة والانسجام معها ، ولكن يبدو أن ٨٠٪ من الذين قدموا منذ ١٩٤٥ اتخذوا من أستراليا وطناً لهم .

وتمارس نيوزيلندة سياسة مماثلة ، فقد استهدفت رفع عدد سكانها من ١،٧ مليون في ١١٤٧ إلى أكثر من ٣ ملايين في ١٩٧٥ ، وهذا ما بلغته بصورة كاملة .

التنظيم السياسي والاجتاعي

تؤلف كل من أستراليا ونيوزيلندة دولة كاملة الاستقلال ضمن إطار الكومونولث البريطاني . وتشكل الولايات الأسترالية الست مع منطقة الشمال منذ ١٩٠١ الاتحاد الفيديرالي الأسترالي وعاصمته كانبرا ، وهي مدينة جديدة ، قامت في ناحية اتحادية ويسكنها ٢٥٠,٠٠٠ نسمة بعد أن كان عدد سكانها لا يتجاوز ٢٦,٠٠٠ في ١٩٦٠ .

أما العاصمة النيوزيلندية ويللينغتون فتقع في الجزيرة الشمالية على مضيق كوك الذي يفصل بين الجزيرتين .

ويفتخر الأستراليون والنيوزيلنديون بمستوى معاشي يكن مقارنته بستوى معيشة الأمريكيين . ويحتل هذان الشعبان الفتيّان والنشيطان مكاناً متيزاً بين الأمم الديوقراطية والعصرية .

لقد تبنّت نيوزيلندة منذ عام ١٨٩٨ ـ وهي القطر الذي سبق الوطن الأصلي ، أي بريطانيا ، وكل الأقطار المتقدمة في أوروبا ـ أقول تبنّت مبدأ معاشات الشيخوخة وشملت كل مواطنيها بسرعة بنظام الضان الاجتاعي للكامل .

ولقد اقتبس البريطانيون أنفسهم من النيوزيلنديين عدداً لابأس به من إصلاحاتهم الاجتاعية ، ولاسيا اشتراكية الطب . أما التنظيم العالي فهو متقدم جداً والانتساب إلى النقابات إجباري . أما نسبة عدد السيارات لعدد السكان فتحتل أستراليا الطليعة في الإحصائيات العالمية بحيث تقف على قدم المساواة مع الأمريكان .

المواصلات

تضطر كل من أستراليا ونيوزيلندة ، أكثر من أي قطر في العالم ، إلى التغلب على المسافات والتباعد . وكل المدن الكبرى هي عبارة عن موانئ ، ويحقق

الأسطول البريطاني القسم الأعظم من الاتصالات البحرية ، ومع ذلك تملك أستراليا أسطولاً تجارياً ارتفعت حولته في عام ١٩٧٥ إلى ١,٢٠٥,٢٤٨ طنة . كا طرأ تطور عظيم على المواصلات الجوية مع أوروبا ، وأمريكا ، وآسيا .

وإذا كانت نيوزيلندة تملك شبكة كثيفة من الطرق الجيدة تمتد على ٩٢٠٠٠ كم ، ومن الخطوط الحديدية تصل إلى ٥٤٠٠ كم ، فإن أستراليا تشكو من عجز شبكة طرقها التي تمتد على مسافة ٩٠٠,٠٠٠ كم وخطوطها الحديدية التي لا تتجاوز ٤٢٠٠٠ كم (شكل ٨) . بيد أن الطائرة أصبحت فيها وسيلة النقل المألوفة .

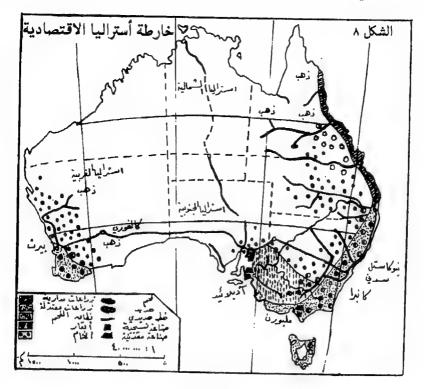
لقد تم مدّ السكك الحديدية بسهولة : وهكذا فإن الخط الحديدي الذي ينطلق من آديلائيد إلى يرث يجتاز سهل نيلاًبور الصحراوي بخط مستقيم طوله ١٠٣١ كم . ولكن لم يتم بناء سوى زمرة من خطوط نفوذ تنطلق من البساحل كي تبلغ المناطق الزراعية الرئيسية ، ومناطق تربية الماشية أو المراكز التعدينية . وترتبط هذه الخطوط بواسطة الخط الأسترالي العابر للقارة الذي يربط العواصم الخس فيا بينها ، ولكنه يحتوي على أربعة طرق ذات مقياس مختلف . فقد أقامت كل ولاية طرقها الخاصة دون أن تهتم بتنسيق على مستوى اتحادي « فيديرالي » . ويؤدي عجز الشبكة الحديدية إلى شلل تطور بعض المناطق . ففي كوينللاند مثلاً ، وخلال الجفاف الكبير في ١٩٥١ ، كانت آلاف الأبقار تنفق من العطش ومن الجوع على مسافة بضع عشرات الكيلومترات من المراعي الطيبة ، والتي كانت شدة ضعفها وهزالها تجعلها عاجزة عن بلوغها سيراً على قوائها .

وقد أخذت الطائرة على عاتقها نقل كل الركاب تقريباً ، إذ تقوم بين المدن الكبرى عدة رحلات يومية ، مثلما يكن طلب طائرات تكسي . وقد أصبحت الطائرة في مراكز تربية المواشي في الداخل وسيلة الحياة التي لأغنى عنها ، وبفضلها يكن الذهاب إلى المدينة المجاورة الواقعة على مسافة ٢٠٠ أو ٣٠٠ كم من المسكن . وفي حالة المرض يكن استدعاء « الطبيب الطائر » بواسطة اللاسلكي ، الذي يأتي لإسعافك في الحال ، كا يكن ذبح المواشي محلياً وإرسال لحمها بالطائرة ، وعوضاً عن خطوط حديدية جديدة ، تعتمد ألم تراليا الآن أكثر فأكثر على الطائرة الشاحنة .

ثالثاً: التطور الاقتصادي

تؤلف نيوزيلندة مزرعة بريطانية ، في متقاطراتها ، أي في الطرف المقابل من الكرة الأرضية . وتأتي أهم موارد نيوزيلندة من مزارعها التي تستغل ٦٠٪ من أراضي البلاد . وهكذا يقدم المزارعون النيوزيلنديون ، المجهزون بأدوات عصرية ، بالإضافة إلى قطيع جيد الاصطفاء ، تعمل تحت تصرفهم مؤسسات تعاونية ضخمة ، ويقدمون منتجات ممتازة قادرة على منافسة أفضل السلع الأجنبية في أسواق إنكلترا .

وهكذا تنتج الزراعة الختلطة mixed farming فوق أراضي السهول الغنية ، التي تقوم فيها زراعة المحاصيل المتنوعة والمروج الرعوية ، تنتج الحبوب والفواكه ، كالحمضيات في الجزيرة الشالية ، والتفاح في الجزيرة الجنوبية ، ولاسيا الحليب



وحيوانات الذبح ، من أبقار وخنازير (شكل ٩) . أما فوق الأراضي الأقل جودة فوق التلال والجبال ، فقد تحولت المروج الطبيعية والأراضي المستصلحة إلى مراع تحتل في نيوزيلندة مساحة تفوق المساحة المخصصة للزراعة بعشر مرات ، وتسمح تربية الأغنام الواسعة ، التي تكون غالبيتها من العرق المتصالب الذي يعطي الصوف واللحم في الوقت ذاته . وهكذا تشكل الأراضي المخصصة لتربية الماشية ٩٠٪ من رقعة الأراضي المستغلة .

وتضم البلاد ٩,٧ مليون رأس من الأبقار و ٥٦ مليون رأس من الأغنام و ٥,٠ مليون من الخنازير . وتنتج نيوزيلندة مقدار ٦,٥ ملايين طن من



الشكل ٩

توزيع الأبقار في زيلندة الجديدة

كل نقطة في الشكل ترمز إلى (١٠٠٠) رأس من البقر الحليب ، و ٢٥٧٠٠٠ طن من الزبدة و ١٠٤٠٠٠ طن من الجبن و ٣١١٠٠٠ طن من الصوف وأكثر من مليون طن من اللحم .

أما زراعتها فتقدم حوالي ٥٠٠,٠٠٠ طن من القمح و ٤٥٠٠٠ طن شوفان و ٣٦٠,٠٠٠ طن من الشعير و ٢٥٠,٠٠٠ طن من البطاطا .

وبعد أن كان استغلال الغابة في الماضي تخريبيا أصبح الآن خاضعاً للتنظيم وأوجد صناعة خشبية نشيطة ، ولاسيا صناعة الورق في مدينة كاوران بالجزيرة الجنوبية وتقوم مصائد الأسماك الساحلية بدور لابأس به في إنتاج الأسماك .

غير أن الموارد المعدنية في نيوزيلندة لاتسمح بقيام صناعة ثقيلة . وتنتج البلاد مقداراً من الذهب بلغ في عام ١٩٨٠ كغم ، كا تنتج نيوزيلندة أكثر من ١٫٥ مليون طن فحم وحوالي ربع مليون طن من فحم الليغنيت ، هذا فضلاً عن كية من الفضة والتنفستين هذا كا تنتج نيوزيلندة أكثر من مليون طن من الأسمدة فضلاً عن ٢٠٠٠٠ طن من غزل الصوف .

بيد أن إمكانات التجهيز الكهرمائي تظل واسعة جداً ، ولاسيا في وسط الجزيرة الشالية وفي جبال الألب بالجزيرة الجنوبية . ويناهز إنتاج نيوزيلندة حالياً ٢٢ مليارك وس معظمها من الفحم الأبيض ، هذا فضلاً عن قيام مراكز كهربائية تعتمد على الطاقة الحرارية الأرضية ، géothermique التي تقتنص الأبخرة الساخنة من النافورات الحارة « جيزر » في منطقة بحيرة توپو ، مما سيزيد من إنتاج الطاقة والتي كانت لا تزيد عن ٧,٣ مليارات ك و س في ١٩٦٠ ، والذي سيسمح بالتوسع في الصناعات التحويلية كصانع الألبان والأجبان .

الزراعة وتربية الماشية في أستراليا

تنتظر أستراليا مستقبلاً اقتصادياً مشرقاً للغاية ، هذا على الرغم من الشروط ١٠٠٠ من المروط ١٨١٧ من الشروط

الطبيعية العسيرة . فالمناطق الخضراء « greens » تظل محدودة بسبب الافتقار إلى الماء ولقلة الرجال ، ومحصورة بنطاق ساحلي غير متصل ، يتد من أستراليا الغربية إلى كوينسلاند ، ولا يشكل سوى ٧٠٥٪ من مساحة أستراليا . وهنا غيز ثلاثة غاذج من المستغلات الزراعية :

الد الغال الجديدة في الجنوب ، وفي ولاية فكتوريا ، في أقصى الجنوب الشرقي ، بلاد الغال الجديدة في الجنوب ، وفي ولاية فكتوريا ، في أقصى الجنوب الشرقي ، وفي جزيرة تسمانيا ، وتقوم هنا مزارع متوسطة الأبعاد ، تنتج الأعلاف الخضراء والحبوب من أجل تربية ماشية حلوبة ، ولتسمين الثيران والخنازير . وتكون هذه المزارع مختصة أحياناً بزراعة الفاكهة ، فقد أقامت كروم عنب واسعة في منطقة آديلائيد بشكل خاص ، تنتج عنب المائدة والزبيب والخور التي تقارب ٤ ملايين هيكتو ليتر ، ولقد سمح التوسع في الري في واديي مورّاي ورافده مورومبيدجي على قيام مستغلات زراعة متعددة الإنتاج ، ولتربية ماشية حثيثة ، وقد أقيت سدود كبيرة على الأنهار في جبال سنووي مما سمح بتوسع كبير في المساحات المروية .

٢ - مزارع القمح: وتحتل المناطق الأكثر جفافاً ، حيث تختلط زراعة القمح الواسعة والمكننة ، حيث يصل الإنتاج السنوي وسطياً إلى ١٠ ملايين طن ، أو عشرة أضعاف الإنتاج السوري ، مع زراعة البرسيم من أجل تغذية الأبقار والأغنام ، ويصل إنتاج الشعير إلى ٣,٣ مليون طن والشوفان إلى ٩٠٠,٠٠٠ طن والبطاطا ١ مليون طن .

٣ ـ المزروعات المدارية في كوينسلاند ، حيث تعتمد على مساحات واسعة وعلى مكائن راقية جداً ، وتستخدم فرقاً من العمال البيض ، وهو أمر شاذ في مناخ مداري ، ولاسيا زراعة قصب السكر ، حتى إن إنتاج السكر فيها

أصبح يفوق إنتاج فرنسا من هذه المادة أو ٣,٤ ملايين طن ، مثلما تقوم بتجارب واسعة لإنتاج القطن وفستق العبيد (الفول السوداني) .

أما فوق المساحات الكبرى القاحلة في الداخل ، فلا نجد مزارع حديثة ولامزارع بل محطات التربية الواسعة للمواشى ، التي تعتد على المراعي الطبيعية التي تبذر بالبذور العشبية الحسنة وعلى موارد المياه المسانة بعناية فائقة . وتتألف هذه من ينابيع ومن خزانات سطحية على الأودية ، وآبار في الحوض الأرتوازي الكبير . ويكفى وجود عدد قليل من الرجال من أجل مراقبة القطعان والعناية بها ، ويتألف كل قطيع من آلاف الرؤوس ، بيد أن فترات الجفاف تؤدي إلى فناء أعداد كبيرة من القطعان . وإجمالاً تؤلف الزراعة وتربية الماشية قاعدة الاقتصاد الأسترالي ، ويبلغ عدد رؤوس الأغنام ١٣٣ مليون رأس في ١٩٨١ ، مقابل ١٨٠ مليون في ١٩٧٠ من نوع مورينوس ، وهو أول قطيع غنم في العالم كمَّ ونوعاً .

أما في شمال أستراليا فتقوم محطات لتربية الأبقار من أجل اللحم والجلد . فانعدام الشتاء في المناطق المدارية لا تسمح بنو الصوف ، ولهذا ينحصر نطاق الأغنام في المناطق الجنوبية . ويبلغ عدد القطيع البقري ٢٥ مليون رأس ، وقد أوجدت محطات تربية الماشية المراعى ذات الحواجز الشائكة . وتستخدم أحدث التقنيّات لوقاية القطيع من الآفات العديدة ، وهكذا استطاعت استئصال النباتات الضارة والقضاء على ملايين الأرانب التي تتلف الأعشاب باستخدام فيروس myxomatose وبالعناية بصحة الأغنام عن طريق إقامة مغاطس تقضى على الطفيليات . وهكذا يؤلف قطيع الأغنام الأوسترالي أول قطيع في العالم في إنتاج الصوف المتاز، وهي أصواف المورينوس الحريرية فضلاً عن الأصواف الناتجة عن الأغنام المهجّنة . وهكذا يصل إنتاج أستراليا إلى ٦ ملايين طن من الحليب و ٣ ملايين طن من اللحم و ٧٠٠,٠٠٠ ظن من الصوف . وهي أول دولة - 119 -

منتجة لهذه المادة ، ويعتبر الفرد الأسترائي أول مستهلك في العالم من اللحم ، إذ يصل ما يستهلكه الفرد بالعام إلى ١٢٠ كغم مقابل ٧٥ كغم في أمريكا الشالية وأوروبا الغربية وإلى ١٠ كغم فقط في البلدان العربية باستثناء ليبيا ودول الخليج (۱) .

ويبدو أن الأستراليين أنفسهم قد أصابتهم الدهشة من الثروة الخارقة التي تقدمها لهم أغنامهم ، التي أصبحت تقدم ٢٨ ٪ من الصوف العالمي و ٦٦ ٪ من أصواف مورينوس . وفي منتصف القرن الحالي كانت الأصواف تمثل نصف قيمة الصادرات الأسترالية ، بينما لا تمثل حالياً سوى ٨ ٪ من قيمة الصادرات . ولا تزال تؤلف عطات الأغنام بالداخل قطعاناً قد يصل الواحد منها إلى حوالي ٠٠٠٠٠ رأس أو أكثر . أما في المناطق الخضراء greens فإن ثلاثة أرباع مزارع تربية الأغنام لا تحوي أكثر من رأس أو أكثر . أما في المناطق الخضراء greens فإن ثلاثة أرباع مزارع تربية الأغنام لا تحوي أكثر من التماقد مع مربي الأغنام، ويكون هؤلاء العال المتجولون فخورين بمهارتهم، إذ يتكن الواحد منهم أحياناً من جزّ صوف ٢٠٠ رأس غنم في اليوم . وبعد الجز تتم عملية الفرز ، وتوسم ثم تضغط في بالات تتعهد شركات خاصة ببيعها ، والتي تقوم مرتين في العام ببيع الأصواف في ملبورن وفي سيدني بالمزاد العلني ، فرياتي المشترون من سائر أطراف المعمورة .

النمو الصناعي في أوستراليا

لم تعد أستراليا ، كا كانت في القرن التاسع عشر بلد الباحثين عن الذهب والمغامرة ، فقد احتلت مكانها بين الدول الصناعية الكبرى . هذا ولم يعد لمناجم

⁽۱) يرى الدكتور خوزيه كاسترو مؤلف كتاب « جغرافية الجوع السياسية » أن نقص التغذية لدى الأمهات يزيد قدرتهن على الإنجاب لعجز الكبد ولشدة إفرازه مادة الجريبين folliculine التي تزيد الخصوبة ، وهكذا تتصف الشعوب « النباتية » بالتكاثر المفرط ، بينا يقل ذلك لدى الشعوب « اللاحمة » وقديما قبال الشاعر العربي :

بغــــاث الطير أكثرهـــا فراخــا وأم الصقر مقــــلات نـــزور وينطبق هذا على النباتات الرديئة التغذية أو العطشى ، فالليونة العطشى تكثر بذورها على خلاف ثمرة الليون الريانة التي تكاد تخلو من البذور ، هذا فضلاً عن أن الشعوب الجائمة تتصف بسرعة الانفعال لأنها تعاني من صوم مزمن ، فتكثر فيها الحروب الأهلية والثورات المتكررة وعدم الاستقرار السياسي والاجتاعي . وهكذا قيل : ماضرب الله عباده بسوط أوجع من الفقر .

الذهب بين المصادر المعدنية أكثر من دور ثانوي ، لأن إنتاجها الحالي لا يزيد عن ١٧ طناً ، مقابل ٣٣ طناً في ١٩٦٠ و ١٠٠ طن في مطلع القرن الحالي . ويعود ذلك لنضوب مكامن الذهب في ولاية فيكتوريا ، كما أن استغلال مناجم كالغورلي في أستراليا الغربية يكلف غالياً ، لأن الماء يجلب إليها من مسافة ٦٠٠ كم . أما في الوقت الحاضر فقد أصبح إنتاج مناجم الحديد يتجاوز من حيث القيمة إنتاج مناجم الذهب ، لأن إنتاج أستراليا من « معدن الحديد » يبلغ حالياً ٨٥ مليون طن من موقع يامي ساوند ، بعد أن كان لا يتجاوز ٣ ملايين طن من خامات الحديد في ١٩٦٠ . وتقع أم مناجمه في ولاية بلاد الغال الجديدة الجنوبية ، ومن خليج سينسر ، ومن أستراليا الغربية . أما استخراج المعادن غير الحديدية كالرصاص فإنتاجه ٢٤٠,٠٠٠ طن وهي ثاني منتج عالمي ، والزنك ٥٠,٠٠٠ طن ، والفضة ٧٨٠ طن ، والنحاس ١٧٦,٦٠٠ طن ، فتقوم به شركات قديرة ، ولاسيا في ناحية بروكن هيل ، في ولاية بلاد الغال الجنوبية الجديدة ، وفي جبل إيزا في ولاية كوينسلاند . وقد دخلت مكامن هامة من أوكسيد اليورانيوم مرحلة الإنتاج في أستراليـا الجنوبيـة ، وكوينسلانـد ، وفي أرض آرنهم ويلغ ٢٦٠٠ طن . وفضلاً عن ذلك تنتج أستراليا ٢٦ مليون طن من البوكسيت و ٤٠٠٠ طن قصـدير و ١,٥ مليون طن من التنغستين وثلاثة من الإلمد .

أما في مجال الطاقة فتضطر أستراليا قبل كل شيء إلى الاعتاد على مواردها الفحمية ، فقد أنتجت عام ١٩٦١ مقدار ٢٤ مليون طن من الفحم و ١٠٠ مليون طن حالياً من إقليم نيوكاسل ، وارتفع إنتاجها من الليغنيت من ١٦ مليون طن في عام ١٩٦١ إلى أكثر من ٣٣ مليون طن حالياً ، وقد أضيفت حالياً مناجم فحم في أستراليا الغربية وفي أستراليا الجنوبية ، كا يتطور حوض الليغنيت بسرعة في ولاية فكتوريا . وتقدم المراكز الحرارية الشطر الأعظم من الطاقة الكهربائية المستخدمة في البلاد ، وقد قفز إنتاجها من ٢٥،٤ مليار ك و س في عام ١٩٦١ إلى

107 مليار سنة 19۸۱ . أما المراكز الكهرمائية التي توسعت كثيراً في منطقة جبال سنووي ، فلم تقدم سوى ٢٠ ٪ من الطاقة الاجمالية أما البترول فقد عثر عليه في عدة أماكن ، ولا سيا في مضيق پاس ، وفي شمال غرب أستراليا من أحواض بحرية وبلغ إنتاجه ١٨ مليون طن ، أي يقل عن إنتاج مصر ، ولكن طاقة أستراليا على التكرير يتجاوز ٣٥ مليون طن .

هذا وتتطور الصناعة الأسترالية بسرعة . وقد شهدت صناعة الحديد فيها نهضة سريعة . فبعد أن كان إنتاجها ٤ ملايين طن من الفولاذ في عام ١٩٦٠ بلغ كرم ملايين طن في عام ١٩٨١ . وتقع أم مجمّعات الصناعة الثقيلة على الساحل قرب نيوكاسل وسيدني ، وفي خليج سپنسر و پرت ، حيث تتبعثر الأفران العالية ومصانع الفولاذ ، ومصاهر المعادن غير الحديدية ، والترسانات البحرية ومصافي النفط ومصانع الأسمدة والإسمنت . وتصفّي البلاد مقدار ٢١٩٠٠٠ طن من النحاس و ٢٢٣٠٠٠٠ من الزنك عدا القصدير . وتقوم الصناعات التحويلية في العواص التجارية ، التي أصبحت مراكز صناعية ، وتأتي في الطليعة ملبورن وسيدني ، وتتلوهما آديلائيد وبريسبان ومدن أخرى وتأتي في الطليعة ملبورن وسيدني ، وتتلوهما آديلائيد وبريسبان ومدن أخرى أقل أهمية . ويتم في هذه المدن تحويل منتجات الزراعة وتربية الماشية ، كا قامت في أستراليا صناعة سيارات أنتجت في عام ١٩٨١ مقدار ٢٥٨,٦٠٠ سيارة سياحية في أستراليا الطائرات والمكائن الزراعية وربيه الأقشة من والتجهيزات المكانيكية والكهربائية . وتنتج الصناعات النسيجية الأقشة من القطن المستورد ، مثلما تقوم بغزل ونسج قسم لابأس به من الصوف الخام الذي تنتحه .

وأخيراً فإن الصناعة النووية القائمة على مراكز أبحاث وتجارب تفتح أمام أستراليا تطلعات صناعية جديدة ، مثلما تمنحها دوراً سياسياً متنامياً باعتبارها قلعة الكومونولث .

التجارة الخارجية

لا تختلف أستراليا عن نيوزيلندة في أنها قطران جديدان في طريق التجهيز ، بحيث تلعب التجارة بالنسبة لها دوراً حيوياً . وهكذا تلعب هاتان الدولتان دوراً هائلاً في المبادلات الدولية ، لأن تجارتها من أكثر تجارات العالم نشاطاً بالموازنة مع عدد سكانها .

وهكذا بلغت صادرات أستراليا عام ١٩٨١ مقدار ١٩,٣ مليار دولار أسترالي ، وكان الصوف يـؤلف ٨,٧٪ والقمــح ١١,٩٪ ، واللحم ٤,٨٪ نضــلاً عن السكر والخامات المعدنية .

أما الاستيراد فقد بلغ في العام نفسه ١٧,٨ مليار دولار أسترالي ، وكان يتألف من المكائن والعربات ، والمنتجات البترولية والكياوية . أما نيوز يلندة فبلغت صادراتها عام ١٩٨١ ، مليار دولار نيوز يلندي ، وعلى رأسها الزبدة ، لأنها أول دولة مصدرة لها في العالم ، والجبن والصوف واللحم . أما استيرادها فكان ١٦٦ مليار دولار نيوزيلندي ، وكان يتألف من سلع مصنوعة ومكائن وسيارات ومنسوجات . وتجد المنتجات الأسترالية والنيوزيلندية سوقها الرئيسية في بريطانيا العظمى وكذلك في أوروبا أكثر مما تبيع إلى الولايات المتحدة . وهكذا تكون العلاقات التجارية والمالية مع الملكة المتحدة أساسية على الرغم من النفوذ الأمريكي المتصاعد .

الفهرس

الموضوع		الصفحة	
	بين يدي الكتاب	٥	
	المقدمة	٧	
الفصل التمهيدي		11	
	أولاً ــ العالم في ١٩٨٠	11	
	ثانياً _ الكتل العالمة الكبرى	10	
	تقلبات الظروف في أوروبا	۲۱	
	الأنظمة الاقتصادية والاجتاعية	40	
	مستويات التنية	۲.	
	العلاقات الاقتصادية الدولية	47	
	عالم متعطش للطاقة	23	
	الذهب الأسود يفرض قانونه	٤٧	
	المستقبل الطاقي	٥٢	
نكلوساكسونية أو أمريكا شمال ريو غرانده	الفصل الأول : أمريكا الأ	٥٧	
	البيئة والقسر المناخي الأمريكي	75	
	الإعمار السكاني	٥٢	
	الحدود	79	
الولايات المتحدة		٧٣	
	الولايات المتحدة كقارة	4٤	
	الشرائط المناخية العامة	Y1	
	المناخات	٨١	
	البحيرات والأنهار	λY	
	الزحف نحو الغرب	۸۳	
	المدن الكبرى	٨٤	
	أسلوب الحياة الأمريكية	7.	

الموضوع	الصفحة
المواصلات	٨٧
بواصرت المناطق الطبيعية	4.
الولايات المتحدة كدولة اقتصادية عظمي	
كندا) best
	171
الموارد الطبيعية المارية المارية	178
الصناعة والمواصلات	144
الكنديون الإنسان الكندى	\£.
	122
أمريكا اللاتينية	154
البرازيل	107
المناطق الطبيعية	101
البرازيل : بوتقة عرقية	771
استيطان الرقعة البرازيلية	דדו
الاقتصاد والحجتع	14.
الفوارق الإقليية وتنظيم استغلال الرقعة	۱۷۳
مشكلة المواصلات والطاقة	174
البرازيل : زراعة مدارية	۱۸۳
البرازيل والمضاربات الزراعية	١٨٨
البرازيل قطر حديث العهد بالتصنيع	117
الأرجنتين	197
البيئة والسكان	117
الأرجنتين : اقتصاد قيد البناء	7.0
الفصل الثاني : الاتحاد السوفيتي	711
أولاً ـ التضاريس	317
ثانياً ـ المناخ	۲۲.
ثالثاً _ النبات	774
رابعاً _ الأنهار والبحار والبحيرات	777
ان الاتحاد السوفيتي وطريقة العمل فيه	۲۳۹ سکا
أولاً _شعوب الاتحاد السوفيتي	72.
_	

الموضوع	الصفحة
تنوع الأجناس وتفوق الروس	۲٤٠
سياسة القوميات	727
الأوضاع الديموغرافية	720
ثانياً _إطارات الاقتصاد السوفيتي	700
المبادئ	700
أساليب التطور الاقتصادي	707
تنظيم القطاعات الاقتصادية الكبرى	YOX
ناطق الإنتاجية الكبري في الاتحاد السوفيتي	1777
أولاً تطورات روسيا القديمة	777
ثانياً _ المناطق الصناعية الجديدة	779
ثالثاً _ البلاد الهامشية	770
ة الاتحاد السوفيتي الاقتصادية	۲۸٦ قو
أولاً _الإنتاج الزراعي	7.4.7
ثانياً _ الإنتاج الصناعي	44.
ثالثاً وسائل النقل والمبادلات التجارية	۲ ٩٨
شكلات الاقتصاد السوفيتي الحالية	A 7.1
الفصل الثالث: الشرق الأقصى ـ الصين واليابان	717
بيئة طبيعية متناقضة	۳۱۷
النموذج الياباني والطريق الصيني	٣٢٠
الصين	777
تضریس علی شکل درجات	777
الصين أرض النكبات الطبيعية	777
الصين : إحصاء عسير	771
تفاوت الإعمار السكاني	377
الشعب : الهان والأقليات القومية	777
المدن : بكين وشنغهاي	137
ثورة في الأرياف	337
الكفاح ضد النكبات الطبيعية	727
المناطق الزراعية	789

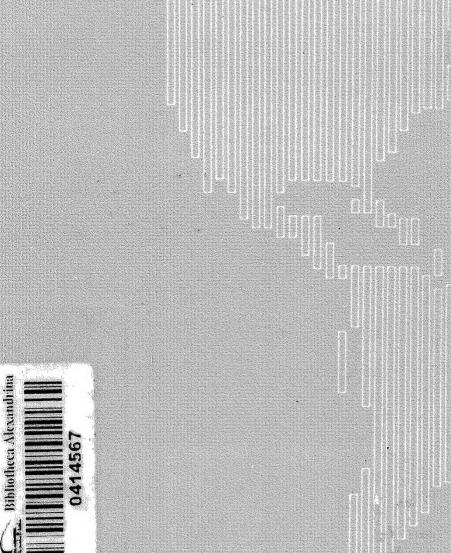
الموضوع	الصفحة
المنتجات الزراعية	707
المواصلات	709
مصادر طاقة كبيرة	777
السياسة الصناعية	419
البني الصناعية وأماكن توطينها	740
الصناعات الثقيلة والصناعات الخفيفة	TYA
بعد ثلاثين عاماً من الثورة : حصيلة إيجابية	ፕ ለፕ
أبواب الصين : هونغ كونغ ، تايوان ، ماكاؤو	7.87
تايوان أو (فورموزة)	79.
اليابان	790
أولاً ـ الإطار الطبيعي	790
البحار والسواحل	***
المناخ	۲9 A
النبات	٤٠١
ثانياً ۔ سکان اليابان	2-7
تزايدهم	٤-٣
توزع هؤلاء السكان	٤٠٧
الأرياف والمدن	٤-٧
الحضارة اليابانية	٤-٨
ثالثاً ـ المناطق الكبرى	٤١٠
۱ ـ هوکایدو	٤١١
۲ ـ شال جزيرة هوندو « هونشو »	٤١١
٣ ـ وسط هونشو	217
٤ ـ جنوب هونشو وسيكوك	110
٥ ـ جزيرة كيوسيو	217
رابعاً _ الاقتصاد الياباني	£\V
التحديث	¥\Y
الزراعة	818
الصناعة	٤٢١
التجارة ووسائل النقل	270
ملامح المستقبل	773

الموضوع	الصفحة
الفصل الرابع: العالم الهندي	277
إفراط الطبيعة وقسوتها	173
الهند وشبه القارة الهندية	277
أولاً ـ تضاريس الهند	٤٤٠
ثانياً _ کثرة الناس وتنوعهم	233
ثالثاً ـ تقسيم العالم الهندي	224
رابعاً _ تخلف شبه القارة الهندية	207
دول العالم الهندي	EOA
جمهورية الاتحاد الهندي	٤٦٠
فسيفساء بشرية	٤٦٠
الهند في مواجهة المشكلة الديموغرافية	٤٦٤
عيوب المجتمع الهندي	173
مشكلة الأرض الزراعية	٤٧١
الزراعة : نجاحات متفاوتة	٤٧٤
الزراعة الغذائية والتجارية « النقدية »	£YA
أسس الصناعة في الاتحاد المندي	£AY
الاتحاد الهندي : دولة صناعية عظمي مستقبلية	٤٨٩
الاتحاد الهندي في طريقه إلى التنبية	297
الباكستان	297
بنغلادش	0.5
أندونيسيا	7.0
أولاً _ الملامح الطبيعية الكبرى	7.0
ثانياً _السكان والتطور السياسي	017
ثالثاً _ الاقتصاد	310
الفصل الخامس : أوروبا	071
الصفات الأصيلة لقارة أوروبا	970
الجزر البريطانية	٥٤٧
أسس القوة البريطانية	00+
أهمية علاقاتها ومواصلاتها	٥٥٠

الموضوع	الصفحة
est ne tian f	
اً ـ الامبراطورية البريطانية	۵0٠
ب ـ منطقة الاسترليني	۳۵٥
جـ ـ الأسطول التجاري	300
قوة الإنتاج الطاقي	٥٥٥
أ _أهمية وتطور الثروة الفحمية	700
ب _ حصة الملكة المتحدة في الإنتاج العالمي للبترول	004
جـ ـ ملامح الطاقة الذرية	750
الشعب البريطاني	750
اً ـ تمركز سكان المدن	٥٦٥
ب _ الفروق البشرية في هذا القطر القديم	770
المناطق الناقصة النمو	ΛΓο
ايرلندا	λΓα
الكتل الجبلية في بريطانيا العظمي	٥٧٤
أ ـ الكتل الإيقوسية	340
ب ـ الكتل الجبلية الإنكليزية	647
الزراعة البريطانية ومناطق الزراعة الحثيثة	۵۷۷
الصناعة والمراكز الصناعية	710
الموانئ البريطانية	095
التجارة البريطانية	۸۴٥
ملامح اتجاه الاقتصاد البريطاني	7
يناللأ	7.5
١ ـ مقدمة عن أوروبا الوسطى الجرمانية	7.5
۲ ـ ألمانيا الوسطى	111
٣ _ ألمانيا الجنوبية	דוד
شعب ألمانيا والدول الألمانية	777
ألمانيا الاتحادية	72.
أولاً _ كيان ألمانيا الفربية	72.
ثانياً _ المناطق الاقتصادية الكبري	7.8.7
١ ـ المناطق الصناعية في ألمانيا الوسطى	788
٢ ـ المناطق الريفية في ألمانيا الجنوبية	707

الموضوع	الصفحه
٢ ـ المناطق الصناعية والموانئ في السهل الشمالي	777
ثالثاً _ ديناميكية ألمانيا الاقتصادية	977
ألمانيا الشرقية	749
۱ ـ تعریف	777
٢ ـ القسم الجنوبي من ألمانيا الديموقراطية	785
٣ _ السهل الشمالي	7.8.7
٤ ـ اقتصاد ألمانيا الديموقراطية	79.
ه ـ برلين	APF
مدينة برلين بالأرقام	٧٠١
إيطاليا	٧٠٣
البيئة والناس ـ الإطار الطبيعي	٧٠٣
البيئة والسكان ـ الديموغرافيا	Y\\
الحياة الزراعية	Y10
تنوع الأرياف الزراعية	٧٢٠
شروط الحياة الصناعية	YYY
الطاقة والصناعة	AYY
مدنية حضرية	VTT
المدن والمناطق ، وحدة ومفارقات	YYY
المشكلات الإقليية	٧٤٠
حياة الاتصالات _ وسائل المواصلات والتجارة الخارجية	737
السياحة وميزان المدفوعات	727
فرنسا	Y£1
الموقع	714
ر تشكل الأرض	٧٥٠
التضريس	401
المناخ	YOA
السكان	٧٦٠
الات- ا	Var

الموضوع	الصفحة
الفصل السادس	YY 0
جهورية جنوب إفريقيا	. 440
أولاً _ الصفات العامة لإفريقية الجنوبية	777
التضريس	777
الأوضاع المناخية والمشاهد النباتية	YYY
ثانياً ـ التطور الاقتصادي في جمهورية جنوب إفريقيا	444
الاستيطان الأبيض	٧٨٠
الاستغلال الزراعي	YAY
الثراوات المعدنية	YAY
غوألمدن	YAA
ثالثاً ـ المآسي الإنسانية في جمهورية إفريقية الجنوبية	٧٨٩
أستراليا ونيوزلندة:	Y1Y
أولاً ـ الشروط الطبيعية	Y \$A
أستراليا ذات القلب اليابس	٧٩٨
ارتصاف التضاريس	٧-١
المشاهد النباتية والهيدروغرافيا	٨-١
أرض غير مضيافة	۸۰۲
نيوزلندة	٨٠٤
ثانياً ـ السكان والاستيطان	٨٠٥
١ _ أستراليا الغربية	٨٠٧
٢ _ أستراليا الجنوبية	٨٠٨
۳ ـ کوینسلاند	۸۰۹
٤ ـ فكتوريا	٨٠٩
ه _ منطقة الثال	٨٠٩
التنظيم السياسي والاجتاعي	۸۱۳
المواصلات "	٨١٣
ثالثأ ـ التطور الاقتصادي	7/0
الزراعة وتربية الماشية في أستراليا	7/7
النمو الصناعي في أستراليا	۸۲۰
التحل ق الحل ح. ت	٨٢٣



تصميم الغلاف : السيدة فاتنة الطرابيشي تم رسم الخارطة على أجهزة CTT السويسرية